

A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.O.B. LIBRARY

1840

كتاب التلخيص

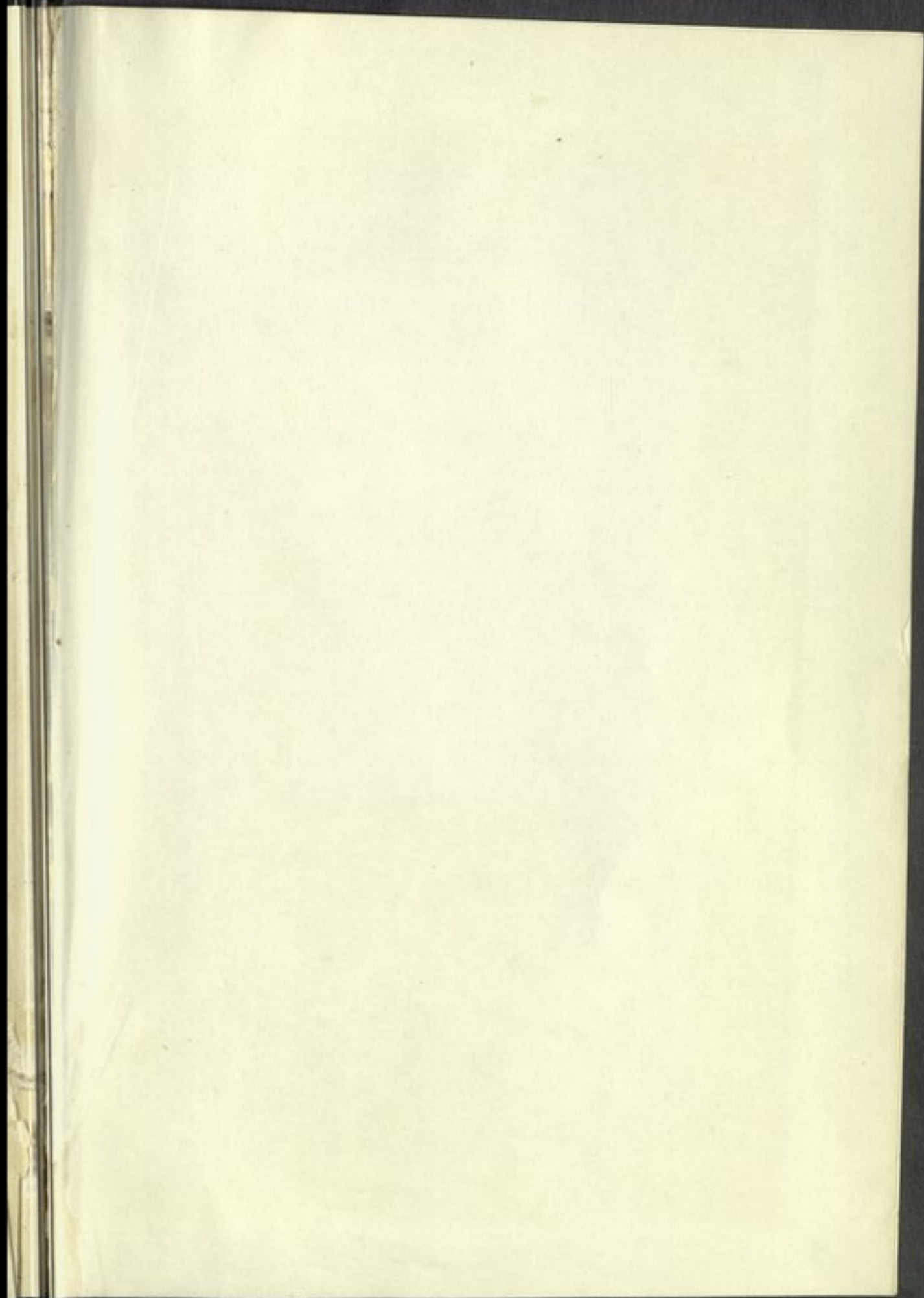
في معرفة النجوم
والساعات
والساعات
والساعات

كتاب الاول

في معرفة النجوم
والساعات
والساعات

الكتاب
الاول

في معرفة النجوم



تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته من العلوم والآداب على اختلاف مواضعها . وتراجم العلماء والآداب والشعراء وسائر آداب القرائح . ووصف مؤلفاتهم وأماكن وجودها أو طبعها من أقدم أزمنة

التاريخ إلى الآن

892.709

Z39taA

v. 1-2

تأليف

عزجي زيدان

منشور الهلال

الجزء الأول والحزب الثاني فصلاً

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في عصر الجاهلية

وعصر الراشدين والعصر الأموي

أي من أقدم أزمنة التاريخ إلى سنة ١٣٢ هـ

الطبعة الثالثة

68073

مطبعة النهضة

سنة ١٩٣٦

Qiya. Fresh. Class

Cat. Sept. 1938

المقدمة

تاريخ التأليف في هذا الموضوع

لم يكن تاريخ آداب اللغة معروفاً عند الافرنج قبل نهضتهم الاخيرة في التمدن الحديث . وما لبثوا أن تنبهوا له حتى ألفوا فيه وأصبحوا وما من لغة من لغاتهم إلا وفيها كتاب أو غير كتاب في تاريخ آدابها . ولما استشرقوا أخذوا في درس اللغة العربية وكتبوا في تاريخ آدابها غير كتاب سيأتي ذكرها

أما العرب فملشهور أنهم لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم والحقيقة أنهم أسبق الأمم إلى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من المواضيع . فإن في تراجم الرجال كثيراً من هذا التاريخ لأنهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ويبيّنون مواضعها وقد يصفونها . وأول كتاب خصصه للبحث في المؤلفين والمؤلفات « كتاب الفهرست » لابن النديم (سنة ٣٧٧ هـ) وهو يشتمل على آداب اللغة العربية من أول عهدها الى ذلك العصر مرتبة حسب المواضيع ولم يقتصر ذلك الكتاب على آداب العرب الاصلية ولكنه تضمن ما أحدثوه من العلوم الاسلامية والاسانية وما نقلوه عن اللغات الاخرى بالتفصيل مع تراجم المؤلفين والمترجمين والشعراء والادباء . ولولاه لضاع أسماء كثير من الكتب النفيسة . ولاعوزنا تراجم كثيرين من الادباء والشعراء والعلماء . فهو ذخيرة أدب وعلم لا تثن . وقد طبع في لبيسك سنة ١٨٧٢

ولم يظهر بمده كتاب يستحق الذكر قبل كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة ويرف بموضوعات العلوم لطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ رتبه حسب المواضيع أيضاً وذكر فيه ١٥٠ فناً ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

بليه كتاب « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لملا كاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ وهو معجم مرتب على الابجدية حسب أسماء الكتب . وبلغ ما حواه منها نحو ١٥٠٠٠ كتاب مع أسماء أصحابها ووفياتهم وتواريخ أهم العلوم . وقد طبع عدة طبعات أهمها طبعة لبيسك ولندن سنة ١٨٣٥ - ١٨٥٨ في ٧ مجلدات . بها ملحق فيه ذيل احمد منيف زاده . وفهارس مكاتب دمشق وحلب ورودمس والمغرب وفهرس السيوطي وابن خليفة الاندلسي وبعض مكاتب الاستانة . وله طبعات أخرى في الاستانة ومصر في مجلدين

وأخيراً كتاب « أبجد العلوم » لصديق القنوجي من أهل هذا العصر وهو كتاب ضخيم عول فيه صاحبه على من تقدمه ورتبه على المواضيع . وقد طبع على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ هـ في ٣ مجلدات كبيرة

على أن هذه الكتب وأمثالها تعد من المآخذ الأساسية لدرس آداب اللغة . ولكنها لا يصح أن تسمى تاريخاً لها بالمعنى المراد بالتاريخ اليوم ولم يتصد أحد للتأليف في تاريخها على النمط الحديث قبل الإفراج المستشرقين فهم أول من كتب فيه من أواسط القرن الماضي . لكنهم لم يوفوه حقه إلا في أول هذا القرن . وسنأتي على أسماء مؤلفاتهم فيما يلي

أما في العربية فلعلنا أول من فعل ذلك . ونحن أول من سمي هذا العلم بهذا الاسم « تاريخ آداب اللغة العربية » فنشرنا منه فصولاً صدر أولها سنة ١٨٩٤ في الهلال التاسع من السنة الثانية وآخرها في أواخر السنة الثالثة وقد انتهينا فيه إلى تاريخ آدابها في عصر الأنحطاط ثم شغلنا عن انمامه وواعدنا القراء بالعود إلى هذا الموضوع على أن نفرده له كتاباً خاصاً مع التوسيع والتدقيق . ففضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شاردة إلا قيدناها وملاحظته إلا حفظها وتدبرناها والقراء يطالبوننا به . فأعلنا في السنة الماضية عزمنا على القيام بوعدنا وها نحن فاعلون

الفرض من هذا الكتاب

نعني بتاريخ آداب اللغة العربية تاريخ ما تحويه من العلوم والآداب وما تقلبت عليه في الأعصر المختلفة . أو هو تاريخ ثمار عقول أبنائها وتناجج قرائحهم . وهاك أهم أعراضها منه :

- ١ - بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي
- ٢ - تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والأعصر
- ٣ - تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف أدواره من تكونه ونشوته إلى نموه ونضجه وتشعبه وأحلاله حسب الأعصر والأدوار
- ٤ - تراجم رجال العلم والآداب مع الإشارة إلى المآخذ التي يمكن الرجوع إليها لمن يريد التوسع في تلك التراجم
- ٥ - وصف الكتب التي ظهرت في العربية باعتبار مواضيعها وكيف تساست بعضها من بعض وبيان مميزات بعضها من حيث حاجة القراء إليها ووجه الاستفادة منها

٦ - لانهم من هذه الكتب بالاكتر الا بما لا يزال باقيا منها ويمكن الحصول عليه . فاذا كان مطبوعا ذكرنا محل طبعه وسنته واذا كان لم يطبع اشرنا الى المكاتب الكبرى التي يوجد فيها - نعى المكاتب الدولية في أوروبا أو غيرها كالمكتبة الملكية في برلين ومكتبة المتحف البريطاني في لندن والمكتبة الاهلية في باريس والمكاتب الدولية في فينا وغوطة واكسفورد ومنشن وليدن وغيرها ودار الكتب المصرية في القاهرة ومكاتب اياصوفيا أو كوبرلي أو بيازيد أو غيرها في الاستانة . حتى اذا اراد حد الوقوف على شيء من الاصول الخطية طلبها في قوائم تلك المكاتب وبالجملة فان غرضنا الرئيسي أن يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلا عن الفائدة النظرية بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمتها بالنسبة الى سواء من نوعه . فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الامة العربية وعقولها وتراجم علمائها وادبائها وشعرائها ومن عاصروهم أو عاملهم من كبار الرجال . ووصف المؤلفات العربية على اختلاف مواضعها . ومتى تم الكتاب ألقناه بفهرس ابجدي للاعلام والمواضيع فيصير معجماً للعلم والعلماء والادب والادباء والشعر والشعراء ولما جادت به قرائحهم من النصائيف أو المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعه أو وجوده

تقسيم الموضوع وابوابه

ترددنا كثيراً في الخطة التي اتخذها في تقسيم هذا الكتاب بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب الاعصر - ومعنى قسمته حسب العاوم أن نستوفي الكلام في كل علم على حدة من نشأته الى الآن على أن نبدأ باقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلاً وتراجم الشعراء وما تقرب عليه من أول عهده الى الآن . ونفعل مثل ذلك بالخطابة وغيرها من آداب الجاهلية وهكذا في العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة . والتاريخ والجغرافية وغيرها . أما قسمته حسب الاعصر فيراد بها الكلام عن أحوال العلوم معاً في كل عصر على حدة وهذا الذي اخترناه . فقسماً هذا الكتاب الى تاريخ آداب اللغة العربية قبل الاسلام وتاريخها بعده . وقسمناها في الاسلام الى اعصر حسب الانقلابات السياسية لبيان ما يكون من تأثير تلك الانقلابات فيها . فبدأنا بعصر الراشدين فالعصر الاموي فالعباسي فالغولي فالعثماني فالعصر الحديث وقسمنا كلا منها الى ادوار حسب الاقتضاء . وسيدخل هذا الكتاب في أربعة أجزاء هذا أولها

موضوع هذا الجزء

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة في العصر الجاهلي وفي عصر الراشدين والعصر الأموي . أي من أول عهدها إلى سنة ١٣٢ هـ . فبدأنا بمقدمات تمهيدية في ما هو المراد بآداب اللغة ومن ثم أسبق الأمم إلى العلم وما هي مصادر آداب اللغة على الأجمال . واتينا بآداب اللغة اليونانية على سبيل المثال . ثم عمدنا إلى آداب العرب قبل الإسلام فقسّمناها إلى الجاهلية الأولى في زمن المحورانيين وما بعدهم . والجاهلية الثانية في القرنين الأخيرين قبل الهجرة . وصدّرنا الكلام بفصول في الفرق بين لغة الجاهليتين ودرجة ارتقاء عقول العرب . والمرأة في الجاهلية . وتقدمنا إلى الآداب الجاهلية فقسّمناها إلى :

- ١ - الآداب العربية ويدخل فيها اللغة والشعر والخطابة والأمثال والنسب ومجالس الأدب والأخبار ونحوها
- ٢ - العلوم الطبيعية وتحتها الطب والبيطرة والحيل ومهات الرياح
- ٣ - العلوم الرياضية أردنا بها الملك والميتولوجيا والنوقيت
- ٤ - ما وراء الطبيعة ويدخل فيها الكهانة والعيافة والقيافة وتعبير الرؤيا والزجر وغير ذلك

وأخذنا في الكلام عن كل علم على حدة فبدأنا باللغة فذكرنا تاريخها قبل الإسلام وما دخلها من الألفاظ الأعجمية وكيف كانت لما جاء الإسلام ، وفروعها ومميزاتها عن سائر اللغات . ثم الأمثال وأنواعها وما ألف فيها . وانتقلنا إلى الشعر وهو أهم تلك الآداب فأفصنا في درسه وبحثنا في هل عند العرب شعر تمثيلي . وكيف بدأ العرب ينظمون . وما هو أصل وزن الشعر عندهم وأسباب نهضة الشعر في الجاهلية وأهمها استقلال عرب الحجاز من اليمن وحروبهم فيما بينهم . وبيننا عدد الشعراء بالنظر إلى القبائل وبالنظر إلى الأقاليم وتأثير الأقاليم في قرايحهم . ثم عقدنا فصلا في خصائص الشعر الجاهلي وأحوال شعرائه . وتسهيلا لدرسهم وتفهمهم قسّمناهم حسب أغراضهم إلى : أصحاب المعلقات والشعراء الأمراء والشعراء الفرسان والشعراء الحكماء والشعراء العشاق والصعاليك واليهود والنساء الشواعر والشعراء الهجائين ووصاف الحيل والموالي وسائر الشعراء . وذكرنا بمميزات كل طبقة وأشهر شعرائها وزاجم وأمثلة من أقوالهم وما صارت إليه دواوينهم ولما أخذت التي يرجع إليها في معرفة أخبارهم . ثم تقدمنا للكلام على سائر علوم الجاهلية

وفي عصر الراشدين بدأنا بذكر التغيير الذي أحدثته الاسلام في نفوس العرب وما كان من تأثير ذلك في آدابهم ولا سيما الشعر والخطابة . ثم كتبنا فصلا في الشعر والنبي وآخر في الشعر والخلفاء الراشدين وما حدث من العلوم في هذا العصر مع تاريخ الخط

وقدما الكلام في العصر الاموي بمميزات ذلك العصر وما اقتضته سياحة بني أمية من التفريق بين القبائل واصطاع الاحزاب وتأثير ذلك في آدابهم . فبدأنا بالعلوم الشرعية كالقراءة والفسير والحديث والفقہ مع تمهيد في البصرة والكوفة . ثم العلوم اللسانية النحو والحركات والاعجام ثم التاريخ والجغرافيا . ورجعنا الى ما صارت اليه آداب الجاهلية في ذلك العصر وهي اللغة والشعر والخطابة وتكلمنا عن أسباب رواج الشعر وبمميزاته فيه . وقسمنا هذا العصر الى ثلاثة ادوار . وقسمنا شعراء الى شعراء السياسة وشعراء النزل والشعراء الخلقاء والسكبرين والشعراء الادباء . وقدما الكلام في فحول ذلك العصر . وقسمنا شعراء السياسة الى احزاب أهمها : أنصار بني أمية وأنصار آل المهلب وأنصار العلويين والخوارج وغيرهم . وأتينا بتراجم شعراء كل طبقة وأمثلة من أقوالهم حسب أغراضهم وأدوارهم مع ذكر دواوينهم وما أخذ أخبارهم . وختمنا الجزء بفصول في قرائح الشعراء وشياطينهم والقراءة فيهم . وأخيراً في الخطابة والخطباء والانشاء وبه تم العصر الاموي وهو آخر الجزء الاول

الكتب التي عولنا عليها

بطول بنا ذكر الكتب التي اطلعنا عليها قبل تأليف هذا الكتاب . وهي على الاجمال كتب التاريخ والادب واللغة والشعر . وقد ذكرنا جانباً كبيراً منها بين ما أخذ تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام . وأتينا بقائمة أخرى في آخر باب الشعر الجاهلي من هذا الكتاب صفحة ١٦٥ فنكتفي هنا بذكر الكتب التي هي من قبيل تاريخ آداب اللغة في العربية وفي الافرنجية ولم يرد ذكرها في تلك القائمة واليك أهمها :

١ - الكتب العربية

الفهرست	لابن النديم	طبع في ليبسك سنة ١٨٧٢
مفتاح السعادة	لطاشكبرى زاده	خط في دار الكتب المصرية
كشف الظنون ٣ أجزاء	لكاتب جلبي	طبع في ليبسك سنة ١٨٥٨
أبجد العلوم ٣ أجزاء	لسديق القنوجي	» في الهند » ١٢٩٦ هـ
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	» بولاق » ١٢٨٤ هـ

• سنة ١٢٩٤	طبع مصر	للانباري	طبقات الأدباء
• ١٨٨٢	» »	لابن أبي أصيبعة	• الاطباء جزآن
• ١٣١٠	» »	ابن خلكان	وفيات الاعيان ٣ اجزاء
• ١٢٨٢	» »	لابن شاعر	اوت الوفيات جزآن
• ١٢٨٢	» بولاق	للسيوطي	لمرهر جزآن
• ١٨٩٧	» مصر	لادوارد فنديك	اكتفاء المقنوع

٢ - الكتب الفرنسية

Lollée, Hist. des littératures comparées des origines au XXe

	siècle, Paris	1900
Deltour, Hist. de la littérature grecque	"	1896
Bouchot, Précis de la littérature ancienne	"	1874
Perrens, Hist. de la littérature italienne	"	1867
Baret, Hist. de la littérature espagnole	"	1863
Jusserand, Hist. abr. de la littérature anglaise	"	1896
Duval, La littérature syriacque	"	1900
Seignobos Hist. de la civilisation, 3 vol.	"	1905
Sédillot, Hist. gen. des arabes, leur civil., etc.	"	1877
Huart, Littérature arabe	"	1902
Dozy, Recherches sur l'histoire et littérature de l'Espagne 2 Vol.	"	1881
Brunetière, Hist. de la littérature française	"	1900
Le Bon, La civilisation des arabes	"	1884

٣ - الكتب الانكليزية

Browne, A literary hist. of Persia, 2 Vol.	London	1900
Magollouth, Mohamed and the rise of Islam	"	1905
Boer, The hist. of philos. in Islam	"	1903
Scott, Hist. of moorish empire in Europe, 3 Vol.	New York	1904
Nicholson, A literary hist. of the Arabs	London	1907
Frazet, A literary, hist. of India	"	1898

٤ - الكتب الالمانية

Hammer-Purgstall, Litteraturgeschichte der Araber bis zum Ende des 12 Jahrhundert der Hidschret, 7 Vol.	Vienna	1856
Wustenfeld, Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke,	Gothingen	1882
Goldzihr, Muhammedanische Studien.	Halle	1890
Diercks, Die Araber im Mittelalter und ihre Einfluss auf die Culture Europa's	Leipzig	1882
Schak, Poesie und Kunst der Araber in Spanien	Stuttgart	1877
Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 Vol.	Weimar	1902

هذا وقد بذلنا الجهد في تحقيق ما كتبناه على ما بلغ اليه الامكان . ولكن الكتاب واسع للموضوع كثير الجزئيات والانسان موضع الضعف . فنتقدم الى من يقع لنا على خطأ أن ينبهنا اليه لنتدركه في الاجزاء التالية . وما العصمة الا لله وحده
(سنة ١٩١١)

مقدمات تمهيدية

١ - ما هو المراد بآداب اللغة

آداب اللغة علومها . والمراد بتاريخ آداب اللغة تاريخ علومها أو تاريخ ثمار عقول أبنائها وتناج قرائحهم . فهو تاريخ الأمة من الوجهة الأدبية والعلمية . ولكل أمة تاريخ عام يشمل النظر في كل أحوالها ويتفرع إلى تاريخ سياسي وآخر اجتماعي وآخر اقتصادي وآخر أدبي أو علمي . فالتاريخ السياسي يبحث فيما مر على الأمة من الفتح والحروب وما توالى عليها من الدول وأنواع الحكومات ونحو ذلك . والتاريخ الاجتماعي يبين الأدوار التي تقلبت بها تلك الأمة من حيث عاداتها وأخلاقها . والاقتصادي يتناول النظر في تاريخ مالية تلك الأمة وثروتها وأحوالها الزراعية والصناعية وغيرها . وقس على ذلك سائر ضروب التاريخ . ومنها التاريخ الأدبي أو العلمي وهو يبحث في تاريخ الأمة من حيث الأدب والعلم فيدخل فيه النظر فيما ظهر فيها من الشعراء والأدباء والعلماء والحكماء وما دونوه من ثمار قرائحهم أو نتاج عقولهم في الكتب وكيف نشأ كل علم وارتقى وتفرع عملاً بسنة النشوء والارتقاء .

والتاريخ العام ان لم يشمل تاريخ آداب اللغة كان تاريخ حرب وفتح وسفك وتقلب واستبداد . اذ لا يستطيع الوصول إلى فهم حقيقة الأمة أو كنه تمدنها أو سياستها الا بالاطلاع على تاريخ العلم والأدب فيها . فهو شارح للتاريخ بعلم الأسباب والحوادث بعلمها الحقيقية . فاذا قرأنا تاريخ أمة وعرفنا ما توالى عليها من الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية واستخرجنا أسباب تمدنها ورفيها أو تفهقها وسقوطها - مهما علمنا من ذلك كله فان الأسباب لانزال غامضة حتى نعلم تاريخ علوم تلك الأمة وهو تاريخ عقولها وقرائحها فتجلى لنا العوامل الأصلية في أسباب رقيها أو سقوطها . فان ما نخافه من الآثار الأدبية يتم عما كانت عليه من الارتقاء العقلي أو الميل القلبي وسائر أحوالها من الاعتدال أو العفة أو التهنك . من الهمة أو التحول إلى غير ذلك من الآداب والاطوار - وأما الأمم الأخلاق ما بقيت -

على ان تاريخ آداب اللغة لا يكون واقياً ان لم يوضح بالتاريخ السياسي واهل التمدن الحديث يعملون البحث في آداب اللغة من أهم الوسائل لفهم تاريخها السياسي ويقسمون ذلك التاريخ إلى اطوار على مقتضى ما تقلب عليها من

الاحوال الادبية ويقيسون ما تبيوه من الاطوار الماضية على ما سيكون . فيتنبأون عن مستقبل الامة متى عرفوا الطور الذي بلغت اليه في أيامهم . وبالقياس على الماضي يقولون ان هذه الامة هي الآن في دور الحماسة الشعرية مثلاً ولا تلبث ان تنقل الى العصر الادبي ثم العلمي فالفلسفي الخ

فتاريخ آداب اللغة هو تاريخ عقول ابناءها وما كان من تأثير ذلك في نفوسهم وفي اخلاقهم . ويدخل فيه تعيين ما بلغت اليه الامة من الرقي العلمي وامتازت به على سواها . ويبان تاريخ كل علم وما تقلب عليه من الاحوال ووصف ما خلفوه من الآثار المكتوبة من حيث فوائدها وكيفية تفرعها أو نخلفها بعضها عن بعض

٢ - اسبق الامم الى العلم

من هو أول من قال شعراً؟ أو أول من رصد الكواكب أو اخترع الكتابة أو وضع الاعداد؟ من قسم السنة الى اشهر والاشهر الى اسابيع وهذه الى الايام فالساعات؟ نعرف مثلاً ان أول من رصد الكواكب السكندانيون ولكن من هو الرجل الذي بدأ بالرصد؟ ان ذلك ذهب في ثنايا الفرون المتباعدة كما ذهبت اسماء مكتشف الملح ومخترع النار وصانع الابرة والمنزل ونحوهما من الادوات القديمة . والسبب في ذهاب تلك الاخبار ان الانسان طاش ادهاراً قبل ان اخترع الكتابة ولم يكن يدون أعماله وآثاره مع أن بعضها عظيم الاهمية بالنظر إلى التاريخ وللعلم بهذا الاعتبار تاريخان احدهما قبل اختراع الكتابة والآخر بعدها ولا دخل لآداب اللغة فيما هو قبل الكتابة لان معول اصحاب هذا العلم على ما بين ايديهم من مدونات العلوم والآداب . فأي أمة دونت العلم اولاً؟

لاخلاف في أن الشرق اسبق الى تدوين العلم من الغرب . فقد نظم المشاركة الشعر وطالجوا الامراض ووضعوا الشرائع ورصدوا الكواكب وعينوا اماكنها وسموها باسمائها والغرب في غفلة وظلام دامس . فأي أمة الشرق أسبق الى العلم؟ يصير الجواب على ذلك جواباً قطعياً لان اكثر آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال أو الاتربة في مصر والشام وما بين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وقارس والهند . وفيها آثار الفراعنة والفينيقيين والاشوريين والبابليين والاميين والحميريين والحثيين وغيرهم . ولم ينتبه العلماء الى أهمية هذه الآثار الا في القرن الماضي فتألفت الجمعيات وجمعت الاموال للتنقيب واستخراج الاحافير وحل الكتابات . فحلو الخط الهيروغليفي بمصر والمسماي بين النهرين والمسند في اليمن

والنبطي في الحجاز والفيثقي في فينيقية . وقرأوا ما اكتشفوه من الاحافير فاطاموا على كثير من احوال تلك الامم . لكن أعمال التنقيب لا تزال في أولها ولا يزال معظم الآثار مدفوناً وخصوصاً في ما بين النهرين وآسيا الصغرى واليمن وسائر بلاد العرب . أما مصر فان حظها من التنقيب أكثر من حظ سواها

وادي النيل

وقد تبين من قراءة الآثار حتى الآن ان وادي النيل ووادي الفرات أسبق بلاد المشرق الى الاشتغال بالعلم والادب وقد قضيا ادهاراً وها زاهران منيران بالعلم وسائر العالم في ظلام . نبغ العلماء والاطباء والشعراء بمصر في عهد الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى قبل بناء اهرام الجيزة أي منذ نحو ٦ آلاف سنة . وبفتخر أحد كتاب الدولة في عهد الاسرة السادسة بمصر أنه كان متولياً ادارة الكتب فطلب الى ذويه ان ينقشوا ذلك على قبره منذ نيف و٥ آلاف سنة

ويدل ذلك طبعاً على وجود الكتب من ذلك الحين وان لم يصل اليها شيء منها ولكننا سمعنا ببعضها . وربما كان أهم ما وصلنا خبره منها « كتب الاموات » وهي كتب الطموس وفيها شعر وأدب وتاريخ وعتود وعهود وأغان وبعضها قديم جداً ربما كان قبل مينا أول فراعنة مصر . وهي تشبه كتب الدين عند سائر الامم القديمة كالفيديا عند البراهمة والزندانفاستا عند الجارية والكنغ عند الصينيين والنمود عند اليهود لكنها أندم منها كلها

وكان الفراعنة يطلبون العلم ويتفاخرون به ويقال ان توسرتسن أحد ملوك هذه الاسرة كان عالماً بالطب فوضع فيه كتابا تداوله الناس الى القرن الاول للميلاد . ولاريب ان الرياضيات في عهد المائة الرابعة بناء الاهرام كانت من أرقى العلوم . وقد نبغ الشعراء بمصر من أقدم أزمانها وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون في مجلس نحوتمس الثالث ورعمسيس الثاني كما اجتمع بندار وزملاؤه من شعراء اليونان بعد ألف سنة في مجالس ملوك اليونان . وكما اجتمع شعراء العرب بعد الف وخمسمائة سنة أخرى في مجالس الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد وغيرهم . وكان شعراء الفراعنة ينظمون النصائد في كل نصر أو فتح يمتدحون ملوكهم ويسمونهم ابنا الشمس واصحاب التاجين

وادي الفرات , السومريون والا كاديون

ويقال نحو ذلك عن أهل بابل وأشور في وادي الفرات أو دجلة فان العلم عندهم

قديم وقد تعاصر البابليون والمصريون وتبادلوا المعارف . ولكن ظهر بالاكتشافات الاثرية في بابل أنه كان هناك قبل تمدن البابليين امان سبقتا البابليين الى اسباب المدنية أو العلمها الاكاديون والسومريون جاءوا وادي الفرات من عهد بعيد وعندهم العلم والكتابة وهي الاحرف المسماة بالبابليون منهم وطبعوا بها أخبارهم على آثارهم . وكان السومريون عند قدومهم الفرات أهل شريعة ودين وصناعة يبنون المدن والقلاع وينسجون الانسجة . نزل السومريون والاكاديون وادي الفرات نحو القرن الخامس والاربعين قبل الميلاد أي منذ نحو ٦٥٠٠ سنة ومعهم العلم والصناعة وما زالوا نبراساً يستضاء بهم الى اوائل القرن العشرين ق م . أي نحو ٢٥ قرناً . وهم يختلفون عن سائر سكان ذلك الوادي لغة وشكلاً كما يظهر من صورهم المنقوشة على الآثار . وقد اقتبس أهل الشام والعراق عنهم كثيراً من أسباب العلم واستدل بعض العلماء على آثار ذلك في مزامير داود

اسم مكتبة في العالم

وطاصر هذه الامة في وادي الفرات غير دولة من أصل سامي . وعثر النقبون على قرميدة بابلية عليها كتابة مسبارية فيها قائمة باسماء ملوك بابل منذ أكثر من ستين قرناً ويبدل ذلك على قدم التمدن في ذلك البلد المبارك . وفي جملة أولئك الملوك ملك اسمه « شرجينا » كان محباً للعلم والعلماء راغباً في العماره أنشأ مكتبة في « وركاء » من أعمال العراق سماها مدينة الكتب . وعهد الى رجال من خاصته في جمع الكتب قديمها وحديثها وان يفسروا بعضها بالترجمة أو التعليق . واستعان بالعلماء من سائر الاقطار لينقلوا علوم الآخرين الى لسانهم وتدوين علومهم . واشتغل آخرون بالشرح والتعليق - كما فعل بطليموس فيلاذلفوس بالاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد وكسرى انوشروان في جنديسابور في القرن الخامس للميلاد وكما فعل الرشيد والمأمون في بغداد في القرنين الثاني والثالث للهجرة . وقد دونت شرجينا هذه العلوم بالحرف المسماة نقشاً على الطين وهي القراميد الاشورية المعروفة

فكانت مكتبة وركاء هذه مملوءة بالكتب اللغوية والفلسفية والشرعية والادبية وغيرها . ثم نسخت بعد إنشائها بخمسة عشر قرناً بأمر أمير آشوري وحفظت في دار خاصة بها كما تحفظ المكاتب اليوم . وعثر النقبون بالامس على بقايا هذه المكتبة بين الهرين ونقلوها الى المتحف البريطاني في لندن فهي هناك الى هذه الغاية

على أن هذه البقايا تنف اكثرها محطم لا ينفع به . أما أقدم أثر علمي بقي
 سالماً كاملاً الى هذا العهد فهو شريعة حمورابي فانها دونت في أواسط القرن
 الخامس والعشرين قبل الميلاد وقد رجحنا في كتابنا « العرب قبل الاسلام »
 صفحة ٤٩ أن دوله حمورابي عربية وانها أقدم دول العرب . فاذا صح استدلالنا
 هناك كان أقدم الآثار العلمية الباقية كاملة عربي الفكر وان كان آشوري اللغة
 وبلى المصريين والبابليين في التمدن القديم الفينيقيون في سوريا والخبثيون فيها وفي
 آسيا الصغرى والفارسيون والهنود والصينيون وغيرهم

اليونان

ظلت الآداب زاهرة في الشرق وهو وحده مبعث العلم والمعرفة والمدنية حتى
 أن تفقره على مقتضى سنة العمران . فانتقلت الرئاسة منه الى الغرب وأسبق الامم
 الغربية الى ذلك اليونان لانهم أقربها الى الشرق من سواهم . وعندهم أخذ الرومان
 وأنشأوا التمدن الروماني . ولكل من هاتين الامتين كتب خاصة في تاريخ آدابها
 والمرجع في ذلك الى تاريخ آداب اللغة اليونانية فانها أساس آداب سائر لغات أوروبا
 حتى الحديثة منها الى اليوم . ولما نشأت الدول الحديثة وتمدنت وظهر فيها العلماء
 والادباء واستقلت كل أمة بلغتها وآدابها صار لكل منها تاريخ خاص لآداب
 لسانها وقد ألف في آداب كل لغة منها عدة كتب وهي أشهر ما يقرأ من تواريخ
 تلك الامم

على أن الآداب اليونانية كانت أيضاً أساساً لآداب أكثر الامم التي ظهرت
 بعد اليونان في الشرق ومن جملتهم العرب . فالتمدن الاسلامي مدين لآداب اليونان
 في أكثر العلوم الطبيعية . وكذلك الفرس في نهضتهم أيام الكامرة
 ثم ان الآداب العربية كانت أساساً لآداب كل أمة ظهرت في أثناء التمدن
 الاسلامي أو بعده — حتى في أوروبا فالفرنجة في نهضتهم الاخيرة استعانوا على إنشاء
 عندهم بما خلفه العرب من كتب العلم والفلسفة

فالعلم نشأ في الشرق وأمر أولاً في وادي النيل ووادي الفرات وانتشر منهما
 في سائر المشرق . ثم انتقل الى الغرب فتناوله اليونان واستتمروه وعالجوه حتى صار
 علماً خاصاً بهم . ومنهم أخذ الرومان في الغرب والفرس والمصريان والعرب في
 الشرق . وانتقل من الرومان الى أمم أوروبا في الاجيال الوسطى وحنظ في السكنائس
 والاديار

أما في الشرق فاجتمع علم اليونان أخيراً الى المسلمين فدرسوه وأضافوا اليه ما اقتبسوه من علوم الفرس والهند وتوسعوا بذلك كله من عند أنفسهم . وقد ملأوا العالم مؤلفات وعلماء وأرصاداً ومدارس ومكاتب نحو الف سنة . فلما نهضت أمم أوروبا لانشاء التمدن الحديث اقتبسوا كثيراً من اداب العرب ونقلوا مئات من كتبهم الى السنهم فكانت أساساً لتمدنتهم الحديث

٣ - مصادر آداب اللغة بوجه عام

الامم تتشابه بطبائعها ومداركها من اكثر الوجوه وان اختلفت في بعضها ولذلك جاءت آدابها متشابهة في مواضعها ومصادرها ومناحيها وتأثيرها مع تباين في كل أمة تمتاز به عن سواها . فآداب اللغة عند كل الامم قديماً وحديثاً مؤلفة من الشعر والنثر . والشعر يقسم الى مواضيع كثيرة من الحماسة والغزل والفخر والرتاء والمدح والنثر يقسم الى التاريخ والادب والفقہ والفلسفة والعلم على أنواعه . ولم تخل أمة من الشعراء والخطباء والعلماء والفلاسفة على تفاوت في الاجادة واختلاف في الاسلوب . ولو دونت الامم القديمة آدابها لوجدت التشابه أكثر وضوحاً ولكنهم لم يفعلوا ولا تيسر للمحدثين العثور على ما يصح جمعه ودرسه . وأقدم الامم التي دونت تاريخ آدابها وعلومها على نحو ما نحن فاعلون في هذا الكتاب اليونان فقد الفوا في تاريخ آداب لغتهم غير كتاب وقسموها وبوبوها وانتقدوها . وألف آخرون في آداب اللغة اللاتينية ثم آداب كل لغة من اللغات الاوربية الحية . وجروا على مثل ذلك في تدوين آداب اللغات السامية فالفوا في آداب لغة الهند والفرس والسرمان والعرب

خصائص الامم

واذا طالعت نواحيج آداب هذه اللغات اتضح لك وجه الشبه بينها لكنك تجد لكل أمة خصائص في شعائرها ومداركها تمتاز بها عن سواها . فاليونان يظهر من تاريخ آداب لسانهم أنهم يمتازون عن سواهم بسعة النصور وقوة المعارضة والجنوح الى الفلسفة . ويمتاز الرومان في السياسة والنظام والنشريع . ويمتاز العرب بدقة الاحساس في نفوسهم وسرعة الخاطر وسعة الخيال . ويمتاز الهنود باستغراقهم في الخيالات والاوهام . واليهود أميل الامم الى التدين - وقس على ذلك وقد ترتب على هذا التفاوت في المواهب امتياز كل أمة بآداب أجادت فيها وتناقلتها سائر الامم عنها كما يمتاز اليونان بالفلسفة والشعر القصصي والتخييل وعظم

أخذها سائر الامم . وامتاز الرومان بوضع الشرائع والنظامات السياسية والاجتماعية التي هي أساس شرائع أوروبا ونظامها الاجتماعي الى هذه الغاية . وامتاز الهنود بوضع القصص الخرافية على السنة الحيوانات مثل كليلة ودمنة وغيرهم أخذها سائر الناس . وامتاز اليهود بالتوحيد وهم قدوة الامم فيه . وأما العرب فقد ملأوا الدنيا شعراً وأدباً وفقهاً وتاريخاً وهم قدوة الناس في المعاجم العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ واعتبر ذلك في الامم الاوربية الحديثة فان لكل منها زينة في شيء من آداب اللغة . فالفرنساويون أهل فصاحة وطلاقة في الكلام والانشاء - اشتهروا بذلك من أقدم أزمانهم . قال يوليوس قيصر لما نزل بلادهم قبيل الميلاد : « ان الغالين أهل ذوق في الحرب والكلام » وأيد ذلك كثرة من ظهر فيهم من الكتاب والمنشئين والخطباء في الادب بالقياس على سائر أمم أوروبا . والالمان يمتازون بأبحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع المواضيع الى أقصى جزئياتها ونقدها وتوسعهم في قواعد اللغة . أما الانكليز فيمتازون بمجنوحهم الى الحفينة المحسوسة في آرائهم فلا يبنون أبحاثهم إلا على الواقع وترى ذلك ظاهراً في أعمالهم وأخلاقهم . والابطالون معروفون بتبرزهم في الفنون الجميلة فهم شديدو التأثير من اعمال الطبيعة وظواهرها

على ان تفوق بعض الامم في بعض الآداب لا يمنع تشابه تلك الامم بسائر الآداب . ويحسن بنا قبل التقدم الى الكلام عن آداب اللغة العربية ان نذكر نموذجاً عن آداب اللغات الاخرى . وقد تقدم أن الامم الشرقية القديمة لم تجمع آدابها وليس لدينا منها ما يصح أخاذه مثالا لنا . والامم المتمدنة الآن في أوروبا واميركا ترجع آداب لغاتها الى اللغة اللاتينية أي لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا أكثر آدابهم عن اليونان . فأدب اللغة اليونانية خير مثال لآداب لغات العالم المتمدن لانها أساسها كلها من حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من أدب أو علم أو فلسفة في اللغة الفرنسية أو الانجليزية أو الابطالية أو غيرها الا وله أصل أو أساس في اللغة اليونانية - واكثر مؤلفات تلك الامم ومنظومات شعرائهم في الاجيال الوسطى صور أو ظلال لما كان عند اليونان - حتى امهن اللاتينية فان الاياد في اللغة اللاتينية لفرجيل انما هي نسخة من الباذة هوميروس وكذلك فردوس ملتن وجهنم دانتي وتلك قبليون وغيرهم

فأفضل نموذج لآداب العالم المتمدن آداب اللغة اليونانية وهي اهمها جميعاً ولها تاريخ طويل يرجع الى قرون عديدة قبل الميلاد وهاك اقسامها :

٤ - آداب اللغة اليونانية

تقسم آداب هذه اللغة الى سبعة أدوار أو أطوار :

١- العصر الخرافي : ويراد به أقدم أزمان الامة اليونانية ولم يبق منها الا القصص الخرافية عن الآلهة ونحوهم مما يسمى في اصطلاح الافرنج ميثلوجيا Mythology وهو يبدأ قبل زمن التاريخ وينتهي الى القرن التاسع قبل الميلاد واسماء رجاله وشعراته خرافية.

٢- عصر الابطال والحروب : وهو يشمل القرن التاسع المذكور ونصف الثامن (سنة ٩٠٠ - ٧٥٠ ق م) وفيه ظهر أقدم الشعر الوصفي أو القصصي . نعتي منظومات هوميروس في الاياذة والاوزيسية وفيه جرت حروب الارانطة وطيبية وحصار تروادة الشهير الذي وصفه هوميروس في الاياذة . ولم يبق من آداب هذا العصر غير الشعر القصصي ولم يعرف من شعراته غير هوميروس وهسيود . أما هوميروس فهو أبو الشعراء ورب الشعر القصصي وقد عاش اسمه بالاياذة التي نقلت الى سائر لغات العالم وباوذيسته . أما هسيود فانه جاء بعد هوميروس وخلف شعراً في نشيدين أحدهما الف بيت وصف بها بناء العالم وتعاقب الآلهة والآخر ٨٠٠ بيت وصف بها الطبيعة . ونسبوا اليه نشيداً ثالثاً مؤلفاً من ٤٠٠ بيت وصف به قوس هركيل

٣- العصر الثالث : من سنة ٥٧٠-٥٠٠ ق م . وفيه تحضر اليونان وعمروا المدن ووضعوا الشرائع وأنشأوا المستعمرات حول البحر المتوسط والبحر الاسود واتسعت تجارتهم وقامت الفتن بينهم في التنازع على السلطة فقام مثل هذا التنازع في آداب لسانهم ونشأ الشعر التمثيلي (الدرام Dram) وكان مقره اثينا . وانتشر الشعر على الاجمال ونبغ الشعراء في بلاد اليونان باوربا وآسيا وفي الجزائر وصقلية حتى سبارطة وطيبية . وظهر فيها الشعر الغنائي أو الموسيقي وهو المعبر عن الشعور كالمديح والفخر والحماسة والغزل مثل الشعر العربي . ونبغ في كل قوم أو بلد شاعر أو غير شاعر ينصر قومه أو يعبر عن شعائهم . وتكاثرت الشعراء وأخذوا يتهاجون ويتهاجون ويتفاخرون كما كان العرب في الجاهلية يفعلون ولذلك سموها هذا العصر عصر الشعر الغنائي Lyric

فن شعراء هذا العصر الهجائين ارشيلوك الفاروسي من أهل القرن السابع ق م . ولم يبق من شعره الا نتف مبثورة . وسيمونيد الامارغوسي كان معاصراً لارشيلوك

ولم يبق من شعره الا ١٨ بيتاً في وصف المرأة . وهيونكس الافسى من أهل
أواسط القرن السادس ق م . كان ظهوره في آخر التنازع بين الاشراف والعامه ولم
يعرف عنه الا القليل

ومن شعراء هذا العصر الحماسيين غالينوس الافسى وتيرتيه . ومن اصحاب
السياسة صولون استخدم الشعر في السياسة وهو مشهور . ومن أهل الحماسة الادبية
ثيوغنيس الميقارى نبغ في سنة ٣٤٠ ق م شعره أدبي حكيم ولا يزال باقياً من منظومه
الآن ١٢٠٠ بيت

وأقدم شعراء الشعر الغنائي عندهم ترباندر وهو الذي اخترع العود ذا السبعة
الاورتار واسمه Lyre واليه ينسب هذا النوع من الشعر لانهم كانوا يغنونه . وعلم ترباندر
عدة تلامذة في لسبس وانتيسا ومثلين . ومن تلامذته اربون والسبي وسافوا . ونبغ
أيضاً شواعر من تلامذته منهن اربني . ومن قبيل الشعر الغنائي الشعر الديني الذي
كانوا يغنونه في الصلوات

وأشهر شعراء اليونان في الشعر الغنائي بندار . مثل شهرة هوميروس في الشعر
الفصلى ولد سنة ٥٢٢ ق م وله آثار كثيرة لا تزال باقية الى الآن . ومنها قصائد
مدح بها الظافرين كما كانت يفعل المتنبي في مدح سيف الدولة والاخلطل في مدح
عبد الملك

وفي هذا العصر ظهر فيناغورس الفيلسوف الرياضي الشهير وزينوفون وبرميدس
وامبيد كليس وطالس وانا كسينندر وانا كساغورس وقدمس وابسوب وغيرهم

٤ - العصر الاثيني أو الاثيني . (سنة ٥٠٠ - ٣٠٠ ق م) نسبة الى اثينا لان
أكثر أدباء هذا العصر نبغوا هناك وفيه نضج الشعر التمثيلي والفلسفة والخطابة وظهر
التاريخ . وأقدم شعراء التمثيل نسبس وفرينيكوس وبراتيناس وأشهرهم اشيل
وسفوكلس وبوريديس لتمثيل الحزن (تراجيديا) وارستوفانس . وأشهر مؤرخيه
هيرودوتس ابو التاريخ وتوسيديد وزينوفون وستيسياس وفيلست . ومن الجغرافيين
هانون ونيارك . ومن الخطباء بريكليس وكليون والسبياد وكورا كس وتيسياس
وبرتاغوراس وانتيقون واندوسيد وليكورغوس وهيزيد ودينارك وديموستين
وديماد وفوسيون . ومن الفلاسفة سقراط وزينوفون وافلاطون وارسطو وثيوفراست
٥ - العصر الاسكندري : (٣٠٠ - ١٤٦ ق م) وفيه انتقل العلم من اثينا الى

الاسكندرية على عهد البطالسة فزهت هذه المدينة بالعلماء والفلاسفة . وكانت هي وحدها مسرح العلم ومبعث العلماء . ومن مشاهير هذا العصر في الرياضيات أوقليدس وأرخميدس . وفي التاريخ هيكاتس ومانيثون وبروسيون . ومن الجغرافيين دبسيارك واراتوستن . ومن الشعراء الغنائين كليماك وابولونيوس الرودسي وبوفوريون . ومن شعراء التمثيل ليكوفون وتيمون ومنيب وثيوكريت . ومن الفلاسفة ليسبوس وايبكوروس

٦ - العصر اليوناني الروماني . (١٤٦ ق م - ٣٣٠ ب م) وكانت بلاد اليونان قد سقطت وذهبت دولتها ودخلت في حوزة الرومان فذهب علمها وخلت قرائح أهلها - والذل يذهب بالقرائح - فضعفت آداب اللغة فيها . ولكن النصرانية أحدثت انقلاباً في تلك الآداب فدخلت فيها بعض الأساليب الشرقية . ومن مشاهير أدباء هذا العصر في التاريخ والادب بوليس ولوسيدونيوس ونيقولاس وسترابو ودينس وديودورس ويوسيفوس وبلوتارخس واريان وايان وبوسانياس وهيروديان . وفي الشعر ارخياس وابلودورس . ومن الفلاسفة فيلون اليهودي وأناسيديمس وكربسوستوم وغيرهم

٧ - العصر البيزانتى . (من سنة ٣٣٠ - ١٤٥٣ ب م) زهت فيه بيزانس (القسطنطينية) وكانت مركز الآداب اليونانية . وما زالت مرجع العالم اليوناني حتى فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣ م فانقضت دولة الروم وتشتت علماءها في اوروبا . وكانوا في جملة من أعانها على نهضتها في انشاء التمدن الحديث . ومن علماء هذا العصر هيميريوس وتمستس وليانيوس وجوليان وهليودورس واشيل تايتوس وتريفودور وجماعة كبيرة من رجال الكنيسة

هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات الاوربية فانها كثيرة الشبه بها من حيث تناسق عصورها بالنظر الى نشوء العلوم فيها . فان أقدم آدابها دائماً الشعر الدينى يليه الشعر القصصى والتمثيلي فالغنائى ثم ينشأ الادب والخطابة والتاريخ وتضبط اللغة وقواعدها ثم الفلسفة والعلم الطبيعى ثم تستغرق الامة في المبالغات والنفاصيل الخارجة عن المعقول ويقل فيها الاستنباط وتبلى جودة الشعر وتضعف القرائح بالذل والتفهم

٥ - آداب اللغة العربية وأقسامها

وإذا نظرنا الى آداب اللغة العربية وأخواتها الساميات رأيناها تنطبق على ما تقدم

بوجه اجمالى . أما عند التفصيل فاتا نجد بين آداب هذه اللغات وتلك فرقاً كالفرق بين طبائع الامتين . فالشعر عند الساميين أقدم آدابهم لكن اكثره غنائى وليس فيه من الشعر القصصي الا تنف قليلة . أما التمثيل (درام) فيظهر لأول وهلة أنه بعيد عن آداب العرب ، وسرى أنه موجود فيها ولا غرو اذا امتازت اللغات الاوربية بالشعر القصصي والتمثيلي فان اللغة العربية واخوانها يمتزن بنوع من الآداب كبير الاهمية ليس فيه من لغات الافرنج الا تنف نعى « الامثال » فانها جزء مهم من آداب اللغات السامية ولا سيما العربية والعبرانية وتدر في سواهما

وآداب اللغة العربية التي هي موضوع هذا الكتاب أغنى سائر الآداب السامية بل هي على الاجمال أغنى آداب سائر لغات العالم . لان الذين وضعوا آدابها في أثناء التمدن الاسلامي اخلاط من امم شتى جمعهم الاسلام أو الدولة الاسلامية وفيهم العربي والفارسي والتركي والهندي والسورى والعراقى والمصري والرومى والارمنى والبربرى والزنجي والصقلبي وغيرهم . وكلمهم تعربوا ونظموا الشعر العربى وألفوا الكتب العربية فى الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . فاحتوت آداب اللغة العربية بسبب ذلك على أحسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع وأدخلوا فيها كثيراً من أساليب أسننهم الاصلية بدون قصد أو تعمل

وزيد بتاريخ آداب اللغة العربية بسط ما تقلبت عليه اللغة وآدابها من أقدم أزمانها الى الآن . فهي بهذا الاعتبار تقسم الى أطوار لكل منها شأن يمتاز عن سواه وقد لاحظنا في تقسيم هذا التاريخ ما نوالى على الامة من الانقلابات السياسية أو الادارية أو الادبية وما كان من تأثير ذلك على المواهب والقرائح

اقسام تاريخ آداب اللغة العربية

ويجوز قسمة تاريخ آداب اللغة العربية اما حسب علومها وآدابها أو حسب الاعصر التي نوات عليها . وزيد بقسمتها حسب العلوم أن نستوفي الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن . على أن نبداً بأقدمها وتندرج الى أحدثها فنبداً بآداب الجاهلية فنذكر تاريخ الشعر مثلاً وتراجم الشعراء من نشأته وما تقلب عليه من الادوار فى الجاهلية والاسلام فى دولة الراشدين فالامويين فالعباسيين فنيرهم الى اليوم . ونفعل مثل ذلك فى الخطابة وغيرها من آداب الجاهلية . وبالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة وغيرها من الآداب الاسلامية . وهكذا نفعل بالعلوم منذ دخولها وما تقلب عليها الى الآن

أما قسمتها حسب الأعمار فبراد بها الكلام عن العلوم كلها معاً في كل عصر على حدة وهذا الذي اخترناه في هذا الكتاب لأنه يصور حالة العصور المختلفة وما يكون من تأثير السياسة وانقلاباتها على العلم والآداب. ولذلك فقد قسمنا تاريخ آداب اللغة العربية إلى قسمين كبيرين يفصل بينهما أم انقلاب أصاب العرب من أول عهد تاريخهم إلى الآن - نعتي ظهور الإسلام. فهي بهذا الاعتبار تقسم إلى آداب اللغة قبل الإسلام وآدابها بعده. وقسمنا آدابها قبل الإسلام إلى عصرين الجاهلية الأولى وعصر الجاهلية الثانية. وقسمنا تاريخها بعد الإسلام إلى أعصر أو أطوار تناسب انقلاباتها السياسية أو الاجتماعية وهي:

١	عصر الخلفاء الراشدين	٤	العصر المغولي
٢	العصر الأموي	٥	العصر العثماني
٣	العصر العباسي	٦	العصر الحديث

وقسمنا العصر العباسي إلى أطوار بحسب التقلبات السياسية كما ستراه في مكانه

آداب اللغة العربية

قبل الإسلام

١ - العصر القديم أو الجاهلية الأولى

من قبل التاريخ إلى القرن الخامس للميلاد

لم يتصد أحد للبحث في آداب اللغة العربية قبل زمن التاريخ لقلة المواد المساعدة على ذلك ولا اعتقادهم أن العرب حتى في الجاهلية الثانية قبل الإسلام كانوا غارقين في الفوضى والجهالة لا عمل لهم إلا الغزو والنهب والحرب في بادية الحجاز والشام وفي نجد وغيرها من بلاد العرب . على أننا إذا نظرنا إلى لغتهم كما كانت في عصر الجاهلية نستدل على أن هذه الأمة كانت من أعرق الأمم في المدنية لأنها من أرقى لغات العالم في أساليبها ومعانيها وتراكيبها - واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع آدابهم . فنكلمو اللغة الفصحى كما جاءتنا في القرآن والشعر الجاهلي والامثال لا يمكن أن يكون أصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن أو قرنين فقط . إذ لا يتأتى اللغة من لغات المتوحشين أن تبلغ مبلغ لغات المنمدين إلا بتوالي الأدهار فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم كما سنبينه في أماكنه على أن الاكتشافات الأثرية أبدت هذا الرأي بما أظهرته من بقايا تمدن اليمن قبل الإسلام ببضعة عشر قرناً . ولم يظهر من تلك الاطلال إلا الطفيف لأن ما عثروا عليه من الأحافير لا يذكر في جانب ما بقي مدفوناً في الرمال . فضلاً عما ظهر من فضل العرب واعرانهم في المدنية والعلم مما قرأوه من آثار بابل وأشور . فإذا صح أن دولة حمورابي التي تولت بابل وسائر العراق في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد عربية كما بينا ذلك في كتابنا « العرب قبل الإسلام » (١) - كان العرب من أسبق الأمم إلى المدنية والعلم فانهم أقدم من وصلتنا شرائعهم وقوانينهم . هذه شريعة حمورابي التي عثروا عليها في بلاد السومس منقوشة بالحرف المسباري على مسلة من الحجر الأسود



ش ١ - حمورابي

الصلب - سنها حمورابي في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد اي قبل شريعة موسى
بثمانية أو تسعة قرون . وهي مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث في طبقات الامة وحقوق
المرأة وواجباتها والزواج والتبني والارث وغيره

هم أقدم من انشأ المدارس

والحموراويون أو عمالقة العراق اقدم من انشأ المدارس لتعليم الصغار على
بحوما هو جار الآن . وقد كشفوا في آثار زيارا انقاض مدرسة لتعليم الاطفال
وهذه أول مرة سمعنا بمدرسة مثل هذه في التمدن القديم أي منذ أربعة آلاف
سنة وكان فيها (قرמידات) عليها دروس للاطفال والاحداث في الحساب والمهجاء
وجداول الضرب ومعجمات ونحوها . واكتشفوا كثيراً من الكتب والرسائل المنقوشة
على الاحجار أو الفراميد واكثرها لحمورابي وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية
والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية . ومن اكبر أدلة الرقي في
ذلك العهد ان المرأة كانت متمتعاً بحريتها واستقلالها مثل أرقى نساء هذا التمدن وكن

يتعاطين المهن القلمية وأنخرط جماعة منهم في خدمة الدواوين والمصالح الاميرية
فإذا صح ان هذه الدولة عربية كان العرب اسبق أمم الارض الى سن الشرائع
وتنشيط العلم وانهم بلغوا في نظام الاجتماع ما لم يبلغ اليه معاصروهم وأدركوا من الرقي
الاجتماعي ما لا يزال بعض الامم المتمدنة في هذا العصر بعيدين عنه



ش ٢ - انقاض مدرسة حمورائية منذ ٤٠٠٠ سنة

ونحن في غنى عن التنبيه الى ان قولنا ان الدولة الحمورائية عربية لا يتبادر منه
الى ذهن القارىء انه مثل قولنا « دولة الاسلام عربية » واذا صحت عربية تلك
فلا يستلزم ان تكون لغتها مثل لغة القرآن ولا ان عاداتها ودياناتها مثل ما لعرب قريش
فان بين الدولتين ٢٧ قرناً والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالي العصور

تأثير الحمورايين في الشرائع الحاضرة

ولم يقتصر فضل الحمورايين أو عمالقة العراق على ما شادوه في ما بين النهرين
وما خلفوه هناك من آثار مدنيتهم وعلمهم ولكنهم نشروا آدابهم وديانتهم وشريعتهم
في جزيرة العرب من أقصاها الى أقصاها على أيدي الميعنين جالية عمالقة العراق
في اليمن^(١) على أثر سقوط دولة حمورابي في ما بين النهرين . فانتشرت في آداب
الحمورايين وديانتهم وشريعتهم في جزيرة العرب وخصوصاً في البقاع العامرة منها
ومن جملتها اليمن ومدن والحجاز

وللحمورايين فضل على كل من استعان بشريعة موسى لان فيها كثيراً من نصوص
شريعة حمورابي كما بينا ذلك في الهلال ٥ سنة ١٣ اذ اتينا بنصوص متقابلة متشابهة

(١) العرب قبل الاسلام ١١١

في الشريعتين تشابهاً كلياً وحمورابي قبل موسى بثمانمائة سنة . فكان صاحب شريعة موسى اقتبس من شريعة حمورابي

وتعليل ذلك في نظر نيلسن (١) ان مدين أو مديان كانت أقرب بلاد العرب العامرة إلى مصر لا يفصلها عنها الا برية سيناء . وكان المعينيون عرب اليمن القدماء يقدون اليها بتجاراتهم وقوافلهم أو يعمرون بها في طريقهم الى الشام أو مصر . وكان للمديانيين معابد بنوها على شكل معابد الحمورانيين في العراق وفيها كهان قد حفظوا الشرائع وشادوا الهياكل والمذابح . ولا خلاف انه كان في مدين بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد كاهن سمي في التوراة مرة يثرو ومرة رعوثيل فهو كاهن عربي يشهد بذلك اسمه المزدوج - وتلك كانت عادة العرب في ذلك العهد يسمون الرجل باسمين احدهما لقب فيقولون « وقه ايل يثع » و « يثع ايل ريام » ونحو ذلك (٢) فالظاهر ان كاهن مديان كان اسمه « يثرو رعوثيل » فذكرته التوراة مرة بالاسم ومرة باللقب والصفة العربية ظاهرة في اكثر الاسماء التي جاء ذكرها في قصة موسى في مديان وغيرها وخصوصاً اسم ابن الكاهن « حباب »

وفي سفر الخروج ان موسى بعد ان قنسل المصري خرج الى مديان والتقى بينات يثرو عند بئر وهن سبع جئن ليستقين فتعدى الرطاة عليهن فالتجدهن موسى وسقى غنمهن فعدن الى الكاهن واخبرنه فاستقدمه اليه واسكنه عنده وأزوجه صفورة احدى بناته وولدت له اولاداً . وكان موسى يرعى غنم يثرو الكاهن فساق النعم الى ما وراء البرية حتى افضى الى جبل حوريب فتجلى له ملاك الرب في هيب نار من وسط العليقة فاذا العليقة تتوقد بالنار ولا تحترق - الى آخر ما جاء هناك

فيرى نيلسن ان حوريب مكان عبادة على نحو ما اخذه العرب عن الصابئة العراقيين من تقديس الجبال واقامة الحرم أو الحمى حول المعابد بحيث لا يطأه الغرباء وان النعم التي كان موسى يرعاها هي غنم الحرم . وان النار التي رآها من رموز الصابئة عن الكواكب . فلم يستطع موسى دخول الحرم لانه غريب فادخله حموه وجعله كاهناً وعلمه قواعد الدين . وان حوريب اسم السكوكب الذي يعبد هناك . وفي أي حال فان موسى تعلم الشريعة من يثرو وهي شريعة حمورابي فادخل كثيراً من أحكامها في شريعته

(١) في كتابه في عبادة القمر عند العرب وشريعة موسى المسمى Die altarabische Men-

(٢) العرب قبل الاسلام ١١٢ dreligion etc

ومهما يكن من تعليل نيلسن فلا خلاف في ان شريعة موسى فيها كثير من شريعة حمورابي وهو فضل للعرب القدماء ودليل على قدم مدنيّتهم
سفر أيوب

ومما يعد من قبيل آداب العرب في ذلك العصر سفر أيوب والمرجح عند أهل التحفيق ان صاحب هذا السفر في التوراة عربي الاصل . نظم ذلك الكتاب شعراً عربياً في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحمورايين من بين النهرين ثم ترجم الى العبرانية وعد من الاسفار المقدسة وضاع أصله العربي كما ضاع أصل كتيبة ودمنة الفارسي . فاذا ثبتت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الامم الى قرض الشعر لانه نظم قبل الياذة هوميروس بألف سنة وقبل مهاباراتة الهند بعدة قرون

٢ - الجاهلية الثانية

أو العصر الجاهلي قبيل الاسلام

من القرن الخامس للميلاد الى ظهور الاسلام

ان الحكم على ما تقدم من احوال الجاهلية الاولى مبني على الحدس والتخمين لاستغراقه في القدم وضياح أخبار تلك الجزيرة بتادي الايام . ولعلمهم إذا نشطوا للحفر والتنقيب كشفوا السنار عن هذه الظنون

الفرق بين لغة الجاهلية الاولى والثانية

وفي كل حال ان عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغة وديناً وأدباً وخلقاً . فالحموراويون كان أكثرهم أهل حضارة ومدن يتوطنون المنازل والمدن . وأما عرب الجاهلية الثانية فأكثرهم أهل بادية ونجع وكانت لغة الحموراويين أقرب الى الاشورية منها الى العربية - فلغة أيوب اذا كانت عربية فهي غير عربية مضر التي وصلت اليها من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيراً جداً أكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة طامة مصر أو الشام الآن . لان أهل هذين المصرين قيدوا أنفسهم بالمحافظة على لغة القرآن وأساليبه . فكلمة ساقنهم طبيعة النشوء نحو التغيير أعادهم التقليد الى الاصل . ولولا ذلك لكان الفرق بين لغة عامتنا واللغة الفصحى أبعد من ذلك كثيراً

قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمارة العراق بالفرق الذي وجدوه بين لغة عرب الشام في أوائل القرن الرابع للميلاد بما قرأوه على قبر امرىء القيس ابن عمرو ملك الحيرة وبين لغة مضر عند ظهور الاسلام - وذلك أنهم عثروا في اطلال النخاعة في حوران على حجر عليه كتابة عربية بالحظ النبطي نقشت في أوائل القرن الرابع للميلاد أي قبل الاسلام بثلاثة قرون وهذه صورتها (ش ٣)

١
٢
٣
٤
٥

ش ٣ : كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرىء قيس بن عمرو سنة ٣٢٨ م

واليك نصها كما تقرأ كل سطر على حدة :

- ١ - نى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو امر الناج
 - ٢ - وملك الاسدين وزرو وملوكم وهرب مذحجو عكدي وجاء
 - ٣ - يزجو (?) في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
 - ٤ - الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
 - ٥ - عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول باسعد ذو ولده
- هذا لسان عربي تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضاح وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو :

- ١ - هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد الناج
 - ٢ - واخضع قبيلتي اسد وزار وملوكم وهزم مذحج الى اليوم وقاد
 - ٣ - الظفر الى أسوار نجران مدينة شمر واخضع معداً واستعمل بنيه
 - ٤ - على القبائل وانا بهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه
 - ٥ - الى اليوم . توفي سنة ٢٢٣ في يوم ١٧ ايلول (سبتمبر) وفق بنوه للسعادة وكان أهل الشام وحوران وما يليهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم البصري نسبة الى بصرى عاصمة حوران وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد فاذا اضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ للميلاد وهي السنة التي توفي فيها هذا الملك
- انظر الى الفرق بين الاصل وتفسيره والمدة بين هذين العصرين ثلاثة قرون

فكيف تكون وبينهما بضعة وعشرون قرناً؟ والتغير طبيعي في كل لغة عملاً بناموس
النشوء - اعتبر ذلك في الفرق بين اللغة اللاتينية الاصلية وما تختلف عنها من
الابطالية والاسبانية وبين اللغة الانكليزية القديمة والحديثة وغير ذلك
فأدب العرب في جاهليتهم النسانية برادبها آدابهم قبيل الاسلام وعم أهل بادية
لا يقرأون ولا يكتبون. وانما جمعت هذه الآداب بعد الاسلام بالاخذ عن
الافواه كما سباني

درجة ارتفاعهم في العقول والآداب

وقد يتبادر الى الاذهان ان أولئك البدو كانوا أهل جهالة وهمجية لبعدهم عن
المدن وانقطاعهم للفتو والحرب. ولكن يظهر مما وصل الينا من أخبارهم انهم كانوا
كبار العقول أهل ذكاء ونباهة واختبار وحكمة. واكثر معارفهم من ثمار قرايحهم
وهي تدل على صفاء اذهانهم وصدق نظرهم في الطبيعة وأحوال الانسان مما لا يقل
عن نظر أعظم الفلاسفة. فان قول زهير بن ابي سلمى في معاقبه :

رأيت التنايا خبط عشواء من تصب	تمته ومن نخطيء يعمر فيهرم
رأيت سفاه الشيخ لا حلم بعده	وان الفتى بعد السفاهة يحلم
واعلم ما في اليوم والامس قبله	ولكنني عن علم ما في غد عمي
ومن لم يصانع في امور كثيرة	يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه	يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يصنع المعروف مع غير أهله	يعد حمده ذماً عليه ويندم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه	ولا يعفها يوماً من الدهر يسأم
ومهما تكن عند امريء من خليقة	وان خالها تخفي على الناس تعلم

لا يقل شيئاً عن احكام أكار الفلاسفة. وانك تجد كثيراً من أمثال ذلك في
أشعارهم كأن الشعر وصلهم ناضجاً بعد ان عولج قروناً منطاوله ذهبت اخبارها. فهم
لذلك يشكون من أن أسلافهم لم يتركوا لهم معنى لم يطرقوه كقول غنتره :
« هل غادر الشعراء من متردم » وقول زهير :

ما أرانا نقول الا معاراً او معاداً من قولنا مكروراً

ارتفاعهم في السياسة والعمران

على انك اذا نظرت في لغتهم تبين لك ان أصحابها من أرقى الامم سياسياً واجتماعياً
وان عرفناهم بدواً رحالة - واللغة دليل اخلاق الامة ومرآة آدابها وسائر أحوالها -

ومن المقرر الثابت ان اللغة لا تتولد فيها كلمة الا للتعبير عن معنى حدث في اذهان اصحابها . فاذا وجدنا في لغة من اللغات اسماً لنوع من اللباس نحكم قطعياً ان اصحابها عرفوه او لبسوه ، او نوحا من الاطعمة عرفنا انهم أكلوه . وبمكس ذلك خلوها من اسماء بعض الادوات فانه يدلنا على جهلهم اياها

وقس على ذلك الالفاظ المعنوية التي تدل على المعاني المجردة كالعوطف والفضائل فان وجودها في اللغة يدل على ان اصحابها عرفوا تلك العوطف والفضائل وعانوها . ولذلك كانت لغات الامم المتوحشة خالية من هذه الالفاظ وامثالها

واللغة العربية من أغنى لغات الارض بالالفاظ العمرانية والسياسية . ان فيها عشرات من الالفاظ لضروب الجماعات من الناس على اختلاف أغراض اجتماعهم كالشعب والجماعة واللجنة والزراقة والسرب والكوكبة والقوم والتفر والشردمة والعصابة . ومثلها لأماكن الاجتماع كالحفل والتادى والتدوة والمآم والمجلس والموسم والمدرس والمصطبة (١) وعشرة منها للتعبير عن فرق الجند كالجريدة والسرية والكتيبة وغيرها . وفيها للقلم والورق عشرات من الاسماء والالقب كالملقاط والبراع والانوبة والاسل والجلف للقلم . والقرطاس والطرس والمهزف والرف والطلس والمجلة والصحيفة - ولكل منها معنى خاص

ومن أنواع الكتب : القطر كتاب الاعمال . المدرس الصك . الزبور . الرقيم . والسفر الكتاب الكبير . والضبار الكتاب بلا واحد . الرهامج كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك به الربانية البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها . الوصير الصك للسجلات وقس على ذلك

وقد عالجوا ألفاظ لغتهم معالجة الاستمرار فكثر في منها من المترادفات التي يدل عشرات أو مئات منها على معنى واحد أو معان متشابهة . وتوسعوا في مدلول اللفظ الواحد حتى تعددت معانيه . فعندهم للفظ العين بضعة وعشرون معنى ومثلها أو أكثر منها للفظ العجوز . وعشرات من المعاني لالفاظ الخال والحمر والدين والركن والغرب والحمر وغيرها . وأقل من ذلك لكثير من الالفاظ مما لا منيل له في أرقى لغات البشر . وهو يدل على تصرف اصحاب هذه اللغة بالمعاني والمباني لحصص عقولهم وسعة مداركهم

ارتقاؤهم في التجارة والاقتصاد

ومما يدل على توسعهم في المسائل الاقتصادية كثرة الالفاظ الدالة على المال . فان

منها بضعة وعشرين اسماً لكل منها معنى من المعاني الاقتصادية التي ترجع الى الاستثمار وغيره . منها : التلاد المال الموروث . الركاز المال المدفون . الضمار المال لا يرجى . الطارف المال المستحدث . التالذ المال القديم . ونحو ذلك العدد من أسماء النقود وأنواعها من الذهب والفضة . وعندهم للذهب وحده أكثر من عشرين اسماً كل منها لنوع منه . وفي اللغة العربية مئات من الالفاظ للدلالة على أنواع الارض والتربة والطين باختلاف الحصب والجذب ونحو ذلك . ومن الادلة على توسعهم في التجارة والاسفار كثرة أسماء السفن عندهم وهي عشرات لكل منها معنى خاص لشكل خاص من السفن . ويلحق بذلك أسماء الرياح وهي تزيد على المئة ولكل منها معنى يدل على نوع الريح وجهتها كقولهم « اذا وقعت الريح بين الريحين فهي النكباء فاذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة فاذا ابتدأت بشدة فهي النافجة فاذا حركت الاغصان وقلعت الاشجار فهي الزعزاع » وقس على ذلك سائر اسمائها وهي تدل على توسعهم في معرفة الظواهر الجوية . ومن هذا القبيل أسماء الطرق وأنواع البقاع وغيرها مما يطول بنا شرحه . ومن قبيل المواد التجارية الميازين فانها عديدة واعتبر ذلك بكثرة أسماء أدوات الصناعة وأواني الاطعمة والرياش والاثاث واللباس مما يفوق الحصر . وتجد منه أمثلة كثيرة في المخصص وفقه اللغة ولطائف اللغة وغيرها

تعلّمهم وآراؤهم

ولك في امثالهم والسكنايات في عباراتهم وما نشأ عندهم من الفنون العقلية التي تحتاج الى تفكير كالالاجبي والالغاز وقتيا العرب أدلة أخرى على ارتقاء أذهانهم وسمو مداركهم . واعتبر ذلك أيضاً في مذاهبهم في الوجود فانها تدل على تفكيرهم وقد كان فيهم من ذلك العهد البعيد من يقول بمذهب اللاأدرية . فكان جندب بن عمرو يقول « ان للخفاق خالفاً لا أعلم ما هو » وهو قول جماعة من فلاسفة اليونان واليه يذهب كثيرون من المفكرين في هذا العصر

ولا يبعد ان العرب اقتبسوا ذلك وأمثاله من مخالطة بعض العلماء الوافدين عليهم أو في أثناء وفودهم على الشام أو العراق وفيهما العلماء والفلاسفة . ومن هذا القبيل قول الاعشى وكان نصرانياً :

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجلا

وهو مذهب فلسفي يراد به رفع التبعة عن الانسان . والمظنون ان الاعشى أخذ ذلك من بعض العباديين بالحيرة

وترى أقوالهم الماثورة لا تخلو من كناية وخيال شعري وصدق نظر في الامور كالأقوال المنسوبة الى اكنم بن صيفي وغيره من حكمائهم . ويؤيد ذلك ان المسلمين لما تمدنوا وأنشأوا العلوم جعلوا أساس علومهم اللسانية والادبية والاجتماعية آداب العرب الجاهلية وما زالوا في كثير منها مقصرين عن ادراك الشأ الذي بلغ اليه أولئك البدو عشراء الجمال وسكنة الصحور والرمال . فالشعراء والخطباء والكتاب وأهل الادب في الاسلام عمدتهم في اتقان صناعتهم الرجوع الى ما كان منها قبل الاسلام . والآداب الجاهلية أساس الآداب الاسلامية في ابان التمدن الاسلامي كما كانت الآداب اليونانية والرومانية أساس الآداب العصرية في التمدن الحديث

وكان للعرب في جاهليتهم القاب يلقبون بها النايفين منهم كما كان لسائر الامم المتعدنة قديماً وحديثاً . فاذا نبغ أحدهم بالشعر سموه « الشاعر » ونسبوه الى قبيلته فقالوا « شاعر نيم » أو طامر أو نحو ذلك فيكون هذا اللقب ميمزاً له عن سواه وكذلك الخطيب . واذا امتاز أحدهم بالحكمة والفصل في الخصومة سموه « الحكم » مثل طامر بن الظرب ونحوه . وكان لهم لقب لا يعطى الا لمن احرز كل الآداب والفضائل وهو لفظ « الكامل » فكانوا يلقبون به الرجل اذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً ساجحاً رامياً وهو يشبه لقب « علامة » اليوم ولقب « فيلسوف » عند اليونان القدماء وقد لقبوا به ارسطو ولعل العرب اقتبسوه منهم

فبناء على ذلك لا ينبغي لنا ان نستخف بأداب العرب قبل الاسلام ونحسبها قاصرة على الشعر والخطابة واللغة بل هي اكثر من ذلك . ولكن اكثرها ضاع لانها لم تدون فذهبت بذهاب الحفاظ بالحروب واشتغال الناس بالاسلام . فنستدل بما بقي على ما كان

المرأة في الجاهلية

من ارقى النساء

ومن اكبر الادلة على رقى العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم . فقد كان للمرأة عندهم رأى وارادة وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم . فنبغ غير واحدة منهن في السياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة ولا سيما في اوائل الاسلام على أثر ما حصل من النهضة في النفوس والعقول . فاشتهرت جماعة منهن بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال واكثرها في المدينة مقر الخلافة الاسلامية في ذلك العهد

الشهيرات في الشجاعة

فاللواتي اشهرن في الجاهلية بالشجاعة وشدة البطش أو كبر النفس منهن سلمى بنت عمر احدى نساء بني عدى النجار فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال الا وامرها بيدها اذا رأت من الرجل شيئاً تركته . على ان الغالب في نساء الجاهلية ان يخيرن قبيل الزواج فلا يزوج الرجل ابنته الا بعد ان يشاورها . واشتهرت التميميات من نساء قريش في حظوتهن عند رجالهن وكبريائهن وقسوتهن عليهم . ناهيك بن اشهرن منهن بالبسالة في اثناء الغزوات . ففي معركة أحد وقع لواء قريش في ساحة القتال فلم يزل صريعاً حتى اخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعت له فلاحها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان في تلك المعركة ما لم يفعله الرجال وهي تنشد في تحريض قومها على الثبات . ولما انتهت الواقعة خرجت مع النسوة تمار جثث الموتى فوجدت بينها جثة حمزة عم النبي فبقرت بطنه وأخرجت كبده فلاكتها من غيظها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها . ثم علت صخرة وانشدت اشماراً تفخر بالفوز على المسلمين

ونساء الجاهلية كن يصحبن الرجال الى ساحة القتال فيداوين الجرحى ويحملن قرب الماء . ومن اشهرن بالشجاعة أم عمارة بنت كعب الانصارية وأم حكيم بنت الحرث والحفساء الشاعرة أخت صخر وغيرهن

الشهيرات في الرأي والحزم

ونبع بالرأي والحزم غير واحدة أشهرهن خديجة بنت خويلد وكانت عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال تنقذت من اشهر من الرجال بالامانة والحزم فنستأجرهم بما لها وتضاربهم اياه بشيء تجمله لهم . ولما سمعت بشهرة النبي قبل الدعوة بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليه أن يخرج في مالها تاجراً الى الشام وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من الرجال . فلما أفلح في تجارته عرضت عليه أن يتزوج بها فأجابها . وهي أول من أسلم وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه أو تكذيب له فيحزنه ويخبرها به الا يثبتته وخففت عنه وهونت عليه . وما زالت على ذلك حتى ماتت (١) وهل أكبر نقساً من الحفساء عندما حرضت اولادها على الثبات في واقعة الفادسية فلما بلغها أنهم قتلوا في سبيل الجهاد قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم »

الشهيرات في الشعر والادب

وكان للمرأة في الجاهلية شأن في الشعر والادب وسائر العلوم فنبغ منهم عدة شواعر أشهرهن الحنساء وخرنق ولها أشعار مطبوعة ومنشورة على حدة . وهناك عشرات من النساء الشواعر ذهبت أشعارهن الا قليلا جاءنا عرضاً في بعض الاخبار . منهن كبشة اخت عمرو بن معدى كرب وجيلية بنت مرة امرأة كليب الفارس المشهور لها فيه مرات لم ينظم أحسن منها . وميسة بنت جابر امرأة حارثة ابن بدر رمت زوجها . وأميمة امرأة ابن الدمينه فقد قالت شعراً في عتابه لم يقل في العتاب أحسن منه - وسيأتي خبر ذلك في ترجمته . وغيرهن مما يطول شرحه . وكان أبو نواس يروي لستين شاعرة من العرب

وكان في الجاهلية خطيبات أشهر منهن هند بنت الحس وهي الزرقاء وجمعة بنت حابس . وكان فيهن طبيبات أشهرهن زينب طبيبة بني أود كانت تعرف الطب وتعالج العين والجراح . غير من كن يرافقن الحاربيين ويضمنن الجراح في ساحة الحرب

وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظتهن للمذاكرة به في المجالس فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد . ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لتحكم في أيهما أشعر كما فعلت جندب زوجة امرئ القيس إذ حكما زوجها بينه وبين علقمة الفحل فحكمت حكماً يدل على ذكاء ومعرفة كما سيحكي . في ترجمة علقمة

وهناك جماعة نبغن في صدر الاسلام وفيهن مناقب الجاهلية كن يعقدن المجالس للمذاكرة في الشعر وانتقاده كما كانت تفعل سكينه بنت الحسين فانها كانت تجمع الشعراء اليها وتحادثهم وتنتقدهم . وأخبارها مشهورة . وكذلك عائشة بنت طلحة وكانت أدبية عالمة ولها مجالس أدب وشعر . وكان في مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سباطان من الاعراب يحدثهم وتناشدهم بلاريب ولا سوء ظن . ومثلها عمرة امرأة ابي دهب الشاعر فقد كانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاخبار قبل ان تزوجها ومن هناك عرفها وزوجها

فاجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريبة ولا سوء ظن لم يبلغ اليه الناس الا في الامم الراقية وفي ارقى جمعياتهم وبالجمله فالامة التي تكون هذه حال نساؤها ونبغ فيها مثل من تقدم ذكرهن في الشجاعة والادب والشعر والرأي أمة راقية

اقسام

آداب العرب قبل الاسلام

تقسم آداب العرب قبل الاسلام الى علوم عربية أصلية اقتضتها اللغة العربية وأساليها وقرائح أهلها ونسبها العلوم العربية . وعلوم رياضية وأخرى طبيعية ونحوها وأكثرها دخيل على هذه الصورة

العلوم العربية	العلوم الطبيعية	العلوم الرياضية	ما وراء الطبيعة
اللغة	الطب	الفلك	الكهانة
الشعر	البيطرة والخيل	المثولوجيا	العيافة
الخطابة	مهاب الرياح	التوقيت	القيافة
النسب			تعبير الرؤيا
الامثال			الزجر
الاخبار			الخط في الرمل
مجالس الادب			
الاسواق			

فالعلوم العربية الاصلية اهمها كلها . وهي التي كانت مطمح طلاب الادب بعد الاسلام ولا تزال . فان بلاغة الجاهلية وشعر الجاهلية وأمثال الجاهلية لا يزال الادباء ينحدونها وينسجون على منوالها الى اليوم . أما العلوم الطبيعية فقد حوروها بما أخذوه عن اليونان والفرس وكذلك الرياضيات . أما علوم ما وراء الطبيعة فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر وبعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل فنقدم الكلام في الاعم منها

أولا - اللغة العربية

هي احدى اللغات السامية — ويريدون باللغات السامية اللغات التي كان يتفاهم بها ابناء سام وهم في اصطلاحهم اهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام . أشهرها العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والاشورية والبابلية والحبشية ولم يبق حياً منها الا العربية والحبشية والعبرانية والسريانية . والعربية أرقاها جميعاً

واللغات السامية اخوات لا يعرف لمن أم ووطن بعضهم ان اللغة البابلية أو الاشورية القديمة امهن كما ان اللغة اللاتينية ام اللغات الاسبانية والاطالية والبورتنغالية ولكن المحققين لا يؤيدون ذلك . والمعول عليه ان هذه اللغات السامية اخوات انقرضت أمهن قبل زمن التاريخ . وقد دعاها علماء اللغات « اللغة الآرامية » نسبة الى آرام أحد أبناء سام مما يطول الكلام فيه

تاريخ اللغة العربية

١ - ما هو تاريخ اللغة

البحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول اولاً النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ كتكون الالف والاسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك . والبحث في هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية وقد فصلناه في كتابنا « الفلسفة اللغوية » . ثانياً النظر في ما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالامم الاخرى فكتسبت من لغاتهم الفاظاً وتعبيرات جديدة كما يقتبس أهلها من عادات تلك الامم وأخلاقهم وآدابهم وما يوافق ذلك من تنوع معاني الالفاظ بتنوع الاحوال مع حدوث صيغ جديدة والفاظ جديدة . ثالثاً النظر في تاريخ ما حوته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » وهذا التقسيم تقريبي اذ لا نجد حداً فاصلاً بين هذه الاقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من مظاهر الامة كالأدب أو اللغة أو الشرائع أو غيرها باعتبار ما مر بها من الاحوال في أثناء نموها وارتقائها وتفرعها رأيتها تسير في نموها سيراً خفياً لا يشعر به الا عند انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة فتغير الشؤون تغيراً ظاهراً وهو ما يعبرون عنه بالهزة . وسبب تلك الهزات على الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الامم على اثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط او خوف . أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي او متشرع أو فيلسوف كبير او نبوغ قائد طماع يحمل الناس على الفتح والغزو أو أمثال ذلك من الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . فتتحاك الافكار وتمازج الطباع فتتنوع العادات والاخلاق والاديار والآداب - واللغة تابعة لسلك ذلك بل

هي المحافظة لآثار ذلك التغيير فنذخرها قروناً بعد زوال تلك العادات او الآداب
او الشرائع واذا تبدل شيء منها حفظت آثاره بتبدله

٢ - ما هي اللغة العربية

فاللغة العربية تعرضت لهذه الطوارئ مثل سائر اللغات الحية وتقلبت على أحوال
شتى فتنوعت الفاظها بالنحت والابدال والقلب ودخلها كثير من الالفاظ الاعجمية
في أعصر مختلفة قبل ان تدون وتضبط في أزمنة لم يدركها التاريخ وإنما نستدل على
ذلك من درس الفاظها ومقابلتها باخواتها وغيرها

واللغة العربية التي نحن في صدها هي لغة الحجاز التي وصلت اليها . وكانت قبل
الاسلام لغات عديدة تعرف بلغات القبائل وبينها اختلاف في اللفظ والتركييب
كلغات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور — وأقرب
هذه اللغات شهاً باللغة السامية الاصلية أبعدها عن الاختلاط . وبمكس ذلك القبائل
التي كانت تخنط بالامم الاخرى كاهل الحجاز مما يلي الشام وخصوصاً أهل
مكة وبالاخص قريش فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالاً الى الشام والعراق ومصر
وجنوباً الى بلاد اليمن وشرقاً الى خليج فارس وما وراءه وغرباً الى بلاد الحبشة
فضلاً عما كان يجتمع حول الكعبة من الامم المختلفة وفيهم الهنود والفرس
والانباط والبيثية والاحباش والمصريون . غير الذين كانوا يزحون اليها من جالية اليهود
والنصارى . فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها او دخلها من الاشتقاقات
والتركييب مما لا مثيل له في اللغات الاخرى

وزاد ذلك الاقتباس خصوصاً بالهضة التي حدثت في القرنين الاول والثاني
قبل الاسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي نواس
ملك اليمن — وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد
وخصوصاً أهل نجران فطلب اليهم اعتناق اليهودية فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً
فاستنجد بعضهم الحبشة فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً وأذلوا
ملوكها أعواماً . ثم أتف أحد ملوكها ذو يزن فاستنجد الفرس على عهد كسرى أنوشروان
فانجده طمعاً بالفتح فاخرج الاحباش من اليمن بعد أن ملكوها ٧٢ سنة وكانوا في أثناء
ذلك يترددون الى الحجاز وحاولوا فتحه في أواسط القرن السادس فجاءوا مكة
بأبائهم ورجالهم ولم يفلحوا واهتم أهل الحجاز بقدم الحبشة الى مكة حتى أرخوا
منه وهو تام القيل . ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعه
والمزاوجه وتوطنوا وكانوا يقدمون الى الحجاز وأهل الحجاز يترددون اليهم

٣ - ما دخلها من الالفاظ الاعجمية

غير ما طرأ عليها من التغير والتبديل قبل زمن التاريخ فتكاثرت ألفاظها ومشتقاتها ودخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . وغير ما اقتبسناه من التراكيب الغريبة ولكن أكثره ضاع فيها وتوعد شكله ولم يعد يتميز أصله . على أننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بنحو اخواتها من امثال تلك الالفاظ . فاذا رأينا لفظاً في العربية لم نر له شبيهاً في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ترجح عندنا أنه دخيل فيها . وأكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير أو الادوات أو المصنوعات أو المعادن أو نحوها مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس أو الروم أو الهند أو غيرها ولم يكن للعرب معرفة به من قبل . أو في أسماء بعض المصطلحات الدينية أو الادبية وأكثر هذا منقول عن العبرانية أو الحبشية لان اليهود والاحباش من أهل الكتاب

الالفاظ الفارسية واليونانية

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الالفاظ الاعجمية عدوها فارسية . ومن امثلة ما ذكره صاحب المزهرة من الالفاظ الفارسية « الكوز الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصة السكرجة السمر السنجاب القاقم الفنك الداق الحز الديباج التاج السندس الياقوت الفيروزج البلور الكمك الدرملك الجردق السميد السكاج الزبرج الاسفيذاج الطياهج الفالوذج اللوزينج الجوزينج البقرينج الجلاب السكنجين الخنجين الدار صيني الفلفل الكرويا الزنجبيل الخولنجان القرفة الرجس البنفسج النسرين الخيري السوسن المنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرقل » اه وعندنا ان بعض هذه الالفاظ غير فارسي كما سترى

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية الفردوس والقسطاس والبطاقة والفرسطون والقبان والاسطراب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق والقنطرة وغيرها كثير

الالفاظ الحبشية والعبرانية

وأما ما نقلوه عن الحبشية فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ولان الحبشية والعربية أختان تتشابه الالفاظ فيهما . والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ

المقتبسة من الحبشية ثلاثة . كفلين والمشكاة والهرج . لكننا لا نشك في أنهم اقتبسوا كثيراً غيرها وخصوصاً ما يتعلق منها بالمصطلحات الدينية من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع أو الكنيسة يقف فيه الخطيب أو الواعظ » وقد شقه صاحب القاموس من « نبر » أي ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا أنه معرب « ومبر » في الحبشية أي كرسي أو مجلس أو عرش

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر في القلب واظهار الايمان » وقد شقوه من « نفق » راج أو رغب فيه وليس بين المعنيين تناسب فاضطروا لتعليه الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا « ومنه اشتقاق المتفاق في الدين » وهو تكلف نحن في غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » في الحبشية معناها الهرطقة أو البدعة أو الضلال في الدين . وهي من التعبيرات النصرانية التي شاعت في الحبشية بدخول النصرانية فيها

وكذلك لفظ « الحوارى » شقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض وقال في معنى الحوارى « انه سمي بذلك لخلوص نية الحوارين ونقاء سريرتهم أو لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض » والظاهر عندنا ان هذه اللفظة معرب حوارى في الحبشية ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها في العربية تماماً وكذلك « برهان » وقد شقها صاحب القاموس من « برهن » وشقها غيره من « بره » بمعنى القطع وان النون زائدة فيها وهي في الحبشية « برهان » أي النور أو الايضاح مشتقة من « بره » أي اتضح أو انار

وقس على ذلك كثيراً من امثاله كالمصحف فانه حبشي من « صحف » أي كتب والمصحف الكتاب . ناهيك باسماء الحيوانات أو النباتات أو نحوها فان « عنيسة » من اسماء الاسد عند العرب وهي الاسد بالحبشية وقد أخذوا عن العبرانية كثيراً من الالفاظ الدينية كاللحج والكاهن والعاشوراء وغيرها وأكثرها نقل الى الصبغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى في اللغتين لانهما شقيقتان وبضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة

الالفاظ السنسكريتية

ولا ريب ان العرب اقتبسوا كثيراً من الالفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود في أثناء الاسفار للتجارة أو الحج . لان جزيرة العرب كانت واسطة

الاتصال بين الشرق والغرب . فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر او الشام أو المغرب كانت تمر ببلاد العرب ويكون للعرب في حملها أو تزويجها شأن - وقد عثرنا في السنسكريتية على الفاظ تشبه الفاظاً عربية تغلب أن تكون سنسكريتية الاصل لخلو اخوات العربية من امثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما في السنسكريتية بهذا اللفظ تماماً ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دونت قبل العربية بزمان مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتي الاصل ايضاً وكذلك « ضياء » ولعلنا بزيادة درسا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من امثال ذلك

على اتنا نرجح ان العرب أخذوا عن الهنود كثيراً من المصطلحات التجارية واسماء السفن وأدواتها واسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والاطياب مما يحمل من بلاد الهند . والعرب يعدونها عربية أو يلحقونها بالالفاظ الفارسية تساهلاً . كالسك مثلاً فقد رأيت صاحب المزهر يعده فارسياً وهكذا يقول صاحب القاموس . وهو بالحقيقة سنسكريتي ولفظه فيها « مشكا » وذكروا « الكافور » بين الالفاظ الفارسية وهو هندي على لغة أهل ملقا ولفظه عندهم « كابور » . وقد ذكروا ايضاً ان القرنفل فارسي والغالب عندنا انه سنسكريتي لان أصله من الهند وقس عليه

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » فصل ضاف في هذا الموضوع يتنا فيه القاعدة في تعيين اصول الالفاظ الاعجمية وأوردنا كثيراً من الالفاظ المنقولة للعربية من اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية والحبشية وأتمت اللغة يعدونها عربية . وفصل آخر في ملحق اللغة العربية من التغيير في ألفاظها بمقابلتها باخواتها (١)

٤ - كيف كانت اللغة العربية لما جاء الاسلام

ليس ما قدمناه واشرنا اليه من تاريخ تكون اللغة العربية وترقيتها الا فذلكه مثلنا بها ذلك التاريخ . ولا يستطاع تفصيله وتعيين التقلبات التي مرت بها هذه اللغة قبل الاسلام اذ ليس لدينا أمثلة مدونة يرجع اليها أو يقاس عليها غير ما قدمناه مما وجدوه منقوشاً على قبر امرئ القيس وهو لا يشفي غليلاً . ولو ان أشعار ابوب كانت مدونة كما دونت الياذة هو ميروس مثلاً لاستخرجنا من المقابلة بين لغتها ولغة الجاهلية الثانية تاريخ تغلب الالفاظ والتعابير . كما فعل اليونانيون في بيان الفروق بين لغة الالباذة

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ١٠ - ٢١ طبعة ثانية

ولغات ما دون بعدها . وكما فعلنا في تدوين تاريخ اللغة العربية بعد الاسلام وما
تقلبت عليه من تبديل الالفاظ وتفرعها وتووعها ودخول الالفاظ والتراكيب
الاعجمية وما أخذته من كل لغة حسب الاطوار التي مرت عليها (١) وكما يفعل
فلاسفة اللغة في رد اللغات الحية الاوربية الى اصولها اللاتينية والجرمانية واليونانية
ومهما يكن من تاريخ اللغة العربية القديم فقد عرفناها عند ظهور الاسلام
ناضجة وقد تفرعت الى لغات باختلاف الاصقاع والقبائل فدون المسلمون احدى
تلك اللغات مع امثلة من سائر اللغات على ما سنبينه

٥ - البلاد التي كان اهلها يتكلمون العربية قبل الاسلام

اذا نظرت الى الخارطة اليوم رأيت الناطقين بالعربية منتشرين في غربي البحر
المتوسط وجنوبه الى الشام والعراق وما بين النهرين وفي جزيرة العرب وفي مصر
وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وعلى شواطئ البحر الاحمر وفي
السودان وغيرها من اواسط افريقيا وعلى شواطئ افريقيا الشرقية وغيرها . غير
الذين يتكلمون العربية للمعاملات الدينية وهم المسلمون في اكثر انحاء المعمور في فارس
وخراسان وافغانستان وتركستان والهند والصين وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد
التي دخلها الاسلام في القارات الخمس

أما قبل الاسلام فقد كانت اللغة العربية محصورة في جزيرة العرب وما يليها من
مشارف الشام والعراق الى تدمر وفي بادية الجزيرة (بين النهرين) وفي جزيرة سينا
وقيل بعدها في صحراء مصر الشرقية (٢)

وبعسر تقدير احصاء العرب في ذلك العهد كما بعسر تقديره اليوم لاعتماد اولئك
الاقوام على الرحلة والتنقل في البوادي والكتنا نحسبهم لا يزيدون على بضعة ملايين
أكثرهم من أهل البادية متفرقون قبائل وعشائر وأخذاً وبطوناً في الحجاز ونجد
واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين وفي بادية الشام والعراق .
يندر فيهم المتحضرون سكان المدن اذ لم يكن يومئذ من المدن العامرة في جزيرة العرب
غير مكة والمدينة والطائف بالحجاز ، وصعاء في اليمن وبعض المزارات في اواسط
الجزيرة وبعض الفرض على الشواطئ .

فالمعول في احصاء العرب على أهل البادية وكانوا ينقسمون حسب قبائلهم وكانت
تلك القبائل مع كونها رحالة تنحصر رحلتها غالباً في بقعة من بقاع الجزيرة ما لم يطرأ

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ٢٢ - ٦٣ طبعة ثانية

(٢) راجع خارطة جزيرة العرب في صفحة ١٠٤ من تاريخ العرب قبل الاسلام

عليها طاريء يبعثها على الانتقال الى بقعة أخرى كما أصاب قبائل عدنان في القرون الأولى قبيل الميلاد وبعده . إذ كانت تقيم في تهامة ثم تفرقت فيها وفي الحجاز ونجد . وكانت القبائل الفحطانية في اليمن ثم انتشرت في سائر جزيرة العرب . ولكل انتقال سبب طبيعي أو سياسي أو غير ذلك مما يطول شرحه وقد فصلناه في كتابنا « العرب قبل الاسلام »

فلما جاء الاسلام كانت قبائل العرب البادية أكثرها في نجد وتهامة والحجاز والاحساء ومشارف الشام والعراق ومعظمها من العدنانية كما نجد ذلك مبيئاً في الخريطة

وبالقياس على ما نشاهده اليوم من تعدد لغات (أو لهجات) المتكلمين بالعربية في الشام والعراق ومصر والمغرب وما بينها من الاختلاف لفظاً وتركيباً مع ان الاصل واحد فيها جميعاً (لغة مضر) نعتقد أن لغات تلك القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض ويزداد الفرق بينها بزيادة البعد باختلاف ما يجاورها من غير العرب فلغات أواسط جزيرة العرب وان بعدت الشقة بينها كانت لغاتها أكثر تقارباً مما بينها وبين لغات أهل الشواطئ لاختلاط هؤلاء بالاطحج على شواطئ خليج العجم والبحر الاحمر من جالية الفرس والهند والاحباش وغيرهم أو عند مشارف الشام لاختلاطهم بأهل المدن من المريان أو الروم أو الانباط في الشام والعراق . ولما نهض المسلمون في صدر الاسلام لجمع اللغة لاحظوا هذه الاعتبارات التماساً لاختيار أحسن اللغات وأبعدها عن العجمة

٦ - فروع اللغة العربية

وإذا أمعنت النظر في الخارطة رأيت أكثر سكان أواسط جزيرة العرب من قبائل مضر وأعظمها يومئذ تميم في شرقي نجد وشمالها . وغطفان (عبس وذبيان) وسليم وغيرهما في نجد وأرقاها قريش في مكة . وكان من القبائل الفحطانية هناك طي في نجد ومذحج في اطراف الحجاز . وأكثر سكانها في الشمال من ربيعة ومنهم بكر وتغلب في بادية العراق والجزيرة

فلغات هذه القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض باختلاف اصولها ومساكنها وكان الاختلاف على معظمه بين لغات اليمن ولغات الحجاز ونجد أي بين جنوب الجزيرة وشمالها . وأحسن مثال للغات الجنوب ما خلفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند وأحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن وشعر الجاهلية والفرق بين اللغتين كبير .

والعرب يسمون لغة قدماء اليمنيين « المسند » . ولمن أقام حول اليمن من العرب لغات
لعلها فروع من لغة اليمن . وكان لكل إقليم منها لسان يختلف عن السنة سائر
الإقليم وله اسم خاص يعرف به — وهي :

المسند	لغة حمير في اليمن	الحويل	لغة مهرة والشحر
الزبور	« حضرموت وبعض اليمن	الزقزقة	« الأشعريين
الرشيق	« عدن والجنبد		

هذا هو تقسيم العرب للغات اليمن ويرى العلماء اليوم ان بعضها غير عربي ولكن
اكثرها ذهب ولا سبيل الى تحقيق ذلك

أما لغات أهل الحجاز ونجد وسائر الشمال وهم العدنانيون فترجع الى أصل واحد
يسمونه « الميين » وهو الباقي الى الآن ومنه لغة القرآن وقد تغلب على سائر اللسان
وانتشر مع المسلمين في الارض

اللسان الميين

فاللسان الميين كان يتكلمه عرب الشمال وهم قبائل عديدة كما رأيت وبينها فروق
في معاني الالفاظ ونطقها وفي أساليب التركيب . ولكن الاسلام ذهب بها جميعاً الى
لغة قريش (لغة القرآن) وما اختاره علماء اللغة من ألفاظ القبائل الاخرى، ولم يبق
من لغات هذه القبائل الى الآن الا أمثلة ذكرها علماء اللغة عرضاً من باب العيوب
واكثرها في قبائل ربيعة . مثال ذلك أنهم كانوا يزيدون بعد ضمير المخاطب المفرد
شيئاً فيقولون عليكش وبكش بدل عليك وبك . وجاء في بعض الكتب أنهم يدلون
الكاف شيئاً فيقولون عيش بدل عليك . وهي في الحالين غير الشين التي يدخلها طامة
المصريين على الاستفهام

ومن بقايا لغات القبائل ان بني تميم كانوا يلفظون الهزمة إذا وقعت في المبدأ عيناً
فيقولون في « أسلم » « عسلم » ويسمونها العننة وكان الهذليون وهم قبيلة من مضر
يجعلون الحاء عيناً ويسمونها العجمحة . ومنها الجمجمة في قضاة وهي أن يجعلوا الياء
المشددة جيماً فيقولون في تميمي تميمية . والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهي ان
يقولوا انطى بدل اعطى . وعند بعض القبائل حروف لا توجد عند سواها كالحرف
بين القاف والكاف في لغة تميم لعله كالكاف الفارسية . وذكر صاحب المزهرة امثلة
كثيرة من هذه العيوب (١)

ومن اللغات الشاذة التي تفيدنا في الرجوع الى اصل اللغة العربية استعمال الذال
للموصول بدل « الذي » فان بعض العرب (طي) يقولون « فلان ذو سمعت به »
أي الذي سمعت به وهو تركيب آرامي أو بابلي من بقايا القرابة بين العرب والحمورابيين
ومن هذا القبيل كسر أول فعل المضارع كما يفعل سريان هذه الايام فانه كان عاماً في
قبائل العرب الا في قريش واسد (١) فبلغت القبائل المشار اليها ظلت بعد الاسلام
مدة ثم أخذت تنقرض بالتدرج وحلت لغة قريش محلها - ليس في جزيرة العرب
فقط بل في كل بلد دخله الاسلام

على ان ما بعده أمة اللغة عيوباً في لغات هذه القبائل أما يصح تسميته بذلك
بالنظر الى اللغة التي اختاروها ليس بالنظر الى اللغة نفسها . فان استعمال « ذو »
للموصول لم يسموه عيباً إلا لانه يخالف المؤلف في لغة قريش ولو أفوه لفضله على
الذي . وفي كل حال فان علماء اللغة لما قاموا بجمع اللغة تخيروا من لغات تلك القبائل
أحسن ما فيها بالنظر الى أذواقهم ومألوفهم . وأكثر ما أخذوه من قيس وبنو تميم وأسد
وسنمود الى ذلك عند الكلام عن جمع اللغة وتدوينها

مميزات اللغة العربية وخصائصها

لغة العربية كما وصلت اليها خصائص تميزها عن سواها وتدل على مبلغ عقول
اصحابها من الرقي وان كانوا بادية راحلين وهذه مميزات:

١ - الاعراب

نعني بالاعراب تغيير أول آخر الكلم بتغيير العوامل عليها بالرفع والنصب والجر
والسكون . واللغات الحية في العالم المتمدن الآن تعد بالعشرات ليس ينسب منها من
اللغات المعربة الا ثلاث : وهي العربية وابنتها الحبشية واللغة الالمانية . والظاهر ان
الاعراب من خصائص التمدن القديم لان لغات ذلك التمدن كان معظمها معربة -
كذلك كانت اللغات البابلية (الاشورية) والعربية واليونانية واللاتينية
والسنسكريتية . واللغات التي تخلفت عن تلك الامهات جاءت خالية من حركات
الاعراب . فاللغات التي تخلفت عن اللاتينية في اوربا وعن السنسكريتية في الهند
وايران غير معربة . وكذلك اللغات التي تخلفت عن اللغة البابلية وهي السريانية
والكلدانية لم يبق فيها اعراب . ومثلها اللغات التي تخلفت عن اللغة العربية نعني
لغات العامة في الاصقاع العربية اليوم فانها غير معربة . كأن الاعراب اذا ترك

لجاري الطبيعة لا يعيش في الرخاء طويلاً وإنما يعيش في البادية أو نحوها من
أحوال الخشونة أو القوة - إلا إذا أراد أصحابه تقييد لغتهم بالقواعد كما فعل
العرب والامان . على ان اللغة العربية سارت سيرها الطبيعي على السنة العامة فذهب
الاعراب منها

ومما يحسن استطراده ان اللغات السامية القديمة على كثرتها اختص منها
بالاعراب لغة بابل (الاشورية) واللغة العربية ويؤخذ ذلك من الادلة على وحدة
اصل العرب والحمورايين وان الامتين كانتا امة واحدة يتكلمون لساناً واحداً معرباً
فتحضر الحموراويون وظل العرب بادية ومنهم المالقة . فلما تمدن الحموراويون واركنوا
الى الرخاء ذهب الاعراب من لسانهم وبقي في كتاباتهم المنقوشة . كما اصاب العرب
بعد قيام دولتهم وتقييد لغتهم فنشأ من بقايا البابليين امة لغتها غير معربة هم السريان
والكلدان . كما نشأ من العرب انواع لا يعربون كلامهم وهم عامة الشام ومصر
وغيرها من بلاد العرب وكان اجدادهم في البادية يعربونه

٢ - دقة التعبير

وتمتاز اللغة العربية بدقة التعبير بالفاظها وتراكيبها . أما الالفاظ ففيها لكل معنى
لفظ خاص حتى اشباه المعاني او فروعها وجزئياتها . وقد ذكرنا امثلة من ذلك فيما
تقدم . ومن امثلة دقة التعبير فيها وجود الالفاظ لتأدية فروع المعاني او جزئياتها
فمنذم لكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص به . فالساعة الاولى الذرور ثم البروغ
ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدور
ثم الغروب . ويقال فيها ايضاً البكور ثم الشمروق فالاشراق فالرأد فالضحى فالمتوع
فالهاجرة فالاصيل فالعصر فالطفل فالحدور فالغروب

وعندهم اسم لكل ليلة من ليالي القمر . وتجد للمعنى الواحد عدة الفاظ يعبر
كل منها عن تنوع من تنوعات ذلك المعنى . فلشعر مثلاً اسما عديدة حسب منبته
كالفروة لشعر معظم الرأس والناصية لشعر مقدم الرأس والذؤابة شعر مؤخر الرأس
والفرع شعر رأس المرأة والغديرة شعر ذؤابتها والذبب شعر وجهها الى غير ذلك .
وهو كثير . وقس عليه اسماء المعائب فمن معائب العين الحوص والحوص والشر
والقمش والكمش والغطش والجهر . ولكل منها معنى خاص مما لا مثيل له في ارق
لغات البشر قديماً ولا حديثاً

واعبر ذلك في تفرع معاني الافعال كتفرع فعل النظر الى رمق وملح وحنج

وشفن وتوضح ورننا واستكف واستشف . ومنها فروع افعال الجلوس والقيام
والمشي والنوم وضروب الاصوات للحيوان والانسان وغير ذلك . وفي المخصص وفقه
اللغة الوف من هذه الامثلة ولا خلاف في ان ذلك من ادلة الارتقاء . ناهيك
بالمترادفات في الاوصاف وهي اكثر من ان نحصى . ولعل العربية أغنى اللغات في
الالفاظ المعبرة عن المعاني المجردة واعمال العواطف . ففيها لانواع الحب نحو عشرة
الفاظ ومنها للبغض والحسد والطمع وغيرها

ومن وسائل دقة التعبير في العربية مزيدات الافعال فان صيغ المشاركة تعبر
باللفظ الواحد عن معان لا يعبر عنها في اللغات الاخرى الا بعدة الفاظ كقولنا تقاتلوا
وتقاضوا وهذه الصيغة خاصة بالعربية

٣ - الاعجاز والابجاز

لكل قوم اعجاز في لغتهم فيدلون بلفظ قليل على معنى كثير ولكن العرب أقدر
على ذلك من سواهم لان لغتهم تساعدهم عليه وقد تعودوه وألقوه ومنه في القرآن
والحديث والامثال وكتب الفقه والشرع والادب امثلة كثيرة . ومن هذا القبيل
استعمال المجاز والكناية وسائر أساليب البديع فانها في العربية أرقى مما في سواها لانها
لغة شعرية كثيرة الكنايات والاشارات يسهل فيها التعمية والالغاز . ولذلك رأيت
في اخبار اهل البادية امثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على الذكاء وامتلاك ناصية اللغة
كقول جاسوس منهم وقع في أيدي الاعداء فخبسوه والزموه أن يكتب كتابا الى
ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقله عددهم وعددهم غشاً وتغريباً . فكتب الى
الملك كتابا قال فيه :

« اما بعد فقد أحطت علماً بالقوم وأصبحت مستريحاً من السعى في تعريف
احوالهم واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة
بالامور والنظر في العاقبة فقد تحققت انكم الفئدة الغالبة باذن الله . ولقد رأيت من
احوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى العدو فارسلوه الى الملك بعد ما اطعموا عليه . فتفطن الملك لما
اراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحاً من السعى
وانه رأهم أضعافنا وانا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية « كم من فئة قليلة » ولفتنى الى
الاناة اذ جعلها عادة لى . واراد قلب حروف الجملة الاخيرة فكون « كلمهم عدو
كبير عد فتحصن »

٤ - المترادفات والاضداد

في كل لغة مرادفات اى عدة الفاظ للمعنى الواحد ولكن العرب فاقوا بها سائر أمم الارض . ففيها للسنة ٢٤ اسماً وللنور ٢١ اسماً وللظلام ٥٢ اسماً وللشمس ٢٩ اسماً وللحباب ٥٠ وللطمر ٦٤ وللبئر ٨٨ اسماً وللماء ١٧٠ اسماً وللبن ١٣ اسماً وللعسل نحو ذلك وللخمر مئة اسم وللأسد ٣٥٠ اسماً وللحبة مئة اسم ومثل ذلك للعجل . أما الناقه فاسماؤها ٢٥٥ اسماً . وقس على ذلك اسماء النور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفاً عند العرب وأسماء الاسلحة كالسيف والرمح وغيرها ناهيك بمترادف الصفات فعندهم للطويل ٩١ لفظاً وللقصير ١٦٠ لفظاً ونحو ذلك للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه

وأسباب كثرة المترادفات في العربية عديدة منها أن كثيراً من أسماء الحيوان أصلها نعوت ثم صارت أسماء وبعضها مأخوذ عن لغة أخرى . فمن أسماء الاسد مثلا الحطام والخطار والاصيد والشديد والراهب والمرهوب والمهوب والاغلب والاصهب والمجرب والباسل والمياس ونحوها وهي نعوت لطباع الاسد وظواهره . ومن اسمائه عنيسة وهو اسمه بالحشية . وقد يكون السبب في زيادة المترادفات استعارة اسماء حيوانات أخرى للدلالة على هذا الحيوان يتكلمون بها عن بعض طبائعه

ومن خصائص اللغة العربية اسماء الاضداد فان فيها مئات من الالفاظ يدل كل منها على معنيين متضادين مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس و « نضح » للعطش والري و « ذاب » للسيولة والجمود و « أفسد » للاسراع والابطاء و « أقوى » للافتقار والاستغناء

٥ - المعاني الكثيرة للفظ الواحد

ومن خصائصها أيضاً دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة فمن ألفاظها نيف ومثنا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان . ونيف ومئة لفظ يدل الواحد منها على اربعة ومثلها التي تدل على خمسة معان . وقس على ذلك ما يدل على ستة معان فسبعة قنانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى كالحليم والهن والطيس . وما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدل على ٢٧ معنى ولللفظ « العين » ٣٥ معنى ولللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

٦ - السجع وغيره من أسباب سعة اللغة

ان كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعداد المعاني للفظ الواحد جعلتها واسعة

التعبير وسهلت على اصحابها التسجيع . وكان التسجيع شائعاً في الجاهلية بلغة الكهان على أساليب يستفبحها أهل اللغة لغراً بألفاظها وركاكة تركيبها ومن نتائج سعتها اقتدار أصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين طائل ومهمل ومنقط أو مشترك . وقد علمنا ان بعضهم كتب تفسير القرآن بالفاظ ليس فيها حرف منقط : وهناك تراكيب يشترط فيها اذا قرأ الالتهج لا تظهر لثغته خلوها من الراء . وقد خطب واصل بن عطاء خطبة طويلة لم يرد فيها حرف الراء وكان اذا قال شعراً لم يورد فيه حرف الراء على الاطلاق (١) وذلك لا يتيسر في اللغات الافرنجية وقد جرب بعضهم كتابة اسطر بالالمانية بدون راء (R) فلم يستطع ذلك الا بعد شق النفس

٧ - حكاية الاصوات

ومن خصائص اللغة العربية ان لالفاظها وقماً على الاذن يكون له تأثير موسيقي يختلف شدة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثر في النفس تأثيراً خاصاً سواء كان ثراً أو نظماً . من أمثلة الوقع الشديد وصف الاسد لابن زيد الطائي بين يدي عثمان بن عفان فتد قال وهو يصف خروج الاسد عليهم في واد : « فضرب بيده فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مغلولة وفم أشدق كالغار الاخرق . ثم تمطى فأسرع يديه وحفز وركبه برجليه حتى صار ظله مثليه . ثم اقمى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ، ثم نجهم فازبأر فلا وذو (٢) بينه في السماء ما اتقيناها الا باخ لنا من فزارة كان ضخماً الجزارة فوقه ثم نفذه نفضة ففضفض متنيه فجعل يابغ في دمه . فذمرت لاصحابي فبعد ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعراً كأن به شحماً حولياً فاحتاج رجلاً اعجز ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت مفاصله . ثم نهم ففرفر ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ فوالله لحات البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ويمينه فارعشت الايدي واصطكت الارجل واطت الاضلاع وارنجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون ... »

فصاح به عثمان : « اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين »

وحكايات الاصوات موجودة في سائر اللغات

ثانياً - الامثال

الامثال من آداب العرب الهامة لانها تجري على ألسنتهم بجري الشعر . وهي

(١) البيان والنبين ١١ ج ١ (٢) « ذو » يعني « الذي » في لغة طلي والرجل منهم

عظمت باللغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح . قال ابو عبيد : « الامثال من حكمة العرب في الجاهلية والاسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في النطق بكناية غير تصریح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه » (١) والعرب تضمن اشعارها وأقوالها الامثال والحكم فتزينها كقول ابي ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذي دفنت له حديدة حنفت ثم أمسى بشرها (٢)

وبعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كارجوزة ابي العنابية التي سماها ذات الامثال (٣)

ولا تخلو أمة من الامثال المتوارثة في الاعقاب . لكن العرب يمتازون بامثالهم المبنية على الحوادث . لان الامثال عندهم نوعان :

١ - أمثال حكيمية كقولهم الجار قبل الدار والحرب خدعة والخطأ زاد العجول والعتاب قبل العقاب ونحوها مما يتناقله الناس في الاعقاب وترويه الامم بعضها عن بعض . وأقدم مجموع لها أمثال سليمان واكثر الامم أخذت عنها وهي عند العرب مقبسة من التوراة وأمثال الهند والفرس والروم فضلا عما يروونه عن اسلافهم وحكامهم كالكتم بن صفي وغيره وينسبون امثالا كثيرة إلى لقمان . وهو من قدماء الحكماء يشبه شاعراً حكيماً بنحو هذا الاسم عند اليونان (Alcman) من أهل القرن السابع قبل الميلاد وهو أقدم من نظم الشعر الغنائي عندهم

٢ - الامثال المبنية على الحوادث وهي خاصة بهم لان الحوادث جرت لهم كقولهم وافق شن طبقة وقطعت جهيزة قول كل خطيب وبالصيف ضيقت اللبن وسبق السيف العذل . وهم يؤثرون تلك الامثال عن قائلها وقد يروون عشرات من الامثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما رووا في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش (٤) فذكروا في أثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت منها قول قصير « رأى فاتر وعدو حاضر » وقوله « رأيتك في الكن لافي الضح » و « ماضل من تجرى به العصا » وقول الزباء « لامر ما جدع قصير أنفه » و « يدي لا يد عمرو » ونحو ذلك . وهذه الامثال وأشباهاها كثيرة في أقوال الجاهلية

كتب الامثال

وقد عني العرب في جمع الامثال لانها من جملة ما احتاجوا اليه في تحقيق ألفاظ

(١) المزمع ٢٣٤ ج ١ (٢) الاغاني ٦٣ ج ٦

(٣) الاغاني ١٤٣ ج ٣ (٤) ابن الانبر ١٤٩ ج ١

اللغة - ذكر ابن النديم ان عبيد بن شربة من أهل اليمن ألف كتاباً في الامثال في خمسين ورقة باواخر القرن الاول للهجرة وهو أول من فعل ذلك وقد ضاع هذا الكتاب . واشتغل كثيرون من أدباء البصرة والكوفة في ابان التمدن الاسلامي بجمع أمثال العرب منهم صحار العبدى كان معاصراً لابن شربة (١) ويونس النحوي المتوفى سنة ١٨٢ هـ وابو عبيدة سنة ٢١١ هـ وثعلب سنة ٢٩١ هـ وابو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٣ هـ والمفضل الضبي وابو هلال العسكري ومحمد بن زياد الاعرابي ومحمد ابن حبيب البغدادي وحمزة الاصفهاني وغيرهم

وقد شرح هذه الكتب كثير من وأضافوا اليها من الامثال الحادثة في الاسلام . وأم هذه الكتب الباقية الى الآن كتاب المستقصى للزمخشري (توفي سنة ٥٣٨ هـ) وجمع الامثال للميداني (توفي سنة ٥١٨ هـ) . وفي جمع الامثال نخبة ما احتوته كتب المتقدمين جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتاباً في الامثال ورتبه على حروف المعجم بعد ان اضاف اليه أمثال المولدين . وهو أجمع كتاب في الامثال العربية وفيه شروح لطيفة وقد طبع مراراً بمصر والشام وغيرها . أما المستقصى للزمخشري فتمه نسخه خطية في مكتبة ليدن وفيينا والمتحف البريطاني وكوبرلي بالاسنانة ودار الكتب المصرية

أما كتب الامثال الاصلية التي أخذ عنها الميداني والزمخشري فالباقي منها قليل اهمها كتاب الامثال لابن عبيد القاسم بن سلام طبع في غوتجن سنة ١٨٣٦ وامثال العرب للضبي طبع في الاسنانة سنة ١٣٠٠ هـ وجمهرة الامثال لابن هلال العسكري طبع في الهند سنة ١٣٠٧ هـ وأمثال لقمان طبع مراراً في اوربا ومصر منها طبعة في باريس سنة ١٨٤٧ مع ترجمة فرنسافية . وتجد كثيراً من أمثال العرب في كتب الامالي وكتب اللغة وكتب الادب ونحوها

ثالثاً - الشعر في العصر الجاهلي

١ - ما هو الشعر

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر . ومرجعها الى تصوير جمال الطبيعة - فالحفر يصورها بارزة والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط والالوان . والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن

اعجابنا بها وارتياحنا اليها بالالفاظ . فهو لغة النفس أو هو صور ظاهرة لحقائق غير ظاهرة . والموسيقى كالشعر - هو يعبر عن جمال الطبيعة بالالفاظ والمعاني وهي تعبر عنه بالانغام والالحن وكلاهما في الاصل شيء واحد

هذا هو تعريف الشعر في حقيقته ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحصرون حدوده بالالفاظ وهو تعريف النظم لا الشعر وينهما فرق كبير اذ قد يكون الرجل شاعراً ولا يحسن النظم وقد يكون ناظماً وليس في نظمه شعر - وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقفاً في النفس فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر . ويجوز سبكه في النثر

وقد تقدم ابن خلدون خطوة أخرى في تعريف الشعر فقال : « الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والايوصاف المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به » فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر ويشترط أيضاً استقلال كل بيت منها بغرضه . وهو تقييد لا باعث له اذ قد ترى في الكلام المنثور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر وذلك كثير في كلامهم والحكم فيه للذوق ومن أصعب الامور ان نعرف الشعر ونجعل له حدوداً جامعة مانعة كما نعرف الصرف أو النحو أو الفلك أو غيرها من العلوم والآداب . ولكنك اذا قرأت قولاً فيه خيال شعري تعرفت الشاعرية فيه وشعرت بلذة ذلك التعرف وطربت له وقد يكون ذلك القول نثراً وانما أطربك ما فيه من أساليب الكناية أو الاستعارة . فاذا سبكته في قالب شعري زاد رونقاً وطلاوة فاذا غنيته على توقيع الالحن زدت طرباً به . فالوزن يزيد الشعر طلاوة من قبيل التوقيع الموسيقي في الالفاظ والحركات لا من قبيل المعنى

فاذا قرأنا لبعضهم نثراً يصف به ذهولة بالحب فيقول « اذا جئت دار الحبيب ليلا لحاجة لي ألتمسها فلا أدخل الدار حتى أنسى ما جئت له » فهذا معنى شعري غزلي ترتاح اليه النفس لكن ارتياحها يكون اكثر اذا نظم ذلك المعنى شعراً كقول المجنون :

فيا ليل كم من حاجة لي مهمة اذا جئتكم بالليل لم أدر ما هي

ويكون وقعه في النفس أشد اذا غني على لحن مطرب

وعلى ذلك فيدخل في الشعر كثير من أقوال العرب التي نعتها من قبيل الامثال

أو الحكم الماثورة المبنية على الكناية كقولهم : المرء باصفره لا يبرديه . وعاد الامر الى نصابه وصاحت عصفير بطنه ونحو ذلك
 فالشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية . وقد رأينا بعض متقدمي العرب يرون هذا الرأي في تعريف الشعر فقد قال بعضهم « الشعر كلام وأجوده أشعره » (١) ولم يقيده بالوزن ولا القافية . وقال آخر « الشعر شيء تبحش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا » (٢)

٢ - أنواع الشعر

العرب يقسمون الشعر الى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الاغراض وهذه كلها في نظر الشاعر غير العربي نوع من انواع الشعر بسمونه الشعر الغنائي أو الموسيقي لان مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقي

ويقسم الشعر عند الافرنج الى ثلاثة أنواع (١) الشعر القصصي (Epique) (٢) الشعر الغنائي (Lyrique) (٣) الشعر التمثيلي (Dramatique)

الشعر القصصي

فالشعر القصصي اقدمها وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث في الشعر (موزون أو غير موزون) على سبيل القصة واكثرها دينية وابطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم . واذا تدبرت الشعر عند سائر الامم وجدته أقدم آدابها واقدمه الديني المتعلق بالآلهة واعمالهم كما في الياذة هوميروس عند اليونان ومهابراته الهند . ومن هذا القبيل بعض الاشعار العبرانية كسفر داود ونشيد الاناشيد والنبوات فانها شعر ديني لكنها ليست من النوع القصصي بل من الموسيقي . لان الشعر القصصي نادر في اشعار الساميين على الاجمال الا السريان فان القديس افرام نظم شيئاً منه ولعله اقتبسه من اليونان (٣)

أما العرب فيخالفون العبرانيين من حيث الشعر الديني لانه لم يكن عندهم في الجاهلية كما كان عند العبرانيين . ولا يعقل انهم خالفوا اخوانهم فيه ولا بد من انهم نظمو الاشعار خاطبوا بها هبل واللات والعزى وغيرها واستعطفوها وصلوا اليها

(٢) البيان والتبيين ١٧٢ ج ٢

(١) الاغانى ١٢٤ ج ١٨ و ٦٠ ج ٢١

(٣) Lit. Syr.20

وتخشعوا لها ولكن منظوماتهم في هذا الموضوع ضاعت في ثنايا الاجيال لعدم تدوينها ولاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التي قامت بينهم قبيل الاسلام . فلما جاء الاسلام أغضى الرواة عن حفظها لانها وثنية والاسلام بمحو ما كان قبله - كما أبادوا مكاتب الفرس ومصر وكما أرادوا هدم ايوان كسرى واهرام مصر . فاكتفوا بتدوين أشعار الحماسة والفخر ولكن بقي من الاشعار الدينية أمثلة قليلة جاء ذكرها عرضا في تراجم بعض الشعراء كأمية بن أبي الصات وغيره

الشعر الغنائى

قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصى وفيه اخبار آلهتهم وحروبها وعلاقتها بالبشر . ثم قالوا الشعر الموسيقى وقد نضج عندهم نحو القرن الخامس قبل الميلاد على أثر الحوادث السياسية والحروب التي قامت بين الاحزاب اليونانية وتغلب بها الشعب على الاشراف كما تقدم . فهاج الظفر قرائحهم وعقب ذلك التنازع بين الاسبارطيين والمسينيين وبين يونان آسيا الصغرى وجيرانهم فذاقوا لذة التغلب فجاب في صدور الشعراء احساس لم يتعودوه من قبل كما أصاب العرب الحجازيين على أثر خروجهم من سلطة الحميريين ثم بما قام بينهم من النزاع والحروب في القرون الاولى قبل الاسلام فانها أنطقتهم وحركت نفوسهم كما سيجيء . فأصبح اليونان من القرن الخامس قبل الميلاد أهل دولة ومدن ورخاء فصاروا في حاجة الى شعراء يحرضونهم على الثبات في الحرب أو يمدحون بساتهم ويطرون أعمالهم ويصفون حضارتهم فظهر الشعر الغنائى أو الموسيقى وفيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والرتاء ووضعوا الاوزان الجديدة له . وطبيعى ان الظفر يبعث على المدح والموت يولد الرثاء والحب يستدعي النسيب والغزل . فصار ملوك اليونان وكبرائهم يقربون الشعراء الغنائيين لسماع المدح كما فعل العرب في ابان دولتهم فكثرت الشعراء الغنائيون عندهم وأسنادهم بدار . وشاع الشعر الغنائى فيهم فاشتغلوا به عن الشعر القصصى - كأنهم اشتغلوا بانارة العواطف والحث على الفضائل عن تقرير الحقائق وسرد الحوادث

الشعر التمثيلى

ثم رأوا الكلام وحده لا يكتفى لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدي سردها أو تمثيلها الى مغزى ما يريدون . فبدلا

من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلاً وبجبتها الى الابطال يبلاغة البيان الشعري عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع في النفس وأثبت في الذهن وسموا هذا النوع من الشعر « الشعر التمثيلي » (Drame) ويراد بالشعر التمثيلي في أصل وضعه تمثيل الوقائع التي ترمي الى الموعظة أو الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل^(١) وفي الشعر القصصي شيء منه لان الياذة هوميروس لا تخلو من مشاهد تمثيلية . ولكن العشاء بدأوا في نظمهم أولاً بالشعر الخيالي التصويري المحض اذ هاج شاعرهم التخشع للآلهة وكانوا يغنون لهم ويرقصون في غنائهم على توقيع الالحان فتصوروا الوزن من حركات الرقص - وذلك أصل النظم عندهم . وكان أول منظوماتهم أقاصيص الآلهة وأعمالهم ثم تدرجوا الى وصف الواقع فبدأوا بالعواطف يعبرون عنها بالشعر الغنائي . ثم عمدوا الى تمثيل الفضائل على المراسح للاستفادة منها وهو الشعر التمثيلي

٣ - هل عند العرب شعر تمثيلي

قد رأيت ان الشعر التمثيلي أو الدرام هو الوجهة العملية من الشعر أي يراد بها تمثيل الفضائل أو المناقب للعين . والعرب مثل سائر الساميين أكثر ميلاً الى الخيال والتصوير فلم يلتفتوا الى التمثيل أو على الأقل لم نعتز بين ما وصلنا من آدابهم قبل الاسلام على شيء من الشعر التمثيلي على سبيل المحاوراة أو التمثيل كما هو الحال عند اليونان أو من أخذ عنهم - فهل كان عندهم وفقد ؟

اذا أممنا النظر في ما خلفه العرب من أخبارهم وآدابهم وجدناهم لا يخلو من التمثيل باعم معانيه وان لم يكن شعراً مجرداً بل هو مزيج من الشعر والنثر . وقد وصل الينا في قالب القصص والحقائق التاريخية لكن أكثرها في نظرنا موضوع أو كان له أصل فوسعوه وطولوه وغمقوه ليكون عبرة أو قدوة في الموقف المطلوب . وأكثر تلك القصص (أو الروايات التمثيلية) ترمي الى تمثيل الفضائل البدوية التي يقدها العرب كالوفاء والضيافة والشجاعة والجوار والعفة والفروسية ونحوها تمثيلاً يحببها الى الناس ويرغبهم فيها وجعلوا ابطالها رجالاً من مشاهيرهم في تلك المناقب

فقصة حاتم الطائي التي ذبح بها فرسه لضيافته وأبناؤه جياح أقرب ان تكون موضوعة أو مبالغاً فيها للتحريض على السخاء . وقصة السموأل التي قتل فيها ابنه

ولم يسلم بالامانة المودعة عنده موضوعاً أو موسعاً بها لتمثيل الوفاء . واخبار العذرين في العفة أكثرها موضوع لترغيب الناس في العفة . وقد أجمع الرواة تقريباً على ان اخبار مجنون ليلي موضوعاً ويراد بها تمثيل العفة مع الثبات على الحب وهي تشبه من هذا القبيل رواية روميو وجوليت لشكسبير . وقس على ذلك أكثر ما يروونه من هذا النوع مثل حكاية حنظلة والنعمان بن المنذر وهم يروونها عن عبيد بن الأبرص أيضاً كأن المراد المغزى وهو الترغيب في الوفاء . ونسبة هذه الحوادث الى اشخاص معروفين في التاريخ لا يظن في ان المراد بها التمثيل وهذه قصة عنتر فان صاحبها شاعر شجاع معروف فوسعوا قصته وأضافوا اليها ما يرغب في الشجاعة والفروسية أما السريانيون فالدرام غير أصلي في آدابهم وإنما اتخذوه من جملة آدابهم الدينية من اليونان وكانت منظوماتهم في أول أمرها بغير قافية ثم قفوها بعد الاسلام فلعلمهم اقتبسوا ذلك من العرب

وبالجملة ان الشعر العربي أكثره من الشعر الغنائي وهو أرقى في العربية منه في سائر اللغات وليس في الدنيا أمة تضاهي العرب في كثرة الشعر والشعراء

أقدم منظومات العالم

المشهور ان الياذة هوميروس أقدم كتاب شعري لانه نظم نحو القرن التاسع قبل الميلاد وهي نحو ١٤٠٠٠ بيت . ولكن هناك كنايين نظماً نحو ذلك الزمن أو قبله أحدهما الفيدا كتاب البراهمة وهو من قبيل الشعر الموسيقي ويقال انه نظم نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وزبور داود نظم نحو القرن العاشر ولعله عاصر صاحب الالياذة . وللمصريين القدماء منظومات ترتقى الى عهد رعمسيس الثاني نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ولكن سفر أيوب أقدم من ذلك بيضعة قرون فاذا صح انه عربي الاصل كان أقدم الآثار الشعرية الباقية الى الآن عربي الاصل

٤ - كيف بدأ العرب ينظمون الشعر

الشعر والغناء

يظهر ان الشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الامم والشعر وضع أولاً للتغني به وانشاده للآلهة أو الملوك ، ولذلك فاليونان والرومان يقولون حتى الآن « غني شعراً » وليس نظم شعراً أو صنع شعراً والعرب يقولون « أنشد شعراً » أو أنشد الشعر الفلاني أي غناه وقضى اليونان أجيالاً لا يقولون الشعر إلا إنشاداً

ولعل العرب كانوا كذلك في أقدم أحوالهم فنبغ منهم جماعة يفتنون شعرهم كما فعل
الاعشى قبيل الاسلام فقد كان ينظم الشعر ويفنيه ولذلك سموه صناجة العرب . وما
زال ذلك شأنهم بعد الاسلام فان الشاعر اذا جاء الخليفة أو الامير بقصيدة انشدها
في حضرته وهو قائم فاذا لم يكن صوته رخياً أو مسموعاً اقتنى غلاماً رخيم الصوت
ينشد اشعاره . وللانشاد لحن مطرب وكان الرشيد يطرب للانشاد أكثر مما
يطرب للغناء . واشهر بعد الاسلام جماعة من الشعراء المغنين كالدارمي والحطيئة
واسحق الموصلي وغيرهم

والغالب أنهم بدأوا أولاً بالسجع بلا وزن نحو ما وصل الينا من سجع الكهان
وربما كان الكهان يفتونونه توقيماً على القافية . ومن أمثلة سجعهم قولهم في الانواء
« اذا طلع السرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادت الحيران . اذا طلع
البطين اقتضى الدين وظهر الربن واقتنى بالقطار والفين . اذا طلع التجم يعني الثريا
فالحر في حدم والشعب في حطم . اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكرهت التيران
واستغرب الزيان ويست الغدران ورمت باغسها حيث شاءت الصبيان . اذا طلعت الهقعة
تقوض الناس للقلمة ورجعوا عن النجعة وأردفتها الهنعة . اذا طلعت الجوزاء توقدت
المعزاء وكنتس الظباء وعرقت العلباء وطاب الحباء . اذا طلعت الذراع حسرت الشمس
القناع واشعلت في الافق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع . . . » وهي طويلة
هذا هو السجع بقافية بلا وزن . وكان العرب يتساجعون أي يتذاكرون
بالسجع ولعلمهم وضعوا السجع أولاً لتقييد علومهم أو ما يريدون حفظه كما في المثل
المنقدم ذكره

أما النظم أي القياس الشعري بالمقاطع وهو الوزن فابسطه الرجز وهو أقدم
أوزان الشعر كل بيت منه منفرد بقافية خاصة وهو كالسجع لكنه موزون . والرجز
قديم عندهم يزعم العرب ان أول من قاله مضر بن زرار إذ سقط عن جبل فانكسرت
يده فحملوه وهو يقول « وايداء وايداء » وكان من أحسن خلق الله صوتاً فاصفت
الابل اليه وجدت في السير فجعلت العرب مثالا لقوله « هايدا هايدا » يمدون بها
الابل . وقال آخرون ان الاصل في وضع الشعر للغناء . قالوا « وكان الكلام كله
منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها
الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الانجاد وسمحاتها الاجواد تهز نفوسها الى الكرم

وتدل أبناءها على حسن الشيم فنوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام فلما تم لهم
وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به أي فطنوا له «

أصل وزن الشعر

والغالب في اعتقادنا ان الوزن مأخوذ في الاصل من توقيع سير الجمال في
الصحراء وتقطيعه يوافق وقع خطاهما . ويؤيد ذلك ان الرجز اول ما استعمله العرب
لسوق الجمال وهو الحداء في اصطلاحهم وكأنه وضع لهذا الغرض لان العربي يقضي
أكثر أوقاته في معاشره جملة أو ناقته . وعندهم ضربان من الرجز المشطور والمنهوك
والمشطور هذا وزنه :

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها لبناً عجيباً
حينها وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حيباً
ما حملت الا فتى كثيراً يسر مما أعلنت نصيباً
لو ترك الشوق لنا قلوباً اذا لآثرنا بهن النيبا

ان الغريب يسعد الغريبا

وهو يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشى الجمال الهوينا . ولو ركبت ناقه ومشت بك
الهوينا لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر تماماً . فكان العرب يحدونها به اذا أرادوا
سيرها وثيداً . وربما كان شاعرهم عاشقاً فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته فيحدوها
بآيات على وزن الرجز . كذلك فعل جميل بثينة وكان في سفر الى الحج مع مروان
ابن الحكم فطلب اليه مروان ان يسوق الجمال أي يحدوها فقال :

يا بن حبي أو عدينا أو صلي وهوني الامر فزوري واعجلي
بين أياً ما أردت فافعلي اني لآتي ما أشأت مقنلي

فلم يقبل مروان منه أن يتنزل بالحدو وإنما يطلب الخلفاء والامراء اذا ركبوا
الابل ان يحدوها الحادي برجز في مدحهم . خرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب
ومعه حاد يحدوه بقوله :

يا أيها البكر الذي أراكا عليك سهل الارض في ممشاكا
وبحك هل تعلم من علاكا ان ابن مروان على ذراكا
خليفة الله الذي امتطاكا لم يعل بكراً مثل ما علاكا

أما اذا أراد الحادي ان تسرع الجمال في السير حدا لها بالرجز المنهوك وهذا

وزنه :

أعطيته ما سألا حكمته لو عدلا
 قلبي به في شغل لامل ذلك الشغلا
 قيده الحب كما قيد راع جملا (١)

واعتبر ذلك في بحر الحبيب من الشعر فانه يوافق في توقيعه خيب الفرص أى
 ركضه وهذا وزنه :

أبكيت على طلل طرباً فشجاك وأحزنك الطلل

أوزان الشعر

ثم وضعوا الاوزان والبحور حسب الاقتضاء كل منها لحال من الاحوال بعضها
 يوافق الشعر الحماسي والبعض الآخر يوافق الفخر وآخر للفرس . فالبحر الطويل
 يوافق لنظم الشعر الحماسي والوافر للفخر والرمل للحزن أو الفرح والسريع لتمثيل
 العواطف (٢) وقس على ذلك

فالرجز أقدم أبحر الشعر وكان الشاعر يقول منه البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا
 حارب أو قاخر . ثم صاروا يطيلون النظم فيه . ويقال ان أول من أطاله الاغلب المعجلى
 على عهد النبي ثم رؤبة بن العجاج وتفتنوا في بحر الرجز فتعددت واخترعوا أبحراً
 غيرها وصاروا ينظمون الارجيز الطوال ويريدون بها ما زادت آياتها على عشرة
 أما غير الرجز من أبحر الشعر فكانوا أولاً ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند
 الحاجة . حتى اذا تحركت نفوس العرب بالحروب بعد استقلالها من اليمن كما سيجيء
 وظهر فيها الابطال والفرسان احتاجوا الى الشعر فأطالوا فيه وهي القصائد وأول
 من أطالها المهلهل أخو كليب وأول قصيدة قالها في قتل أخيه المذكور - فهو لم يفعل
 ذلك الا بعد أن حركه طلب النار وهو أول شاعر بلغت قصائده ثلاثين بيتاً من الشعر
 واقتدى به سواه ثم كان للنظم تاريخ بعد الاسلام

الالحن

ولما وضعوا الاوزان صار الغناء عندهم ألحاناً معينة فجعلوا لكل غناء أو لحن
 وزناً مخصوصاً فصار عندهم للرناء وزن وللحاسة آخر . فالنصب غناء الركبان والفتيان
 ويقال له الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب وهو يخرج من أصل الطويل
 في العروض . والسناد هو الغناء الثقيل ذو الترجيع الكثير التغمات . والهزج هو

الفناء الخفيف الذي يرتصون عليه فيطرب ويستخف الحليم (١) وظلوا بعد الاسلام
بمختصون كل لحن بوزن (٢)

٥ - شاعرية العرب

تلك كانت بداية النظم عند العرب على ما نظن . وكان ذلك طبعاً في زمن بعيد
لا يدرك أوله التاريخ ومهما يكن من سبب النظم فان العرب أقوى الامم شاعرية
وأقدرهم على النظم في الشعر الموسيقى بلا خلاف - يدلك على ذلك عدد شعرائهم
وضروب شعرهم في قرن واحد وبعض القرن قبيل الهجرة ولذلك أسباب طبيعية
أهمها :

أولاً - ان العربي من فطرته ذو نفس حساسة وشعور راق وأريحية وأنفة سريع
الطرب سريع الغضب فيه بديهية وارتجال . ومن كان هذا شأنه لا يلبث ان يجيش
صدره بمعنى حتى يلفظه لسانه . ولذلك كان أكثر شعرهم غنائياً أو موسيقياً يعبرون
به عن احساسهم ويصورون به شعورهم وهو يصدر عن أحد اربعة فواعل : الرغبة ،
والرهبة ، والطرب ، والغلب

ثانياً - ان لغتهم شعرية لما فيها من أساليب الكناية أو الاستعارة ودقة التعبير
وكثرة المترادفات مما يسهل وجود القافية . فالعربي من أنطق الامم ولغته أوسع
اللغات ولفظها أدل من سائر الالفاظ وفيها الامثال والحكم . وللغة شأن كبير في
تسهيل النظم حتى على أبناء البلد الواحد والنسب الواحد . فالعرب مع اشتراكهم
في الطبائع والحساسة ودقة الشعور والشاعرية فان الذين كانوا منهم يتكلمون غير
لسان مضر (المبين) لم ينظموا الشعر - فان هذا اللسان ويقال له لسان معد كان
شائعاً في معظم بلاد العرب الامهرة وعمان لان معداً لم ينزل أحد منهم هناك . فظهر
الشعراء قبل الاسلام في كل جزيرة العرب الا هذين البلدين . ويؤيد ذلك ان الشاعرية
انتشرت بين المتكلمين بهذه اللغة وان لم يكونوا عرباً حتى اليهود والعبيد من الزنج
والنوبة . واعتبر ذلك بعد الاسلام بانتشار اللغة العربية في الاقطار فنبغ فيها شعراء
أصلهم من الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم - وذلك من تأثير اللسان

ثالثاً - صفاء جوههم وتفريغهم للتأمل في الطبيعة فان اهل الجو الصافي تكون
أذهانهم صافية وخصوصاً اذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب فيزيدهم الصفاء
شاعرية ولا سيما اذا كانوا متفرغين للنظر في الوجود ومراقبة احوال الطبيعة كما

كان العرب في بداوتهم - غير ما بعثهم على قول الشعر من المتافسات والحروب في أيامهم وغيرها كما سنفصله في ما يلي

٦ - نهضة الشعر في الجاهلية وأسبابها

أسباب النهضة بوجه عام

قضى العرب أجيالا لا يعرف مقدارها الا الله وهم يقولون الشعر عند الحاجة مما لم يصل الينا خبره وإنما وصل الينا بعض ما نظموه في النهضة الاخيرة قبيل الاسلام والنهضة في الشعر أو الادب أو العلم تحدث على أثر انقلاب سياسي من فتح أو حرب أو نصر . أو تغيير اجتماعي على أثر نكبة أو نازلة أو كل ما يثير العواطف . وهي قاعدة تشمل طبائع البشر في كل زمان ومكان . فالهنود القدماء لم ينظموا أناشيدهم السنسكريتية الا بعد ما لاقوه من الحروب والتنازع في أثناء نزولهم الهند قبل الميلاد بأجيال . واليونان ما زالوا على الشعر القصصي وشعراؤهم قليلون حتى قامت الفتن بينهم وتجاربوهم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ فيهم الشعراء الموسيقيون . وظل الرومان بعد تأسيس دولتهم ٢٤٠ سنة في جمود أدبي لم يظهر فيهم شاعر حتى كانت الحروب الفونية مع القرطاجيين ففتقت قرايحهم وظهر فيهم الشعر . وقضت أم أوروبا أجيالا في الفرون الوسطى وقرايحهم خامدة فلما خرجوا للحروب الصليبية وقاسوا ما قاسوه فيها ظهرت مواهبهم في الشعر ونبغ فيهم شكبير ودانتى وغيرهما . وترى أعلام الامة في نهضتها صورة من صور أحوالها على أثر ذلك الانقلاب . فان كانت هي الظافرة فيه كثر شعرها الحماسي والفخرى واذا كانت المغلوبة كان شعرها أكثره في الرثاء كما فعل اليهود بعد أسرهم في بابل بمرآني ارمياء وغيره . والشعر يوجب الحب والحرب والموت

استقلال عرب الحجاز عن اليمن

والعرب شأنهم في نهضتهم الشعرية قبل الاسلام مثل شؤون سائر الامم . وزيد بالعرب هنا بدو الحجاز ونجد وما جاورها فكانوا قبل هذه النهضة ينظمون على قلة ولا نظمهم كانوا بمجيدون وهم تحت سيطرة الحميريين ملوك اليمن بخدمونهم في نقل تجارنتهم أو روعي ماشيتهم . وكانت دولة اليمن تستأجرهم في حروبها كما يفعل أهل المدن اليوم بأهل البادية . وكانوا يؤدون لها الاتاوة (الخراج) وقد رسخ في اعتقادهم عظمة تلك الدولة لما فيها من أسباب الحضارة فاصبحوا بتوالي الاجيال يمدون الاذعان لها فرضاً . فلما رأوا ما أصابها في حروبها مع الحبشة في أواسط

القرن الرابع للميلاد إذ فتحها الاحباش بمساعدة قيصر الروم سنة ٣٤٥ (١) تين لهم عجزها عن حفظ سيادتها وذهبت هبتها من قلوبهم فاخذوا يفكرون في الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة وأحسوا بالحاجة الى الاتحاد

وأول من كسر هذا القيد من قبائل العرب قبيلة ربيعة على يد فارسها كليب الشجاع المشهور وكان معاصراً لزهير بن جناب الذي ولاء صاحب اليمن على بكر وتغلب اكبر قبائل ربيعة . وكان زهير يتقاضى الاتاوة أو الخراج منهم في مقابل النجمة والكلأ والمرعى وكان يخرج في حاشيته لجمع الاتاوة فأصابهم في أثناء امارته ضيق واحلت ارضهم فتأخروا عن الدفع فجاءهم زهير وألح في مطالبتهم فشكوا عجزهم وأبانوا عذرهم فلم يصنع لشكواهم . ومنهم النجمة والمرعى أو يؤدوا ما عليهم فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك . وكانت هيئة الدولة قد ذهبت من نفوسهم - فلما أصابهم ذلك الظلم شقوا عصا الطاعة ونعموا على زهير ورجاله فدمسوا رجلاً منهم اسمه زيابة من بني تيم الله وكان فاتكاً وأوعزوا اليه أن يقتل زهيراً غدراً ولم يقدموا على مناوآته جهاراً لئلا يستنجد جنده . فاتاه زيابة وهو نائم وطعنه ورجع الى قومه وأخبرهم أنه قتله ، والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلاً . وعلم هذا أنه سالم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه . فلما انصرف زيابة أوعز زهير لمن معه أن يظهر موتة ويسأذنوا بكرأ وتغلب في دفته فلما أذنوا دفنوا ثياباً ملفوفة وفروا به مجدين الى قومهم . فجمع زهير الجموع وفي ذلك يقول ابن زيابة :

طعنة ما طعنت في غلس الليل لى زهيراً وقد توافى الحصوم

حين يحمي له المواسم بكر أين بكر وأين منها الحلوم

خانني السيف إذ طعنت زهيراً وهو سيف مفضل مشؤوم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرأ وتغلب وقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت به بكر وقاتلت تغلب بعد هاتم انهزمت وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى في بني تغلب وأسر جماعة من وجوههم وفرسانهم

فعظم ذلك على قبائل ربيعة ونجمهروا وولوا عليهم ربيعة والد كليب ومهلل وخرجوا على زهير وأنفذوا الاسيرين منه . ودالت الايام وطاد زهير الى سطوته فوضع الاتاوة والخراج على بني معد جميعاً

وفي أواخر القرن الخامس توفي ربيعة أمير ربيعة فخلفه ابنه كليب وفي نفسه على اليمن ضفائن لما قاساه في أسره فجمع معداً تحت لوائه أي ربيعة وقضاة ومضر وإياد ونزار وحاربوا اليمن في معركة عرفت بيوم خزاز وهزمهم واستقلوا من سيطرتهم . ولم يدفعوا اليهم اتاوة أو خراجاً من ذلك الحين . ونظرت معد إلى كليب نظرها إلى منقذ عظيم فولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته . وكان ذلك آخر عهدهم بسلطة اليمن

حروبهم فيما بينهم

فاستقلال عرب الحجاز ونجد من سيطرة اليمن انقلاب سياسي هاج شاعريتهم وأيقظ ما فطروا عليه من عزة النفس وإبادة الضيم فآخذوا يختلفون فيما بينهم لان سيطرة اليمن كانت قد جمعهم قيودها . فلما اطلق سراحهم تآزعا فجرت بينهم حروب تعرف بإيام العرب قد فصلناها في كتابنا (العرب قبل الاسلام) وأكثرها حدة وأطولها مدة الوقائع بين بكر وتغلب وكلاهما من ربيعة وهي حرب البسوس بين مهمل وجساس دام النزاع فيها أربعين سنة مات في أثنائها الشيوخ وشاخ الشبان وشب الولدان وفي أثنائها نبغ مهمل أخو كليب وشهد تلك الحروب . وكان شاعراً مطبوعاً فنوسط في المصالحة بين القبيلتين وله شأن في تاريخ الشعر . ناهيك بالحروب التي جرت بين قبائل مضر أشهرها أيام داحس والغبراء وغيرها

نهضة قريش : وقد أنهض قريشاً على الخصوص وأثارت شاعريتهم وشجذت قرآنهم حروبهم مع الاحباش في عام الفيل باواسط القرن الاول قبل الهجرة فان الاحباش لما فتحوا اليمن حملوا على مكة للاستيلاء على الكعبة . وكانت سداتها يومئذ إلى عبد المطلب جد النبي فجاء الاحباش بافياهم ورجالهم وعدتهم وأهل مكة لم يعودوا شيئاً من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة في أنفس القبائل وغيرهم . فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر وأحسوا بافتقارهم إلى الاتحاد لدفع الاجانب فدفعوا الاحباش وقد تنهت أذهانهم وأخذت مواهبهم في الظهور . وبما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم في نفوسهم أنهم جعلوا يؤرخون منه وهو عام الفيل

وبعد عام الفيل حدثت حرب الفجار بين قريش وكنانة وقيس وكان لها تأثير كبير في نفوس القرشيين ساعدتهم على تلك النهضة فهذه الحروب والفتن اظهرت مواهب الرجال فنولدت طبقة من الحكماء وأخرى

من الاسخياء وأخرى من الفرسان والشجعان وايقظت الشاعرية الحماسية والفخرية
فنبغ منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون ومدح الظافرين أو وصف بسائتهم
أو النفاخر بالقبائل . ورافق ذلك تحاك القبائل وتقاربها أو تباعدها وتنبهت عاطفة
الحب فظهر العشاق من الشعراء . ولذلك كانت منظومات هذه النهضة اكثرها في
الفخر والحماسة على اثر واقعة من تلك الوقائع او في وصف شوق او حكمة او موعظة
او مدح ظافر او كريم كما ستراه في مكانه

أقدم الشعراء

فكل ما وصل الينا من منظومات شعراء الجاهلية نظم بعد استقلال الحجازيين
من سيطرة اليمن وما وصل الينا من الشعر قبل ذلك قليل وهو لغير الحجازيين .
واقدم ما وصلنا خبرهم من الشعراء ابو دؤاد الايادي ولقيط الايادي وكلاهما من اياد
وكانت تقيم في العراق تعمل للمناذرة . فابن ابي دؤاد كان على خليل النعان ولقيط
شاعر جاهلي قديم . وعلس بن جدن من حمير وخزيمة بن نهد وزهير بن جناب
الكلبي من قضاة وقد ظهرت قضاة قبل سائر قبائل عدنان ويقال أيضاً ان حزين
ابن لوزان وربيعة بن زياد والاصبح العدواني من أقدم الشعراء (١) ويقولون
ان اول من قال الشعر في زار (وهي تشمل مضر وقضاة) عمرو بن قبيصة
من ربيعة (٢)

وللعلماء في أقدم الشعر العربي أقوال لافائدة من ارادها لان اكثرها مبني على
الوهم ولا سببا في ما يروونه للآباء الاولين من الشعر - حتى روى بعضهم أشعاراً
نسبها الى آدم ! وارفق منه حالا من روى للتبابعة . ويطعن في صحتها ان لغة التبابعة
حميرية تختلف عن لغتنا كثيراً . وقد يرد على ذلك بان الحميري قد يعرف العربية
وينظم فيها ولكن الغالب انهم لم يفعلوا

٧ - تنقل الشعر في الاقاليم والقبائل

X

١ - في الاقاليم

من القواعد الثابتة في علم الطبيعة ان للاقليم تأثيراً في اخلاق الناس وأبدانهم
فيختلفون صحة ونشاطاً وبدية وذكاء باختلاف الاقليم . ويقال على الاجمال ان أهل
البادية أصفى ذهنأ من سكان المدن وأهل البلاد الباردة أسرع حركة ونشاطاً من

(١) المرمر ٢٣٧ ج ٢ والاغاني ٢٢ ج ١٦ (٢) الاغاني ١٦٣ ج ١٦

أهل البلاد الحارة . وفي البلد الواحد يفضل أهل الجبال على أهل السهول نشاطاً
وصفاء ذهن

شعراء نجد

وعلى هذا القياس فإن سكان نجد أقوى بنية وأصفي ذهناً من سائر سكان جزيرة
العرب لأنها بلاد جبلية هواؤها نشيط ونسيمها عليل وقد تغزل بها العرب فقال قيس
ابن الملوح :

تمتع من شميم عرار نجد ما بعد العشية من عرار

وقال آخر :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على القرب والبعد
وفيها الارض التي حماها كليب وائل وأفضى ذلك الى قتله وانتشابه حرب
البسوس . وفيها جبل عمكاد الذي لم تثبت العربية الفصيحة بعد ممادي الاجيال الا
بين أهله . وعندهم ان افصح العرب اهل السروات وهي ثلاثة جبال مطلة على نهامة
- فاعل نجد أقوى شاعرية من بلاد العرب

وبناء على اختلاف الامزجة باختلاف الاقاليم فقد امتاز أهل كل اقليم من
بلاد العرب بباب من أبواب الشعر - فاشتهر اهل الحجاز بالركة وأكثر شعرهم
الغزل (١) كما اشتهر شعر أهل نجد بالبلاغة (٢) وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب .
واذا اُحصيت شعراء الجاهلية الذين بلغ الينا خبرهم بالنظر الى المواطن رأيت نحو
خمسهم من نجد والتمس الثالث من الحجاز والرابع من اليمن والباقي من العراق
فيه بضعة قليلة من البحرين والجمامة ونهامة

٢ - في القبائل

ربيعة : أما من حيث القبائل فقد علمت مما تقدم أن ربيعة أول من نهض للاستقلال
وهم أول من نبغ في الشعر . وأهم قبائلهم وبطونهم بكر وتغلب وعبد القيس ونمر بن
قاسط وبشكر وعجل وضبيعة وشيبان وذهل وسدوس . وكانوا يقيمون قديماً في
اليمن ثم في نجد ثم نزحت بكر وتغلب وغيرهما نحو العراق فأقاموا في باديها وفي ما بين
النهرين . ونبغ منهم وهم في نجد المهلهل بن ربيعة

ومن شعراء ربيعة المرقش الاكبر وابن أخيه المرقش الاصغر . والاكبر شاعر
قديم يقال انه من ربيعة قبل خروجها من اليمن (٣) والمرقش الاصغر عم طرفة

(١) الاغاني ٤٢ ج ٧ (٢) الاغاني ٧٢ ج ٢ (٣) الاغاني ١٩٠ ج ٥

ابن العبد . ومنهم سعد بن مالك وطرفة وعمرو بن قبيصة المتقدم انه أقدم من قال الشعر من نزار ، والحارث بن حلزة والمتلمس خال طرفة والاعشى والمسيب بن عاص وغيرهم جماعة من فحول شعراء الجاهلية . ولما انتقلت ربيعة الى العراق زادتها مناظر ذلك الوادي سعة في الخيال

قيس : ونحول الشعر بعد ربيعة الى قيس عيلان وكلاهما من مضر . وقيس قبيلة كبيرة من بطونها عبس وذيان وغطفان وعدوان وهوازن وسليم وثقيف وطامر ابن صعصعة وبمير وجمدة وقشير وعقيل . وتقيم هذه البطون أو القبائل في نجد وأعلى الحجاز وقد نبغ منهم جماعة من فحول الشعراء فمنهم النابغة بن زهير بن أبي سلمى وكعب ابنه وليد والحطيئة والشماخ وخذاش بن زهير وغيرهم . وعندهم ان اشعر قيس الملقبون من بني طامر والمنسوبون الى امهاتهم من غطفان (١)

تميم : ثم ظهر الشعر في تميم وهي قبيلة كبيرة من مضر أشهر بطونها وقبائلها مازن ومالك وسعد ودارم وبربوع وكعب ومجاشع وزرارة . وكانت تميم قديماً تقيم في تهامة ثم نزلت في أواسط القرن الثاني قبل الهجرة نحو العراق واستقرت في باديته وما يليها جنوباً . ومن شعرائها المشاهير اوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه أحد حتى نشأ النابغة وزهير فاحملاه وكلاهما من قيس وظهر الشعر بعد ذلك في بطون مدركة من مضر وهي هذيل وقريش واسد وكنانة والدئل وغيرهم

كل هؤلاء من أهل البادية . أما المدن فانها قليلة في جزيرة العرب واهمها مكة والمدينة والطائف وقلما نبغ منها شعراء فحول واشعر أهل المدن في الجاهلية على الاجمال حسان بن ثابت (٢)

عدد الشعراء بالنظر إلى القبائل

وإذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر الى القبائل كانت قيس أكثرها شعراء تليها اليمن فربيعة فمضر فتميم فقريش فقضاة فاليهود فاياد . وعدد الشعراء في الجاهلية لا يمكن حصره لاسباب سيأتي بيانها . ولكن الذين وصلتنا أخبارهم وأمثلة من أشعارهم يبلغون نحو ١٢٥ شاعراً يقسمون على هذه الصورة بالنظر الى القبائل :

عدد شعرائها	اسم القبيلة	عدد شعرائها	اسم القبيلة
٣٠	قيس	١٠	قريش
٢٣	الهمن (القحطانية)	٤	قضاعه
٢١	ربيعة	٤	يهود
١٦	مضر	٢	اياذ
١٢	تميم	١	موالي غير عرب

ولزيادة الايضاح نذكر أشهر البطون التي تدخل تحت كل من هذه القبائل لتسهل المراجعة على الباحث :

يدخل في قيس	في ربيعة	في القحطانية	في تميم	في مدركة	في قضاعه
عطفان	نمر بن قاسط	طي	مازن	هذيل	جهينة
ذيان	عبد القيس	الاشعر	سعد	اسد	ضجعم
عبس	بكر بن وائل	جذام	دارم	كنانة	قوخ
هوازن	تغلب	الازد	يربوع	قريش	كلب
سعد	يشكر	كندة	مجاشع	الدئل	
سليم	جشم	لخم	بهدة		في قريش
ثقيف	خنيفة	مذحج	مالك		هاشم
طامر	عجل	خزاعة			امية
كلاب	شيدان	همدان			مخزوم
جمدة	سدوس	مازن			محارب
ميمر	ذهل	غسان			كلاب
عقيل	ضبيعة	الايوس والخزرج			غالب
قشير					جمع

٨ - كثرة الشعر وتعدد الشعراء

قد رأيت في ما تقدم استعداد العرب الفطري للشعر واقتدارهم على النظم لان لغتهم شعرية بالفاظها وأساليبها ومعانيها فلا عجب اذا تعدد شعراؤها وكثرت أشعارهم وان عسر علينا تقدير ذلك بالضبط لضيق اكثر ما خلفوه وذهاب اكثر الشعراء لعدم تدوين ذلك في الجاهلية واشتغال العرب عنه بالفتوح في صدر الاسلام . على

اتنا نكتفي بالاستدلال على كثرة ذلك بما وصل إلينا من أخبارهم . ويؤخذ منها ان العرب الجاهلية نظموا في نهضتهم الاخيرة قبيل الاسلام ما لم يجتمع عند سواهم من الامم في عدة قرون وخصوصاً في العصر الجاهلي . فالياذة هوميروس وأوديسة هما معظم شعر جاهلية اليونان ولا يزيد عدداً أياتها على ٣٠٠٠٠ بيت وكذلك مهابهاراة الهنود ٢٠٠٠٠ بيت وراماياتهم ٤٨٠٠٠ بيت . وأما العرب فيؤخذ مما بلغنا من أخبارهم عما نظموا في نهضتهم الاخيرة قبل الاسلام انه يربو على أضعاف ذلك . فهم يعدون منظوماتهم بالقصائد وليس بالآيات فقد ذكروا ان أبا تمام صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من أشعار العرب (الجاهلية) ١٤٠٠٠ أرجوزة غير القصائد والمقاطيع (١) وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧٠٠٠ قصيدة (٢) على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة . وكان الاصمعي يحفظ ١٦٠٠٠ أرجوزة (٣) وكان أبو ضمضم يروي أشعاراً لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو (٤) - ومع ما يظن في ذلك من المبالغة فانه يدل على كثرة ما خلفه العرب من المنظومات . وخصوصاً اذا اعتبرنا ان ما وصل الى رواة الشعر في الاسلام انما هو بعض أشعار الجاهلية لان كثيرين من رواة الشعر الجاهلي قتلوا في الفتوح الاسلامية فضاع ما كان في محفوظهم من الاشعار - قال أبو عمر بن العلاء « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير » (٥)

وزد على ذلك ان العرب نظموا الشعر الكثير وأبدعوا فيه وهم يكادون يكونون فوضى لا دولة لهم ولا جامعة ولا دين ولا شيء مما حمل اليونان أو الهنود أو غيرهم على النظم وانما اندفعوا اليه بفطرتهم . ولولا ذلك لتأخروا في النظم حتى قامت دولتهم ونضجت قرايحهم كما حدث للرومانيين فان الشعر لم ينظم بلسانهم الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة قرون . ولم يبلغ الشعر اللاتيني عصره الذهبي الا في أيام أوغسطس وطيباريوس نحو القرن الثامن من تأسيس رومية (القرن الاول للميلاد) ثم أخذ في التفهقر . ويقال نحو ذلك في دول أوروبا الحالية فان الشعر لم ينضج عندهم الا بعد نشوء دولهم وتقدمهم في العلم والادب

واذا تدبرت أولئك الجاهليين رأيت الشعر داخلاً في كل عمل من أعمالهم مرافقاً لكل حركة من حركاتهم حتى يخيل لك أنهم كانوا لا ينطقون الا بالشعر

(١) ابن خلكان ١٢١ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٢٠ ج ١

(٣) ابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ١٥١

(٤) النمر والشعراء ٤ (٥) المزهر ٢٣٧ ج ٢

وكان كل واحد منهم شاعراً أو يقول الشعر ولو قليلاً حتى الملوك والأمراء والفرسان والرجال والنساء والوجهاء والحكام والصعاليك والعييد والنصوص والمجانين من النصارى واليهود والوثنيين وقد تسلسلت الفريجة الشعرية في كثير من بيوتهم بالنوارث عدة أجيال . فالنعمان بن بشير الانصاري من العريقين في الشعر خلفاً عن سلف جده شاعر وأبوه وعمه شاعران وهو شاعر وأولاده شعراء (١) وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة كان أبوه شاعراً وعمه قيس شاعر وأبناء كعب وأحفاده كلهم شعراء (٢) وهكذا السكيت بن معروف وعبد يغوث بن سلامة وعندهم من بيوتات الشعر في الجاهلية عدد كبير منهم بيت أبي سلمى فقد كان أبو سلمى شاعراً وابنه زهير المشهور شاعر وله خؤولة في الشعر خاله بسامة بن العذير شاعر . وكان أبناء كعب بن زهير وبجير شاعرين وجماعة من أبنائهما شعراء وحسان أن ثابت تسلسل الشعر في أبنائه بضعة أجيال . ومن العريقين في الشعر القاسم بن أمية . وقس على ذلك شعراء العرب بعد الاسلام فمن بيوتاتهم بيت جرير فكان هو وأبوه وجده شعراء وكذلك بنوه واحفاده . ومنهم بيت عطية بن رؤبة بن العجاج وبيت أبي حفصة وبيت أبي عيينة (٣) وغيرهم

على ان ما بلغ الينا من أسماء الشعراء هو دون الطفيف إذ لم ينقل الرواة من أخبار شعراء العشائر الا الاشهر فضلاً عن ضاع خبره . أما الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم فاكثر من أن يحيط بهم الحصر أو يقف من وراء عددهم واقف ولو انقذ عمره في التقيب عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال . ولم يستطع أحد من رواة الشعر ان يستوفي جمع أشعار قبيلة واحدة لم يفته منها شاعر لم يذكره (٤)

ثم ان الشعراء الذين وصلت الينا أخبارهم على قاتم لم يصلنا من أشعارهم الا بعضها وضاع ساؤها في أثناء الفتوح الاسلامية لاشتغال الناس بالاسلام والحرب عن روايته وذهاب أكثر الرواة والحفاظ في الجهاد فلما طادوا بعد الفتوح الى الاشتغال بالادب أخذوا في جمع الشعر فلم يجدوا منه الا القليل . ويؤيد ذلك أنك تسمع بالشاعر الفحل من شعرائهم وماله من الشهرة ثم لا تجد له من المنظوم ما يلام تلك الشهرة . فطرفه بن العبد وعبيد بن الابرص مع ما لها من الشهرة الواسعة في الشعر لا تجد بين ما وجده الرواة من أشعارها ما يوازي تلك المنزلة (٥)

(١) الاغانى ١٢٥ ج ١٤ (٢) الاغانى ٢٧ ج ١٥ (٣) العمدة ٢٣٥ ج ٢

(٤) الشعر والشعراء ٣ (٥) لمزهر ٢٣٧ ج ٢

٩ - طبقات شعراء الجاهلية

ومع ما قدمناه من ضياع أكثر أخبار الشعراء الجاهليين ومعظم أشعارهم فإن الذين عرفناهم يزيدون على مائة شاعر نبغوا في القرنين الأولين قبل الهجرة أو في الخامس والسادس للميلاد وأكثرهم من أهل القرن السادس . وبعضهم عاش أعواماً بعد الإسلام وهم المخضرمون . وقد تقدم احصاؤهم الاجمالي بالنظر الى مواطنهم وقبائلهم وبقى ان ننظر فيهم باعتبار طبقاتهم وباعتبار مناحيهم وأغراضهم وأخلاقهم ومراتبهم

أما تقسيمهم الى طبقات فمن أصعب الامور وقد حاول ذلك غير واحد من أدباء المسلمين في ابان التمدن الاسلامي وتفاوتوا في تعيين الطبقات فاعتبرها بعضهم بالنظر الى الاجادة فقالوا : الشعراء أربع طبقات (١) شاعر خنذيد وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره (٢) شاعر مفلق وهو الذي لا رواية له لكنه مجيد كالخنذيد (٣) شاعر (فقط) وهو فوق الرديء بدرجة (٤) شعور وهو لا شيء

وقسمهم آخرون الى شاعر مفلق وشاعر مطبق وشويعر وشعور . وقال بعضهم :
 الشعراء فاعلمن أربعة فشاعر بحري ولا يحجري معه
 وشاعر ينحوض وسط المعمة وشاعر لا تشبهى أن تسمعه
 وشاعر لا تستحى أن تصفه
 ورويت هذه الايات هكذا أيضاً :

الشعراء فاعلمن اربعة فشاعر لا يرتجى لمنفعه
 وشاعر ينشد وسط المعمة وشاعر آخر لا يحجري معه
 وشاعر يقال خمر في دعه (١)

وقسمهم آخرون الى طبقات بما اشتهر من قصائدهم المنتقاة فاستفردوا سبع طبقات أهل كل منها سبعة شعراء (تقريباً) في مجموع واحد وفيهم بضعة من شعراء صدر الإسلام . أولهم أصحاب المعلقات يليهم اصحاب المجهرات فالمنتقيات فالمذهبات فالمراني فالشوبات فالملحيات . وهذه أسماء الشعراء مرتبة حسب ذلك مع الاشارة الى قبيلة الشاعر وبلده وبعضهم من شعراء العصر الاموي :

بلده	قبيلته	اسم الشاعر	بلده	قبيلته	اسم الشاعر
					١ - اصحاب المعلقات
يثرب	الانصار	قيس بن الخطيم	نجد	كندة	امرؤ القيس
»	»	احبحة بن الجلاح	»	مازن	زهير بن أبي سلمى
»	»	ابو قيس بن الاسد	الحجاز	ذبيان	النايفة الذيباني
		عمرو بن امرئ القيس	نجد	بكر	الاعشى
		٥ - اصحاب المراتي	العراق	عامر	ليبد بن ربيعة
الحجاز	هذيل	ابو ذؤيب الهذلي	»	تغلب	عمرو بن كنثوم
		محمد بن كعب الغنوي غني	البحرين	بكر	طرفه بن العبد
نجد	باهلة	اعشى باهلة	نجد	عبس	عنترة العبسي
		علقمة الحميري			٢ - اصحاب المجمرات
نجد	طبي	ابو زبيد الطائي	نجد	اسد	عبيد بن الابرص
البحرين	يربوع	متمم بن نورة	الحيرة	عبادي	عدي بن زيد
العراق	ميم	مالك بن الربيع	نجد		بشر بن ابي حازم اسد
		٦ - المشوبات	الطائف		أمية بن ابي الصامت ثقيف
نجد	جمدة	نايفة جمدة	نجد	عامر	خداش بن زهير
»	مازن	كعب بن زهير	»	عكل	النمر بن تواب
العراق	تغلب	القطامي			٣ - اصحاب المنقيات
نجد	عبس	الخطيئة	العراق	بكر	المسيب بن علس
الحجاز	ذبيان	الشاخ بن ضرار	نجد	ضبيعة	المرقش الاصفر
نجد	باهلة	عمر بن احمر	البحرين	»	المنلس
		ميم بن مقبل	نجد	عبس	عروة بن الورد
		٧ - اصحاب الملحان	»	تغلب	مهلهل بن ربيعة
العراق	ميم	الفرزدق	»	جشم	دريد بن الصمة
»	»	جرير	الحجاز	هذيل	المنتخل الهذلي
»	تغلب	الاخطل			٤ - اصحاب المذمبات
الحجاز	هوازن	عبيد الراعي	يثرب	الانصار	حسان بن ثابت
»	عدى	ذو الرمة	»	»	عد الله بن رواحة
»	مضر	الكعبي	»	»	مالك بن العجلان
نجد	طى	الطرماح بن حكيم	»	»	

جملة هذه القصائد ٤٩ قصيدة هي نخبة قصائد العرب في الجاهلية والاسلام وقد جمعها على هذا الترتيب أبو زيد القرشي في كتاب جمهرة أشعار العرب وقد طبع بمصر مشروحا . ولمحمد بن سلام كتاب في طبقات الشعراء قد ضاع . ويظهر مما نقل عنه في الاغانى والمزهر وغيرهما أنه أوفى كتاب في هذا الموضوع وقد رأينا في ما نقل عنه ذكر طبقة خامسة وسادسة ولا نعلم عمدته في ذلك التقسيم

تقسيمهم من حيث طبقاتهم

أما تقسيم الشعراء الى طبقات باعتبار الاجادة على الاجمال فامر غير ميسور لان نقدة الشعر لم يتفقوا في بعض هذا الموضوع فضلا عن كله كما سيأتى . على أننا وقفنا على تقسيم لشعراء الجاهلية استخرجناه من كتاب طبقات الشعراء لاسكندر ابكاربوس المطبوع في بيروت ولم يذكر على من كان معوله فيه . واليك ذلك في جدول وذكرنا بجانب كل شاعر اسم قبيلته وبلده وسنة وفاته على التقريب

١ - شعراء الطبقة الاولى

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
امرؤ القيس الكندي	كندي	من أهل نجد	م ٥٣٩
أمية بن أبي الصلت	الثقفي	» الطائف	» ٢
بشر بن أبي حازم	الاسدي	» نجد	م ٥٣٠
الحارث بن حلزة	البشكري	» العراق	م ٥٦٠
زهير بن أبي سلمى	المزني	» نجد	» ٩
النابعة الذيباني	الذيباني	» الحجاز	٠٠٠
طرفة بن العبد	البكري	» البحرين	م ٥٥٢
عبيد بن الابرص	الاسدي	» نجد	م ٦٠٥
المهلهل عدى بن ربيعة	التغلي	» نجد	» ٥٠٠
عدى بن زيد	العبادي	» الحيرة	» ٥٩٧
عمرو بن كلثوم	التغلي	» الجزيرة	» ٥٧٠
عنترة بن شداد	العبيسي	» نجد	» ٦١٥
ليبد بن ربيعة	العامري	» العراق	» ٤١
أعشى قيس	الاسدي	» اليمامة	» ٧

٢ - شعراء الطبقة الثانية

سنة الوفاة	وطنه	نسبه	اسم الشاعر
م ٥٦٦	من أهل يثرب	الايوسي	احيحة بن الجلاح
٥٦٠	» اليمن	القيمي	أوس بن حجر
٥٦٠	» العراق	الدارمي	الاسود بن يعفر
٥٢٥	» اليمن	القيمي	البراق بن روحان
٠٠٠	» نجد	السلمية	تماضر بنت عمر الحنساء
ادرك الاسلام	» نجد	العامري	عم بن أبي مقبل
م ٥٣٠	» تهامة	الفهمي	تأبط شراً
٥١٠	» اليمن	الازدي	الشنفري
٠٠٠	» نجد	العبيسي	الخطيئة
م ٥٥٠	» البحرين	الضبيعي	المنلس
٥٦٩	» نجد	الطائي	حاتم
م ٥٧٠	» العراق	البكري	الحارث بن عباد
٥٤	» يثرب	الانصاري	حسان بن ثابت
م ٥٢٠	» العراق	الايادي	أبو دؤاد
٥٧٠	» نجد	العامري	خداش بن زهير
٥٩٥	» نجد	السلمي	خفاف بن ندبة
٥٢٦	» الحجاز	الهدلي	خويلد بن خالد
٥٨	» نجد	الجشمي	دريد بن الصمة
م ٥٩٠	» نجد	العبيسي	الربيع بن زياد
٥٠٠	» نجد	الضبيعي	المرقش الاصفر
٠٠٠	» اليمن	السعدي	المخبل ربيعة بن مالك
٥٢٨	» نجد	الضبي	ربيعة بن مقروم
م ٥٦٠	» الحجاز	الايوسي	السموأل بن غريص
٥٢٠	» اليمن	القيمي	سلامة بن جندل
٠٠٠	» أهل يثرب	الايوسي	أبو قيس بن الاسلت
م ٥٠٠	» الحجاز	الهدلي	طامر بن حليس

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
عبد الله بن رواحة	الانصاري	من يثرب	٨
النايفه الجعدي	الجعدي	» نجد	٠٠٠
عروة الصماليك	العبيسي	» نجد	٥٩٦ م
علقمة بن عبدة	التميمي	» نجد	» ٥٦١
عمرو بن احرر	الباهلي	» نجد	٤١
عمر بن الاهم	التميمي	» نجد	٥٧
عمرو بن قبيصة	البكري	» العراق	٥٣٨ م
قيس بن الخطيم	الاوسي	» يثرب	» ٦١٢
كعب بن زهير	المزني	» نجد	٢٤
متمم بن نيرة	اليربوعي	» اليمن	٠٠٠
المتنخل بن عويمر	الهدلي	» الحجاز	٦٠٠ م
المنقب العبدى	العبيدي	» العراق	» ٥٢٠
المسيب بن علس	البكري	» العراق	» ٥٨٠
الشاخ بن ضرار	السعدي	» نجد	١٨
معن بن اوس	المزني	» تهامة	٢٩
المتنخل بن الحارث	اليشكري	» العراق	٠٠٠
المن بن توبل	المكلي	» نجد	٢٥

٣ - شعراء الطبقة الثالثة

أمية بن الاسكر	البكري	من الحجاز	٠٠٠
اياس بن قبيصة	الطائي	» العراق	٦١٠ م
حاجز بن عوف	الازدي	» الحجاز	» ٥٩٠
الحارث بن ظالم	المري	» نجد	» ٦٠٠
سليك بن السلكة	السعدي	» اليمن	» ٦٠٥
زهير بن جناب	الكلابي	» »	? ٥٦٠
زيد الخيل	النبهاني	» نجد	٠٠٠
المزق العبدى	العبدى	» اهل العراق	٤٨٠ م
الفند الزماني	الزماني	» البجامة	٥٣٠ م

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
عامر بن الطفيل	العامري	من نجد	١١ هـ
العباس بن مرداس	السلمي	» »	١٦ هـ
عبد الله بن العجلان	النهدى	» اليمن	٥٦٦ م
عمرو بن معدي كرب	الزبيدي	» »	٢١ هـ
قيس بن زهير	العبسي	» نجد	٠٠٠
لقيط بن زرارة	الدرامي	» اليمن	٥٨٢ م
مالك بن نويرة	اليربوعي	» »	٠٠٠
المستوغر بن ربيعة	السعدى	» »	٥٧٠ م
يزيد بن ورقاء	اليربوعي	» »	١٧ هـ

ومجموع هؤلاء ٧٥ شاعراً وقد فات المؤلف نحو هذا العدد ذكرهم الاغانى وغيره

١٠ - خصائص الشعر الجاهلي على الاجمال

١ - تمثيل الطبيعة

فطر العرب الجاهلية على البساطة والبعد عن التصنع أو التعمل في كل شيء شأن أهل البادية لبعدهم عن شوائب المدنية فهم على الفطرة الطبيعية وضواياها الصدق بكل معانيه ويدخل فيه استقلال الفكر والشجاعة الادبية والصراحة في القول والعمل . فلا يتكلفون في لباسهم ولا طعامهم أو شرايبهم ولا يتصنعون في كلامهم وإنما يقولون ما يخطر لهم ويصورونه كما يتمثل تخيلتهم بلا تنميق أو تأنق - يدلك على ذلك ما ظهر من حريرتهم في أقوالهم في صدر الاسلام يوم كان احداهم يخاطب الخليفة كما يخاطب سائر الناس واذا رأى فيه عوجاً انتقده بوجهه والخليفة لا يري غرابة في انتقاده

أضف الى ذلك تعودهم الاستقلال في شؤونهم الشخصية والادارية ونفورهم من التقييد بشيء حتى المسكان فانهم لا يتوطنون صقماً بل يجعلون منازلهم على ظهورهم لا يحملون ضيماً ولا يصبرون على ظلم . فتمكنت الحرية من طباعهم حتى ظهرت في اقوالهم وافكارهم وفي أشعارهم . فاذا طرأ لهم خيال شعري صوروه كما يتخيل لهم خلافاً لما تقتضيه الحضارة من التكلب وغيره من ثمار الذل والانكسار مما تراه في أقوال الشعراء بعد ان استبحر عمران الدولة وكثر المتعلقون والمنكسبون بالنجمة والزلفى -

أما الجاهليون فالقاعدة في النظم عندهم بيت شاعرهم وحكيمهم زهير ابن أبي سلمى وهو :
وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا (١)

وصف الحب

قالبدوى اذا تبعه الحب وأراد التعبير عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به
تماما فاذا سمعه منم شعر مثل شعوره . فهو لا يبالي بضعفه من الوجد حتى يزعم
أنه صار خيالا أو طيفاً كقول المتنبي « لولا مخاطبتي إياك لم ترني » أو قول ابن
الفارض : « ما له مما براه الشوق في » ولا يبالي ببيكاته وزفيره حتى يزعم أنه غرق في
بحر دمه او احترق بنار زفيره ولكنه يقول قول مجنون بنى عامر - وهو معدود
من شعراء صدر الاسلام لكنه بدوى في طباعه . وان لم يصح ان المجنون اسم على
مسمى كما سيأتي - فالشعر يعبر عن تصور أهل البادية . وبما ينسب اليه قوله :

تذكرت ليلي والسنين الخوالي	وأيام لا أعدى على الدهر عاديا
فما أنشرف الايفاع الا صباية	ولا أنشد الا شعار الا تداويا
وعهدى بليلى وهي ذات موصل	ترد علينا بالعشي المواشيا
فشب بنو ليلي وشب بنو ابنها	واعلاق ليلي في فؤادي كما هيا
اذا ما جاسنا مجلساً نستلذه	تواشوا بنا حتى أمل مكابيا
خيللي لا والله لا أملك الذي	قضى الله في ليلي ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها	فها بشيء غير ليلي ابتلانيا
وخبرتماني ان تيماء منزل	ليلي اذا ما الصيف أتى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت	فما للنوى ترمي بليلى المراميا
فيارب سو الحب بيني وبينها	يكون كفاقا لا على ولا ليا
فما سميت عندي لها من سمية	من الناس الا بل دمعي ردائياً
ولا هبت الريح الجنوب لارضها	من الليل الا بت للريح جانبا
فأشهد عند الله اني أحبها	فهذا لها عندي فما عندها ليا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة	وقد عشت دهرأ لأعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلي	أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ومثل ذلك قول ابن الدمينية :

فديتك أعدائي كثير وشقتي بعيد وأشياعي اليك قليل

وكنت اذا ماجئت جئت بعملة فاقنيت علاني فكيف أقول
فما كل يوم لي بارضك حاجة ولا كل يوم لي اليك وصول
فلا يسمع محب هذه الايات وأمثالها الا رأى الشاعر يعبر عن شعور صحيح

في الرثاء

ويقال نحو ذلك في سائر اغراضهم من الشعر فاذا رثى الجاهلي ميتاً لا يوم
الغازي. ان السماء طبقت على الارض وان الشمس كسفت والدنيا لبست الحداد ونحو
ذلك ، ولكنه يقول قول جليلة زوجة كليب ترثيه وقد قتله أخوها جساس :

يا قتيلاً قوض الدهر به سقف بيتي جميعاً من عل
ورماني ففده من كئيب رمية المصمى به المستأصل
هدم البيت الذي استحدثته وسعى في هدم بيتي الاول
مسنى فقد كليب بلظى من ورأى ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن انما يبكي ليوم ينجلي
درك الثائر شافيه وفي دركي فأرى تنكل المشكل
ليته كانت دماً فاحتلبوا دركامه دمي من أكلحلي

في الهجو

واذا أراد أن يهجو فهجوه معقول بعيد عن البذاء والفتش وعندم أشد الهجاء
اعفه واصدقه وما خرج عن ذلك فهو قذف واغشاش . ومن أشد الهجاء عندهم قول
زهير بن ابي سلمى في آل حصن على سبيل التشكك والتجاهل :

وما أدري وسوف أخال أدري أفوم آل حصن أم نساء
فان تكن النساء مخبات فحق لكل حصنة هداء (١)

وذكروا ان النابغة سألت قومه بني ذبيان بعد واقعة حسي عما قالوه في عامر
ابن الطفيل فأنشدوه . فقال أفحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك
ولكنني سأقول - ثم قال :

فان يك عامر قد قال جهلاً فان مطية الجهل السباب
فكن كأبيك أو كأبي براء تصادفك الحكومة والصواب
فلا بدعيب بلبك طائشات من الخيلاء ليس لمن باب
فانك سوف تحكم أو تناهي اذا ما شبت أو شاب الغراب

فان تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لفائك ما أصابوا
فما ان كان من سبب بعيد ولكن ادركوك وهم غضاب
فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه وقال « ما هجاني أحد حتى هجاني النابغة
جماني القوم رئيساً وجملني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي »
ومن لطيف نجافهم عن الهجو ما قاله صخر بن عمرو أخو الحنساء وقد أراد
رثاء اخيه معاوية فقالوا له أهج قتلته فتعفف وقال :

وقالوا ألا تهجو فوارس هاشم ومالي واهداء الخني من شماليا
فعب عن الهجو باهداء الخني وهو تعبير جميل
واذا نحس الجاهلي أو تفاخر فلا يجعل قومه آلهة وسوام أبالسة وإنما يقول
قول قريظ بن انيف من شعراء بلعبر :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي	بنو اللقيطة من ذهل بن شيانا
إذا لقام بنصري معشر خشن	عند الحفيظة ان ذو لوثه لانا
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم	طاروا اليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخام حين يندبهم	في الثائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوى عدد	ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مفرة	ومن إساءة أهل السوء احسانا
كأن ربك لم يخلق لحشيتنه	سوام من جميع الناس انسانا
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا	شدوا الاغارة فرساناً وركبانا

في الوصف

وكانوا اذا وصفوا حادثه مثلوها بلامغلاة في المجاز والكناية كما يفعل المتأخرون
وهذا وصف أبي ذؤيب لحر الوحش وصائدها كيف ترد الحمر وكيف يحتمل
الصيد في صيدها قال :

فوردن والعيوق مقعد رابيء ال	ضرباء خلف النجم لا يتنلع
فشرعن في بجرة عذب بارد	حصب البطاح تغيب فيه الا كرع
فشر بن ثم سمعن حساً دونه	شرف الحجاب ورب فرع يقرع
فسكرنه فنفرن فامترست له	هو جاء هادية وهاد جرشع
فرمى فأنفذ من نحوص طائط	سهماً فخر وربشه متصمع
فبدا له اقرب هاد رائعاً	عنه فعيث في الكنانة يرجع

فرمى فألحق صاعدياً مطحراً بالكشح فاستعملت عليه الاضلع
 فأبدهن حتوفهن فهارب بدمائه أو بارك متجمع
 واذا وصف أحدهم حيواناً أو مكاناً أو امرأة تحدى تصور الطبيعة كما هي ولو
 اضطر الى ذكر بعض الاعضاء التي يعد ذكرها من قبيل البذاء - يفعل ذلك لا تهسكا
 وانما هو يصف الطبيعة كما هي على عادته في سائر الامور . وأحسن الامثلة في وصف
 المرأة على النحو الذي تقدم قصيدة النابغة في المتجردة التي مطلعها
 × أمن آل مية رائح أو مفتدى عجلان ذا زاد وغير مزود
 وقصيدة البتيمية في دعد ومطلعها :

هل بالطلول لسائل رد أم هل لها بتكلم عهد (١)
 وهما مثل قصيدة سابان الحكيم في وصف ملكة سبأ المعروفة بنشيد الاناشيد
 - وهو مذهب جماعة من شعراء عصرنا وكتابه في اوربا يمثلون الطبيعة كما هي
 ويعرفون باصحاب الحقيقة Realistes ومنهم زولا وطولستوى
 على ان الجاهليين لا تخلو اشعارهم من التشبيه والمجاز أو الكناية ولكنهم
 يفعلون ذلك بلباقة كقول عنتره يصف ذباب الروض :

وخلا الدباب بها فليس يبارح غرداً كفعل الشارب المترنم
 هزجاً بحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجزم

٢ - البلاغة في التركيب

× ان لغة الجاهلية على الاجتهاد لا تزال مثال البلاغة حتى الآن لبعدها عن
 مفاصد العجمة وهي معروفة بمخلوها من الحشو وليس فيها من زخارف المدنية
 كالبديع والجناس ولا المجاز أو الكناية الا بقدر الملح من الطعام . أما ما نجد في
 بعض اشعار الجاهلية من التعقيد فسيبه غرابة بعض الالفاظ على مفهومنا وبعد بعض
 التراكيب عن مألوفنا ولا بد لمن يطالع تلك الاشعار من تفهم الالفاظ والتمود على
 أساليبها فاذا فعل ذلك هان عليه فهمها . فمن يقرأ قول امرئ القيس في قصيدته
 التي يصف بها الفراق وناقته وفرسه فيصل الى قوله ؟

وانك لم تقطع لسانه طالب بمثل غدو أو رواح مؤوب
 بادماء حرجوج كأن قنودها على ابلق الكشجين ليس بمغرب
 يجد غرابة في تركيب الالفاظ ولا يفهم المراد لكنه متى علم ان الادماء الناقة

(١) نشرت هذه القصيدة في السنة ١٤ من الهلال صمحه ١٧٤ مع سبب نظمها

البيضاء والخرجوج الطويلة على الارض وأبيض الكشجين حمار الوحش . والمغرب
الايض الوجه والاشفار وذلك عيب في اصطلاحهم أدرك مراد الشاعر من البيت
الثاني وقس عليه سائر التفسير

ان البلاغة فطرية في عرب البادية شعراً ونثراً . وكان العرب في صدر الاسلام
يتمثلون باقوال الاعراب المعاصرين لهم لما فيها من البلاغة والايجاز من السهل الممتنع
وقد نقل ابن عبد ربه طائفة حسنة منها في عدة صفحات يباب كلام الاعراب في
في الجزء الثاني من كتابه «العقد الفريد» فليراجع هناك وفي سائر كتب الادب .
فاذا طالعها رأيت نفوساً كبيرة وعقولا راجحة لما فيها من الحكمة والموعظة
وصدق النظر

على انك نجد في كلام الاعرابي جفاء واغراباً وخشونة في اللفظ لتعوده مخاطبة
الابل (١) وليست الخشونة في شعراء الجاهلية على الاجمال وانما هي تكثر في أهل
الجبال والبادية الوعرة الذين لم يخالطوا أهل الحضارة مطلقاً فيكون ذلك من تأثير
البيئة . فان شعر عدى بن زيد وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجريروهما
اسلاميان لملازمة عدي الحضارة وايطانه الريف وبعده عن جلالة البادية وجفاء
الاعراب (٢)

على ان الشعر يختلف وقته وخشوته باختلاف النرض منه فشعر العاشق أرق
من شعر الفارس وشعر الحضارة أطف من شعر البداوة

٣ - مذاهبيهم وأساليبهم

لا يتقيد الجاهلي في نظمه بمقدمة أو تمهيد كما يفعل غيره من شعراء المدنية بعد
الاسلام من استهلال القصائد بالنسيب والنزل ونحوها . لكنه يصدر القصائد الطويلة
غالباً بذكر المنازل والاطلال ويبكي على الطلول وذلك طبيعي عندهم لانهم أهل رحلة
لا يقيمون في المكان حيناً حتى ينزحوا عنه إما فراراً من عدو أو التماساً للرعى
أو الماء أو نحو ذلك كقول امرئ القيس :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

وقوله :

« ألا عم صباحاً أيها الطلال البالي »

أما المولدون أو المحدثون فانهم يصدرون قصائد المدح أو غيرها بذكر الحبيب

والشوق والوجد والوصل وليس هناك حيب ولا وجد كما سنيين ذلك
والجاهلي اذا عمد الى النظم في الفخر بدأ به أو ذكر المنازل وتخلص له . ويندر
فيهم من يفعل غير ذلك كقصيدة عنزة الفخرية التي يبدأ فيها بذكر الصبا واللهو
والفزل والاعين النجل في ييتين ثم يتخلص الى الفخر كقوله :

من لي رد الصبا واللهو والنزل ههنا ما فات من أيامك الاول
طوى الجديدان ما قد كنت انشره وأنكرتني ذوات الاعين النجل
وما نني الدهر عزمي عن مهاجمة وخوض معصية في السهل والحيل

ولكن هذه القصيدة يغلب أنها موضوعة بعد الاسلام لواقع الفضة
وقد يستهل الجاهلي شعره بمخاطبة خليله في بيت أو شطر ثم يستورد الى
الموضوع الذي يريد . أو يبدأ بطلب الاخبار بدون أن يذكر الخليل كقول امرئ
القيس قبيل وفاته في سفح جبل عسب :

ألا أبلغ بني حجر بن عمرو وأبلغ ذلك الحى الحدبدا
بأني قد هلكت بأرض قوم سحيقاً من دياركم بعيداً (١)

وقوله بمكان آخر :

ألم يخبرك ان الدهر غول ختور العهد ياتهم الرجالا (٢)
وقد يتكلم بالثني كأنه يخاطب اثنين كقول عبد يفيث .

ألا لا تلوماني كفي اللوم ما بي فما لكما في اللوم نفع ولا لي
ألم تعلمنا ان الملامة نفعها قليل وما لومي أخي من شمالي

ومن مذاهبهم طرد الخيال وهو مذهب كثيرين منهم ولكن طرفة بن العبد أول
من طرقه فقال :

فقل لخيال الخنظلية ينقلب اليها فاني واصل جبل من وصل (٣)
وفي مقدمة ابن خلدون أمثلة كثيرة من بدايات الجاهلية في النظم من أراد
التوسع بالأمثلة فليراجعها هناك (صفحة ٥٠١)

ولكن الغالب في نظمهم ان يبدأوا بالفرض المراد رأساً فان كان فخراً فبالفخر
أو حماسة فبالحماسة أو غزلاً فبالفزل أو رثاء فبالرثاء . ومن مرأى المهلهل لآخيه
كليب قصيدة مطلعها :

(١) شعراء النصرانية ٣٤ (٢) شعراء النصرانية ٦١

(٣) العمدة ١٠١ ج ٢

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها ان أنت خلتها فيمن بخليها (١)
ومرثاة أخرى مطلعها :

ان تحت الاحجار حزماء وعزما وقتيلا من الاراقم كهلا
قلته ذهل فلست براض أو نبيد الحين قيساً وذهلا
وقس عليه غيره من الاغراض . على أن بعضهم يستهل بالحكم ليتخلص للمدح
أو الرثاء وبعضهم يتغزل أو يشبب وهم قليلون ولهم اسماء اناث يتغزلون بها يسمونها
عرانس الشعر كقطام وهند ودعد وغيرهن

٤ - ابواب الشعر عندهم

ان ابواب الشعر اليوم تعد بالعشرات لم يكن منها في الجاهلية الا الفخر والحماسة
والنشيب والمدح والهجاء . وتفرع من المدح الرثاء وهو مدح الميت . والاصل في
المدح والهجاء الدفاع عن القبيلة والوطن في اعدائها - ذلك كان غرض الجاهليين من
المدح والهجاء فكثر مدحهم في قبائلهم ورؤسائها وفرسانها ليس على سبيل الاستجداء
الا قليلا وكانت قصائدهم في ذلك قصيرة . وقلما رثوا غير اخوتهم وأخواتهم أو ابنائهم
أو بعض أهلهم مدفوعين بالشعور الطيبين ولذلك كان لرثائهم وقع في النفس كقول
تلك الاعرابية في رثاء ابنها :

من شاء بمدك فليمت فعليك كنت احاذر
كنت السواد لناظري فعمى عليك الناظر
ليت المنازل والديا ر حفار ومقابر
انى وغيرى لا يحا لة حيث صرت لصار

أما المدح فامدح الجاهليين زهير والاشعبي فمن أمثله مدح زهير بالكرم قوله :

أخي ثقة لا تهلك الحمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه اذا ما جثته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله
فن مثل حصن للحروب ومثله لانكار ضيم أو تلخصم بجادله

وقد يبالغون ولكنهم لا يخرجون عن المعقول كقول زهير :

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
قوم سنان أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
إنس اذا أمنوا جن اذا فزعوا مرزؤن بهاليل اذا جهدوا

محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا
وقص على ذلك سائر الاغراض

على ان في منظوماتهم كثيراً من الشعر الوصفي وأكثره في وصف حيواناتهم
ومنازلهم وأدواتهم وفي وصف اخلاقهم ومناقبهم ومثالبهم ومفاخرهم ووقائعهم .
وفيهم طبقة من الوصافين اشتهروا بوصف الخيل خاصة وآخرون بوصف الناقة أو
حمار الوحش أو القطا أو غيرها وسنعود الى تفصيل ذلك في مكانه

٥ - التمثيل بحيواناتهم وعاداتهم

قد صور العرب الجاهلية عاداتهم وحيواناتهم وأدواتهم في اشعارهم كما صورها
المصريون والاشوريون واليونان والرومان على قصورهم ومعابدهم . وكما استخرج
علماء الآثار عادات تلك الامم وأخلاقها من آثارها المنقوشة أو المنحفورة فالباحث
في شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وآدابهم وأخلاقهم وطبائعهم وسائر
أحوالهم . ولذلك قال ابن خلدون « ان الشعر ديوان علوم العرب وأخبارهم وشاهد
صوابهم وخطئهم واصل يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم » ونزيد على
ذلك « انه مستودع عاداتهم وأخلاقهم وأدواتهم وصنائعهم » وقد درس هذا
الموضوع جرجي افندي بنى الطرابلسي صاحب المباحث ونشر فيه مقالة ضافية
في المقتطف سنة ١٣ و ١٥ بعنوان « العرب قبل التاريخ » ودرسه أيضاً محمد بك
المبولحي وله مقالة في « رموز العرب وتخييلاتهم » نشرت في المقتطف سنة ١٩
استخرج فيها عاداتهم ومعتقداتهم من أشعارهم

والعرب يتغزلون بحيواناتهم ويتمثلون بها وخصوصاً الناقة والفرس والقطا والحمام
ويغلب فيهم ان يذكروا الحمام في الغزل والناقة في السفر والخيل في الحرب

٦ X - انفاخرة والمعاظلة والمقارعة

كان العرب في جاهليتهم أهل اباة واستقلال وفخر فقامت المفاخرة بين قبائلهم
وأحيائهم وأصبحوا يتنافسون بكل شيء حتى في المصائب وهي المعاظلة . أشهرها
معاظلة الحنساء وهند بنت عتبة فكانت الحنساء تأتي الموسم وتبكي أباهم وأخويها وقد
سومت هودجها براية وتقول « أنا أعظم العرب مصيبة » فأصيبت هند بنت عتبة
المذكورة في واقعة بدر فقتل أبوها وعمها وأخوها فلما بانها ما قالت الحنساء قالت
« أنا أعظم العرب مصيبة » وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بمكاظ وقالت

« اقرنوا جملي بجمل الحنساء » ففعلوا فلما تقاربنا تعارفنا وتعاظلتنا نظماً ونثراً (١)
 فاذا كان هذا شأن التنافس بين طامة الناس فأحرى به ان يكون بين الشعراء .
 ومن أنواعه المقارعة على الاحساب كالتي جرت بين عامر ولييد والاعشى من جهة
 وعلقمة والحطيئة وقتيان من بني الاحوص من جهة أخرى وأخذوا يتناشدون في
 المقارعة في حديث طويل (٢)

ومن هذا القبيل المنازعة بين قبيلتين أيهما أشعر كما جرى بين عمر بن أبي ربيعة
 والفضل بن العباس اللهي في المسجد الحرام فأخذ كل منهما يورد اشعاراً لابناء
 قبيلته ويبرهن أنها احسن مما قاله الشعراء من تلك القبيلة (٣)

ولما جاء الاسلام ذهبت عصبية القبائل وصارت المفاخرة بين المهاجرين
 والانصار (٤) وعندهم أيضاً المراجعة بالرجز ومنها المناشدة بالاشعار

٧ - الانفة والعفة

كان العربي في الجاهلية صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويفار على العرض اذا قال
 فعل واذا وعد وفي واذا اضطر الى رهن في أمر عظيم رهن قوسه - ولا قيمة للقوس
 بنفسها ولاكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم بما رهن له مهما كلفه (٦)

ولم يكن أشد منهم غيرة على العرض وفي أخبارهم ما لا يحصى من الدفاع عن
 المرأة وعرضها وكثيراً ما انتشبت الحرب في هذا السبيل . وقد كان سبب الحرب
 التي قتل فيها زهير بن جذيمة العبسي ان ابنه شاساً اغتسل بجانب أبيات لبني غني بماء
 لبني عامر فناداه رجل غنوي ان يستر فلم يحفل به فرماه بسهم فقتله وجر ذلك الى
 حرب قتل بها زهير المذكور وغيره

وكانوا يفتخرون بالعفة خلافاً لما صارت اليه طبائعهم بعد ان استبحر عمرانهم من
 التهلك والقصف . وتميلاً للفرق بين الحاليين قابل ما قاله عنزة بما قاله أبو نواس -
 قال عنزة :

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها
 وقال أبو نواس :

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

(١) الاغانى ٣٥ ج ٤ (٢) طالع في الاغانى ٥٥ ج ١٥ (٣) الاغانى ٨ ج ١٥

(٤) الاغانى ١١٣ ج ١٥ (٥) الاغانى ١٠٠ ج ٧

(٦) القد الفريد ٥٢ ج ٣

والباعث والناس قد رقدوا حتى أتيت حليمة البعل
ولذلك قل التهنك في تغزلهم . وبعض القبائل تعد الغزل رذيلة (١) وتجد ذلك
ظاهراً في أشعارهم فالجاهل متعفف بالفاظه وأخلاقه بعيد عن الفحش في القول أو
السباب الا ما يرى به تمثيل الطبيعة كما تقدم

٨ - لا يستجدون

الجاهلي لا ينظم النمسا لاطماء وانما هو ينظم لداع يحركه اما دفاعاً عن عرض
أو تحمساً لحرب أو تشكياً من الفراق أو بكاء على فقيد أو نحو ذلك . وقد يمدح
ولكن مدحه يكون على الغالب شكراً على صنيع لا استدراراً لجائزة كما صار
اليه الشعراء في الاسلام بالتقرب والتزلف . وكان موضوع مدائح الجاهليين
حكماهم وأمراءهم كهرم بن سنان وطامر بن الظرب والاقرع بن حابس وربيعة بن
مخاشن وغيرهم

فقد مدح زهير هرم بن سنان ومدح غيره ليس للاستجداء . على ان بعضهم
اتبع مدحهم وأول من فعل ذلك الاعشى وتمثل به بعض الجاهليين في مدح المأذرة
أو الفساسة أو بعض أمرائهم وأشهر المداحين في الجاهلية الاعشى والربيع بن زياد
والثابتة الذبياني والمنخل البشكري وأبو زيد الطائي ومعن بن اوس وزهير بن أبي
سلمى والحطيئة . وسنأتي على أخبارهم في أماكنها

٩ - منزلة الشاعر في الجاهلية

كان للقبيلة عدة شعراء تقدم واحداً منهم تسميه شاعر القبيلة . وهي تتم باعداد
الشاعر لها كما تتم باعداد القائد والخطيب . فيقال ان قائد القبيلة الفلانية فلان وفارسها
فلان وشاعرها فلان (٢) لان الشعراء حماة الاعراض وحفظة الآثار ونقلة الاخبار.
وربما فضلوا نبوغ الشاعر فيهم على نبوغ الفارس ولذلك كانوا اذا نبغ فيهم شاعر
من قبيلة أنت القبائل الاخرى فهنأتها به وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر
كما يصنعن في الاعراس وتبأشر الرجال والولدان لاعتقادهم انه حماية لاعراضهم
ودفاع عن أحسابهم وتخفيف لما آثرهم واشادة لذكورهم (٣) وفي الواقع ان ما بقي لنا
من اخبار العرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم وأخلاقهم انما هو منقول عن اشعارهم
وكانوا يوسطون الشعراء في الاسترضاء أو الاستعطاف أو يجعلونهم وسيلة لاثارة

(١) الاغانى ١١١ ج ٧ (٢) الاغانى ١٤٦ ج ٤ (٣) الزهر ٢٣٦ ج ٢

الحروب فيكون الشاعر لسان حال القبيلة يعبر عن غرضها وينطق بلسانها شأن الصحف الرسمية اليوم. فان الصحيفة الرسمية اذا قالت قولاً علم الناس ان الحكومة تريد. وهذا هو سبب ما كان يظهر من تأثير الشعر في السياسة. ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها والقيام بما يحتاج اليه واكرامه وتقديمه

ولم يكونوا يقدمون الشاعر لانه يدافع عنهم فقط ولكنهم كانوا يجلبون الشعر نفسه لما كان له من الوقع في نفوسهم. يدلك على ذلك تعليق المعلقات باستار السكبة اجلالاً لها (١) وسعود الى ذلك

١٠ - تأثير الشعر في نفوس العرب

قد علمت مما تقدم ان طبيعة العرب شعرية لانهم ذوو نفوس حساسة وشعور دقيق تفعدم الكلمة وتقيمهم شأن أهل الفروسية والنجدة المعبر عنهما عند الافرنج بالشفاليري. وكان العرب على الاجمال أهل حافظه اذا أعجبهم البيت حفظوه وتناقلوه فيشبع على السننهم كباراً وصغاراً ويتحدثون به في انديتهم ومجتمعاتهم. فاذا كان هجواً سقط المقول فيه واذا كان مدحاً رفع. ولكن الهجو كان غالباً في محفوظهم وقد وفق بعض الشعراء بشيوع أشعارهم لحفتها وشاعريتها. وكان الاعشى من أسير الناس شعراً وكذلك زهير والنايفه وامروء القيس

فالقبيلة اذا هجاها شاعر فحل حط الهجو منها خصوصاً اذا كان الهجو مطابقاً للواقع والا رد شاعرها عنها فتعود الى مقامها. وليس في العرب قبيلة الا هجيت. فمن التي لم يؤثر الهجو فيها قبائل تميم وبكر وائل وأسد بن خزيمه وأمنالها. ومن القبائل التي أثر فيها الهجاء مع مقامها من الشجاعة احياء من قيس منهم غني وباهلة ومحارب واحياء من اد بن طابخة منهم تميم وعكل وغيرهما. وهناك قبائل كان حفظها من الشعراء الريح كبنو مخزوم من قريش

وكانت القبيلة اذا مدحت فاخرت سائر القبائل لاسيما اذا كان مادحها من غير ابنائها. ويحكى أن شعراء تميم كانوا يذكرون قيساً بالمدح والاعجاب فافتخرت قيس على تميم. وما زالت تميم منكسة ره وسها حتى قام ليبيد العامري وهو من قيس فذكر تميماً في شعره وأطراهاها وفعل ذلك شاعر آخر من قيس فتكلمت عند ذاك تميم وافتخرت (٢)

ومن أمثلة تأثير هجو الشعراء في القبائل شعر حط من قدر الجبطات وهم بطن
من تميم فقال الشاعر فيهم :

رأيت الحمير من شر المطايا كما الجبطات شر بني تميم
وهل أهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر :

ان أبانا فقحة لدارم كما الظليم فقحة البراجم
وقد أهلك بني المعجلان قول الشاعر :

إذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني المعجلان رهط ابن مقبل
قبيلته لا يقدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية إذا صدر الورد عن كل منهل (١)
وبشبه ذلك شعر جرير في بني تميم من عامر بن صعصعة في الدولة الاموية فانه
جعل كل تميمي اذا سئل عن نسبه قال إنه عامري وهذا هو البيت :

ففض الطرف إنك من تميم فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وبعكس ذلك ما أصاب بني أئف الناقة من الرفعة فقد كان الرجل منهم اذا
سئل عن نسبه قال من بني قريع وهو نسب آخر لم حتى قال الخطيب فيهم :
قوم هم الائف والاذناب غيرهم ومن بساوى بأئف الناقة الذنبا
فأصبحوا يفاخرون بقيبتهم

على ان الشعراء لم يكونوا يتعمدون هجاء غير القبائل الظاهرة الناهية فسلمت
القبائل الحاملة من هجوهم . وشأنهم في ذلك مثل شأن الصحف السياسية في
البلاد الحية . فان الاحزاب يهجمها انحياز احدى الصحف المهمة الى جانبها كما كان يهجم
القبيلة أو الجماعة في الجاهلية أن ينصرها شاعر مشهور فتبذل له ما يريد في سبيل
نصرتها . ولذلك فان الاعشى لما وفد على النبي ومدحه فبلغ أبا سفيان عدوه ذلك
فجمع رجال قريش وقال لهم « والله لئن أتى محمداً واتبعه ليضرم عليكم نيران
العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل » ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده (٢)

وكان لشعر الاعشى تأثير كبير في النفوس وبحكى من هذا القبيل أن رجلاً من
مكة اسمه المحلق كان له ثلاث بنات لم يزوجهن وهو معسر . وجاء الاعشى مكة
فسمعت امرأة المحلق به فحنت زوجها ان يدعوه للضيافة قبل سواه وبذبح له لانه
إذا قال شعراً شاع . فدعاه المحلق ونحر له الناقة وبالفت المرأة في اكرامه واكرام

رفاقه وكان في عصاة قيسية . فلما جرى الشراب في عروقه سأل المخلق عن عياله فشكا له حال بناته . فأصبح في اليوم التالي وهو ينشد في عكاظ قصيدة مطلعها :

ارقت وما هذا السهاد المأورق وما بي من سقم وما بي معشوق
ثم تخلص الى مدح المخلق واطرائه في السخاء وكرم الاخلاق والناس بسمعون
فلما فرغ من الانشاد انسل الناس الى المخلق بهنثونه وهرع الاشراف من كل
قبيلة يتسابقون اليه بخطبون بناته فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل
من أيها الف ضعف (١) وكذلك فعل مسكين الدارمي في انفاق الحمر السود (٢)
ومن شدة تأثرهم من الشعر ان الشاعر ربما لقب بلفظ ورد في بيت من أشعاره كما
لقب المرقش والنايفة والمخرق واقنون وغيرهم (٣) حتى في الغناء فان السامع ربما تأثر
من معنى الشعر أكثر من نغمه

١١ - أشعر شعراء الجاهلية

ما برح العرب من صدر الاسلام مختلفين في من هو أشعر شعرائهم ولهم في ذلك أقوال كثيرة . على أن تفسيم الشعراء الى طبقات قد يعد حكماً اجمالياً على نظرهم فيهم . ويستدل منه أن اصحاب المعلقة هم أشعر الشعراء في حكمهم وأشعر هؤلاء ثلاثة امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى والنايفة . وقد اجمعوا تقريباً على تفضيلهم وانما اختلفوا في من هو أشعرهم اختلفا كثيراً قال أبو عبيدة : « أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ القيس وزهير والنايفة فان قال قائل ان امرؤ القيس ليس من أهل نجد فلعمري ان هذه الديار التي ذكرها في شعره ديار بني أسد ابن خزيمه . وفي الطبقة الثانية الاعشى ولييد وطرفة » وقيل ان الفرزدق قال امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير النايفة أشعر الناس وقال الاخطل الاعشى أشعر الناس وقال ابن احمر زهير أشعر الناس . وقال ذو الرمة لييد أشعر الناس . وقال ابن مقبل طرفة أشعر الناس . وقال الكمي عمرو بن كلثوم أشعر الناس . والقول الراجح ما قال أبو عبيدة : امرؤ القيس ثم زهير والنايفة والاعشى ولييد وعمرو وطرفة

على أننا نرى في الحكم على شاعر أنه أشعر أهل زمانه على الاطلاق حيفاً إذ قد ينفرد كل شاعر بمزية تفضله على سواه فيجيد أحدهم في الحماسة وآخر في المدح أو الغزل أو الفخر أو غير ذلك من أغراض الشعر . وعلى ذلك قالوا « أشعر الشعراء

(١) العمدة ٢٥ ج ١ (٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٩ ج ٣

(٣) لطائف المعارف ١٧

أربعة : زهير اذا طرب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا غضب وعترة اذا كلب (١)
(أي غضب)

والذي عليه الاكثر في وصف أصحاب المعلقات ان امرأ القيس صاحب
النصيب الاوفر في الشعر لان الشعر في تعبيرهم كان جملاً فنحراً فأخذ امرؤ القيس
رأسه . وان زهيراً يمتاز بأنه لا يعاقل بين كلامين ولا يتبع وحشي الكلام ولا
يمدح أحداً بغير ما فيه ولشعره ديباجة ان شئت قلت شهد ان مسسته ذاب (٢) وان
النابغة أوضح الشعراء معنى وأبعدهم غاية وأكثرهم فائدة . وان الاعشى أمدحهم
للملوك وأوصفهم للخمر وأقدرهم شعراً وأحسنهم قريضاً . وان لبيد أقلهم لغواً وعمرو
ابن كلثوم أعزهم نفساً وأكثرم امتناعاً واجودهم واحدة . وطرفة أشعرهم إذ بلغ
مع حدائته سنه ما بلغه القوم في طول أعمارهم

١٢ - رواية الشعر

من عادة العرب في رواية الشعر انهم كانوا في أيام الجاهلية اذا نبغ الشاعر
صحبه رجل يروي له أشعاره ويتلوها أو يروي له اشعار غيره للشاهد أو نحوه . ويغلب
في الراوية أن يكون مرشحاً للشاعرية كأنه تلميذ يتدرب على يد استاذه يأخذ
عنه . وكان عمدتهم في الجاهلية على الحفظ . لانهم لم يكونوا يكتبون فكان كثير عزة
راوية جميل بئنة وجميل رواية هدبة بن خشرم وهدبة كان راوية الخطيئة والخطيئة
راوية زهير وابنه (٣) وكان الراوية في الجاهلية وأوائل الاسلام يروي للشاعر
الواحد ويصحبه وينشد له ويعجب به اعجاب التلميذ باستاذه ويناضل عنه ويفضله
على سواه

وليست هذه العادة خاصة بالعرب فان اليونان القدماء كان عندهم اناس يروون الشعر
وغيره ويسمونهم Rhapsodist . أشهرهم في القديم رواة الياذة وتاريخ هيرودتس .
على أن بعض الادباء وأهل الذكاء من العرب كان يروي الشعر بغير التخصيص
لشاعر دون آخر . وانما كان يفعل ذلك رغبة في الادب والعلم . فقد كان في الجاهلية
أربعة من قريش كانوا رواة الناس للاشعار وعلماءهم بالانساب والاختبار وهم مخزومة
ابن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة . وابر الجهم بن حذيفة بن غانم بن طامر
ابن عبد الله بن عوف . وحويطب بن عبد العزى . وعقيل بن ابى طالب . وكان عقيل

(١) جهرة اشعار العرب ٢٦ (٢) جهرة اشعار العرب ٢٥ (٣) الاغانى ٧٨ ج ٧

أكثرهم ذكراً لمناقب الناس فمادوه لذلك وقالوا فيه وحقوه حتى الف بعض الاعداء فيه الاحاديث

١٣ - شعراء الجاهلية من حيث اغراضهم

قد تقدم ما للشعر الجاهلي من الخصائص التي يمتاز بها على الاجمال ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف اغراض الشعراء . فينقسم الشعراء من هذا القبيل الى مجاميع لكل منها غرض أو اسلوب أو منحى خاص . وسنوخى في تقسيمهم غير ما نراه في كتب القدماء فنقسم الشعراء بالنظر الى اغراضهم في النظم

قد علمت ان الشعراء الجاهليين الذين بلغت الينا اخبارهم نحو مئة شاعر وبعض المئة من القبائل على اختلاف اصولها . وكلمهم عرب الاواحداً كان عبداً لبني الحسحاس وهو اعجمي . فلا عجب اذا خلاص الشعر الجاهلي من العجمة لفظاً وتركيباً خلافاً لما آلت اليه حال الشعراء بعد الاسلام إذ نبغ فيهم طبقة من الموالي غير العرب كما سيجيء . فالشعراء الجاهليون كلهم عرب وأكثرهم من عدنان كما تقدم فمعظمهم أهل بادية ورحلة متشابهون بأخلاقهم وأغراضهم وأهمها في القرنين الاخيرين قبل الاسلام الحرب فيما بينهم يوم كان البدوي يبيت وسيفه أو رمحه ضجيعه كأنه يتحفز للهوض في الصباح للفرز والتماساً للرزق أو الفخر أو للتأثر . فيقتضي أيامه في الحرب أو يتأهب للحرب والشاعر لسان حال قبيلته أو مرآة أخلاقها وآدابها . فلذلك كان أكثر شعراء الجاهلية من أهل الحرب الفرسان الشجعان وقد اشتهر جماعة منهم في وقائع مشهورة نظموا فيها قصائد الحماسة أو الفخر . واذا اعتبرنا عدد شعراء الجاهلية مئة كان نصفهم من الفرسان وأهل الحرب واكثر اشعارهم في الحماسة والفخر . وبينهم طائفة من الملوك والامراء اى كانت لهم الرئاسة في قبائلهم وهي اكبر المناصب السياسية في ذلك العصر . ومنهم طائفة من الحكماء وأهل النقل والعلم والحكمة . وطائفة أخرى من العشاق المتيمين الذين هاج العشق شاعريتهم . وآخرون يدخلون في صف الفرسان لكنهم يخصصون بصفة مشتركة هي العدو والغزو ويسمونهم الصعاليك . ومنهم طائفة يجمعها طبيعة الهجو فيهم ميل الى المهاجاة والمعاظلة . وآخرون اقتصوا بوصف الخيل وغيرهم بالغناء . ومن الشعراء من يجمعهم المذهب وأخيراً النساء الشواعر وهناك طائفة لا تدخل في احدى هذه الطبقات

فهذا تقسيم الشعر من حيث اغراض الناظمين وطبائعهم ومراتبهم لكن علماء الشعر تعودوا تقديم اصحاب المعلقات على سواهم وهم مختلفون غرضاً ووجهة متشابهون

قوة وشاعرية فنجعلهم في باب على حدة . وعليه فتكون طبقات الشعراء الجاهليين من حيث اغراضهم ومراتبهم ١٣ طبقة وهذه هي مع عدد الشعراء من كل طبقة .

عدد الشعراء	عدد الشعراء
١٠ اصحاب المعلقات	١ المغنون
١٤ الشعراء الامراء	٢ النساء الشواعر
٢٨ الشعراء الفرسان	٤ الهجاءون
٤ الشعراء الحكماء	٤ الوصاف للخيل
٨ العشاق	١ الموالى
٧ الصعاليك	٣٦ سائر الشعراء
٤ اليهود	١٢٥ (الجملة)

هؤلاء شعراء الجاهلية وعددهم ١٢٥ شاعراً وليس هم كل من قال شعراً في الجاهلية إذ لم ينبغ ذكي لم يقل الشعر لانه كان سجية في العرب كما تقدم . وانما وصلنا من اخبار اولئك نخبهم وأشعرهم ولم نذكر كل من وصلنا أخبارهم وانما اخترنا أكثرهم شعراً وأقوام شاعرية . والا ففى ديوان الحماسة وجمهرة العرب والمفضليات وأشعار الهذليين والاذاني وسائر كتب الادب واللغة أسماء مئات من الشعراء لم يصلنا من اقوالهم الا بيت أو بضعة أبيات

ومن الذين اخترنا ذكرهم من أدرك الاسلام وعاش في أيام الراشدين وقد عددناه جاهلياً لانه نشأ على طبائع الجاهلية وأما المؤرخون فيسمونهم مخضرمين

شكل طبقة مزية

ولكل طائفة من هؤلاء الشعراء صبغة في أشعارهم حسب عرضها - فالشعراء الامراء أو الملوك تمتاز أشعارهم بانفة الملك وعزه فيفتخرون بالسيادة أكثر مما بالسيف والرمح والقبيلة فمن أقوال أحدهم الافوه الاودى :

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وان بني غيرهم ما افسدوا عادوا
ويعد هذا البيت من حكمة الرب . واذا مدحوا لا نجد في مدحهم ترفناً أو استجداء وانما يكون في سبيل الشكر على خدمة سلفت كقول امرئ القيس بمدح بني ثعل :

قابلع معداً والعباد وطيباً وكندة اني شاكر لبني ثعل
وترى في تشابهم عند الوصف ذكر آنية الترف التي يألفها الملوك والامراء

فامرؤ القيس لما أراد وصف عين فرسه شبهها بالمرآة وهي من آنية الترف
عندهم قال :

وعين كمرآة الصناع تديرها بمحجرها من النصف المنقب
ووصف بعض حمر الوحش فشبه ألوانها بأنواع الوشي الجميلة . ولما وصف
فروحه شبهها بنقش الخوام

ولا يخلو شعر الامراء من ذكر المجد السائف والبقاء فيه وبشرون الى مواليهم
وأعوانهم وغير ذلك مما ستراه في مكانه

ويقال نحو ذلك في شعراء سائر الطبقات فان كلا منها نختص بأسلوب أو بشيء
يميزها عن الطبقات الاخرى . فشعر العشاق المتيمين اكثره في التشبيب وشكوى
الغرام والهجران . وشعر الحكماء اكثره حكم وعظات وعبر . ولا يمنع ذلك ان يشترك
الشاعر بغير غرض من هذه الاغراض أي ان يكون متحمساً وحكيماً وطاشقاً وغير
ذلك فان كثيرين من الفرسان عشقوا وماموا وأما جعلناهم من طبقة الفرسان لتغلب
ذلك عليهم

وقد آن لنا أن نصف أشهر هؤلاء الشعراء وأشعرهم وفيهم كثير الشعر وقلبه
وبعضهم نظموا كثيراً لم يصلنا من اشعارهم الا القليل فلا فائدة لطالب تاريخ آداب
اللغة من ايراد تراجم هؤلاء . وأما نختص بالوصف الشعراء الذين كانوا قدوة لسواهم
أو خلفوا آثاراً يمكن الحصول عليها ومطالعتها . ونكتفي في الآخريين بذكر المآخذ
التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم لمن أراد



أشهر شعراء الجاهلية

١ - اصحاب الملقات

اختلف الرواة في عدد الملقات وأصحابها فأبو زيد القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب يجعلهم ثمانية كما رأيت . وهم امرؤ القيس وزهير والنايفة والاعشى ولييد وعمر ابن كثوم وطرفة وعنترة . ولكن الزوزني جعل الملقات سبعة ليس بين أصحابها النايفة ولا الاعشى وأضاف الحارث بن حلزة . وأضاف أبو زكريا النبريزي فوق ذلك قصيدة عبيد بن الأبرص فصارت الملقات وملحقاتها عشرًا هذه أسماء أصحابها :

عنترة	امرؤ القيس
عمر بن كنوم	النايفة
الحارث بن حلزة	زهير
الاعشى	طرفة بن العبد
عبيد بن الأبرص	لييد

وذكر أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وهو شارح الملقات أنها سبع وان بعضهم أضاف إليها قصيدتي النايفة والاعشى وان لم يعدها من الملقات . وذكر ابن خلدون سبعة من اصحاب الملقات فيهم علقمة بن عبدة (١) ولكنه لم يعين معلقته وسأني هنا على ترجمة كل من نسبت اليه معلقة معينة فان الشاعرية تجمعهم جميعاً

هل علفت الملقات بالكعبة ؟

واختلف اصحاب الاخبار في شأن هذه الملقات في الجاهلية : فقال بعضهم ان العرب بلغ من تعظيمهم اياها حتى علقوها بأستار الكعبة وأنكر بعضهم ذلك وأكبروه . وأقدم من أنكر أبو جعفر النحاس النحوي المتقدم ذكره فقد قال في شرحه الملقات بالنسخة الخطية الموجودة منه في مكتبة برلين ما نصه : « واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع وقيل ان العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الاشعار فاذا استحسن الملك قصيدة قال علقوها وانبتوها في خزائني . فلما قول من قال انها علفت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة . وأصلح ما قيل في هذا ان حماداً الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع

(١) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

وحضهم عليها وقال لهم هذه هي المشهورات فسميت القصائد المشهورة « ونقل ذلك عنه الانباري فقال « وهو (حماد) الذي جمع السبع الطوال هكذا ذكره أبو جعفر احمد بن محمد النحاس ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على السكبة » فهو يستغرب مخالفة النحاس لما ذكره الناس

والا كثرون يذهبون الى أنها علفت في السكبة وهذا ابن عبد ربه كان معاصراً للنحاس المذكور وتوفي قبله (سنة ٣٢٨ هـ) قال « وقد بلغ من كلف العرب به (بالشعر) وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في استار السكبة فنه يقال مذهب امرئ القيس ومذهب زهير والمذاهب سبع وقد يقال لها المعلقات » (١) وأيد ذلك كثيرون في اعصر مختلفة منهم ابن رشيقي صاحب كتاب العمدة وهو من أكبر نقدة الشعر قال « وكانت المعلقات تسمى المذاهب وذلك لانها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على السكبة فلذلك يقال مذهب فلان اذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزائنه » (٢) فترى ان ابن رشيقي أميل الى القول بتليقها لانه ينسب القول بذلك الى « غير واحد من العلماء » ويضرب الرأي الآخر بقوله « وقيل »

أما ابن خلدون فانه يقطع بتعليقها ولا يذكر سواء وهذا قوله « حتى انتهوا (أي العرب) الى المناغاة في تعليق أشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والناطقة الذيباني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات السبع (٣)

وقد وافقهم اكثر العلماء والباحثين في هذا الموضوع - وانما استأنف انكار ذلك بعض المستشرقين من الافرنج ووافقهم بعض كتابنا رغبة في الجديد من كل شيء وأي غرابة في تعليقها وتعظيمها بعد ما علمناه من تأثير الشعر في نفوس العرب وتعظيمهم لاصحابه ؟ أما الحججة التي أراد النحاس ان يضعف بها القول بتعليقها فهي غير وجيهة لانه قال « ان حماداً رأى زهد الناس بالشعر الخ » والحقيقة ان الناس لم يكونوا راغبين في الشعر مثل رغبتهم في أيامه . ألم يكن الخلفاء يستقدمون حماداً

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣ (٢) العمدة ٦١ ج ١ (٣) ابن خلدون ٩٠٥ ج ١

هذا من العراق الى الشام ليسألوه عن بيت من قائله أو في ما قيل ؟ واليك تراجم اصحاب المعلقات ومن يلحق بهم.

١ - امرؤ القيس بن حجر

توفي نحو سنة ٥٦٠ م

هو أشهر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلاً وأرفعهم منزلة ينصل نسبه بملوك كندة وهم في قول العرب بطن من كهلان. وكانوا يقيمون في البحرين والمشرق ثم اجلوا عنها الى كندة في حضرموت واليه ينسبون. أقاموا هناك دهرآ يتولون بعض مناصب الدولة على عهد التبابعة الحميريين وقد ضاع أكثر أخبارهم. وأقدم من عرفت أخباره منهم حجر بن عمرو آكل المرار جد جد امرئ القيس الشاعر. ونزح حجر الى نجد ونزل بطن طافل في أوائل القرن الخامس للميلاد وكان اللخميون (المتأذرة) قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ولا سيما بلاد بكر بن وائل وهم يومئذ بنجد فهض البكربون معه لمحاربة اللخمين واستقلوا عن سلطانهم فاجتمعت كلمتهم على تعظيمه وملكوه عليهم حتى توفي باواسط القرن الخامس للميلاد فخلفه ابنه عمرو بن حجر ، فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو وفي أيامه فتح الاحباش اليمن فضعف شأن دولته فوجه مطامعه نحو اللخمين في الحيرة وكان يحسدكم لتقربهم من الاكاسرة فاعتنم تغير كسرى قباذ على المنذر بن ماء السماء لسبب المزدكية وتقرب اليه فوافقه وولاه الحيرة مكان المنذر. فمظم الحارث في نظر القبائل وجعلوا يتقربون اليه بالطاعة وسألوه أن يولى عليهم من أراد. وكان له أربعة أولاد أقام كلا منهم حاكماً على بعض القبائل ومنهم حجر بن الحارث والد امرئ القيس تولى على بني أسد وغطفان

ثم انقلب الامر على الحارث بعد موت قباذ لان أبو شروان ابنه وافق المنذر وأخرج الحارث ففر. وطمع فيه المنذر فطارده حتى قتله وجعل يفسد بين أولاده بالتحاسد حتى تحاربوا فقتل اثنان منهم وبقي اثنان هما حجر والد امرئ القيس ومعدى كرب أمير قيس. ورأى أبو أسد توضع دولة كندة فاجتمعوا على خلاف ملكهم حجر وأمسكوا عن أداء الاتاوة فخاربهم فقتلوه

وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائباً فلما علم بقتله رجع وهو يعتقد عجزه عن الاخذ بنأره لان عدوه قوي. وعلم أيضاً أن ذلك العدو اذا عرف مقره قبض عليه. فقضى برهة من الدهر وهو يتجول متسكراً في اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل فلم يجره أحد حتى أتى السموأل صاحب حصن الابلق فاستجاره فأجاره

فاستودعه أدرعه وأمتعته وهو لا يرى من يستنصره على أعدائه الا قيصر الروم .
لان ملوك الحيرة عمال الفرس نصروا أعداءه على جاري عادة العرب في ذلك العهد
- اذا تظلموا من إحدى هاتين الدولتين استنصروا الاخرى . ولم يكن لامرؤ
القيس سبيل الى القيصر فوسط الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب النفوذ عند
قيصر الروم يومئذ وطلب اليه ان يوصله اليه ففعل فسار امرؤ القيس الى القيصر .
ويقول العرب ان القيصر بعد ان أجاب دعوته وسمع مداخحه وشى به أحد بني أسد
أعدائه وقال للقيصر : « ان امرأ القيس شتمك » فصدق الوشاية وألبس الشاعر
حلة مسمومة قتلته . ولا نعرف سماً يفعل هذا الفعل . وفي كل حال ان امرأ القيس
قتل ولم ينل ارباً

وجاء في شعراء النصرانية بعد ذكر موت امرؤ القيس بالجدرى ما نصه :
« وذكر في كتاب قديم مخطوط ان ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرؤ القيس
أمر بان ينحت له تمثال وينصب على ضريحه . ففعلوا وكان تمثال امرؤ القيس هناك
الى أيام المأمون وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم
ليغزو الصائفة »

شعر امرؤ القيس

وكان امرؤ القيس قوي الشاعرية ولولا ذلك لم يقل الشعر لان الملوك كانوا
قبله يأثفون من قوله . ولكنه كان مطبوعاً عليه يقوله وأبوه حي وكثيراً
ما زجره وهو يعصاه حتى اضطر أبوه ان يعده عنه . فلم يبال بل جعل يجول
في الاحياء مع بعض الاخلاط من شذاذ العرب من طيء وكنب وبكر بن وائل
فاذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج
الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قياته .
ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه الى غيره

فلما أتاه نعي أبيه كان بدمون من أرض اليمن فنضب غضباً شديداً وغضبه هاج
شاعريته وأسفاره في البلاد زادت اختباره . ولعله جاء بلاد الروم قبل سفرته
الاخيرة والاسفار توسع الخيال الشعري واذا عاشر الناس وخالطهم اطلع على آدابهم
واستفاد معاني جديدة أو تتفق قريحته فتستنبط صوراً جديدة وذلك من الاسباب
التي جعلت امرأ القيس يسبق الى اشياء في الشعر لم تكن معروفة قبله وتبعته
الشعراء بها

وإذا أمعنت النظر في ما استنبطه من المعاني أو الاساليب رأيتها من نمار الاسفار
وسعة الاطلاع فمنها استيقاف الصحب في الديار كقوله « قما نيك الخ » فانه طبيعي
فيمن قضى معظم حياته في توديع ديار واستقبال ديار. وقد كان أوفياً دقيق الشعور
إذا أقام في المسكان ألفه وإذا عاشر الرجل كلف به

ومنها دقة وصفه واجادته على الخصوص في وصف الفرس والناقة وهذا طبعاً
من نمار الاسفار لانه كان يقضى الساعات والايام على فرسه لا شيء يشغله عنه مع
تعلقه به لانه أكبر مساعد له على النجاة في فراره من أعدائه . ولذلك فلا تكاد
تقرأ له قصيدة إلا وجدت فيها أياتاً يصف بها فرسه أو ناقته . وقد فنقت الاسفار
والمعاشرة فريخته لاستنباط المعاني أو اقتباسها - فمن ذلك قوله في قصيدته البائية التي
يصف بها الفراق وناقته وفرسه مطلعها :

تبصر خابلي هل ترى من ظمائن سلكن ضجياً بين حزمي شعبب
ولكن الفاريء لا يستأنس بالمعنى الا بعد أن يتعرف الالفاظ الغربية وعند ذلك
يرى وصفاً بديعاً لم يأت الشعراء بأحسن منه كقوله في وصف الفرس :

وقد اغدى قبل الشروق بساح	اقب كيعفور الفلاة محب
بمنجرد قيد الاوابد لاحه	طراد الهوادي كل شأو مغرب
له ايطلا ظبي وسافا نعامة	وصهوة عبر قائم فوق مرقب
وبخطو على صم صلاب كأنها	حجارة غيل وارسات بطحلب
له كفل كالدهص لبدنه الندى	الى حارك مثل الفيض المذاب
وعين كمرآة الصناعات تدبرها	لمحجرها من النصف المنقب
له أذنان تعرف العتق فهما	كسامتي مذعورة وسطربرب

ووصف الفرس كثير في شعره فليراجع في ديوانه . وقد أجاد في سائر
ضروب الوصف وله قصيدة في وصف المطر وأخرى في الوصف على الاجمال
مطلعها :

ألا انم صباحاً أيها الربيع فانطق وحدث حديث الركب ان شئت واصدق
ومع ما في شعره وسائر أشعار الجاهلية من اللفظ الغريب فقد امتاز امرؤ القيس
برقة الالفاظ ولطف التشبيه كقوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
وقوله :

كأن عيون الوحش حول قبابنا وأرحلتنا الجزع الذي لم يثقب
وقوله :

كأني غداة الدين لما تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقد أجاد في صفة الفرس بقوله .

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل
وله أبيات كثيرة جرت مجرى الامثال على ألسنة الناس وأخذ الشعراء بعضها
قواعد لنظمهم . وهو أول من لطف المعاني . ومما بلغ حد النهاية في الرقة واللفظ
قوله :

وما ذرفت عينك الا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
وهو أول من وصف النساء بالظباء والمهمل وشبه الخيل بالعقبان والحصى وفرق
بين النسب وسواء في القصيدة وقرب ما أخذ الكلام فقيد الاوابد وأجاد الاستعارة
والنشبيه (١) ومن تشبيهه قوله وهو مما يتغنى به :

وتغر أغر شيب النبات لذيد المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظن به وبالظن يقضي عليك الحكم

ويقال ان امرؤ القيس أول من شبب بالنساء بأبيات مطلعها :

عهدتني ناشئاً ذا غرة رجل الجمة ذا بطن اقب (٢)

وله محاوره شعرية في أوابد العرب مع عبيد بن الأبرص أولها قول عبيد :
ما حية مينة قامت بميتها درداء ما أنبتت سناً وأضراساً
فأجابه امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تسقى في سناها فخرجت بعد طول المكث اكديسا
وهي طويولة

معلقته و بب نظمها

أما معلقته فقد نظمها في وصف واقعة جرت له مع حبيته وابنة عمه غيرة
بنت شرحبيل وحظر عليه لقاؤها ولعلمهم منهوه منها لما كان من رغبته في الشعر .
أما هو فكان يسترق الفرص لملاقاتها . فاعتنم فرصة ظعن الحي وكانوا اذا ظعنوا
مشى الرجال أولاً ثم النساء فتخلف امرؤ القيس عن الرجال وتربص حتى ظعن
النساء وكان في طريق الظاعنين غدير يسمى دارة جاجل في منازل كنفدة بنجد .

فسبقهن امرؤ القيس الى الغدير وفيهن عنيزة فزعن ثيابهن وزلن في الماء فبرز هو من مخبئه وجمع الثياب وجلس عليها وحلف انه لا يعطي الواحدة منهن ثيابها الا اذا خرجت اليه عارية

فخرجن وبقيت عنيزة واقسمت عليه أن يعدل عن شرطه فأبى وألح عليها بالخرّوح فخرجت ثم دفع اليها ثيابها فلبستها واجتمع النسوة عليه وأخذن يعنفنه وقلن له « انك أخرتنا عن الحى وجوعتنا » فقال « سأعقر لكن راحتي تأ كان منها » فعقرها وأتين بالخطب وجمان بشون اللحم حتى شعبن . وكان معه ركوة فيها خر فسقاهن منها . فلما ارتحلن احتملن اتعنه على رواهلهن وبقي هو لا مركب له فقال لعنيزة « لا بد لك من أن تحمليني » وساعده صواحبه على طلبه فحمله على مقدم هودجها فجعل يدخل رأسه من الهودج يقبلها ومحادثها ثم نظم معلقته ومطلعها :

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وصف بها ما تقدم أحسن وصف وهي مدرجة مع سائر المعلقات في كتاب شرح

عدة شروح

أما سائر اشعاره فإنها جمعت في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وقد طبع في باريس سنة ١٨٣٧ وفي غيرها وقد شرحه البطليوسى النحوي المتوفي سنة ٤٩٤ هـ وطبع الشرح بمصر سنة ١٢٨٢ هـ وللنحاس شرح للمعلقة طبع في هال سنة ١٨٧٦

وقد ترجمت معلقته الى اللغة الروسية وطبعت مع الاصل العربى في بطرسبورج سنة ١٨٨٥ بتناية موركوس

وتجد كثيراً من أشعار امرؤ القيس وأخباره في كتاب الاغانى ٦٢ ج ٨ و ١٩ ج ٢ والشعر والشعراء (طبقات الشعراء) لابن قتيبة ص ٣٧ وفي شرح المعلقات . وفي كتاب الشعراء السنته الجاهليين طبع لندن سنة ١٨٧٠ وخزانة الادب ٥٣٢ ج ٣ وفي شعراء النصرانية صفحة ٦ وفي جهرة أشعار العرب ٣٩ وفي أكثر كتب الادب والتاريخ

٢ - زهير بن أبى سلمى

توفي سنة ٦٣١ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة وأء

اختلفوا في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه . وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعاني فقد امتاز زهير بما في نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الامثال مع القدرة على المدح وهو لا يعاقل في الكلام ويتجنب وحشيه ولا يمدح أحداً الا بما فيه وكثيرون يفضلونه على صاحبيه ويقولون إنه أحسنهم شعراً وأبعدهم عن سخف وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ

وهو من مزينة احدى قبائل مضر وكان يتيم هو وأبوه وولده في منازل بني عبد الله بن غطفان بالحجاز من نجد . وأول من نزل هناك منهم أبوه أبو سلمى لانه تزوج امرأة من بني فهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له زهيراً وأوساً وتزوج زهير امرأة من سحيم بن مرة ولذلك كان زهير يذكر في شعره بني مرة وغطفان ويمدحهم . وكان لزهير اخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم وورع . فرجع القوم منزلته وجعلوه سيداً . وكثر ماله واتسعت ثروته وكان مع ذلك عريقاً في الشاعرية فكان أبوه شاعراً وكذلك خاله وأختاه وابناه . وكان لشعره تأثير كبير في نفوس العرب وكان مقرباً من أمراء ذبيان وخصوصاً هرم بن سنان والحارث بن عوف . وأول قصيدة نظمها في مدحهما معلقته المشهورة التي مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بمجومة الدراج فالتملم
قالها على أثر مكرمة أتياها بحجب الدماء بين عبس وذبيان : (١)

ثم مدح هرما بقصائد كثيرة حتى حلف هرم ان لا يمدحه زهير الا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا سلم عليه الا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً . فاستجيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فاصبح اذا رآه في ملا من الناس قال « عموا صباحاً غير هرم . وخيركم استنيت » وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم « انشدني بعض مدح زهير أباك » فانشده فقال عمر « إنه كان ليحسن فيكم القول » فقال « ونحن والله كنا نحسن له العطاء » فقال عمر « قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم » ومدح زهير أيضاً سنان بن أبي حارثة المري وحصن بن حذيفة بن بدر وغيرهم

ومما قاله في مدح هرم ولم يسبقه اليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخير من هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا
من يلق يوماً على علاته هرما يلقى السباحة منه والندى خلقا
يطلب شاؤ امرأين قدما حسباً بذوا الملوك وبذا هذه السوقا

(١) الاغاني ١٤٩ ج ٩

هو الجواد فان يلحق بشأوها على تكاليفه فمثلها لحقا
 أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا
 ومن بليغ مدحه قوله في مدح حصن بن حذيفة بعد أن استهل بوصف الصيد
 ثم نخلص الى المدح في قصيدة طويلة جثا بمنال منها في صفحة ٧٨ من هذا الكتاب
 وتجد أمثلة من نظمه في أما كن أخرى منه
 ويؤخذ من بعض أقواله أنه كان مؤمناً بالبعث كقوله :

يؤخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
 وما يدل على عقله وحسبته وسعة صدره قوله في معلقته التي نقلنا بعضها صفحة
 ٢٨ من هذا الكتاب . وقد جمع خلاصة النقاضى في بيت واحد وهو :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء (١)

فزهير يمتاز بمدحياته وحكمياته وبلاغته . وقد جمعت أشعاره في ديوان شرحه
 ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وقد طبع سنة
 ١٣٢٣ هـ وشرحه الشنمري المعروف بالاعلم المتوفى سنة ٤٧٦ هـ وقد طبع هذا الشرح
 في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ وله شروح أخرى ضاعت أو لم تنفق عليها . وكتب ديروف
 Dyroff الألماني كتاباً بالألمانية في زهر وأشعاره وما لم ينشر منها طبع في منش
 سنة ١٨٩٢

وقد جمعت أخباره وأقواله في كتاب الاغانى ٤٨ و١٤٦ ج ٩ وفي ديوان الشعراء
 الستة الجاهليين . وخزانة الادب ٣٧٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٧ وجمعت معلقته الى
 سائر المعلقات وفي الجمهرة ص ٤٧ وقد شرحها كثيرون منهم النحاس المتقدم ذكره
 وهو أهم شروحها وقد نشره الدكتور هوسبر الألماني سنة ١٩٠٥ في برلين مع مقدمة
 ألمانية مفيدة

٣ - النابغة الذبياني

توفي سنة ٦٠٤ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء واسمه زياد بن معاوية من ذبيان من
 قيس . وهو من الاشراف الذين غض الشعر منهم كما غض من امرىء القيس .
 وكان يفد على النعمان صاحب الحيرة فيمدحه فوقعت العداوة بينه وبين المنخل الشاعر
 فوشى به الى النعمان فهرب النابغة الى بني غسان وثرل بعمر بن الحارث الاصفر

(١) العمدة ٣٠ ج ١

ملك التساسنة فمدحه . وما زال مقبها عنده حتى مات عمرو وخلفه النعمان أخوه فصار معه حتى اصطلاح مع النعمان صاحب الحيرة فعاد اليه وكان يفد على صاحب الحيرة أيضاً حسان بن ثابت الانصارى ولكن النابغة كان مقدماً على الجميع . فجمع من عطايا النعمان صاحب الحيرة ثروة طائلة وصار يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب . وله منزلة كبرى عند شعراء عصره فاذا جاء عكاظ ضربوا له في سوقها قبة من جلد وجاء الشعراء ينشدون أشعارهم . وأول من أنشده الاعشى ثم حسان ثم الخنساء وهذا شرف لم ينله أحد من الشعراء سواه

ويمتاز النابغة عن صاحبيه بأنه أحسنهم ديباجة شعر وأكثهم رونق كلام واجزلم بيتاً فكأن شعره كلام ليس فيه تكلف . وذلك ظاهر في كل اقواله حتى جرى كثير منها مجرى الامثال واقتبس الشعراء كثيراً من أقواله منها :

بئت ان أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زار من الاسد
تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان وقوله :

فلو كفى اليمين بفتك خونا لا فردت اليمين من الشمال
أخذه المنقب العبدى فقال :

ولو انى مخالفنى شمالى بنصر لم تصاحبها يمينى
وقوله :

خملتني ذنب امرى وزركته كذى العر يكوى غيره وهو رانع
أخذه الكعبى فقال :

ولا آكوي الصحاح براتعات بهن العر قبلى ما كونا
وقوله :

واستبق ودك للصديق ولا تكن قتباً يعض بغارب ملحاحاً
أخذه ابن ميادة فقال :

ما إن ألح على الاخوان أسألم كما يلح بعض الغارب القتب
ومما يتمثل به من شعره قوله :

لو أنها عرضت لاشمط راهب عبد الاله ضرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها وحاله رشداً وان لم يرشد
أخذه ربيعة بن مقروم الضبي فقال :

لو أنها عرضت لاشمط راهب في رأس مشرفة الذري يتبتل

لرنا لبهجتها وحسن هديتها ولهم من ناموسه يتزل
ومما يتمثل به أيضاً من شعره :

ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضد
وقال في العفة وهو أحسن ما قيل فيه :

رقاق النعال طيب حجازهم يحيون بالريحان يوم السباب
أخذه عدى بن زيد فقال :

أجل ان الله قد فضلكم فوق من احكى بصلب وإزار
فالصلب الحسب والازار العفاف وفي أمثالهم أصدق من قطة - قال النابغة :

تدعو القطا وبها تدعى اذا نسبت يا حسنها حين تدعوها فتنسب
وذلك لأنها تلفظ باسمها . أخذه أبو نواس فقال :

« أصدق من قول قطة قطة »

وقد مدح النابغة النعمان وعمرو بن هند من أصحاب الحيرة . وعمرو بن
الحارث الغساني وأخاه النعمان ووائل بن الحلاج الكلبي وهجا ابن زرعة وربي
واعتذر وفاخر . ولكن الشعر الوصفي قليل في منظومه الا القصيدة التي نظمها في
وصف المنجردة زوجة النعمان صاحب الحيرة وقد تقدم مطلعها . ومن قوله في وصفها :

نظرت بمقلة شادن متربب أحوى احم المقلتين مقلد

والنظم في سلك يزين نحرها ذهب توقد كالشهاب الموقد

صفراء كالسبراء أكمل خلقها كالفضن في غلوائه المناود

قامت تراءى بين سجنى كلة كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

أو درة صدفية غواصها بهج متى برها يهل ويسجد

أو دمية من مرمر مرفوعة بنيت بأجر تشاد وقرمد

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه غم يكاد من اللطافة يعقد

وهي طويلة وفيها أبيات لا يليق نشرها ولكنه وصف فيها الطبيعة كما هي عادة
الجاهليين بتمثيل الواقع وكما فعل سليمان الحكيم في نشيد الاناشيد . ومن أحسن
شعره معلقته التي مطلعها :

عوجوا فحبوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار

وهي ستون بيتاً ذكرها صاحب جمهرة أشعار العرب من جملة المعلقات فصاروا

ثمانية وأما الزوزني فلم يذكرها

وللنابغة ديوان مطبوع غير مرة منها مع الشعراء السنة . وشرح منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وقد ترجمه الى الفرنسية وطبعه مع الاصل العربي المسمى ديرنبرج في المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٨ و صدر بالامس كتاب اسمه التوضيح والبيان لاشعار نابغة ذبيان طبع بمصر
وأخباره متفرقة في الاغانى ١٦٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٧٠ و ١٢٦ والجمهرة ٥٢ وفي دواوين الشعراء الستة الجاهليين وفي شرح المعلقات وسائر كتب الادب

٤ - اعشى قيس

توفي سنة ٦٢٩ م

اسمه ميمون بن قيس بن جندل من بكر بن وائل من ربيعة وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . والبعض يقدمونه على سائرهم اذا طرب كما يتقدم امرؤ القيس إذا غضب والنابغة اذا رهب وزهيرا اذا رغب (١) ويحتج الذين يقدمونه بكثرة طوالة الجياد وتصرفه في المدح والهجاء وسائر فنون الشعر مما ليس لسواه . ويقال انه أول من سأل بشعره واتجعب به أقاصي البلاد وكان يغنى به فسموه صناجة العرب وقد تقدم أنه قدرى المذهب لقوله :

استأثر الله بالوفاء وبال مدل وولى الملامة الرجال

ويظن أنه أخذ ذلك من نصارى الحيرة . وهو الذي زوج بنات الملقح بايات قالها فيه . ولم يكن يمدح قوماً الا رفعهم ولم يهج قوماً الا وضعهم لانه من اسير الناس شعراً وأعظمهم فيه حظاً (٢) وله منافرة مع علقمة الفحل . ويمتاز الاعشى عن معظم شعراء الجاهلية بوصف الخمر اذ قل فيهم من ذكرها وأما هو فقد وصفها بقوله :

وادكن عاتق جعل ربحل صبحت براحة شربا كراما

من اللاني حملن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما

وقوله : من خمر طانة قد آتى لحنامها حول تسل غمامة المزكوم

وقد أدرك النبي ووفد عليه فدحه بقصيدة مطلعها :

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدا وطادك ما عاد السليم المسهدا

وما ذاك من عشق النساء وأما تناسبت قبل اليوم خلة مهددا

وفيها يقول لناقته :

فآليت لا أرتي لها من كلاله ولا من حفي حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره اغار لعمرى في البلاد وانجدا
 متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من فواضله يدا
 فلما علم أبو سفيان بذلك حرض قومه على ارضائه بالرجوع خوفا من أن يسلم
 فينصره بشعره عليه فجعلوا له مائة من الابل فاخذها ورجع - وله معلقة مطلعها :
 ما بكاء الكبير في الاطلال وسؤالي وما ترد سؤالي (١)
 وللأعشى ديوان خط في دارالكتب المصرية . وله قصيدتان ترجمتا الى الألمانية
 ترجمهما المستشرق الألماني غاير Geyer الأولى المعلقة المتقدم ذكرها والثانية أولها
 « ودع هريرة ان الركب مرتحل » وقد عني بشرحهما مطولا حتى بلغت صفحات
 شرح الأولى وحدها ٢٢٣ صفحة . وللمستشرق المذكور ولح خاص في شعر
 الأعشى وهو يطبع ديوانه عن النسخة الوحيدة الكاملة الموجودة في الاسكوريال
 ويجد أخبار الأعشى وأشعاره في الأغاني ٥٢ ج ١٥ و ١٦٠ ج ١٦ و ٧٧ ج ٨
 و ١٤٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ١٣٥ والجمهرة ٥٦ وغيرها وفي سيرة الرسول ومعجم
 البلدان وفي سائر كتب الادب

٥ - لييد بن ربيعة

توفي سنة ٦٧٥ م

هو لييد بن ربيعة العامري (من قيس) وكان من أشرف الشعراء المجيدين
 والفرسان المعمرين . يقال إنه عمر ١٤٥ سنة عاش معظمها في الجاهلية وقد أدرك
 الاسلام وأسلم وهاجر وحسن اسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب فأقام بها
 حتى مات في أواخر خلافة معاوية . فكان عمره ١٤٥ سنة منها ٩٠ في الجاهلية .
 وكانت الشاعرية ظاهرة في عينيه منذ صباه - ذكروا ان النايفة رآه وهو غلام جاء
 مع أعمامه الى الثمان بن المنذر فتوسم فيه الشاعرية فسأل عنه فنسبوه فقال له « يا غلام
 ان عينيك لعينا شاعر أتقرض من الشعر شيئا » قال « نعم يا عم » قال « فانشدني »
 فانشده قوله « ألم ترجع على الدمن الحوالى الخ » فقال له « يا غلام أنت أشعر بنى
 عامر زدني » فانشده قوله « طلل حولة في الرسيس قديم » . فضرب بيده على جبينه
 وقال « اذهب فانت أشعر من قيس كلها »

واكثر شعره في الجاهلية لان الخلفاء الراشدين شغلوا الناس عن الشعر بالقرآن
 وذكروا ان عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يقول له

(١) جمهرة اشعار العرب ٥٦

« استشهد من قبلك من شعراء مصر ما قالوا في الاسلام » فارسل الى الاغلب
الراجز العجلى فقال له انشدني فقال :

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد طلبت هيناً موجوداً

ثم أرسل الى ليبد فقال « انشدني ما قلته في الاسلام » فكتب سورة البقرة
في صحيفة ثم أتى بها وقال « أبدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر » فكتب
المغيرة بذلك الى عمر فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة وجعلها في عطاء ليبد (١)

فمعظم ما يروونه من شعره قيل في الجاهلية . وكان من أجواد العرب وقد
آلى على نفسه في الجاهلية ان لا تهب صبا الا أطمع وكان له جفتان يغدو بهما
وبروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبت الصبا يوما والوليد بن عقبة في
الكوفة فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال « إن أخاكم ليبد بن ربيعة قد نذر
في الجاهلية ان لا تهب صبا الا اطعم وهذا يوم من أيامه قد وهبت صبا فأعينوه وأنا
أول من فعل » ثم نزل عن المنبر فأرسل اليه بمائة بكرة وكتب اليه بايات قالها :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه اذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الاتق أصيد طامري طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفرى بحلقته على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذ سحبت عليه ذبول صبا تجاذب بالاصيل

فلما بلغت آياته ليبدأ قال لابنته أجيبيه فلعمري لقد عشت برهة وما أعيأ بجواب

شاعر فقالت ابنته :

اذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الاتق أروع عبشياً أعان على مروءته لييدا
بامثال الهضاب كأن ركباً عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها فاطمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني لا أبالك أن تعودا

فقال لها ليبد قد أحسنت لولا أنك استطعتمته فقالت « ان الملوك لا يستحي من

مستلهم » فقال « وأنت يا بنية في هذه أشعر »

ومما يستجاد من قوله قصيدة مطلعها :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ويقال انه لم يقل في الاسلام الا بيتاً واحداً هو :
الحمد لله ان لم يأتي أجلى حتى لبست من الاسلام سربالا
أما معلقته فمطلعها :

عفت الديار محلها فقامها بمنى تأبد غولها فرجامها
وقد جمعت أشعاره في ديوان طبع في فينا للمرة الاولى سنة ١٨٨٠ بعناية
يوسف ضياء الدين الخالدي ثم ترجمت هذه الطبعة الى الالمانية مع تعليقات بالمقابلة
على نسخ خطية في ستراسبورج وليدن مع ترجمة حياة الشاعر بعناية هوبر Huber
وطبع في ليدن سنة ١٨٩١ . وله سيرة بالالمانية بقلم المستشرق هوبر المذكور طبعت
في ليدن سنة ١٨٨٧ وأخرى لكريمير Kremer طبعت في فينا سنة ١٨٨١ وأخباره
في الاغانى ٩٣ ج ١٤ و ١٣٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ١٤٨ والمستطرف ٤٣ ج ٢
والجمهره ٦٣ وغيرها من كتب الادب

٦ - عمرو بن كلثوم

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من قبيلة تغلب وأمه ليلي بنت مهلهل أخي كليب المشهور فهو حفيد مهلهل
واشتهرت أمه ليلي بالانفة وعظم النفس تفاخراً بأبيها . وساد عمرو بن كلثوم قومه
تغلب وهو في الخامسة عشرة وقد عمر طويلاً وكان أعز الناس نفساً وأكثرهم امتناعاً
وأنفة وكان شاعراً مطبوعاً اشتهر بمعلقته التي مطلعها :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خور الاندرينا

وهي حاسية فخرية يقال انها كانت تزيد على الف بيت وإنما وصل الينا بعضها .
وقد نظمها غضباً لأمه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة . وكان عمرو هذا
معجباً بنفسه فقال يوماً للتدماة « هل تعلمون أحداً من العرب تأف أمه من خدمة
أمي ؟ » فقالوا « نعم - أم عمرو بن كلثوم » قال « ولم ؟ » قالوا « لان أباه
مهلهل ابن ربيعة وعمها كليب بن وائل أعز العرب وبعلمها كلثوم بن مالك افرس
العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه »

فارس عمرو بن هند صاحب الحيرة الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله ان
يزير أمه أمه . فاقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة من بني تغلب واقبلت
ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب . وامر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما
بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب .

فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق وقد كان عمرو بن هند أمر أمه ان تتحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف . فقالت هند « ناوليني يا ليلى ذلك الطبق » فقالت ليلى « لنقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فأعدت عليها وألحت فصاحت ليلى « واأذلاء يا لتغلب » فسمعها عمرو بن كلثوم فنار الدم في وجهه ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في عينيه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى في بني تغلب فاتهبوا ما في الرواق وساقوا بجائبه وساروا نحو الجزيرة

فجاشت نفس ابن كلثوم وحمى غضبه وأخذته الانفة والنخوة فنظم معلقته أو لعله نظم بعضها في ذلك الحين ثم أتمها في حادثة أخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على أثر خلاف جرى بين قومه التغلبيين واخوانهم البكرين وتفاضوا الى عمرو هذا . وكان قد اصحح بينهما بعد حرب البسوس وشرط عليهما شروطاً اذا اختصما . فلما جاءوه للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الاميرين جدال بين يدي صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلباً على بكر فعارد ابن هرم فهض ابن كلثوم وأنشد معلقته وكان حاضراً هناك الحارث بن حلزة من بكر وائل فأنشد معلقته كما سيجيء . فالغالب ان ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين في حادثة أمه وهذه الحادثة . ولذلك رأيت فيها اشارة الى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه في سوق عكاظ فأنشدها في موسم مكة وكان بنو تغلب يعظمونها وبرويها صفارهم وكبارهم لما حوته من النخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها . فقد استهأها بذكر الخمر ووصف شاربها وتأثيرها وهذا قليل في شعر الجاهلية كما تقدم . ثم وصف ليلى نحو وصف النابغة المتجردة ثم خاطب عمرو بن هند وافتخر بنفسه واهله وأشار الى ما اراده ابن هند من احتقار والدته وذكر واقعة لهم في ذي اراط فازوا بها وابدعوا ثم تخلص الى الفخر في ابيات هذا بعضها :

وقد علم القبائل غير نخر	اذا قبب بابطحها بنينا
بانا العاصمون اذا اطعنا	وانا العارمون اذا عصينا
وانا المنعمون اذا قدرنا	وانا المهلكون اذا أتينا
وانا الحاكمون بما اردنا	وانا النازلون بحيث شينا

وانا التاركون لما سخطنا وانا الآخذون لما هوبنا
وانا الطالبون اذا نقمنا وانا الضاربون اذا ابتلينا
وانا النازلون بكل ثغر يخاف النازلون به المتونا
ونشرب ان وردنا الماء صفواً وبشرب غيرنا كدرأ وطينا

وليس لعمر بن كلثوم ديوان معروف . ولكن أشعاره متفرقة في الاغانى
١٨١ ج ٩ وفي الشعر والشعراء ١١٧ والجمهرة ٧٤ وشعراء النصرانية ١٩٧ وشرح
القوائد العشر ١٠٨ وفي معجم البلدان وديوان الحماسة وغيرها

٧ - الحارث بن حلزة اليشكري

تولى سنة ٥٨٠ م

هو من بكر وائل وقد اشتهر بين اهل العراق وكان به وضح اى برص وهو
قليل النظم وانما اشتهر بمعلته وهي قصيدة واحدة كما اشتهر بمثلها عمرو بن كلثوم
وطرفة بن العبد الا اني ذكره . وقد تقدم ان الحارث كان في وفد البكرين الذين
اتوا عمرو بن هند وخطيبهم النعمان بن هرم . فلما غضب ابن هند عليه واوشك ان
يقضى لبني تغلب قال الحارث بن حلزة لقومه « اني قد قلت خطبة فن قام بها ظفر
بجسته وفلح على خصمه . فرواها أناساً منهم فلما قاموا بين يدي الملك لم يرضه
انشادهم فقال اني لا ارى احداً يقوم بها مقامي لكني اكره ان اكلم الملك من
وراء سبعة ستور وينضح أثرى بالماء اذا انصرفت عنه . وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه
برص وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى احد به سوء .
ثم خاف ابن حلزة على قومه وقال « انا محتمل ذلك واقرب من الملك » فقيل لعمر
ابن هند « ان به وضحاً » فامر ان تمد بينه وبين الحارث سبعة ستور . فجعلت .
فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك « أهذا بناطقتي وهو لا يطبق صدر راحلته »
فاجابه الملك حتى افحمه . وانشد الحارث قصيدته التي مطلعها :

آذنتنا بينها اسماء رب ناول يمل منه التواء

وكانت هند أم عمرو صاحب الحيرة تسمع فقالت « تالله ما رأيت كاليوم قط
رجلاً يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » فقال الملك « ارفعوا ستراً
وادنوا الحارث » حتى اذا أزيلت الستور السبعة أقعده الملك قريباً منه وبالغ في
اكرامه وضرب بالحارث المثال بالفخر فقيل « أفخر من الحارث

ابن حازة « وخصوصاً لانهم يزعمون انه قالها ارتجالاً وذلك بعيد لانه ذكر فيها عدة من أيام العرب غير بيغضها بنى تغلب تصريحاً وعرض يبعضها لعمر وبن هند فهي من قبيل الملاحم في وصف الوقائع

وللمحارث غير معلقته أبيات قليلة منشورة . مع أخباره في الاغاني ١٧٧ ج ٩ وشرح الفصائد العشر ١٢٥ والشعر والشعراء ٩٦ وشعراء النصرانية ٤١٦ وفي سائر كتب الادب

٨ - طرفه بن العبد

توفي سنة ٥٠٠ م

هو أبو عمرو طرفه بن العبد من بكر وائل من ربيعة ابن اخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالتملس وقد نبغ في الشعر من حدائنه حتى صار يعد من الطبقة الاولى وتوفي صغير السن . ومع كونه من المقلين فان أشعاره كانت معول أصحاب اللغة في الاستشهاد وكان في صباه ما كفاً على الملاحم يعاقر الحمر وينفق ماله عليها ولكن حبه في قومه جعله جريئاً على الهجاء ومات أبوه وهو صغير فأبى أعمامه ان يقسموا ماله وظلموا حقاً لامة وردة فنظم في هجائهم قصيدة ابدع فيها مطلعها

ما تنظرون بحق وردة فيكم صفر البنون ورهط وردة غيب

واشتهر بالاكثر بمعلقته . ويقال في سبب نظمها ان أخاه معبدأ كانت له ابل ضلت فذهب أخوه طرفه الى ابن عمه مالك أن يعينه في طلبها فلامه وانتهره وقال « فرطت فيها ثم اقبلت تتعب في طلبها » فهاجت قريحته طرفه فقال معلقته التي مطلعها

لحولة اطلال بركة تهمد تلوح كبقاى الوشم في ظاهر اليد

وفيهما يشبه حدوج حبيته بالسفن السابحة في الماء ثم يصف ناقته وصفاً جميلاً يوهمك لاول وهلة انه يصف حبيته ولكنك لا تلبث أن ترى وصفه الدقيق لكل عضو من أعضائها حتى ذيلها وقلبها ثم ينتقل الى الحكم والموعظة ثم العتاب يعاتب عمد على تعنيفه ويأسف لانه لا يقدر أن يرد تعنيفه لمقامه عنده

ولطرفه حديث مع عمرو بن هند صاحب الحيرة والتملس الشاعر كان سبياً لقتله . وذلك . ان طرفه كان في صباه معجباً بنفسه يتخلج في مشيته فشى تلك المشية مرة بين يدي عمرو بن هند فنظر اليه نظرة كادت تبطله من مجلسه . وكان التملس حاضراً فلما قام له التملس « يا طرفه انى أخاف عليك من نظرتك اليك »

فقال طرفة « كلا » ثم انه كتب لها كتابين الى المكعب وكان عامله على البحر بن
وعمان فخرجا من عنده وسارا حتى اذا هبطا بارض قريبة من الحيرة رأيا فيها
شيخاً دار بينهما وبينه كلام به المتلمس الى ما قد يكون في الكتاب الذي بحمله من
الاذى . ولم يكن يعرف القراءة فاذا هو بغلام من أهل الحيرة يسقي غنيمة له من
نهر الحيرة فقال له المتلمس « يا غلام أتقرأ » قال نعم قال « اقرأ هذه » فاذا فيها
« باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعب اذا أتاك كتابي هذا من المتلمس فاقطع
يديه ورجليه وادفنه حياً » فالتى المتلمس الصحيفة في النهر وقال « يا طرفة معك والله
مثلها » فقال « كلا ما كان ليكتب لى مثل ذلك » ثم أتى طرفة الى المكعب فقطع
يديه ورجليه ودفنه حياً فضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسعى في حنقه بنفسه
وقد جمعت أشعار طرفة في ديوان طبع بشالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ مع ترجمة
فرنساوية بعناية الموسيو سلكسن . ونجد أخبار طرفة مع بعض أقواله متفرقة في
الاغاني وفي شرح المعلقات وأمثال الميداني وحياة الحيوان للدميري ٢٠٩ ج ٢
والجمهره ٨٣ وفي ديوان الشعراء السنة الجاهليين وخزانة الادب ٤١٤ ج ١ والشعر
والشعراء ٨٨ وفي شرح القصائد العشر ٣٠ وفي الحماسة وغيرها . وفي المجلة الاسيوية
الفرنساوية Journal Asiatique لسنة ١٨٤١ مقالة عنه وعن المتلمس

٩ — عنزة بن شداد العبسي

توفى سنة ٦١٥ م

هو عنزة بن شداد من قبيلة عبس من قيس وهو من الشعراء الفرسان
الشجعان وعشق فهاجت شاعريته واتسع خياله . وأخباره مدونة في قصته المشهورة
لكن اكثرها موضوع من قبيل القصص الروائية . أما عنزة فلا شك في وجوده
وله حروب وأشعار . والصحيح من خبره ان امه زبيبة كانت حبشية فلما أنجب
ابنها وظهرت مواهبه اعترف به أبوه والحقه بنسبه على اصطلاحهم في ذلك العصر
وهو أحد أغربة العرب وأمهاتهم اماء وهم ثلاثة عنزة وخفاف بن عمير والسليك
ابن السلكة . وشهد عنزة حرب داحس والغبراء وهو شاب ووقعت ملاحاة بينه
وبين بني عبس في ابل أخذها من حليف لهم اقتتلوا عليها . وحدثت حروب بين
جديلة وئمل وكان عنزة مع جديلة فنصرهم فانتصروا فشكاه الثعلبيون الى غطفان .
ووقاعه كثيرة يشته فيها الصحيح بالموضوع وهم في اختلاف في سبب قتله . وأحب
عبلة بنت عمه وهو يذكرها في اكثر أشعاره

ولعنترة أشعار كثيرة تدخل في ديوان كبير والرواة مختلفون في ما هو له وما هو موضوع . ومما هو ثابت له المعلقة التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم عرفت الدار بعد توهم

ويقال في سبب نظمها أنه جلس يوماً في مجلس بعد ما كان قد ابلى واعترف به أبوه واعتقه فسأبه رجل من بني عبس ذكر سواده وأمه واخوته . فسبه عنترة وفخر عليه وقال فيما قال له « أني لاحضر البأس وأوفى المغنم وأعف عند المسئلة وأجود بما ملكت يدي وأفضل الخطة الصماء » قال له الرجل « انا أشعر منك » قال « ستعلم ذلك » فقال عنترة يذكر قتل معاوية بن نزال وهي أول كلمة قالها فبدأ بذكر الديار ديار عبلة وخاطبها يشكو البعد والغرام ثم استأنف الى الفخر والحماة . وأكثر الرواة ينكرون ان يكون مطلع المعلقة له ومنهم الاصمعي وابن الاعرابي وكلهم يقولون إن أول المعلقة الحقيقي :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

ومن غرر القصائد المنسوبة اليه قصيدة يذكر فيها واقعة يوم الفروق مطلعها :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخوالي

وصف فيها الواقعة وافتخر . وله قصيدة فخمة يتوعد بها النعمان ويفتخر بقومه كلها حكيم وحماة مطلعها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وفي هذا البيت من الحكمة البالغة ما ليس بعده غاية . ومن أقواله قصيدة

يهدد بها عمارة والريبع ابني زياد العبسي معرضاً بذكر قومهما مطلعها :

لغير العلى مني القلا والتجذب ولولا العلى ما كنت في العيش أرغب

وغير هذه شيء كثير يراجع في ديوانه وفيه معان لم يسبق اليها منها قوله في

التشبيه :

وخلا الذباب بها فليس يبارح غرداً كفعل الشارب المترنم

هزجاً يحك ذراعه بذراعه فعل المسكب على الزناد الاجنم

وقوله :

واذا شربت فاني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

واذا صوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

ومن ذلك قوله :

أني امرؤ من خير عبس منصبا شطري واحمي ساؤى بالمنصل
 وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفت خيراً من معم مخول
 يقول النصف من نسبي في خير عبس واحمي النصف الآخر وهو نسبه في
 السودان بالسيف فاشرفه أيضاً ومن أحسن شعره قوله :

بكرت تخوفني الختوف كأنني أصبحت عن عرض الختوف بمعزل
 فأجبتها إن المنية منهـل لا بد إن استقى بذلك المنهل
 فاقني حياءك لا أبالك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقتل
 إن المنية لو تمـل مثلت مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل
 ومن إفراطه قوله :

وأنا المنية في المواطن كلها والطعن مني سابق الآجال

وفي هذه يفخر بأخواله من السودان إذ يقول :

أني لتعرف في الحروب مواظني في آل عبس مشهدي وفعالي
 منهم أبي حقاً فهم لي والد والام من حام فهم أخوالي

وأشعار عنتره كلها واردة في قصته وقد أفردها بعضهم في ديوانه على حدة
 وطبع في بيروت بغير تحقيق مما هو له وما ليس له . وقد وردت أخباره في الاغانى
 ١٤٨ ج ٧ والشعر والشعراء ١٣٠ وشعراء النصرانية ٧٩٤ والجمهرة ٩٢ وخزانة
 الادب ٦٢ ج ١ والعقد الفريد ٣٤ ج ١ وشرح القصائد العشر ٩٠ وترجمناه في
 السنة الخامسة من الهلال . وللمستشرق الالماني توربكي Thorbeck كتاب بشأنه طبع
 في هيدلبرج سنة ١٨٦٨

قصة عنتر

أما قصته فقد اختلفوا في واضعها ويظهر إما أنها وضعت بالتدريج ومعنى ذلك
 أنهم توسعوا بها وأضافوا اليها رويداً رويداً حتى بلغت ما هي عليه الآن . وكان من
 عادة المسلمين في صدر الاسلام أن يستنهضوا هم الجند للحرب بتلاوة أخبار الشجعان
 فرسانهم الجاهليين وقد رأيناهم يفعلون ذلك في القرن الاول للهجرة في زمن
 الحجاج بن يوسف سنة ٧٧ في الواقعة التي قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء وزهر
 ابن حوبة . ذكر ابن الاثير ان عتاباً سار في اصحابه قبل المعركة يمرضهم على القتال
 ويقص عليهم ثم قال « أين القصاص » فلم يجبه أحد فقال « أين من يروي شعر
 عنتر » فلم يجبه أحد الخ

فكانوا أولاً بروون اشعار عنتره للتحميس ثم صاروا يجمعون اخباره وأحاديثه ويتناقلونها رواية عن الأصمعي وهي تتسع حتى جمعت بمصر في أواخر القرن الرابع للهجرة في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي وقد جاء في سبب جمعها وتدوينها ان رجلاً اسمه الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بباب العزيز بالله فانفق ان حدثت ربية في دار العزيز لهجت الناس بها في المنازل والاسواق فساء العزيز ذلك وأشار الى الشيخ يوسف المذكور ان يطرف الناس بما عساه ان يشغلهم عن هذا الحديث . وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في اخبار العرب كثير النوادر والاحاديث وكان قد أخذ روايات شتى عن اب عبيدة ومجد بن هشام وجهينة الاخبار والأصمعي وغيرهم من الرواة فأخذ يكتب قصة عنتر ويوزعها في الناس فاعجبوا بها واشتغلوا عن سواها ومن تلفظه في الحيلة أنه قسمها الى ٧٢ كتاباً والتزم في آخر كل كتاب ان يقطع الكلام عند معظم الامر الذي يشاق الفاريء والسامع الى الوقوف على تمامه . فلا يفتر عن طلب الكتاب الذي يليه فاذا وقف عليه انتهى به مثل ما انتهى في الاول وهكذا الى نهاية القصة . وقد اثبت في هذه الكتب ما ورد من اشعار العرب المذكورين فيها ولكن تداول النساخين افسدوا روايتها والقصة مشهورة ومطبوعة مراراً

١٠ - عبيد بن الأبرص الأسدي

توفي سنة ٥٥٥ م

هو من بني أسد من مضر من شعراء الطبقة الاولى قديم الذكر عظيم الشهرة لكن الباقي من شعره أقل من شهرته وكان عبيد لا يقول الشعر في صباه . وذكروا في سبب ما بعثه على النظم انه كان ضيق الرزق قليل المال فاقبل ذات يوم بغنيمة له ومعه اخته ماوية ليوردا غنمها فتعه رجل من مالك وجبهه فانطلق حزينا مهموما ثم ابتهل الى الله ان كان فلان ظلمني ورماني بالبهتان فادلني منه وانصرتني عليه . ووضع رأسه فنام فرأى في المنام ان رجلاً أتاه بكبة من شعر ألقاها في فيه ثم قال « قم » فقام وهو يرتجز واستمر بعد ذلك على قول الشعر حتى صار شاعر بني أسد غير مدافع فنظم قصيدته البائية وهي التي تعد من المعلقات مطلعها :

اقفر من اهله ملحوب فالفطيات فالذنوب

وهي ٤٨ بيتاً نشرها التبريزي ملحقة بالمعلقات السبع مع قصيدتي الاعشى والنابغة في شرح القصائد العشر . وهو معدود من اصحاب المجهرات عند صاحب

جمهرة اشعار العرب وجمهرته عنده هي نفس هذه المعلقة مع بعض التغيير (١)
 وفي ايامه حكم حنجر بن الحارث الكندي والد امرىء القيس على بني أسد كما
 تقدم وكان عبيد ينادمه فنظم فيه قصائد من جملتها قصيدة يعني بها مطلعها :
 طاف الخيال علينا ليلة الوادي من أم عمرو ولم يلهم بميعاد
 وأبى بنو أسد مرة ان يدفعوا الاناوة لحجر وقتلوا رسله فغضب وثار بهم وأباح
 أموالهم وأخرجهم الى تهامة وحبس بعض ساداتهم وفيهم عبيد بن الابرص . فذهب
 منهم وفد اليه وجاء عبيد فوقف وأنشد قصيدة جاء فيها :

ومنعتهم نجداً فقد حلوا على وجل تهامة
 برمت بنو أسد كما برمت يبيضتها الجمامة
 جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامه
 مهما تركت تركت عفواً أو قتلت فلا ملامه
 انت المليك عليهم وهم العبيد الى القيامه
 ذلوا لسوطك مثل ما ذل الاشقر ذوالحزامه

فأطلق حنجر سبيهم . ثم سارت اسد ثانية عليه وقتلوه كما ذكرناه في ترجمة
 امرىء القيس . وغضب امرؤ القيس ولم يقبل منهم دية أبيه وتوعدهم فقال عبيد
 قصيدة مطلعها :

يا ذا الخوفنا بقته لى أبيه اذلالا وجينا
 وزعمت انك قد قتلنا سرا تاتنا كذباً وميناً

وعمر عبيد طويلاً حتى قتله المنذر بن ماء السماء في حديث خلاصته أن المنذر
 قتل نديمين له من بني أسد وهو غضبان فلما أصبح ندم فبنى على قبريهما ضربحين
 سماهما الغريين وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما هناك - أحدهما يوم نعيم
 والآخر يوم بؤس . فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مئة من الابل وأول
 من يطلع عليه في يوم البؤس يقتله ويطلق بدمه الغريين . فاتفق لعبيد انه اتاه في
 يوم بؤسه فقتله وهذا الحديث يشبه ما ذكره عن حنظلة والنعمان لكن في حادثة
 حنظلة يمثل الوفاء أحسن تمثيل إذ يطلق النعمان حنظلة بضمانه على ان يغيب سنة ثم
 يعود ليقتل فلما حان الوقت جاء وسأله النعمان عما حمه على الحبيء بعد أن نجا بنفسه
 فقال الوفاء

فلعل الاصل فيها قصة عيد فزاد عليها العرب وعد حنظلة ووفاءه ليمنلوا بها
الوفاء على نحو ما كان يفعل اليونان في الروايات التمثيلية (درام) وقد أشرنا الى
ذلك قبلا

ومن أحسن شعر عيد قصيدته الدالية التي مطلعها :

أمن دمنة اقوت بجوة صرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدد
وفيه حكم وحماسة وفخر

ولعيد ديوان تحت الطبع على يد لجنة تذكاري جيب بانكلترا مع ديوان طامر بن
الطفيل بتصحيح المستشرق لايل Lyall

وتجد أخبار عيد في الاغاني ٨٤ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٤٣ وشعراء
النصرانية ٥٩٦ والجمهرة ١٠٠ وفي مجمع الامثال للميداني ومعجم البلدان والعمدة
ومعجم البكري وغيرها

الملفات والمستشرقون

وقد عني غير واحد في شرح التعليقات وان اختلفوا في عددها كما تقدم .
وعنى جماعة من علماء أوروبا المستشرقين في ترجمتها وشرحها . أشهر من فعل ذلك
منهم وليم جونز W. Jones الانكليزي فقد نشرها مع ترجمة وشرح في لندن سنة
١٧٨٣ وأبل Abel النمساوي ترجمها الى النمساوية ونشرها مع الاصل العربي في برلين
سنة ١٨٩١ . ثم جنسن Johnson الانكليزي ترجمها الى الانكليزية ونشرها في لندن
سنة ١٨٩٤ . مع مقدمة للشيخ فيض الابهى . وقد كتب عنها وعن غيرها من شعر
الجاهلية لايل Lyall المذكور كتابا طبع في لندن سنة ١٨٨٥ ونولدكي Noeldede
الالمانى وغيرها

اشهر شعراء الجاهلية

بعد اصحاب التعليقات

١ - الشعراء الامراء

ان الشعراء من الملوك والامراء بضعة عشر شاعراً منهم اثنان من اصحاب
التعليقات هما امرؤ القيس وعمرو بن كلثوم وقد ترجمناهما واليك من بقي :

١ - الافوه الاودى

توفي سنة ٥٧٠

هو صلاة بن عمرو من أود وينتهي نسبة الى مذحج من قبائل اليمن . وكان سيد قومه وقائدهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وله قصيدة دالية تدل على حكمة وصدق نظر منها قوله :

ان النجاء اذا ما كنت في نفر من اجبة النوى ابعاد فابعاد
والخير تزداد منه ما لقيت به والشمر يكفيك منه قل ما زاد
والبيت لا يبتنى الا له عمد ولا عمد اذا لم ترس أوتاد
فان تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلفوا الامر الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالم سادوا
تهدا الامور باهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد
اذا تولى سراة الناس امرهم فما على ذلك امر القوم فازدادوا
ومن حماسياته قوله :

نقاتل اقواماً فنسبى نساءهم ولم يردوا غيراً لنسوتنا حجلاً
نقود ونأبى ان نقاد ولا ترى لقوم علينا في مكارمة فضلا
وانا بطاء المشي عند نساتنا كما قيدت بالصيف مجدية بزلاً

وقد جمعت اقواله في الاغانى ٤٤ ج ١١ وشعراء النصرانية ٧٠ والشعر والشعراء ١١٠ وله ابيات متفرقة في كتب الادب ونحوها وليس له ديوان بمجموع

٢ - المهلهل بن ربيعة

توفي سنة ٥٣١ م

هو عدى بن ربيعة التغلبي أخو كليب من نجد من الطبقة الاولى وهو خال امرىء القيس الشاعر الملك . وكان المهلهل فصيحاً شديداً البأس في الحروب وقد شهد حرب يوم السلان مع أخيه كليب وابلى بلاه حسناً . وكان المهلهل في أول أمره صاحب لهُو كثير المحادثة للنساء فسماه أخوه كليب « زير النساء » أى جليسهن ولم يكن يرجو منه خيراً . فلما قنسل كليب في أمر البسوس المشهور (١) كان المهلهل يعاقر الحمر فهاجه مقتل أخيه وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثار وجز شعره

(١) اقرأ تفصيله في كتابنا « العرب قبل الاسلام » صفحة ٢٣٢

وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب ونهض للحرب .
وما أشبه عمله هذا بعمل ابن اخته امرىء القيس . ولعل هذا ورث الشاعرية من
خاله لان كليهما وصاف ومستنبط . وطالت الحروب بين بكر وتغلب نحو اربعين سنة
كان النصر فيها سجالات ثم تصافوا واصطلحوا

وكان المهلهل في أثناء ذلك يقول الشعر على مقتضيات الاحوال بين فخر وحماسة
وغيرهما . فمن ذلك قوله يوم علم بمقتل أخيه وجاء الى قومه فرأى النساء يبكين فقال
« استبقيين للبكاء عيوناً الى آخر الابد » وقال وهو أول شعره :

كنا نغار على العواتق إذ ترى بالامس خارجة عن الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حمرأ مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا إذ حان مصرعه من الاكفان
بخمشن من ادم الوجوه حواسرا من بعده وبعدن بالازمان
متسلبات نكدهن وقد وري أجوافهن بحرقه ورواني

ثم تخلص الى الرثاء والوعيد بالايثار . ومن مرثيه بأخيه قوله من قصيدة :

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها ان انت خليتني في من يخليها
كليب أي فتي عز ومكرمة تحت السفاسف إذ يعلوك ساقها
نعمى النعاة كليباً لى فقلت لهم مادت بنا الارض أم مادت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت وحالت الارض فالحجاب بمن فيها

ومن اقواله قصيدته الممدودة من المنتقيات ومطلعها :

حلت ركاب البغي من وائل في رهط حساس ثقال الوثوق

والعرب تسميها الداھية . وقد وضع القصاصون قصة حماسية بطلها المهلهل
وتعرف بقصة الزير كما وضعوا قصة عنترة ولكنها متأخرة وعبارتها أقرب الى العامية
وللمهلهل ذكر في تاريخ الشعر العربي فانه أول من طول قصائده كما تقدم

وقد جمعت أشعاره في ديوان وهو أقدم شاعر جمع له ديوان ولم يصل اليها هذا
الديوان . ولكن بعض المعاصرين جمع له ديواناً أخذه من اقواله في كتب الادب
وغيرها ولم تقف عليه . ولكنك نجد معظم أشعاره في الاغاني ١٤٨ ج ٤ وخزانة
الادب ٣٠٠ ج ١ والشعر والشعراء ١٦٤ والجمهرة ١٦٥ وفي تاريخ ابن الاثير
ومعجم ياقوت ومعجم البكري وشعراء النصرانية ١٦٠ وفي ديوان الحماسة وغيرها

٣ - عبد يغوث

توفي سنة ٥٨٠ م

هو عبد يغوث بن صلاة من بني الحارث بن كعب من كهلان . كان فارساً سيداً لقومه وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني الى بني تميم وقد أسر يومئذ وقتل . وهو عريق في الشاعرية ونبغ من أهله غير شاعر وكلهم فحول . وأحسن شعره قصيدة قالها وهو يتأهب للموت وكان قد أسر وشد لسانه بنسعة وخيروه في الطريقة التي يريد ان يقتل عليها فقال : « اسقوني الخمر ودعوني أنخ على نفسي » فسقوه وقطعوا له عرق الا كحل وتركوه ودمه ينزف ومعه ابناه فجعلوا يلومانه على ما اركبها من المشاق فنظم هذه القصيدة ومطلعها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم مايا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ومنها قوله :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة	أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا
أمعشر تيم قدملكم فاسججوا	فان أخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلونني تقتلونني سيداً	وان تطلقوني تحربوني بما ليا
أحقاً عباد الله ان لست سامعاً	نشيد الرطاء المعزين المتاليا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل ال	مطى وأمضى حيث لاحى ماضيا
وأنحر للشرب السكرام مطيتي	وأصدع بين القبتين رداثيا
وطادية سوم الجراد وزعتها	بكفى وقد أنحوا الى العواليا
كأني لم أركب جواداً ولم أقل	لحيلي كرى نفسي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل	لا يسار صدق أعظموا ضوء ناريا

وأخباره في الاغانى ٧٣ ج ١٥ وخزانة الادب ٣١٧ ج ١ وشعراء النصرانية ٧٥ والكامل لابن الاثير ومعجم البلدان وغيرها

٤ - زهير بن جناب

توفي سنة ٥٠٠ م

هو زهير بن جناب الكلبي من قضاة وهو من مشاهير أمراء العرب في الجاهلية ولد في آخر القرن الرابع للميلاد وعمر طويلاً ربما بلغ عمره ١٥٠ سنة وله حروب

كثيرة مع قبائل العرب وتولى الامارة على بكر وتغلب لصاحب اليمن وما زال عليهم حتى حاولوا الاستقلال من اليمن كما تقدم

ولما كبر زهير وشاخ ثقلت همته وكف بصره وظل مع ذلك مقدماً عند ملوك اليمن والشام . وكان الفساسة يستشيرونه حتى توفي نحو سنة ٥٠٠ وهو من أقدم الشعراء وأجودهم ولم يصلنا من شعره الا القليل . هذه أمثلة منه في الحماسة :

أبي قومنا أن يقبلوا الحق فأنهوا
اليه وانياب من الحرب تحرق
فجاءوا الى رجراجة مستعمرة
يكاد المرني نحوها الطرف يصعق
دروع وأرماع بأيدى أعزة
وموضونة مما افاد مخرق
وخليل جعلناها دخيل كرامة
عقاراً ليوم الحرب تحفى وتغبق
فأبرحوا حتى تركنا رئيسهم
يعفر فيه المضحى المذلق
ويقال انه صاحب البيت المشهور :

إذا قالت حذام فصدقوها
فان القول ما قالت حذام
وجاءت اخباره في الاغاني ١٧ ج ٣ والشعر والشعراء ٢٢٣ وشعراء النصرانية
٢٠٥ وأمثال الميداني وغيرها

٥ - عامر بن الطفيل العامري

نوفى سنة ٦٣٣ م

هو ابن عم ليبيد الشاعر وكان فارس قيس وسيدهم . وكان عقيباً لا يولد له ومن جيد شعره في الحماسة قوله :

وما الارض الا قيس عيلان أهلها
لهم ساحتها سهلها وحزومها
وقد نال آفاق السموات بجدنا
لنا الصحو من آفاقها وغيومها
ومن قوله في الفخر :

فاني وان كنت ابن فارس طمر
وسيدها المشهور في كل موكب
فما سودتني طمر من ورائة
أبي الله ان أسمى بأمر ولا أب
ولكنني احى حماها وأتقى
اذاها وارمى من رماها بمنكب

ولعامر المذكور ديوان أخذت في نشره لجنة تذكاريه الانكليزية مع ديوان عبيد بن ابرص بعناية المستشرق لايل Lyall . وله أخبار في الشعر والشعراء ١٩١ والاغاني ٤٦ ج ١٠ وخزانة الادب ٤٩٢ ج ٣

٦ - ابو قيس بن الاسلت

هو عامر بن جشم من الاوس وهو سيدهم أسندوا اليه حروبهم وجعلوه رئيساً عليهم في حرب يوم بعاث فقام بها خير قيام . ومن شعره قوله في امرأة خفزة :
 ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن اتيانها فتعذر
 وليس لها أن تستهين بجارة ولاكنها ممن نحا وتخفر
 وهو من اصحاب المذاهب ومطلع مذهبته :
 قالت ولم تقصد لقول الخنى مهلا فقد ابلغت اسماعى
 وأخباره في الاغانى ١٦٠ ج ١٥ والجمهرة ١٢٦

٧ - الحصين بن الحمام

توفي سنة ٦٢١ م

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة سيد بني سهم بن قيس وكان يعرف بمنايع الضيم . وأحسن ما وصل الينا من أقواله قصيدة حماسية فخرية قالها على أثر نصر في موضع يقال له دائرة موضوع مطلعها :
 جزى الله اثناء العشيرة كلها بدارة موضوع عقوقاً ومأثما
 وهي من جملة المفضليات التي اختارها المفضل الضبي . أخباره في الاغانى ١٢٣ ج ١٢
 والشعر والشراء ٤١٠ وشعراء النصرانية ٧٣٣ والسيرة النبوية لابن هاشم
 والحماسة والعمدة

٨ - قيس بن عاصم

من تميم ويكنى أبا على وهو شاعر فارس شجاع حكيم كثير الفارات مظفر في غزواته ادرك الجاهلية والاسلام وساد فيها . وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية وله حديث عن احدى بناته يؤثر في النفس (١) وكان مشهوراً بالكرم لا يستطيع الاكل وحده . ومن نظمه في ذلك قوله وقد جاءته امرأته بالطعام :

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
 اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له اكيلا فاني لست آكاه وحدي
 أخا طارقاً أو جار بيت فاني اخاف ملامات الاحاديت من بعدي

(١) انراه في الاغانى ١٥٠ ج ١٢

وإني لعبد الضعيف من غير ذلة وما بي الا تلك من شيم العبد
وعنه بروون وصية أوصى بها أولاده وضرب لهم مثل الاتحاد ان الرماح اذا
ضمت معاً يعسر كسرهما واذا تفرقت كسرت

وأخبار قيس في الاغاني ١٤٩ ج ١٢ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣ والمستطرف

٩٧ ج ١ والعقد الفريد ١٦٤ ج ١

ومن الشعراء الامراء أيضاً .

٩ - ورقاء بن زهير العطفاني سيد بني عبس ترجمته في الاغاني ٨ ج ١٠

١٠ - حجر بن عمرو والد امرىء القيس » » شعراء النصرانية ص ١

١١ أمية بن الاسكر النيمي (مضر) » » الاغاني ١٥٦ ج ١١

١٢ منظور بن زبان سيد فزارة وقائدم » » الاغاني ٥٥ ج ١١

١٣ الاخنس بن شهاب من سادات تغلب » » شعراء النصرانية ١٨٤

١٤ دريد بن الصمة (توفي سنة ٦٣٠) من هوازن سيد چشم وهو من أصحاب

المتنقيات . ترجمته في الاغاني ٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٤٧٠ وشعراء النصرانية ٧٥٢

والجمهرة ١١٧

وقد ذكرنا بجانب كل واحد من هؤلاء المأخذ الذي يمكن الرجوع اليه في
مطالعة خبره أو أمثلة من شعره ولهم أخبار وأشعار أيضاً في سائر كتب الادب .
وخصوصاً الشعر والشعراء والجماسة

٢ - الشعراء الفرسان

هم اكثر شعراء الجاهلية لان الفروسية والحرب من طبائع أهل البادية وقل
من الشعراء من لم يركب أو يفزو . ولكتنا اخصصنا في هذا الفصل من غلبت
عليهم الفروسية وفيهم الفرسان المشهورون وغير المشهورين وهم نحو ٤٠ فارساً لو
أردنا ايراد تراجمهم لاستغرق ذلك مكاناً كبيراً مع قلة الحاجة الى التفصيل في هذا
المقام . فنكتفي بذكر الاشهر منهم أو من كان له ديوان محفوظ يمكن الرجوع اليه
ونكتفي في من بقي منهم بذكر المأخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم
وهاك تراجم الاشهر

١ - ابو محجن الثقفي

توفي سنة ٦٥٠ م

هو فارس شجاع ينسب الى ثقيف وكان مولعاً بالشراب وقد أدرك الاسلام

فهو مخضرم وجبسه سعد بن أبي وقاص لشرب الخمر . واتفق بعد قليل ان المسلمين
أصابهم جهد في القادسية وكان عند أم ولد لسعد المذكور فهاجت حماسته ونظم هذه
الايات :

كفى حزناً ان تطعن الخيل بالقنا وارك مشدوداً على وثاقيا
اذا قت عناني الحديد وغلقت مغاليق من دوني تصم المتناديا
وقد كنت ذا أهل كثير واخوة فقد تركوني واحداً لا اخاليا
هلم سلاحي لا أبالك اني أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
ثم احتالت أم ولد سعد المذكورة في اطلاق سراجه . ومن قوله في حب الخمر :
اذا مت فادفني الى جنب كرمة تروى عظامي بعد موني عروقها
ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف اذا ماتت ان لا أذوقها

ولابن محجن ديوان شعر مطبوع في ليدن سنة ١٨٨٧ ومنه نسخة خطية في
دار الكتب المصرية . وأخباره متفرقة في الشعر والشعراء ٢٥١ وخزانة الادب
٥٥٣ ج ٣ وفي الاغانى وغيره

٢ - الاغلب العجلى

توفي سنة ٦٤٣ م

هو الاغلب بن عمرو من جشم من بني عجل من ربيعة . وهو أحد المعمرين
في الجاهلية وأدرك الاسلام واسلم . وكان في جملة من توجه الى الكوفة مع سعد
ابن أبي وقاص ومات في واقعة نهاوند سنة ٢١ هـ وهو أول من رجز الراجز
الطوال فقد كان العرب ينشدون الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة فتأتى منه
بايات بسيرة . فالاغلب أول من قصد الرجز واطاله ثم سلك الناس طريقته . والاسلام
لم يمنعه من النظم كما منع ليبدأ وقد تقدم خبر ذلك في ترجمة لييد . ولم نقف له على
شعر أو خبر غير ما في الاغانى ١٦٤ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٨٩ وخزانة الادب
٣٣٣ ج ١

٣ - حاتم الطائي

توفي سنة ٥٠٦ م

هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طى ويكنى ابا سفانة . وهو من أجواد العرب وله
أخبار في السخاء مشهورة حتى جرى ذكره بحرى الامثال فيقال « أجود من حاتم

طى وكانت والدته من أسخى الناس حتى اضطر اخوتها ان يحجروا على أموالها خوفاً من تبذيرها . وكانت ابنته سفانة سخية أيضاً فكان أبوها يعطيها القطعة بعد القطعة من ابله فتهبها للناس . وكان حاتم مع ذلك شاعراً وشجاعاً ويشبه جوده شعره . واذا قاتل غلب واذا غم انهب واذا سابق سبق . وكان اذا أهل الشهر الاصم الذي كانت مضر تعظمه بالجاهلية وتنحرف له ينحرف في كل يوم عشرة من الابل فيطعم الناس . وكانت الشعراء تفد عليه كالحطيئة وبشر بن أبي خازم . وبروون عن سخاء حاتم وقائع أشبه أن تكون موضوعة أو مبالغاً فيها لتمثيل فضيلة السخاء وتحبيبه الى الناس من قبيل الشعر التمثيلي وقد أشرنا الى ذلك في كلامنا عن أقسام الشعر عند اليونان - ومن أقواله في السخاء .

أماوى قد طال التجنب والهجر وقد غدرتني في طلابكم الغدر
أماوى ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى اني لا اقول لسائل اذا جاء يوماً حل في مالنا النذر
أماوي اما مانع فمين واما عطاء لا ينهيه الزجر
أماوي ما يعني الثراء عن الفتى اذ حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
وقوله :

اذا كان بعض المال رباً لاهله فاني بحمد الله مالى معبد
أخذه حطائظ بن يعفر فقال :

ذريني اكن للعالم رباً ولا يكن لى المال رباً تحمدى غبه غدا
أريني جواداً مات هزلاً لعلي أرى ما ترين أو بخيلاً مخلداً
ويستحسن له قوله :

ألا أبلغا وهم بن عمرو رسالة فانك انت المرء بالخير أجدر
رأيتك أدنى من اناس قرابة وغيرك منهم كنت احبوا وانصر
اذا ما آتى يوم يفرق بيننا بموت فكن انت الذي يتأخر

ولحاتم ديوان مطبوع في لندن سنة ١٨٧٢ بعناية المرحوم رزق الله حسون وطبع ايضاً في بيروت . واخباره مشورة في الاغانى ٩٦ ج ١٦ والشعر والشعراء ١٢٣ وخزانة الادب ٤٩٤ ج ١ والمستطرف ١٣٧ ج ١ والعقد الفريد ٨١ ج ١ وشعراء النصرانية ٩٨

٤ - زيد الخيل

هو زيد بن مهلهل من طى وكان رجلاً جسيماً طويلاً جميلاً فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصوت في الجاهلية وادرك الإسلام ووفد على النبي فسر به ولقبه وقرظه وسماه زيد الخير . وهو شاعر مقل لأنه إنما كان يقول الشعر في مفاخراته ومغازيه وإياديه عند من مر عليه وأحسن في قراءه إليه . وقد سمي زيد الخيل لكثرة خيله يوم لم يكن لسواء من العرب إلا الفرس والفرسان فكانت له خيل كثيرة . منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة : الهطال والكيت والورد وكامل ودوول ولاحق . وله في كل منها شعر وكان له ثلاثة بنين كلهم شاعر وأكثر أشعاره في الحماسة والفخر وذكر المواقع والطمع والضرب كقوله :

انا لنكثر في قيس وقائنا وفي تميم وهذا الحي من اسد
وطامر بن طفيل قد نحوت له صدر القتا بماضى الحد مطرد
لما أحس بان الورد مدركد وصارماً وربط الجأش ذا لبد
نادى الى بسلم بعد ما أخذت منه المنية بالحيزوم والفسد
ولو تصبر لى حتى اخالطه اسعرته طعنة كالنار بالزبد

وجرت بينه وبين بعض القبائل معركة أسرفها الخطيئة الشاعر فحبسه وضيق عليه وقال في ذلك :

اقول لعبدى جروول إذ أسرته اثنى ولا يفررك انك شاعر
انا الفارس الحامي الحقيقة والذي له المكرمات واللهى والمدآثر
وقومى رهوس الناس والرأس قائد اذا الحرب شبتها الاكف المساعر
فلست اذا ما الموت حوذورده وازرع حوضاء وحمج ناظر
بوقافة يخشى الختوف تهبياً يباعدني عنها من القب ضامر
ولكنني أغشى الختوف بصعدني مجاهرة ان الكريم بجاهر
واروى سناني من دماء عزيزة على أهلها اذ لا ترجى الاياصر

ولا نعرف لزيد الخيل ديواناً مجموعاً ولكن أخباره مشورة في الاغانى ٤٧ ج ١٦
والشعر والشعراء ١٥٦ والدميرى ٢٠١ ج ١ وخزانة الادب ٤٨٨ ج ٢

٥ - سلامة بن جندل التميمي

توفي سنة ٦٠٨ م

هو شاعر جليل من قدماء الشعراء وكان من فرسان تميم المعدودين واخوه احمر مثله . شعره سلس يستشهد به اهل اللغة لمئاته وكان معاصراً لعمر بن هند صاحب الحيرة والنعان ابي قابوس وله فيها اشعار ومن أحسن شعره قصيدته التي مطلعها :

يا دار أسماء بالعلياء من لضم بين الدكادك من قوة فمعصوب

كانت لنا مرة داراً فغيرها مر الرياح بسافي الترب مجلوب

وترى امثلة من شعره في كتاب الشعر والشعراء ١٤٧ وشعراء النصرانية ٤٨٦

وخزانه الادب ٨٦ ج ٢ ومعجم البلدان

٦ - علقمة الفحل

هو علقمة بن عبدة من تميم وكان معاصراً لامرئ القيس وبنازعه الشعر ونحا كما الى أم جندب زوجة امرئ القيس فقالت لها انظرا قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة تصفان بها الحيل . فنظم امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خيلبي مرأى على ام جندب لنقضى لبانات الفؤاد المعذب

ونظم علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وانشدها القصيدتين فحكمت لعلقمة لان امرأ القيس قال في وصف مرعة

الفرس :

فللسوط أهوب وللحاق درة وللزجر منه وقع اهوج منعب

وقال علقمة :

فادر كمن ثانياً من عنانه يمر كمر الراخ المنحلب

وحكمها ان امرأ القيس اجهد فرسه بسوطه وساقه اما علقمة فان فرسه

ادرك طريدته وهو ثان عنانه . ففضب امرؤ القيس وطلق امرأته فتزوجها علقمة

ومن جيد شعره قوله :

فان تسألوني بالنساء فاني بصير بادواء النساء طيب

اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

ولعلقة ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٦٧ مع تعاليق بعنايه البرت سوسين Socin وطبع في بيروت في بضع عشرة صفحة ٠ وله اخبار متفرقة في خزانة الادب ٥٦٥ ج ١ والاغاني ١٢٨ ج ٧ وشعراء النصرانية ٤٩٨ والشعر والشعراء ١٠٧ والعمدة وسائر كتب الادب

٧ - عمرو بن معدى كرب

توفي سنة ٦٤٢ م

هو من زييد من مذحج (كهلان) فارس من فرسان اليمن أو هو فارس اليمن ويقدمونه على زيد الخيل في البأس وقد أدرك الاسلام وأسلم وجاهد حتى مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب وهو بمن يصدق عن نفسه في شعره فلا يفاخر بالمحال ومن ذلك قوله :

ولقد اجمع رجلى بها حذر الموت وأني لفرور

ولقد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت هرير

كل ما ذلك منى خلق وبكل انا في الروع جدير

ومن أشعاره الذاهبة مذهب الامثال قوله :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

رصه بالزماع فكل أمر سالك أو سموت له ولوع

وأخباره في الاغاني ٢٥ ج ١٤ والشعر والشعراء ٢١٩ وخزانة الادب ٤٢٥

ج ١ والمستطرف ١٧٩ ج ١

٨ - قيس بن الخطيم

توفي سنة ٦١٢ م

هو شاعر فارس من الاوس اعتدى رجل من الخزرج على أبيه وهو غلام فقتله وعلم ان جده قتله رجل من عبد القيس فلما عرف موضع ثاره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم فظفر بقاتل أبيه في يثرب فقتله وظفر بقاتل جده في ذى المجاز ولكنه رآه في ركب عظيم فاستجد خراش بن زهير فنهض معه يبنى عامر حتى أتوا القاتل فطغنه قيس بحربة قتلته وفر . فاراد رهط الرجل أن يتبعوه فمنعهم بنو عامر وبذلك يقول قيس :

تأرت عديا والخطيم فلم أضع ولاية اشياخ جعلت ازاءها

ضربت بذى الزجين ربة مالك
قابت بنفس قد أصبت شفاءها
وساخني فيها ابن عمرو بن عامر
خراش فأدى نعمة وافادها
طغنت ابن عبدالقيس طعنة نائر
لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
ملككت بها كفى فأهزت فتقها
برى قائم من دونها ما وراها
وهو معدود من أصحاب المذاهب ومطلع مذهبته :

أعرف رسماً كالطراز المذهب
لعمرة وحشاً غير موقف راكب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ومن أقواله في الفخر :

ونحن الفوارس يوم الريد مع قد علموا كيف فرسانها
ولقيس بن الحطيم ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وله أخبار
متفرقة في كتب الادب وخصوصاً الاغاني ١٥٩ ج ٢ والجمهرة ١٢٣

سائر الشعراء الفرسان

ومن الشعراء الفرسان أيضاً طائفة أخبارهم قليلة أو ليس لهم دواوين محفوظة
فكنتفى بذكر المآخذ التي يمكن الرجوع إليها في تراجمهم وأخبارهم :

اسم الشاعر	اسم المآخذ
٩ أحيحة بن الجلاح (توفي سنة ٥٦١ م)	الاغاني ١١٩ ج ١٣
من الاوس ومن أصحاب المذاهب	
١٠ جحدربن ضبيعة من بكر وائل (٥٣٠)	شعراء النصرانية ٢٦٨
١١ افنون هو صريم بن معشر من تغلب	» » ١٩٢ والشعراء والشعراء ٢٤٨
١٢ بسطام بن قيس الشيباني من بكر	» » ٢٥٦
١٣ جابر بن حنى التغلبي (٥٦٤)	» » ١٨٨
١٤ الحارث بن الطفيل وقد على كسرى	الاغاني ٥٣ ج ١٢
١٥ خفاف بن ندبة السلمي من قيس	الاغاني ١٣٩ ج ١٦ وخزانة الادب ٨١ ج ٢
١٦ ذو الاصبع العدواني (٦٠٢)	الاغاني ٢ ج ٣ وخزانة الادب ٤٠٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٦٢٥
١٧ الربيع بن زياد العبسي (٥٩٠)	الاغاني ٢٠ ج ١٦ وشعراء النصرانية ٧٨٧
١٨ زهير التميمي من أشرف مازن	الاغاني ١٥٦ ج ١٩
١٩ الحارث بن عباد من بكر بن وائل	شعراء النصرانية ٢٧٠

اسماء المآخذ	اسم الشاعر
الاغاني ٢٠ ج ٢٠	٢٠ صخر بن عبد الله من هذيل
الشعر والشعراء ١٦٦ ج و ٤٦٧ والاغاني ٦٤ ج ١٣ وخزانه الادب ٧٣ ج ١	٢١ العباس بن مرداس وأخوه سرافة
الاغاني ٦٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٤٥٦	٢٢ عبدة بن الطيب
الاغاني ١٧١ ج ١١ وشعراء النصرانية ٤٢٥	٢٣ سويد بن أبي كاهل
والشعر والشعراء ٢٥٠	تميم بشكر
الاغاني ٢٢ ج ٢٠	٢٤ عمرو بن العجلان
الاغاني ١٤٣ ج ٢٠ وخزانه الادب ٥٨	٢٥ الفند الزماني (٥٣٠) بكر
ج ٢ وشعراء النصرانية ٢٤١	
الاغاني ٦٦ ج ١٤ وابن خلدكان ١٧٢ ج ٢	٢٦ متم بن نويرة من أصحاب المرثي
والشعر والشعراء ١٩٢ وخزانه الادب ٢٣٦ ج ١ والجمهرة ١٤١	
خزانه الادب ١٠١ ج ٣	٢٧ نبيه بن الحجاج قريش
الخزانه ٦٢١ ج ٣ وشعراء النصرانية ٧٤٦	٢٧ كعب بن سعد الغنوي قيس

الشعراء الحكماء

نريد بالحكماء من الشعراء الذين كان لهم علم غير الشعر وكانت لهم حكمة وقد دخل بعضهم في طبقة الشعراء الامراء وفي أصحاب المعلقات كلافوه الاودي وزهير بن أبي سلمى . ونحن ذاكرون فيما يلي من غلبت فيه الحكمة على سواها مع الشاعرية :

١ - أمية بن الصلت

توفي سنة ٦٢٤ م

يتصل نسبه بثقيف وكان عالماً بغير العربية على ما يظهر فاطلع على كتب القدماء وخصوصاً التوراة وقد أورد في شعره ألفاظاً غريبه لم تكن العرب تعرفها . وكان يسمى الله في بعض اشعاره « السلطيط » وفي بعضها « التنور » وربما اقتبسها من الحبشية أو صاغها على صيغ تلك اللغة . فلاحباش يسمون الله في اللغة الاخرية « اغزا بهر » فلعلها كانت قبلاً اقرب الى لفظ التنور . والسلطيط نظماً صيغة من

من تلك اللغة صاغ عليها اسما من السلطة (١)

وكان أمية منطورا على التدين فلتى في تجارته الى الشام بعض اهل الدين فزهد في الدنيا ولبس المسوح وتعبد . وقد ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيقية ووصف الجنة والنار في شعره وحرّم الحمر وشك في الاوثان وطمع في النبوة . وكان العرب ينتظرون نبياً يهديهم فكان يرجو ان يكون هو . فلما ظهر النبي أسقط في يده وقال « انما كنت أرجو ان اكونه » ولكنه ما انفك يختلف الى الديور والكنائس يجالس الرهبان والقسوس حتى غلب على ظن البعض انه مسيحي ومن قوله وفيه فلسفة :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبغنا ربّي ومسانا
رب الحنيقة لم تنفد خزائنها مملوءة طبق الآفاق سلطانا
ألا نبي لنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس حيانا
بيننا وبيننا آباؤنا هلكوا وبيننا نفتني الاولاد افتانا
وقد علمنا لو ان العلم يقصنا ان سوف يلحق اخرانا باولانا
وله قصيدة يصف بها الله وملائكته مطلعها :

لك الحمد والنعاء والمملك ربنا فلانبيء أعلى منك مجداً وامجد
وبعد أن يصف العزة الالهية ومجلسها يصف الملائكة بقوله :

ملائكة اقدمهم تحت عرشه بكفيه لولا الله كلوا والبدوا
قيام على الاقدام طابن تحته فرائصهم من شدة الخوف ترعد
وسبط صفوف ينظرون قضاءه يصيخون بالاسماع لاوحى ركد
امين لوحى القدس جبريل فهم وميكال ذوالروح القوي المسدد
وحراس ابواب السماوات دونهم قيام عليها بالمقاليد رصد

وله عدة قصائد في حوادث التوراة كخراب سدوم وقصة اسحق و ابراهيم .
وله قصيدة معدودة في المجمرات مطلعها :

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزيبب اذ تحل بها قطينا
وفي أشعاره معانٍ وأساليب لم تكن العرب تعرفها أخذها من كتب غيره
وأدخلها في شعره (٢)

واخباره في الاغانى ١٨٦ ج ٣ و ٣ ج ٨ و ٧١ ج ١٦ والدميري ١٥٤ ج ٢
وخزانة الادب ١١٩ ج ١ وشعراء النصرانية ٢١٩ والعمدة وغيرها

(١) راجع ترجمة أمية بن ابى الصلت مطولة في الهلال السنة التاسعة

(٢) الاغانى ١٨٧ ج ٣

٢ - ورقة بن نوفل

توفي سنة ٥٩٢ م

هو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزيز من قريش . وهو أحد من اعتزل الاوثان في الجاهلية وقرأ الكتب وامتنع عن أكل ذبائح الاوثان . وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني وقد شاخ وكف بصره . وله ذكر في السيرة النبوية عندما سمع النبي جبريل يكلمه وجاء خديجة امرأته خائفاً فسألت ورقة وهو ابن عمها (١) عما رآه النبي فقال « انه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الامة » وله أشعار كان يعني بها المغنون في صدر الاسلام منها قوله :

ولقد غزوت الحلي يخشى اهله بعد الهدو وبعد ما سقط الندي

فلتلك لذات الشباب قضيتها عنى فسائل بعضهم ما قد قضى

ومن شعره في التوحيد والدين قصيدة مطلعها :

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم انا التذير فلا يفرركم أحد

وقصيدة أخرى مطلعها :

رشدت وانعمت ابن عمرو وأما تجنبت تتوراً من الله حاميا

وتجد شيئاً من أخباره في السيرة النبوية لابن هشام ٧٦ و ٨٠ ج ١ والاغاني ١٣

ج ٣ وشعراء النصرانية ٦١٦ والسيرة الحلبية ٢٥٦ ج ١ ومعجم البلدان

٣ - زيد بن عمرو

توفي سنة ٦٢٠ م

هو أيضاً من عبد العزى من قريش وقد اعتزل الاوثان مثل ورقة وكان يقول « يا معشر قريش أرسلكم الله قطر السماء وينبت بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبجونها لنير الله ؟ » فاخرجه القرشيون من مكة ومنعوه أن يدخلها . وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل والد عمر . وكان قد تخلف عن عبادة الاوثان أربعة من قريش هم ورقة وزيد المذكوران وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث فاجتمع هؤلاء وتواطأوا على رفض الوثنية وعلى أن يضربوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فلما أجمع زيد على الخروج من مكة الخطاب عمه وعانبه على فراق دين آبائه . وكان قد وكل صفيية به فقال زيد عند ذلك قصيدة مطلعها :

(١) ابن هشام ٨١ ج ١

لا نحسيني في الهوا ن صفي مادأني ودأبه
 ثم خرج سائحاً ويقال انه قتل في الشام وله أشعار في التدين منها :
 واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرأ ثقالا
 دحاها فلما رأها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
 واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
 اذا هي سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجبالا
 وتجد أخباره في الاغانى ١٥ ج ٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٧٦ ج ١ وشعراء
 النصرانية ٦١٩ وخزانة الادب ٩٩ ج ٣

٤ - قس بن ساعدة

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من اباد يعدونه من الخطباء ولكنه كان خطيب العرب وشاعرها وحكمها في
 عصره . وهو أسقف من نجران والمشهور انه أول من علا على شرف وخطب عليه
 واول من قال « اما بعد » وينسبون اليه قوله « البينة على المدعى واليمين على من
 انكر » وقد أدركه الرسول ورآه في عكاظ فكان يآثر عنه كلاماً سمعه . وكان فصيحاً
 يضرب المثل بفصاحته . وكان يفد على قيصر زائراً فيكرمه ويعظمه ولكنه كان
 زاهداً في الدنيا ينظر اليها نظر الفلاسفة فلا يرغب في البقاء فيها كما يؤخذ من خطبته
 التي قالها في عكاظ ورواها ابو بكر الصديق وهي مشهورة ثم ختمها بقوله :

في الذاهبين الاوا ين من القرون لنا بصائر
 لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
 ورأيت قومي نحوها تمضى الاصاغر والاكابر
 لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر
 ايقنت اني لا عا لة حيث صار القوم صائر

ولعل الذي زهده في الدنيا وكرهها اليه المصيبة التي اتاها به بفقد اخوين كانا
 يعبدان الله معه فماتا ودفنهما معاً وشق عليه مصابه بهما فكان يتردد الى قبريهما وينديهما .
 ومن قوله في قصيدة :

خليلي هيا طالبا قد رقدتما أجد كما لا تقضيان كرا كما
 ألم تعلمنا أني بسمعان مفرد وما لي فيها من خليل سوا كما

أفيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي، أو يحيب صدا كما
جري الموت مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذي يسقى العقار سقا كما
وله أشعار كثيرة ضاع معظمها وله أنوال جرت مجرى الامثال وجمعت في
كتاب شعراء النصرانية ٢١١ وفي الاغاني ٤١ ج ١٤ وخزانة الادب ٢٦٧ ج ١
وغيرها من كتب الادب والتاريخ والبيان

٤ - الشعراء العشاق

قل من الشعراء من لم يحرك قلبه الحب واذا لم يحركه كان شعره قاسياً حافياً
ولذلك فالعشاق من الشعراء كثيرون ومنهم في الجاهلية طائفة كبيرة فعنترة عشق
عبلة والخبل السعدي عشق الميلاء وحاتم الطائي عشق ماوية والمرقس الاكبر عشق
أسماء والنمر بن توبل عشق ممزة وسحيم عبد بنى الحسحاس عشق عميرة (١) غير
الذين اشتهروا في صدر الاسلام من آل عذرة وغيرهم وسيأتي ذكرهم عند كلامنا عن
الشعر والشعراء في أيام الامويين

والحب يحرك الشاعرية وبشحنه الفريجه وخصوصاً مع الغيرة ليس للشعر فقط
بل في كل ما يفتقر الى خيال أو شعر . فبين الشعراء الفرسان الذين ترجمناهم غير واحد
من المحبين وكذلك في سائر الطبقات . لكتنا خصصنا هذا الباب فيسب لم يكن له
باعث على النظم غير العشق وكان اكثر شعره او كله في ممشوقه . وهذه الطبقة كانت
قليلة قبل الاسلام لاشتغال القوم بالحرب عن سواها . ولان بعض القبائل كانت تحرم
الغزل على الاطلاق

ثم تكاثر الشعراء العشاق بعد الاسلام لانتشار التسرى واركان القوم الى الرخاء
حتى اذا نضج التمدن الاسلامي تحول ذلك الى التهنك والتخت كما سيجيء . أما في
الجاهلية فالشعراء المتيمون يعدون على الاصابع اشهرهم .

١ - المرقش الاكبر

نوفى سنة ٥٥٢ م

اسمه عوف بن سعد بن مالك من بكر وائل وهو من الشعراء المقدمين ويمتاز
عن اكثر شعراء الجاهلية انه كان يعرف الكتابة لان اياه دفعه وأخاه حرمله الى
نصراني من أهل الحيرة علمهما الخط ويندر في أهل الجاهلية من فعل ذلك وخصوصاً

الشعراء فان معولهم في حفظ أشعارهم على الرواة. ويختلف عن أكثر شعراء الجاهلية انه مات متيباً . وسبب موته انه كان يهوى ابنة عم له اسمها اسماء عشقها وهو غلام فقال له عمه « لا أزوجك حتى تعرف بالباس » فسافر المرقش في طلب العلي وأصيب عمه في اثناء غيابه بضيق فاتاه رجل من بني مراد أطمعه بالمال فزوجه اسماء على مائة من الابل . فلما عاد المرقش اخفوا خبر الزواج عنه . ثم اكتشف خبره فركب في طلب ذلك المرادى مع صديق له من عقيلة فرض في الطريق فزلا كهفاً في اسفل نجران وهي ارض مراد ومعه صديقه العقيلي وامرأته وسمعها يتآمران على تركه بأساً من شفائه فاختلس فرصة كتب فيها على مؤخر الرحل هذه الايات :

يا صاحبي تلبنا لا تعجلاً ان الرواح رهين ان لا تفعل
يا راكباً اما عرضت قبلن أنس بن سعدان لقيت وحرملا
لله دركما ودر أيكما ان أفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام ان مرقشاً أضحى على الاصحاب عبثاً مثقلا
وكأنما ترد السباع بشلوه اذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

ورأينا بعض الايات ينسب الى المهلهل ايضاً . وانطلق العقيلي حتى أتى أهله وأخبرهم ان المرقش مات ولكن أخاه حرمله قرأ ما على الرحل فشك في صدق الرجل واستنطقه فاعترف له بالحقيقة فركب في طلبه فلما بلغ الكهف اخبر ان المرقش علم وهو هناك بوجود أسماء وزوجها فاحتال حتى حمل اليهما في حديث طويل ولم يطل مكثه فمات عندهما . وقال في موته شعراً مطلعته :

سرى ليلا خيال من سليمى فأرقتى وأصحابي هجود
وهو من اصحاب المنتقيات . وله أقوال في الحماسة يصف بها بعض المعارك وأخرى في الفخر ومن احسن شعره في الحماسة صيدته التي أسهلها بذكر حبيبتة :

أمن آل اسماء الطلول الدوارس نخطط فيها الطير قفر بسابس

ثم تخلص الى وصف خروجه وسفره . وقصيدة أخرى في وصف الطلول ونجائب الابل وغيرها . واتصل المرقش الاكبر بالحارث ابى شمر الغساني وناداه سنة ٥٢٤ ومدحه

وترى أشعاره واخباره في الاغاني ١٨٩ ج ٥ والشعر والشعراء ١٠٢ وشعراء النصرانية ٢٨٢ وخزانة الادب ٥١٤ ج ٣ والجمهرة ١١٢ وغيرها من كتب الادب

٢ - عبد الله بن عجلان

توفي سنة ٥٦٦ م

هو من نهد من قضاة شاعر متميز قتله الحب وكان له زوجة يقال لها هند طلقها لانها لم تلد له فزوجها غيره ثم ندم على ذلك ومات أسفاً عليها وكان سيداً في قومه وابن سيد من ساداتهم وكان ابوه أكثر بني نهد مالا وكان يجدر بنا ادخاله في جملة الشعراء الامراء لولا تغلب العشق عليه . ومن أقواله فيها :

فارت هنداً طائماً فندمت عند فراقها
بالعين تدرى دمة كالدر من آفاقها
متحلياً فوق الردا • يجول من رفاقها
خود رداح طفلة ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألد حديثها وأسر عند عناقها

وله أخبار وأشعار جمعت في الاغاني ١٠٢ ج ١٩ والشعر والشعراء ٤٤٩

٣ - عروة بن حزام العذري

توفي سنة ٥٣٠ هـ (١)

هو من الشعراء المتيمين الذين أدركوا الاسلام وقد قتلهم الهوى لا يعرف له شعر الا في عفراء بنت عمه وتشبيهه بها وكان قد خطبها من أبيها فوعده ثم زوجها لغيره فأثر ذلك في مزاجه فضعف واضطرب حتى ظنوا فيه الحبل وأصابه هزال فرآه ابن مكحول عراف اليمامة فجالسه وسأله عما به وهل هو خبل او جنون فقال له عروة « هل لك علم بالاجاع » قال « نعم » فأنشأ يقول :

ما بي من خبل ولا بي جنة ولكن عمى يا اخي كذوب
اقول لعراف اليمامة داوئي فانك انت داويتي لطيب
فواكبدا امست رفاتاً كأنما يلذعها بالموقدات طيب
عشية لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا وما عقبته في الرياح جنوب
وأني لتغشاني لذكراك هزة لها بين جلدي والعظام ديب

وقال يخاطب صديقين له رافقاء :

متى تكشفا عني القميص تبينا بي الضر من عفراء يا فتيان
إذا نريا لحماً قليلاً وأعظماً بلين وقلبا دأماً الحفقتان
جعلت لعراف العمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفياني
فما تركا من حيلة يعرفانها ولا شربة الا وقد سقياني
ورشا على وجهي من الماء ساعة وقاما مع العواد يتدراني
وقالا شفاك الله والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

وتجد أخباره في الاغاني ١٥٢ ج ٢٠ وفوات الوفيات ٣٣ ج ٢ والشعر والشعراء

٣٩٤ وخزانة الادب ٥٣٤ ج ١

٤ - مالك بن الصمصامة

هو من جمعة كان يهوى جنوب بنت محسن الجعدي فتمنع اخوها منها وكان
مالك شاعراً فارساً شجاعاً جميلاً قبله ان اخاها أقسم اذا تعرض مالك لاخته جز
فاصبته فقال :

إذا شئت فاقربني الى جنب عيب أحب ونضوى للقلوص نحيب
فما الحلق بعد الاسر شر بقية من الصد والهجران وهي قريب
ألا أيها الساقى الذى بل دلوه بقريان يسقى هل عليك رقيب
إذا أنت لم تشرب بقريان شربة وجانبه الجدران ظلت تلوب

وله اشعار أخرى في الاغاني ٨٣ ج ١٩

٥ - مسافر بن ابي عمرو

هو من قريش كان سيداً جواداً أحب هند بنت عتبة التي تزوجها ابو سفيان
بعد ذلك وهي ام معاوية واخوته فخطبها مسافر وهو ذو ثروة فلم تقبله فلما بلغه
تزوجها بابي سفيان اعتل ومات وله فيها اشعار . واخباره في الاغاني ٤٨ ج ٨
ومن الشعراء الجاهليين المتيمين :

منظور بن زبان من فزارة كان عاشقاً وهو من الامراء ايضاً تقدم ذكره

ومسعود بن خراشة من تميم وهو من المخضرمين

وعنزة العبسي وقد تقدمت ترجمته

٥ - الشعراء الصماليك

هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والغارة على القبائل للنهب اشهرهم :

١ - الشنفرى

توفي سنة ٥١٠ م

هو من الاواس بن الحجر من الازد شاعر من اهل اليمن معدود في العدائين الذين لا تلحقهم الخيل منهم هذا وسليك بن السليكة وعمرو بن براق واسيد بن جابر وتأبط شراً . ويقال ان الشنفرى حلف ليقتلن مئة رجل من بني سلامان فقتل ٩٩ فاحتالوا عليه فامسكه رجل منهم عداء هو اسيد بن جابر ثم قتله فمر به رجل منهم فرفس جمجمته فدخلت شظية منها برجله فمات فنمت القتلى مئة . وللشنفرى أشعار في الفخر والحماسة أشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب ومطلعها :

اقبموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لاميل

وقصيدة اختارها صاحب المفضليات مطلعها :

الا أم عمرو اجمت واستقلت وما ودعت جيرانها اذ تولت

وقد عنى الاستاذ المستشرق ردهوس Redhouse في ترتيب لامية العرب وترجمتها الى الانكليزية وقد طبعت في المجلة الاسيوية الانجليزية سنة ١٨٨١ وترجمها الى الالمانية ريس Reuss في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٥٣ وأخبار الشنفرى مفرقة في الاغانى ٨٧ ج ٢١ والشعر والشعراء ١٨ وخرانة الادب ١٦ ج ٢ والمفضليات وغيرها

٢ - تأبط شراً

توفي سنة ٥٣٠ م

هو ثابت بن جابر من فهم من قيس كان أسمع العرب وأبصرهم واكيدهم وكان أعدى رجل ينظر الى الظباء فينتقى على نظره أسننها ثم يعدو خلفه فلا يفوته . وله أخبار كثيرة يضيق عنها هذا المكان . ومن شعره في وصف الغول :

ألا من مبلغ فنيان فهم بما لاقيت عند رحى بطلان
باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو أين اخو سفر فخطى لي مكاني

فشدت شدة نحوي فاهوى لها كفي بمصقول بمانى
 فاضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدين وللجران
 فقالت عد فقلت لها رويداً مكانك اننى ثبت الجنان
 فلم انفك منكناً عليها لانظر مصباحاً ماذا اتانى
 اذا عينان في رأس قبيح كرأس الهر مشقوق اللسان
 وساقا مخدج وشواة كلب وثوب من عباء او شنان

واخباره في الاغاني ٢٠٩ ج ١٨ والشعر والشعراء ١٧٤ وخزانة الادب ٦٦
 ج ١ وكتب عنه بور Baur بالالمانية مقالة في سيرة حياته وشعره في المجلة الشرقية
 الالمانية سنة ١٨٥٦

٣ - السليك بن السلكة

توفي سنة ٦٥٠ م

هو من تميم أمة سوداء وكان من عاداته اذا كان الشتاء استودع ببيض النعام
 ماء السماء ثم دفنه . فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الحيل اغار . وكان ادل من قطة
 بجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مضر وانما يغير على اليمن فاذا لم يمكنه
 ذلك اغار على ربيعة . ويعدده المفضل الضبي من أشد رجال العرب وانكرهم وأشعرهم .
 وكان أدل الناس بالارض وأعلمهم بمسالكتها . وله أخبار كثيرة مدهشة . ومن شعره
 على أثر غزوة رابحة :

بكي صرد لما رأى الحي اعرضت مهامه رمل دونهم وسهوب
 فقلت له لا تبك عينك انها قضية ما يقضى لها قنوب
 سيكفيك فقد الحي لحم مغرض وماء قدور في الجفان مشوب
 ألم تر أن الدهر لوئان لونه وطوان بشر مرة وكذوب
 فما ذر قرن الشمس حتى رأيت مضاد المنايا والغبار يثوب

واخباره في الاغاني ١٣٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٢١٣

٤ - عروة بن الورد

توفي سنة ٥٩٦ م

هو من عبس وكان شاعراً فارساً وصعلوكاً مقدماً وكان يلقب عروة الصعاليك
 لانه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بامرهم اذا أخفقوا في غزواتهم ويعولهم اذا لم

يكن عندهم معاش . وكان لشعره تأثير في نفوس قبيلته . سئل الحطيئة كيف كنتم في حربكم قال « كنا الف حازم » فقيل وكيف ذلك قال « كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه وكنا نقدم اقدام عنتره ونأتم بشعر عروة بن الورد وتنقاد لامر الربيع بن زياد » ومن شعر عروة قوله :

واني امرؤ عافي إنائي شركة واني امرؤ عافي انائك واحد
أنهزاً مني ان سمئت وان ترى بجسمي شحوب الحق والحق جاحد
افرق جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد
ومن قوله في الاقدام :

دعيني للغنى أسمى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

ومن ذلك قوله :

لعل ارتيادي في البلاد وبغيتي وشدى حياطيم المطية بالرجل
سيدفعني يوماً الى رب عجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل
وله قصيدة تعد من المنتقيات مطلعها :

أقل على اللوم يا ابنة منذر ونامي فان لم تشهى النوم فاسهري
ذريني اطوف في البلاد لعاني اخليك أو اغنيك عن سوء محضري
فترى الهمة والنشاط والاقدام ظاهرة في كل اقواله

ولعروة ديوان طبع في غوتنجن سنة ١٨٦٤ مع ترجمة المانية وشروح لتولدكي وطبع ايضاً في بيروت . وله اشعار متفرقة في الاغانى ١٩٠ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٢٥ وشعراء النصرانية ٨٨٣ والجمهرة ١١٤ وكتب بوشنر Boucher الفرنسى مقالة عنه وعن ذي الاصبع العدواني في المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٧ ومن الشعراء الصعاليك .

٥ حاجز الازدى (٥٧٠) كان يسبق الخيل ترجمته في الاغانى ٤٩ ج ١٢

٦ قيس بن الحدادية الازدى » » » ج ٢ ج ١٣

٧ أبو الطمجان القيني من قضاة مخضرم » » » ج ١١ والشعر

والشعراء ٩٢٩ وخزافه الادب ٤٢٨ ج ٣

٦ - الشعراء اليهود

لا يتجاوز الشعراء اليهود في الجاهلية عدد أصابع اليد الواحدة أشهرهم :

١ - السموال بن غريص بن عاديا

توفي سنة ٥٦٠ م

ويلاحظون نسبة بالسكاهن هرون اخى موسى . وهو صاحب حصن الابلق بتيما .
يضرب المثل بوفائه . وحديثه مع امرىء القيس الشاعر والادراع أشهر من ان
يذكر حتى يتبادر الى الذهن ان العرب وضعوا ذلك الحديث أو بالغوا فيه على
سبيل التمثيل ترغيباً في الوفاء فان الطبيعة تأتي على الرجل أن يضحى ابنه في سبيل
الوفاء . ولا نقول ان ذلك مستحيل لكنه بعيد الحدوث وقد أشرنا الى ذلك قبلاً .
وكانت العرب تنزل بالسموال فيضيفها واشتهر بقصيدته الفخرية التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وقد خمسها غير واحد أشهرم صفي الدين الحلبي

وللسموال ديوان شعر طبع في بيروت سنة ١٩٠٩ وله أخبار في الاغانى ٩٨
ج ١٩ و ١٢ ج ٣ و ٨٧ ج ٦ و ٣٧ ج ٩ والمستطرف ١٦٢ ج ١ والشعر والشعراء ٤٥
والمشرق مجلد ٩ و ١٠ و ١٢

ومن الشعراء اليهود أيضاً :

- ٢ اوس بن دني من قريظة
٣ الربيع بن الحقيق من رؤساء قريظة
٤ كعب بن الاشرف من النضير له مناقضات
- ترجمته في الاغانى ٩٤ ج ١٩
» » » ٦١ ج ٢١
» » » ١٠٦ ج ١٩

٧ - الشعراء المغنون

قلنا في صدر هذا الكتاب ان الشعر والغناء ولداً معاً أو لعل الغناء بعث على
الشعر ولذلك فان اكثر الشعراء القدماء في الامم الاخرى مغنون . أما العرب فلم
يصلنا من أخبار أمثال هؤلاء الا قليل وأحسن مثال لذلك الاعشى وقد ترجمناه
في جملة أصحاب المعلقات . ومنهم علس ذى جدن من حمير ترجمته في الاغانى ٣٧ ج ٤

٨ - المنصور الصواعق

قد ذكرنا ما كان من رقي المرأة في الجاهلية وعزة نفسها وذكائها والشعر
لا يسمو وبز هو الا في ظل العز والارتقاء وينسدر نبوغ الشعراء البلغاء في أمة

ذليلة . فظهر في الجاهلية عدة شواعر جاء ذكر عشرات منهن في الحماسة وغيرها
وذكرنا اسماء بعضهم في ما تقدم . وهالك تراجم أشهرهن :

١ - الخنساء

توفيت سنة ٦٤٦ م

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة سليم (قيس) من اهل نجد . وقد
أجمع رواة الشعر على انه لم تقم امرأة في العرب قبلها ولا بعدها أشعر منها . وقد
أنشدت شعرها على النابغة في عكاظ فأعجب به وقال لها « لولا ان هذا الاعمى
أنشدني قبلك (يعني الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم » على ان اكثر
قولها في رثاء أخيها صخر وكان قد قتل في واقعة يوم الكلاب من أيام العرب
ودفن في أرض سليم فاخذت تنظم فيه المراثي كأن الحزن أنار شاعريتها . وقد
أدركت الخنساء الاسلام وهي عجوز ولها أربعة أولاد فشهدت حرب القادسية
وحرقت اولادها على الثبات في القتال فلما حمى الوطيس تقدموا واحداً واحداً
ينشدون الرجز يذكرون فيه وصية والدهم حتى قتلوا عن آخرهم . فلما بلغها الخبر
قالت « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم »

ومن أشعارها في رثاء صخر أخيها قولها :

ألا ما لعينيك أم ما لها لقد أخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الش ريد حلت به الارض أنقالها
فان تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقاتلها
سأحمل نفسي على خطبة فاما عليها وإما لها
فان تصبر النفس تلق السرور وان تجزع النفس أشقى لها

وللخنساء ديوان شعر كبير طبع في بيروت مشروحاً سنة ١٨٨٨ وفيه مرات
لستين شاعرة . وترجم الى الفرنسية وطبع سنة ١٨٨٩ ولها اخبار كثيرة متفرقة
بالاغاني ٦٤ و١٣٦ ج ١٣ و٣٤ ج ٤ وخزانة الادب ٢٠٨ ج ١ والشعر والشعراء ١٩٧

٢ - خرنق بنت بدر بن هفان

توفيت سنة ٥٧٠ م

هي حنت طرفة بن العبد لأمه ولها اشعار كثيرة في أخيها وزوجها لم يصلنا
منها الا بضعة وخمسون بيتاً جمعت في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب

المصرية وقد طبعت اخبارها واشعارها في شعراء النصرانية ٣٢١ وأفردت في ديوان على حدة طبع في بيروت . ولها اخبار في خزانة الادب ٣٠٦ ح ٢

٣ - ليلى العفيفة

توفيت سنة ٤٨٣ م

هي بنت لكبر من ربيعة من اقدم الشعراء وكانت تامة الحسن كثيرة الادب ولها شعر حسن نشر بعضه في كتاب شعراء النصرانية ١٤٨

٤ - جليلة بنت مرة

توفيت سنة ٥٣٨ م

هي اخت جساس الشيباني قاتل كليب بن ربيعة. وهي ايضاً زوجة كليب المقتول فلما قتل زوجها رحلت من بيته وشممت بها أخت كليب فاجابها بشعر مطلعته :
يا ابنة الاقوام ان لمت فلا تعجلي باللوم حتى تسألي
وتجد أخبارها في شعراء النصرانية ٢٥٢ والاغاني ١٥١ ح ٤

٩ - الشعراء المهجأؤوه

لا تكاد نجد في شعراء الجاهلية شاعراً يتوخى الهجو فيفرد له قولاً وإنما كان هجوم يأتي في أثناء مفاخراتهم وحماسياتهم . ولكن ظهرت طبقة من المهجائين في أواخر عصر الجاهلية وأكثرهم من المخضرمين الذين ادركوا الاسلام . منهم الخطيب العنسي وحسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وعبد الرحمن بن الحكم وعبد الله بن الزبير السهمي وكعب بن الاشرف اليهودي فأفردنا لهم هذا الفصل

١ - الخطيب

مخضرم أدرك معاوية

هو جرول بن أوس من بني عبس من فحول الشعراء ومقدميهم وفصحائهم متين الشعر شرود القافية متصرف في جميع الفنون من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك كله . ولكنه كان ذا شر وسفه دنيء النفس لا رأى له وإنما يساق الى ما يرجو منه مصلحة فينتهي الى كل واحدة من القبائل اذا غضب من غيرها . فاذا غضب من بني عبس قال انه من بني ذهل والعكس وبالعكس . لكنه

كان شديد الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفاً من شره . وكان
يتعمد تخويف الناس بالهجو استدراراً لاهوالهم بما يعبر عنه الافرنج اليوم بقولهم
Chantage وذلك نادر في طباع أهل الجاهلية

وكان اذا نزل مدينة أو نجماً دب الخوف في أهله وارصدوا له العطايا خوفاً من
لسانه وهو يبائع في الطمع كثيراً . ذكروا انه نزل المدينة مرة فمشى اشرافها بعضهم
الى بعض فقالوا « قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق وهو
يأتي الرجل من اشرافكم يسأله فان أعطاه جهد نفسه يهرها وإن حرمه هجاء »
فأجمع رأيهم على ان يجعلوا له شيئاً مهـداً يجمعونه بينهم . فكان اهل البيت من
قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين من الدنانير حتى جمعوا له
اربعمائة دينار وظنوا انهم قد أغنوه فأتوه فقالوا له « هذه صلة آل فلان وهذه صلة
آل فلان وهذه صلة آل فلان » فأخذها فظنوا انهم قد كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم
الجمعة قد استقبل الامام مائلا ينادي « من يحملني على بغلين » - هكذا كان يفعل
مع كل قوم ينزل فيهم والا سلقهم بهجوه

واكثر هجوه الذي وصل الينا في الزبرقان وبييض . وكان الزبرقان من عمال
عمر بن الخطاب وقد عرف شدة وطأة الخطيئة فاحب ان يقربه فدعاه اليه واتزله
في قومه وضمن له مؤونة عياله على ان يستصفي له مدحه . وكان ببيض بن عامر
من بني أقف الناقة واخوته وأهله ينازعون الزبرقان الشرف . فاغتنموا استهانة أم
حرزة امرأه الزبرقان مرة بالخطيئة ودعوه اليهم وفي مقدمتهم ببيض هذا
وعلقمة بن هوذة . فسار معهم وضربوا له قبة بكل طناب من أطناها حلة هجرية
واراحوا عليه ابلهم واكثروا من الثمر واللبن وبالغوا في اكرامه فمدحهم بالبيت
المشهور الذي رفع رءوسهم وهو :

قوم هم الاقف والاذناب غيرهم ومن يساوي باقف الناقة الدنيا
ثم جاء الزبرقان يطلب الخطيئة منهم لانه جاره قابوا وتنازعوا . ثم اتفقوا على
ان يخيروه في الذهاب الى أحد الحيين فاختر ببيضاً فرجع الزبرقان غضباً فخرض
ببيض الخطيئة على هجوه ففعل . ومن قوله يهجو الزبرقان ويناضل عن ببيض :
والله ما معشر لاموا امرأ جنباً في آل لاي بن شماس با كياس
ما كان ذنب ببيض لا ابا لكم في بأس جاء يحدو آخر الناس
وقد مدحتكم عمداً لارشدكم كما يكون لكم منحى وامراسي

لما بدا لي منكم عيب انفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسى
 أزمعت بأساً متيناً من نوالكم ولن يرى طارداً للحر كالياس
 جار لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقبياً بين ارماس
 ملوا قراء وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
 دع المكارم لا ترحل لبغيها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
 وشكاه الناس لعمر بن الخطاب فسجنه فكتب اليه من السجن اياتاً يشكو اليه
 حال أهله بسبب سجنه منها :

ماذا اردت لا فراخ بذى مرخ حمر الحواصل لاماء ولا شجر
 ألفت كاسبهم في قمر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
 ثم اخرجته من السجن وهدده بقطع لسانه واذنيه فتوسط له بعض الصحابة
 فاطلقه واوصاه ان يكف لسانه عن الهجو . وبلغ من شغف الخطيئة بالهجو حتى
 هجا امه واباه وهجا نفسه - فما هجا به امه قوله :

اغربالا اذا استودعت سرأ وكانوا على المنحدثينا
 جزاك الله سرأ من عجوز ولقائك العقوق من البنينا
 وقال لايه :

لحاك الله ثم لحاك حقاً أبأ ولحاك من عم وخال
 فعم الشيخ انت لدى المخازى وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
 جمعت اللؤم لا حياك ربي وأبواب السفاهة والضلال
 وقال لنفسه :

أبت شفتاي اليوم الا تكلماً بسوء فما أدري لمن أنا قائله
 أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
 وهو من اصحاب المشوبات ومطلع مشوبته :

نأنتك امامة الا سؤالا وابصرت منها بعين خيالاً

وللخطبة أشعار كثيرة جمعت في ديوان طبع في ليبسك سنة ١٨٩٣ وفي مصر
 وبيروت مع شروح . وله شرح خطي في دار الكتب المصرية . وأخباره في الشعر
 والشعراء ١٨٠ وفي الاغانى ٤٣ ج ٢ و ٣٩ ج ١٦ وفي العقد الفريد ٨٠ ج ١١١ و ١
 ج ٣ وفي المستطرف ١٣٩ ج ١ وخزانة الادب ٤٠٩ ج ١ والجمهرة ١٥٣

٢ - حسان بن ثابت

توفي سنة ٥٥ هـ

هو من الخزرج اهل المدينة وقد عاصر الجاهلية والاسلام فهو من المخضرمين واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة وله مع النابغة الذبياني أحاديث واختص بعد الاسلام بمدح النبي والدفاع عنه وهو يعد أشهر أهل المدن في ذلك العصر وكان شديد الهجاء حتى قيل لو مزج البحر بشعره لمزجه . قال أبو عبيدة « فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي (ص) في النبوة وشاعر اليمن كلها في الاسلام » . ومن شعره في الجاهلية قوله بمدح جبلة بن الايهم النسائي :

أولاد جفنة عند قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكرم المنفضل
يسقون من ورد البريص عليهم	بردى يصفق بالرحيق السلسل
يفشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم	شم الانوف من الطراز الاول

أما في في الاسلام فكان حسان في جملة من اسلم وأخذ بناصر المهاجرين . ولم يكن هو رجل حرب فنصرهم بلسانه وكان النبي يسر به ويستنشه الاشعار في الدفاع عن أعراض المسلمين اذا هجأهم حاج من المشركين أو غيرهم . وقد حمه النبي على ذلك ليرد عنه هجو الهاجين - فقد كان يهجو النبي ثلاثة من قريش هم عبد الله بن الزبير وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلي ابن أبي طالب « اهج عنا القوم الذين قد هجونا » فقال علي « ان اذن لي رسول الله فعلت » فقال رجل « يا رسول الله ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا » قال « ليس هناك او ليس عنده ذلك » ثم قال « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم ؟ » فقال حسان بن ثابت « أنا لها » وأخذ بطرف لسانه وقال « والله ما يسرنى به مقول بين بصري وصنعا » قال كيف نهجوم وأنا منهم » فقال « انى اسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين » فكان يهجوم ثلاثة من الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والايام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر . فكان في ذلك الزمان أشد القول

عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا
 الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة
 ومن أمثلة دفاعه عن النبي ان وفداً من تميم جاءوا النبي وهم سبعون أو ثمانون
 رجلاً فيهم خيرة الشعراء من تميم . وفيهم الزبرقان بن بدر فأشدد الزبرقان قصيدة
 نغرية فأمر الرسول حساناً ان يجيبهم فقال :

ان الذوائب من فهر واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
 برضى بها كل من كافت سريرته تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا
 قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاربوا النفع في أشياءهم نفعوا
 سجية تلك منهم غير محدثة ان الخلائق فاعلم شرها البدع
 لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم عند الرقاق ولا يوهون ما رفعوا
 ان كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لادنى سبقهم تبع
 أعفة ذكرت في الوحي عفتهم لا يطعمون ولا يزرى بهم طمع
 يسعون للحرب تبدو وهي كالحة اذا الزعانف من اظفارها خشع
 لا يفرحون اذا نالوا عدوهم وان أصيبوا فلا فر ولا جزع
 الى أن قال :

اكرم بقوم رسول الله قائدهم اذا تفرقت الالهواء والشيع
 وانهم افضل الاحياء كلهم ان جد بالناس جد القول أو سمعوا
 وهو من اصحاب المذاهب ومطلع مذهبه :

لعمري ابيك الخير حقاً لما بنا على لساني في الخطوب ولا يدي
 وقد جمعت اشعاره في ديوان وطبع في الهند وتونس ثم طبعته لجنة تذكاري جيب
 في إنجلترا سنة ١٩١٠ وضبطته على النسخ الخطية الموجودة في مكاتب لندن وبرلين
 وباريس وبطرسبورج بعد الاطلاع على النسخ المطبوعة المتقدمة ذكرها
 وتجد اخباره في الشعر والشعراء ١٧٠ والاغاني ٢ ج ٤ و ١٦٩ ج ٨ و ١٦٩ ج
 ١٠ و ١٥٠ ج ١٣ و ٢ ج ١٤ وخزانة الادب ١١١ ج ١ والجمهرة ١٢١ وفي السنة
 السادسة من الهلال ٤٨٢

٣ - عبد الرحمن بن الحكم

هو أخو مروان بن الحكم الذي تولى الخلافة في الدولة الاموية وأفضت بعده الي
 اولاده واحفاده . وكان عبد الرحمن هذا يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت -

الاول يدافع عن قريش وبنى أمية والثاني عن الانصار . وقد هجا ابن الحكم أخاه
الحرث لانه ذهب في غزوة ولم يفلح فقال فيه أبياتاً منها :

كفالك الغزو اذ احجمت عنه حديث السن مقبل الشباب
فليتك حبيضة ذهبت ضلالاً وليتك عند منقطع السحاب
وهجا أخاه مروان فضلاً عن هجوه الانصار وغيرهم
وتجد أخباره في ذلك مدونة في الاغانى ٧٢ ج ١٢ و ١٥٠ ج ١٣

٤ - عبد الله بن الزبيرى

هو أحد شعراء قريش المدودين لكنه كان هجاء فأكثر من هجو المسلمين
وحرص عليهم كفار قريش . ثم اسلم فقبل اسلامه وتجد أخباره في الاغانى ١١
ج ١٤

٥ - كعب بن الاشرف اليهودى

كان شاعراً فارساً وانما كان همه هجو النبي عند ظهوره بالدعوة فبعث النبي اليه نقرأ
قتلوه في داره وقد تقدم ذكره بين الشعراء اليهود وأخباره في الاغانى ١٠٦ ج ١٩

١٠ - الشعراء الوصائفون للخيال

قد رأيت وصفاً كثيراً في أشعار من تقدم ذكرهم وخصوصاً أصحاب المعلقات
ولا سبها امرأ القيس . ولا سكتنا نريد بهذا الباب الشعراء الذين اشتهروا بوصف
الخيال دون سواها وهم ثلاثة نضيف اليهم شاعراً اشتهر بوصف الخمر وهم :

١ - ابو دؤاد الايادى

هو من أقدم شعراء الجاهلية وأكثر أشعاره في وصف الخيل وله أشعار في المدح
والفخر ومن قوله في وصف الفرس :

ولقد اغتدي بدافع ركنى احوذى ذو ميعة اضربح
مخلط مزبل مكر مفر منفع مطرح سبوح خروج
سلب سرحب كان رماحاً حملته وفي السراة دموع

وليس له ديوان معروف ولكن أخباره في الاغانى ٩٥ ج ١٥ و ٤٧ ج ٢

والشعر والشعراء ١٢٠

٣ - الطفيل الغنوي

هو الطفيل بن عوف شاعر جاهلي من الفحول المعدودين ومن أشعر شعراء قيس ومن أوصف العرب للخييل حتى سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها وهو يدخل وصفها في كل باب من شعره . ومن قوله :

بخييل اذا قيل اركبوا لم يقل لهم عواير يخشون الردى أين نركب
ولكن يجاب المستغيث وخيلهم عليها حماة بالمنية تضرب

ومن قوله في وصف بيته :

واطنابه ارسان جرد كأنها صدور القنا من بادىء ومعقب
نصبت على قوم تدر رماحهم عروق الاغادى من عرين وأشيب

وللطفيل الغنوي ديوان تحت الطبع بنفقة لجنة تذكاري جيب الانكليزية مع ديوان الطرماح بن حكيم بعناية المستشرق كرنكو Krenkow وأخباره في الاغانى ٨٨ ج ١٤ والشعر والشعراء ٢٧٥

٣ - النابغة الجعدي

هو غير النابغة الذبياني وهو من جمعة (قيس) مخضرم قال الشعر في الجاهلية وسكت دهرأ ثم نبغ في الاسلام . ويقال مع ذلك انه كان أسن من الذبياني . وهو ممن فكر في الجاهلية وانكر الحمر والمسكر وهجر الازلام والاوثنان . وكان مغلباً اذا هوجى غلب وله مهاجاة مع ليلي الاخيلية وغيرها ويقول علماء الشعر في وصف شعره « خمار بواف ومطرف بالآف » يريدون ان بين اشعاره تفاوتاً كبيراً . ومن قوله في وصف الفرس :

كأن مقط شراسيفه الى طرف القنب فالنقب
لظمن بترس شديد الصقا ل من خشب الجوز لم يثقب

وله قصيدة جمعها أبو زيد مع المشوبات في جبهة أشعار العرب يصف بها حاله منذ كان عند المنذر وكيف سار الى النبي وأسلم ووصف ناقته وفرسه وبض المواقع وغير ذلك مطلعها :

خليلي عوجاً ساعة وتهجرا ولوما على ما احدث الدهر أوذرا

وللنابغة الجعدي أخبار متفرقة في الاغانى ١٢٨ ج ٤ والشعر والشعراء ١٥٨

وجبهة أشعار العرب ١٤٥ وفي خزانة الادب ٥١٢ ج ١

٤ - الشماخ ابن ضرار

ويدخل في هذا الباب الشماخ بن ضرار الذي أنى فانه وصاف للحمير وهو مخضرم ويقولون ان الخطيئة كتب في وصيته « ابلغوا الشماخ انه أشعر غطفان كلها » وقد أجمع علماء الشعر على انه اوصف الشعراء للحمير وأوصفهم للقوس وأرجزم على البديهة . وكان فيه ميل الى الهجاء حتى انه يهجو أهله وضيغه . وقد يصح عده من الشعراء الهجائين ولكن الوصف غالب عليه . ومن وصفه القوس قوله :

وذاق فاعطنه من اللين جانباً كني ولها ان يفرق السهم حاجز
اذ أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم نكلى أوجعتها الجنائز
وهذان البيتان من قصيدة عدها أبو زيد من المشوبات ومطلعها :
عفا بطن قوم من سليمي فمالز فذات الصفا فالمشرفات التواشز
وقد جمعت اشعار الشماخ في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وله
أخبار متفرقة في الاغانى ١٠١ ج ٨ والشعر والشعراء ١٧٧ وخزانة الادب ٥٢٦
ج ١ والجمهرة ١٥٤
ومن وصاف الخيل أيضاً سلامة بن جندل وقد ترجمناه مع الشعراء الفرسان
وفاتنا أن نذكر هناك ان له ديواناً طبع في بيروت

١١ - شعراء الموالي

عبد بنى الحسحاس

ليس في من وصلنا خبرهم من الجاهليين شاعر من الموالي او العبيد الا عبد بنى
الحسحاس وهو حبشي واسمه سهم كان مطبوعاً على الشعر اشتراه بنو الحسحاس
وهم بطن من أسد ومن نظمه قوله :

أشعار عبد بنى الحسحاس فمن له عند الفخار مقام الاصل والورق
ان كنت عبداً فنفسي حرة كرمأ أو اسود اللون اني ابيض الخلق
وذكروا أن صاحبه كان اسمه مالكا جاء به ليبيعه لعثمان بن عفان فقال « لا
حاجة لي به اذ الشاعر لا حريم له ان شبع تشبب بنساء أهله وان جاع هجاهم »
فاشتراه غيره فلما رحل قال في طريقه :

أشوقاً ولما تمض لي غير ليلة فكيف اذا سار المطي بنا شهرا
وما كنت أخشى مالكا أن يبيعي بشيء ولو امست انامله صفرا
اخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قد نوى فيكم وعاشركم دهرا
فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه فكان يشبب بنسائهم حتى قال :
ولقد تحدر من كريمة بعضكم عرق على متن الفراش وطيب
فقتلوه . واخباره في الاغانى ج ٢ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٢٤١

١٢ - سائر الشعراء الجاهليين

بقيت طائفة من شعراء الجاهلية لا يدخلون في باب من الابواب التي تقدمت -
وان كانت تلك الابواب كثيراً ما تختلط أغراضها إذ لا يتفق أن يستقل شاعر أو
بضعة شعراء بالحكم أو الفخر أو الوصف أو الهجاء دون سواه . ولكتنا جمعنا
المتقاربين في بعض تلك الاغراض ليسهل تعليقهم بالذاكرة . وبقي جماعة منهم
لا يجتمعون في باب وهم كثيرون نكتفي بذكر أشهرهم وخصوصاً الذين لهم آثار باقية
يمكن الحصول عليها وهم :

١ - ابن الدمينة

هو عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر من حثم وأمه الدمينة من سلول -
اشهر بحديث امرأته حمادة - وذلك أنه بلغه أن بعض أخواله من سلول يأتيها
خلسة فرصده حتى أتاها فقتله وقتلها . على انه قبل أن يقتل الرجل منعه عن المجيء
إليها فغضب وأراد أن ينتقم منه فنظم قصيدة يصف بها المرأة وصف من تفحص بدنها
فذهب ابن الدمينة الى امرأته وسألها « كيف عرف ذلك فيك » قالت « وصفته له
النساء » فغضب وقال « والله ان لم تمكنيني منه لاقتلنك » فبعثت اليه وواعدته وكان
زوجها كامناً له فقام وقتله ضغطاً على كبده حتى يخفي جريمته . لكن أهله تحفقوا
فعلته فأخذوا براقبونه . وعشق في أثناء ذلك امرأة من قومه اسمها أميمة وهام بها
فلما وصلته نجى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها فقالت هذه الايات :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

فأجابها بمثل عتابها وهو أَلطف أساليب العتاب :
 وأنت التي قطعت قلبي حرارة ومزقت قرح القلب فهو كليم
 وأنت التي كلفتني دج السرى وجون القطا بالجهلنين جنوم
 وأنت التي أحفظت قومي فكلمهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم
 ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده . وهذه الايات تعنى بها المسلمون أجيالا
 واليه تنسب الايات المشهورة :

ولى كبد مقروحة من يبيعي بها كبدأ ليست بذات قروح
 ولا بن الدمينه ديوان شعر منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وله أخبار
 في الاغاني ١٥١ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٥٨

٢ - أوس بن حجر

هو من نيمر أحد بطون نيم من فحول الشعراء الجاهليين يقرنه بعضهم بالحطيثة
 وبنابغة جمدة - قالوا كان أوس شاعر مضر كلها حتى حل مكانه النابغة وزهير فأصبح
 شاعر نيم في الجاهلية غير مدافع . وكان غزلا مغرماً بالنساء فخرج في سفر وبينما
 هو في أرض بني أسد يسير على ناقته ليلا صرخته فاندقت فخذه فظل في مكانه
 لا يستطيع انتقالا حتى خرجت بنت الحى بجنتين الكماء فصرن بالنافه ورأين
 حجراً ملقى ففزعن فنادى احداهن وسألها عن هي فقالت « حليلة بنت فضالة »
 وهو يعرفه فدفع اليها حجراً وقال « اعطي هذا الى أهلك وقولى له ابن هذا
 يقريك السلام » فمضت وبلغت ما قاله فأتى فضالة فاحتمله الى بيته وعالجه فظم فيه
 أوس مدائح كثيرة وأحب ابنه ونظم فيها ثم توفي فضالة فرثاه أحسن الرثاء منه قوله :

أيتها النفس أجملى جزما ان الذى تكرهين قد وقعا
 ان الذى جمع السباحة والذ جدة والحزم والقوى جمعا
 الخلف المتلف المرزأ لم يمتع بضعف ولم يمت طبعاً
 اودى وهل تنفع الاشاحه من شيء قد يحاول النزما

ولأوس بن حجر ديوان طبع في فينا مع ترجمة المانية سنة ١٨٩٢ بعناية
 المستشرق جاير Geyer وعليه تعليقات . وأخباره في الاغاني ٦ ج ١٠ والشعر والشعراء
 ٩٩ وخزانة الادب ٢٣٥ ج ٢

٣ — المقلّمس

توفي سنة ٥٨٠ هـ

هو جرير بن عبد المسيح من ضبيعة (ربيعة) وهو خال طرفة بن العبد واليه
تنسب صحيفة المناس كما مر في حديثه مع طرفة وعمرو بن هند صاحب الحيرة .
ولهذه الحكاية مثال في تاريخ قدماء اليونان تعزى الى بيلروفت (١) فلما علم المناس
بفحوى الصحيفة كما تقدم في ترجمة طرفة رماها في النهر قرب الحيرة وهرب إلى
الشام ولحق بملوك آل غسان ونظم في ذلك قصيدة ذكر فيها نجاته وكان قد استنحت
طرفة على رمي ورقته بقوله :

ألق الصحيفة لا أبالك انه يخشى عليك من الجباء النقرس
فلما بلغه أنه قتل بها قال :

عصاني فما لاقى الرشاد وإنما تبين من أمر الغوى عواقبه
فأصبح محمولا على آلة الردى تمج نجميع الجوف منه ترائبه

ونظم بهجو عمرو بن هند بقصيدة طويلة هي من خيرة شعره مطلعها :

يا آل بكر ألا لله أمم طال النواء وثوب الصخر ملبوس

واقام المناس في حوران عند الفساسة الى وفاته . ومن قوله وفيه افراط في

الفخر من قصيدة هجاها عمراً المذكور :

احارث أنا لو تساط دماؤنا نرايلن حتى لا يمس دم دما

يريد أن دماهم نمتاز عن دماء غيرهم أو تأبى الامتزاج بها — ومنها :

وكنا اذا الجيار صعر خده اقمنا له من ميله فتقومنا

لذى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الانسان الا ايعلمنا

ولو غير اخوالى أرادوا نقيصتى جعلت لهم فوق العرائين ميسما

ومما يتمثل به من شعره قوله :

وأعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العناد

لحفظ المسال ايسر من بغاه وضرب في البلاد بغير زاد

واصلاح القليل يزيد فيه ولا يبق الكثير على الفساد

وهو من اصحاب المنتقيات ومطلع منتقته :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستودع العيس

وقد جمع شعر المتلمس في ديوان منه نسختان خطيتان في دار الكتب المصرية وأخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٢١ والشعر والشعراء ٨٥ وحياة الحيوان للدميري ٢٠٩ ج ٢ وابن خلكان ١٩٩ ج ٢ والجمهرة ١١٣ وشعراء النصرانية ٣٣٠ والحماسة وشرحها ومعجم البلدان ولسان العرب وغيرها

٤ - المثقب العبدى

توفي سنة ٥٨٧ م

هو محسن بن ثعلبة من ربيعة وكان في جملة الذين كانوا يترددون على عمرو بن هند ويمدحونه وله فيه قصائد . وله في وصف راحلته قصيدة مطلعها :

هل عند غان لفؤاد صد من نهلة في اليوم أو في غد
وله قصيدة يمدح بها عمراً المذكور مطلعها :

أفاطم قبل بينك ودعيني ومنعك ما سألتك أن تبيني
ومما سبق إليه وأخذ عنه قوله من هذه القصيدة في وصف ناقته :

كان مواقع الثغفات منها معرس باكرات الورد جون
الباكرات القطا . فأخذ هذا المعنى عنه ذو الرمة والظرماع
وله قصيدة منها البيت المشهور :

حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم

والمثقب ديوان حوى شعره مع شروح منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وأخباره في الشعر والشعراء ٢٣٣ وخرانة الادب ٤٣١ ج ٤ وشعراء النصرانية ٤٠٠

٥ - المنخل اليشكري

توفي سنة ٥٩٧ م

هو المنخل بن عبيد من بشكر من بكر وائل (ربيعة) شاعر مقل كان ينادم النعمان مع النابغة الذبياني ولكن النعمان كان يؤثر شعر النابغة على شعره، فسعى المنخل بالنابغة وأوغر صدر النعمان عليه حتى هم بقتله فهرب النابغة وخلا المنخل بمجالسته . ثم اتهمه النعمان بامرأته وأمر بقتله فقتل ويقال انه دفن حياً . والعرب تضرب المثل به كما تضربه بمن هلك منهم ولم يعلم خبره . ومن مشهور شعره أبيات من قصيدة له في الفخر مطلعها :

ان كنت عاذاتي فسيري نحو العراق ولا تحورى

الى أن يقول: ولقد شربت من المدامنة بالصغير وبالكبيرة
 فاذا انتشيت فاني رب الخورنق والسدير
 واذا صحوت فاني رب الشوبهة والبعير
 وأخبار المنخل في الاغانى ١٥٢ ج ١٨ و ١٦٦ ج ٩ والشعر والشعراء ٢٣٨
 وشعراء النصرانية ٤٢١

٦ - كعب بن زهير

توفي سنة ٢٤ هـ

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى والكعب ذكر خاص عند ظهور الاسلام لانه
 من المخضرمين وكان من أكثر الشعراء هجواً للنبي ثم جاءه وأسلم ومدحه بقصيدته
 المشهورة التي مطلعها:

بانت سعاد فقابي اليوم متبول مقيم عندها لم يحجز مكبول
 وهي من المشوبات . ولما أقبل على النبي وطلب الامان أنشده اياها والمجلس حافل
 بالصحابة من قريش وغيرهم فلما وصل الى قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
 في فتية من قريش قال قائلهم يبطن مكة لما اسلموا زولوا
 زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا خور معازيل

أشار النبي الى الخلق أن بسمعوا شعر ابن زهير . ولما فرغ من الانشاد خلع
 النبي عليه بردته وهي التي تداول الخلفاء لبسها (١)

وقد طبعت مشوبة كعب مراراً بمصر وأوربا وشرحها كثيرون منهم ابن دريد
 والتبريزي وغيرهما في العصور المختلفة الى الآن . ومن الاصل والشروح نسخ كثيرة
 في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها . وشارها غير واحد مما يطول
 شرحه . وأخبار كعب في الاغانى ١٤٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ٥٨ و ٦٧ والجمهرة
 ١٤٨ والحماسة وغيرها

٧ - معن بن أوس

توفي سنة ٢٩ هـ

هو معن بن أوس بن نصر من مزينة (مضر) شاعر مجيد فحل من المخضرمين

(١) راجع تاريخ البردة النبوية في تاريخ لندن الاسلامى ١١٥ ج ١ (طبعة ثالثة)

وله مدائح في جماعة من الصحابة ووفد على عمر بن الخطاب مستعيناً به على أمره
وخاطبه بقصيدته التي أولها :

تأوبه طيف بذات الجرائم فنام رفيقاه وليس بناثم
ويقال انه لقي معاوية أيضاً وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويقول كان
أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير . وأشعر أهل الاسلام منهم وهما ابنه كعب
ومعن بن أوس . وكان معن مثاناً وبحسن صحبة بناته وترينهن . ومن شعره قوله :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلم
إذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها تلك السفاهة والظلم
فأسعى لكي أبني وبهدم صالحى وليس الذى يبني كمن شأنه الهدم
بحاول رغمى لا بحاول غيره وكلوت عندي أن ينال له رغم
فما زلت في لين له وتعطف عليه كما تحنو على الولد الام
لأستل منه الضغن حتى سلته وان كان ذا ضغن يضيق به الحلم

وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٩٠٣ وأخباره في الاغانى ١٦٤ ج ١٠
وخزانة الادب ٢٥٨ ج ٣

الباقى من هذه الطبقة

وفي هذه الطبقة من الجاهليين والمخضرمين جماعة ضاق المقام عن تراجمهم وفيهم
بضعة من الفحول . ولكن أكثرهم مقلون فنكتفي بأسمائهم مرتبة على الابدجديّة
مع الاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في معرفة أخبارهم :

اسم الشاعر	المآخذ
٨ ابن الفريرة من نميم شاعر مخضرم	الاغانى ٩٧ ج ١٠
٩ ابو خراش الهذلى هذيل	» ٣٨ ج ٢١
١٠ أبو ذؤيب » » من اصحاب المرأى	» ٥٨ ج ٦ والشعر والشعراء ٤١٣
١١ ابو زيد الطائي كان يزور الملوك أيام عثمان	» ٢٤ ج ١١ » ١٦٧
١٢ ابو العيال من هذيل شاعر فصيح أدرك معاوية	» ١٦٧ ج ٢٠
١٣ الاسود بن يعفر من نميم شاعر فصيح	الشعر والشعراء ١٣٤ والاغانى ١٣٤ ج ١١ والخزانة ٩٥ ج ١ وشعراء النصرانية ٤٧٥

اسم الشاعر	للاخذ
١٤ جبران العورد (١)	الشعر الشعراء ٤٥٠
١٥ الحادرة المازنى (٢) شاعر مقل	الاغاني ٨٢ ج ٣
١٦ حنظلة الطائي صاحب الوفاء	شعراء النصرانية ٨٩ والمستطرف ١٦١ ج ١
١٧ خزيمه بن نهد من قضاة شاعر قديم	الاغاني ١٥٩ ج ١١
١٨ ربيعة بن مقروم من ضبة	» ٩٠ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٨٠ وخزانة الادب ٥٦٦ ج ٣
١٩ سويد بن ابى كاهل من يشكر	» ١٧١ ج ١١ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٠ عدى بن زيد العبادي من نميم من اصحاب المجمرات شاعر كاتب كسرى	» ١٨ ج ٢ والشعر والشعراء ١١١ والجمهرة ١٠٢
٢١ عدى بن نوفل من قريش شاعر مقل	» ١٣٥ ج ١٣
٢٢ عمرو بن شاس من أسد	» ٦٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ٢٥٤
٢٣ عمرو بن سعيد من قريش	» ٨٧ ج ٨
٢٤ عمرو بن براق شاعر قديم	» ١٣٠ ج ٢١
٢٥ عمرو بن قبيصة من ربيعة	» ١٦٣ ج ١٦ والخزانة ٢٤٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٢٢٢
٢٦ عيينة بن مرداس شاعر مقل	» ١٤٣ ج ١٩
٢٧ غيلان الثقفي من أهل الطائف	» ٤٥ ج ١٢
٢٨ فضالة بن شريك من مضر وفد على ابن الزبير	» ١٧١ ج ١٠
٢٩ كعب بن مالك من الخزرج مخضرم	» ٢٦ ج ١٥ والخزانة ٢٠٠ ج ١
٣٠ لقبط بن معمر الايادى شاعر جاهلى قديم (٣)	» ٢٣ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٩٧
٣١ المتنخل من هذيل شاعر فحل	» ١٤٥ ج ٢٠ وخزانة الادب ١٣٧ ج ٢

(١) له ديوان مشروح في دار السكتب المصرية

(٢) له ديوان خطى في دار السكتب المصرية وفي المتحف البريطانى وطبع نىء منه في ليدن

سنة ١٨٥٨ (٣) له ديوان في مكتبة أياصوفيا

الماخذ	اسم الشاعر
الاغاني ٤٠ ج ١٢ والشعر والشعراء ٢٥٠ وخزانة الادب ٥٣٥ ج ٢	٣٢ الخبل السعدى من ميم مات أيام عمر
الشعر والشعراء ٢٣٥	٣٣ المعزق العبدى (٤٨٠) شاعر قديم
الاغاني ١٥٧ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٧٣ والجمهرة ١٠٩	٣٤ النمر بن تولب من عكل من أصحاب المجمرات
الاغاني ١٦٩ ج ٢١ والشعر والشعراء ٤٣٤ وخزانة الادب ٨٤ ج ٤	٣٥ هدبة بن الحشرم ^(١) من بادية الحجاز كان راوية الخطبة
شعراء النصرانية ٨٠	٣٦ يزيد بن عبد المدان

هؤلاء شعراء الجاهلية والمخضرمون ممن وقفنا لهم على تراجم مستقلة مع بيان أغراضهم ومراتبهم . وهناك طائفة كبيرة عرفوا بآيات أو قصائد ومنهم كثيرون في كتب الادب والحماسة والمجمرات والمفضليات وغيرها

ما همز الشعراء الجاهليين

يحسن بنا أن نأتي على ذكر الكتب التي يمكن لطلاب الشعر التوسع بها في معرفة الشعراء الجاهليين أو المخضرمين غير الدواوين التي تقدم ذكرها غير المعاجم اللغوية . وهذه أهمها مما طبع ويقرب تناوله ونذكر هنا الطبقات التي عولنا عليها في المآخذ التي بين أيدينا مرتبة على الأبيجدية لتسهيل المراجعة على المطالع :

اسم الكتاب	سنة الطبع ومكانه
١ أشعار الهذليين رواية السكري	لندن سنة ١٨٥٤
٢ الاصمعيات	ليبسك » ١٩٠٢
٣ الاغاني لابن الفرج الاصبهاني ٢١ جزءاً	بولاق » ١٢٨٥
٤ أمالي القالى	مصر » ١٣٢٦
٥ أمثال العرب للضيبي	الآستانة » ١٣٠٠
٦ البيان والتبيين للجاحظ جزآن	مصر » ١٣١٣
٧ جمهرة أشعار العرب لابي زيد بن أبي الخطاب	بولاق » ١٣٠٨
٨ جمهرة الامثال لابي الحسن العسكري	بمباي » ١٣٠٧

(١) عنه مقالة بالفرنساوية لدوجات في المجلة الاسبوية الفرنسية سنة ١٨٥٥

سنة الطبع ومكانه	اسم الكتاب
١٢٩٦ بولاق سنة	٩ الحماسة لابن تمام وشرحها للتبريزي ٤ أجزاء
١٩٠٩ بيروت »	١٠ » للبحري
١٢٩٩ بولاق »	١١ خزائن الادب ولب باب لسان العرب ٤ أجزاء
١٢٩٥ بولاق »	١٢ سيرة الرسول لابن هشام ٣ أجزاء
١٨٩٤ كالكتنه »	١٣ شرح الفصائد العشر للتبريزي
١٢٨٤ بولاق »	١٤ شرح المقامات الحربية للشربشي
١٩٠٢ ليدن »	١٥ الشعر والشعراء لابن قتيبة
١٨٩٠ بيروت »	١٦ شعراء النصرانية للاب شيخو ٦ أجزاء
١٨٥٨ بيروت »	١٧ طبقات الشعراء لاسكندر ابكاربوس
١٨٧٠ لندن »	١٨ العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهليين
١٣٠٥ مصر »	١٩ العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ أجزاء
١٣٢٥ مصر »	٢٠ العمدة لابن رشيق جزءان
١٨٩٠ ليدن »	٢١ قواعد الشعر لثعلب
١٣٠٢ مصر »	٢٢ الكامل لابن الاثير ١٢ جزءاً
١٢٨٦ مصر »	٢٣ الكامل للمبرد
١٣٠٥ مصر »	٢٤ الكشكول وعلى هامشه ادب الدنيا والدين
١٣١٢ بيروت »	٢٥ مجمع الامثال للميداني مشروح
١٣٠١ الآستانة »	٢٦ مصارع العشاق للسراج
١٨٧٠ ليدن »	٢٧ معجم البلدان لياقوت الحموي ٦ أجزاء
١٨٧٧ غوتنجن »	٢٨ معجم ما استعجم للبكري جزءان
١٣١٩ مصر »	٢٩ المعلقات وشرحها
١٨٨٥ ليدن »	٣٠ المفضليات للمفضل الضبي
١٣٠٢ الآستانة »	٣١ نقد الشعر لقدامه بن جعفر

ولا يخفى أن للمستشرقين عناية كبرى في الشعر العربي ولهم فيه أبحاث وانتقادات واليك أشهر ما كتبوه بهذا الشأن لعل القاري يحب الاطلاع عليها نذكرها باللغات التي كتبت فيها مع مكان طبعتها وسنته :

- Ahlwardt, Ueber Poesie und Poetik der Araber ; Gotha 1856
 Clouston, Arabian Poetry for English readers, Glasgow, 1881
 Guyard, Théorie nouvelle de la métrique arabe précédée de Consideration
 gén. sur le rythme naturel du langue, J. A. 1876.
 Muir, Ancient Arabic Poetry ; its genuinness & its Authenticity, J. R. A. S.
 1879
 Moeldeke, Beitrage Zur Kenntniss der Poesie der alten Araber, Hanover
 1864
 Slane, Le diwan d'Amrou'l'Kais précédé de la vie de ce poète, Paris 1837
 Lyall, Translation of Ancient Arabic poetry, London, 1887.

وهناك شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية اسمه رياض الفيض طبع
 في لاهور (الهند) سنة ١٢٩٩

رابعاً - الخطابة

في الجاهلية

الخطابة تحتاج الى خيال وبلاغة ولذلك عددناها من قبيل الشعر أو هي شعر متنور
 وهو شعر منظوم وان كان لكل منهما موقف . فالخطابة تحتاج الى الحماسة ويغلب
 تأثيرها في أبناء عصر الفروسية وأصحاب النفوس الاية طلاب الاستقلال والحرية
 مما لا يشترط في الشعر . ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا
 الوجه لان كليهما أهل شعر وخطابة وأهل اباة واستقلال . ولذلك أيضاً كانت الخطابة
 وأجبة عند الرومان مع تأخر الشعر عندهم . ولنفس هذا السبب قصر العبرانيون
 في الخطابة مع تقدمهم في الشعر لغلبة الذل والضعف علي طباعهم فتحول خيالهم
 الشعري الى الشكوى والتضرع وانصرفت قرائحهم الى نظم المراني والحكم
 أما العرب فقد قضى عليهم الاقليم بالحربة والحماسة وهم ذوو نفوس حساسة مثل
 سائر أهل الخيال الشعري فأصبح للبلاغة وقع شديد في نفوسهم فالعبارة البليغة تقدمهم
 أو تقيمهم بما تثيره في خواطرهم من النخوة . واقتضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا
 ويتنافروا فاحتاجوا الى الخطابة في الاقتناع وتأليف الاحزاب - وان غلب في
 مواضع خطبهم المفاخرة بالاحساب والاداب في المجالس والاندية العمومية
 والخصوصية وكانوا يخطبون وعليهم العمام وهم وقوف في أيديهم المخاصر ويعتمدون
 على الارض بالقسي ويشيرون بالعصى والقنا وقد يخطبون وهم جلوس على
 رواحلهم^(١) . ومما يدل على تشابه الشعر والخطابة ان الغالب في الشعراء ان
 يخطبوا والخطباء أن ينظموا فيكون الواحد شاعراً وخطيباً فاذا غلب عليه الشعر

(١) البيان والتبيين ٢٠ ج ٢ و ١٣٦ ج ١

سموه شاعراً أو الخطابة سموه خطيباً . والقبائل التي كثر خطباؤها هي غالباً التي كثر شعراؤها . ومن أقوالهم في تاريخ الشعر والخطابة ان عبد القيس بعد محاربة اباد تفرقوا فرقتين ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وعم من أشعر القبائل ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرّة البادية وفي معدن الفصاحة ^(١) وبدل ذلك على نتائج احتكاك الافكار عند الاختلاط بالاعاجم . ولهذا السبب كثر الخطباء أيضاً في اليمن لاختلاطهم بالفرس وكان الفرس أهل خطابة مثل العرب

﴿ مواضع الخطب ﴾ وكان العرب يخطبون بعبارة بليغة فصيحة وهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون وانما كانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر وكانوا يدرّبون فتيانهم عليها من حدائهم ^(٢) لاحتياجهم الى الخطباء في ايفاد الوفود مثل حاجتهم الى الشعراء في حفظ الانساب والافاق عن الاعراض . ولكنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب في الجاهلية لما جاء الاسلام صار الخطيب مقدماً لحاجتهم اليه في الاقتاع وجمع كلمة الاحزاب . ولكن نظراً لحاجة العرب الى الخطباء في ارسال الوفود فقد كان خطيب القبيلة عندهم عميدها وزعيمها وهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن السنة أما ايفاد الوفود فقد كان شائعاً في تلك العصور فكانت دول الروم والهند والصين والفرس يتبادلون الوفود لمبادلة العلائق أو للمفاخرة ولم يكن للعرب دولة تستوفد من قبلها ولكن المناذرة ملوك العرب في العراق كانوا يذكرون فصاحة العرب بين يدي الاكاسرة وخصوصاً كسرى أنوشروان فكان يميل الى مشاهدتهم فانفق مرة أن النعمان خاطبه في ذلك فطلب اليه أن يريه واحداً منهم فاستقدم جماعة من خطباء العرب اختار من كل قبيلة اثنين أو ثلاثة هم بالحقيقة حكماؤها ووجهائها ومنهم اكنم بن صفيي وحاجب بن زرارة من قبيلة بميم والحارث بن ظالم وقيس ابن مسعود من قبيلة بكر وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل من بني عامر وغيرهم . فقدموا على كسرى وخطب كل منهم بين يديه خطاباً ذكره ابن عبد ربه مفصلاً في الجزء الثالث من العقد الفريد

على أن عرب اليمن وشرقي جزيرة العرب كانوا يقدمون على كسرى للشكوى من عماله هناك وكان غيرهم من العرب يقدون عليه بالهدايا من الخيل ونحوها على سبيل الاستجداء كما فعل أبو سفيان والد معاوية

وكانوا يقدون على الامراء من العرب وغيرهم كوفود حسان بن ثابت على
النعمان بن المنذر بالحيرة وعلى آل جفنة في البلقاء . ووفود وجهاء قريش على سيف
ابن ذى يزن في اليمن بعد قتله الحبشة - وفدوا عليه للتهنئة بالنصر وكان في جملة
خطباء ذلك الوفد عبد المطلب جد النبي . ومن هذا القبيل وفود القبائل على النبي
بعد أن استتب له الامر فقد جاءه من كل قبيلة وجهاءها وخيرة باقاتها للدخول في
الاسلام أو للاستفهام أو غير ذلك . ومن هذا القبيل أيضاً وفود العرب على الخلفاء
للتسليم والتهنئة كوفود جيلة بن الازهم وعمرو بن معدي كرب على عمر بن الخطاب
وفود أهل البصرة على أبي بكر وغيرهم مما يطول شرحه

﴿ الخطباء ﴾ وجملة القول ان الخطباء كانوا عديدين في النهضة الجاهلية
كالشعراء والغالب فيهم أن يكونوا أمراء القبائل أو وجهاءها أو حكماءها . وكان
لكل قبيلة خطيب أو غير خطيب كما كان لها شاعر أو غير شاعر . وأشهر خطباء
الجاهلية قس بن ساعدة من بني أياد وقد أدركه النبي فرآه في سوق عكاظ على جبل
أحمر وهو يقول في خطابه « أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا من عاش مات ومن
مات فات وكل ما هو آت آت » (١) وقد تقدم ذكره بين الشعراء

ومنهم سحبان وائل الباهلي الذي يضرب المثل بفصاحته فيقال « هو أخطب
من سحبان وائل » وكان اذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد
حتى يفرغ . ومنهم جماعة كبيرة من حمير كدويد بن زيد وزهير بن جناب ومرثد
الخبير وغيرهم من سائر القبائل كالحارث بن كعب المذحجي وقيس بن زهير العبسي
وذى الاصبع العدواني وأكثم بن صفيي التميمي وعمرو بن كلثوم وغيرهم

وكانوا يبخرون في خطبهم الالفاظ الرقيقة والمعاني المألوفة . وكانت خطبهم على
ضربين الطوال والقصار . والقصار أكثر عدداً لانهم كانوا يفضلونها لسهولة
حفظها . وكانوا لشدة عنايتهم بالخطب يتوارثونها ويتناقلونها في الاعقاب ويسمونها
بأسماء خاصة كالمعجوز خطبة لآل رقية والمذراء خطبة قيس بن خارجة والشوواء
خطبة سحبان (٢)

ونجد أمثلة من خطب الجاهلية أو بأثناء الفتوح في كتب الادب ولا سيما العقد
الفريد لابن عبد ربه . والبيان والتبيين للجاحظ والاغاني ونهج البلاغة (خطب على)
وفي كتب المغازي والفتوح كفتوح الشام لابن اسماعيل البصري وفتوح الشام للواقدي

وفتوح البلدان للبلاذري والسيرة النبوية لابن هشام وتاريخ الطبري وابن الاثير وغيرها

خامساً - الانساب

في الجاهلية

﴿ الانساب ﴾ كان للانساب في عصور الجاهلية عند الامم القديمة شأن كبير وكان للناس عناية عظيمة في حفظ انسابهم للتناصر على الاعداء أو للتفاخر بالآباء . وقد بالغ اليونان في ذلك حتى حفظوا انساب آلهتهم وكيفية تسلسلها بعضها من بعض ثم نسبوا انفسهم اليها فلم يكن في جاهلية اليونان أسرة كبيرة من الاشراف ورجال السلطان الا وحبل نسبها يتصل ببعض تلك الآلهة . وقد نظم بعضهم الاشعار للتفاخر بذلك قبل المسيح بيضعة قرون . وكذلك كان الرومان في اقدم اجيالهم فالطبقة التي تعرف عندهم بالبطارقة كانوا يدعون الانتساب الى آباء أعلى طبقة من البشر . ومن هذا القبيل انتساب اليهود الى الآباء الاولين والانبياء وافتخارهم بذلك على سائر الامم وهم يمتازون في هذا عن اليونان والرومان أنهم يرجعون جميعاً الى أب واحد - وهذا أيضاً من قبيل ميلهم الفطري الى التوحيد مثل سائر الامم السامية

﴿ نسب العرب ﴾ والعرب من حيث انسابهم فرع من العبران لان العدنانيين منهم يرجعون في أصل آبائهم الاولين الى اسماعيل بن ابراهيم والقحطانيين ينتسبون الى يقطان بن طابر . وقد زادت عناية العرب في الانساب رغبة في التناصر على الغرباء أو بعضهم على بعض . وقد رتبت انساب العرب في ست مراتب أو طبقات أولها الشعب ثم القبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالقصيلة . فالشعب هو النسب الابعد مثل عدنان وقحطان ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربيعة ومضر ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها انتساب القبائل مثل قريش وكنانة ثم البطن وهو ما انقسمت فيه انساب العمارة مثل بني عبد مناف وبني مخزوم ثم الفخذ وهو ما انقسمت اليه انساب البطن مثل بني هانم وبني أمية ثم النصيلة مثل بني أبي طالب وبني العباس (١)

وبالغ العرب في الرجوع الى الاجداد حتى رجعوا بأسماء المدن الى أسماء بعض اجدادهم . والغالب أن ينتهي النسب بأحد آباء التوراة - فاذا سئل أحدكم مثلاً عن الاندلس من بناها قال « بناها أندلس بن يافث بن نوح » (٢) وكان النسابون يحفظون أسماء القبائل وما يتفرع منها حفظاً دقيقاً فاذا عرض لهم رجل فقال أنا من

بني تميم مثلاً النسبى فإنه يبدأ من قبيلة تميم وما تفرع منها من العائثر والبطون والافخاذ حتى ينتهي الى الفصيصة ومنها الى والد السائل أو اليه هو نفسه وكثر النسابون في الجاهلية ولم تخل قبيلة أو عمارة أو بطن من نسابة أو غير نسابة . ومن أشهرهم دغفل السدوسى من بني شيبان وعميرة أبو ضمضم وابن لسان الحمرة من بني تيم اللات وزيد بن الكيس النمرى والتخار بن أوس القضاى وصعصعة ابن صوحان وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وغيرهم (١) وظل النسب محفوظاً في صدر الاسلام واشتهر كثير من النسابين فلما آلت الدولة الى الموالى والمصطنعين صار الناس ينتسبون الى موالىهم ومصطنعهم

سادساً - الاخبار أو التاريخ

في الجاهلية

لم يكن عند العرب الجاهلية تاريخ من قبيل ما نفهمه من هذه اللفظة اليوم ولكنهم كانوا يتناقلون أخباراً متفرقة بعضها حدث في بلادهم والبعض الآخر نقله اليهم الذين عاشروهم من الامم الاخرى. فمن أمثال أخبارهم حروب القبائل المعروفة بأيام العرب وقصة سد مأرب واستيلاء أبي كرب تبارق أسعد على اليمن وبعض من خلفه وملك ذى نواس وقصة أصحاب الاخدود وفتح الحبشة لليمن وقصة أصحاب الفيل وقدمهم الكعبة وحرب ذى بزن الحميرى الى آخر ما انتهى اليه أمر الفرس في اليمن وقصة عمرو بن لحي وأصنام العرب وحكاية جرهم ودفن زمزم وتاريخ الكعبة الى أيام قصي بن كلاب وولاية الحج وأمر عامر بن الظرب ثم ما كان من غلب قصي على أمر مكة وقصة حلف المطيين وحلف الفضول وحفرها بئر زمزم وحرب الفجار وحديث بنيان الكعبة . غير أخبار عاد وعمود وغيرها من العرب البائدة وحكاية بلقيس وسليمان ونحوهما من أخبار التوراة وغير ذلك من الاخبار التي كان العرب يتناقلونها عند ظهور الاسلام

سابعاً - أسواق العرب ومجالس الادب

في الجاهلية

١ - اسواق العرب

المراد بالسوق مكان يجتمع فيه أهل البلاد أو القرى في أوقات معينة يتبايعون

(١) بلوغ العرب ١٩٦ ج ٣ والبيان ١١٨ ج ١

ويتداولون ويتقايضون . ولا تزال أمثال هذه الاسواق تقام الى اليوم في القرى أو في البلاد البعيدة عن التمدن الحديث . على أن في بعض المدن الكبرى كالقاهرة مثلاً أسواقاً تنعقد في بعض أيام الاسبوع وتعرف بها كسوق السبت أو السبتية وسوق الثلاثاء أو الاربعاء . فيجتمع اليها الناس من الضواحي للبيع والشراء

ومن هذه الاسواق ما ينعقد كل اسبوع ومنها ما لا ينعقد الا مرة في الشهر أو في السنة ومنها ما ينعقد مرة كل بضع سنين . فان للهنود سوقاً يقيمونها في هر دووار على ضفاف الكنج كل سنة ويبلغ عدد المجتمعين هناك في الموسم ٣٠٠٠٠٠ نفس . و يقيمون في ذلك المكان حجاً مرة كل ١٢ سنة يبلغ عدد الحاجين اليه نحو مليون نفس وهو أكبر أسواق العالم . وأمثال هذه الاسواق كثيرة في روسيا وتركيا وفي جرمانيا وفرنسا وانكلترا وأميركا . ففي روسيا سوق تقام في مدينة نوفكروود مرتين في السنة يبلغ عدد الذين يؤمنونها ١٢٠٠٠ نفس يجتمعون هناك من سائر بلاد روسيا ومن شرقي اوربا . ويقدررون قيمة ما يباع من البضائع في أسواق روسيا بنحو ١٢٠٠٠٠٠٠٠ روبل في العام وقس على ذلك سائر الاسواق الكبرى

وقد كانت كثير من أمثال هذه الاسواق في العالم القديم . ولكن الاقدام لا تتزاحم فيها الا اذا كان الغرض من الاجتماع حجاً دينياً . فاذا اجتمع الناس في مكان الحجاج وتكاثروا احتاجوا الى من يبيعهم الاطعمة والاشربة وغيرها فتقام الاسواق لهذه الغاية : كذلك كان شأن العرب في سوق عكاظ وغيرها من اسواق الجاهلية

﴿ اسواق العرب ﴾ وكان للعرب في الجاهلية اسواق يقيمونها في أشهر السنة وينتقلون من إحداها الى الاخرى يحضرها العرب من قرب منهم ومن بعد فاذا فرغوا من سوق انتقلوا الى سواها . فكانوا ينزلون دومة الجندل في أعلى نجد أول يوم من شهر ربيع الاول فيقيمون اسواقها للبيع والشراء والاحذ والعطاء ثم ينتقلون الى سوق هجر فيقيمون هناك شهراً ويرتحلون منها الى عمان فيقيمون سوقهم ثم يرحلون الى حضرموت فعدن وبعضهم ينزل صنعاء فيقيمون اسواقهم ثم يرحلون الى عكاظ في الاشهر الحرام . وكانت لهم أسواق أخرى في صحار والشحر والمجنة وحباشة والمشقر وغيرها (١)

﴿ سوق عكاظ ﴾ وأشهر اسواق العرب الجاهلية سوق عكاظ وهي مكان بين الطائف ونخلة صحراء مستوية لا علم فيها ولا جيل الا ما كان من الانصاب التي كانت لاهل الجاهلية وبها من دماء البدن كالارحاء العظام (٢) فكانت العرب

(١) نهاية الارب (خط) (٢) معجم البكري ٦٦٠

إذا قصدت الحج أقامت بهذه السوق من أول ذي القعدة يبيعون ويشترون الى عشرين منه ثم يتوجهون الى مكة فيقضون مناسك الحج ثم يعودون الى أوطانهم وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده الاعكاظ فانهم كانوا يتوافدون اليها من كل ناحية . ومن كان له اسير سعى في فدائه هناك ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذي يقوم بأمر الحكومة في أيام الموسم وهم اناس من نيم . ومن كان له نار على أحد ولم يعرف مكانه طلبه في المواسم . أو أراد أحد أن يعمل عملاً تعرفه العرب أو يستشهدها فيه عمله في عكاظ (١) أو أراد أن يفاخر أحداً على مشهد من الناس فاخره هناك : وكانوا يتفاخرون حتى في كبر المصائب كما تقدم عن معاظلة الحنساء وهند بنت عتبة

وانما يهمننا في هذا المقام أن العرب كانوا يفتنمون وقت المواسم واجتماع القبائل ويقومون بمجالس البحث في كل موضوع كالمناشدة والمفاخرة فينشد الشعراء ويخطب الخطباء فيختارون كبيراً من وجهاتهم يجعلونه حكماً فيما يختلفون فيه . وكان النابغة الذبياني اذا أتى عكاظ في الموسم ضربوا له قبة حراء من ادم وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها (٢) ليحكم فيها ويقال إنهم كانوا اذا أقرؤا على فضل قصيدة علقوها هناك أو في الكعبه ومنها المعلقات السبع

وشأن العرب في ذلك شأن اليونان القدماء في الجناسيوم وهي أبنية كانوا يجتمعون فيها للالعب البدنية وفيهم الفلاسفة والعلماء فكانوا يفتنمون فرصة وجودهم هناك ويتباحثون ويتناظرون ويتنافرون كما كان يفعل العرب في عكاظ (٣) ولا يخفى ما في ذلك من تمحيص الحقائق واستحثاث القرائح فضلاً عما كانت يترتب على ذلك الاجتماع من تنقيح اللغة ونموها . فان قريشاً كانوا يسمعون لغات القبائل في أثناء تلك الاجتماعات فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستنقح الالفاظ كالشكشة والكسكية والنعنة والفضفخة والوكم والوهم والمعجمجة والاستنطاء والششنة وغير ذلك من العيوب في لغات الأمم الاخرى (٤)

٢ - مجالس الادب

وكان للعرب مجالس يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار ومبادلة الاخبار والبحث في

(١) الاغاني ٢ ج ١٣ (٢) الشعر والشعراء ١٩٧

(٣) Lit: Gr. 132 (٤) للزهر ١٠٩ ج ١

بعض شؤونهم العامة . وكانوا يسمون تلك المجالس الاندية ومنها نادي قریش ودار الندوة بجوار الكعبة وكان لكل بيت قناء بين يديه للاجتماع (١) ولكل قوم مجتمع عام في المضارب (٢) على أنهم كانوا حينما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا وتجد اخبار أسواق العرب وأماكنها في جملة التاريخ الجاهلي . وفي كتب الاقاليم والمعاجم الجغرافية وخصوصاً معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وصفة جزيرة العرب للهمداني وكلها مطبوعة . فضلاً عما جاء من أخبارها في الاغاني ٩ ج ١ و ١١ ج ٢ و ٢٢ و ١١٠ و ١٣٦ ج ٤ و ٩٢ ج ٦ و ٤٦ ج ٧ و ١٠ ج ٩ و ١٢ و ٢٩ و ١٤٨ ج ١٠ و ٥٤ ج ١٢ و ١٤١ ج ١٣ و ٤١ ج ١٤ و ٧٣ ج ١٩ وفي السير النبوية وغيرها

ثامناً - العلوم الطبيعية

في الجاهلية

١ - الطب

الطب من جملة العلوم التي اشتهر بها الكلدان كهنة بابل ويقال انهم أول من بحث في علاج الامراض فكانوا يضعون مرضاهم في الازقة ومعابر الطرق حتى اذا مر بهم أحد أصيب بذلك الداء أخبرهم بسبب شفائه فيكتبون ذلك على ألواح يعلقونها في الهياكل ولذلك كان التطيب عندهم من جملة أعمال الكهان . وعن الكلدان أخذت سائر الامم القديمة وفي جملتها العرب . وهو متشابه عند تلك الامم في مصر وفينيقية وأشور . وكان لمصر شأن خاص فيه . ثم تناوله اليونان فاقنوه ورتبوا أبوابه وعلمهم أخذ الرومان والفرس . ونظراً لمعاصرة العرب لهذه الدول فقد اقتبسوا شيئاً من طبها أضافوه الى ما جاءهم به الكلدان وإلى ما استنبطوه من عند أنفسهم بالاختبار فتألف من ذلك ما عبرنا عنه بالطب في الجاهلية ولا يزال كثير منهم الى اليوم في قبائل البادية . وكان للتطيب عندهم طريقتان الاولى طريقة الكهان والعرافين والثانية طريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقى والسحر أو بذبيح الذبائح في الكعبة والادعاء فيها أو بالتعزيم أو نحو ذلك

وكان التطيب بالرقى شائعاً في الامم القديمة كلها وقد وجدوا في الآثار المصرية كثيراً من العزائم التي كانوا يصفونها لمعالجة المرضى . وجاء في أخبارهم

(١) الاغاني ٥٢ ج ٢ (٢) الاغاني ١٢٩ ج ١١

ان كاهنهم كان اذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان أحدهما يحمل كتاب العزائم والثاني يحمل صندوق العقاقير الطيبة وهم يعالجون بالانثين معاً . وكانوا يوجهون كلامهم في العزيمة أو الرقية الى أحد آلهتهم وخصوصاً ايزيس وأوزيريس وورع ولهم عبارات يقولونها عند وضع الادوية وعند تناولها للمريض . فمن أمثلة العزائم التي كانوا يتلونها عند تناول الدواء : « هذا هو كتاب الشفاء لكل مريض فهل لايزيس أن تشفيني كما شفت حوريس من كل ألم أصابه من أخيه ست حيناً قتل أباه أوزيريس ؟ فيا ايزيس أنت الساحرة الكبيرة اشفيني وخلصيني من كل شيء مكدر رديء شيطاني ومن أمراض اللبسة والامراض القاتلة والحديثة بأنواعها التي تعتريني كما خلصت ابنك حوريس . . . » (١) وكان عندهم عزائم لاجراج الارواح الشريرة التي تسبب الامراض في زعمهم

فعلى هذه الكيفية كان العرب يتلون العزائم لاصنامهم وبرقون لاجراج الجان أو الشياطين . وكان اعتقادهم من هذا القبيل أنهم اذا خافوا وباء نهقوا بهيق الحمير يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء وان شرب دماء الملوك يشفي من الخبل وأما معالجتهم العقارية فشيبة بما كان عند المصريين وغيرهم من الامم القديمة فقد كانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة أو الاشرية وخصوصاً العسل فانه كان قاعدة العلاج في امراض البطن — على أن اعتادهم في معالجة الامراض كان معظمه تائداً الى الجراحة كالحجامة والكي ومن أقوالهم « كل داء حسم بالكي آخر الامر . وآخر الطب الكي » وكثيراً ما كانوا يعالجون بالقطع أو البتر والغالب أن يكون ذلك بالنار فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا . فاذا ارادوا فصل عضو حموا شفرة بالنار وقطعوه بها كما فعلوا بصخر بن عمرو وأخي الخنساء لما تأت قطعة من جوفه مثل الكبد على أثر طعنة فاحموا له شفرة وقطعوها (٢)

وكانوا يعالجون حول البصر بادامة النظر الى حجر الرحي في دورانه ويزعمون أن العين تستقيم به . ومن معالجاتهم التي نعدّها اليوم خرافة أن المجروح اذا شرب الماء مات (٣) واذا خافت المرأة حني برد قلبها سقوها ماء حاراً (٤)

﴿ الاطباء ﴾ وأما الاطباء فقد كانوا في أول الامر من الكهنة ثم تعاطى الطب جماعة العرب ممن خالطوا الروم والفرس وأخذوا الطب عنهم فاشتهروا بهذه الصناعة وأكثرتهم من أهل النهضة الاخيرة قبل الاسلام حوالي القرن السادس

(٢) الاغانى ١٣٧ ج ١٣

(١) بنية الطالبين ٢٥٨

(٤) الاغانى ٣٢ ج ١٠

(٣) الاغانى ١٣١ ج ١٤

للبيلاد . على أن بعضهم أقدم من ذلك كثيراً وأقدم أطبائهم لقمان وهو حكيمهم
وفيلسوفهم وفي أصله وزمن وجوده اختلاف . يليه رجل من تيم الرباب يقال له
ابن حزيم ويضربون به المثل بالحذاقة في الطب فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك
أطب من ابن حزيم وفيه يقول أوس بن حجر :

فهل لكم فيها الى فاني بصير بما أعبا النطاسي حزيماً

ومن أحدث أطباء الجاهلية الحرث بن كلدة توفي سنة ١٣ للهجرة وهو من
بنى ثقيف من أهل الطائف رحل الى أرض فارس وأخذ الطب من جنديسابور
وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالا ثم عاد الى بلاده وأقام في الطائف ونال
شهرة واسعة وقد أدرك الاسلام وكان النبي يأمر من كان به علة أن يأتيه
فيستوصفه — ومنهم ابن أبي رومية التميمي والنضر بن الحرث بن كلدة

وأكثر هؤلاء الاطباء تناولوا الطب من بلاد الفرس أو الروم وبعضهم أخذه
عن الكهان أو الاحبار من الاديار ونحوها . وربما أخذوا عنهم شيئاً من الفلاسفة
القديمة كما فعل النضر المذكور . والظاهر أن بعضهم كان يخصص نفسه للاعمال
الجراحية فيغلب عليه لقب الجراح وأشهر جراحي الجاهلية ابن أبي رومية التميمي
المتقدم ذكره فقد كان جراحاً مزاولاً لاعمال اليد

ويؤخذ مما حوته اللغة العربية قبل الاسلام من أسماء العلل والامراض والعقاقير
أن العرب عرفوا كثيراً من الامراض ومعالجتها . وناهيك بما عرفوه وتوسعوا
فيه من أحوال الاعضاء وأوصافها وهو من قبيل علم التشريح . وهم يعبرون
عنه بمخلق الانسان وقد ألف أدباء المسلمين كتباً كثيرة في هذا الموضوع نقلوا
عن العرب شيئاً ذكرها بين مؤلفات أهل اللغة . والمتأمل في ما حوته من أسماء
الاعضاء وأوصافها يتبين له أن أولئك الجاهليين كانوا على معرفة بتشريح الاعضاء
لان عندهم لكل عضو اسماً ووصفاً من الرأس وما يتركب منه وما له من الصفات .
الى الشعر وأقسامه وألوانه . فالاذن وما تركبت منه وأقسامها . فالوجه وما
تركب منه . فالحاجب وأنواعه وما يحمده منه وما يذم . والعين وأصنافها وطبقاتها
وبجاري دمعها وغير ذلك مما اشتملت عليه . والانف وما تركب منه وبيان
أقسامه . والشم وما تركب منه . والاسنان وعددها وأسماء اصنافها وأجزائها
ومنابتها . واللسان وما اشتمل عليه من الاجزاء والعظام التي في أسفله . والحلق
وبيان ما فيه من اللغاديد واللغائين والحنجرة والغلصمة والبلعوم والحلقوم .

واللحيين وبيان محلها وأسماء ما تركبا منه . واللحية وأسماء أجزائها وأقسامها وألوانها وسائر أوصافها . والعنق وما تركب منه . والمنكب والكتف وما اشتملا عليه . واليد وما تركبت منه من العظام والاعصاب والمضلات والعروق وما وضع لذلك من الاسماء . والاصابع وأسمائها وأجزائها . والظفر وأقسامه وأسمائه . والصدر وما تركب منه . والجنين وعدد أضلاعها وأسمائها وما يلحق ذلك . والبطن وما حوى . وكذلك في سائر الاعضاء . وقد توسعوا في بعضها حتى وضعوا لكل عضو عدة أسماء

ونجد تنقاً من الطب الجاهلي في العمق الفريد والاغاني والكشكول وحياة الحيوان وسواها من كتب الادب وغيرها ويستخرج شيء كثير من أشعارهم

٢ - البيطرة والخيل وعلوم طبيعية أخرى

وكان للعرب معرفة حسنة في شؤون الخيل وأحوالها لم يسبقهم اليها سواهم لما تعلمه من عنايتهم بأفراسهم ويمبرون عنها بالبيطرة . ونبغ فيهم غير واحد من اطباء الحيوان منهم العاص بن وائل . وظلت هذه المعرفة تتناقل في افراد منهم الى اليوم وهم يجولون في البادية يعالجون الخيل معالجة الخاذقين . وروى عنهم الرواة في صدر الدولة العباسية ووضعوا الكتب في ما جمعه من هذا العلم . وخصص الآلوسي صاحب بلوغ الارب فصلاً في هذا الموضوع بالجزء الثالث من كتابه جاء فيه على كثير من عيوب الخيل وما يستحب منها نقلاً عن كتاب الخيل لابي عبد الله الاسكافي

وقد ألف الادباء كثيراً من الكتب في الخيل وهي ترمى الى نحو هذا الغرض وتعد من كتب اللغة سيأتي ذكرها

ومن المعارف الطبيعية التي توصلوا اليها : أولاً استنباط الماء ويسمونه الريافة فانهم كانوا يعرفون وجود الماء في مكان بشم التراب أو برائحة بعض النباتات أو نحو ذلك . ثانياً الاهتداء في البراري بامارات يعرفونها بالآتربة أو بالنجوم . ثالثاً نزول الغيث وهو من قبيل الظواهر الجوية . رابعاً الملاحة وقد اضطروا الى معرفتها لاسفارهم الى الهند والحبشة للآبحجار من عهد دول اليمن . ونجد أمثلة من معارفهم هذه في الجزء الثالث من كتاب بلوغ الارب في أحوال العرب للآلوسي وهو المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤

٣ - الانواء ومهاب الرياح

ويراد بالانواء عندهم ما يقابل علم الظواهر الجوية عندنا مما يتعلق بالمطر والرياح ولكنهم كانوا ينسبون الظواهر المذكورة الى طلوع الكواكب أو غروبها ولذلك كان علم الانواء فرعاً من علم النجوم وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوءها أي نهوضها وسموا تأثير الطلوع بارحاً وتأثير السقوط نوءاً ومن طلوع كل واحدة منها الى طلوع التي تليها ثلاثة عشر يوماً سوى الجبهة فان بين طلوعها وطلوع التي تليها ١٤ يوماً . ومن أقوالهم في ذلك :

والدهر فاعلم كله أرباع لسكل ربع واحد أسباع
وكل سبع لطلوع كوكب ونوء نجم ساقط في المغرب
ومن طلوع كل نجم يطلع الى طلوع ما يليه أربع

من الليالي ثم تسع تتبع

ثم اختلفوا فيها فزعم بعضهم ان كل تأثير يكون بمد طلوع منزلة الى طلوع التي تلوها فهو منسوب اليها وزعم آخرون ان لطلوع كل واحدة وسقوطها مقداراً من الزمن ينسب اليها يكون فيه فاذا انقضت تلك المدة لم ينسب اليها ما يكون بعدها . وكانوا اذا تحقق التأثير فلم يظهر منه شيء في تلك الازمنة قالوا خوى النجم أو خوت المنزلة يعنون بذلك مضت مدة نوء ولم يكن فيه مطر أو حر أو برد أو ربيع (١) ومن أمثالهم « اخطأ نوؤك » يضرب لمن طلب حاجة فلم يقدر عليها (٢)

وكانوا اذا أمطرت السماء نسبوا المطر الى تأثير النجم المتسلط في ذلك الوقت فيقولون مثلاً مطرنا بنوء الحجره أو هذا نوء الخريف ومطرنا بالشعري . وقالوا إن النوء سقوط نجم ينزل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبته في الشروق من أنجم المنازل ولذلك كانت الانواء ٢٨ نوءاً أو نجماً كانوا يعتقدون أنها هي علة الامطار والرياح والحر والبرد . وفي أشعارهم أمثلة كثيرة تدل على علاقة أحوال الجوى أو فصول السنة بافتراوات الكواكب أو طلوعها وقد نظموها شعراً ليسهل حفظها على الناس لفظة السكتابة عندهم . ومن ذلك قولهم :

إذا ما قارن القمر الثريا لثالثة فقد ذهب الشتاء

وقول الآخر

إذا ما البدر تم مع الثريا أنك البرد أوله الشتاء

وقول الآخر :

إذا ما قارن الدبران يوماً لاربع عشرة قر التمام
فقد حف الشتاء بكل أرض فوارس مؤذونات باحتدام
وحلق في السماء البدر حتى يقاص ظل أعمدة الخيام
وذلك في انتصاف الليل شطراً ويصفو الجو من كدر الغمام

وقول الآخر :

إذا ما هلال الشهر أول ليلة بدا لعيون الناس بين النعائم
اتتك رياح القر من كل وجهة وطاب قبيل الصبح كور العمام

وقول الآخر :

وقد برد الليل التمام باهله وأصبحت العواء للشمس منزلاً (١)
وكان عندهم لمطلع كل كوكب أو منزل وصف يدل على تأثير ذلك في الطقس
على اعتقادهم ومن هذا القبيل اعتقادهم تأثير النجوم في أعمال البشر على ما كان
عند الكلدان (٢) على أنهم كثيراً ما كانوا يستدلون على المطر أيضاً بلوان الغيوم
وأشكالها فأقل الغيوم مطراً عندهم البيضاء ثم الحمراء ثم السوداء ومن أقوالهم «السحابة
البيضاء جفل والحمراء عارض والسوداء هطلة» (٣)

وكان العرب في حاجة إلى معرفة مهاب الرياح للاهتداء في أسفارهم ولذلك
قد وضعوا لها الأسماء ولكنهم اختلفوا في عدد جهاتها فحسبها بعضهم ستة والبعض
الآخر أربعة . فهي عند أصحاب القول الثاني ١ مهب الصبا من الشمال ٢ مهب
الشمال من الغرب ٣ مهب الدبور من الجنوب ٤ مهب الجنوب من المشرق .
وبزيد عليها أصحاب القول الأول التكباء بجانب الشمال والمحوة بجانب الجنوب واليك
قول ذى الرمة في ذلك :

أهاضيب أنواء وهيغان جرتا على الدار أعراف الجبال الأفاقر
وثالئة تهوي من الشام حرجف لها سنن فوق الحصى بالأعاصر
ورابعة من مطلع الشمس أجفلات عليها بدقماء المعافقراقر
نحشها النكب الثواني فأكثرت حين اللقاح الفاريات العواشر (٤)

وتجد أمثلة في هذا الموضوع في ما يأتي ذكره من الكتب التي تبحث في الفلك

Rawlinson's Ancient Monarchies III.425 (٢)

(١) البيروني ٣٣٧

(٤) البيروني ٣٤٠

(٣) الميداني ١٠٩ ج ١

تاسعاً - العلوم الرياضية

في الجاهلية

١ - الفلك أو النجوم

معظم هذه العلوم دخیل على العرب اقتبسوه من الامم الاخرى ممن هاجر اليهم وقام بين ظهرانيهم أو التقوا بهم في أسفارهم وأكثر أخذهم عن الكلدان . فقد أخذوا عنهم علم النجوم وتعلموا منهم مواقع الابراج ومناطقها ومنازل القمر والشمس . وربما كان لهم علم بشيء من أحكامها من عند انفسهم أو بما وصل اليهم من طريق الهند أو غيرها . ولكن يقال بالاجمال ان العرب مدينون بعلم النجوم للكلدان وهم يسمونهم الصابئة - والصابئة ان لم يكونوا الكلدان انفسهم فهم خلفاؤهم أو تلامذتهم (١) وكان الصابئة كثيرين في بلاد العرب ولهم مثل منزلة النصراني أو اليهود . فأخذ العرب عنهم علم النجوم باصطلاحاته وأسمائه وان كان معظم أسماء السيارات لا يرد الى أصله الكلداني فربما كان له أسباب طارضة ضاعت أخبارها

على أن بعضها لا يزال أصله الكلداني ظاهراً فيه كالمريخ مثلاً فإنه يقابل « مرداخ » الكلدانية لفظاً ومعنى . ولكن معظم تلك الاسماء قد ضاعت المشابهة اللفظية بينها وبقية المشابهة المعنوية . فان « زحل » معناه في العربية الارتفاع والعلو وهي نفس دلالة « كاون » اسم هذا السيار في الكلدانية . وأما الابراج ومنازل القمر فلا تزال كما كانت عند الكلدان لفظاً ومعنى - واليك أسماء الابراج عند كليهما :

اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية	اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية
الحمل أو الكبش	امرا	الميزان	ماساتا
الثور	ثورا	العقرب	عقربا
الجوزاء أو التوأمين	نامي	القوس أو الرامي	قشنا
السرطان	سرطان	الجدي	كديا
الاسد	اريا	الدلو	دولا
السنبلة	شبلتا	الحوت أو السمكة	نونا

واما منازل القمر والشمس فقد تبدل بعض اسمائها كما أصاب السيارات . ولكن

العبرة بالاكثر في قواعد هذا العلم ومصطلحاته فانها عند العرب كما كانت عند الكلدان تماماً حتى لفظ « منازل القمر » و « منازل الشمس » فان هذا التعبير هو نفس ما كان يعبر به الكلدان عن هذه المنازل . وقد ابدلته الامم الاخرى التي اخذت هذا العلم عن الكلدان بتعبير آخر الا العرب واليهود

ومعرفة العرب بالنجوم مشهورة فقد رأيت أنهم عرفوا السيارات والابراج وعرفوا عددا كبيرا من الثوابت ولهم في ذلك مذهب يختلف عن مذاهب المنجمين في الامم الاخرى (١) وفي قدم اسماء تلك النجوم في العربية دليل على قدم معرفة العرب بها وبمواقعها مثل بنات نعش الكبرى والصغرى والسها والظباء والربع والرايض والعواذد والنذيين والنثرة والفرقد والقدر والراعى وكلب الراعى والاغنام والرامح والسماك وعصا الضياع وأولاد الضياع والسماك الرامح وحارس السماء والاظفار والفوارس والكف المنحضب والحباء والعيوق والعنز والجديين وغيرها

أما منازل القمر فقد قسموها الى ثمانية وعشرين قسما خلافا لما كان عند الهنود فانها ٢٧ قسما عندهم . وأراد العرب منها غير ما أراده اولئك اذ كان مرادهم منها معرفة احوال الهواء في الازمنة وحوادث الجو في فصول السنة . لانهم كانوا أميين فلم تمكنهم معرفتها إلا بشيء يعاين فعلموا عليها بالكواكب كما رأيت في الكلام على الأنواء . واليك اسماء منازل القمر في العربية وهي ٢٨

الثريا	الجبهة	الاكليل	سعد السعود
الدبران	الدبرة	القلب	سعد الاخبية
الهقمة	الصرفة	الشولة	الفرغ المقدم
الهنة	العواء	النعام	الفرغ المؤخر
الذراع	السماك	البلدة	بطن الحوت
النثرة	الغفر	سعد الذابح	الشرطان
الطرف	الزبانيان	سعد بلع	البطين

وكان العرب اذا عدوا المنازل بدأوا بالشرطين لاسباب تتعلق باقليمهم . وقد بالغ المتعصبون للعرب في صدر الدولة العباسية في براعة العرب في علم النجوم : ومن جملة المتعصبين ابن قتيبة فقد قال في كتابه تفضيل العرب على العجم أن العرب أعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها (٢) ومع اعترافنا بما في ذلك من المبالغة فاقنا نستدل على توسع العرب في هذا العلم

(١) القزويني على هامش الدميري ٥٠ ج ١ (٢) البيروني ٢٣٨

ولا غرابة في اتقانهم معرفة النجوم ومواقعها فانها كانت دليلهم في أسفارهم واكثر أحوالهم فكانوا اذا سألم سائل عن الطريق المؤدي إلى البلد الفلاني قالوا : « عليك بنجم كذا وكذا » فيسير في جهته حتى يجد المسكان وربما استعانوا على ذلك أيضاً بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات . ومن أمثلة ذلك أن سليك بن سعد سأل قيس بن مكشوح المرادي أن يصف له منازل قومه ثم هو يصف له منازل قومه فنوافقا وتعاهدا أن لا يتكاذبا فقال قيس بن مكشوح « خذ بين مهب الجنوب والصبائم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة فاذا انقطت المياه فسر أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق فانك ترد على قومي مراد وختهم » فقال السليك « خذ مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسري العاقد لها من أفق السماء فم منازل قومي بني سعد بن زيد مناة » واشهر في جاهلية العرب في اتقان علم النجوم جماعة منهم بنو مارية بن كلب وبنو مرة بن همام الشيباني (١)

وقد ألف الادباء في صدر الاسلام كتباً في الانواء ضاعت . وتجد أشياء متفرقة في كتاب الآثار الباقية لليروني والامثال للميداني وعجائب المخلوقات للقزويني وحياة الحيوان للدميري وكلها مطبوع ومتداول

٢ - الميثولوجيا

ومما يلحق بعلم النجوم أيضاً ما يعبر عنه الافرنج بالميثولوجيا وهي عبارة عما كانوا يزعمون وقوعه بين الكواكب أو هي الآلهة عندهم من الحروب أو الزواج أو نحو ذلك من حوادث البشر على نحو ما ذكره عن آلهة اليونان . فالعرب ألهوا الاجرام وعبدوها وقد ضاع خبر ذلك لعدم تدوينه . على اننا نستدل عليه من بعض ما وصل الينا من اسماء اصنامهم وعبادة بعض رجالهم . فاللات اسم للزهرة وقد اشتهر كثيرون بعبادتها وعبادة الشمس والقمر والشعري . وكانوا يتناظرون في أفضلية بعضها على بعض قالوا « وأبو كبشة أول من عبد الشعري وكان يقول الشعري تقطع السماء عرضاً ولا أرى في السماء شمساً ولا قمرأً ولا نجماً يقطع السماء عرضاً غيرها » (٢)

أما تشخيص تلك الاجرام وانزالها منزلة البشر فقد كان معروفاً عند العرب ومن الاقاصيص الميثولوجية التي كانوا يتناقلونها أن الدبران خطاب الثريا وأراد القمر أن يزوجه بها فابت عليه وولت عنه وقالت للقمر ما أصنع بهذا انسبوت الذي

لامال له فجمع الدبران فإلصقه يتعمول بها فهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها
قدامه يعنون القلاص . وان الجدي قتل نعشاً فبناته تدور به تريده . وإن سهيلاً
ركض الجوزاء فركضته برجلها فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع
وسطها . وان الشعري اليمانية كانت مع الشعري الشامية ففارقتها وعبرت الحجر
فسميت الشعري العبور فلما رأت الشعري اليمانية فراقها أياها بكت عليها حتى غمضت
عينها فسميت الشعري الغميصاء (١)

ومن هذا القبيل تأليهم بعض المشاهير من الملوك أو القواد أو الأسلاف
واعتبار البعض الآخر من نتاج الملائكة أو الجن . فعندهم مثلاً أن باقيس كانت
أمها جنية وان جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم . وكذلك كان ذو القرنين
عندهم أمه آدمية وأبوه من الملائكة (٢) وأما أصل هذه الاعتقادات فلما هندي أو
يوناني أو مصري . أما الكلدان فقلما كانت لهم عناية بأمثال ذلك

٣ - التوقيت

كان العرب يؤرخون بكل عام فيه أمر مشهور . وأشهر الحوادث التي وصلت
إلينا أخبارها مما أرخوا منها عام الفيل أي هجوم الاحباش على مكة وكان ذلك
سنة ٣٨ من ملك كسرى أنوشروان . وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة
المخزومي . وكان عندهم تاريخ يسمى « زمن الفطحل » وهو أقدم أزمنتهم وفيه
أقوال لا محل لها هنا (٣)

وكانت سننهم قريية وأشهرها ١٢ شهراً كما هي الآن وكانوا يكسبون أي يزيدون
أياماً كل سنة حتى تبقى النسبة محفوظة بين شهورهم ونوالى الفصول ولهم في الكسب
طريقة ذكرها البيروني قال :

« وكذلك كانت العرب تفعل في جاهليتها فينظرون الى فضل ما بين سننهم
وسنة الشمس وهو عشرة أيام واحد عشر وعشرون ساعة وخمس ساعة بالليل من
الحساب فيلحقون بها شهراً كلاً تم منها ما يستوفي أيام شهر . ولكنهم كانوا
يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة وتتولى ذلك النساء من كنانة
المعروفون بالقلامس وأحداهم نلمس وهو البحر الغزير . وهم أبو ثمامة جنادة بن
عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن قلع بن حذيفة وكانوا كلهم نساء . وأول من

(١) الميداني ٣١٢ جزء ٢ (٢) الدميري ١٨ ج ٢

(٣) بلوغ الأرب في أحوال العرب ٢١٩ جزء ٣

فعل ذلك منهم كان حذيفة وهو ابن عبد فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن مالك ابن كنانة وآخر من فعله أبو ثمامة

« وكان أخذ ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتي سنة غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم ، الى أن حج النبي عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وأنزل عليه « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونهُ عاماً ويحرمونه عاماً » فخطب عليه الصلاة والسلام وقال : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض » وتلا عليهم الآية في تحريم النسيء وهو الكبس فاهملوه حينئذ وزالت شهورهم عما كانت عليه وصارت اسماؤها غير مؤدية لمعانيها » اهـ

وكان للعرب الجاهلية أشهر تعرف بأسماء غيرها اليوم فيقولون انه كان لهم أشهر هذه اسماؤها : المؤتمر . ناجر . اخوان . صوان . حتم . زباء . الاصم . العادل . النافق . الواغل . الهواع . البرك . وكان لايام الاسبوع اسماء غير المعروفة الآن وهي : أول . اهون . جبار . دبار . مؤنس . عروبة . شبار . وعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم وكذلك لايام الشهر وغيره وقد تقدمت الاشارة اليه وتجد اخبار ذلك مفرقة في كتاب الآثار الباقية للبيروني وفي الاغانى والعقد الفريد والكشكول وأمثال الميداني وغيرها من كتب الادب . وفي مروج الذهب للمعدي وابن خلدون وأبي الفداء وغيرها في عرض الكلام عن العرب الجاهلية

عاشراً - ما وراء الطبيعة

١ - الكهانة والعرافة

هما لفظان لمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الكهانة مختصة بالامور المستقبلية والعرافة بالامور الماضية . وعلى كل حال فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب ، على ان العرب كانوا يعتقدون في الكاهن القدرة على كل شيء . فكانوا يستشيرونه في حوائجهم ويتقاضون اليه في خصوماتهم ويستطبونه في امراضهم ويستفتونه في ما أشكل عليهم ويستفسرون منه رؤاهم ويستنبئون عنه مستقبلهم . وبالجملة فالكهان عندهم هم أهل العلم والفلسفة والطب والقضاء والدين شأن تلك الطبقة من البشر عند سائر الامم القديمة في بابل وفينيقية ومصر وغيرها

والكهانة من العلوم الدخيلة على العرب جاءتهم من بعض الامم المجاورة لهم .
والغالب في اعتقادنا ان الكلدان حملوها اليهم مع علم النجوم . ويؤيد ذلك ان
الكاهن يسمى في العربية أيضاً « حازي » أو « حزاء » وهو لفظ كلداني
معناه الاشتقافي الناظر أو الرائي أو البصير وهو يدل عندهم على الحكيم والنبي .
وأما لفظ « الكاهن » فقد اقتبسه العرب بعدئذ من اليهود الذين نزحوا اليهم على
أثر ما أصابهم من النكبات في أورشليم وخصوصاً بعد خرابها على يد طيطس
سنة ٧٠ للميلاد وقد أخذ عنهم العرب كثيراً من الآداب والعادات مما لا يدخل
في بحثنا

وأما الكهانة فأصلها من عند الكلدان ولعل الذين حملوا علم النجوم الى العرب
هم الكهنة الكلدانيون أنفسهم فكانت الكهانة في جملة ما حملوه اليهم . ويؤيد ذلك
ان العرب كانوا يطلقون لفظ الحزاء على الكاهن والمنجم (١) على أن أهل بابل
ما زالوا يتواردون الى بلاد العرب الى ما بعد الاسلام والعرب يحملونهم لعلمهم وتعقلهم
فالعرب كانوا يعتقدون في الكهنة العلم بكل شيء وان ذلك يأتيهم بواسطة
الارواح فمن كان منهم يعتقد النوحيد نسب ذلك الى استطلاع الغيب عن أفواه
الملائكة . واذا كان من عبدة الاصنام اعتقد احتلال الارواح في الاصنام وباحثها
أسرار الطبيعة للكهان والسدنة . فيقول العرب ان الاصنام تدخلها الجن (أي
الارواح) وتخطب الكهان وان الكهان يأتيه الجنى بخبر السماء وربما عبروا عنه
بالهاتف . ومن أقوالهم « الاحبار من اليهود والرهبان من النصراني والكهان
من العرب »

فكل ما كان يصنعه الكاهن انما مصدره الغيب فاذا استنطبه مريض من ريح
أو صداع طالجه بالرتقي واذا استشاره في معضلة خط له في الرمل أو نفت في العقد .
واذا حكمه متخاصمان رمى لها بالقداح واذا استطلعه سرقة أخذ قممته جعلها بين
يديه ونفت فيها ونحو ذلك من الحركات الوهمية - واذا استفسره برؤيا تتم وتظاهر
باستطلاع الغيب

قلنا ان الكهانة آتت العرب من بين النهرين فالكهان القدماء كانوا في الغالب
كلدانيين (أو صابئة في قولهم) وكان العلم كله عندهم ثم تعدد الكهنة من اليهود
وغيرهم ثم ما لبث العرب أنفسهم أن أخذوا ذلك عنهم فنشأ الكهان منهم . على ان

(١) السيرة الحلبية ٤٨ ج ١

بعض العرب اقتصروا في ما تناولوه على علم دون آخر فكان بعضهم يتعاطى الطب فقط وبعضهم تعبير الرؤيا أو القيافة أو القضاء

﴿الكهان﴾ واشتهر في بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن أقدمهم شق وسطيح وحكاياتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق . فمئذهم ان الاول كان شق انسان (أي نصفه) بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وأن سطيحاً كان لهما بطوى كما يطوى الثوب لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه في صدره وبزعمون أن هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون الى غير ذلك من الاوهام . ومن الكهان الذين نبغوا في النهضة العربية قبل الاسلام خنافر بن التوأم الحميري وسواد ابن قارب الدوسي وفيهم من يعرفون بما ينسبون اليه من البلاد أو القبائل كقولهم كاهن قريش وكاهن اليمن وكاهن حضرموت وغيرهم

ويقال نحو ذلك في العرافين وأكثرهم ينسبون الى بلدانهم وقبائلهم كعراف هذيل وعراف نجد وأشهرهم عراف اليمامة شهره عروة بن حزام بيت قاله فيه - وكذلك الشعراء يشهرون بمدوحهم - وهو قوله :

أقول لعراف اليمامة داوئي فانك ان داويتني لطيب

وأما الكواهن من النساء فانهن عديدات منهن طريفة كاهنة اليمن وهي أقدمهن والبا ينسبون الانذار بخراب سد مأرب واتبان سيل العرم . وزبراء بين الشحر وحضرموت وسلمى الهمدانية الحميرية وعفراء الحميرية وفاطمة الخثعمية بمكة وزرقاء اليمامة وغيرهن . وينسب الى القبيلة أو المدينة ككاهنة بني سعد بزعمون انها أقدم عهداً من شق وسطيح وانها استخلفتها (١) وما زالت الكهانة في العرب حتى جاء الحديث بابطالها وهو: « لا كهانة بعد النبوة » (٢)

وكان للكهان عند العرب لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصوصى يعرف بسجع الكهان مع تعقيد وغموض . ولعلمهم كانوا يتوخون ذلك للتنويه على الناس بعبارات تختمل غير وجه كما يفعل بعض مشايخ التنجيم في هذه الايام حتى اذا لم يصدق تكهنهم جملوا السبب قصور الناس في فهم الكاهن . ومن أمثلة سجع الكهان ما يروونه عن طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزبقيات عمرو بن عامر فانها قالت لهم « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمني ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم » قالوا لها « ما شأنك يا طريفة »

(١) السيرة الحلبية ٣٦ ج ١ (٢) كشف الظنون ٣٣٩ ج ٢

قالت « خذوا البعير الشذقم فحضبوه بالدم تكن لكم ارض جرم حيران بينه المحرم » (١)

٢ - القيافة وغيرها

ومن قبيل الكهانة أيضا القيافة لكنها تختص بتتبع الآثار والاستدلال منها على الاعيان وهي قسامان قيافة الاثر وقيافة البشر . والاولى تختص بتتبع آثار الاقدام أو الحوافر أو الاخفاف والاستدلال من آثارها في الرمال أو التراب على اصحابها . والفائدة من ذلك الاهتداء الى الفار من الناس أو الضال من الحيوان وقد اتقن العرب ذلك حتى فرق بعضهم بين أثر قدم الشاب والشيخ وقدام الرجل والمرأة والبكر والثيب . وأما قيافة البشر فهي الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وسائر أحوالها وهي من قبيل الفراسة

وكانت القيافة شائعة في العرب ثم اختصت بعض القبائل بها دون البعض الآخر وأشهر العرب بقيافة الاثر بنو مدج وبنو هلب . ولا تزال هذه القيافة شائعة إلى اليوم في بعض قبائل نجد ويقال إنهم بنو مرة وهم أعلم الناس بها حتى لقد يعرف أحدهم الانسان من أثره وربما نظر الى أثر بعير فقال هذا بعير فلان وكثيرون منهم يميزون بين العراقي والشامي والمصري والمدني

والفراسة كانت شائعة في العرب وكانت لهم فيها براعة يستدلون بهيئة الانسان وأشكاله وأقواله على أخلاقه ومنطقه وهي من قبيل الذكاء وسرعة الحاطر وسجية طبيعية

ومن قبيل الكهانة تعبير الرؤيا وكان معروفا عند العرب وكانوا يفزعون الى الكهان في تفسير الاحلام على أن كثيرين من غير الكهان كانوا يتعاطونها أشهرهم أبو بكر الصديق (٢)

ومن هذا القبيل زجر الطير وخط الرمل وقد أغضينا عنهما لضيق المقام وتجد أخبار كهانهم في كتب التاريخ وكتب الادب وخصوصاً الاغانى والعقد الفريد وفي السيرة النبوية وكتب التفسير وفي الجزء الاول من مروج الذهب للمسعودي والاول من أبي الفداء وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وحياة الحيوان للدميري وفي كتب الادب وغيرها

عصر الراشدين

من ظهور الاسلام الى سنة ٤١ هـ

ظهر الاسلام في جزيرة العرب فشغل أهلها في أثناء حياة النبي ومعظم أيام الراشدين بالفتوح والجهاد والاصفار . وجاء الاسلام بالقرآن والحديث فآخذاً بمجامع قلوبهم واستقروا في المكان الاول من أذهانهم وغيرا من عاداتهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم فظهر أثر ذلك في علومهم وآدابهم

أولاً - التغيير الذي أحدثه الاسلام في العرب

١ - اجتماع كلمة القبائل

كان العرب في الجاهلية يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالانساب فلما جاء الاسلام كان في جملة ما بدله من أحوالهم أنه جمع كلمتهم وصاروا يداً واحدة على اختلاف أنسابهم ومواطنهم . وبعد أن كان اليمني يفاخر الحجازي والمضري يفاخر الحميري ونحو ذلك من مفاخرات القبائل والبطون والافخاذ جاء الاسلام فجمعهم تحت راية واحدة باسم واحد هو « الاسلام » فقال النبي : « المسلمون اخوة » وقال من خطبة ألقاها يوم فتح مكة : « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم من تراب » (١) وقال من خطبة في حجة الوداع : « أيها الناس ان ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى » (٢)

واقضى بالنبي خلفاؤه الاولون لا سيما عمر بن الخطاب فان قبيلة بن الايهم ملك غسان بعد أن أسلم اتفق وهو يطوف في الكعبة أن فزاريا وطىء ازاره فاحمل فرقع قبيلة يده وهشم أمم الفزاري فشكاه الى عمر فأراد عمر أن يهشم أمم قبيلة فقال : « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك ؟ » فأجابه عمر : « إن الاسلام جمعك وإياه فلست تفضله بشيء إلا بالتقوى والعافية » فلم يحتمل قبيلة ذلك فعمد الى الفرار

٢ - انتشار العرب في الارض

كان العرب محصورين في جزيرتهم الفاحلة وهم أهل بادية وخصونة وشظف من

(١) ابن هشام ٢١٩ ج ٢ (٢) البيان والتبيين ١٦٤ ج ١

العيش يسمعون بالرومي أو الفارسي فيعظمون قدره ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى ولم يتجاوزوا جزيرة العرب الا قليلا . فلما ظهر الاسلام واجتمعت كلمة العرب نهضوا للفتح وأوغلوا في البلاد وفتحوا الامصار . ولم يكن زجر عمر ليوقف تيارهم فانساحوا في الارض حتى نصبوا اعلامهم على ضفاف الكنج شرقا وشواطئ البحر الا تلاتيكي غرباً وضاف نهر لوار شمالاً وأواسط افريقيا جنوباً . وملاؤا الارض فتحاً ونصراً واحتلوا مدائن كسرى وقيصر وأقاموا في المدن واركبوا الى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت أنسابهم بتوالي الاجيال . والقبائل التي قامت بنصرة الاسلام ونشره قبائل مضر وأنصارها من العدنانية والفتحطانية

ولم ينتشر العرب بالفتح فقط ولكنهم هاجروا أيضاً بأهلهم وخيامهم وأنعامهم التماساً لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة . فقد جات بطون من خزاعة الى مصر والشام في صدر الاسلام لان أرضهم اجذبت فمشوا يطلبون الغيث والمراعى . وكذلك كانت تفعل العرب كلما أصابها جذب حتى كانت لهم أعوام خاصة يجلبون بها الى مصر والشام يسمونها أعوام الجلاء . وكانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام ، اذا اجذبت أرضهم بمموا العراق وفارس فيعطيهم الفرس النمر والشعير ولكنهم كانوا لا يقيمون هناك بل يرجعون الى بلادهم خوفاً من الذل في سلطان دولة أعجمية . أما بعد الاسلام فكان المقام يطيب لهم في بلاد فتحها آبائهم وأعمامهم أو أخوالهم وغرسوا فيها اعلامهم وجعلوها فيثاً لهم

ولا يخفى ما يترتب على مثل هذا الاختلاط من الانقلاب في اللغة والآداب لكنه لم ينضج ويظهر الا في عصر الامويين فما بعده

٣ - انتشار القرآن

بعد أن كان هم العرب الجاهلية اذا اجتمعوا في ناد أو سوق مناشدة الاشعار والتفاخر أو التفاضل أصبح همهم القرآن وحفظه وتلاوته صباح مساء واذا بعث الخليفة حاملاً الى بلده امره أن يحكم بالعدل وأن يعلم المسلمين القرآن وكانوا يعلمونهم الحديث أيضاً

ثانياً - تأثير ذلك التغيير في آداب اللغة

ان ظهور الاسلام انقلاب ديني سياسي اجتماعي . ولا بد لكل انقلاب من آثار يخلفها في نفوس أصحابه وعقولهم فيحدث تغييراً في آدابهم وعلمهم . فالتغيير

الذي أحدثه الاسلام في آداب الجاهلية يرجع الى ثلاثة أوجه : أولاً أنه أبطل بعض تلك الآداب . ثانياً أنه نوع البعض الآخر . ثالثاً أنه أحدث آداباً جديدة لم تكن من قبل . فالآداب التي أبطلها الاسلام الكهانة وفروعها اذ جاء الحديث بتحريمها (١) والآداب التي أحدثها فبعضها اقتضاء الاسلام كالعلوم الشرعية واللسانية وبعضها نقل عن الامم الاخرى كالفلسفة والطبيبات والطب وسياتي الكلام عليها في حينه

أما النوع الذي أحدثه الاسلام في آداب الجاهلية فأكثره في الشعر والخطابة وهما من الآداب الجاهلية التي زاداها الاسلام رونقا . لكن الخطابة سبقت الشعر في الرقي لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات . والعرب لا يزالون على بداوتهم متأثر نفوسهم من التصورات الشعرية سواء سبكت في قالب الخطابة أو في الشعر . والخطابة أقرب تناولاً اذ لم يرد في القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد في الشعر والشعراء - فكما كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر في تقييد ما أثرهم وتفخيم شأنهم والتهويل على عدوهم والتهيب من فرسانهم أصبح الخطيب في الاسلام مقدماً على الشاعر لفرط حاجتهم الى الخطابة (٢) في استنهاض الهمم وجمع الاحزاب وارهاب الاعداء

الخطابة والخطباء في عصر الراشدين

والفرق بين الخطابة في الجاهلية وفي الاسلام ان الاسلام زادها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تحدى أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية . وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير في الشعر أيضاً . ولكن الخطابة أوسع مجالاً للاقتباس فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلاً أو اشارة أو تهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وأراد أن يحرض أهله على الطاعة لاختيه عبد الله فصعد المنبر وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين تلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شعباً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين (وأشار بيده نحو الشام) وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين (وأشار بيده نحو

(١) مشكاة المصابيح ٣٩٢ (٢) البيان والتبيين ٩٨ ج ١

الحجاز) ونمكن لهم في الارض وزري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وأشار بيده نحو العراق) « (١)

وزادت الخطابة بعد الاسلام قوة ووقماً في النفوس بنهضة العرب للحروب وانتصارهم في اكثر مواقعها فازدادوا انفة وسمت نفوسهم فسامها ذوقهم في البلاغة وشحذت قرائحهم بما شاهدوه من البلاد الجديدة والامم الجديدة والالسنة الجديدة فبلغت الخطابة عندهم مبلغاً فلما سبقهم فيه أحد من الامم التي تقدمتهم بلاغة وايقاعاً وتأثيراً حتى اليونان والرومان - لا تكرر ما كان من تبرز هاتين الامتين في الخطابة وما ينبغ بين رجالهما من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار كديموستنيس واشينس وهيريدس من خطباء اليونان . وشيشرون وبوليوس قيصر وسالوستس ولوكيرتس من خطباء الرومان . ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك بلاغة ووقماً . وربما كان الخطباء في الاسلام أكثر عدداً وخطبهم أوفر وأبلغ مع اعتبار الفرق بين الامتين لغة وخلقاً وأدباً

فقد ذكروا لديموستنيس أخطب خطباء اليونان ٦١ خطبة نصفها مذسوب اليه خطأ وهذه خطب الامام على تعدد بالئات . وأما في كثرة الخطباء فالعرب كانوا في صدر الاسلام من اكثر الامم خطباء لان خلفاءهم وأمراءهم وقوادهم كان معظمهم من الخطباء حتى النساك والزهاد (٢) ولا غرابة في ذلك لان العرب أهل خيال وذوو نفوس حساسة وللبلاغة تأثير شديد في عواطفهم تقدهم وتقيمهم . وقد كان ذلك من جملة ما ساعد على نشر الاسلام بينهم . وكثيراً ما توقف فتح البلد أو الحصن على خطاب يتلوه القائد على رجاله فتثور فيهم النخوة وتسري في عروقهم الحماسة فيستهلكون في الدفاع أو الهجوم . وفي أخبار الفتوح أدلة كثيرة لا يساعد المقام على ايرادها . ونعرف قواداً انما ساعدهم على النصر قوة عارضتهم وتأثير خطبهم في نفوس رجالهم

واذا رجعت لحوادث الفتح أو جمع الاحزاب أو اخداد الثورات رأيت عجباً . وأول ثورة كادت تهب في الاسلام لما بلغ أهل المدينة موت النبي فهاجوا حتى خاف الصحابة سوء العاقبة فقام أبو بكر خطيباً فقال : « أيها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حي لم يميت . . وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . ؟ وقد علمتم اني أكثركم قنباً في بر وجارية في بحر

(١) البيان ٢٩ ج ٢

(٢) البيان ١٣٥ ج ١

فأقروا أميركم وأنا ضامن ان لم يتم الامر ان اردها عليكم» (١) فهذه الكلمات القليلة كانت كافية لاختاد تلك الثورة . وقس على ذلك خطبة السقيفة وخطب من تولى بعده من الخلفاء الراشدين

وأعظم الخطباء في عصر الراشدين النبي والخلفاء والقواد . وترى أمثلة من أقوالهم متفرقة في السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح والتاريخ وفي العقد الفريد وغيره من كتب الادب وكلها مطبوعة ومشهورة . وأشهر خطباء ذلك العصر الامام علي بن أبي طالب فقد جمعت خطبه في كتاب « نهج البلاغة » جمعها الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ولا نظن كل ما حواه من الخطب له وقد شرح نهج البلاغة غير واحد ، وطبع مراراً في الشام ومصر . ومنها شرح مطول لعبد الحميد ابن أبي الحديد المعزلى طبع في طهران في عشرين جزءاً وفيه فوائد جمة عن تاريخ الاسلام وتمدنه

الشعر في عصر الراشدين

١ - الشعر والنبي

علمت مما تقدم أن أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والامراء وأهل الحرب . وأكثر أشعارهم في الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع ومرجع ذلك كله الى العصبية . كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها . فلما جاء الاسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة الى الشعر أو الشعراء - ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرايح بالحروب في الجهاد لنشر الاسلام وبالاسفار . وقد أدهشتهم أساليب القرآن وأخذتهم النبوة وانصرفت قرائحهم الشعرية الى الخطابة لحاجتهم اليها في استنهاض الهمم ونحريك الخواطر للجهاد وهي شعر متثور وقد جاء الطعن على الشعراء في القرآن وهو قوله : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون »

وزد على ذلك أن النبي لم يكن راغباً في الشعر لانه من عوامل التفريق وهو يدعو العرب الى الاجتماع . وكان اذا روى شاعر لا يلتفت الى وزنه (٢) ومن أقواله : « لان يمتليء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتليء شعراً » (٣) ولم

(١) البيان ١٢٢ ج ١ والشهرستاني ٩ ج ١

(٢) الاغانى ٦٧ ج ١٣

(٣) العمدة ١٢ ج ١

يكن مع ذلك يبغض الشعر حقه ويرى أن الآية التي نزلت عن الشعراء إنما يراد منها شعراء قريش الذين تناولوه بالهجاء والاذى . وقد أراد تقييح الشعر في الذين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين وفروضه — وليس الشعر على اطلاقه . ولذلك فقد أبدى اعجاباً به بقوله « إن من الشعر لحكمة » يشير الى الاشعار التي فيها تدين أو دفاع عن الحق . ومن أقواله « أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) » وكثيراً ما كان يحب أن يسمع شعر أمية بن إبي الصلت لما فيه من ذكر الله والبعث (١)

أما سائر أغراض الشعر فكان يعرض عنها ويرد عليها بكلام القرآن . يروى من هذا القبيل أن الطفيل بن عمرو السدوسي أتى النبي فعرض عليه الاسلام فقال له « إني رجل شاعر فاسمع ما أقول » فقال « حات » فأنشد :

لا واله الناس نالم حربهم ولو حاربنا منهم وبنو فهم
ولما يكن يوم نزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأ ضخم
اسلمنا على خسف ولست بخالد ومالي من واق اذا جاءني حتمى
فلا سلم حتى تخفر الناس خيفة ويصبح طير كانسات على لحم

فأجابه النبي « وأنا أقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وقرأ غيرها فأسلم الرجل (٢) . وكان النبي مع ذلك يرى مداراة الشعراء لتأثيرهم في الازهان فكان يأمر أن يقطع لسان الشاعر بالعطاء (٣)

وعرضت قبيلة بنت النضر بن الحارث للنبي وهو يطوف وكان قد قتل أباه فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته أياتاً مطلعها :

يا راكباً إن الاثيل مطية من صبح خامسة وأنت موفق
الى أن قالت:

أحمد ها أنت نجبل نجبية من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من قتل وسيلة وأحقهم ان كان عتق يعتق

فقال النبي « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته » (٤) . ولذلك لم يكن يرى بأساً من انتصار الشعراء له يذفون عنه أقوال شعراء قريش الذين جاءت الآية

(١) مشكاة المصابيح ٤٠٩ (٢) الاغانى ٥٣ ج ١٢

(٣) الاغانى ٦٧ ج ١٣ (٤) العمدة ٣٠ ج ١

بالطعن عليهم فتوعدهم النبي ففر بعضهم من وجهه وقتل البعض الآخر (١) وقد تقدم في ترجمة حسان بن ثابت ان اشهر من هجاه ثلاثة : عبد الله بن الزبير وأبو سفيان وعمرو بن العاص وان النبي قال للانصار « ما يمنع الذين فصرنا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم » فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم . حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكان يرى لاشعارهم تأثيراً في أعدائه ومن أقواله « هؤلاء النفر (الشعراء) اشد على قريش من نضح الثبل » وقال لحسان مرة « اهجهم (يعني قريشاً) فوالله لهجاؤك عليهم اشد من وقع السهام في غلس الظلام . اهجهم ومعك جبريل روح القدس والقي ابا بكر يعلمك تلك الهنات » (٢)

٢ - الشعر والخلفاء الراشدين

وسار الراشدون على خطة النبي في تحريض الناس على حفظ القرآن — ذكروا أن غالباً أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام الى على بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له « إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع له » فاجابه على « علمه القرآن » وكانوا ينشطون من يعدل عن الشعر الى القرآن كما فعل عمر بن الخطاب باستنشاد الشعراء على يد المغيرة بن شعبة ففضل من عدل الى القرآن . وقد تقدم حديث ذلك في ترجمة ليبيد . على أنهم اقتدوا بالنبي في التمييز بين شعر وشاعر وشاعر . وحرص عمر المسلمين على حفظ الشعر فقال « رووا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » (٣) وقد أراد أحسنه ويؤيد ذلك قوله « ارووا من الشعر اعفه » (٤)

وقد ازدادوا حاجة الى الشعر لما عمدوا الى تفسير القرآن فقال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب » (٥) وفي مقدمة جمهرة أشعار العرب لابن زيد القريشي أمثلة كثيرة من هذا القبيل (٦) ولم يكن الراشدون يرون بأساً من أن يقولوا الشعر هم انفسهم فقد رووا لابن بكر قصيدة حماسية قالها في غزوة عبيدة بن الحارث . ورووا لعمر أبياتا في الحكم ونحوه وكذلك لعثمان . أما على فالمروي من شعره كثير بعضه قاله في صفين (٧) ولم يبق من الصحابة من لم يقل الشعر أو يتمثل به (٨)

(١) الممددة ٧ ج ١ (٢) الممددة ١٢ ج ١ (٣) البيان والتبيين ٢١٣ ج ١
 (٤) الجمهرة ١٥ (٥) الممددة ١١ ج ١ (٦) الجمهرة ٥ (٧) الممددة ١٢ ج ١
 (٨) الجمهرة ١٦

على أنهم كانوا يمتعون الشعراء من هجو الاسلام والمسلمين وأشدهم وطأة في ذلك عمر فقد أخذ عهداً على الخطيئة أن لا يهجو رجلاً مسلماً (١). ويقال بالاجمال ان الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالجهاد الا ما كان منه من قبيل الجهاد كاقوال حسان وأصحابه في الدفاع عن النبي والاسلام وأما سائر الشعراء المخضرمين فقد ترجمناهم مع شعراء الجاهلية لانهم نشأوا فيها وتطبعوا بطباع أهلها

اللغة والانشاء

في عصر الراشدين

وكان لظهور الاسلام تأثير كبير في اللغة العربية وأساليبها وألفاظها لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن وحفظهم كلامه واعجابهم به . وطبيعي أن الكاتب تنكف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظه من اشعارها وأمثالها وأساليبها . فلا غرو اذا ظهرت أساليب القرآن والفاظه في لغة المسلمين شعراً ونثراً كتابة وخطابة ويرجع ذلك التغيير الى قسمين : تغيير في الاسلوب وتغيير في الالفاظ

١ - التغيير في الاسلوب

أما الاسلوب الانشائي فلا يمكننا تعيين مقدار التغيير الذي أصابه لان ما وصلنا من انشاء الجاهليين لا يخلو من صبغة اسلامية الاسجع الكهان فالغالب أنه بقي على حاله والفرق بينه وبين اسلوب القرآن كالفرق بين الثريا والنزى - أين قول طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزبقياء عمرو بن عامر فانها قالت لهم « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمني ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم الخ » من أساليب القرآن ؟

وتولد في صدر الاسلام ضرب من الانشاء في أبلغ ما يكون . وأحسن الامثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقواد وكلها من السهل الممتنع ككتاب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص لما بعث به لفتح مصر ثم تخوف فكتب اليه « بسم الله الرحمن الرحيم . من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته . أما بعد فان أدركك كتابي هذا وأنت لم تدخل مصر فارجع عنها وأما اذا أدركك وقد دخلتها أو شيئاً من أرضها فامض واعلم اني بمدك »

وكتب ابن الخطاب الى ابن العاص يستجده في مجاعة بقوله « من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي سلام . أما بعد فلعمري يا عمرو ما تبالي اذا شبت أنت ومن معك ان أهلك انا ومن معي فياغوثاه ثم يا غوثاه » فكتب اليه عمرو « الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . أما بعد فياليك ثم ياليك . قد بعث اليك بعير أوها عندك وآخرها عندي والسلام »

ذلك أسلوبهم فيما يكتبونه أو يقولونه من المخابرات السياسية أو الخطب الحماسية أو اليهود أو العقود . حتى انك اذا قرأت لهم رسالة تبينت أسلوب صدر الاسلام فيها فيهون عليك التفريق بين الصحيح والموضوع منها . وما يطعن في صحته من اليهود ما يسمونه « العهد النبوية » فانها بعيدة عن عصر الراشدين بأسلوبها والفاظها فضلا عن مخالفة بعض نصوصها للتاريخ

ونجد أمثلة من المخابرات السياسية والخطب ونحوها على أسلوب صدر الاسلام في كتب الفتوح والغزوات كفتوح الشام للواقدي وفتوح البلدان للبلاذري ومنها جانب كبير في خطط المقرئزي عن فتوح مصر . ونجد معظمها مجموعاً في كتاب فتوح الشام للشيخ أبي اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كالكته سنة ١٨٥٤ وقد شاهدنا فيه ما لم نشاهده في غيره مما وصل الينا من كتب الفتح فانه عبارة عن مجموع المخابرات السياسية أو الاوامر الرسمية التي جرت بين الخلفاء الراشدين وقوادهم أو ما تكاتب به القواد أو ما كتبوه الى كبراء الروم وغيرهم . أو ما عقده من اليهود في أتماء حروبهم في الشام الى فتحها وفتح أجنادها . كأنها الاصول التي أخذت أخبار الفتح عنها

٢ - التأثير في الالفاظ

أما تأثير القرآن في الفاظ اللغة فضلا عن الاسلوب فظاهر في ما دخلها من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الاصلاح الديني أو الشرعي . وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة قبل الاسلام لكنها كانت تدل على معان أخرى فتحوط للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ « مؤمن » مثلا كان معروفا في الجاهلية ولكنه كان يدل عندهم على الامان أو الايمان وهو التصديق فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل . وكذلك المسلم والكافر والفاسق ونحوها . وما حدث من المصطلحات

الشرعية الصلاة وأصلها في العربية الدعاء وكذلك الركوع والسجود والحج
والزكاة والنكاح فقد كانت هذه الالفاظ وأشباهاها معان تبدلت بالاسلام وتوعدت
وقس على ذلك المصطلحات الفقهية كالأبلاء والظهار والعدة والحضانة والنفقة
والاعتاق والاستيلاء والتعزير واللقيط والآبق والوديعه والعارية والشفعة والمناسخة
والفرائض والقسامة وغيرها

وبروون الفاظاً وتراكيب نطق بها النبي ولم تسمع من العرب قبله كقوله « مات
حتمف أنفه » و « حمى الوطيس » و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »^(١)
وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » بحث ضاف في ما دخل اللغة من الالفاظ
والاساليب قبل الاسلام وبعده

العلوم التي حدثت في عصر الراشدين

مجمع القرآن وتدوينه

لم يحدث في عصر الراشدين علم ولكن فيه وضعت جرثومة العلوم الشرعية
بمجمع القرآن وحفظ الحديث . والقرآن لم يظهر مرة واحدة وإنما ظهر تدريجاً في
اتناء ٢٠ سنة على مقتضى الاحوال من أول ظهور الدعوة الى وفاة النبي بمعه في
مكة وبعضه في المدينة . فكان كلما قال آية أو سورة كتبها على صحف الكتابة
في تلك الايام وهي الرقاع من الجلود والعريض من العظام كالأكتاف والاضلاع
وعلى العسب وهي قحوف جريد النخل واللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء .
فتوفي النبي سنة ١١ هـ والقرآن اما مدون على امثال هذه الصحف أو محفوظ في
صدور الرجال وكانوا يسمون حفظه « القراء »

وكان اكثر الناس عناية في تدوينه على عهد النبي علي بن طالب وسعد بن
عبيد بن النعمان وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وثابت بن زيد وإبي بن كعب
وغيرهم^(٢) فلما قام ابو بكر بالامر وارتد أهل جزيرة العرب عن الاسلام بعث
جنداً لمحاربتهم فقتل من الصحابة في تلك الحروب جماعة كبيرة وخصوصاً في غزوة
البيامة قتل فيها وحدها ١٢٠٠ من المسلمين فيهم ٧٠٠ من القراء . فلما بلغ ذلك
أهل المدينة فزعوا فزعاً شديداً وخصوصاً عمر بن الخطاب رجل الاسلام والمسلمين
فأشار على ابي بكر بمجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بموت أهله فتوقف ابو بكر

(١) المزهر ١٠٣ ج ١ (٢) الفهرست ٢٧

وقال « كيف افعل امرأ لم يفعله رسول الله ولم يمهدها لنا فيه عهداً » فما زال عليه عمر حتى اقمه بجمعه . فاحضر ابو بكر زيد بن ثابت لانه كان من كتبة الوحي فجمع ما كان مدفوناً عند الصحابة وربما وجد السورة مكتوبة عند اثنين أو ثلاثة أو اكثر وقد لا يوجد من السورة الاخرى الا نسخة واحدة كسورة التوبة فانه لم يجد منها الا نسخة واحدة عند ابي خزيمة الانصاري (١) فجمعه من تلك المحفوظات ومن صدور الرجال وسلمه الى ابي بكر فظلت الصحف عنده حتى توفي سنة ١٣ هـ فلما تولى عمر تسلمها وظلت عنده حتى تولى عثمان سنة ٢٣ هـ فانتقلت الى ابنته حفصة من ازواج النبي

وفي ايام عثمان اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وافريقية وفيهم القراء . وعند بعضهم نسخ من القرآن وقد رتبها كل منهم ترتيباً خاصاً . فعول أهل كل مصر على من قام بينهم من القراء . فأهل دمشق وحمص مثلاً أخذوا عن المقداد بن الاسود وأهل الكوفة أخذوا عن ابن مسعود وأهل البصرة عن ابي موسى الاشعري (٢) - ومع شدة عناية القراء في حفظ القرآن وضبطه لم ينجوا من الاختلاف في قراءة بعض آياته

وانفق في اثناء ذلك ان حذيفة بن اليمان كان في جملة من حضر غزوة ارمينيا واذريجان فرأى في اثناء سفره اختلافاً بين المسلمين في قراءة بعض الآيات وسمع بعضهم يقول لبعض « قرأتني خيراً من قرأتك » فلما رجع الى المدينة انبأ عثمان بذلك وأنذره بسوء العقبى ان لم يتلاف الامر الى ان قال « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » فبعث عثمان الى حفصة ان « ارسلى لنا بالصحف نكتبها في المصاحف ثم زودها اليك » فارسلتها فدعا عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وامرهم ان ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء وقال لهم « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما ازل بلسانهم ففعلوا (٣) سنة ٣٠ هـ وكتبوا اربعة مصاحف بعثها عثمان الى الامصار الاربعة مكة والبصرة والكوفة والشام (٤) واثنين ابقاهم في المدينة واحد لاهلها وواحد لنفسه وهو الذي يسمونه « الامام » ثم أمر بجمع ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف (٥) وافرأه

(٣) الفهرست ٢٤

(٢) ابو الفداء ١٧٦ ج ١

(١) الفهرست ٢٤

(٥) ابو الفداء ١٧٦ ج ١

(٤) تقح الطيب ٢٨٨ ج ١

فأصبح المعول في المصاحف على ما كتبه عثمان واشتغل المسلمون في الامصار باستساخ تلك المصاحف فنسخوا منها شيئاً كثيراً في مدة قليلة - ذكر المسعودي في عرض كلامه عن واقعة صفين بين علي ومعاوية وما كان من ظهور علي وما اشار به عمرو بن العاص من رفع المصاحف « ورفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف » (١) وليست هذه كل مصاحف المسلمين . فاعتبر هذا العدد وبين كتابة مصحف عثمان وواقعة صفين ٧ سنين

ومع تشديد الصحابة في التعويل على مصحف عثمان دون سواء فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف اخرى اشهرها مصحف علي . ويعتقد الشيعة ان علياً اول من خط المصاحف عند وفاة النبي . وتتوكل مصحفه في شيعته وبقي عند أهل جعفر . وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست انه رأى عند ابي يعلى حمزة الحسيني مصحفاً بخط علي يتوارثه بنو حسن (٢) - ومنها مصحف عبد الله بن مسعود وابي ابن كعب ولكل منها ترتيب خاص في سورة (٣)

الخط العربي وتاريخه

بمناسبة كلامنا على جمع القرآن في زمن الراشدين نأتي بتاريخ الخط وان تجاوزنا في تاريخه ما بعد هذا العصر استيفاء للكلام في موضوع واحد فنقول :
ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدل على انهم كانوا يعرفون الكتابة الا قبيل الاسلام مع انهم كانوا محاطين شمالاً وجنوباً بأمة من العرب خافوا نقوشاً كتابية كثيرة . وأشهر تلك الامم حمير في اليمن كتبوا بالحرف المسند والانباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطي وآثارهم باقية الى هذه الغاية في ضواحي خوران والبلقاء . وقد عثر النقبابون على آثار كتابية في الحجاز لكنها حميرية . والسبب في ذلك ان الحجازيين أو عرب مضر كانت البداوة غالبية على طباعهم والكتابة من الصنائع الحضرية

على ان بعض الذين رحلوا منهم الى العراق أو الشام قبل الاسلام تخلقوا باخلاق الحضرة واقتبسوا الكتابة منهم على سبيل الاستعارة فعادوا وبعضهم يكتب العربية بالحرف النبطي أو العبراني أو السرياني ولكن النبطي والسرياني ظلا عندهم الى ما بعد الفتوح الاسلامية فتخلف عن الاول الخط النسخي (الدارج) وعن الثاني الخط الكوفي نسبة الى مدينة الكوفة . وكان الخط الكوفي يسمى قبل الاسلام

(٣) الفهرست ٢٦

(٢) الفهرست ٢٨

(١) المسعودي ٢٠ ج ٢

الحيرى نسبة الى الحيرة وهي مدينة عرب العراق قبل الاسلام وابتنى المسلمون الكوفة بجوارها

ومعنى ذلك أن السريان في العراق كانوا يكتبون ببضعة أقلام من الخط السرياني في جملتها قلم يسمونه « السطرنجيلي » كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس (١) فاقبسه العرب في القرن الاول قبل الاسلام وكان من أسباب تلك النهضة عندهم .
وعنه تخلف الخط الكوفي وهما متشابهان حتى الآن

واختلفوا في من نقله الى بلاد العرب والاشهر أن أهل الانبار نقلوه - وذلك أن رجلا منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندي أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل تعلم هذا الخط من الانبار وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب ابن أمية أخت أبي سفيان فعلم جماعة من أهل مكة فكثرت من يكتبه من قريش (٢) عند ظهور الاسلام . أما الخط النبطي فكتبوا به اللغة العربية قبل ذلك ببضعة قرون (٣)

والخلاصة في كل حال أن العرب تعلموا الخط النبطي من حوران أثناء تجارتهم الى الشام وتعلموا الخط الكوفي من العراق قبيل الاسلام بقليل وظل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام . والارجح أنهم كانوا يستخدمون القلمين معاً الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية كما كان سلفه السطرنجيلي يستخدم عند السريان لكتابة الاسفار المقدسة النصرانية . والنبطي لكتابة المراسلات والمسكبات الاعتيادية . ومما يدل على تخلف القلم الكوفي عن السطرنجيلي فضلا عن شكله أن الالف اذا جاءت حرف مد في وسط الكلمة تحذف - وتلك قاعدة مطردة في الكتابة السريانية وكان ذلك شائعاً في أوائل الاسلام وخصوصاً في القرآن فيكتبون « الكتب » بدل « الكتاب » و « الظلمين » بدل « الظالمين »

فجاء الاسلام والكتابة معروفة في الحجاز ولكنها غير شائعة . فلم يكن يعرف الكتابة الا ببضعة عشر انساناً أكثرهم من كبار الصحابة وهم : علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله وعثمان وابان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة ويزيد بن أبي سفيان وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمي وأبو سلمة بن عبد الاشهل وعبد الله بن سعد بن أبي مروح وحويطب بن عبد العزى

(١) اللعمة الشبية في نحو اللغة السريانية ١٧ (٢) الزهر ١٧٧ ج ٢

(٣) راجع صفحة ٢٦ من هذا الكتاب

الخط العربي
مكتبة

وابو سفيان بن حرب وولده معاوية وجهيم بن الصلت بن مخزومة : ثم تعلم غيرهم من الصحابة ومنهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن . فكتبوا القرآن بالكوفي أيام الراشدين وأيام بني أمية . وفي أيامهم تفرع الخط المذكور الى اربعة اقلام اشتقها بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة كان اكتب اهل زمانه . وكان يكتب لبني أمية المصاحف . ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان في اوائل الدولة العباسية فزاد على قطبة ثم زاد اسحق بن حمادة وغيره فبلغت الاقلام العربية الى اوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً . وهي : ١ قلم الجليل ٢ قلم السجلات ٣ قلم الديباج ٤ قلم اسطورمار الكبير ٥ قلم الثلاثين ٦ قلم الزنبور ٧ قلم المنفج ٨ قلم الحرم ٩ قلم المدامرات ١٠ قلم اليهود ١١ قلم القصص ١٢ قلم الحرفاج وفي أيام المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط فحدث القلم المرصع وقلم النساخ وقلم الرثاسي نسبة الى مخترعه ذى الرئاستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلية (١)

فزادت الخطوط على عشرين شكلاً وكلها تعد من الكوفي . واما الخط النسخي أو النبطي فقد كان شائعاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى اذا نبغ ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسيناً جعله على ما هو عليه الآن وأدخله في كتابة الدواوين . والمشهور عند المؤرخين ان ابن مقلة نقل الخط من صورة القلم الكوفي الى صورة القلم النسخي . والغالب في اعتقادنا ان الخطين كانا شائعين معاً من أول الاسلام الكوفي للمصاحف ونحوها والنسخي (أو النبطي) للرسائل ونحوها كما تقدم . وأن ابن مقلة انما جعل الخط النسخي على قاعدة جميلة حتى يصاح لكتابة المصاحف . وقد شاهدنا في معرض الخطوط العربية القديمة في دار الكتب المصرية رقوقاً وقطعاً من البردى عليها كتابات بالخط النسخي بعضها من أواخر القرن الاول للهجرة . ورأينا عقد نكاح مكتوباً في أواسط القرن الثالث للهجرة سنة ٢٦٤ هـ على رق مستطيل في اعلاه صورة العقد بالقلم الكوفي المنتظم ونحتها خطوط الشهود بالقلم النسخي بغاية الاختلال - فابن مقلة حسن هذا الخط تحسيناً وأدخله في كتابة المصاحف

ثم تفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الاعوام الى فروع كثيرة . وأصبحت الاقلام الرئيسية في اللغة العربية اثنين الكوفي والنسخي ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة اقلام وهي : الثالث والنسخي

والتعليقي والريحاني والمحقق والرقاع . واشتهر من الخطاطين جماعة كبيرة ألفوا فيه الكتب والرسائل بعضها في أدوات الخط كالاقلام وطرق برها وأحوال الشق والقط والدواة والمداد والكاغد وغير ذلك . وما زال الخط يتفرع الى اليوم ولن يزال الى ما شاء الله عملا بسنة النشوء والارتقاء

وفي آخر الجزء الاول من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي طبع دار الكتب المصرية باب خاص في الكتابة وأدواتها وتوابعها يدخل في ٣٠ صفحة كبيرة (من صفحة ٥٤٦ — ٥٧٦) وتجد أقوالا تتعلق بالخط العربي في كشف الظنون ٤٦٦ ج ١ وابن خلكان ٣٤٦ ج ١ والعقد الفريد ١٦٢ ج ٢ وابن خلدون ٢٠٥ و ٣٤٨ ج ١ والاغانى ١٩ ج ٢ و ١٠٦ ج ٤ و ٥٠ ج ٧ وفي المزهرة ١٧٧ ج ٢
أما ما يلحق الخط من الحركات والاعجام ونحوها من العلامات فسيأتي الكلام عليها في العصر الاموي

العصر الاموى

من سنة ٤١ - ١٣٢ هـ

مميزات العصر الاموى

نريد بالعصر الاموى العصر الذى كانت الدولة الاسلامية فيه فى حوزة الامويين بالشام منذ بويح معاوية بالخلافة سنة ٤١ هـ الى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ هـ . ويختلف العصر الاموى عن عصر الراشدين اختلافاً كبيراً من أوجه كثيرة . وبعد انتقال الدولة الاسلامية الى بنى أمية انقلاباً عظيماً فى تاريخ الاسلام . لأنها كانت فى زمن الراشدين خلافة دينية فصارت فى أيامهم ملكاً عضوداً وكانت شوروية فصارت اريثية . وقام معاوية يطلبها وينازع أعمام النبي وأبناء عمه عليها والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وان معاوية طليق لانهل له الخلافة وانه لم يعتنق الاسلام الا مكرهاً . ولكنه تمكن بدهائه وسعة صدره من التغلب عليهم جميعاً فأسس الدولة الاموية . وقد فصلنا الاسباب التى ساعدته على ذلك فى الجزء الرابع من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامى

وانما يهمنى فى هذا المقام ما نجم عن مساعي بنى أمية فى تأييد سلطانهم من التفريق بين القبائل والرجوع الى عصبية الجاهلية كما كان العرب قبل الاسلام يفعلون وما كان من تأثير ذلك فى الآداب واليك هي :

التفريق بين القبائل واحياء المصيبات

قد علمت ان العصبية العربية كانت فى الجاهلية بين القبائل بسبب الانساب فلما جاء الاسلام تنوسيت تلك العصبية واجتمع العرب كافة باسم الاسلام أو الجامعة الاسلامية . وما زالت الجامعة الاسلامية تشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبطونهم طول أيام الخلفاء الراشدين . حتى اذا طمع بنو أمية بالملك وقبضوا على أزمة الخلافة استبدوا وتعصبوا للعرب وحافظوا على مقتضيات البداوة وتمسكوا بعاداتها فظلت خشونة البادية غالبية على حكومتهم وظاهرة فى سياستهم مع ذهاب أكثر مناقب البدو الاخرى . وانما حفظوا من مناقب جاهليتهم تعصبهم لقبيلتهم قريش واينار أهلهم على سواهم . فجاشت عوامل الحسد فى نفوس القبائل التى كان لها شأن فى الجاهلية وضاع فضلها فى الاسلام وخصوصاً

أهل البصرة والكوفة والشام لان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبهم سيرته ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان فيهم من جفاء الجاهلية وعصبيتها . فلما استفتحت الدولة اذاهم في قبضة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب . فاستكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس من ربيعة وكندة والازد من اليمن وتميم وقيس من مضر . فصاروا الى الغرض من قريش والانفة عليهم فمادت العصبية الى نحو ما كانت عليه في الجاهلية

أسباب التفريق

كان التفريق أولاً بين قريش وسائر العرب فنصب العرب كافة على قريش حسداً لاستبدادهم في السلطة دون سائر الصحابة أو التابعين - إلا الذين تألفهم معاوية من القبائل اليمنية والعديانية . بدأ هذا الخلاف من أيام عثمان على يد سعيد ابن العاص^(١) وتزايدت الوحشة بين قريش وسائر القبائل من ذلك الحين وخصوصاً بينهم وبين اليمنية وفيهم الانصار . وثبت الانصار في نصرة أهل البيت ضد أهلهم من قريش مثلما فعلوا في أول الاسلام اذ جاءهم النبي مهاجراً فراراً من أهله . ولما جرت وقعة صفين سنة ٣٧ هـ بين علي ومعاوية عدوها بين اليمنية الانصار وقريش . فلما احتدم القتال في تلك الوقعة قال رجل يمني من أنصار علي : « أباها الناس هل من راضح الى الله تحت العوالي والذي نفسي بيده لنقاتنكم على تأويله (القرآن) كما قاتلناكم على تنزيله »

وامتد النزاع من هذا النحو حتى صار أكثر اليمنية شيعة علي وأنصاره . فعمد معاوية الى اجتذاب قلوبهم لعلهم ان اكتفاهم بقريش ونحوهم لا يجديهم نفعاً فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها بمجدل أم يزيد ابنه واستنصرهم على قنلة عثمان لان امرأة عثمان كانت كلبية واستغواهم بالمال فخاربوا معه . ولما فاز في حروبه ورسخت قدمه في الخلافة تقربت منه قبائل كثيرة من مضر واليمن وظلت كلب على نصرة يزيد ابنه بعده لانهم اخواله

فلما مات يزيد وكان ابن الزبير في مكة يطالب بالخلافة واختلف بنو أمية على اختيار خالد بن يزيد أو مروان بن الحكم (وكلاهما من أمية) وقع الخصام بين

(١) راجع تفصيله في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٧ ج ٤ (الطبعة الثالثة)

دعاة ابن الزبير ودعاة بني أمية وكان انصار ابن الزبير من قيس (مضربة) يدعون لابن الزبير، وأنصار بني أمية من كلب (بمنية) يدعون لخالد بن يزيد لانه ابن أختهم. ونهض أناس من بني أمية فاعترضوا على صفر بن خالد وأجمعوا على بيعه مروان لشيخوخته على ان تكون الخلافة بعده لخالد. ثم جرت واقعة مرج راهط بين اصحاب مروان واصحاب ابن الزبير أي بين كلب وقيس وفاز مروان وثبتت قدمه في الخلافة. ثم توفي مروان ولم يف لخالد خلفه ابنه عبد الملك بن مروان الشديد الوطأة وظلت كلب معه وقيس مضطئنة عليه. وانقسم العرب في سائر انحاء المملكة الاسلامية بين هذين الحزبين قيسية وكلبية أو مضربة وبمنية أو نزارية وقحطانية. وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وافريقيا والاندلس. وفي كل بلد من هذه البلاد وغيرها حزبان مضري وبمئي تختلف قوة احدهما أو الآخر باختلاف الخلفاء أو الامراء أو العمال. فالعامل المضري يقدم المضربة والعامل البمئي يقدم البمنية ويختلف ذلك باختلاف الاحوال وله تأثير في كل شيء من تصارييف احوالهم حتى في تولية الخلفاء والامراء وعزلهم وكثيراً ما كانت الولاية والعزل موقوفين على نصرة أحد هذين الحزبين

غير الانقسام الذي وقع بين بطون قريش واهم اجزائهم بنو أمية وبنو هاشم فكان الناس يتعصبون لاحدهما على الآخر. وناهيك بالتخاصم بين العرب وغير العرب وكما كان القرشيون مقدمين في العصر الاموي على سائر العرب فالعرب على الاجمال كانوا مقدمين على سائر الامم التي دانت للمسلمين. ولم يكن هؤلاء يستنكفون من ذلك بل كانوا يعتقدون فضل العرب في اقامة هذا الدين وانهم مادته واصله ولا كانوا يأتقون من ان يسموا العرب اسيادهم وبعدوا أنفسهم من مواليهم بل كانوا يعدون طاعتهم وحبهم فرضاً واجباً عليهم

فكان العرب في اثناء هذه الدولة يترفعون عن سائر الامم من الموالي وأهل الذمة وكان العربي يعد نفسه سيداً على سواء ويعتقد انه خلق للسيادة وذاك للخدمة فاقصر العرب على الاشتغال بالسياسة ولم يكونوا يعنون بشيء من العلم غير الشعر والتاريخ لانه لازم للسياسة. وأما الحساب والكتابة فقد كانا من صنائع الموالي - حتى الشعر فان الموالي نالوا منه حظاً في اثناء العصر الاموي

وبالجملة ان انتقال الدولة الى الامويين انقلاب سياسي عظيم هو طبيعي في نواميس العمران لان القواعد التي وضعها الامام عمر للدولة تنافي سياسة الملك ولم

يكن يرحى بقاءها لان من شروطها أن لا تخزن الاموال في بيت المال وأن لا يشتغل المسلمون بالزرع ولا يقتنوا الارضين ونحو ذلك مما يلام الدين والتقوى ويخالف السياسة والملك فانتقلها الى الملك في أيام بني أمية وانتقال كرسى الخلافة الى الشام أوجب احتكاكها بالدول الاخرى فأقيمت على دعائم سياسية واقتبس أهلها تمدن الامم المجاورة وعلومهم وأنشأوا تمدنا من عند أنفسهم ووضعوا العلوم والآداب التي اقتضاها ذلك التمدن كما سيجيء.

حال الشرق عند الفتح الاسلامي

نعني بالشرق البلاد التي فتحها المسلمون حول بحر الروم وخليج العجم وهي تشمل مصر والشام والعراق وفارس فلما فتحوها كان بعضها تحت سيطرة الفرس وهي العراق وفارس والبعض الآخر تحت سيطرة الروم وهي الشام ومصر. أما من حيث الآداب والعلوم فمصر والشام كانتا ملحقين بمملكة الروم بأدبهما وعلومهما والغالب في دينهما النصرانية. والعراق وفارس كانت آدابهما فارسية وأكثر أهلها من المجوس. وكان التنازع قائماً بين النصرانية والمجوسية وانتشبت الحرب بين الروم والفرس لهذه الغاية. فجاء العرب وغلبوا الامتين جميعاً فقام الاسلام في ذينك البلدين مقام ذينك الدينين

آداب الروم في مصر والشام

كانت آداب الروم في مصر والشام بومئذ عبارة عن الآداب اليونانية في عصرها الاسكندري الروماني لان آداب اليونان القدماء هي القاعدة الاساسية لآداب الرومان ومن تشعبت اليه دولتهم من الامم. وللاآداب اليونانية أطوار فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي آخرها العصر الاسكندري وفيه انتقلت علوم اليونان وآدابهم من أثينا وغيرها من بلادهم الى الاسكندرية على عهد البطالسة بمن انتقل اليها من جالية اليونان على اثر فتوح الاسكندر في الشرق من القرن الرابع قبل الميلاد وحملوا معهم كتب العلم والفلسفة والطب والشعر والادب واللغة والتاريخ غير ما جمعه البطالسة من الكتب الاخرى فزهت الاسكندرية بهم وبعلمهم

ويقسم العصر الاسكندري المذكور الى قسمين : الاول كانت مصر فيه تحت سيادة البطالسة وهو العصر الاسكندري اليوناني. والثاني بعد دخولها في سيطرة

الروم قبل الميلاد وهو العصر الاسكندري الروماني وينتهي بظهور الاسلام
فلما فتح المسلمون مصر والشام كانت هذه البلاد في عصرها الاسكندري
الثاني أو الروماني يبدأ قبل الفتح الروماني بنصف قرن أي يوم دخول أثينا في
حوزة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد لان قائدهم سولا لما فتح أثينا حمل منها
احمالا من كتب العلم والفلسفة الى رومية فانتقل العلم من اثينا الى رومية وضعف
شأن الاسكندرية قبل دخولها في حوزة الروم . فلما صارت رومانية قبيل الميلاد
زادت ضعفاً . وكانت علومها قد تغيرت وجهتها وأحصرت في الفلسفة . لان
الاسكندرية ما برحت منذ تأسيسها وفيها جماعة من اليهود تزحوا اليها كما دبتهم
في الرحيل للارتزاق أو فراراً من الاضطهاد فانسوا في الاسكندرية ترحيباً وراحة
فتكاثروا . فترتب على اختلاطهم باليونان وتمازج الاذواق والابحاث تغير مهم في
الفلسفة والدين لان اليهود أهل توحيد ووحى وتقليد واليونان أهل فلسفة
ومنطق وخرافات دينية فأدى التمازج الى التقارب وزاد ذلك بظهور النصرانية .
ولما تأيدت النصرانية واعتنقها اليونان أخذوا في تطبيق فلسفتهم على الدين فنولد
من ذلك ما يسمونه الفلسفة الافلاطونية الجديدة (Neo-Platonic) والفلسفة
الفيثاغورية الجديدة (Neo-Pythagoric) وجملة القول ان العصر الاسكندري
الثاني قلما أفاد العلم لان أبحاثه كانت غايتها دينية

هذه هي الفلسفة التي كانت شائعة في المملكة الرومانية الشرقية عند الفتح
الاسلامي . وكانت مدرسة الاسكندرية أم المدارس الشرقية يعلم فيها الطب والهندسة
والفلك وسائر العلوم الطبيعية والرياضية يتفاخر العلماء بالتحخرج فيها كما يتفاخر
متخرجو جامعات اكسفورد وكمبريدج وباريس وبرلين اليوم . وطاصرتها مدارس
حسنة في برغاموس وطرسموس وروودس وانطاكية وبيروت وكان في بيروت
مدرسة للحقوق طارت شهرتها في الآفاق (١)

فلما جاء الاسلام كان العلم قد انحط في هذه المدارس كلها وأهملت كتب
الفلسفة القديمة بمقاومة رجال الدين لها لانها في نظرهم عثرة في سبيل الدين

آداب مملكة الفرس

كان للفرس آداب قديمة قد أضافوا اليها كثيراً من علوم الهند والصين واشور
وغيرها من أمم الشرق القديم . فلما فتح الاسكندر بلادهم نقل ما كان في عاصمتها من

(١) راجع الهلال ص ٢٢ سنة ١٩

كتب العلم الى بلاده فذهب تمدنهم وتضعضت شؤونهم وتفاعدوا عن العلم الى أيام سابور بن أزدشير في الدولة الساسانية باواسط القرن الثالث للميلاد ، فخارب الروم ونقل جماعة من أسراهم الى الاهواز وأنشأ لهم مدينة سماها جندي سابور وأكرم وفادتهم فحببوا اليه العلم فعمد الى استرجاع علوم الفرس من اليونان أو الاستعاضة بمنزلها . فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية (١) واخترنها في مدينته وأخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى أنوشروان العادل (من سنة ٥٣١ - ٥٧٨ م) فتح للفرس مورداً جديداً للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد بوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر ائقاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد فضجت ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انوشروان فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب (٢) والفوا فيهما الكتب فطالما هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا أنوشروان انه من تلامذة أفلاطون

وأنشأ أنوشروان في جندي سابور مدرسة للطب والفلسفة اشتهرت في بلاد الفرس اشتهار مدرسة الاسكندرية في مصر ومدرسة بيروت في سوريا

فترى ان آداب الفرس عند ظهور الاسلام كانت قائمة على آداب اليونان والعالم المتمدن في ذلك العهد مدين لليونان في أكثر آدابه كما صارت الامم الاسلامية بعد ذلك مديئة بآدابها وعلومها لآداب اللغة العربية التي فضجت في أيام العباسيين وما يحسن استطراده ان آداب اليونان نقلت الى الامم الشرقية على أيدي السوريين نقلوها أولاً الى الفارسية ثم نقلوها الى لسانهم السرياني ونقلوها بعد ذلك الى اللسان العربي في التمدن الاسلامي لكن ذلك لم يتم الا في الدولة العباسية

الدولة الاموية واللغة العربية

أما الدولة الاموية فالهمة كانت متجهة فيها على الخصوص الى الآداب العربية الجاهلية لان الامويين كانوا شديدي الحرص على منزلة العرب كئيري العناية في حفظ الانساب وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأيدوها ونشروا اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين من القبطية والرومية والفارسية الى اللغة العربية

وبعد ان كانت مصر قبطية والشام رومية والعراق كلدانية أو نبطية أصبحت هذه البلاد بنو الى الاجيال عربية النزعة وتوسيت لغاتها الاصلية وهي تعد الآن من البلاد العربية . واذا نزلها التركي أو الافرنجي أو غيرها من أي أمة كانت وتوالد فيها عد نسله عربياً

وظل العرب في أيام بني امية على بداوتهم وجفائهم . وكان خلفاؤهم يرسلون أولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم . وظل كثير من عادات الجاهلية شائعة في أيامهم كالمفاخرة والمباهلة ومناشدة الاشعار في الاندية العمومية فكان اشرف أهل الكوفة يخرجون الى ظاهرها يتناشدون الاشعار ويتجادنون ويتذاكرون أيام الناس . وأهل البصرة يخرجون الى المربد لهذه الغاية كما سيجيء . كأنهم رجعوا بعصبيتهم الى ما كانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبلغ العرب من العز والسؤدد ما بلغوا اليه في أيام هذه الدولة . وقد تكاثروا على عهدنا وانتشروا في ممالك الارض

أقسام آداب اللغة العربية

في العصر الاموي

تقسم آداب اللغة في هذا العصر الى قسمين :

أولاً - الآداب الحادثة ويدخل تحتها (١) ما حدث من العلوم أو الآداب مما اقتضاه الاسلام كعلوم القرآن والحديث والفقه والعلوم اللسانية والتاريخ والجغرافيا ونسبها العلوم الاسلامية (٢) ما اقتضاه تمدن الاسلامي من العلوم التي نقلت عن اليونان والفرس وغيرهم ونسبها الآداب الدخيلة

ثانياً - الآداب القديمة وهي ما كان منها موجوداً في عصر الراشدين كاللغة والشعر والخطابة والامثال من الآداب الجاهلية

ويقال بالاجمال ان في العصر الاموي نضجت الآداب الجاهلية وولدت الآداب الاسلامية وبدأ النقل من اللغات الاجنبية فلتنظر في كل منها على حدة ونبدأ بالعلوم الحادثة في الاسلام ثم نعود الى الآداب التي كانت في الجاهلية لينجلي لنا تأثير تلك فيها

أعمار العلوم

ولكل من العلوم على اختلاف مواضعها أدوار يمر بها العلم كما يمر الحي بادوار

الحياة لان العلوم من تواجح الاحياء فتخضع لتواميس النشوء مثل خضوعهم .
فالادوار التي تمر بها العلوم هي :

١ دور التكوين (الولادة)

٢ « النمو أو النشوء (الصبا)

٣ « البلوغ (الشباب)

٤ « النضج (الكهولة)

٥ « التفرع أو التشعب أو الانحلال (الشيخوخة)

وسترى ان بعض العلوم يتكون في عصر وينمو في آخر ويبلغ في آخر وينضج في آخر وقد ينحطى دورين أو ثلاثة في عصر واحد

والعصر الاموي فاتحة عصور التمدن الاسلامي أو الدولة الاسلامية لان الاسلام قبله كان ديناً لا دولة . وفي هذا العصر بدأ تكون أكثر علوم هذا التمدن ونمت ونضجت فيما يليه . وقد تقدم ان العلوم الحادثة في الاسلام قسمان كبيران العلوم الاسلامية والعلوم الدخيلة قنبداً بالاولى

العلوم الاسلامية

هي العلوم التي اقتضاها الاسلام وتقسم الى ثلاثة أقسام (١) العلوم الشرعية وهي العلوم الدينية الاسلامية (٢) العلوم اللسانية وهي التي اقتضاها الاسلام ضمناً فاحتاجوا اليها في ضبط قراءة القرآن أو تفسيره أو تفهمه وتفهم الحديث (٣) التاريخ والجغرافيا . فلتبحث في كل منها على حدة

أولاً - العلوم الشرعية

ويريد بالعلوم الشرعية العلوم المستخرجة من القرآن والحديث أهمها علوم القرآن والحديث والفقهاء ولكل منها فروع تولدت بتوالي الاجيال وكانت في العصر الاموي في دور تكونها وهي يومئذ القراءة (قراءة القرآن) والحديث (ضبط الحديث) والفقهاء وقبل التقدم اليها تمهد الكلام في البصرة والكوفة

البصرة والكوفة

هما من المدن الاسلامية التي اختطها العرب لانفسهم . وكانوا قبل الاسلام أهل ماشية وخيام وخيل يكرهون الاقامة ضمن الاسوار وينفرون من الانحصار في

المدن . فلما تأيد الاسلام واجتمع العرب على فتح الامصار في العراق والشام
ومصر كانوا في بادىء الراى اذا ساروا الى غزو أو فتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم
فاذا فتحوا بلداً أقاموا في ضواحيه بنجياتهم وأخيبتهم وهو معسكرهم . وكان عمر بن
الخطاب يشترط على جنده المقيمين في الامصار أن لا يقيموا في مكان يحول الماء فيه
بينهم وبينه حتى اذا أراد أن يركب راحلته اليهم ركب . كذلك فعل عمرو بن العاص
في القسطنطين وسعد بن أبي وقاص في الكوفة والبصرة وكانت كلها مضارب لجنود
العرب الفاتحين يعبرون عنها بالرابطة أو المعسكر فاذا طال بهم المقام اختلطوا الاسواق
وبنوا المنازل والقصور . ذلك كان شأنهم في صدر الاسلام فبنوا البصرة والكوفة
على هذه الصورة

على انهم ظلوا نازعين الى البداوة بعد تخطيط البصرة لاول عهدتها فبنوا
مسجدها ودار امارتها بالقصب فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه
وحفظوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءه كما كان واعتبر ذلك بالكوفة أيضاً
فأول من عمر البصرة والكوفة الفاتحون وأهلهم ثم اتسعت الفتوح الاسلامية
شرقاً وغرباً ورسخت دولة المسلمين حتى نزح العرب بأهلهم وخيلهم التماساً لسعة
العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة وهم يختارون أقربها الى البادية
بلدهم القديم فالبصرة والكوفة أوفق البلاد لهم لانهما على الحدود بين جزيرتهم
والشام والعراق

المربد أو عكاظ الاسلام

انتقل العرب الى هذين البلدين ونقلوا معهم عاداتهم الجاهلية وأخلاقهم
العربية فانقسموا فيها قبائل وبطوناً - عرب اليمن في أحد طرفي البلد وعرب
الحجاز في الطرف الآخر وانقسمت قبائل كل جانب حسب بطونها وأفخاذها .
وأقاموا فيها أسواقاً أدبية مثل أسواقهم في الجاهلية للمفاخرة والمنافسة
والمناشدة : أشهرها « المربد » في البصرة وكانت سوقاً من أسواقها يعرف بسوق
الابل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وأقاموا بها مفاخرات الشعراء ومجالس
الخطباء ويدل ذلك على سعتها وسعة البصرة أن المربد كان في زمن ياقوت بالقرن السادس
للهجرة بعد انحطاط دولة العرب كالبلد المنفرد وبينه وبين البصرة ثلاثة أميال وكان
ما بين ذلك عامراً فتأمل

وكان المربد في الدولة الاموية عكاظ الاسلام تألفت فيه حاقيات المناشدة

والمفاخرة^(١) ومجالس العلم والادب^(٢) فكان الشعراء يؤمونه ومعهم روايتهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكمة وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق وراعي الابل^(٣)

وكان الاشراف يخرجون أيضاً إلى المربد للمذاكرة أو المناشدة . وكذلك كان يفعل أشراف الكوفة يخرجون الى ضواحيها مثل هذا الغرض . لكن المربد غلب على سائر الاسواق كما غلبت عكاظ في الجاهلية

مدينة السياسة ومدينة العلم

ففي عصر الراشدين كانت المدينة عاصمة المسلمين ومقر علمائهم وهم يومئذ القراء والحفاظ من الصحابة ثم أفضت الدولة الى بني أمية وانتقلت عاصمة الاسلام الى دمشق واختلفت الاحزاب ونحصر ابن الزبير في مكة وأخرج بني أمية وأنصارهم من المدينة وسائر الحجاز . وقد علمت رغبة الامويين في استبقاء الطبايع العربية البدوية فنشطوا الآداب الجاهلية ولاسيما الشعر لاسباب سيأتي تفصيلها ، فوجدوا في البصرة والكوفة ما ينوب عن مكة والمدينة من هذا القبيل وان ظلوا مضطربين الى الحجاز لان فيه الكعبة وقبر النبي وسائر مناسك الحج

وكان في المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للمطالبة بالخلافة كما فعل أحدهم عبد الله بن الزبير فأعماهم معاوية بالعطايا وقدم بالاحسان ووسعهم بالحلم فأركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع . ينفقون في ذلك الاموال وهي تندفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ) كانت المدينة قد أصبحت مسرحاً للهو والفناء ونبغ فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها الخنثون وأهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء . فلم عبد الملك أن أعداءه هناك لا يخشى بأسهم لاشتغالهم بأنفسهم وملاذم ولا سيما بعد أن غلبهم في العراق فجعل همه صرف أذهان أهل الادب والعلم عن بلاد العرب الى البصرة فجعلها ملجأ الشعراء والادباء وغيرهم وكانت في أيامهم لا تزال كالبادية يقيم العرب حولها في المضارب قبائل وبطوناً فأصبحت الشام في أيامه دار الملك والبصرة دار العلم . ولم ينبغ شاعر أو خطيب في بلاد العرب كلها الا جاء البصرة والكوفة فازدحت الاقدام فيهما وبعد زمن يسير خلت جزيرة العرب من أهل الادب الا البجامة وبعض الحجاز

سكان البصرة والكوفة

وتقاطر الى البصرة والكوفة أيضاً أهل المدن المجاورة في العراق والشام وفارس من طلاب الرزق للاستفادة من تلك النهضة السياسية بالتجارة أو الصناعة أو غيرها . فاجتمع في تلك البقعة لفيف من أمم شتى مصيرهم الى التعريب . لان العربية كانت قد أصبحت لغة الدولة والدين ولا بد منها لمن أقام في تلك الديار من المسلمين وغيرهم بعد أن نحوت دواوينها الى العربية كما تقدم . فاشتدت الحاجة الى ضبطها وجمع ألفاظها - غير ما بعث الى ذلك من الاسباب الاخرى . ونظراً لرغبة الامويين في الاحتفاظ بالبداوة نشطوا آداب الجاهلية على الخصوص فاشتغل الناس بتدوينها ونبغ الرواة والادباء وغيرهم

فأصبحت البصرة والكوفة في العصر الاموي وبعده بؤرة العلم والادب وملتقى العلماء والادباء والشعراء يزدهون في المسجد أو المربد أو غيرها للمفاخرة أو المناظرة أو المناشدة ، وأهل البصرة أعرق في اللغة والادب يأخذ الكوفيون عنهم وهم لا يأخذون عن أهل الكوفة . أما الشعر فكان في الكوفة أكثر منه في البصرة . ووقف المختار في أثناء حروبه بالعراق على أشعار مدفونة في القصر الابيض بالكوفة مما يدل على عناية الكوفيين بالشعر (١) لكن أكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله (٢)

فبعد أن مهدنا الكلام بوصف البصرة والكوفة نتقدم الى العلوم الشرعية الاسلامية وأساسها القرآن وقد ذكرنا كيفية جمعه وتدوينه في عصر الراشدين

قراءة القرآن

في العصر الاموي

هي أقدم العلوم الشرعية الاسلامية وكان للقراءة شأن في صدر الاسلام لقلّة الذين يقرأون يومئذ فسموا الذين كانوا يحفظون القرآن « قراء » تمييزاً لهم عن سائر المسلمين لانهم كانوا أميين . وقد تقدم أن السبب الذي حمل عثمان على جمع القرآن وكتابته ما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته . على أنه لم يمض على ارسال مصاحفه الى الامصار زمن قصير حتى أصبح لاهل كل مصر قراءه خاصة يتبعون فيها قارئاً يتقون بصحة قراءته وتتوكل ذلك واشتهر . ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها واحتضت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت

(١) الخصائص لابن حني (خط) ١١٨ (٢) الزهر ٢٠٦ - ٢٠٨ ج ٢

هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة ويعدّها بعضهم عشرًا

وأصحاب هذه القراءات معظمهم من الموالى وبعضهم تجاوز العصر الاموي وهم :

١ - عبد الله بن كثير توفي سنة ١٢٠ هـ في مكة وهو من الموالى أصله من أبناء

فارس الدين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حين طرد الحبشة عنها . وكان شيخاً

كبيراً أبيض الرأس والوجه طويلاً جسيماً أسمر أشمل العينين يغير شيبته بالحناء (١)

٢ - عاصم بن أبي النجود توفي سنة ١٢٨ هـ في الكوفة وهو مولى بني جذيمة

أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش (٢)

٣ - عبد الله بن عامر البجلي من الطبقة الاولى من التابعين توفي

بدمشق سنة ١١٨ هـ

٤ - يزيد بن القعقاع توفي سنة ١٣٢ هـ في المدينة وهو مولى عبد الله بن عباس

المذكور وأخذ القراءة عنه وعن غيره (٣)

٥ - حمزة بن حبيب الزيات توفي بجلوان العراق سنة ١٥٦ هـ وهو مولى آل

عكرمة

٦ - ابو عمر بن العلاء من نيم توفي سنة ١٥٥ هـ بالكوفة وهو العلم المشهور في

علم القراءة واللغة العربية وسيأتي ذكره مراراً في تاريخ آداب اللغة

٧ - نافع بن عبد الرحمن توفي سنة ١٦٩ هـ بالمدينة وهو مولى جمونة بن

شعوب الشجعي كان اسود شديد السواد وأصله من اصهان ويظهر من تأخر وفاته

عن زمن انتقال الدولة الى العباسيين انه كان في العصر الاموي صغيراً (٤)

القراءات الشاذة

واشهر غير هؤلاء كثيرون في أقطار العالم الاسلامي وفيهم من يقرأ قراءات

غريبة وقد سماهم ابن النديم قراء الشواذ - ذكر في فهرسته (صفحة ٣٠) جماعة منهم

في المدينة وآخرين في مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها . وتكثر قراء

الشواذ على الخصوص بعد أن ظهرت الفرق الاسلامية وتشعبت الآراء في التفسير

والفقه ، والخلفاء بشددون في مقاصد أولئك الشاذين خوف النفره كما كان يفعل

رؤساء التصراية في القرون الاولى لليلاد . ولكن الاسلام كان أقرب الى اطلاق

حرية الفكر والقول وخصوصاً في اوائله فلم يكن المسلم يستنكف من ابداء ما يخطر

له ولو كان مخالفاً لرأي الخليفة ، ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت

(١) ابن خلكان ٢٥٠ ج ١ (٢) الفهرست ٢٩

(٣) المعارف ١٧٩ (٤) ابن خلكان ١٥١ ج ٢

مذاهب أصحابها في القراءة والتفسير والفقہ وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى أن سورة يوسف ليست من القرآن لانها قصة من القصص والقائلون بذلك المجردة (١) وظل بعضهم يقرأون القراءات الغربية الى أواسط الدولة العباسية وفي جملتهم يعقوب العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ فاستحضره الخليفة واستتابه بحضرة القراء والفقهاء وكتب محضر توبته وأشهد عليه من حضر (٢)

وأشهر من قرأ القراءات الشاذة ابن شنبوذ البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فانه تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها في المحراب ذكرها ابن النديم وابن خلكان فلم به ابن مقلة الوزير سنة ٣٢٣ هـ فقبض عليه واعتقله أياما فلم يكن ذلك ليرجعه عن قراءته فأمر بجلده واستتابه فتاب وقال انه قد رجع عما يقرأ وانه لا يقرأ الا بمصحف عثمان بن عفان بالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس وكتب محضراً بذلك (٣) والقراءات السبع التي ذكرنا أصحابها كلها جائزة عند المسلمين . وعند الأئمة أن الجميع على صواب فقد يختار الاقليم الواحد قراءة واحدة أو قراءتين أو أكثر وقد تقرأ كل القراءات في إقليم واحد (٤) وكانوا يرجعون في اثبات صحة القراءة الى الاسناد المتسلسل كقولهم قرأ يعقوب بن اسحق على سلام وقرأ سلام على طاصم وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب وقرأ علي على النبي (٥)

كتب القراءة

ولم يدون هؤلاء القراء قراءاتهم في الكتب لكنها توقفت بالاسناد فألف فيها كثيرون بعد نضج التمدن الاسلامي في بغداد وقرطبة وغيرها من مدائن ذلك التمدن . ونحن موردون خلاصة تاريخ ذلك - واشهر ما وصلنا اليه من كتبهم في هذا الفن :

١ - كتاب الايضاح في الوقف والابتداء لمحمد بن قاسم الانباري المتوفى سنة ٣٧٨ منه مجلد ناقص في دار الكسب المصرية بخط قديم يشبه أن يكون من خطوط القرن الرابع للهجرة . ومنه نسخة في المتحف البريطاني وفي مكتبة كوبرلي بالآستانة

٢ - كتاب التيسير في القراءات السبع لابن الصيرفي من أهل دانية بالاندلس توفي سنة ٤٤٤ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

(١) الشهرستاني ٧٣ ج ١ (٢) طبقات الادباء ٣٦١ (٣) ابن خلكان ٤٩٠ ج ١

(٤) المقدسي ٣٩ ونفع الطيب ١٠٤ ج ١ (٥) ابن خلكان ٣٠٨ ج ٢

- ٣ - جامع البيان في القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور
 ٤ - مفردات القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور أنى فيه على الاختلاف بين أصحاب نافع الاربعه الذين أخذوا عنه القراءات وبين غيرهم من أصحاب الأئمة السبعة . ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية
 ٥ - حرز الامانى ووجه التهانى في القراءات السبع وهو منظومة لمحمد بن فيره الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ وتعرف بمثنى الشاطبية وقد طبعت في الهند وغيرها ومنها عدة نسخ خطية في دار الكتب المصرية
 ٦ - المقدمة الجزرية في علم النجويد منظومة لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ منها عدة نسخ في دار الكتب المصرية

٢ - التفسير

كان العرب عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لأنها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ولأن أكثرها حُقيقت في أحوال كانت كالقرائن تسهل فهمها وإذا أشكل عليهم شيء منها سألوا النبي فكان بين لهم المجهل وبميز الناسخ من المنسوخ . فحفظ أصحابه عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم وعنه أخذ من جاء بعدهم من التابعين وتابى التابعين
 ولما صار الاسلام دولة واحتاجوا الى الاحكام والقوانين كان القرآن مصدر استنباطها فزادت العناية في تفسيره واصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين في استخراج تلك الاحكام أوهم الفقهاء لاول عهد الاسلام . وكانوا يتناقلون التفسير شفاهاً الى أواخر القرن الاول

والمشهور أن أول من دون مجاهد المتوفى سنة ١٠٤ هـ ولكتنا وجدنا في دار الكتب المصرية بضع نسخ من تفسير ينسب الى ابن عباس الصحابي المشهور المتوفى سنة ٦٨ هـ ابن عم النبي . والمتواتر انه أول من فسر القرآن ولم نكن نظن له تفسيراً مدوناً ولكن يؤخذ مما ذكر في مقدمة هذا التفسير انه نقل بالرواية والاسناد ولم يدون في أيام صاحبه . وللشيعة تفسير قديم ينسبونه الى محمد الباقر بن على بن الحسين . أما تفسير مجاهد المذكور فغير موجود ولعله تفسير ابن عباس رواء مجاهد (١)

ولم ينضج التفسير الا في العهد العباسي كما سيأتي

٣ - ائحربث

لما اشتغل المسلمون في تفهم معاني القرآن كان في جملة ما افتقروا اليه في تفهمها أقوال النبي وهو ما عبروا عنه بالاحاديث النبوية . وأقدم من سمعها الصحابة وحفظوها فكانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من أحكامها استعانوا بتلك الاحاديث على استيضاحها . فلما كانت الفتوح تفرق الصحابة في الارض وعند كل منهم بعض الاحاديث وقد يتفرد بعضهم باحاديث لم يسمعها سواء ، فأصبح طالب الحديث اذا كان من أهل دمشق مثلاً لا يستوفيه إلا اذا رحل في طلبه الى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والرى ومصر وغيرها . وكذلك المقيم في أحد هذه البلاد فانه لا يستطيع استيفاء الحديث ما لم يطلبه من البلاد الأخرى . وهذا ما يعبرون عنه بالرحلة في طلب العلم . على أن الارتمحال في طلب العلم لم يكن من مستحدثات الاسلام ولكنه كان شائعاً من قديم الزمان بالنظر الى قلة وسائل المواصلات وأسباب النشر في تلك المصور، فكان المؤلف والجغرافي مثلاً يرحل في طلب التاريخ أو الجغرافيا الى أقاصى البلاد كما فعل هيرودوتس واسترابون وغيرها . وكان المسلمون يرحلون في طلب العلوم غير الحديث أيضاً : وكان التصارى في العصر الاسلامى يرحلون الى بلاد الروم لاتقان دياتهم^(١)

وضع الاحاديث

نشأت الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان واختلف المسلمون في الخلافة وادعاها غير واحد فانصرفت عناية كل حزب من أحزابهم الى استنباط الأدلة واستخراج الاحاديث المؤيدة لدعوائهم فكان بعضهم اذا أعوزهم حديث يؤيدون به قولاً أو يقيمون به حجة اختلفوا حديثاً من عند أنفسهم : وتكاثر ذلك في أثناء تلك الفوضى ، فكان المهلب بن أبى صفرة مثلاً يضع الاحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف أمراؤهم^(٢) وهو مع ذلك معدود من الاتقياء والنبلاء مع علمهم بما كان يضعه من الاحاديث لانهم كانوا يعدون ذلك خدعة في الحرب وأمثال المهلب كثيرون كانوا يضمون الحديث لاغراض مختلفة

فلما هدأت الفتنة وعمد المسلمون الى التحقيق كانت تلك الموضوعات قد تكاثرت فاشتغلوا في التفريق بينها وبين الصحيح فألفوا كتباً كثيرة في الحديث وميزوا صحيحه من فاسده وجعلوه مراتب . ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحوا عليها لهذه

(١) طبقات الاطباء ١٧٥ ج ٢ (٢) ابن خلكان ١٤٦ ج ٢

المراتب ، كقولهم الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمضل والشاذ والغريب وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم . ويبدو كيف يأخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة مع تفاوت رتبها (١) وأشهر المحدثين في زمن بني أمية وبعضهم تجاوزه :

١ - شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الاشاعر ويكنى أبا بسطام توفي سنة ١٦٠ هـ وكان ألتع ويقول : « والله لانا من الشعر أسلم منى في الحديث ولو أردت الله ما خرجت اليكم ولو أردتم الله ما جئتموني ولكنا نرغب في المدح ونكره الذم »

٢ - خالد الحذاء : هو خالد بن مهران مولى قريش توفي سنة ١٤١ هـ

٣ - أبو المهزم : وهو يزيد بن سفيان وقد طعن شعبة في تحديثه (٢)

٤ - عاصم : هو عاصم بن سليمان مولى بني تميم توفي بالكوفة سنة ١٤١ هـ

وأكثر المحدثين نبغوا في العصر العباسى الاول وهم كثيرون ذكرهم ابن قتيبة في كتاب المعارف صفحة ١٧٢ - ١٧٩ فراجع هناك

وليس بين هؤلاء من دون كتاباً وأقدم من دون الاحاديث مالك بن أنس الامام المشهور في كتاب الموطأ . رتبه على أبواب الفقه وهو مطبوع ومشروح وسيدكر في باب الفقه . وذكر بعضهم أن ابن جريج دون الحديث لكن لم يصلنا منه شيء .

وفي العصر العباسى نضج علم الحديث وضبط كتبه على أيدي الأئمة المحدثين

٤ - الفقه

لما صار الاسلام دولة احتاج امرأؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا إلى القرآن والحديث ، فاستخرجوا منها شريعة نظموا بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم . وذلك طبيعى في الدول الكبرى . قال يونان قلما عنوا بوضع الشرائع والاحكام الدولية أو القضائية لانهم لم يكونوا أهل دولة كبيرة الا زمناً قصيراً فانصرفت قرائحهم الى الفلسفة وفروعها . وأما الرومان فقد اتسعت مملكتهم كما اتسعت مملكة العرب وامتد سلطانهم وقويت شوكتهم فلم يكن لهم بد من وضع الشرائع لكنها لم يتم نضجها الا بعد تأسيس دولتهم بيضعة عشر قرناً على يد يوستينيان صاحب القانون المشهور سنة ٥٢٩ م وهى عبارة عن عادات واعتبارات واعتقادات تجمعت بنوالى الاحقاب من الشعب اللاتينى والصابنى وغيرها

(٢) المعارف ١٧٢

(١) ابن خلدون ٣٦٨ ج ١

من دانوا لرومية بالندريج حتى صارت شريعة كاملة على عهد يوستينيان المذكور
وأما المسلمون فانهم استخرجوا أحكامهم من القرآن والحديث . ولم يمس عليهم
قرآن والثالث حتى نضجت شريعتهم وتكون فقههم وهو من افضل شرائع العالم .
وقد أسرعوا في ذلك مثل سرعتهم في تأسيس دولتهم ونشر دينهم
فلما ان القرآن أساس الفقه الاسلامي وكان المسلمون في عهد النبي يتلقون
الاحكام منه وهو بينها لهم شفاهاً فلم يكن ذلك يحتاج إلى نظر أو قياس . فلما
توفي رجع الصحابة الى القرآن والسنة فأصبح القراء اول فقهاء المسلمين أو حاملي
شريعتهم وكانوا يرجعون اليهم في الفتيا والاحكام لقلّة الذين يقرأون في الصدر الاول
فلما عظمت أمصار الاسلام وذهبت الامية من العرب وكمل الفقه وأصبح صناعة
بدلوا باسم الفقهاء والعلماء

الفقهاء

فأول الفقهاء المسلمين الصحابة الاولون وأولهم الخلفاء الراشدون ثم عبد الرحمن
ابن عوف وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر
وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعري (١) ثم
انتقلت الفتوى والفقه الى التابعين واشتهر منهم سبعة وهم : سعيد بن المسيب
وأبو بكر بن عبد الرحمن وقاسم وعبيد الله وعروة وسليمان وخارجة وقد جمعهم
بعض العلماء في هذين البيتين :

ألا كل من لا يقندي بأئمة فقسمة ضزى عن الحق خارجه
فخذي عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجه (٢)
وبعض المؤرخين بحسبهم عشرة مع تبديل بعض الاسماء (٣) وعندهم انتقل الفقه
والفتيا في العالم الاسلامي . وفي أوائل الاسلام كان الفقه والقراءة والتفسير
والحديث علماً واحداً ثم أخذت هذه العلوم تستقل بعضها عن بعض عملاً بناموس
الارتقاء فلما استقل الفقه سمو أصحابه الفقهاء كما تقدم وكان لهم تأثير كبير في الدولة
لما يترتب على الفتيا من الامور الهامة كالعزل والتنصيب والقتل والعفو . ففي أيام
بني أمية كان المرجع في الفقه والفتيا الى أهل المدينة وكان الخلفاء لا يقطعون أمراً
دونهم . ولم يخلف فقهاء العصر الاموي آثاراً مكتوبة لان الفقه نضج وتكيف بعد
نبوغ الأئمة الاربعة في العصر العباسي

(١) الدميري ٥١ ج ١ (٢) ابن خلكان ٩٢ ج ١ (٣) أبو الغداء ٢٠٩ ج ١

ثانياً - العلوم اللسانية

في العصر الاموي

ونريد بها العلوم التي ترجع الى ضبط اللغة العربية كالنحو والصرف والادب ونحوها . وهذه بدأت بالتكون في العصر الاموي ولم يتكون منها في هذا العصر غير النحو ويلحقه الحركات والاعجام وسنتكلم عن كل منها :

١ - النحو

النحو بمعناه الحقيقي طبيعي على لسان كل متكلم يتلقنه من مرضعه . لان الانسان يتعلم النحو وهو يتعلم النطق اذ بدونه لا يحسن التعبير عن أفكاره . اما اذا أراد أن يتعلم لساناً غير لسانه فدرس قواعد النحو يسهل عليه تناوله . ولذلك فالامة قد تقضي قروناً متطاولة وهي تتكلم وتخطب وتنظم الشعر قبل أن تدون قواعد النحو وتجعله علماً : فال يونان لم يبدأوا بضبط قواعد لسانهم الا في القرن الخامس قبل الميلاد . وأول من بدأ بذلك منهم بروتنوراس المتوفى سنة ٤١١ ق . م فتكلم في المذكر والمؤنث وبعض الاسماء . ثم بروديكوس وقد عاصره وتكلم في المترادفات ، ثم جاء أرسطو وغيره وأنمو علم النحو اليوناني وله تاريخ يشبه تاريخ النحو العربي . وكذلك فعل الرومان في نحو اللغة اللاتينية فانهم لم يدونوا قواعده الا في القرن الاول قبل الميلاد في زمن بومبيوس وقد دونه طالم اسمه ديونيسيوس تراكس اقتداء باليونان فال يونان نبغ فيهم الشعراء والخطباء والادباء والفلاسفة قبل تدوين قواعد النحو في لسانهم . فنظم هوميروس الياذته وأوذيسته وهو لم يتعلم قواعد النحو فلم يضره ذلك شيئاً لان اللغة كانت ملكة فيه . وألف أشيلوس الروايات التمثيلية وسحر اليونان ببيانه ونبغ الفلاسفة فريسيديس وأناكسيمندر وطاليس . وكتب هيرودوتس الرحالة تاريخه الشهير قبل وضع النحو . وكذلك الرومان فقد نبغ فيهم جماعة من الشعراء والخطباء والادباء قبل تدوين النحو

وضع النحو العربي وواضعه

وهكذا العرب فقد نظموا الشعر وألقوا الخطب وتناشدوا وتراسلوا قبل تدوين النحو لان ملكة اللغة كانت طبيعية فيهم . على أنهم اضطروا الى ضبط تلك القواعد وتدوينها بأسرع مما اضطر اليه اليونان والرومان التماساً للدقة في ضبط معاني القرآن . فلم يمض على دولتهم نصف قرن حتى شعروا بالحاجة الى

النحو . ويغلب على ظنتنا أنهم نسجوا في تبويبه على منوال السريان لان السريان دونوا نحوهم وألفوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس للميلاد . وأول من باشر ذلك منهم الاسقف يعقوب الرهاوي الملقب بمفسر الكتب المتوفى سنة ٦٤٠م (١) فالظاهر أن العرب لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو فأعجبهم فلما اضطروا الى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لان اللغتين شقيقتان . ويؤيد ذلك أن العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان . وأقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية

أما استعجال العرب في تدوين النحو فانه تابع لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين لان الفتوح دعت الى الاختلاط بالاعاجم والاختلاط دعا الى فساد اللغة فأصبح الناس يهملون الاعراب . وكان العرب عند ظهور الاسلام يعربون كلامهم على نحو ما في القرآن - الا من خالطهم من الموالي والمنعربين ، فان هؤلاء كانوا حتى في أيام النبي يخطئون الاعراب وقد ذكروا رجلا لحن بحضرة النبي فقال : « ارشدوا أخاكم فقد ضل » وقال أبو بكر : « لان أقرأ فأسقط أحب الى من أقرأ فألحن » (٢) ولكن اللحن لم يكثر الا بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق فتذمر العمال مما كانوا يسمعون من اللحن وخصوصاً في قراءة القرآن فأحسوا بحاجة شديدة الى ضبط قواعد اللغة

أما واضح علم النحو أو مدونه فهو بالاجماع أبو الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ وكان من سادات التابعين صحب على بن أبي طالب وشهد معه واقعة صفين ثم أقام في البصرة . وكأنه تعلم لغة السريان أو اطلع على نحوها فرغب في النسج على منواله فعرض ذلك على والي العراقيين يومئذ زياد بن أبيه فأبى (٣) . حتى اذا جاءه رجل يشكو اليه أمراً فسمعه يقول : « أصلح الله الامير توفي أبانا وترك بنون » فاستنكف زياد من سماع ذلك اللحن فبعث الى أبي الاسود أن يصنع ما كان قد نهاه عنه

واختلف الرواة فيما بعث أبا الاسود على وضع النحو لكنهم يجمعون على أنه واضعه كما قدمنا وهو يقول انه تلقى ذلك عن علي بن أبي طالب

فوضع علم النحو أو الشروع فيه على الاقل ثابت لابي الاسود ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم صاحب الفهرست مما شاهده بعينه في عرض كلامه عن خزانة كتب أطلعه عليها أحد جماعى الكتب فكان في جملة ما فيها قطر كبير فيه نحو

(١) شعراء السريان للقرطبي ١٨ (٢) الزهر ١٩٩ ج ٢ (٣) ابن خلكان ٢٤٠ ج ١

٣٠٠ رطل جلود فلجان وصكك وقرطاس مصرى وورق صيني وورق نهامي وجلود ادم وورق خرساني وبينها أربع أوراق قال: « أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر ونحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط إعلان النحوي ونحته هذا خط النضر بن شميل ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر » (١)

على أن ما وضعه أبو الاسود من القواعد لم يكن ليسد الحاجة المستعجلة لضبط القراءة فعمد إلى ضبطها بعلامات يتميز بها المنصوب من المرفوع أو الاسم من الفعل فوضع علامات كانت عند السريان يدلون بها على الرفع والنصب والجبر أو يميزون بها الفعل من الاسم كما سيجيء.

فالعرب كانوا يعرفون الاعراب قبل علم النحو كما كانوا يحسنون النظم قبل علم العروض ، وكان ذلك ملكة طبيعية فيهم حتى اختلطوا بالاطجم وأسلم هؤلاء وليس فيهم ملكة اللغة ليفهموا القرآن فاضطروا إلى ضبطها وكانوا أكثر المسلمين اشتغالي في ذلك . بدأ بعلم النحو أبو الاسود وأمه من جاء بعده من أهل البصرة والكوفة . ولم ينضج إلا في العصر العباسي وسيأتي الكلام عليه هناك

٢ - الحركات

ونعني بها علامات الضم والفتح والكسر ونحوها اضطروا إلى وضعها في أوائل الاسلام لضبط الاعراب في قراءة القرآن . وكان القرآن في أول الاسلام محفوظا في صدور القراء لا خوف من الاختلاف في قراءته لكثرة عنايتهم في تناقله وضبط ألفاظه حتى دونوه وكثر أهل الاسلام فمضى نصف القرن الأول للهجرة والناس يقرأون القرآن بلا حركات ولا اعجام . وأول ما افتقروا إليه الحركات وأول من رسمها أبو الاسود الدؤلي المتقدم ذكره فإنه وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات ولذلك توهم بعضهم أنه وضع نقط الاعجام . والحقيقة أنه وضع نقطاً لتمييز الاسم من الفعل من الحرف وليس لتمييز الباء من التاء أو الحميم من الحاء . والارجح أنه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه في العراق وكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه أو تعيين الكلمة الواقعة هو فيها اسم هي أم فعل أم حرف . مثل قولهم « كتب » فيمكن أن تكون اسماً جمع كتاب أو فعلاً ماضياً معلوماً أو مجهولاً .

وكان عندهم أيضاً نقط هي حركات وصفها يعقوب الرهاوي قبيل ذلك الزمن (١) وهي عبارة عن نقط كانت ترسم في حشو الحروف ثم تحولت الى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث وما زالت عندهم الى اليوم فالظاهر أن أبا الاسود اقتبس هذه الحركات . ويؤيد ذلك أنه لما اراد التنقيط أتوه بكتاب فقال له أبو الاسود « اذا رأيتني قد فتحت في الحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه وان ضمنت فانقط نقطة بين يدي الحرف وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف (٢) فكان العرب بعد ذلك يستعملون هذه النقط . والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط . وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقطاً على هذه الكيفية وجدوه في جامع عمرو بجوار القاهرة وهو من أقدم مصاحف العالم مكتوب على رقوق كبيرة بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون . فالنقطة فوق الحرف فتحة وتحت كسرة وبين يدي الحرف ضمة كما وصفها أبو الاسود

صور الحركات

أما صور الحركات التي وصلت الينا نعي الضمة والفتحة والكسرة فلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذي وضعت فيه ولسكن الغالب أنها وضعت في القرون الاولى للإسلام كما وضعت نقط الاعجام اقتداء بالسريان . لان هؤلاء وضعوا الحركات لحروفهم في القرن الثامن للميلاد نقطاً كما فعل العبرانيون . والحركات عند العبرانيين ١١ وعند السريان الشرقيين ٧ وعند السريان الغربيين ٥ أما في العربية فهي ثلاث فقط

ظل الساميون يكتبون أسنتهم بلا حركات من أقدم أزمنة التاريخ في اشور وبابل وفينيقية واليمن والحجاز ولم يفتنوا لوضع الحركات الا بعد الميلاد المسيحي . وأقدم وسيلة اتخذوها لدفع الالتباس في القراءة النقطة الكبيرة التي استخدمها السريان كما تقدم . والغالب أنها وضعت نحو القرن الرابع للميلاد . ثم تقدموا خطوة أخرى فاتخذوا لكل خطوة علامة خاصة توضع فوق الحرف أو تحته ، وهي عند العبران والسريان الشرقيين نقط توضع مفردة أو مزدوجة فوق الحرف أو تحته فتدل على الضم أو الفتح أو الكسر أو ما بينهما كالأمانة والاشمام ونحوها

أما السريان الغربيون فاقبسوا الحركات من الأبجدية اليونانية وأخذوا منها

خمسة أحرف صوتية هي Y, E, H, O, A عبروا بها عن الحركات كل حرف يجانس الحركة التي يدل عليها في اليونانية . وقد تم ذلك في المئة الثامنة للميلاد إذ نهض السريان لتحرير ألفاظ الكتاب المقدس وسائر كتب الدين وضبطوا قراءتها وكانت اليونانية شائعة بين رجال العلم منهم فاقبسوا حروفها الصوتية لهذه الغاية أما العرب فقد هموا بضبط لسانهم نحو قيام السريان فاقتدوا بهم أولاً بالنقط الكبيرة والصغيرة ثم وضعوا الحركات المستقلة كما وصلت اليها . لكنهم لم يقبسوها من أحرف الالسنة الاخرى كما فعل السريان بل أخذوها من الابجدية العربية فاستخدموا حروفها الصوتية لتدل على الحركات . والحركات العربية لا تقل عدداً عن الحركات السريانية وربما زادت عليها ، ولكن الاحرف الصوتية في العربية ثلاث فقط (الواو والالف والياء) فاستعاروها للدلالة على الضم والفتح والكسر وهي الحركات الرئيسية وزكوا سائر الحركات المختلصة كالاشمام والروم والامالة لفظنة الفارسي . واذا تأملت صور الحركات المذكورة رأيت الضمة كالواو تماماً والفتحة تشبه الالف مائلة . وأما الكسرة فانها الآن بعيدة الشبه بالياء . فاما انها كانت عند أول استخدامها أقرب الى شكل الياء ثم تنوعت بالاستعمال أو أنهم قلدوا بها حركة الكسر عند السريان الشرقيين وهي نقطتان أسفل الحرف فرسمها العرب معاً فجاءتا كالكسرة . أو لعلمهم اقتبسوا الياء السريانية فان صورتها كالكسرة العربية وهي « ي » وقد قال الامام الرازي الحركات أبعاض المصونات

المدة والشدة والوصلة والهمزة

وفي الكتابة العربية علامات أخرى لضبط التلفظ بالمدة أو الوصل أو الادغام وهي أحدث في استنباطها من الحركات التي تقدم ذكرها . ولكنها وضعت قبل القرن الخامس للهجرة وأشهرها المدة « ˆ » والشدة « ˆˆ » والوصلة « ˆˆˆ » وكلها مقطعة من ألفاظ تؤدي المعنى المراد من وضعها . فالمدة مقطوعة من « مد » والشدة من « شد » والوصلة من « صل » - وذلك أن الكاتب كان اذا أراد ضبط ما يكتبه كتب فوق الحرف الذي يريد مده قوله « مد » بصيغة الامر وفوق الحرف المدغم لفظ « سد » والشين بلا نقط وفوق الالف المراد وصلها كلمة « صل » وكانوا يرسمون هذه الالفاظ صغيرة كما يفعلون حتى اليوم في علامات ضبط قراءة القرآن فيكتبون فوق الكلمة « قف » أو « ج » أو « ص » أو « ط » وكل منها مقطعة من لفظ يراد به تعيين درجة الوقف أو الوصل

وظلوا دهرآ يكتبون علامات المد والشد والوصل بصورها الاصلية ثم اختصروها فكانوا يعبرون عن حركة المد أولاً بكتابة لفظ «مد» وعن التشديد بالفظ «سد» وعن الوصل بالفظ «صل» ثم اختصروا صورها بالاستعمال فصارت المدة «مد» والشدة «س-د» والوصلة «ص» ثم اختصرت في الكتابة الى ما هي عليه الآن . وقد اطلعنا في معرض دار الكتب المصرية على كتاب مخطوط في أوائل القرن الخامس للهجرة وفيه هذه العلامات قريبة جداً من ألفاظها الاصلية . وهذه صورتها في ذلك الكتاب «م-د» للمدة و«س-د» للشدة و«ص» للوصلة أما همزة القطع فانها بصورة العين مصغرة «ء» ولعلمهم يرمزون عنها بالعين لتقارب لفظيهما وكثيراً ما تتبادلان أو أنهم رسموا العين مقطعة من لفظ «قطع» كما بقيت الصاد من صل والشين من شد ومن العلامات الكتابية الشائعة علامة توضع في آخر الرسالة أو الكتاب . ويراد بها الدلالة على نهاية القول وهي «م» أو نحوها والغالب في اعتقادنا أنها بقية لفظ «صح» التي كانوا ولا يزالون يختمون رسائلهم بها

٣ - الاعجام

كان الخط لما اقتبسه العرب من السريان والانباط خالياً من النقط - ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط الى اليوم - فالاعجام حادت في العربية وهو قديم فيها . والظاهر أن المسلمين بعد أن استخدموا الحركات المذكورة رأوا التصحيف قد تكاثر والنبس الناس في القراءة لتكاثر الاعاجم من القراء ، والعربية ليست لفهم ، فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والياء والياء فاقننه لذلك الحجاج أمير العراق في أيام عبد الملك بن مروان - قال ابن خلكان : « ففرع الحجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف المختلفة علامات تميزها بعضها من بعض فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أما كتبها فعبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون الا منقوطة فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام » (١) وفي عبارة ابن خلكان هذه التباس لا يفهم المراد بها ولا ما الفرق بين التنقيط والاعجام وهما واحد . ولا يعقل أن يكون المراد بالنقط الحركات لانهم لما عمدوا اليها لكثرة التصحيف أي اختلاف القراءة باختلاف النقط . فالظاهر أن

(١) ابن خلكان ١٢٥ ج ١

النقط المذكورة هي من قبيل الاعجام لتمييز الحروف المتشابهة ، ولكن نصراً هذا لم ينقط الا بضعة حروف مما يكثر وروده ويخشى الالتباس فيه . ثم رأوا القراءة لا تضبط الا بتقييد كل الحروف كما هي الآن وهذا ما عبروا عنه بالاعجام

وقد شاهدنا في معرض الخطوط في دار الكتب المصرية كتابة عربية على صحيفة من البردي « البايبرس » مؤرخة سنة ٩١ هـ وفيها اعجام ولكنه قاصر على الصور المشابهة للباء للتمييز بين الباء والياء والياء والناء وصورة حرف الشين لتمييزه من السين بثلاث نقط موضوعة على استواء واحد - وشاهدنا أجزاء من مصاحف أخرى مكتوبة على رقوق صغيرة وعليها نقط حمراء للحركات ونقط سوداء للاعجام . وقد نجد خطوطاً قديمة منقطه ومحركة وخطوطاً حديثة بلا تنقيط ولا تحريك

ولم تعجم الحروف كلها في وقت واحد ولكنهم تدرجوا في ذلك حسب الحاجة في أزمنة مختلفة وينضح ذلك لمن يتأمل في المخطوطات العربية القديمة فانك تجد الاعجام لم يبلغ ما هو عليه الآن الا بتوالي الاجيال . وآخر حرف أعجم الياء لتمييز الياء من الالف المقصورة : وأول من فعل ذلك المرسلون الاميركان في بيروت في أوائل القرن الماضي

ثالثاً - التاريخ والجغرافية

في زمن بني أمية

لم يكن عند العرب الجاهلية من التاريخ الا أخبار متفرقة ليست من التاريخ في شيء فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب لهم الامر ونزعوا الى الجهاد تدرجوا في وضع التاريخ مثل تدرجهم في سائر العلوم الاسلامية وهو قسبان : (١) تاريخ المسلمين وأعمالهم وتراجم رجالهم وهذه قد استخرجها العرب من أعمالهم . (٢) تاريخ الامم الاخرى . فهذه بدأوا بتعريفها ونقلها من زمن بني أمية لان الدهاة من الخلفاء الامويين كانوا من أرغب الناس في معرفة أخبار مشاهير الامم الاخرى

فعاوية بن أبي سفيان كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل فيقصون عليه أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها في رعيها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها . ثم ينام ثلث الليل ويقوم فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها فيقرأون عليه ما في تلك الكتب

من سير الملوك وأخبار الحروب ومكايدها وأنواع السياسات (١) والقالب في اعتقادنا أن تلك الكتب في اليونانية واللاتينية وفيها أخبار أبطال اليونان والرومان كلاسكندر ويوليوس قيصر وهنريال وأن الفلمان كانوا يفسرونها له بالعربية وسماع أخبار العطاء يستهض المهم إلى الاقتداء بهم ولذلك كان أكثر القواد العظام الراغبين في العلى من العرب وغير العرب يستتلون أخبار من سبقهم من مشاهير القواد والساسة للعبرة

أما تدوين التاريخ في اللغة العربية فبدأ في زمن بنى أمية مع رغبة المسلمين عن التدوين في ذلك العصر لأسباب بينها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي . ولكنهم اختصوا عدم التدوين في الفقه والتفسير فلم يدون الا في القرن الثاني . وأما ما تقدم ذكره عن تفسير ابن عباس فانه مروى عنه سماعاً

ويظهر أنهم بدأوا بتدوين التاريخ الاجنبي قبل تدوين حروبهم وفتوحهم إذ لم يكن المراد بالتدوين خدمة التاريخ وإنما فعلوه لأغراض الخلفاء في الاطلاع على أحوال الامم الاخرى . وأول من فعل ذلك عبيد بن شريفة ألف كتاب الملوك وأخبار الماضين لمعاوية بن أبى سفيان ذكره صاحب الفهرست ولا وجود له الآن . وكان الامويون يسمون أبحاث هذا العلم « علم أخبار الماضين » وذكر ابن النديم كتباً في مواضع مختلفة ألفها أبو مخنف الأزدي من أصحاب على فيها تراجم المشاهير ونحوهم وكتاباً ألفه عوانة بن الحكم الكلبي في التاريخ وآخر في سيرة معاوية وبنى أمية في القرن الثاني للهجرة ولم يصل الينا شيء من هذه الكتب ولا غيرها من كتب الادب والتاريخ أو غيره مما كتب في زمن بنى أمية

ومن العلوم التاريخية التي ولدت في العصر الاموى علم الانساب وقد علمت أن الانساب من العلوم الجاهلية فاحتاج اليها المسلمون في صدر الاسلام لاثبات أنسابهم وعليها يتوقف مقدار العطاء أو منزلته من الدولة أو المنصب فجعلوها علماً . وأول من احتاج إلى ذلك زياد بن أبيه الداهية المشهور الذي استلحقه معاوية بنسبه ليستعين به على أعدائه فعمل في نسبه كتاباً دفعه إلى ابنه - ذكر ذلك ابن النديم أيضاً ولم تقف عليه ولا على خبره . وذكر أيضاً من أقدم النساء في الاسلام دغفل والحجر ابن الحارث والبكرى ولسان الحمرة ولم يذكر لهم كتباً وبالاجمال ان التاريخ ولد في زمن بنى أمية ولم ينضج الا في العصر العباسي .

وفي كل حال فان العرب من أسبق الامم الى تدوين التاريخ بعد أن تمدنوا . لان الرومان لم يؤلفوا فيه الا بعد تأسيس دولتهم بسبعة قرون وأول مؤرخهم يوليوس قيصر (١) أي بعد استقرار الدولة . واليونان بدأ التاريخ عندهم بمواضيع خصوصية ولم يدونوا التاريخ العام الا في زمن هيرودوتس أي بعد انشاء دولتهم ببضعة قرون

أما الجغرافيا فلفظها يدل على أنها دخيلة لكن العرب بدأوا بشيء منها قبل النقل كما سيجيء .

* العلوم الدخيلة

في العصر الاموي

زيد بالعلوم الدخيلة التي نقلها المسلمون الى اللغة العربية من الالسنه الاولى . ويدخل فيها علوم اليونان والفرس والهند والسريان وغيرهم . وهذه نقلت في العصر العباسي كما هو مشهور لكن العرب بدأوا بنقلها من أيام بني امية وان لم يبق من نقلهم شيء الى الآن

عالم بع بزييد

وأول من فعل ذلك خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ حفيد معاوية الاكبر ويسمونه الحكيم . وكان طامعاً في الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الثاني فغلبه على ذلك مروان بن الحكم وانتقلت به الخلافة من بيت ابي سفيان الى بيت مروان . فلما ينس خالد من الخلافة وهو ذو مطامع وذكاء انصرف ذهنه الى اكتساب العلم بالعلم . وكانت صناعة الكيمياء راجحة يومئذ في مدرسة الاسكندرية فاستقدم جماعة منهم راهب رومي اسمه مريانوس طلب اليه ان يعلمه صناعة الكيمياء فلما تعلمها امر بنقلها الى العربية فنقلها له رجل اسمه اسطفان القديم (٢) وهذا اول نقل في الاسلام من لغة الى لغة

وكان خالد راغباً في علم النجوم ايضاً وانفق الاموال في طلبه واستحضر آلاته ولعلمهم ترجموا له شيئاً منه لم يصلنا خبره

ولم يصلنا شيء من منقولات خالد المذكورة ولكنه كان شديد الولوج بالعلم الطبيعي وخصوصاً الكيمياء والفلك . وقد ذكر ابن القفطي في ترجمة ابن السبدي

(١) Lit / nc 259 & 232

(٢) الفهرست ٢٤٢ و ٢٤٤

انه شاهد في خزائن الكتب بالقاهرة كرة نحاس وعليها مكتوب : « حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية » (١)

واشتغل بنقل العلم في هذا العصر بعض أهل الشام نقلوا بعض كتب الطب .
ومن وصلنا خبرهم من النقلة طيب كان معاصراً لمروان بن الحكم اسمه ماسرجويه
سرياني الجنس يهودي المذهب كان يقيم في البصرة وظهر في أيامه كتاب في الطب
هو كناش (حاوى) من أفضل الكنائش الفه القس ارون بن اعين في اللغة
السريانية فنقله ماسرجويه الى العربية . فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا
الكتاب في خزائن الكتب في الشام فحرضه بعضهم على اخراجه الى المسلمين
للانتفاع به فاستخار الله في ذلك ٤٠ يوماً ثم أخرجه الى الناس وبثه في أيديهم
وبذلك ذلك على التردد الذى استولى على الخليفة في اخراج هذا الكتاب مع أنه
من كتب الطب وليس الفلسفة

وذكر ابن الديرى أن المأ كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل أرسطو الى
الاسكندر . وفي كل حال لم يبق شيء من منقولات هذا العصر

الاداب الجاهلية

في العصر الاموي

زريد بالآداب الجاهلية الآداب العربية التي كانت عند العرب قبل الاسلام وقد تولدت عندهم وأهمها اللغة والشعر والخطابة والانشاء وتظهر في كل منها على حدة

١ - اللغة

اللغة مرآة عقول أهلها ومعرض آدابهم وأخلاقهم وسائر احوالهم تتبعهم في ما يطرأ عليهم من التغيير وتحفظ آثار ذلك التغيير. وقد تبدل أحوال الامة وبذهب كثير من عاداتها أو آدابها وتبقى آثار ذلك في الفاظها وتراكيبها. وقد رأيت ما حدث في اللغة من الآداب الشرعية واللسانية فاقضى ذلك طبعاً أن يحدث فيها الفاظ جديدة أو تتنوع بعض الفاظها للتعبير عن المعاني الجديدة

فمن المصطلحات اللغوية التي اقتضتها العلوم اللسانية قولهم النحو والعروض والشعر والاعراب والادغام والاعلال والحقيقة والحجاز والنقض والمنع والقلب والرفع والنصب والحذف والمديد والطويل وغيرها من أسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف وهي كثيرة جداً ولها فروع واشتقاقات - حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي وآخر لغوي وآخر عروضي وآخر ديني مما لا يمكن حصره. أما المصطلحات الشرعية فقد ذكرنا بعضها في الكلام على اللغة في عصر الراشدين فليقتبس عليها

ودخل اللغة في هذا العصر وقبلة بعض المصطلحات الادارية كالتخلف والوزارة والحجاجة والامامة وغيرها من مصطلحات الجند كالسترزقة والمنتوعة والعلوفة والمسكر. وضروب الحرب وأبواب الهجوم كالزحف والكر والفر والبيات والكفاح والفرقة. وصنوف الاسلحة كالدبابة والكبش والعرادة وغيرها. ناهيك بمصطلحات الدواوين على اجمالها كقولهم النور والعواضم والاقليم والقصبة والعمل والولاية والضياع والحكومة والسكة والتوقيع والوظيفة والخراج والجزية والشور والمرافق والصوافي والجواني والجباية والوقف والمصادرة والمستغلات والصدقة والمكوس والمراصد ودار الضرب والضمان والدقار والجرائد والخرائط والابغار والراتب والجاري والعتاء والبيعة والدعوى والختم والخطط والمطالعة والمؤامرة وغير ذلك كثير جداً

وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة لكن مدلولاتها تغيرت بتغير

أحوال العرب بعد انشاء دولتهم لحدوث معان جديدة اقتضاها ذلك التغيير (١)

٢ - الشعر

في العصر الاموي

لم يكن للشعر العربي تأثير في النفوس ومنزلة في الدولة في عصر من أعصر العرب مثل ما كان له في العصر الاموي . ولا غرابة في ذلك بعد ما علمته من خصائص ذلك العصر السياسية وطبائع الامويين . ولا بأس من ذكر الاسباب التي بعثت على زهو الشعر في هذا العصر ومنزلة في الدولة وتأثيره في النفوس بالايجاز ثم تأتي على مميزاته

أولاً - أسباب رواحه

١ - انقسام القبائل بالعصبية

اقتضت سياسة بني أمية استتصار القبائل بعضها على بعض بالرجوع الى عصبية الجاهلية . وأول من فعل ذلك معاوية في الخلاف بينه وبين علي وأبنائه . ثم كان انقسام القبائل عند انتقال الخلافة من آل معاوية الى آل مروان وكلاهما من بني أمية وانتشبت الحرب في مرج راهط وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . وأخيراً قام طلاب الخلافة من غير العلويين في زمن عبد الملك بن مروان وهم آل الزبير والازارقة وسعيد بن الاشدر وغيرهم كما تقدم . ولكل خارج قبيلة أو بضع قبائل تنصره والامويون يستعينون بالشعراء على اختلاف قبائلهم وبطونهم يتألفونهم بالعطاء لهم بما لقول الشاعر من التأثير في نفوس عشيرته لانه لسان حالها فازداد الشعراء بذلك نفوذاً وتقرباً من الخلفاء أو الامراء . وكان الخليفة بعد مدح الشاعر له دليلاً على رضي قبيلته عن أغراضه . لانه لسان حالها والقبيلة تعد اكرام الخليفة لشاعرها اكراماً لها

٢ - سخاء بني أمية بالاموال

واقترضت سياستهم تألف الشعراء بالمال فضلاً عن اضطرار الشعراء وغيرهم الى استرضائهم خوفاً من قطع العطاء عنهم . والعطاء يومئذ رواتب الجند وسائر المسلمين . وكان المسلمون في صدر الاسلام كلهم جنداً ولكل منهم راتب يتناوله من بيت المال على شروط مذكورة في الديوان (٢) فمن قبض على بيت المال قبض على رقاب

(١) راجع تفصيل ذلك في كتابنا تاريخ اللغة العربية (الطبعة الثانية) صفحة ٢٤ وما بعدها

(٢) تاريخ المدن الاسلامي (الطبعة الثانية) صفحة ١٥٤ ج ١

المسلمين ومجدر بهم أن يتقربوا منه ويتزلفوا اليه . فاذا كان القابض عليه حكماً يعرف كيف يعطي ولئن يعطى أغناه ذلك عن سائر الاسباب فيزيد العطاء أو ينقصه أو يقطعه على حسب الاقتضاء

كذلك كان يفعل الدهاة من بني أمية وقدوتهم معاوية بن أبي سفيان أكبر دهاة العرب . فقد جعل تصرفه في العطاء وسيلة لاكتساب قلوب المسلمين حتى أشياخ العلويين وغيرهم من أبناء الصحابة الذين كان يخاف قيامهم للمطالبة بالملك . فأحر به أن يفعل ذلك بالشعراء ولهم رواتب في بيت المال مثل سائر المسلمين فلم يكن الشعراء يرون بدأ من استرضاء بني أمية خوفاً من قطع اعطيهم فضلاً عما يرجونه من الجوائز اذا أحسنوا ارضاءهم

٣ - رغبة بني أمية في الشعر

كان لبني أمية رغبة شديدة في احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الادب ، نفوسهم شعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأيتني ليلة الهرب بصفين وقد اتيت بفرس اغر محجل بعيد البطن من الارض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملني على الإقامة الا آيات عمرو بن الاطنابة :

أبت لي همتي وأبي بلائي وأخذ الحمد بالثمن الريح
واقحامي على المسكروه نفسي وضربني هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح (١)

وزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه بيت شعر له غنته فيه جميلة المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذى أقرت له بالملك كهلا وأمردا
فطرب يزيد وقال : « ويحك من كريم قريش هذا ؟ » قالت : « أنت وقد قاله الاحوص وهو منفي » فكتب برده وأنفذ له حللاً سنياً وأدناه وقربه . وقال له يوماً : « لو لم تمت الينا بحق ولا صهر ولا رحم الا بقولك :

واني لاستحييكم اذ يقودني الى غيركم من سائر الناس مطمع
اكفالك ذلك عندنا » (٢)

وقد خاب عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر وأجابه ذلك بمثله (١) وكان عمال الامويين أصحاب شعر وخيال وحساسة مثلهم . فالحجاج وهو أشدهم وطأة جبيء بالاسرى الى ماين يديه بعد حرب الاشعث فأخذ في قتلهم بقية ذلك اليوم حتى صاح به رجل : « والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما أحسنت بالعفو ولقد خالفت الله فينا وما أطعته » فقال له : « وكيف وبلك؟ » قال : « لان الله تعالى يقول (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أنكثتموهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) وقد قتلت فأنكثت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل » ثم قال : « أو امنن » فقال الحجاج : « وبيل لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت » ثم نادى برفع السيف وأمن الناس

وكان بنو أمية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم وكثيراً ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس يقترحون عليهم أن يصفوا شيئاً ويجيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك (٢) أو يجمعونهم ليتفاخروا بين أيديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك اذ جمع اليه الفرزدق وجريراً وكثير وابن الرقاع وقال لهم أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً ففعلوا في حديث طويل (٣)

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله أو يحتاج الى تفسير فيكتب الى الشاعر أو الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور اذ بعث برسالة مستعجلة من دمشق الى عامله بالبصرة أن يشخص اليه حماداً الراوية على البريد فقضى حماد اثنتي عشرة ليلة في الطريق وهو خائف من تلك الدعوة المستعجلة فاذا هو يقول له : « بعثت اليك لبيت خطر يبالي لم أدر من قائله » فهدأ روعه وقال : « وما هو؟ » فقال :

فدعوا الصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقال حماد : « هذا يقوله عدى بن زيد من قصبدة » وأنشده اياها

وكذلك كانت يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر أو أديب بارع بعثوا في

استقدمه مما يطول بنا ذكره (٤)

وكان من الخلفاء شعراء كالوليد بن يزيد فقد كان شاعراً بليغاً وسيأتي خبر ذلك وينسبون الى يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

(١) الاغاني ٦٨ ج ١٣ (٢) الاغاني ٨٠ ج ٩ (٣) الاغاني ٢٣ ج ١٩

(٤) الاغاني ٤٣ ج ٧

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقشاً على معصم أو هت به جلدي

وربما كانت لغيره لكنه كان من أصحاب الشاعرية

وكان لبعض خلفائهم الدهاء شغف بالادب على الاجمال ونخص منهم ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشاماً حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصاً عبد الملك . والادب لا ينمو ويورق ويشمر الا في ظل محبيه من الملوك أو الامراء واذا تدبرت النهضات التي مر بها الادب في أثناء التمدن الاسلامي رأيت لسلك نهضة أميراً أو ملكاً أخذ بناصرها وأحيا الادب بتقديم أهله أو تنشيطهم . وسترى أدلة كثيرة من ذلك في ما يأتي من هذا الكتاب

فلا عجب اذا كان أكثر أحاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر ومن هو أشعر شعراء الجاهلية أو الاسلام . وكان الراجح من شعراء الجاهلية في عصرهم امرأ القيس وزهير والنابغة يفضلونهم على سواهم ويفضلون جريراً والفرزدق والاختل على سائر الشعراء المسلمين في أيامهم . لكنهم كانوا يتناقشون في أي هؤلاء أشعر وكثيراً ما كانوا يتخاصمون وترتفع أصواتهم . وربما اهتم الخليفة أو الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في أشعر الشعراء كما فعل الحجاج اذ بعث الى ابن قتيبة يسأله عن ذلك (١) وقد يعنون من الشام الى العراق لمثل هذا السؤال

٤ - الحركة الادبية في البصرة والكوفة

قد علمت ما كان من حال هذين البلدين في العصر الاموي وفيهما احتك العرب بغيرهم من الامم المتعدنة . وفيهما اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم . وفيهما ولد النحو وغيره من الآداب اللسانية فتكاثرت الاندية الادبية هناك ولا سبب المربد عكاظ. الاسلام كما تقدم . فكان ذلك من جملة البواعث على زهو الشعر في العصر الاموي

على أن الشرق كله كان يومئذ في نهضة أدبية حتى الهند والصين واليابان فقد نبغ فيها الشعراء والادباء في القرن الثامن للميلاد (٢) على أثر ظهور الاسلام واتساع فتوحه فاهتزت أعصاب الشرق الى أقصاه فحدثت فيه تلك النهضة

مأنيأ - مميزات الشعر

في العصر الاموي

الانسان صنيعة الاقليم فتتغير أطواره وأحواله بتغير البيئة المحيطة به. ويظهر أثر ذلك في نتاج قريحته أو فكرته وقد رأيت ان العرب اختلفت احوالهم في العصر الاموي عما كانت عليه في زمن الجاهلية أو في زمن الراشدين فظهر أثر ذلك في تمارقرايحهم وخصوصاً الشعر. واليك أهم مميزات في ذلك العصر

١ - خلوه من وحشي الكلام

ان قرب العصر الاموي من الجاهلية ورغبة الامويين في البداوة وتحديم العرب الجاهلية في آدابهم وأشعارهم أبتت للشعر الاموي بلاغة الجاهلية وسلامتها من العجمة والركاكة. لكن الاسلام أكسبه أسلوب القرآن والحديث فتخلص من التركيب الغريب والكلام الوحشي. فهو من حيث البلاغة أحسن في هذا العصر مما في سائر العصور وان كان لكل عصر مميزات

٢ - كثرة التشبيب

كان الشاعر الجاهلي يقول الايات تغزلا في حبيته يعبر بذلك عن حبه أو ما تكنه جوارحه من الغرام أو الشوق ولا يشبب في غير حبيته أو خطيبته وقد يسميها بغير اسمها. والغالب أن يكنى عنها باحدى عرائس الشعر لثلا يعلم أهله بتشبيبه فيمنعوه من التزوج بها لانهم كانوا شديدي الغيرة على النساء حتى ان أحدهم اذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسها سواء بعد موته (١) ويندر في الجاهليين أن يشبب شاعرهم بغير حبيته. واذا فعل فلداع فوق العادة كما فعل دريد بن الصمة اذ رنى أخاه بقصيدة صدرها بأيات غزلية (٢) وقد رأيت الشعراء المشاق في الجاهلية يعدون على الاصابع فأصبحوا في العصر الاموي أضاعف ذلك واكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله

وذلك طبيعي في الامة بانتقالها من البداوة الى الحضارة وخصوصاً اذ كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو يضع جوار في

(١) الاغانى ١٤٥ ج ٢ (٢) العمدة ١٢٢ ج ٢

كل معركة ملكاً حلالاً له . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات واكثرهن من الروم والفرس . والفائحون يبيعونهن أو يستخدمنهن في حاجات المنزل ويستبقون الجميلات منهن للتسري . فتحررت القلوب وتنبهت القرائح للمواضع الغزلية وصار الشعراء يشبون بالنساء الجميلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجاً عن حرمة الادب فجملوا التشبيب ذنباً يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة الا وجلده (١)

فلما أفضت الدولة الى بني امية وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق وكثر الاختلاط بالاعاجم وأخذ العرب بأسباب الحضارة وذهبت هيئة العفة من نفوسهم وانقضت شدة الراشدين في المحافظة عليها هان عليهم التشبيب فاكثروا منه ولا سيما في المدينة لان أهلها من أسبق المسلمين الى القصف واللهو لقيام بعض أبناء الصحابة بين أظهرهم وقد أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الاموال في المغنين ونحوهم فكثرت اللهو في المدينة وسبقت سائر المدن الاسلامية الى الغناء وشاع القصف بين أهلها وتجراً الشعراء على التشبيب بغير أحيائهم امام اهل النسيب

على أن امام اهل النسيب والغزل في الاسلام جميل بن معمر الشاعر العاشق كان معاصراً لعبد الملك بن مروان . وهو الذي وطأ النسيب للشعراء فاكثرت منه وتفنن فيه لكنه كان يشبب بحبيبه بثينة وهو في عرف أهل الادب «امام المحبين» (٢) فاستحسن الناس تشبيهه لانه طبيعي صادر عن شعور صادق فاخذوا يقلدونه فيه فينظم الشاعر أبيات الغزل أو النسيب محبوب وهمي . واستعار بعضهم أسماء حبيبات الشعراء العاشقين كليلي ودعد وهند وشبوا بهن تقليداً . وبعد أن كانت بثينة مثلاً مشوقة لجميل بن معمر صارت عروساً للشعر يباح التغزل بها لمن أراد وقد ينون بالاسم المستعار امرأة جميلة معروفة

فجميل كان يشبب بحبيبه ولا حرج عليه وأراد الشعراء تحديده والتغزل بجميلات النساء وهن في الغالب بحوزة الامراء أو الخلفاء فخافوا غضب بعولتهن أو آبائهن فلم يكن يجرؤ على المجاهرة بذلك من الشعراء الا من كان ذا عصبية تنصره أو منزلة تشفع به . ولذلك كان أسبق الشعراء الى التشبيب من قريش نظراً لما كان للقرشي من المنزلة الرفيعة والهيبة في العصر الاموي . ولان القرشيين أقرب الى الحضارة لنزولهم في مكة واليها يهجم الناس من أقطار العالم ومعهم أجل النساء

(١) الاغانى ٩٨ ج ٤ (٢) الاغانى ٨٠ ج ٧

شعراء قريش والنشيب

وأول من تجرأ على النشيب منهم ابن عتيق وهو ابن حفيد أبي بكر الصديق ويقولون إنه كان طاهراً عفيفاً يتشبه عن غير ربيعة . ثم عمر بن أبي ربيعة من قريش والعرجي وهو من قريش أيضاً وغيرهم وكلهم من شعراء العصر الاموي . فتجرأ الشعراء من غير قريش على الاقنداء بهم حتى شاع التشبيب وصاروا يعتقدون ان الشعر لا يحسن إلا به لما فيه من عطف القنوب . فيبدأ الشاعر الحضري بذكر الحبيب والصدود والهجران كما يبدأ البدوي بذكر الرحيل والانتقال ووصف الطلول ولم تأت أواخر بني أمية حتى صار الشاعر لا ينظم مديحاً أو فخرأ الا صدره بأبيات في الغزل قد تكون أكثر من أبيات المديح - ذكروا شاعراً أتى نصر بن سيار عامل بني أمية على خراسان بأرجوزة فيها مائة بيت نسيباً وعشرة ابيات مديحاً فقال له نصر: « والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معني لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بنسبيك » (١) ولم يكن الاستهلال بالغزل خاصاً بالشعر العربي فان في شعر اليونان شيئاً من ذلك (٢) على ان شعراء العرب كثيراً ما كانوا يشيرون بالمرأة ليفضحوا ابنها أو زوجها (٣) وقد يكون التشبيب بالبنات وسيلة لزواجهن كما فعل نسيب مولى عبد العزيز ابن مروان وقد استسقى فتاة ماء فسقته لبناً وطلبت اليه ان يشبب بها فقال ما « اسمك » قالت « هند » قال « وما اسم هذا الجيل » قالت « قبا » فأنشأ يقول :

أحب قبا من حب هند ولم أكن أبالي اقرباً زاده اللهأم بعدا
الا ان بالقيعان من بطن ذي قبا لنا حاجة مالت اليه بنا عمدا
أروني قبا انظر اليه فاني أحب قبا اني رأيت به هنداً

وشاعت هذه الايات وخطبت هذه الجارية من أجلها (٤)

الخلفاء والنشيب

وكان الامراء والكبراء يفضون لنسائهم اذا شبب بهم أحد لقلبة طبائع البدو عليهم . وينقمون على المشبب ويعيبونه حتى عدوا شعر ابن أبي ربيعة عصياناً لله (٥) وقد يكبر على الخليفة ان يظهر غضبه على الشاعر اذا شبب ببعض أهله فينتقم منه بالاهمال - كذلك كان يفعل معاوية (٦) وهو أوسع الناس صدرأ . واقتدى به عبد الملك بن مروان (٧) أما ابنه الوليد بن عبد الملك فلم يسمع صدره ذلك الكظم

(١) العدة ٩٩ ج ٢ (٢) جويدى في الشرق ٤٢٧ سنة ١٠ (٣) الاغانى ١٥٤ ج ١

(٤) الاغانى ١٤١ ج ١ (٥) الاغانى ٣٦ ج ١ (٦) الاغانى ١٤٨ ج ١٣ (٧) الاغانى ٢٦ ج ٦

فأخذ يتوعد الشعراء اذا شببوا وبلغه ان وضاح اليمن شبب بامرأته فقتله (١) وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز فنع ابن أبي ربيعة عن التشبيب . وكان العمال يقتدون بالخطباء أو يعملون بأوامرهم في ذلك فان عامل المدينة نفي الاحوص الشاعر لانه شبب ببعض نساءها (٢)

ولكن المرأة كان يسرها ان يشبب بها شاعر مشهور وان كانت لا ترجو التزوج به ولكن يسرها ما في التشبيب من الاعجاب بجيالتها (والغواني يفرهن التناء) سواء في ذلك الاميرة والحقيرة . ذكروا ان زوجة الوليد بن عبد الملك هي التي اقترحت على وضاح اليمن ان يشبب بها فلما فعل قتله زوجها واقترحت أم محمد بنت مروان ابن الحكم أخت عبد الملك على عمر بن أبي ربيعة ان يشهرها بشعره وبعت اليه ألف دينار فأبى ان يؤجر على التشبيب فابتاع بالجائزة حللا وطيباً وأهداه اليها فردته فقال فيها أياتنا مطلعها :

أبها الراكب المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الاوطارا (٣)
وبالجملة فان التشبيب على نحو ما هو عليه الآن نشأ في العصر الاموي

٣ - المهاجاة بين الشعراء

كان الجاهليون يتنافسون ويتفاخرون فيذكر أحدهم ما في قبيلته من الشجاعة والنجدة وما أوتوه من النصر أو الغلبة أو ما هم عليه من هذه الفضائل . ويندرفيهم من يتخطى ذلك الى الهجو . وأكثر من تخطاه منهم المخضرمون كما تقدم . وقد كثرت الهجو واتسعت دائرته في العصر الاموي وأجاد الشعراء فيه . ولبعضهم مهاجاة ونقاش تداخل في كتاب ضخيم

الهجو السياسي

وقد راج الهجو في العصر الاموي لاحتياج ولاة الامر اليه بسبب الانقسام الذي قام بين الاحزاب المختلفة - وهو الهجو السياسي . وكان أكثر الشعراء يأخذون بناصر الامويين لانهم أهل السيادة وكان خلفاؤهم يبذلون الاموال للشعراء ليستعينوا بالسنتهم على أعدائهم لتأثير الهجاء في نفوس العرب اشدة حساستها ونخوة أهلها . وقد بدأت المهاجاة في الاسلام بين شعراء النبي واعدائه القرشيين . ثم صارت بين المهاجرين والانصار أو هي بين قريش واليمن . وكان لسلك من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء بأشد منه وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . وكان المسلمون يحفظون

(١) الاغانى ٣٦ ج ٦ (٢) الاغانى ٤٨ ج ٤ (٣) الاغانى ٦٦ ج ١

ما يقوله هؤلاء من المهاجة وينشدونه كل طائفة تلتصق لأصحابها . وبلغ ذلك عمر ابن الخطاب فنهى عنه وقال : « في ذلك شتم الحى بالميت ومجديد الضغائن » (١)
فلما أفضى الأمر الى معاوية اقتضت سياسته ومصالحته ان يجدد تلك الضغائن فجعل يفرى الشعراء على الطعن بالانصار لأنهم أصحاب على بن أبى طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طي الحفاء - ومن الذين اغرام على ذلك الطعن الاخطل الشاعر العنابي المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصاً لأنه نصراني واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل على معاوية وانشده قصيدة في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوى الا تعطنا الحق تعترف لحي الاسد مشدوداً عليها العامم
ويشتمنا عبد الارقم خلة وماذا الذي تجرى عليك الارقم
فما لي نأر دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدرامم
ثم تخلص الى الفخر بأعمال الانصار وأنسابهم وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى أن قال : (٢)

وانى لاغضي عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً اليك السلام
أصانع فيها عبد شمس وانى لتلك التي في النفس منى أكام
فما أنت والامر الذي لست أهله ولكن ولي الحق والامر هاشم
فلما سمع معاوية تهديده أظهر ان الاخطل فعل ذلك من عند نفسه وأمر أن يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك أن يفعل لو لم يستجر الاخطل يزيد بن معاوية فأجاره وأرضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للاخطل فجعله عبد الملك ابن مروان شاعر الدولة - وسنعود الى ذلك

ونحولت المهاجة بين الانصار والمهاجرين الى المشامة بين بني هاشم وبني أمية وانتشر ذلك في أطراف المملكة الاسلامية . فكان سديف الشاعر يخرج في جماعة من موالي بني هاشم في مكة وشيبي بنجر في جماعة من موالي بني أمية فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجادون بالسيوف وكان يقال لهم السديفية والشبيبية . وكان أهل مكة منقسمين بينهما في العصبية .

الهجو الادبي

على أن النهاجى السياسي جر الى النهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب

السياسية من قبيل المفاخرة أو المعاظة ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف الاحوال وقد يكون الغرض منها المنقارعة لبيان المقدرة على الهجوم ثم يتنافر المنتهاجيان اى من يحكم بينهما ، كما تهاجى جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطنة العذري وتنافسوا في أيهما أفضل أبا وحسباً ثم تنافرا الى يهود تيماء (١)

وأشهر ضروب المهاجاة في العصر الاموي المهاجاة بين جرير والفرزدق وبين جرير والاخلط وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادئ في ذلك كله هو جرير وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاخلط شهرة كبيرة حتى أصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشتهم في أي الشعارين أفضل . وانقسم الناس في ذلك حزبين نسب أحدهما الى جرير سمي جريرياً والآخر الى الفرزدق سمي فرزدقياً وكثيراً ما احتدم الجدل بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام - وسأني تفصيل ذلك في الكلام عن شعراء بني أمية . وقد يكون الباعث على الهجوم تخويف المهجو ليسترضي الهاجبي بالمال أو غيره كما تفعل بعض الصحف اليوم

واتصلت المهاجاة بين الشعراء الى العصر العباسي فاشهرت مهاجاة بشار بن برد وحماد (٢) ومهاجاة أبي العتاهية وأبي والبة (٣) . على أن اشتغال الناس في المناقشة على الشعراء وتفاضلهم طبيعي في كل عصر وليس هو خاص بالعرب . فقد كان اليونان أيضاً يفعلون ذلك (٤)

٤ - نبوغ الموالى في الشعر

قد رأيت أنه لم يقل الشعر في الجاهلية من الموالى الا عبد بني الحسحاس . واما في الاسلام فانتظم في عداد الشعراء طائفة من الموالى وهم المسلمون غير العرب (٥) وفيهم الفرس والروم ممن دخل في حوزة العرب في أثناء الفتح ثم اسلموا . واكثرهم من موالى بني أسد وقريش . وفيهم جماعة من نوابغ الشعراء . ولولا تقييد القوم بأساليب الجاهلية لادخلوا كثيراً من المعاني الشعرية نقلاً عن لغاتهم الاصلية

٥ - الشعر السياسي أو المديح للاستجداء

قد علمت مما تقدم أن الشعراء الجاهليين نظموا المديح لكنهم قلما كانوا يستجدون بمدحهم وانما كانوا بمدحون شكراً لصنيع . واما في العصر الاموي فأصبح الغرض

(١) الاغاني ١١٢ ج ١٩

(٢) الاغاني ٧٤ - ٨٦ ج ١٣ (٣) الاغاني ١٥٠ ج ١٦ (٤) نكاحن ٢٤٠

(٥) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ٢٢ و ٩١ ج ٤ الطبعة الثالثة

الاول من المدح التماس العطاء وقد جرهم الى ذلك استدرار الخلفاء للمدح ببذل الاموال
للاسباب التي قدمناها

فاصبح الاستجداء مادة مألوفة ونبغت طائفة كبيرة من المداحين وكانوا
يتذبذبون في مدحهم تبعاً لما يرجونه من العطاء أو يخافونه من النقمة . ولذلك كان
اكثر مدحهم في الامويين اصحاب السيادة وبيت المال . وربما مدح احدهم بني هاشم
أو آل الزبير او غيرهم من اعداء الامويين ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماساً لعطائهم
أو خوفاً من غضبهم لان الامويين كانوا يفضون على الشعراء اذا مدحوا سواهم
وينتظرون الى الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا رأينا حتى شعراء الشيعة
ينظمون المدائح في الامويين . ومن الشعراء من مدح بني هاشم وبني أمية او ابن
الزبير وبني أمية

٦ - وصف الخمر

لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي لكنهم بدءوا بذلك في
العصر الاموي على اثر انغراس الامويين في القصف والمسكر في اواخر الدولة وأول من
وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليفة الخليل السكير . وقد ذكر الخمر في الجاهلية
عدى بن زيد والاعشى ثم ذكرها الاخطل ووصف الزجاج بقوله :

وتظل تتحفنا بها قروية ابريقها برقاعه ملثوم
فاذا تعاودت الاكف زجاجها ففحت فشم رباحها المزكوم (١)

ثم اجاد في وصفها الوليد بن يزيد بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادمها فهي عجوز تعلقو على الحقب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كانها في زجاجها قيس تذكو ضياء في عين مرتقب

وله في وصف الخمر اشعار أخذها الشعراء في اشعارهم ساخوا معانيها ولا سيما
ابو نواس فانه مدح معاني الوليد كلها وجعلها في شعره (٢) واخذ ابو نواس ايضاً
من حسين بن الضحاك (٣) وكان معاصراً له واخذ من والبة وكان استاذه

(١) الاغاني ٨٤ ج ٨ (٢) الاغاني ١١٠ ج ٦ (٣) الاغاني ١٧٠ و ١٧٥ ج ٦

الشعراء في العصر الاموي

تكاثر الشعراء في العصر الاموي للأسباب التي قدمناها فزاد عددهم في اثنتائه (وهي تسعون سنة) على شعراء الجاهلية الذين نبغوا في اثناء قرنين وبعض القرن . فقد رأيت عدد الشعراء الجاهليين نحو ١٢٠ شاعراً على اختلاف القبائل والبطون وزاد عدد شعراء العصر الاموي على ذلك - نعني الذين اشتهروا بالشعر ووصلنا اخبارهم وهناك مئات غيرهم لم يبق من آثارهم الا ابيات او قصائد ذكرت في كتب الحماسة والجمهرات وغيرها من كتب الادب او ضاعت اخبارهم كما ضاعت اخبار اكثر الجاهليين

شعراء العصر الاموي بالنظر الى قبائلهم

اذا نظرنا الى شعراء العصر الاموي من حيث قبائلهم وانسابهم رأينا اكثر شعراء العرب من قيس ثم قريش فاليمن فتميم فربيعة فمضر ففضاعة . وهم يختلفون عن حال شعراء الجاهلية من هذا القبيل اختلافاً كبيراً وان انفقوا معهم بأن الاكثريه في قيس . فشعراء قريش كانوا في الجاهلية عشرة فصاروا في العصر الاموي ٢٣ وسبب ذلك بدهي لان القرشيين ظهروا بعد الاسلام لقيام الاسلام بهم . وبعبس ذلك شعراء ربيعة فقد كانوا في الجاهلية ٢٠ فصاروا في العصر الاموي ١١ والسبب طبيعي أيضاً لان ربيعة كان لها الشأن الاكبر في الجاهلية لأنها قامت باستقلال الحجازيين من سلطة اليمن وكثرت حروبهم وأيامهم

واعتر ذلك في القحطانية أو شعراء اليمن فقد كانوا في الجاهلية ٢٢ فصاروا في العصر الاموي ١٦ لاتقال عز السيادة بعد الاسلام الى سواهم . وأما تميم فعدد شعرائها في العصرين واحد لان حالهم لم يختلف فيهما . أما اباد فلم ينبغ منهم في ذلك العصر شاعر لذهاب عصبيتهم قبل الاسلام . وكذلك اليهود لم ينبغ منهم في هذا العصر الاموي شاعر وكانوا في الجاهلية ٤ علي ان طبقة من الشعراء كبيرة ظهرت في هذا العصر لم يكن منها في الجاهلية إلا واحد نعني الموالى أو العبيد فقد بلغ عدد الشعراء منهم ٢١ شاعراً - وهذا جدول في المقابلة بين شعراء الجاهلية وشعراء بني أمية من حيث انسابهم على وجه التقريب :

اسم القبيلة	شعراؤها في الجاهلية	شعراؤها في العصر الأموي
قيس	٢٧	٢٦
ربيعة	٢٠	١١

اسم القبيلة	شعراؤها في الجاهلية	شعراؤها في العصر الاموي
تميم	١٢	١٣
مضر (غير قيس وقريش وتميم)	١٦	٩
قريش	١٠	٢٣
القحطانية (اليمين)	٢٢	١٦
قضاة	٤	٨
اياد	٢	٠٠
اليهود	٤	٠٠
الموالي	١	٢١

شعراء العصر الاموي بالنظر الى أغراضهم

وإذا اعتبرنا شعراء هذا العصر بالنظر الى أغراضهم رأيناها تختلف عن أغراض الشعراء الجاهليين اختلافاً كبيراً . فقد كانت الاكثية في ذلك العصر للامراء والفرسان المحاربين وكان عددهم بضعة وأربعين شاعراً فصاروا في العصر الاموي قليلين لاشتغال الفرسان والكبراء بأعمال الدولة ولذهاب بعض الاربية البدوية من نفوسهم بالحضارة . وقد ظهرت آثار الحضارة في الشعر الاموي بكثرة العشاق وأهل الفزل وكانوا في الجاهلية ٦ فصاروا ٢١ ونشأت طائفة من الشعراء السكبرين وأهل الخلاعة عددهم ٦ ولم يكن منهم في الجاهلية الا واحد أو اثنان على أن الاكثية في العصر الاموي لطبقة من الشعراء سميناهم شعراء السياسة لاشتغالهم في الدفاع عن الاحزاب التي قام النزاع بينها على السيادة في ذلك العصر وأكثرهم طبعا بجانب الامويين لانهم أقوى الاحزاب . ويلهم الخوارج والعلويون وغيرهم ويقسم العصر الاموي بالنظر الى أغراض شعرائه الى ثلاثة أدوار :

الدور الاول : من أول الدولة الاموية (سنة ٤١ هـ) الى ذهاب آل معاوية بخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ ومعظمه في زمن معاوية ويجوز أن نسميه « دور معاوية » وشعراء هذا الدور لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين وكانت الدولة الاموية في أيامهم لم ترسخ قدمها بعد . فكان نحو نصفهم يخالفون سياسة معاوية وخلفائه ويطعنون فيه وبعضهم يجاهرون بعدوانه انتصاراً للانصار أو العلويين

الدور الثاني : من خلافة مروان بن الحكم (سنة ٦٤ هـ) الى خلافة يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) وخلفاء هذا الدور مروان وابنه عبد الملك فالوليد فسلیمان فمعر بن عبد العزيز . ولكن معظمه في زمن عبد الملك بن مروان

بحيث يصح ان ينسب اليه فيقال « دور عبد الملك » وفي أيامه اختلفت الاحزاب وتعددت مطالب الخلافة وانتشبت الحروب وراجت سوق الشعر لجمع الاحزاب أو تفريقها . وأكثر شعراء العصر الاموي نبغوا في هذا الدور وبلغ عددهم فيه نحو المائة وفيهم شعراء السياسة وشعراء النزل والادب وغيرهم

الدور الثالث : من ولاية يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) الى انقضاء الدولة الاموية (سنة ١٣٢ هـ) وفيه تضحمت الدولة واركن أهلها الى الترف والتصف. ومن خلفائها يزيد بن عبد الملك العاشق المتيم صاحب حباية وابنه الوليد بن يزيد الخليفة المقتون، والناس على دين ملوكهم . وعدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر نحو عدد شعراء الدور الاول وأكثرهم من عشراء السوء وأهل الرخاء والترف

الدور الاول من الشعر في العصر الاموي

من سنة ٤١ - ٦٤ هـ

هو أقرب سائر الادوار الى الجاهلية وقد نشأ شعراؤه في عصر الراشدين وتعودوا الصدق واستقلال الفكر والعدل وكانوا لا يرون الحق لمعاوية بالخلافة بل يعتقدون انه أخذها بالدهاء ولا يتوقعون انتقالها الى أهله بل كانوا يرجون رجوعها بعده الى آل علي أو غيرهم من أبناء الصحابة بالانتخاب ولذلك كانت لهم جراءة عليه وأهم الاحزاب السياسية يومئذ الانصار والمهاجرون . والانصار هم أهل المدينة شعبة على والمهاجرون هم قريش من أهل مكة شعبة معاوية . فكان معاوية يقرب الشعراء الذين يطعنون في الانصار ويندر أن يجرؤ أحد منهم على ذلك احتراماً للإمام على فكان أكثر الشعراء في هذا الدور اما على الحياء خوفاً من معاوية أو ينصرون العلويين عليه وبمضهم كان يتزلف اليه بالمديح . وأكثر شعراء هذا الدور من شعراء السياسة اما مع الامويين أو عليهم أو على الحساد . وأهم الذين كانوا مع الامويين ابن ارطاة الحارثي كان سيد قومه والحارث بن بدر من يربوع والمنوكل الليثي من كنانة والوليد ابن عقبة من قريش

والذين كانوا ضد الامويين أشهرهم النعمان بن بشير الانصاري وابن مفرغ من حمير وأبو الاسود الدؤلي واضع علم النحو . ومن كان على الحياء القتال الكلابي وسيأتي ذكرهم

ولا نعني بقسمة العصر الاموي الى ادوار أن شعراء الدور الاول لم يدركوا الدور الثاني وأن شعراء الثاني لم يدركوا الاول فان أكثرهم عاصروا الدولة الاموية

في معظم سنيها وعرفوا معظم خلفائها ولكننا نعني بشعراء الدور الفلاني الذين نبغوا في هذا الدور ونظموا فيه أو عنه

١ - انصار علي

١ - النعمان بن بشير الانصاري

توفي سنة ٦٥ هـ

هو من الخزرج أهل يثرب لكنه سائر معاوية فكان معه في واقعة صفين ولم يكن مع معاوية في تلك الواقعة من الانصار سواه . وقد اجتذبه بدهائه وسخائه وكان يراعى جانبه وكثيراً ما سمع توسطه للانصار عنده . وعاش النعمان المذكور الى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى حمص فلما أفضت الخلافة الى مروان دعا الى ابن الزبير وخالف على مروان بعد قتل الضحاك فلم يجبه أهل حمص الى ذلك فهرب منهم فتابوه وأدركوه وقتلوه ومع مسيرته بني أمية فانه كان شديد التعصب للانصار ولذلك لما علم بقصيدة الاخطل في الطعن عليهم رد عليه كما تقدم . والنعمان بن بشير من العزيبين في الشعر خلفاً عن سلف فان جده وأباه وعمه وأولاده وأحفاده كلهم شعراء (١)

ومن أحفاده شبيب بن زيد بن النعمان كان يرى فساد أمر بني أمية على أيام الوليد بن يزيد فقال من قصيدة يعاتبهم :

يا أيها الراكب المزجي مطيته لقيت حيث توجهت التنا الحسنات
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها قولا يفر عن نوامها الوسنا
ان الخلافة أمر كان يعظمه خيار أولكم قدماً وأولنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم وقد وعظمت فما أحستتم الاذنا
لما سفكتم بأيديكم دماءكم بغيّاً وغشيماً أبوابكم درنا

وترى أخبار النعمان بن بشير في الاغانى ١١٩ ج ١٤ والعقد الفريد ١١٢ ج ٣ وفي سيرة ابن هشام وابن خلكان وابن الاثير وغيرها

٢ - ابن مفرغ الحميري

توفي سنة ٦٩ هـ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري وكان شاعراً غزلاً محسناً وكان قلبه مع علي لكنه سائر الامويين لانه من خلفائهم وكان مقرباً من آل زياد بن ابيه . صحب

(١) الاغانى ١٢٥ ج ١٤

عباد بن زياد الى سجستان فلم يحسن صحبته فهجاه سرأ بهزأ بلجيته وكانت كبيرة فقال فيها :

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمين
فوشى به بعضهم الى عباد فجفاه وجبسه فهرب الى العراق وأخذ يطعن في آل
زياد بهجوم لان أباهم زياد بن أبيه بجهول النسب وانما استحققه معاوية بنسبه ليستفيد
من دهائه كما هو مشهور في تاريخ الاسلام (١) فعلم عبيد الله بن زياد وهو أمير البصرة
فقبض على ابن مفرغ واستأذن معاوية في قتله ففاه عن ذلك لانه خليفه ولكنه أذن
بتعذيبه فعذبه تعذيباً شديداً (٢)

ومن قول ابن مفرغ في زياد وابنه وفيه اشارة الى ضعف انسابهم :

ألا ابلغ معاوية بن صخر مغلفة عن الرجل اليماني
انغضب أن يقال ابوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني
فشهد ان رحك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان
واشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سمية غير دان

وكان ابن مفرغ من شعراء الحماسة وله غزل لطيف

ونجد أشعاره وأخباره متفرقة في الاغانى ٥١ ج ١٧ والشعر والشعراء ٢٠٩ وابن
خلكان ٢٨٩ ج ٢ وسيرة ابن هشام وفي تاريخ ابن الاثير

٣ - أبو الاسود الدؤلى

توفي سنة ٩٩ هـ

اسمه ظالم بن عمرو هو من الدئل بطن من كنانة معدود في التابعين والفقهاء
والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين وهو واضع
علم النحو . وكان من اكثر الناس تعلقاً بعلي وعنه أخذ علم النحو كما تقدم . أما من
حيث الشعر فقد كان من نصراء الشيعة ولكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما
فعل اكثر أمثاله . وكان معاوية لا يعتمد أذاه ولكنه كان يضايقه فلم يرو له طعن
في بني أمية واكثر شعره في الحكم والادب . ومن حكمه والفخر قوله :

إذا كنت مظلوماً فلا تلب راضياً عن القوم حتى تأخذ النصف وانغضب
وقارب بذى جهل وباعد بعالم جلوب عليك الحق من كل مجلب
فان حدبوا فاقمس وان هم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحدب

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ١٨ ج ٤ (الطبعة الثالثة) (٢) ابن خلكان ٢٩٢ ج ٢

ولا تدعني للجور واصبر على التي بها كنت افضى للبعيد على أبي
فأني امرؤ اخشى الهى وانقى معادي. وقد جربت ما لم تجرب
ومن قوله :

احبب اذا احببت حباً مقارباً فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت بغضاً مقارباً فانك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدناً للحلم واصفح عن الحنا فانك راء ما عمات وسامع
وطاش أبو الاسود فقيراً وكان متهماً بالبخل وكان يقيم بجوار البصرة . ونجد
ترجمته في الاغانى ١٠٥ ج ١١ وفي ابن خلسكان ٢٤٠ ج ١ والشعر والشعراء ٤٥٧
والمستطرف ١٣٩ ج ١ والعقد الفريد ٢٥٧ ج ٣ والدميري ٣١٧ ج ١ وطبقات
الادباء ٤ وفي المجلة الشرقية الالمانية مقالة عن شعره وشعر على سنة ١٨٦٤

٢ - انصار معاوية

١ - مسكين الدارمي

توفي سنة ٩٠ هـ

هو ربيعة بن عامر من دارم بطن من نيمم وكان شاعراً شريفاً من سادات قومه
وعمر الى أواخر الدور الثاني من العصر الاموى . لكننا وضعناه هنا لغلبة شعره في
معاوية على سواه . وله معه شأن في تاريخ العطاء أيام معاوية وكان معاوية لا يفرض
العطاء (الرواتب) الا لليمن ليحاربوا معه وينحرفوا عن على فجاء مسكين وطلب
من معاوية ان يفرض له العطاء فأبى فقال أياتا يذكره فيها بقرب النسب بين نيمم
ومضر وهى :

اخاك اخاك ان من لا اخاله كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح
وما طالب الحاجات الا مفرر وما نال شيئاً طالب كجناح

فلم يحبه معاوية يومئذ لكن سنحت له فرصة رأى فيها اليميين قد اخذهم الفرور
وزادت دالتهم على الدولة فعمد معاوية الى استرضاء القيسيين ففرض لاربعة آلاف
من قيس سوى من فرض لهم من نيمم وغيرهم من مضر . وصار يغرى اليميين في البحر
والقيسيين في البر وفرض طبعاً لمسكين وقربه حتى استعان بشعره في مبايعة ابنه يزيد
وذلك ان معاوية كان يخاف اذا بايع لابنه بولاية العهد ان يغضب المسلمون لان

توارث الملك لم يكن معروفا في الاسلام . فأحب ان يجس نبض الرأي العام قبل اعلان فكره نحو ما يفعله بعض دهاة السياسة في هذه الايام اذ يوعزون الى الصحف التي تدافع عن آرائهم ان تذكر عزمهم على العمل الفلاني وينظرون الى ما يكون من وقعه عند الناس ويكون لهم مندوحة للرجوع عنه اذا توسموا فيه خطراً . فأوعز معاوية إلى مسكين أن يقول أحياناً في معنى المباينة ليزيد وينشدها اياه في مجلسه وهو حافل بالوجوه والاشراف ففعل وأنشأ قصيدة قال فيها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
 بنى خلفاء الله مهلاً فاقماً يبوئها الرحمن حيث يريد
 اذا المنبر الغربي خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد
 ومآل القصيدة أنه يقترح عليه أن يولى يزيد العهد . فلما فرغ من انشاده قال له معاوية : « تنظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله » ولم يتكلم أحد من الحضور بذلك الا بالموافقة فأغدق عليه معاوية العطاء . ولما مات زياد بن أبيه رثاه مسكين بقوله :

رأيت زيادة الاسلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد
 وكان الفرزدق منحرفاً عن زياد فعارضه فأجابته مسكين ثم تكافأ . ونرى أخبار مسكين في الاغاني ٦٨ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٤٧ وخزانة الادب ٤٦٧ ج ١
 سائر شعراء الدور الاول

أما سائر شعراء هذا الدور فنكتفي بالإشارة الى أماكن تراجعهم ليطالعها من شاء :

٢	ابن ارطاة	ترجمته في الاغاني	٧٩ ج ٢
٣	المنوكل اللبني (توفي سنة ٦٠)	» » »	٣٩ ج ١١
٤	الوليد بن عقبة (» » ٧٠)	» » »	١٧٥ ج ٤
٥	القتال الكلابي (» » ٦٤)	» » »	١٥٨ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٤٣

الدور الثاني من الشعر في العصر الاموي

من سنة ٦٤ — ١٠١ هـ

في هذا الدور نبغ معظم شعراء بني أمية وابلغهم وعددهم يناهز مئة شاعر . وهم فئات قسمناها حسب أغراضهم وأول تلك الفئات شعراء السياسة وعددهم نحو ٤٠ شاعراً

واهمهم واكثرهم عدداً انصار بني امية وهم نحو العشرين وثمانية من انصار آل المهلب والباقون من انصار سائر الاحزاب . على ان شعراء السياسة أكثر من ذلك اذ قلما نبغ شاعر لم يتعرض لاحد الاحزاب التي كانت شائعة يومئذ لكن جماعة منهم دخلوا في الطبقات الاخرى لتغلب بعض تلك الاغراض على خواطرها . وأهم هذه الطبقات شعراء الغزل وعددهم بضعة وعشرون شاعراً والباقون من شعراء الادب الذين لا يعرف لهم غرض خاص غير الشعراء السكبرين والمنغنين

ويقدم النقادون ستة من شعراء العصر الاموي بمدونهم في مقدمة الشعراء الامويين من سائر الطبقات . وهم الاخطل وجريز والفرزدق والراعي وأبو النجم العجلى والاحوص بسمونهم الفحول وأكثرهم من شعراء السياسة . ويقدمون الثلاثة الاول على سائرهم فهم أشعر شعراء بني أمية على الاطلاق نعني جريراً والفرزدق والاطخل . واختاف الناس في من هو أشعرهم فالذين يقدمون جريراً يقولون انه أكثرهم فنون شعر وأساهم الفاظاً واقامهم تكلفاً وارقمهم نسيباً . والذين يقدمون الاخطل يقولون انه أكثرهم قصائد طوالاً جيداً ليس فيها سقط ولا فحش واكثرهم تهديباً لشعره : وقد تقدمهم الاخطل في الزمن ثم نبغ جرير والفرزدق فدخل الاخطل بينهما وهو شيخ طاعن في السن . وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه جريراً بالاعشى والفرزدق بزهير والاطخل بالنابغة . ولم يجتمع أدبيان من ادباء ذلك العصر الا جرى بينهما البحث في أي الشعارين أشعر جرير أو الفرزدق فبحتمدم الجدل وينفض المجلس وأهله حزبان يعرفان بالفرزدقيين والجريريين

فحول شعراء العصر الاموي

١ - الاخطل

توفي سنة ٩٥ هـ

يكنى أبا مالك واسمه غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب وهو نصراني مثل أكثر تلك القبيلة . والاطخل لقب غلب عليه لسبب اختلافوا فيه . وظهرت الشاعرية في الاخطل منذ حداثة وكان يقيم في الحيرة فدارت مهاجاة بينه وبين كعب بن جعيل شاعر تغلب قبله فغلبه الاخطل وأفحمه فصار هو المقدم في شعرائها وكان ينقى شعره فينظم تسعين بيتاً ويختار منها ثلاثين . وسئل حماد عن الاخطل فقال : « وما تسألوني عن رجل حبب شعره الى النصرانية » وكان الاخطل يشرب الخمر ولا يجيئد النظم

الا اذا شرب . ولكنه لم ينظم شعراً تستحي العذراء من سماعه
 وكان السبب في تقربه الى بني أمية ان معاوية أراد أن يهجو الانصار لاسباب
 تقدم بيانها فاقترح ابنه يزيد على كعب بن جعيل المشار اليه أن يهجوهم وكان مسلماً
 فأبى وقال: «أدلك على غلام منا نصراني لا يبالي أن يهجوهم كأن لسانه لسان ثور؟»
 قال: «ومن هو؟» قال: «الاخلط» فدعاه معاوية وأمره بهجائهم فقال: «على أن
 تمنعني» قال: «نعم» فقال قصيدة جاء فيها من الهجو بالانصار قوله:

واذا نسبت ابن الفريعة خلته	كالحبش بين حمارة وحمار
لعن الاله من اليهود عصابة	كالجزع بين صليصل وصرار
قوم اذا هدر العصير رأيهم	حمراً عيونهمو من المسطار
خلوا المكارم لستم من أهلها	وخذوا مسامحك بنو النجار
ان الفوارس يعلمون ظهوركم	اولاد كل مقبح أكار
ذهبت قريش بالمكارم والعللا	واللؤم تحت عمائم الانصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فرد عليه بقصيدة تقدم ذكرها في كلامنا عن بيمزات

شعر العصر الاموي

ثم أفضت الخلافة الى عبدالمملك بن مروان وكان ناقماً على قبائل قيس لأنهم نصرخوا
 أعداءه كما تقدم فعمد الى تقديم شعراء القبائل الاخرى ليكتسب أحزابهم . وعلم أن
 الاخلط شاعر تغلب له يد في نصره الامويين على الانصار فقربه وأكرمه . وكان
 عبدالمملك بصيراً بالشعر يعجبه شعر الاخلط فيطرب لما يقوله حتى سماه «شاعر بني أمية»
 وبعث بمولى ينادي على رءوس الملائكة «هذا شاعر أمير المؤمنين هذا شاعر العرب»
 وكان الاخلط مغرماً بالحمير وحملته الدالة على عبدالمملك أن يطلب منه أن يسقيه خمراً (١)
 فغضب عليه وقال «لولا حرمتك لفعات بك وفعات» فخرج حتى لقي خمراً شرب
 عنده وطاد فجادت قريحته فدخل على عبدالمملك ومدحه بقصيدة مطلعها:

خف القطين فراحو منك وابتكروا وأزعجتهم نوي في صرفها غير

وقال له عبدالمملك مرة: «ألا تسلم فنفرض لك في النية ونعطيك عشرة آلاف»
 فقال: «وكيف الحمير» قال: «وما تصنع بها وان أولها المر وان آخرها لسكر» فقال:
 «أما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها الا كلعقة ماء من الفرات
 بالاصبع» فضحك وتركه على نصرانيتها وسهل عايبه الدخول والخروج حتى كان

يجيء وعليه جبة خز وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب تنفض لحبته خمرأ حتى يدخل
على عبد الملك بغير اذن

وكان لشعره تأثير في نفس عبد الملك يقيمه ويقعده . ومن الادلة على ذلك ان
عبد الملك لما أنزل زفر بن الحرث السكلابي عن قرقيسيا استقدمه اليه وأقصدته على
سريره فمات به بعضهم على تقدير رجل كان في الامس من أعدائه وسيفه يقطر من
دماء قومه فلم ينفع العتاب . فبانغ ذلك الاخطل وهو يشرب فمضى حتى دخل على
عبد الملك وأنشد :

وكأس مثل عين الدبك صرف تنسى الشارين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشية لاشك فيها وأرخى من ما آزره الفضولا

فقال له عبد الملك : « ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خطلة في رأسك » قال :
« أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو الفائل
بالامس :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
فقبض عبد الملك رجلاه ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال : « أذهب الله
حزازات تلك الصدور »

ومن قوله في النسب :

من الحفرات البيض أما وشاحها فيجري وأما القلب منها فلا يجرى
تموت ونحيا بالضجيع وتلتوى بمطرر المتين منبر الحصر

ومن قوله في المديح :

نفسى فداء أمير المؤمنين إذا أبدى التواجد يوماً عارم ذكر
الحائض الفمرة اليمون طائرته خليفة الله يستسقى به المطر

ومن قوله في الهجاء :

وكنت اذا لقيت عبيد - تيم وتيا قلت أيم العبيد
لئيم العالمين بسود تيا وسيدهم وان كرهوا مسود

أما دخوله في الهجاء بين جرير والفرزدق فسيبه انه كان مرة عند بشر بن مروان
أخي الخليفة وعنده جرير والفرزدق . وكان بشر يرى من السيامة أن يغرى بين
الشعراء فقال للاخطل : « احكم بين الفرزدق وجرير » فقال : « اعفني أيها الأمير » قال :

« احكم بينهما » فقال : « الفرزدق ينحت من صخر وجريبر يعرف من بحر » وبلغ ذلك جريراً فلم يمجبه وهجاء بقوله :

يا ذا الفباوة ان بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوان
فرد عليه الاخطل ثم رد عليه جريبر مما يطول ذكره (١) . وكان الاخطل أشهب
للحجة له ضفيران ومن أحسن شعره قوله في وصف السكران :

صريع مدام يرفع الشرب رأسه ليحيا وقد ماتت عظام ومفصل
نهاديه أحياناً وحيناً نجره وما كاد إلا بالحشاشة يعقل
إذا رفعوا صدرأخامل صدره وآخر مما قال منها يحمل
وهو من أصحاب الملححات وله ملحمة مطعما :

تغير الرسم من سلمى باقفار وأقفرت من سليمان دمنة الدار
وتفنن الاخطل في النظم من حيث الوزن تفتناً قلده به بعد أجيال وذلك قوله :
ولقد علمت اذا الرياح تناوحت هوج الرئال تكبهن شمالا
انا نعجل بالعبيط لضيقنا قبل العيال ونضرب الابطالا
ولو قال : ولقد علمت اذا الرياح تناوحت هوج الرئال
لكان شعراً واذا زدت فيه « تكبهن شمالا » كان أيضاً شعراً من روى آخر
وللاخطل ديوان مطبوع في بيروت للمرة الاولى بعناية الاب صالحاني عن نسخة
بطر سبورج مع شروح سنة ١٨٩١ في نيف وخمسة صفحة . وللاب المذكور طبعة
بالفوتوغراف عن نسخة وجدوها في بغداد . وللدكتور غريفييني طبعة بالحجر عن
نسخة وجدت في اليمن . وعثروا في مكتبة يازيد بالاسنانه على نسخة خطية من كتاب
نقائض جريبر والاخطل (٢)

وله أخبار متفرقة في الاغاني ١٦٩ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ و ٢ ج ١٠ و ١٤٨ و ١٥٤ ج
١٣ والجمهرة ١٧٠ وفي الشعر والشعراء ٣٠١ والعقد الفريد ١٣٣ ج ٣ وخزانة الادب
٢٢٠ ج ١ وللمستشرق دي برسفال مقالة عنه وعن جريبر والفرزدق في المجلة الاسيوية
الفرنساوية سنة ١٨٣٤ وكتب عنه الاب لامنس مقالة في المجلة الاسيوية المذكورة
سنة ١٨٩٤

(١) الاغاني ١٨٦ ج ٧ (٢) راجع وصفها في المشرق ٦٧ مجلد ٨

٢ - جرير

توفي سنة ١١٠ هـ

هو جرير بن عطية بن الخطفي من كليب بن يربوع (تميم) نشأ في البادية أيام معاوية وهو واسع الخيال قوي الشاعرية مع ميل الى الهجو، وكان يفتد الى الشام مع من يفتد على الخلفاء للاستجداء بالمديح فعرفه أحدهم الى يزيد بن معاوية وهو أمير وجعل يختلف اليه وهو شاب . فاستلطف يزيد نظمه . واتفق أن يزيد أراد أن يعاتب أباه بشعر فاقتبس أبياتاً من قصيدة لجرير فرفعها الى أبيه عن لسانه وفيها قوله :

بأي سنان تطعن القوم بعدما نزعت سناناً من قناتك ماضياً

فاعتقد معاوية أن الأبيات لابنه . فلما صارت الخلافة الى يزيد وفد اليه جرير فاستؤذن له مع الشعراء فجاء الجواب : « ان أمير المؤمنين يقول لا يصل الينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره » فقال جرير : « قولوا له أنا القائل (وذكروا الأبيات) » فأمر بادخاله فلما أنشده القصيدة قال يزيد : « لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب الا اني قائلها » وأمر له بمجازة

ولما صارت الخلافة الى عبد الملك بن مروان لم يتجرأ جرير على الوفود عليه لعلمه بنضاب عبد الملك على شعراء مضر لأنهم كانوا يمدحون آل الزبير أعداءه (وتميم من مضر) فاحتال حتى قدم على الحجاج وهو أمير العراقيين على يد بعض عماله . فأعجب الحجاج ببلاغته وشاعريته فأحب أن يقدمه للخليفة وعلم أن عبد الملك سينكر ذلك فأفتد معه ابنه محمد بن الحجاج فاستقبله عبد الملك بعد الجهد ثم أقبل يعاتبه قائلاً :

« ماذا عسى أن تقول فينا بعد قولك بالحجاج عاملنا :

« من سد مطلع النفاق عليكم أو من يصول كصوله الحجاج

« ان الله لم ينصرنا بالحجاج وإنما نصر دينه وخليفته » وظهر الغضب في وجه عبد الملك . فتوسط ابن الحجاج في الرضا فاستأذن جرير في الانشاد وأنشد القصيدة التي يقول منها :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فتبسم عبد الملك وقال : « كذلك نحن وما زلنا كذلك » وأمر له بمائة لقحة وثمانية من الرعاء . . وصار يفتد على عبد الملك من ذلك الحين ويأخذ الجوائز وكانت جائزته أربعة آلاف درهم وتوابها من الحملان والكسوة

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وهو لا يرى للشعراء حقاً من العطاء وفد عليه

بقصيدة عامرة فاعتذر له ولم يعطه . وتوفي جرير سنة ١١٠ بعد الفرزدق بيضعة أشهر ودفن في البمامة حيث قبر الاعشى (١) وكان يمتحن في لفظه فيخرج الكلام من أنفه أو كان فيها نوناً

مهاجاة جرير والفرزدق

واشتهر جرير على الخصوص بمهاجاته الفرزدق وغيره من معاصريه وكان الناس يخافون لسانه . والسبب في اشتهاره بالمهاجاة أن رجلاً من عشيرته اسمه غسان بن ذهيل ابن سليط هجاء بأبيات منها :

لعمري لئن كانت بحينة زانها جرير لقد أخزى كليبا جريرها
يريد أن جريراً أخزى كليسا وهو البطن الذي هو منه . فأجابه جرير بقصيدة وقعت على رأس الرجل وقوع السهام منها قوله :

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجد سليطسوى غسان جاراً يجيرها
فقد ضمنوا الاحساب صاحب سواة يناجى بها نفسا خيئنا ضميرها
فاستنصر غسان رجلاً اسمه البعيث فنصره وهجاء جريراً وقال فيه :

كليب لثام الناس قد يعلمونه وأنت اذا عدت كليب لثيمها
فأجابه جرير على الوزن والقافية . وبلغ ذلك الفرزدق وكان يحسد جريراً فاتنصر للبعيث فاحتدم المهاجاة بينهما على الخصوص . وانقسم الادباء في الاتصار لهما الى حزين كما تقدم . وبلغ من أحد المشغوفين بالفرزدق أنه عقد جائزة قيمتها ٤٠٠٠ درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير (٢) وقد جمعت مناقضاتها في كتاب يعرف بمناقضات جرير والفرزدق طبع في ليدن في جزأين سنة ١٩٠٥

وانتشبت المهاجاة بين جرير والاخلطل لسبب ذكرناه في ترجمة الاخلطل . وهاجاه أيضاً عمر بن لجأ النيمى وسرافقة بن مرداس ثم المستنير بن سيرة الغنبري لانه أعان عليه ابن لجأ . ثم هاجى راعي الابل وهو من الفحول لانه فضل الفرزدق عليه وله في هجائه حديث طويل والراعي من بني نيمر فهجاء جريراً بأبيات منها :

رأيت الجحش جحش بني كليب تيمم حوض دجلة ثم آبا
فذهب جرير اليه ليستكفه أو يعاتبه فلقبه في المربد نادى الادباء والشعراء بالبصرة على بغلة وبجانبه ابنة جندل على مهر . فاقترب منه جرير وحياه وقال : « يا أبا جندل ان قولك يستمع وانك تفضل الفرزدق على تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومك وهو

بحجوم وهو ابن عمي ويكفيك من ذلك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحمل
منى ولا منه لائمة . فلم يجهه الراعي ولكنه لحق ابنه ورفع عصاه فضرب عجز
بغلته وخاطب ابنه قائلاً : « لا أراك واقفا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه
شراً أو ترجو خيراً »

فرفست البغلة جريراً فوقعت قلنسوته عن رأسه . فانصرف مغضباً حتى اذا صلى
المشاء بمنزله في عليه له قال : « ارفعوا لى باطية من نبيذ واسرجوا لى » فأسرجوا
له وأتوه بباطية من نبيذ وجعل يشرب ويستحث قريحته وينظم حتى كان السحر
وقد نظم ٨٠ بيتاً ختمها بقوله :

ففض الطرف انك من نيمر فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
ثم جاء المربد وأنشد هذه القصيدة في مجلس الادباء وفيهم الفرزدق والراعي
فكان لها وقع شديد ولا سيما البيت الاخير

وقد لا يفقه القارىء قوة الهجاء اذا لم يعلم ان كعباً وكلاباً ونيمراً ثلاثة أبطن
من عامر بن صعصعة من قيس . فجير فضل كعباً وكلاباً على نيمر مع أنهما أخواه .
ولم يسمع ذلك البيت أحد من العرب يومئذ الا قال : « لا يفلح النيمري بعد ذلك
أبدأ » ومن هذه القصيدة أبيات في أبلغ ما يكون كقوله :

اذا غضبت عليك بنو نيمر حسبت الناس كلهم غضاباً
وهو أحسن بيت في الفخر وبسببه بدأت المهاجاة بين جرير والعباس بن يزيد
الكندي وقد ساءه تفاخر جرير بنميم فعارضه بقوله :

ألا رغمت أنوف بني نيمر قساة النمر ان كانوا غضاباً
لقد غضبت عليك بنو نيمر فما نكأت بغضبتها ذباباً
لو اطلع الغراب على نيمر وما فيها من السوءات شاباً

فاغتم جرير سقطلة من العباس وهجاه بأبيات على نفس الوزن والقافية أولها :
اذا جهل الشقى ولم يقدر لبعض الامر أوشك أن يصاباً

ومن هاجم جرير أيضاً جفنة الهزاني والمراد بن منقذ وحكيم بن مبيعة والاشهب
ابن ميلة وغيرهم . وربما هاجى الرجلان قبل أن يتعارفا كما يتناقش الصحافيان أو
الكاتبان اليوم وينهما ألوف من الاميال

وتجد أخبار هذه المهاجاة في الاغانى ج ٧ وفي كتاب نقائض جرير والفرزدق
وفي الشعر والشعراء

وأحسن أقوال جرير في النسيب قوله :

ان العيون التي في طرفها حور
ومن أحسن شعره قوله يرني ابنه :
قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم
فارقني حين كف الدهر من بصرى
وقوله يرني امرأته :

لولا الحياء لعادني استعمار
ولمت قابي إذ علني كبرة
لا يلبث الاحباب ان يفرقوا
صلى الملائكة الذين تخيروا
وهو من أصحاب الملحمة ومطلع ملحمة :

حي النداة برامة الاطلاقا رسماً تقادم عهد فاحالا
وقد ذكرنا أمثلة من هجائه ومنها أيضاً قوله في هجو تيم :
وفي الاصلاح ينزل لؤم تيم وفي الارحام يحال والمشم
وكان جرير على الاجمال من الشعراء طلاب العطاء من الخلفاء والامراء وكان
يقم هو والفرزدق بجوار البصرة ونظراً لاشتغال الناس بهما أهمل ذكر من
عاصرهما من الشعراء

ولجرير ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وقد طبع في القاهرة
سنة ١٨٩٥ وفي غيرها . وترى أخباره في الاغانى ٣٨ و ١٧٢ ج ٧ و ٢ ج ١٠
و ٤٦ ج ٩ والجمهرة ١٦٨ والشعر والشعراء ٢٨٣ وخزانة الادب ٣٩٧ ج ٣ وابن
خلكان ١٠٢ ج ١ والمستطرف ٥٣ ج ١ والعقد الفريد ١١٤ ج ١

٣ - الفرزدق

توفي سنة ١١٠ هـ

هو من دارم من تميم واسمه همام بن غالب بن صعصعة وكان جده صعصعة
وجهاً يعرف بمحبي الموءودات وأبوه غالب كان رئيساً في قومه وله مناقب مشهورة .
ولد الفرزدق في البصرة وأقام في باديتها مع أبيه وظهرت فيه ملكة الشعر وهو
غلام فجاء به أبوه الى علي بن أبي طالب بعد واقعة الجمل وأخبره أنه شاعر فقال
« علمه القرآن » كما تقدم . فلم ينظم شعراً حتى حفظ القرآن ولم يكده ينبغ حتى

قامت المهاجاة بينه وبين جرير ولا شك انها نفعتهما لأن الانتقاد يشحذ القريحة والضغط والمقاومة يظهران القوى الكامنة . وانما تأتي بمثال من ذلك - نظم الفرزدق قصيدة وهو في المدينة قال فيها :

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز اقم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا أحى فيرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعا الامراس لا يشمروا بنا وأفلت في اعجاز ليل أبادره
احاذر بوايين قد وكلا بنا واسود من ساج تصر مسامره

فلما بلغت هذه الايات جريراً نظم من جملة قصيدة طويلة :

لقد ولدت أم الفرزدق فاجراً فجاءت بوزار قصير القوادم
يوصل حبله اذا جن ليله ليرقى الى جاراته بالسالم
تدليت تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلا والمكارم
هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا مداخل رجس بالحثينات عالم
لقد كان اخراج الفرزدق عنكم طهوراً لما بين المصلي وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في جملتها :

وان حراماً أن أسب مقايساً بأبائي الشم الكرام الخضارم
ولكن نصفاً أن سبت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم
أولئك آبائي فجئتني بمنلهم واعتد ان اهجو كلياً بدارم

وغضب أهل المدينة لذلك وشكوه الى مروان بن الحكم وهو يومئذ والى المدينة وطلبوا اليه أن يحده فأمر بنفيه فنضب الفرزدق وهدده بالهجاء فخاف مروان واسترضاه بالجائزة

وكان الفرزدق يتشيع لعل وأهله . والتقى في أواخر أيامه بهشام بن عبد الملك في الحج ورأى هشام هناك على بن الحسين في غمار الناس فقال : « من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تترأى فيها عذارى الحى وجوهها » فقالوا : « هذا على بن الحسين » فنظم الفرزدق قصيدة في مدح على المذكور مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

وبلغ هشاماً خبر القصيدة وهو بين مكة والمدينة فنضب وحبسه هناك فقال :

أحبسني بين المدينة والتي اليها قلوب الناس يهوى منيها
يقلب رأسالم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

فلما بلغ ذلك هشاما أمر باطلاقه

ولم يكن الفرزدق من مداح بني أمية لأنه كان يتشيع لعلي كما رأيت وقد هجا بعضهم ولكنه مدح بعض عمالهم وخصوصا آل المهلب والحجاج خوفا منهم ويعتقد علماء اللغة أن شعر الفرزدق فيه كثير من أساليب العرب والفاظهم حتى قالوا لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. وكان له على الحجاج دالة. وكان من أقرب شعراء ذلك العصر الى الثبات في الرأي فقد طلب يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب من الشعراء هجو يزيد المذكور فأبى الفرزدق وقال: « امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحداً وإنما يقبح بمنلى أن يكذب نفسه على كبر السن فليعفى أمير المؤمنين » فاعفاه (١)

ومن أقوال الفرزدق التي تجرى مجرى الامثال قوله:

فيا عجباً حتى كليب تسبني كان أباه نهشل ومجاشع
وقوله: وكنا اذا الجيار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الاخادع
« وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما احال على الدم
« احلامنا تزن الجيال رزانة وتخالنا جنا اذا ما نجهل
« فان تيج منى تيج من ذى عزيمة والا فاني لا إخالك ناجيا
« ترى الناس ماسرنا يسرون حولنا وان نحن أو ما نأنا الى الناس وقفوا

وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته:

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وللفرزدق ديوان مطبوع في جملة الدواوين الخمسة (النابعة وعروة وحاتم وعلقمة والفرزدق) بمصر سنة ١٢٩٣ وطبع على حدة في باريس سنة ١٨٢٠ وما بعدها مع ترجمة فرنساوية للمسيو بوشر عن نسخة خطية نقلوها بالفوتوغراف من مكتبة أباصوفيا في الاستانة. وطبعت تتمتها في مونيخ سنة ١٩٠٦ وفي دار السكتب المصرية نسخة خطية املاء محمد بن حبيب مشروحة. ومنه نسخ خطية أيضا في اكسفورد وليدن وغوطة وبرلين ولندن. وله طبعات أخرى

وترى أخباره في الاغانى ٢ ج ١٩ و ١٨٦ ج ٨ و ٦٥ ج ١ و ٦ ج ٦ و ١٧ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ وفي الشعر والشعراء ٤٨ و ٢٨٩ و ٣٠٦ و ٣١٤ وابن خلكان ١٩٦ ج ٢ و ١٠٣ و ١٨٥ ج ١ والمستطرف ٥٣ ج ١ و ١٤٢ ج ٢ والعقد الفريد ١٤٦ ج ١ والجمهرة ١٦٣ وخزانة الادب ١٠٥ ج ١ والدميري ٩ ج ١

٤ - الراعى

توفي سنة ٨٩٠ هـ

هو عبيد بن حصين النميرى من قبيلة نمير التي هجاها جرير في بيته المشهور وقد تقدم سبب نظمه . وقد سمي الراعى لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها . وهو شاعر فحل وكان مقدماً مفضلاً على سائر الشعراء حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فأبى ان يكف فهجاه بالقصيدة المتقدم ذكرها ففضحه ولذلك كان الراعى يقضى للفرزدق على جرير وهو السبب في هجو جرير له وبما سبق اليه من المعاني وقد أخذت عنه :

كان العيون المرسلات عشية شآيب دمع لم نجد مترددا
مزايد خرقاء اليبدين مسيفة أخب بهن الخلفان وأحفدا
ومن شعره في النساء قوله :

تحدثهن المضمرات وفوقنا ظلال الحدور والمطي جوامح
يناجيننا بالطرف دون حديثنا ويقضين حاجات وهن موازح
وقوله : طاف الخيال بأصحابي فقات لهم أم شذرة زارتنا أم الغول
لا مرحباً بابنة الاقيان إذ طرقت كأن محجرها بالفار مكحول
سود معاصمها جمع معاقصها قد مسها من عقيد الفار تفصيل

وهو معدود من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ما بال دفك بالفراش مذيلاً أقذي بعينك أم أردت رهيلاً

ونجد أخباره في الاغانى ١٦٨ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٢٤٦ وخزانة الادب

٥٠٤ ج ١ والجمهرة ١٧٢

٥ - أبو النجم الراجز

توفي سنة ١٣٠ هـ

هو الفضل بن قدامة من بني عجل من بكر وائل من رجاز الاسلام الفحول المقدمين وفي الطبقة الاولى منهم . وكان أبلغ من المعجاج في النعت ولم يكن الشعراء يعتقدون بالرجاز حتى نبغ المعجاج ورؤية وأبو النجم هذا . وقد عاصر المعجاج وجرى بينهما مراجعة . وذلك أن المعجاج خرج محتفلاً عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون فأنشدهم قوله :

« قد جبر الدين الاله فجير »

فذكر فيها ربيعة وهجاء فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له: «أنت جالس وهذا العجاج يهجوننا بالمربد وقد اجتمع عليه الناس» قال: «صف لي حاله وزيه الذي هو فيه» فوصف له فقال: «ابغني جملاً طححاناً قد أكثر عليه من الهناء» فجاء بالجميل إليه فأخذ سراويل له فجعل احدي رجليه فيها واتزر بالاخري وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد. فلما دنا من العجاج قال: «اخلع خطامه» فخلعه فأنشد: «تذكر القلب وجهلاً ما ذكر»

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد نياحه ورحله بالقطران حتى اذا بلغ الى قوله: «شيطانه اني وشيطاني ذكر» تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج

وكان أبو النجم يحضر مجلس عبد الملك فيأمره بالمفاخرة مع الفرزدق أو غيره من الشعراء المعاصرين. وكذلك كان يفعل هشام بن عبد الملك وسأل الشعراء مرة أن يصفوا ابلاً تعطر وترد وتصدر فقال أبو النجم أرجوزته التي مطلعها: «الحمد لله الوهوب المجزل» وهي من أفخر نظمه حتى أتى الى شطر يصف به الشمس فقال: «فهي في الأفق كمين...» وأراد أن يقول «الاحول» فتذكر ان هشاماً أحول فلم يتم البيت وأتم الأرجوزة فغضب عليه هشام وأمر بوجأ عنقه ونفيه. فنوسط له وجوه القوم فأقره هناك ولكنه طاش مرذولاً يأكل فضلات الناس حتى اذا أصاب هشاماً أرق فطلب اعرابياً يحدثه واشترط أن يكون أهوج ويروي الشعر. فخرج الخادم فلقى أبا النجم في المسجد بلباس رث فأخذه الى هشام فلما عرفه سأله عن حاله فقال: «أني أتغذى عند هذا وأتعشى عند هذا» فقال: «وما عندك من الولد» قال: «ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين» فسأله عما أوصاها عند الزفاف فقال «قلت للاولى واسمها برة:

أوصيت من برة قلباً حراً بالكلب خيراً والحماة شراً
لا تسأني ضرباً لها وجراً حتى تري حلوا الحياة مرأ
وان كسنتك ذهباً ودرأ والحمي عميهم بشر طراً»

فضحك هشام وقال: «فما قلت للاخري» قال: «قلت:

سبي الحماة وابتهى عليها وان دنت فازدلفى اليها
واوجمى بالفهر ركبتيها ومرفقيها واضربني جنبها

وظاهري التذر لها عليها لا تخبر الدهر به ابنتها»
فضحك هشام وأجازه . وكان قوى البديهة ومن شعره أرجوزة وصف بها
فهود عبد الملك فقال منها :

فهي ضوار من مضريات تريك آماقاً مخططات
سوداً على الاشداق سائلات تلوي بأذنان موقوفات

وزى أمثلة من الرجز في كتاب أراجيز العرب طبع في مصر سنة ١٣١٢ هـ
وديون العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وطبع في فينا سنة ١٨٩٦
وديون رؤبة بن العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وسنعود اليه
وأخبار أبي النجم في الاغانى ٧٧ جزء ٩ والشعر والشعراء ٣٨١ وخزانة
الادب ٤٩ جزء ١

٦ - الأحوص . وهو من الفحول لكننا نظراً لتغلب التشبيب عليه
سنترجمه مع المشبيين

شعراء السياسة

في الدور الثاني من العصر الاموى

كان الشعراء في صدر الدولة الاموية لا يزالون على انفة البداوة والبعده عن
الزلفى كما رأيت فلما صارت الدولة الى آل مروان وقام بها عبد الملك (سنة ٦٥ هـ)
وغلب على سائر الاحزاب وكان هو اديباً كثر الشعراء في أيامه وتقربوا اليه بمدحه
والطعن على أعدائه من آل الزبير أو الخوارج أو العلويين أو غيرهم . وظل بعضهم
على ولاء هؤلاء وكانوا من أنصارهم . على ان أكثر شعراء السياسة من أنصار
بنى أمية وقد تقدم ذكر بعضهم مع الفحول وأشهر من بقى منهم بضعة عشر شاعراً
أكثرهم ممن انتصر للامويين على ابن الزبير لانه كان بخيلاً على الشعراء وهم يطلبون
الجوائز . واليك تراجمهم ونجمع أنصار كل دولة أو حزب على حدة :

١ - أنصار بنى أمية

١ - أبو العباس الاعمى

اسمه السائب بن فروح مولى بنى الدئل فهو عربي بالولاء وليس بالنسب .
وأصله من اذربيجان فهو من جملة الشعراء الموالى الذين تكاثروا في الاسلام بمن
أسلم من غير العرب . وهو من شعراء بنى أمية المعدودين المقدمين في مدحهم

والتشيع لهم وانصباب الهوى اليهم . وكان يقيم في مكة وله أشعار كثيرة في مدح
بني أمية وهجاء ابن الزبير . ومن قوله يجرضهم على حربته :

أبني أمية لا أرى لكم شياً إذا ما التفت الشيع
سعة وأحلاماً إذا نزع أهل الحلووم فضرها النزع
أبني أمية غير انكم والناس فيما اطعموا طعموا
أطعمتم فيكم عدوكم فما بهم في ذاكم الطمع
فلو انكم كنتم كقومكمو مثل الذي كانوا لكم رجعوا
عما كرهتم أو لردهم حذر العقوبة انها نزع

وكان بنو أمية يحسنون جزاءه فيرسلون اليه عطاءه من الشام الى مكة . وكانت
قريش كلها تبهه للسانه وتقرباً إلى بني أمية ببهه . ولما قتل مصعب بن الزبير
سنة ٧١ هـ رثاه بأبيات لانه كان صديقه ففضب عبد الملك لذلك . فلما جاء مكة حاجا
في بعض السنين دخل عليه الاعيان على مراتبهم وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا
ودخل أبو العباس الاعمي فسأله عبد الملك عن مدحه مصعباً فاستعفاه وقال : « انما
رئيت لانه كان صديقي وقد علمت أن هواي أموي » قال : « صدقت ولكن
أنشدني قولك فيه » فأنشده :

رحم الله مصعباً فلقد مات كريماً وراماً امرأ جسيماً
فقال عبد الملك : « أجل لقد مات كريماً

« ولكنه رام التي لا يرومها من الناس الا كل حر معمم »
وكان ابن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتبع شيعة بني أمية فينتفيهم عن المدينة
ومكة فبلغه ان ابا العباس الاعمي يكاتب الامويين ويتجسس لهم ويمدحهم فدعا به
ثم كلموه بشأنه وأنه ضرير فعفا عنه ونفاه الى الطائف فهجاء وهجا سائر بني أسد
(عشيرة آل الذبير) بأبيات منها قوله :

بني أسد لا تذكروا الفخر أنكم متى تذكروه تكذبوا وتحمقوا
متى تسألوا فضلاً تضنوا وتبخلوا ونيرانكم في الشر فيها تحرق
إذا استبقت يوماً قريش خرجتم بني أسد سكا وذو المجد يسبق
نحيثون خلف القوم سوداً وجوهكم إذا ما قريش للاضاميم اصفقوا
وما ذاك الا أن للؤم طابعا يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

وهاجى عمر بن أبي ربيعة ثم بلغه أن عمر يرامي جارية له ينادق الغالية فقال

لقائده : « أوقفني على باب بني مخزوم فاذا مر ابن أبي ربيعة ضع يدي عليه » ففعل
فقبض على حجزته وقال :

ألا من يشتري جاراً نؤوماً بجار لا ينسام ولا ينيم
ويلبس بالنهار ثياب ناس واطر الليل شيطان رحيم
وأخباره في الاغاني ٥٩ ج ١٥ والشعر والشعراء ٣٦٦
٢ - أعشى ربيعة

توفي سنة ٨٥ هـ

اسمه عبد الله بن خارجة من شيبان (ربيعة) كان يقيم في الكوفة وهو مروان
المذهب يتعصب لبني أمية تعصبا شديدا . ومن قوله في آل مروان قصيدة أشدها
لعبد الملك بن مروان منها :

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بهتضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي عند جنابة ولا خائف مولاي من شرما أجنبي
ولان فؤاداً بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضاني في الشعر واللب أني أقول على علم وأعرف من أعني
فأصبحت اذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن

فقال عبد الملك : « من يلومني على هذا ؟ » وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة
تخوت ثياب وعشر فرائض من الابل وأقطعه الف جريب وقال له : « امض الى
زيد الكاتب يكتب لك بها » وأجرى له على ثلاثين عيلاً

وهذه عطايا تفسد الابن على أبيه . ودخل مرة على عبد الملك وهو يتردد في
الخروج لمحاربة ابن الزبير فقال له : « يا أمير المؤمنين ما لي أراك متلوماً ينهضك الحزم
ويقعدك العزم وتهم بالاقدام وتجنح الى الاحجام أفنذ لنصرتك وامض رأيك وتوجه
الى عدوك فجدك مقبل وجده مدبر وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون وكلمتهم
مفترقة وكلمتنا عليك بجمعة والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ولا يثبطك
عنه ناصح ولا يمرضك عليه غاش وقد قلت في ذلك ابيانا » فقال : « هاتها فانك
تنطق بلسان ودود وقلب ناصح » فقال :

آل الزبير من الخلافة كالتى عجل التناج بحملها فأحالها
أو كالضعاف من الحمولة حملت ما لا تطيق فضيحت أحمالها
قوموا اليهم لا تاموا عنهم كم للفؤاة اطلتمو امهالها

ان الخلافة فيكمو لا فيهم ما زلتمو اركانها وثماها
 أمسوا على الخيرات قفلا مقلقا فانض يمينك فافتتح اقفالها
 فضحك عبد الملك وقال : « صدقت يا ابا عبد الله ان ابا خبيب لقفل دون كل
 خير ولا تتأخر عن مناجزته ان شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل »
 وامر له بصلة سنية . واخباره في الاغانى ١٦٠ ج ١٦

نابغة بني شيبان

هو أيضاً من ربيعة كالأعشى واسمه عبدالله بن المخارق وكان بدوياً يقيم في البادية
 ويفد على خلفاء بني أمية في الشام فيمدحهم ويحجزون عطاءه . وكان نصرانياً وفي
 شعره كثير من ذكر الأنجيل والرهبان ونحوها . وقد مدح عبد الملك ودخل عليه
 يوماً وقد عزم على عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية العهد والمبايعة بها لابنه الوليد
 وكان المجلس حاقلاً بالناس على اثر فشل ابن الزبير وذهاب دولته فدخل النابغة وأنشده
 قصيدة لعل عبد الملك أوعز إليه ان يفعل ليحس الرأي العام كما فعل معاوية قبله —
 ومنها قوله بشأن الخلع :

آليت جهداً وصادق قسماً لرب عبد الله ينتصحو
 يظل يتلو الأنجيل يدرسه من خشية الله قلبه طفح
 لابنك أولى بملك والده ونجم من قد عصاك مطرح
 داود عدل فاحكم بسيرته ثم ابن حرب فانهم نصحو
 وهم خيار فاعمل بسنتهم واحي بخير واكده كما كدحوا

فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك باقرار ولا دفع فعلم الناس ان رأيه خلع
 عبد العزيز . وأدرك النابغة الوليد بن يزيد ومدحه ونال جوائز له وله قصيدة طويلة
 يصف بها الحمر وتخلص منها الى الفخر بن شيبان

واخباره في الاغانى ١٥١ ج ٦ وله ديوان خطي في دار الكتب المصرية

٤ - عدى بن الرقاع

هو عدى بن زيد من عاملة حى من قضاة كان شاعراً مقدماً عند بني أمية
 مداحاً خاصاً بالوليد بن عبد الملك وله بنت شاعرة يقال لها سلمى وكان منزله في
 دمشق فهو من حضرة الشعراء لا من باديتهم وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس
 الوليد المذكور ولم يجسر جرير على هجائه خوفاً من الوليد لانه هددته بالأذى اذا
 فعل . . ومن شعره في وصف ظبية قوله :

كالظبية البكر الفريدة ترتعي من أرضها قفراتها وعهادها
 خضبت لها عقد البراق جبينها من عركها علجانها وعرادها
 كالزين في وجه العروس تبدلت بعد الحياء فلاعبت أرآدها
 تزجى اغن كأن ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

وفي هذه القصيدة يذكر شعره وعلمه وحنكته :

ولقد أصبت من المعيشة لذة ولقيت من شظف الخطوب شدادها
 وعمرت حتى لست أسأل طالماً عن حرف واحدة لكي ازدادها
 صلي المليك على امرىء ودعته وأتم نعمته عليه وزادها
 ومن هذا البيت اقتبس الكتاب قولهم «وأتم نعمته عليك»
 ومن قوله في مدح عمر بن الوليد وفيه حكم :

وإذا نظرت الى أميرى زادنى ضناً به نظري الى الامراء
 تسمو العيون اليه حين يرونه كالبدر فرج بهمة الظلماء
 والاصل ينبت فرعه متأنلاً والكف ليس بنائها بسواء

وأخباره في الاغانى ١٧٩ ج ٨ والشعر والشعراء ٣٩١

٥ - أبو صخر الهذلي

واسمه عبد الله بن سلم من هذيل وكان متعصباً لآل مروان مدح عبد الملك
 وأخاه عبد العزيز وهجا ابن الزبير فحبسه ابن الزبير حتى مات وله نسب في امرأة
 من قضاة أحبها وتزوجها سواه . وتجد أخباره في الاغانى ٩٤ ج ٢١ وخزانة
 الادب ٥٥٥ ج ١

وهناك طائفة من أنصار بني أمية اضطروا والمدح آل الزبير لقيامهم بين أظهرهم
 ولأن أكثرهم كانوا يمدحون بعض أمراء بني أمية وليس خلفاءهم — ولو كانوا
 من شعراء الخلفاء ربما كانوا أثبت في مدحهم . منهم .

٦ - عبد الله بن الزبير الاسدي

هو غير ابن الزبير القائم بالدعوة في الحجاز . وهو شاعر هجاء يرهب شره
 نشأ في الكوفة وأقام فيها وكان متشعباً لبني أمية وذوى الهوى فيهم والتعصب
 والنصرة على عدوهم . وما زال كذلك حتى غلب مصعب بن الزبير على الكوفة فآبى
 به مرأاً فمن عليه ووصله وأحسن اليه فمدحه وأكثر وانقطع اليه فلم يزل معه

حتى قتل مصعب سنة ٧١ ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك . وأكثر مدائحهم في بشر بن مروان الاموي ومن قوله يمدحه :

كأن بني أمية حول بشر نجوم وسطها قر منير
هو الفرع المقدم من قريش اذا أخذت ما أخذها الامور
لقد عمت نوافله فأضحى غنياً من نوافله الفقير
جبرت مهيضنا وعدلت فينا فعاش البائس السكل الفقير
فأنت الغيث قد علمت قريش لنا والوا كف الجون المطير

ومن مديحه في أسماء بن خارجة قوله :

تراه اذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتيق الله سائله
ومن هجائه قصيدة بها يحيي بها عبد الرحمن بن أم الحكم مطلعها :
أبي الليل بالمران ان يتصرما كاتي أسوم العين يوماً محرماً
وأخباره في الاغانى ٣٣ جزء ١٣

٧ - أبو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة من بني أمية وكان يقيم في المدينة وهوام مع بني أمية فلما تمكن ابن الزبير من الحجاز نفاه مع من نفاه من بني أمية الى الشام فلما طال مقامه فيها قال :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا قباء وهل زال العقيق وحاضره
وهل برحت بطحاء قبر محمد أراهط غر من قريش تباكره
لهم منتهى حبي وصفو مودتي ومحض الهوى مني وللناس سائره
واكثر من ذكر المدينة والحجاز في شعره وشوقه الى الوطن فلم يعجب ذلك عبد الملك وتنقصه لرغبته في الحجاز عن الشام وبلغ ذلك أبا قطيفة فقال :

نبئت أن ابن العماس طابني ومن ذا من الناس البريء المسلم
فمن انتم من انتم خبروا فمن فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم
فبلغ ذلك عبد الملك فقال: « ما ظننت أنا نجهد . والله لولا رطابتي لحرمته لالحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط »

وبلغ ابن الزبير ما يقاسيه أبو قطيفة في سبيل حبه المدينة فبعث اليه أن يعود

الى بلده وهو آمن . فانكفأ الى المدينة فلم يصل اليها حتى مات . ونجد أخباره في
الآغاني ٧ جزء ١

سائر أنصار بني أمية

وهناك طائفة من أنصار بني أمية وفيهم من مدح الامراء دون الخلفاء أو مدح
الآتين . وربما اضطر بعضهم لمدح آل الزبير للأسباب التي تقدمت رأينا ذكر تراجعهم
يطول بنا فنكتفي بالإشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها لمن أراد الاطلاع على
أخبارهم وليس لاحد منهم ديوان معروف وهم :

٨ أمية بن أبي عائد الهذلي . مدح عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان . ترجمته
في الآغاني ١١٥ جزء ٢٠ وخزانة الادب ٤٢١ جزء ١

٩ جها الأشجعي . شاعر بدوي ليس ممن اتتبع الخلفاء بشعره ومدحهم .
ترجمته في الآغاني ١٤٦ جزء ١٦

١٠ الحكم بن عبد الاسدي . كان أعرج أحدب شاعراً هجاء خيث اللسان
مدح بعض آل مروان . ترجمته في الآغاني ١٤٩ جزء ٢ وفوات الوفيات ١٤٥ جزء ١

١١ شيب بن البرصاء : من ذبيان كان بدوياً لم يحضر الا وافداً أو منتجماً .
ترجمته في الآغاني ٩٣ ج ١١

١٢ عبد الله بن جحش : من الصعاليك كان يعجب بني أمية . الآغاني ١١٨ ج ١٧
١٣ المعجير السلولي : هو شاعر مقل عاصر عبد الملك وسليمان وهشاماً ترجمته في

الآغاني ١٥٢ ج ١١ وخزانة الادب ٣٩٩ ج ٢
١٤ عوف الفزاري : من قيس كان يقيم في الكوفة ويته من البيونات الفاخرة
في العرب . ترجمته في الآغاني ١٠٥ ج ١٧ وخزانة الادب ٨٧ ج ٣

١٥ الفضل بن العباس : من قرش حاصر الوليد بن عبد الملك . الآغاني ٢ ج ١٥
١٦ موسى شهوات : مولى قرش وأصله من اذربيجان . ترجمته في الآغاني

١١٨ ج ٣ والشعر والشعراء ٣٦٦

انصار آل المهلب

من آل المهلب

آل المهلب بيت من بيوت الاسلام من الازد اشتهروا بالكرم في أيام بني أمية
مثل اشتهار آل برمك في الدولة العباسية ونكبوا مثل نكبتهم وهم ينتسبون الى كبيرهم
المهلب بن أبي صفرة . عمل المهلب لبني أمية وحارب عنهم الازارقة وآخر ما تولى

من الاعمال بلاد خراسان تولاهما من جهة الحجاج يوم كان له العراقان . وما زال عليها حتى توفي سنة ٨٣ هـ وهو من كبار رجال الاسلام في تلك الدولة . وكان كريماً التماساً لحسن الاحدوثه ومن أقواله : « الحياة خير من الموت والتناء الحسن خير من الحياة ولو أعطيت ما لم يهطه احد لاجبت ان تكون لي اذن اسمع بها ما يقال في غدا اذا مت » فهو من طلاب الشهرة بالسخاء . وسار ابناؤه على خطواته فكثرت الشعراء الذين مدحوه . واشهر اولاده يزيد بن المهلب والمغيرة بن المهلب قاتل الخوارج وكانت له معهم وقائع ماثورة . ومنهم مخلد بن يزيد بن المهلب من الاسخياء المدوحين توفي سنة ١٠٠ هـ وحيب بن المهلب وغيرهم . اما الشعراء الذين مدحوهم فهالك اشهرهم

١ - زياد الاعجم

توفي سنة ١٠٠ هـ

هو من موالي عبد القيس من بني عامر بن الحرث وكان ينزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه فسموه الاعجم . وكان شاعراً جزل الشعر فصيح الالفاظ على لكنة لسانه مثل سائر الاطجم لا يستطيع لفظ العين . وقد مدح على الخصوص المغيرة بن المهلب وله فيه قصيدة يرثيه بها يزيد على خمسين بيتاً مطالعها :

قل للقوافل والقرى اذ افروا والبا كرين وللهجد الراح
ان المروءة والسباحة ضمنا قبرا بمرور على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف ساج

من لطيف اخباره مع حبيب بن المهلب انه جاء مرة الى المهلب في اصهان ومدحه فأمر له بجائزة فأقام عنده أياماً . وبينما هو جالس في عشية مع حبيب المذكور في دار له وفيها حمامة تسجع قال زياد بمخاطب الحمامة :

تغني أنت في ذممي وعهدي وذمة والدي ان لم تطاري
وبينك فاصلحيه ولا تخافي على صفر مزغبة صفار
فانك كلما غنيت صوتاً ذكرت أحبتي وذكرت داري
فاما يقتلوك طابت ناراً له نبأ لانك في جواربي

فقال حبيب : « يا غلام هات القوس » فقال له زياد : « وما تصنع بها » قال « أرمي جارتك هذه » قال : « والله لئن رميتها لاستعدين عليك الامير » فأني بالقوس فنزع لها سهماً فقتلها فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه بالحديث وأنشده الشعر فقال المهلب : « علي بابي بسطام » فأني بحبيب فقال له : « اعط أبا امامة دية

جارته ألف دينار « فقال : « أطال الله بقاء الامير انما كنت ألعب » قال « اعطه كما أمرك » فأعطاه

وعم الفرزدق أن يهاجي عبد الفيس موالى زياد فبعث اليه زياد : « لاتعجل حتى أهدي اليك هدية » فانتظر الفرزدق فبعث اليه يقول .

ما ترك الهاجون لى ان هجوته مصححاً أراه في ادبم الفرزدق
ولا تركوا عظما يرى تحت لحمه لكاسره أبقوه للمعرق
سأ كسر ما أبقوه لى من عظامه وانكت مخ الساق منه وانتقى
وانا وما تهدى لنا ان هجوتنا لكالبحر مها يلق في البحر يفرق

فلما بلغه الشعر قال : « ليس لى الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد »

ومع شاعريته كان كثير اللحن فى نظمه - ومن قوله يخاطب يزيد بن المهلب :

هل لك فى حاجتى حاجة أم أنت لها تارك طارح
أمتها لك الخير أم أحيها كما يفعل الرجل الصالح
إذا قلت قد أقبلت ادبرت كمن ليس غاد ولا رافع

ومن حيث هجائه قوله يهجو الاشاعر :

قبيلة خيرها شرها وأصدقها الكاذب الآثم
وضيفهم وسط آياتهم وان لم يكن صائماً صائم

ومن ماثور حكمه قوله :

وكان ترى من صامت لك معجب زيادته أو نفسه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق الا صورة اللحم والدم

وتجد أخباره فى الاغانى ١٠٢ ج ١٤ و ٥٨ ج ١٣ والشعر والشعراء ٢٥٧

وخزانة الادب ١٩٣ ج ٤ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١

٢ - ثابت قطنه

هو مولى بنى أسد بن الحرث واسمه ثابت بن كعب شاعر فارس شجاع كان فى صحابة يزيد بن المهلب وكان يوليه أعمالاً من أعمال التنوير فيحمد فيه مكانه لكتابته وشجاعته فضلاً عن شاعريته . ومن لطيف خبره أن يزيد ولاء عملاً فى خراسان فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال : « سيجعل الله بعد عسر يسراً أو بعد عي يباناً وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال

« وان لم أكن فيكم خطيباً فاني بسيفي اذجد الوغى لخطيب »
 وجالس ثابت قوماً من الشراء وقوماً من المرجئة وكانوا يجتمعون فيتجادلون
 في خراسان فقال الى قول المرجئة ونظم في هذا المذهب قصيدة وصفه فيها من
 جملتها قوله :

يا هند فاستمعي لي ان سيرتنا ان نعبد الله لا نشرك به أحداً
 زجبي الامور اذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن حار أو عندا
 المسلمون على الاسلام كلهم والمشركون استووا في دينهم قددا
 ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً م الناس شركا اذا ما وحدوا الصمدا
 لا نسفك الدم الا ان يراد بنا سفك الدماء طريقا واحدا جددا
 ومن نظمه قصيدة يحرض بها يزيد بن المهلب على الحرب (١) ولما قتل يزيد قال
 ثابت يرثيه :

كل القبائل تابعوك على الذي تدعو اليه وبايعوك وساروا
 حتى اذا حمس الوغى وجعلتهم نصب الأسننة سلموك وطاروا
 ان يقتلوك فان قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتل عار
 ومن فخرياته قوله :

تعففت عن شتم العشيرة إنني وجدت أبي قد كف عن شتمها قبلي
 حلها اذا ما الحلم كان مروءة واجهل احياناً ان التمسوا جهلي
 وأخباره في الاغاني ٤٩ ج ١٣ والشعر والشعراء ٤٠٠ وخزانة الادب ١٨٥ ج ٤

٣ - حمزة بن بيض

توفي سنة ١٢٠ هـ

هو حنفي من بكر وائل (ربيعه) من أهل الكوفة خلیع ماجن من فحول طبقته
 وكان منقطعاً لآل المهلب وولده ثم الى ابان بن الوليد وبلال بن أبي بردة واكتسب
 بالسفر الى هؤلاء مالا كثيراً - ذكروا أنه اكتسب نحو مليون درهم - فهو كان
 ينصرهم لمجرد الاستجداء بخلاف من تقدم . ومن قوله يخاطب مخلد بن يزيد بن المهلب
 وعنده الكميت :

اتيناك في حاجة فاقضها وقل مرحبا يجب المرحب
 ولا تتكلنا الى معشر متى يعدوا عدة يكذبوا

فانك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا
فأمر له بمائة الف درهم . ولما سجن يزيد بن المهلب دخل عليه حمزة وأنشده
أبياتا مطلعها :

اغلق دون السماح والجود والنجدة باب حديده أشب
فدفع اليه يزيد فص يا قوت باعه بثلاثين الف درهم
ولحمزة أخبار طويلة حسنة أكثرها مع يزيد المذكور وابنه مخلد . وله في عبد الملك
وابنه سليمان اقوال وأخبار تجدها في الاغاني ١٥ ج ١٥ وفوات الوفيات ١٤٧ ج ١

٤ - كعب الاشقرى

هو كعب بن معدان من الاشقرى قبيلة من الازد . شاعر فارس خطيب معدود
في الشجيمان من أصحاب المهلب وله ذكر في حروبه للازارقة وأوفده المهلب الى
الحجاج الى عبد الملك . وكان الفرزدق شديد الاعجاب به بعده رابع الثلاثة الفحول
(الفرزدق وجريير والاخلط) وأوفده المهلب الى الحجاج ليخبره عن واقعة جرت
له مع الازارقة فأنشده قصيدة مطلعها :

يا حفص انى عداني عنكم السفر وقد سهرت فأذى عيني السهر
ثم وصف المعركة الى أن قال :
خبوا كمينهم بالسفح اذ نزلوا بكازرون فما عزوا ولا نصروا
بانت كئائبنا تردى مسومة حول المهلب حتى نور القمر
هناك ولوا جراحاً بعدما هربوا وحال دونهم الانهار والجدر
نأبى علينا حزازات النفوس كما تبقى عليهم ولا ييقون ان قدروا
وهجاء زياد الاعجم وقد علمت أنه ينتمى لعبد القيس فقال كعب يهجو عبد القيس :
انى وان كنت فرع الازد قد علموا اخزي اذا قيل عبد القيس اخوالى
فيهم أبو مالك بالمجد شرفنى ودنس العبد عبد القيس سربالى
فرد عليه زياد يهجو الاشقر واشتد اللجاج فشكاه الى المهلب . فاستقدم زيادا
وطابه وصالحهما . واخبار كعب كثيرة تراها في الاغاني ٥٦ ج ١٣

٥ - يهس الجرمى

هو يهس بن صهيب من جرم (قضاة) شاعر فارس شجاع كان يبدو بنواحي
الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة ويحضر معهم في اجناد الشام . وقد صحب

المهلب بن أبي صفرة في حربه للازارقة وكانت له مواقف مشهورة . أول ما هاج شاعريته انه هوي امرأة من قومه اسمها صفراء وكان يتحدث اليها وبكتم وجدته لها ولا يخطبها لايها لانه كان صعلوكا لا مال له وكان ينتظر ان يثرى . وكان من أحسن الشبان وجها وبشرة وحديثاً وشعراً . فرأته صفراء يتحدث مع بعض نساء الحبي مرة فهجرتة . وعرض له سفر فخرج اليه وقد زوجها أبوها رجلاً من بني أسد فذكرها في قصيدة ثم ماتت قبل أن يعرفها زوجها فقال برثيها بقصيدة عبر بها عن شعوره بما ينطبق على الواقع على طريقة الجاهليين من ذلك قوله :

هل بالديار التي بالقاع من أحد باق فيسمع صوت المدج الساري

تلك المنازل من صفراء ليس بها نار تضيء ولا أصوات سمار

عفت معارفها هوجاً مغبرة تسفي عليها تراب الابطح الهاري

حتى تكرت منها كل معرفة الا الرماد نخيلاً بين أحجار

طال الوقوف بها والعين تسبني فوق الرداء بوادي دمعها الجاري

ان أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف أهو لديهم ولا صفراء في الدار

وله قصيدة في مدح محمد بن مروان لانه أجاره من نهمة كانت عليه منها :

وان محمداً سيعود يوماً ويرجع عن مراجعة العتاب

فيجبر صيتي ويحوط جاري ويؤمن بعدها أبداً صحابي

هو الفرع الذي بنيت عليه بيوت الاطيين ذوى الحجاب

ونجد أخباره في الاغاني ١٦١ ج ١٠ و ١٠٧ ج ١٩

ومن صحب آل المهلب ونصرهم بشعره :

٦ العديل بن الفرخ من ربيعة ترجمته في الاغاني ١١ ج ٢٠ وفي الشعر

والشعراء ٢٤٤ وخزانة الادب ٣٦٧ ج ٢

٧ المغيرة بن حبناء من تميم ترجمته في الاغاني ١٦٢ ج ١١ وخزانة

الادب ٦٠١ ج ٣

٨ يزيد بن الحكم من ثقيف ترجمته في الاغاني ١٠٠ ج ١١

٣ - أنصار العلويين او الهاشميين

كان أنصار العلويين من الشعراء كثيرين لكنهم لم يكونوا يجسرون على الظهور خوفاً من الامويين وهم أهل السيادة وربما مدحهم أحدهم سرّاً ثم يعدل الى مدح الامويين كما فعل الكعب بن زيد وغيره . وهالك أشهر أنصار العلويين :

١ - الكميث بن زيد

المتوفي سنة ١٢٦ هـ

هو الكميث بن زيد الاسدي شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها . من شعراء مضر وأسسها المنتهيين على القحطانية الفارعين اشعرائهم العلماء بالمثالب والايام المفاخرين بها . وكان مشهوراً بالتشيع لبني هاشم وقصائده فيهم تسمى الهاشميات وهي من جيد شعره وكانت أول منظوماته . وجاء الفرزدق وعرض عليه شعره فسمع له وهو يستخف به حتى بلغ الى قوله :

بني هاشم رهط النبي فاني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خففت لهم مني جناحي مودة الى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء . محباً على اني أذم وأغضب
وارمي وارمي بالعداوة أهلها واني لأوذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق : « يا ابن أخي أذع ثم أذع فأنت والله أسعر من مضى
وأشعر من بقي »

ويقال في سبب توسعه بعلم لغة العرب وأخبارهم انه كان له جدتان أدركتا
الجاهلية فسكاتتا تصفان له البادية وأمورها وتخبيرانه بأخبار الناس في الجاهلية فاذا
شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبيرانه عنه فمن هناك كان علمه . وهو من
أصحاب الملححات ومطلع ملحمته :

ألا لا أرى الايام يقضى عجيبها بطول ولا الاحداث تفتي خطوبها
وله مناقضات ومهاجاة لشعراء اليمن . وأراد القسري أن يسئ به الى بني أمية
فروى قصائده الهاشميات لجارية حسناء وأعددها ليهديا الى هشام بن عبد الملك
وكتب اليه بأخبار الكميث وأنفذ قصيدته التي يقول فيها :

فيارب هل الا بك النصر يتقى فيارب هل الا عليك المعول
وهي طويلة يرثي بها زيد بن علي (الهاشمي) ويمدح بني هاشم فأكبرها هشام
فكتب الى خالد عامله أن يقطع لسانه ويده فبها الى ذلك بعض أصدقائه ففر وقضى
زماناً مختلفاً ثم توسطوا له بالعمو وجاء الى هشام ومدحه بقصيدة أنشدها ايها مطلعها:
ماذا عليك من الوقوف بها وانك غير صاغر
الى أن قال :

قالآن صرت الى امية والامور الى المصائر

يا ابن العقائل للعقائل والجحاجة الاخير
 من عبد شمس والاكا بر من أمية فالاكابر
 ان الخلافة والا لا ف برغم ذي حسد وواغر
 وأنشده غيرها وغيرها فأجازه . وما سبق اليه في وصف الفرس قوله :
 يبحث الترب عن كواسر في الشر ب لا بحشم السقاة الصفيرا
 ومن جيد شعره قوله :

ألا لا أرى الايام يقضى عجيبها لطول ولا الاحداث تفتى خطوبها
 ولا عبرة الايام يعرف بعضها ببعض من الاقوام الا ليديها
 ولم أر قول المرء الا كذبه اه وبه محرومها ومصيدها
 وتوفي سنة ١٢٦ وله ستون سنة وكان يبلغ شعره لما مات ٥٢٨٩ بيتاً . والهاشميات
 مطبوعة بمصر وفي ليدن سنة ١٩٠٤ ولها شرح منه نسخة خطية في دارالكتب المصرية
 وللكميت ترجمة مطولة في الاغانى ١١٣ ج ١٥ والشعر والشعراء ٣٦٨ وخزانة الادب
 ٦٩ جزء ١ والجمهرة ١٨٧

٢ - أيمن بن خريم الاسدي

هو من بني أسد كان شديد التشيع لعلى وقد مدح بنى هاشم ومن قوله فيهم :
 نهاركم مكابدة وصوم وليلتكم صلاة واقترأ
 أجمعكم وأقواما سواء وبينكم وبينهم الهواء
 وهم أرض لارجلكم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماء
 على أنه اضطر الى مسابرة بنى أمية ومدح عبد الملك . وله في وصف النساء
 قصيدة بديعة نجدها مع سائر أخباره في الاغانى ٥ جزء ٢١ والشعر والشعراء ٣٤٥

٤ - انصار الخوارج وآل الزبير وغيرهم

ويقال نحو ذلك في أنصار سائر الاحزاب الذين كانوا على الامويين كالخوارج
 الشراة والازارقة وآل الزبير فان شعراءهم لم يكونوا يستطيعون الظهور ويندر ظهور
 أحدهم . وهاك أشهرهم :

١ - الطرماح بن حكيم

توفي سنة ١٠٠ هـ

هو من طي من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم نشأ في الشام وانتقل الى

الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشام واعتقد مذهب الشراة
والازارقة وكان معاصرا للكعبية المتقدم ذكره وكانا صديقين . وسئل كعبت مرة :
« لا شيء اعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماع على تباعد ما يجمعكما من النسب
والمذهب والبلاد وهو شامي قحطاني وأنت كوفي نزارى شيعى فكيف اتفقتما مع تباين
المذهب وشدة العصبية » فقال : « اتفقتما على بغض العامة »
وكان للطرماع والسكيت رغبة في الغريب يدخلانه في أشعارهما . ومن قول
الطرماع يمدح نفسه :

إذا قبضت نفس الطرماع اخلفت عرى المجد واسترخى عنان القصائد
ومن قوله في الفخر :

وما أنا بالراضى بما غيره الرضى ولا المظهر الشكوى ببعض الاماكن
ولا أعرف النعمى على ولم تكن وأعرف فصل المنطق المتغابن
وله قصائد كثيرة في هجو بني تميم . ومن لطيف ما قاله فيهم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوئا على ظهر قملة يكر على صفى تميم لولت
ولو أن حرقوصا بزقق مسكه إذا نهات منه تميم وعات
ولو جمعت يوما تميم جموعها على ذرة معقولة لاستقلت
ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لأ كنت
وهو من أصحاب الملححات ومطلع ملحمته :

قل في شط نهران اغتاضى ودعاني هوى العيون المراض

ومن قوله ويدل على مذهبه في الشراة :

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له ان لم أفر فوزة تنجى من النار
والنار لم ينج من روطاتها أحد الا المنيب بقاب الخالص الشارى
أو الذى سبقت من قبل مولده له السعادة من خلافتها البارى

وكان الاصمعى يستجيد قوله في صفة الثور :

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسلم ويغمد

وللطرماع ديوان طبع في انكلترا على يد لجنة تذكاري جيب مع ديوان الطفيل

ابن عوف بعناية المستشرق كرنكو Krenkaw وأخباره في الاغانى ١٥٦ جزء ١٠

والشعر والشعراء ٣٧١ وخزانة الادب ٤١٨ جزء ٣ والجمهرة ١٩٠

٢ - عمران بن حطان

توفي سنة ٨٩ هـ

هو من سدوس من بكر وائل شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم المقدمين في مذاهبهم وكان من القعدة لان عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقنصر على الدعوة والتجريض بلسانه وهو مغال في التعصب على علي يؤيد ذلك قوله في مدح ابن ملجم قاتل علي وهو :

لله در المرادي الذي سفكت كفاء مهجة شر الخلق انسانا
أمسى عشية غشاها بضربته مما جناه من الآثام عريانا

وأخذ هذا المذهب عن امرأته لانها خارجية تزوجها ليردها عن مذهبها فذهبت به الى رأيهم وكان الحجاج يلح في طلب عمران بن حطان . وبلغه ان غزاة الحرورية دخلت على الحجاج فتحصن منها وأغلق عليه قصره فكتب اليه عمران :

أسد علي وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صغير الصافر
هلا برزت الى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزاة قلبه بفوارس تركت مدايره كأمس الدابر

ثم لحق بالشام ونزل على روح بن زنباع . واشتهر شعر ابن حطان في عصره حتى كان لا يقول أحد من الشعراء شعراً الا نسب اليه لشهرته الا من كان مثله في الشهرة ، ومر بالفرزدق وهو ينشد وكان يتهمه انه يقول للاستجداء فيكذب فقال فيه :

أيها المساح العباد ليعطى ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم وارج فضل المقسم العواد
لا تقل بالجواد ما ليس فيه وتسمى البخيل باسم الجواد

وكان عمران يفتخر أنه لم يكذب في شعره ومن ذلك قوله مخاطب امرأته حمزة :

يا حمز اني علي ما كان من خلقي ممن بخلات صدق كلها فيك
الله يعلم اني لم أقل كذباً فيما علمت واني لا أزكيك

وأخباره في الاغانى ١٥٢ ج ١٦ وخزانة الادب ٤٣٦ ج ٢

٣ - عبد الله بن الحجاج الذبياني

توفي سنة ٩٥ هـ

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن من ذبيان ويكنى أبا الاقرع . شاعر فانتك
شجاع من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والنجدة فيهم وكان ممن خرج مع
عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . فلما تغلب عبد الملك على عمرو خرج
عبد الله مع نجدة بن طامر الحنفي ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير فكان معه الى
ان قتل . ثم جاء الى عبد الملك متنكراً واحتال عليه حتى آمنه في حديث طويل
وعاش الى زمن الوليد بن عبد الملك ووثي به فحبسه فقال وهو في الحبس
قصيدة من جملتها :

فان يعرض أبو العباس عني ويركب بي عروضاً عن عروض
ويجعل عرفه يوماً لغيري ويبغضني فاني من بغيض
فاني ذو غني وكرم قوم وفي الاكفاء ذو وجه عريض
وأخباره في الاغانى ٢٥ > ١٢

٤ - اسماعيل بن يسار النسائي

توفي سنة ١١٠ هـ

هو مولى بني تيم (من قريش) انقطع لآل الزبير . ولما استتب الامر
لعبد الملك بن مروان وفد اليه ومدحه ومدح الخلفاء من ولده كما فعل غيره ولكنهم
كانوا يضمرون السكره لهم ويمثل ذلك ما جرى لاسماعيل هذا وقد وفد على الغمر
بن يزيد بن عبد الملك يوماً فحجبه ساعة ثم اذن له فدخل يبكي فقال له الغمر : « مالك
يا أبا فائد تبكي » فقال : « وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي احجب
عنك » فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكي فما سكت حتى وصله الغمر بمجملتها لها قدر
وخرج من عنده فلحقه رجل فقال له : « اخبرني ويحك يا اسماعيل أي مروانية كانت
لك أو لا ييك » قال : « بغضنا ايام امرأته طالق إن لم تكن امه تلعن مروان وآله كل
يوم مكان التسبيح وان لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له قل لا اله الا الله فقال
لعن الله مروان تقربا بذلك الى الله تعالى »

وعاش اسماعيل عمراً طويلاً وكان شعوبياً يفخر على العرب بالعجم ومن قوله :
أما سمى الفوارس بالفرس من مضاهاة رفعة الانساب
فاتركي الفخر يا امام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب

واسألى ان جهلت عنا وعنكم
 اذ زبى بناقنا وتدسو
 ومن أقواله في الغزل من قصيده :
 حتى دخلت البيت فاستذرفت
 ثم انجلى الحزن وروحاته
 فبت فيما شئت من نعمة
 حتى اذا الصبح بدا ضوءه
 خرجت والوطء خفي كما
 واخباره في الاغاني ١١٩ ج ٤

سائر أنصار أعداء بني أمية

ومن انصار أعداء بني أمية غير من تقدم جماعة نكنتي بذكر ما أخذ تراجمهم
 وعم : ٥ ابو وجزة السعدي من هوازن توفي سنة ١٣٠ مدح آل الزبير . أخباره في
 الاغاني ٧٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٤٤٢
 ٦ أبو حزابة من انصار ابن الاشعث . أخباره في الاغاني ١٥٢ ج ١٩
 ٧ أبو كلدة اليشكري من بكر من أنصار ابن الاشعث سكن الكوفة وقتله الحجاج
 أخباره في الاغاني ١١٠ ج ١٠

شعراء الغزل والتشبيب

في العصر الاموي

قلنا في كلامنا عن التشبيب ان امام التشبيب في هذا العصر جميل بن معمر امام
 المهين وكان يشبب بحبيبتيه عن شعور حقيقي بالحلب فقلده الشعراء بذلك وان لم
 يكونوا محبين . على أن اكثرهم ابتلوا بالعشق ولا سيما آل عذرة . وبلغ عدد المشبيين
 بضعة وعشرين شاعراً منهم خمسة من قريش هم عمر بن أبي ربيعة والعرجي والحارث
 ابن خالد وأبو دهل وابن قيس الرقيات وعروة بن أذينة وامامهم عمر بن أبي ربيعة
 وهو أول من تجرأ على التشبيب بالنساء وصارت له فيه طريقة تحداها الشعراء بعده
 من قريش وغيرهم كما سيحيى فبدأ بجميل ثم نذكر الشعراء القرشيين وغيرهم

جميل بن معمر

توفي سنة ٨٢ هـ

هو جميل بن عبد الله بن معمر من عذرة وكان شاعراً فصيحاً مقدماً جامعاً للشعر

والرواية اشهر بحبه بئينة ابنة عمه ولذلك عرف بجميل بئينة وكانا يقيمان في وادي
القرى وكان أول عهده بها وهي صغيرة . ومن أوائل نظمه فيها قوله :

وأول ما قاد المودة بيننا بوادي بغيض يا بئين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمنته لكل كلام يا بئين جواب

ولم يكن يراها حتى صارت شابه فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشهر أمره
واتفق مرة ان توبة بن الحمير صاحب ليلى مر بينى عذرة فرأته بئينة فجعلت
تنظر اليه وجميل حاضر فنارت الغيرة في قلب جميل فقال لتوبة من انت قال أنا
توبة بن الحمير قال هل لك في الصراع قال ذلك اليك . فاعطته بئينة ملاءة حمراء
فاتزر بها ثم صارعه فصرعه جميل . ثم قال هل لك في النضال قال نعم ففاضله فضله
جميل . ثم قال هل لك في السباق قال نعم فسابقه فسبقه جميل . فقال توبة : « يا هذا
انما تفعل ذلك بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا الوادي » فهبط فصرعه توبة
ونضله وسبقه

وكان عند بئينة مثل ما عند جميل ولما رأت مناقضته ضها زادت شغفاً به
ولكنهما لم يكونا يجتمعان الا خلسة على موعد . ولم يكن جميل يخلو من الرقباء
لكنهم لم يستطيعوا رميه بريية وأخباره معها كثيرة لا يسعها هذا المقام . وما زال
يجتمع بها سرأ عن أهلها فألحوا بالشكوى عليه الى العامل ففر الى اليمن حتى عزل
العامل واتجع أهل بئينة الشام فرحل جميل اليهم فترصدوه وشكوه الى عشيرته
فغنفه أهله وهددوه فانقطع عنها وأخيراً لجأ الى مصر وطاملها عبد العزيز بن
مروان فأحسن وفادته ومرض هناك ومات . وكان طويل القامة عريض ما بين
المتكئين جميل الحلقة حسن البشرة . ومن قوله فيها :

وانى لأرضى من بئينة بالذي لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبان لا أستطيع وبالمني وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي أواخره لا نلتقى وأوائله

ومن قوله أبيات ينسبونها الى مجنون ليلى :

وما زلت يا بئن حتى لو انى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
اذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت أنت دطانيا
وما زادنى النأي المفرق بمدكم سلواً ولا طول التلاقي تلاقيا
ولا زادنى الواشون الا صبابه ولا كثرة الناهين الا تماديا

لقد خفت ان ألقى المنية بغنة وفي النفس حاجات اليك كما هيا
ومن بديع قوله في النسب :
لها في سواد القلب بالحب منعة هي الموت أو كادت على الموت تشرف
وما ذكرتك النفس يا بن مرة من الدهر الا كادت النفس تنلق
وما استطرفت نفسي حديثاً حللة اسر به الا حديثك أطرف
واكثر شعره فيها وله ابيات في الفخر بليغة منها :

بجب الغواني البيض ظل لوائسا اذا ما اتانا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا فان نحن أو مانا الى الناس وقفوا
وكنا اذا ما معشر نصبوا لنا ومرت جواري طيرم وتعيقوا
وضعنا لهم صاع الفصاص رهينة بما سوف نوفيها اذا الناس طففوا
ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهوراً في أيام ابن خلكان ولم نقف على خبره
ولكن منه أشعاراً بمجموعة في كتاب منه نسخة خطية في مكتبة برلين
وترى ترجمة جميل في الاغاني ٧٧ ج ٧ و ٨٠ ج ١٠ و ١٣٤ و ١٤٢ ج ٢
وابن خلكان ١١٥ ج ١ وخزانة الادب ١٩١ ج ١ والشعر والشعراء ٢٦٠
وفي الهلال ٢٤٢ سنة ٦

شعراء قريش الغزليين

١ - عمر بن أبي ربيعة

توفي سنة ٩٣ هـ

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة من مخزوم بطن من قريش . وكانت العرب
تقر لقريش بالتقدم عليها في كل شيء إلا الشعر حتى ظهر عمر بن أبي ربيعة
فأفرت لها به

واختص عمر المذكور شعره بوصف النساء ولم يصف سواهن . وكان الاسلام
لا يزال في أوائله والمسلمون يستكفون من التعرض للنساء والتشبيب بهن . ولم
يجرؤا ابن أبي ربيعة على ذلك الا لمنزلته في قريش ومع ذلك فقد عدوا شعره ضرراً
على الآداب فقد قال ابن جريج « ما دخل العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن
من شعر ابن أبي ربيعة » وقال هشام بن عروة « لا ترووا فتيانكم شعر عمر بن

أبي ربيعة لثلاثا يتورطوا في الزنا تورطاً» (١) وكان أخوه الحارث يمنعه من شعره
ويدفع اليه المال ليكف عنه فلا يقدر

وقد اقتبس عمر من جميل وقلده . وكان جميل يشبب بحبيبه أما عمر فكان
يشبب بكل جميلة ولو لم يكن بينه وبينها مودة . وصار له في التشبيب طريقة
عرفت باسمه تحداها الشعراء . ولما سمع الفرزدق تشبيهه قال : « هذا الذي كانت
الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه » وكانوا لذلك يعدونه
أنسب الناس وأوصف الشعراء لربات الجمال . وكان يقيم بمكة فإذا آن الحج اعتمر
في ذي القعدة ولبس الحلل الفاخرة وركب النجائب المحضوبة بالحناء عليها القطوع
والديباج وسبب لفته وتقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ويتلقى
المدنيات الى مر ويتلقى الشاميات الى الكديد . ويتعرض للحجاج فيشبب بشهيرات
النساء اللواتي يقدمن الى مكة وهن في مشاعر الحج أو ينظر اليهن وهن في الطواف
فيرى منهن ما لا يراه في الخارج فيصفهن . فتعرض لاشهر نساء العرب وأجلهن
وفيهن جماعة من كبار القوم وفي جملتهن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة
ولكن لم يكن يذكر اسمها خوفاً من أيها ومن الحجاج . وكان أبوها قد بعث اليه
يتوعده اذا ذكرها فلما عادت من الحج قال فيها :

كدت يوم الرحيل أفضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الحو ف ودعني يسيل كل مسيل
ذرفت عينها وقاضت عيوني وكلانا يلقى بلب أصيل

ومن شبب بهن عائشة بنت طلحة الشهيرة بالجمال والتعقل وكان قد رآها
تطوف فعلمت انه لا يبرح ان يشبب فيها فبعثت اليه مع جاريتها تقول : « اتق الله
ولا تفعل هجراً » فأجابها : « اقرئها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول الا حسناً »
وقال أحياناً منها :

لعائشة ابنة التيمي عندي حمي في القلب ما برعى حماها
بذكرني ابنة التيمي ظبي يرود بروضة سهل رباها
فقلت له وكاد براع قابي فلم أر قط كاليوم اشتباها
سوى خمش بساقتك مستيين وان شواك لم يشبه شواها
وانك عاطل عار وليست بعارية ولا عطل يداها

وشبب أيضا بلبابة بنت عبد الله بن عباس بأبيات مطلعها :
 ودع لبابة قبل أن تترحلا وأسأل فان قلالة ان تسألا
 وشبب بسكينة بنت الحسين من قصيدة قال فيها :
 اسكين ما ماء الفرات وطيبه منا على ظمأ وحب شراب
 بألذ منك وان نأيت وقلما ترعى النساء أمانة الغياب
 وشبب بالثرثيا بنت علي بن عبد الله بن الحرث وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل
 وفي ذلك يقول عمر :

أيها المنسكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يجتمعان
 هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان
 وشبب أيضا برملة بنت عبد الله بن خائف أخت طلحة الطلحات وغيرها
 وشعره كثير ومنه طائفة حسنة يغنونها . ومما يستحسن من شعره قوله في نحوول البدن :
 رأيت رجلا اما اذا الشمس طارضت فيضحى واما بالعشى فيخصر
 قليلا على ظهر المطية شخصه خلا ما نبي عنه الرداء المحسبر
 وأخباره كثيرة ذكرها صاحب الاغانى مطولة من ٣٠ ج ١ والشعر والشعراء
 ٣٤٨ وابن خلكان ج ١ ٣٧٨ والدميري ٢٢٦ ج ١ والعقد الفريد ١٣٢ ج ٣
 وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٩٣ وفي مصر سنة ١٣١١ ومنه نسختان
 خطيتان في دار الكتب المصرية

٢ - العرجي

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الخليفة كان من شعراء قريش
 وقد شهر بالغزل وتشبه بعمر بن أبي ربيعة وكان مشغوقاً باللهو والصيد قابل المحاشاة
 لاحد فيها ولم يكن له نباهة في أهله . وكان أشقر أزرق العينين جميل الوجه وقد
 شبب بوحيداء أم محمد بن هشام الخزومي ليفضح ابنها لا لحبة بينهما . فقضى عليه محمد
 وضربه وجبسه حتى مات في السجن
 وكان يشبب أيضاً بشهيرات النساء بالجمال نحو ما كان يفعل ابن أبي ربيعة
 لكنه كان مقلداً فلم يبلغ مبلغه وكان يقلده بالبدخ فيستسقى على ابله في شماتين ثم
 يفتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار . ومما قاله في حبسه :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد نفر
 وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أستنها بنحري

أجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظمتي وصبري
 كأنني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتني في آل عمرو
 وأخباره كثيرة منشورة في الاغانى ١٥٣ ج ١ و ٩٠ ج ٦ و ١٤٥ ج ٢ والشعر
 والشعراء ٣٦٥

٣ - الحارث بن خالد المخزومي

هو أيضا من مخزوم مثل عمر بن أبي ربيعة وقد اتبع مذهبه في الفزل
 لا يتجاوزها الى المديح أو الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة وبشيب بها . وكان
 ذا قدر وخطر ومنظر في قريش وأخوه عكرمة بن خالد محدث جليل . وكان
 بنو مخزوم جميعاً من حزب ابن الزبير الا الحارث فكان منحازاً لعبد الملك بن
 مروان فولاه مكة . وكان يراقب الحج كما يفعل ابن أبي ربيعة وبشيب بمن يسحسها
 من النساء وهن في الطواف

ومن قوله في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير ورحل بها الى العراق:

ظنن الامير بأحسن الخلق وغدا بلبك مطلع الشرق
 في البيت ذى الحسب الرفيع ومن أهل التقى والبر والصدق
 فظلت كالمقهور مهجته هذا الجنون وليس بالعشيق
 أنرجة عبق العير بها عبق الدهان بجانب الحق
 ما صبحت أحداً برؤيتها الا غدا بكواكب الطلق

وله أقوال كثيرة ذكرها صاحب الاغانى ١٠٠ ج ٣ وخزانة الادب ٢١٧ ج ١

٤ - أبو دهبيل الجمحي

اسمه وهب بن زمعة من أشراف بني جمح من قريش وكان رجلاً جميلاً له
 جمة شعر يرسلها فتضرب منكيه . وكان عفيفاً قال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي
 طالب ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وكان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن
 ولكنه شغل عن ذلك بالنزول لانه هوى امرأة من قومه اسمها عمرة وكانت جزلة
 يجتمع اليها الرجال للمجادثة وانشاد الشعر والاختبار فكان أبو دهبيل لا يفارق
 مجلسها وكانت هي أيضا تحبه ففارت امرأة منها فبعثت اليها عجوزاً داهية وشت به
 حتى احتجبت عنه فقال :

وبت كئيباً ما أنام كأنما خلال ضلوعى جرة تنوهج

فطوراً أمني النفس من غمرة المنى وطوراً اذا ما لج بي الحزن انشج
لقد قطع الواشون ما كان يتنا ونحن الى ان يوصل الجبل أحوج
وقد شبب في غيرها من شهرات النساء منهن عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان
وقد جاءت للحج فنزلت بذي طوى من مكة وقد اشتد الحر فأمرت جواربها
فرفعن الستر فرأبو دهب فرآها وهي لا تعلم فلما رآته ينظر اليها غضبت وشتتمته
وأمرت بارخاء الستر . فقال أبو دهب في ذلك :

أني دعاني الحين فاقننادني حتى رأيت الظبي بالبواب
يا حسنه إذ سبني مدبراً مستتراً عنى بجلباب
سبحان من وقفها حسرة صبت على القلب باوصاب
يدود عنها ان تطلبتها أب لها ليس بوهاب
أحلبها قصرأ منيع الذرا يحمى بابواب وحجاب

وأشد أبو دهب هذه الايات بعض اخوانه فشاعت وغنى بها المغنون قبلت
عاتكة فبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما . فلما صدرت عن مكة خرج معها
الى الشام . فلما دخلت دمشق انقطعت عن لقائه في دمشق فنظم في ذلك
قصيدة مطلعها :

طال ليلى وبت كالمحزوف ومللت النواء في جيرون

وبلغ معاوية تشيبيه بابنته فأحب ان يمنعه بأسلوب من أساليبه الناعمة فدماه
اليه وأخبره انه اطلع علي ما قاله . فأراد أبو دهب ان يتصل ويزعم انها
قبلت عن لسانه فأكد له معاوية أنها له ولكنه قال : « لا خوف عليك من
جهتي ولكنني أخاف عليك من يزيد فان له سورة الشباب وأنفة الملوكة » فخاف
أبو دهب وخرج الى مكة هارباً . لكنه عاد الى مكاتبة عاتكة وبلغ ذلك معاوية
فحج . ولما انقضت أيام الحج دعا أبو دهب في جملة الشعراء والاشراف وأجازه
وسأله عن أحب بنات عمه اليه فقال فلانة فقال « قد زوجتكها وأصدقته ألفي دينار
وأمرت لك بألف دينار » فلما قبضها طلب العفو عما مضى ولم يتزوج الفتاة فسر
معاوية من ذلك . وأكثر شعره غير الغزل في عبد الله بن عبد الرحمن الازرق
والى اليمن

ولأبي دهب أخبار طويلة ذكرها صاحب الاغانى ١٥٤ ج ٦ وله أشعار في

الشعر والشعراء ٣٨٩

٥ - ابن قيس الرقيات

توفي سنة ٧٥ هـ

اسمه عبيد الله بن قيس من قريش وكان ممن انحاز الى ابن الزبير وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ومدحه وطعن في بني أمية ثم انحاز الى عبد الملك بعد قتل مصعب وعبد الله فأمنه . فقال بمدحه من قصيدة :

ان الاغر الذي أبوه أبو الـ ماصى عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
فقال له عبد الملك : « يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول
في مصعب :

أما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملاسه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
أما الامان فقد سبق ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً »

أما تفزله فقد كان في امرأة كوفية كان ينزل عندها اسمها كثيرة وله في أخرى اسمها رقية. على ان غزله أقل من غزل سائر من تقدم من الشعراء القرشيين ولكن طائفة من شعره يبنونها . ومن شعره في رقية ويعنى به :

رقىء بعيشكم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطينا
عدينا في غد ما شئت إنا نحب وان مطلت الواعدينا
فاما تنجزى عدتي واما نعيش بما تؤمل منك حيناً
وله فيها أيضا :

وترى في البيت صورتها مثل ما في البيعة السرج
خبروني هل على رجل عاشق في قبلة حرج

وترى أخباره في الاغانى ١٥٥ ج ٤ وفي الشعر والشعراء ٣٤٣ وخزانة الادب ٢٦٧ ج ٣ وله ديوان طبع في فينا سنة ١٩٠٢ مع ترجمة ألمانية . وقد شرحه السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية من الشرح المذكور

سائر الشعراء الغزاليين

يكاد لا يخلو شاعر من أبيات غزلية قالها عن حب أو تشبيب ولكن المراد بشعراء الغزل الذين أكثر قولهم فيه وقد تقدم ذكر بعضهم واليك الباقي :

١ - مجنون ليلى

هو قيس بن الملوح ويقال بن معاذ بن مزاحم من عامر بن صعصعة ويعرف بمجنون ليلى نسبة الى ليلى التي كان يتعشقها وهو مشهور . ولكن بعض أهل النقد من علماء الشعر يرون ان قصته موضوعة وضعها رجل من بني أمية كان يحب ابنة عم له يكره ان يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التي يظنها الناس للمجنون . وقد زاد الناس فيه بعدئذ . ويؤيد ذلك ان كثيراً مما ينسب اليه من الاشعار روى لغيره . فقصته اذاً من قبيل الشعر التمثيلي (درام) الذي يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهي تمثل المشق مع التعفف أو لعل لها أصلاً قليلاً وزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنزة التي تمثل الشجاعة والعشق

وفي كل حال فان بين الاشعار المنسوبة الى المجنون طائفة تمثل شعائر المحبين كما هي على طبيعتها . وديوان مجنون ليلى شائع ومتداول . ومما ينسب اليه قوله :

وأي لينيبي لقاوؤك كلما لقيتك يوماً ان أبئك ما يبسا
وقالوا به داء عياء أصابه وقد علمت نفسي مكان دوائيا

وقوله :

فوالله ثم الله اني لدائب أفكر ما ذنبي اليها وأعجب
ووالله ما أدري علام قتلني وأي أموري فيك يا ليل أركب
أقطع جبل الوصل والموت دونه أم اشرب رنقاً منكم ليس يشرب
أم اهرب حتى لا أرى لى مجاوراً أم اصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيها يا ليل ما ترتضينه فاني لمظلوم وإني لمتعب

وأخبار المجنون في الاغانى ١٦٧ ج ١ والشعر والشعراء ٣٥٥ وخزانة الادب

١٧٠ ج ٢ وله ديوان مطبوع في القاهرة ١٣٠٠ هـ وفي بيروت سنة ١٨٨٢ م
ثم طبع مراراً ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وفي مكاتب تونس وبرلين
وباريس واياصوفيا وغيرها

٢ - كثير عزة

توفي سنة ١٠٥ هـ

هو كثير بن عبد الرحمن من خزاعة ويعرف بكثير عزة نسبة الى عشيقته التي كان يشبب بها وكان يدخل على عبد الملك وينشده وكان رافضياً شديداً التعصب

لآل أبي طالب . وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره . فاذا أراد ان يصدقه بشيء حلفه بعلي وكان له صديق اسمه خندق الاسدى شديد التشيع مثله وبلغ من جرأة خندق هذا انه وقف مرة في الموسم والناس مزدحمون وقال : « أيها الناس انكم على غير حق قد تركتم بيت نبيكم والحق لهم وهم الأئمة » فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ودفن خندق بقنونا فقال اذ ذاك كثير يرثيه :

أصادرة حجاج كعب ومالك على كل عجلي ضامر البطن محنق
بمريثة فيها ثناء مخبر لأزهر من أولاد مرة معرق

والقصيدة طويلة . أما معشوقته عزة فهي بنت حميد بن وقاص من ضمرة وكانت من أجل النساء وآدبهن وأعقلهن ويقال إنه لم ير لها وجهاً الا انه استهم بها قلبه لما ذكر له عنها . وعاتبه بعض أهلها فقالوا : « قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك » فقال : « اني لا أذكرها بما تكرهون »

واتفق خروجهم الى مصر في عام الجلاء فنبههم على راحلته فزجروه فأبى الا أن يلحقهم فتربص له بعضهم في بعض الطريق وقبضوا عليه وجعلوه في جيفة حمار وربطوها عليه فمر به صديقه خندق فأطلقه وألحقه ببلاده . وكان كثير دمياً قليلاً أحمر اقيشر عظيم الهامة قبيحاً . وأكثر أشعاره في عزة هذه . من ذلك قوله لما أخرجت الى مصر :

وقال خليلي ما لها اذ لقيتها غداة السنا فيها عليك وجوم
فقلت له ان المودة ينسا على غير فحش والصفاء قديم
واني وان أعرضت عنها تجلداً على العهد فيما ينسا اقيم
وان زماناً فرق الدهر ينسا وبينكم في صرفه لمشوم

وقوله وبه يعني :

وكنت اذا ما جئت اجلان مجلسي وأظهرن مني هيبة لا تنجها
بجاذرن مني غيره قد عرفتها قديماً فما بضحكنا الا تبسها

ومن أحسن شعره قوله :

أغاضر لو شهدت غداة بنم حنو العائذات على وسادي
أوبت لوامق لم تشكبيه نوافذه تلذع بالزناد

ومن قوله في الحكم :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عائب

ومن يتبع جاهداً كل عثرة يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب
ويختار من قوله :

وأجمع هجرانا لا سماء ان دنت بها الدار لا من زهدة في وصلها
فان شحطت يوماً بكيت وان دنت تذلت واستكثرت باعزازها
ومن منتخبات قوله في عزة قصيدة طويلة مطلعها :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكا ثم ابكيا حيث حات
وقوله وفيه افراط :

ومشى الى بعب عزة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها
ولو ان عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها

وأخباره كثيرة تجدها في الاغانى ٤٦ ج ١١ و ٢٧ ج ٨ و ٧٨ ج ٧ والشعر
والشعراء ٣١٦ وابن خلكان ٤٣٣ ج ١ والمقد الفرید ١١٥ و ٢٠٣ ج ١ وخزانة
الادب ٣٨١ ج ٢ وله ديوان شرحه أبو عبد الله الرشيدى منه نسخة خطية في
الاسكوريال

٣ - ابن ميادة

هو الرماح بن يزيد بن ثوبان من ذبيان وكان أحمر صبطا عظيم الخلق طويلا
طويل اللحية وكان لباسه عطراً وذكروا انه أشعر غطفان في الجاهلية والاسلام
وكان خيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس وكان النابغة يمدح اليمن
(الفحطانية) ومما يؤثر من قوله في الشعر وقد قيل له مرة : « لو أصلحت شعرك
لذكرت به لانه فيه كثير من السقط » فقال : « انما الشعر كنبيل في جفرك ترمي به
الغرض فطالم وواقع وعاصد وقاصد »

وطاصر بن ميادة الوليد بن يزيد ومدحه وأدرك أول الدولة العباسية فمدح
المنصور وجعفر بن سليمان فهو من أهل الدور الثالث وإنما ذكرناه هنا لانه من الشعراء
الغزليين وأحب امرأة من بني مرة اسمها أم حجدر وكان يختلف اليها فلم أبوها
وغضب واقسم أن لا يزوجه رجل من ذلك البلد فزوجها رجلا من الشام فقال ابن
ميادة من شدة الوجد :

خليلى من افناء عذرة بلغا رسائل منا لا تزيد كما وقرا
أما على تباء نسأل يهودها فان لدى تباء من ركبها خبرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها عليه فسل من ذاك تبا ن فالغمر

ويا ليت شعري هل يحلن أهلها واهلك روضات بطن اللوى خضرا
ولابن ميادة موافقات مع الحكم الحضري وأراجيز طوال ومفاخرات مع عقال
ابن هاشم ذكر صاحب الاغانى بمضها وهي منتقيات . وله في مدح الوليد
قصيدة مطلعها :

يا أطيب الناس ريقا بعد هجرتها وأملح الناس عيناً حين تنتقب
ولما مات الوليد رثاه . فلما قامت الدولة العباسية مدح المنصور
وأخبار ابن مياده كثيرة في الاغانى ٨٨ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨٤

٤ - الاحوص

توفي سنة ١٠٥ هـ

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الاوس من أهل المدينة وكان مثل سائر
شبان يثرّب في تلك الايام ميالا الى الرخاء وكان قليل المروءة والدين مع ميل الى
هجو الناس وقد جعله ابن سلام في طبقة ابن قيس الرقيات ونصيب وجميل ولكن
أهل الحجاز يفضلونه عليهم وهو اسبح طبعاً وأسهل كلاماً وأصح معنى منهم . ولشعره
رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة وبه الفاظ ليست لواحد منهم . وكان مهتكا
فبلغ سليمان بن عبد الملك عنه أقوال ففناه . ويقال في سبب ذلك أن سكينه بنت الحسين
فخرت يوماً بالرسول ففاخرها الاحوص بقصيدته التي يقول فيها : « ليس جهل ائنته
بيديع » فبلغ ذلك سليمان ففناه ثم رده

واشتهر الاحوص بتشبيهه بأُم جعفر وهي امرأة من الانصار وتوعده أخوها
وهده فلم ينته فاستعدى عليه والى المدينة وهو يومئذ عمر بن عبد العزيز فربط
الاحوص وأخاها بجبل ودفع اليهما سوطين وقال « تجالدا » فغلب أخوها ومن
شعره فيها :

أزور البيوت اللاصقات بيئتها وقلبي الى البيت الذي لا أزور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى اذا لم يزر لا بد أن سيزور
أزور على أن لست انفك كلما ائتت عدوا بالبنان بشير
ومن شعره الجيد قوله :

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا فقد غلب المحزون ان يتجلدا
وما العيش الا ما تلذ وتشنهى وان لام فيه ذو الشنان وفندا
بكيت الصبا جهدا فن شاء لامي ومن شاء وامسى في البكاء واسعدا

وإني وإن عبرت في طلب الصبا لا علم أني لست في الحب أوحدا
 وكان الخليفة يزيد بن الوليد مشتغلا عن الخلافة بجاريته حيا به فلامه عمه مسلمة
 ونهاه عنها فتركها واتقطع عن زيارتها فأرادت أن تسترجعه فلاقته وهو خارج إلى
 المسجد بمودها وغتته بيت الاحوص . وما العيش إلا ما تلذ وتشهي الخ . فضرب
 يزيد بخيزرانتة الارض وقال صدقت وواد إلى حالته معها
 ومن غزله قوله وهو وصف حقيقة :

فأهو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
 وقوله :

سبقت لها في مضمرة القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر
 ونرى ترجمة الاحوص وأقواله في الاغانى ٤٥ ج ٤ و ٥٣ ج ٦ و ١١٧ ج ١
 وفي الشعر والشعراء ٣٢٩ والعقد الفريد ١١٥ ج ١ وخزانة الادب ٢٣٢ ج ١ وفي
 سائر كتب الادب . وله قصيدة محفوظة في مكتبة برلين

• - قيس بن ذريح

هو قيس بن ذريح من كنانة وكان رضيع الحسين بن علي لان أم قيس أرضعت
 الحسين . كان منزل قومه في ظاهر المدينة وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة
 واشتهر قيس بحبه لبنت الحجاب الكمية وهي التي جعلته ينطق الشعر فانه رآها
 مرة واستسقاها فسقته وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما
 رآها وقعت في نفسه فمشقها وجعل ينطق بالشعر وشكا إليها غرامه فشكت إليه مثله
 فطلب إلى أبيه أن يخطبها له فأبى لانه كان غنياً فأراد له احدي بنات عمه . فشكا إلى
 أمه فلم تسعفه فأبى الحسين بن علي فتوسط له فزوجوه لان اشارته لا ترد فأقامت
 زوجته عنده مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئاً

ثم دخلت الحماة بين الابن والكنة . وذلك ان قيساً كان أبر الناس بأمه فألته
 لبني عنها ففضبت وأخذت تتحين الفرص للانتقام فمضى على الزواج زمن ولم تلد
 لبني لقيس ولداً فخاطبت أمه أباه بذلك وقالت : « أنت ذو مال فيصير المسال إلى
 الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً » وألحت عليه فاستمهاها وسأل ابنه
 في ذلك فأبى أن يتزوج غيرها فمرض عليه ان يتسرى فأبى فقال : طلقها فلم يرض
 فألح عليه وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبني . فكان يخرج فيقف

في حر الشمس ويحجيء أبوه فيقف الى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يفيء النىء فينصرف ويدخل قيس الى لبنى فيعانقها وتماثقه ويبيكي وتبكي معه وتقول له : « يا قيس لا تطلع أباك فتهلك وتهلكنى » فيقول : « ما كنت لاطيع أحداً فيك أبداً » . فيقال انه مكث كذلك سنة وقيل عشر سنين ثم طلقها ولم يلبث حتى استطير عقله ولحقه مثل الجنون وصار يبكي كالطفل ثم أتى أبوها ليحملها الى أهله فلما رأى قيس هودجها وعلم انها مسافرة بعد ليلة سقط منشياً عليه وهو يقول :

وأني لمفن دمع عيني بالبكا حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذلك بليلة فراق حبيب لم يين وهو بائن
وما كنت أخشى ان تكون منيتى بكفيك الا ان ما حان حائن
ولما غاب هودجها أكب على اثر خف بعيرها يقبله ورجع يقبل موقع مجلسها
واثر قدميها فلاموه على ذلك فقال :

وما أحبيت أرضكم ولكن اقبل اثر من وطيء الزابا
لقد لاقيت من كفى بلبنى بلاء ما أسينغ به الشرابا
اذا نادى المنادى باسم لبنى عيت فما أطيق له جوابا
ثم زوجها رجلا من غطفان وعاود قيس زيارتها فشكوه الى معاوية فهدر دمه
فقال في ذلك :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها مقالة واش أو وعيد أمير
فلم يمنعوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى
وأخبار قيس بن ذريح كثيرة فى الاغانى ١١٢ ج ٨ وفى الشعر والشعراء ٣٩٩
وله ديوان مشروح ومنه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال وغيرها فى برلين

٦ - المخيل القيسى

اسمه كعب وهو صاحب ميلاء ابنة عمه وقد رآها مرة فمشتقها ولقيها فشكا اليها حبه فوعدهته فعلم اخوتها وهم سبعة فهددوه وكان منزله فى الحجاز فخرج الى الشام ونظم فيها الاشعار . ومن ذلك قصيدة مطلعها :

خليلى قد قست الامور ورمتها بنفسى وبالفتيان كل زمان
فلم أخف سوءا للصدى ولم أجد خلياً ولا ذا البث يستويان
الى ان قال يصف غرامه :

بلىنا بهجران ولم أر مثلنا من الناس انسانين بهجران
أشد مصافة وأبعد من قلى وأعصى لوأش حين يكتفیان
فوالله ما أدرى أكل ذوى الهوى على ما بنا أو نحن مبتليان
وهي طويلة ومنها :

أحقاً عباد الله ان لست ماشياً بمرصاب حتى يحشر النقلان
وتجد أخباره في الاغانى ٢٠٩ ج ٢١ وهو غير الخبل السعدى الذى تقدم ذكره
مع الجاهليين

وهناك بضعة من شعراء العشاق يعدون من الدور الثالث لانهم توفوا بعد انقضاء
الدور الثاني وقد أتينا على تراجعهم هنا كما أتينا على آخرين قد يعدون من الدور
الاول لاستيفاء هذا الموضوع في مكان واحد

٧ - ذو الرمة

توفي سنة ١١٧ هـ

هو غيلان بن عقبة بن نهيس من مضر ويعد من الشعراء المتيمين وصاحبه مية
بنت مقاتل المنقرى وكانت جميلة وكان هو دميماً أسود وسمعت تشبيه بها ولم تره ثم
رأته فقالت واسواتاه ففضب وقال بهجوها :

على وجهى مسحة من ملاحه ونحت الثياب العار لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طمعه وان كان لون الماء أبيض صافيا
فواضية الشعر الذى لج فانقضى بى ولم أملك ضلال فؤاديا
وكان يشبب بخرقاه أيضاً وهي من طامر بن صعصعة ومن قوله فيها وهو مما يتغنى به:
لقد أرسلت خرقاه نحوى جديها لتجعلنى خرقاه فيمن أضأت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحه ولو عمرت تعمير نوح وجلت
وكان ذو الرمة كثير الاخذ من غيره وقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء
أمثلة كثيرة من ذلك . وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال بن أبى ردة ابن أبى موسى
الاشعري وكان له ثلاثة أخوة كلهم شعراء وكان مدور الوجه حسن الشعر جمده أفتى
أنزع خفيف العارضين أ كحل حسن الضحك مفوهاً اذا كلمك كلمك أبلغ الناس
بضع لسانه حيث يشاء . وهو من اصحاب الملاحات ومطلع ملحمنه :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب
وبمتاز في شعره أنه احسن شعراء عصره تشبيهاً كما كان امرؤ القيس احسن

شعراء الجاهلية في ذلك . ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجيا فكان مع الفرزدق على جرير . وأخباره كثيرة في الاغانى ١١٠ ج ١٦ والشعر والشعراء ٣٣٣ وابن خلكان ٤٠٤ ج ١ ومصارع العشاق ٧٨ والجمهرة ١٧٧ وخزانة الادب ٥١ ج ١ وله ديوان خطى في دار الكتب المصرية ومثله في مكاتب لندن وليدن

٨ - يزيد بن الطثرية

توفي سنة ١٢٦ هـ

اسمه يزيد بن الصمة من قشير من طامر ويكنى أبا مكشوح وكان حسن الوجه والشعر حلوا الحديث غزلا آخذا بقلوب النساء وكان الغزل في القشيريين نادراً ولهم في ذلك حادثة مع جرم ذكرها صاحب الاغانى لا بأس من مطالعتها (١١١ ج ٧) انتهت بتعلق يزيد بامرأة من جرم يقال لها وحشية واشتد وجده بها حتى اشرف على الموت ونظم فيها الشعر ومن قوله فيها :

بنفسى من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كل أمر وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله
وكتب اليها هذين البيتين :

احبك اطراف النهار بشاشة وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
لئن أصبحت ربح المودة يفتنا شمالاً لقدماً كنت وهي جنوب
فأجابته بقولها :

احبك حب اليأس ان نفع الحيا وان لم يكن لى من هواك طيب
وقد قاسى في حبها كما قاسى غيره من العشاق والتميمين ونظم فيها كثيراً ومن قوله:
هيبني امراً إما بريثاً ظلمته واما مسيئاً تاب منه وأعتبا
وكنت كذبي داء تبغى لدائه طيباً فلما لم يجده تطيبا

ولابن الطثرية أخبار كثيرة في الاغانى ١١٠ ج ٧ وفي ابن خلكان ٢٩٩ ج ٢

وفي الشعر والشعراء ٢٥٥

سائر الشعراء العشاق

ومن الشعراء العشاق طائفة حسنة يضيق المكان عن تراجمهم فنكتفى بالاشارة الى المآخذ وهم :

٩ الايرد الرياحي : من نميم كان يهوى امرأة ولم يفد على الخلفاء . أخباره في

الاغانى ١٠ ج ١٢

- ١٠ ابن رهيمة : شاعر مشبب أيام عبد الملك . أخباره في الاغانى ١١٨ ج ٤
 ١١ توبة بن الحمير : من عامر بن صعصعة وصاحب ليلى الاخيلية . أخباره
 في الاغانى ٦٧ ج ١٠ وفوات الوفيات ٩٥ ج ١ والشعر والشعراء ٢٦٩ وسيأتي ذكره
 مع ليلى الاخيلية
 ١٢ مرة بن عبد الله النهدي : من قضاة شاعر بدوي . أخباره في الاغانى
 ٦١ ج ٢٠
 ١٣ مزاحم العقيلي : من هوازن شاعر بدوي صاحب قصيد ورجز عاصر
 الفرزدق أحب امرأة تزوجها غيره فتفتقت قريحته . أخباره في الاغانى ١٥٠ ج ١٧
 وخزانة الادب ٤٥ ج ٣
 ١٤ مسعدة بن البخترى : من أقرباء المهلب بالعراق . أخباره في الاغانى
 ٧٧ ج ١٢
 ١٥ النيمرى : من ثقيف^(١) وأخباره في الاغانى ٢٤ ج ٦
 ١٦ وضاح اليمن : شبب بامرأة الوليد فقتله . وأخباره في الاغانى ٣٢ ج ٦
 وفوات الوفيات ٢٥٣ ج ١
 ١٧ عبد الله بن علقمة : من زرارة . أخباره في مصارع المشاق
 ١٨ حميد بن ثور الهلالي : أخباره في الاغانى ٩٨ ج ٤ والشعر والشعراء ٢٣٠

الشعراء الخلاء والسكرون

قد رأيت الخلاء والسكر في بعض من تقدم ذكرهم من الشعراء وإنما نفي بهذه
 الطبقة الشعراء الذين غلب عليهم السكر والتهنك والمجون أشهرهم :

١ - الاقيشر الاسدى

هو المغيرة بن عبد الله من بني أسد من مضر وكان أحمر الوجه أقشر فسمي
 الاقيشر ويكنى أبا معرض كان كوفياً خليعاً ماجناً مدمناً شرب الخمر ومن شعره :
 فان أبا معرض اذ حسا من الراح كأساً على المنبر
 خطيب لييب أبو معرض فان ليم في الخمر لم يصبر
 أحل الحرام أبو معرض فصار خليعاً على المكبر
 وكان شديد الهجو قبيحاً ، ومن لطائفه أنه شرب مرة في الحيرة في بيت فيه

(١) له ديوان منه نسخة خطية في مكتبة أياصوفيا بالاستانة

خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم رجل مغن مطرب فطرب الاقيشر فسقام من شرابه . فلما انتشوا وثب الاعمى بسمى في حوائجهم وقفز الخياط المقعد برقص على ظله ويجهد في ذلك كل جهده . فقال الاقيشر :

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثاً فأبصرا
شراباً كريح الغبر الورد ريحه ومسحوق هندي من المسك أذفرا
وترى أخباره في الاغانى ٨٤ ج ١٠ وفي الشعر والشعراء ٣٥٢

٢ - الحزين السكناني

هو عمرو بن عبيد بن وهيب من كنانة وقيل انه مولى . وهو حجازى مطبوع ليس من فحول طبقتة . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشر وهجاء الناس ذرب اللسان لم يخدم الخلفاء ولا اتجع بمدح . وكان أشعر ذا بطين عظيم الاتق على أنه مدح بعض آل مروان غير الخلفاء . ومن ذلك قصيدة رنانة قالها في عبد العزيز بن مروان . منها :

قالوا دمشق ينيك الخبير بها ثم ائت مصر فتم النائل العم
لما وقفت عليها في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم
حينته بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم
في كفه خيزران ريحها عبق من كف أروع في عرينه شم
بغضى حياء وبغضى من مهابته فما يكلم الا حين ينسم

وترى أخباره في الاغانى ٧٦ ج ١٤ و ٥٢ ج ١١

ومن الشعراء الخلفاء جماعة نكتفي بذكر ما أخذ تراجمهم :

٣ - بكر بن خارجة : مولى بني أسد سكير ماجن سكن الحيرة (الاغانى ٨٧ ج ٢٠)

٤ - الشمردل بن شريك : من ربوع كان مغرماً بالشراب واللهو كثير المهجو

أخباره في الاغانى ١١٧ ج ١٢ والشعر والشعراء ٤٤٣

٥ - الوليد بن يزيد الخليفة : أول من وصف الخمر (الاغانى ١٠١ ج ٦ و ٩٨

ج ٣ والعقد الفريد ٢٦٨ ج ٢ وخزانة الادب ٣٢٨ ج ١)

الشعراء المغنوه

لم يكن في شعراء الجاهلية من المغنين الا الاعشى وعلس ولكن اقتراب الامويين من الحضارة وتزايد العلائق بين الحجاز والشام والعراق اولدت الموسيقى

ونبع كثيرون من المغنين أ كثرهم في المدينة أشهرهم :

- ١ - حنين الحيرى . شاعر نصراني كان يعنى أيام هشام . أخباره في الاغانى ١٢٠ ج ٢
- ٢ - سعيد الدارمى : (تميم) شاعر ظريف من أهل مكة أيام عمر بن عبد العزيز أخباره في الاغانى ١٧٨ ج ٢
- ٣ - عبادل : مولى قريش في الحجاز لم يفارقها كان نبيلاً محترماً وكان يعنى . أخباره في الاغانى ١٧٥ ج ٥
- ٤ - محمد بن الأشعث : من قريش كان كاتباً من فتيان أهل الكوفة ظريفاً ينظم ويعنى أحب سلامة الزرقاء ونظم فيها وأخباره في الاغانى ١٢٧ ج ١٣
- ٥ - نصيب : مولى عبد العزيز بن مروان شاعر اشتهر بالغناء واخباره في الاغانى ١٢٩ ج ١ والشعر والشعراء ٢٤٢
- ٦ - ابن عائشة : من موالى المطلب كان يعنى للوليد بن يزيد واخباره في الاغانى ٦٢ ج ٢

الشعراء الادباء

زيد بهذه الطبقة من الشعراء من لم نستطع ادخالهم في احدى الطبقات المتقدم ذكرها فلامم من شعراء السياسة ولا العشاق ولا السكر ولا الغناء وهم بضعة وعشرون شاعراً يطول بنا ذكر تراجمهم وخصوصاً بعد ان طال بنا الكلام في شعراء هذا العصر فنكتفي بترجمة اثنين منهم مع الاشارة الى المآخذ التي يرجع اليها من أراد التوسع في الباقيين

١ - القطامى

هو عمير بن شيم من بني تغلب وكان نصرانياً عاصر الاخطل وله شعر من الطبقة الاولى في التشبيب والحماسة والفخر . أما في التشبيب فقوله :

وفي الحدور غمامات برقن لنا حتى تصيدتنا من كل مصطاد
 يقنلتنا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه باد
 فهن ينبذن من قول يصبين به مواقع الماء من ذي الغلة الصادى
 وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابى واسماء بن خارجة الفزاري . وكان زفر قد أسره ثم أطلقه ووهب له مائة ناقة فقال وفيه من كبر النفس ما فيه :

من مبلغ زفر القيمى مدحته عن القطامى قولاً غير افتاد

انى وان كان قومي ليس بينهم وبين قومك الا ضربة الهادى
 من عليك بما اوليت من حسن وقد تعرض منى مقتل باد
 فان قدرت على يوم جزيت به والله يجعل اقواماً بمرصاد
 وله هجاء شديد نحا فيه نحواً خاصاً يدل على تفننه كقوله يريد هجاء قيس
 بالبخل من قصيدة استهلها انه مسافر ونزل ضيفاً على امرأة من قيس وانها
 ارتاعت لما علمت انه ضيف سينزل عليها ووصف ما جرى بينهما على أسلوب جميل .
 وهو القائل :

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتمى ولا م المخطيء الهبل
 قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
 ومن قوله في الفخر يصف حرباً مع كلب :

وكلب تركنا جمعهم بين هارب حذار المنايا أو قتيل مجدل
 وافلتنا لما التقينا بعاهد على ساج عند الجراء ابن مجدل
 واقسم لو لا قيته لعلوته بأبيض قطاع الضريبة مفصل
 وهو من أصحاب المشوبات ومطلع مشوبته :

إنا محبوك فاسلم أيها الطلل وان بليت وان طالت بك الطول
 وتجد أخبار القطامي في الاغانى ١١٨ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٤٥٣ والجمهرة
 ١٥١ وله ديوان طبع في ليدن سنة ١٩٠٢ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب
 المصرية وفي مكتبة برلين

٢ - ليلي الاخيلية وتوبة بن الحمير

توفيت ليلي سنة ٨٠ هـ

هي ليلي بنت عبد الله بن الرحال من بنى الاخيل من عامر . وهي من النساء
 المتقدمات في الشعر وكان توبة بن الحمير يرواها وهو من بنى عقيل من عامر أيضاً
 فمشقها وقال فيها الشعر فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه اياها وزوجها في بني
 الادلع . فجاء يوماً كما كان يجي لزيارتها فاذا هي سافرة ولم ير منها الا بشاشة فعلم
 ان ذلك لامر ما كان . فرجع الى راحلته فركبها ومضى . وبلغ بني الادلع انه
 أتاها فتبعوه فقاتهم . فقال توبة في ذلك :

نأتك بليلي دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مربرها
 وهي طويلة يقول فيها :

وكنت اذا ماشئت ليلى تبرقت فقد رابني منها الغداة سفورها
ويحكى ان توبة رحل الى الشام فر يبني عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه
فشق ذلك على جميل فطلبه للمصارعة كما يفعل الافرنج اليوم في الطالب للبارزة في مثل
هذه الحال فتصارعا وبثينة حاضرة فغلبه جميل فقال توبة : « انما صرعتني بربح هذه .
انزل بنا الوادى » فنزلا فغلبه توبة . ومن لطيف شعره في ليلى قوله :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقى اليها صدى من جانب القبر صالح
ولو أن ليلى في السماء لاصعدت بطرفي الى ليلى الميون اللوامح

وكان توبة كثير الفارات فقتل في احدى غاراته في حديث طويل ذكره صاحب
الاغاني . وكانت ليلى تفد على الحجاج فتمدحه وتقال جوائزها . وأراد الحجاج أن
يداعبها فقال لها : « ان شبابك قد ذهب واضمحل امرك وامر توبة فأقسم عليك ألا
صدقني هل كانت ينسكما ربية قط أو خاطبك في ذلك ؟ » فقالت : « لا والله ايها
الامير الا انه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت انه قد خضع فيها لبعض الامر فقلت له :

وذي حاجة قلنا له لا تبج بها فليس اليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وانت لاخرى فارغ وحليل
فلا والله ما سمعت منه ربية بعدها حتى فرق بيننا » قال لها الحجاج فما كان منه
بعد ذلك قات وجه صاحباً له الى حاضرنا فقال : « اذا اتيت الحاضر من بنى عبادة
ابن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل ايئن ليلة من الدهر لا يسرى الى خيالها
فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقالت له :

وعنه عفي ربي واحسن حفظه عزيز علينا حاجة لا ينالها »
ومن شعرها قولها في مدح الحجاج :

احجاج لا يقلل سلاحك انما الـ حنايا بكف الله حيث تراها
اذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام اذا هز القنساء سقاها

واخبار ليلى وتوبة في الاغاني ٦٧ > ١٠ و ١٣٢ > ٤ و ١٦١ > ٧ والشعر

والشعراء ٢٧١ قوات الوفيات ١٤١ ج ٢ والمستطرف ٣٤ ج ١

سائر شعراء الدور الثاني

وهالك اسماء من بقي من شعراء الدور الثاني

- ٣ - أرطاة بن سبهية : من ذبيان شاعر فصيح شريف صادق جواد واخباره في الاغانى ١٣٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٣٣٢
- ٤ - اعشى تغلب : نصرانى يسكن الشام اذا حضر وينزل بلاد قومه بنواحي الموصل اذا بدا واخباره في الاغانى ٩٨ ج ١٠
- ٥ - الجحاف السلمى : من سليم ولد بالبصرة وحضر معركة فيها ابن الاخطل فهرب الجحاف الى بلاد الروم ثم عاد وعفا عنه عبد الملك واخباره في الاغانى ٥٧ ج ١١
- ٦ - جعفر بن الزبير : شاعر مقل . اخباره في الاغانى ١٠٤ ج ١٣
- ٧ - جحينة بن المضرب : (كندة) شاعر أموى واخباره في الاغانى ٩ ج ٢١
- ٨ - سرافة بن مرداس البارقى : (١) اخباره في الاغانى ٤٤ و ٦٧ ج ٧ و ٣١ ج ٨
- ٩ - سويد بن كراع : من عكل شاعر فارس . اخباره في الاغانى ١٢٧ ج ١١
- ١٠ - عبد الله بن أبى معقل : من الخزرج حجازى اخباره في الاغانى ١١٦ ج ٢٠
- ١١ - عبد الله بن الحشرج الجمدي : سيد من سادات قيس ولى الولايات ومدحه زياد الاعجم . ترجمته في الاغانى ١٥١ ج ١٠
- ١٢ - المعجاج الراجز (٢) : اخباره في الشعر والشعراء ٣٧٤ والاعغانى ١٢٤ ج ١٨
- ١٣ - عروة بن اذينة : من كنانة اخباره في الاغانى ١٠٥ ج ٢١ وابن خلكان ٢١٢ ج ١ والشعر والشعراء ٣٦٧
- ١٤ - عقل بن علقه : من ذبيان شاعر مقل جاف شديد الهوج والمعجرفة والبذخ من بيت شرف في قومه اخباره في الاغانى ٨٥ ج ١١ و ٩٩ ج ٢
- ١٥ - ليلى بنت طريف الشيبانى : رأس الخوارج اخبارها في الاغانى ٩ ج ١١
- ١٦ - مالك بن اسماء بن خارجة : من فزارة تولى اصبهان تحت امره الحجاج واخباره في الاغانى ٤١ ج ١٦ والشعر والشعراء ٤٩٢
- ١٧ - مالك ابن الريب : من مازن نشأ في بادية البصرة وهو من اصحاب المراثى واخباره في الاغانى ١٦٣ ج ١٩ والشعر والشعراء ٢٠٥
- ١٨ - محمد بن بشير الخارجي : من قيس شاعر حجازى من أهل المدينة كان منقطعاً الى أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى . قدم البصرة وخطب امرأة اشترطت عليه الاقامة بها واخباره في الاغانى ١٤٨ ج ١٤

(١) له ديوان منه نسخة في دار الكتب المصرية

(٢) له ديوان مشروح في دار الكتب المصرية وفيها كتاب خطي اسمه رجز المعجاج

- ١٩ - مرة بن محكان السعدي : من تميم عاصر الفرزدق وجربراً واخلاً ذكره
كان شريفاً جواداً . أخباره في الاغانى ٩ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٤٣١
- ٢٠ - المقنع الكندي : شاعر جميل الحلقة شريف . أخباره في الاغانى ١٥٧
جزء ١٥
- ٢١ - المهاجر بن خالد بن الوليد الخزومي : أخباره في الاغانى ١١ ج ١٥
- ٢٢ - يعلى الاحول : من الفحطانية لص كان يقطع السابلة . أخباره في الاغانى
١١١ ج ١٩

لدور الثالث من الشعر

في العصر الاموى

من ١٠١ - ١٣٢ هـ

ويدخل فيه الشعراء الذين قضوا معظم حياتهم في أواخر الدولة الاموية
وهو دور انحطاطها وفسادها بعد ان تولاهما يزيد بن الوليد وابنه الوليد بن يزيد
والناس على دين ملوكهم . فكثر شعراء هذا الدور أميل الى التملق والخلاعة
والتهتك والقصف من سائر العصر الاموى أشهرهم يزيد بن الطثيرة وابن ميادة وقد
ذكرناهما بين الشعراء العشاق

وهالك سائر شعراء الدور الثالث من العصر الاموي مرتبة على الابدجية وبجانب
كل منهم المسكان الذي يرجع اليه في مطالعة أخباره :

- ١ - أبو حية النيمري : من طامر مدح الخلفاء في الدولتين وكان ساكناً في البصرة
وكان جباناً أهوج بخيلاً . أخباره في الاغانى ٦٤ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٨٦
- ٢ - أبو العطاء السندی : عاصر الدولتين . أخباره في الاغانى ٨١ ج ١٦ والشعر
والشعراء ٤٨٢
- ٣ - أبو نجيعة الراحز الحمانى : (تميم) نفاه أبوه فخرج الى الشام ثم اتصل
بالعباسيين ولقى المنصور وأخباره في الاغانى ١٣٩ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٨١
- ٤ - جعفر بن علبة الحارثي : (كهلان) شاعر غزل وفارس وأخباره في الاغانى
١٤٦ ج ١١ وخزانة الادب ٣٢٢ ج ٤
- ٥ - حريث بن عناب : من طيء بدوى مقل لم يتصد بالشعر للناس في مدح
ولا هجاء . أخباره في الاغانى ١٠٢ ج ١٣

- ٦ - الحسين بن مطير : مولى بني أسد شاعر فصيح مدح الدولتين . أخباره في
الآغانى ١١٤ ج ١٤ وخزانة الادب ٤٨٥ ج ٢
- ٧ - رؤبة بن المعجاج الراجز : (١) أخباره في الآغانى ٥٠ ج ٢١ والشعر
والشعراء ٣٧٦
- ٨ - سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : مدح الوليد بن يزيد . أخباره
في الآغانى ١٦٤ ج ٧
- ٩ - يزيد بن ضبة : مولى ثقيف كان يقيم في الطائف مدح الوليد بن يزيد .
أخباره في الآغانى ١٤٦ ج ٦

خاتمة

أما وقد فرغنا من الكلام في الشعر والشعراء في العصر الاموي فقد رأينا أن نختم المقال ببضعة فصول تتعلق بالشعر والشعراء انما للفائدة

كيف كان الشعراء يستحثون قرائهم

• هما باع المرء من سمو المدارك وصفاء الذهن وسرعة البديهة فانه لا يستغنى احيانا عن شحذ قريحته أو ذهنه أو استحثات خاطره وخصوصاً في الشعر اذ كثيراً ما تعرض على الشعراء فترة في خواطرهم لا يجدون معها قدرة على النظم . قال الفرزدق : « قد نمر على الساعة وقلع ضرس من اضراسي أهون عليّ من عمل بيت من الشعر » ويرى آخرون أن الشعر مثل عين الماء ان تركنها اندفنت وان استهنتها هنت يربدون أنه لا بد للشاعر من استحثات قريحته من وقت الى آخر

وللشعراء طرق شتى في استحثات قرائهم تختلف باختلاف أمزجتهم وعاداتهم وطبائعهم . سئل ذو الرمة كيف تفعل اذا انقلد دونك الشعر فقال : « كيف ينقلد دوني وعندى مفايحه » قيل له وعنه سألتك ما هو قال : « الحلوة بذكر الاحباب » فهذا لانه عاشق . وسئل كثير عزة : « كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر » قال : « أطوف في الرباع المحبلة والرياض المعشبة فيسهل على قرضه ويسرع الى احسنه »

وكان الاخطل يستحث قريحته بشرب الخمر . وكذلك كان يفعل كثيرون ممن كانوا يشربونها . وكانت طائفة من الشعراء تستحث شياطينها كما فعل الفرزدق وقد اُخبر عند سماع قصيدة حسان التي مطلعها :

لنا الجففات الغر يلعبن في الضحى واسياقنا يقطرن من نجدة دما

وقد أمهه قائلها ثلاثة أيام حتى يجيب عليها وكانت ساعة جمود على قريحته فاضطر إلى استحثاتها قال : « أتيت منزلي فأقبات أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فكأنني مفحم أو لم أقل شعراً قط حتى اذا نادى المنادي بالفجر فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها ففقدتها حتى أتيت رياناً وهو جبل بالمدبنة ثم ناديت بأعلى صوتي أخاكم أخاكم أبا لبي يعني شيطانه فجاش صدري كما يجيش الرجل ثم عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما قتت حتى قلت مائة وثلاثة عشر يدياً » على أنه كانت عادته اذا خاتمه قريحته وصعب عليه الشعر ركب ناقتيه وطاف خاليا منفرداً وحده في شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده

وكان الابرد الرياحي اذا خاتته القربحة أخذ عصاه وانحدر في الوادي وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر فنأثيه المعاني . وكان جرير يستحث قريحته بشرب النبيذ وبتمرغ بالرمل أو على الفراش ويهمهم ويجبو على الفراش عرياناً حتى يخاله الناظر اليه أصيب بجنة . وسئل نصيب مرة أنطلب القريض أحياناً فيعسر عليك فقال : « أي والله ربما فعلت فأمر براحتي فيشد بها رحلي ثم أير في الشعاب الخالية وأقف في الرباع المقوية فيطر بني ذلك ويفتح لي الشعر »

ويقال نحو ذلك في أحوال الشعراء في سائر الاعصر . وكان أبو تمام اذا أعينه القربحة غطس في صهرج ماء عنده يمك فيه ساعة

على أن لاستحثات القربحة قواعد عامة يجرى عليها الكثيرون منها الجلوس بجانب الماء الجاري أو الاشراف من الاماكن العالية والزوح الى الاماكن الخالية أو النجول في الرياض . وبعضهم يستنفض قواه العاقلة أو قريحته بالاستلقاء على الظهر ولعلمهم يجمعون بالاكثر على مبالغة العمل بالاسحار عند الهبوب من التوم

شياطين الشعراء

كان العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطاناً يوحى اليه المعاني حتى لقد يتوهم الشاعر منهم أنه رأى شيطانه وخاطبه وأوحى اليه . ولهم في ذلك أخبار طويلة ذكر بعضها في جمهرة أشعار العرب (صفحة ١٨) وذلك منى على اعتقادهم بوجود الجن طوائف وينسبون اليها أشعاراً وأقوالاً لا فائدة من ذكرها

ومن غريب اعتقادهم في شياطين الشعراء أن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه . ومن انفرد به الهوجل فسد شعره (١) وزاد ادعاؤهم ذلك حتى سمو شيطان كل شاعر باسم خاص به فكان شيطان الاعشى يسمى « مسحل » (٢)

وفي كتب الادب أخبار كثيرة تدل على ما يعتقدونه من الجن وشياطين الشعر من ذلك ان رسولا من عند بشر بن مروان جاء جريراً فدفع اليه كتاباً وقال له : « انه قد أمرني ان أوصله اليك ولا أبرح حتى تحيب عن الشعر في يومك ان لقينك نهراً أو ليلتك ان لقينك ليلاً » وأخرج اليه كتاب بشر وقد نسخ له الفصيدة وأمره أن يحيب عنها . فأخذها ومك ليلته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه (قالوا) فهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت فقال له : « أزعمت انك تقول الشعر ماهو

الا ان غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئاً فهلا قلت :
 « يا بشر حق لوجهك النبشير هلا قضيت لنا وأنت أمير »
 فقال له جرير : « حسبك كفتيك » وما زال حتى آتم القصيدة
 وذكروا عن كثير عزة انه قال . ما قلت الشعر حتى قولته . قيل له وكيف
 ذلك قال : بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعر لي بالنعيم أو بقاع حمدان اذا
 راكب قد دنا مني حتى صار الى جنبى فتأملتة فاذا هو من صفر وهو يجبر نفسه في
 الارض جراً فقال لى « قل الشعر » وألقاه على قلت « من أنت » قال « أنا قرينك
 من الجن » فقلت الشعر

الشعراء والقراءة

وكانت القراءة في صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس أهمهم حفظه القرآن
 ومن توخى المدينة فسكن المدن وغلبت عليه الحضارة . أما أهل البادية فيظهر
 أنهم ظل معولهم على الذاكرة وخصوصاً الشعراء فقد كانت طائفة من فحولهم
 لا يقرأون وخصوصاً في الجاهلية فأكثرهم كانوا أميين . أما في الاسلام بعد
 انتشار القراءة والكتابة فظل كثيرون من الشعراء لا يقرأون وخصوصاً أهل
 البادية فلعلهم كانوا يعولون على الرواة أو على الحفظ . ومن شعراء العصر الاموي
 الذين كانوا لا يقرأون الفرزدق وقد وقفنا حيناً عند ما تبين لنا انه لا يقرأ لعلمنا
 بمنزلته من الشاعرية وتقدمه بين رجال الدولة . وقد تبين لنا ذلك عرضاً في سياق
 واقعة جرت له مع مروان بن الحكم — وذلك أنه قال شعراً أساء مروان بن
 الحكم وهو والى المدينة فدماه اليه وتوعده وأجله ثلاثاً وقال « أخرج عني »
 فانشد يقول الفرزدق :

دعانا ثم أجلنا ثلاثاً كما وعدت لمهلكها نمود

قال مروان قولوا له عني انى أجبتة فقلت :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس
 ودع المدينة انها محظورة والحق بمكة أو بيت المقدس
 فعزم على الشخصوس الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله ما بين مكة
 والمدينة بمائتي دينار . فارتاب (الفرزدق) بكتاب مروان فجاء به اليه وقال :

مروان ان مطبى معقولة ترجو الحباء وربها لم يياس

آ تبتني بصيحفة مختومة يخشي على بها حباء النقرس

الق الصحيفة يافرزدق لا تكن نكدأ كمثل صحيفة المنلس
ورمى بها الى مروان فضحك وقال : « وبحك انك أُمي لا تقرأ فاذهب بها
الى من يقرأها ثم ردها حتى أختها » فذهب بها فلما قرئت اذا بها جائزة فردها
الى مروان فختمها وأمر له الحسين بن علي بمائتي دينار^(١)
فتبين لنا من ذلك انه لا يقرأ فاذا صح ذلك بالفرزدق فكيف بسواه ويقال ان
ذا الرمة أيضاً كان لا يقرأ

الخطابة والخطباء

في العصر الاموي

ظلت الخطابة على جلاله قدرها في العصر الاموي لحاجة القوم الى استنهاض
الهمم في جمع الاحزاب أو تفريقها أو التحريض على النهوض لحرب ونحوها فكان
أكثر القواد خطباء وفيهم جماعة من أبلغ رجال الخطابة . فالهجاج بن يوسف كان
خطيباً بليغاً زادته الخطابة عظمة وسطوة — كان العراق متمرداً على عبد الملك
فلما أعجزه أمره ولى الهجاج عليه فدخل الهجاج الكوفة وصعد المنبر مثلما متنكباً
قوسه واضعاً إبهامه على فمه واحتقره الناس وكانوا يرمونه بالحصى كما كانوا يفعلون
في الولاة قبله . فوقف وأزاح لثامه عن وجهه ولفظ خطبته التي قال في مطلعها :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

الى ان قال :

« أما والله لا أحمل الشر بثقله وأحذوه ببعله وأجزيه بمثله . أما والله اني
لا أرى رءوساً قد اينعت وحن فطافها وكانى أرى الدماء بين العمام واللحي
هذا أو ان الشد فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم
« ألا وان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان كب كنياته فمعجم عيدانها فوجدني
أصلها عوداً فوجهني اليكم . فانكم أهل بغي وشقاق وخلاف ونفاق طالما سعيتم في
الضلالة وسننم سنن البغي . اما والله لالحوونكم لحو العصا ولاعضبنكم غضب السامة
ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما اخاق الاقريت
ولا أعد الا وفيت . . . الخ »^(٢)

فما فرغ من خطبته حتى هابوه واذعنوا له وكان شديداً عليهم وأمره مشهور
ومع ذلك فقد كان اذا رقى المنبر وذكر احسانه الى اهل العراق وصفحه عنهم

(٢) العقد الفريد ٧ ج ٣ وفيه

(١) الاغانى ٤٣ ج ١٩

واساءهم اليه يخجل للسامع انه صادق وان أهل العراق ظلّموه (١) ولذلك كان
الامراء والخلفاء يخافون الخطباء كما يخافون الشعراء لما في أقوالهم من التأثير في تلك
النفوس الحساسة

وكان أكثر الخلفاء يخطبون لكنهم يتفاوتون في البلاغة وقوة المعارضة على أن
تلك القوة أخذت تضعف فيهم بعد الفراغ من الفنون والانغماس في أسباب الترف
والسكون الى الرخاء والبذخ ومحولات من الحماسة الى المواعظ ثم الى الشكاية وتداعى
فن الخطابة بتداعى دولة العرب في الشرق . فلما قامت دولتهم في الاندلس بعثوه
وقربوا الخطباء كما قربوا الشعراء لكنهم قلما كانوا يستخدمونهم لانهاض المهتم او
احقاد الفتن لذباب الحاجة الى ذلك بذماب البداوة والفراغ من الفتح . على انهم كانوا
إذا احتفلوا بتصيب خليفة او بالنصر على عدو او باستقبال قادم كبير تقدمت الخطباء
للترحيب به واعظام شأنه او شأن مقعده ووصف ما نبأ له من توطيد الخلافة (٢)

واما الامراء والقواد فكانوا يخطبون في الجند قبل الاغارة على العدو فيحرضونهم
على الثبات . وكثيراً ما كانت الخطبة سبباً للنصر كخطبة خالد بن الوليد في وقعة
اليرموك وخطبة المفيرة في وقعة الفادسية وخطبة خليل بن المنذر في غزوة فارس وخطبة
طارق بن زياد في فتح الاندلس ونحو ذلك مما لا تسعه المجلدات

ناهيك بشيوع الخطابة في القبائل على اختلاف اصقاعها كما كانت في الجاهلية.
وكانت ترد الوفود الى المدينة او دمشق او بغداد او غيرها من عواصم المسلمين لتهنئة
الخليفة او استنقاره او استنجاهه او استجدائه . وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد
حضرُوا لاستماع بلاغة خطبائهم لشيوع حب الخطابة فيهم (٣) ولاقنباس اساليب
البلاغة منهم

الانشاء في العصر الاموي

كان الانشاء في عصر الراشدين جامعاً مانعاً وفيه بلاغة وإيجاز كما تقدم وقد
علمت أن الدولة الاموية عززت اللغة العربية وآدابها فكانت بلاغة القول في جملة
ذلك . وكان الخلفاء والامراء ينشطون أهل الادب واكثر انشائهم في المراسلات
بين الخليفة وعماله يتحدون بها مكاتبات عصر الراشدين وقد ذكرنا أمثلة من ذلك
في مكانه

(١) البيان ٢٠ ج ١ (٢) نفع الطيب ١٧٥ (٣) العقد الفريد ٢٦٧ ج ٢

على أن اقتراب الدولة الاموية من الحضارة أثر في الانشاء ونوعه واطاله ونشأت طائفة من الكتّاب (أي كتاب الرسائل) في الدولة فاصبحت الكتابة مهنة . وبعد أن كان الكتّاب في زمن الراشدين يتولى ضبط حساب الديوان وكتب المراسلات أصبحت الكتابة في الدولة الاموية خمسة أصناف لكل منها كاتب خاص - ومنهم كاتب الرسائل المقصود من كلامنا هنا وقد يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة وكاتبه ومستودع أسرارهم . فكان الخلفاء يتخبرون لهذا المنصب ابغ المذثئين . وكان للبلاغة نشأة في سياستهم كما كان للشعر لان القوم يومئذ لا يزالون في عهد الفروسية والاريجية تقيمهم البلاغة وتقعدهم

ومن أشهر كتّابهم سالم كاتب هشام بن عبد الملك وقد نقل شيئاً من رسائل أرسطو الى الاسكندر وله رسائل في ١٠٠ ورقة (فهرست ١١٧) وكان للامراء كتاب ينشئون لهم الرسائل لم يصلنا من أخبارهم الا القليل . وكان الانشاء في اثناء ذلك يتنوع ويرتقى حسب الاحوال وعملا بناموس الارتقاء فلم تنفض الدولة الاموية حتى صار للانشاء فيها صفة معينة وطريقة مخصوصة وضعها أو اتّماها عبد الحميد ابن يحيى كاتب مروان بن محمد وصار له أسلوب خاص نسب اليه وتحمدها الكتّاب فيه

عبد الحميد الكتّاب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن مولى من أهل الشام أي أهل البلاد الاصلين الذين دخلوا في الاسلام فهو ليس عربياً . وكان المثل يضرب ببلاغة انشائه في الرسائل فيقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان في أول أمره معلم صبية يتنقل في البلدان ثم ارتقى حتى صار كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين ومات معه سنة ١٣٢ هـ . ويمتاز عبد الحميد بانه أول من أطال الرسائل واستعمل التجميدات في فصول الكتّاب فاستعمل الناس ذلك بعده وقلدوه فيه وله رسائل بليغة ذكر ابن النديم انها تجتمع في ألف ورقة لم يصل اليها الا القليل

وفي دار الكتّاب رسالة خطية تنسب لعبد الحميد المذكور

الخلاصة

ان الامويين نشطوا الآداب الجاهلية ولا سيما الشعر والخطابة فارتقت في

أيامهم وراجت سوق الادب بالبصرة والكوفة وكثر الشعراء ونظموا في كل باب
ولم يصلنا كل ما نظموه

وفيه بدأ تكون الفقه والتفسير والنحو وضبط الخط وبدأوا بالاعجام والحركات
وفيه رسخت اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين اليها . وفيه بدأوا
بنقل العلوم الطبيعية

أما ما خلا الشعر والخطابة فلم يصلنا من ثمار قرائح أهل العصر الاموي كتاب
في علم من العلوم . وأهم ما بين أيدينا من المؤلفات الشرعية أو اللسانية أو الادبية
أو في التاريخ والجغرافيا أو في أي علم من العلوم إنما هو من ثمار العصر العباسي
الآن ذكروه . أما التفسير الذي ينسبونه الى عبد الله بن عباس فقد تقدمت
الاشارة اليه

حتى الشعر الاموي فإنه لم يصلنا إلا على أيدي الرواة من أهل العصر العباسي

﴿ تم الجزء الاول ﴾

فهرست الجزء الاول

من تاريخ آداب اللغة العربية

صفحة		صفحة	
٤٠	فروع اللغة العربية	٣	المقدمة
	مميزات اللغة العربية		مقدمات تمهيدية
٤٢	الاعراب	٩	ما هو المراد بآداب اللغة
٤٣	دقة التعبير	١٠	أسبق الامم الى العلم
٤٤	الاعجاز والابجاز	١٤	مصادر آداب اللغة
٤٥	المترادفات والاضداد	١٦	آداب اللغة اليونانية
٤٥	المعاني الكثيرة للفظ الواحد	١٨	» » العربية وأقسامها
٤٥	السجع وغيره من أسباب سعة اللغة		آداب اللغة قبل الاسلام
٤٦	حكاية الاصوات		الجاهلية الاولى
٤٦	الامثال	٢١ -	تأثير المحورابين في الشرائع
٤٧	كتب الامثال	٢٣	الجاهلية الثانية
	الشعر في العصر الجاهلي	٢٥	الفرق بين لغة الجاهليتين
٤٨ -	ما هو الشعر	٢٥ -	درجة ارتفاع عقول العرب
٥٠ -	أنواع الشعر	٢٧ -	المرأة في الجاهلية
٥٢	هل عند العرب شعر تمثيلي	٣٠	أقسام آداب العرب قبل الاسلام
٥٣	كيف بدأ العرب ينظمون الشعر	٣٣	اللغة العربية
٥٦	أصل وزن الشعر		تاريخها
٥٧	شاعرية العرب	٣٤	مادخلها من الالفاظ الاعجمية
	نهضة الشعر بالجاهلية وأسبابها	٣٦	كيف كانت اللغة لما جاء الاسلام
٥٨	استقلال عرب الحجاز	٣٨	البلاد التي كان أهلها يتكلمون العربية
٦٠	حروبهم فيما بينهم	٣٩	

صفحة		صفحة	
٩٦ -	زهير بن أبي سلمى	٦٠	نهضة قريش
٩٨ -	الباغية الذياني	٦١	أقدم الشعراء
١٠١ -	اششى قيس	٦١	تقل الشعر في الاقاليم
١٠٢ -	ليبيد بن ربيعة	٦٢ -	» » القبائل
١٠٤ -	عمرو بن كنثوم	٦٣ -	عدد الشعراء بالنظر إلى القبائل
١٠٦ -	الحارث بن حلزة	٦٤	كثرة الشعر وتعدد الشعراء
١٠٧ -	طرفه بن العبد	٦٧	طبقات الشعراء في الجاهلية
١٠٨ -	عنترة العبيسي	٦٩ -	تقسيمهم حسب طبقاتهم
١١١ -	عبيد بن الابرص الاسدي		خصائص الشعر الجاهلي
	الشعراء الامراء	٧٢ /	تمثيل الطبيعة
١١٤	الافوه الاودي	٧٦	البلاغة في التركيب
١١٤	الموهل بن ربيعة	٧٧ /	مذاهبهم وأساليبهم
١١٦	عبد ينفوت	٧٩	ابواب الشعر عندهم
١١٦	زهير بن جناب	٨٠	التمثل بحيواناتهم
١١٧	عامر بن الطفيل	٨٠ /	المفاخرة والمعاظلة والمفارقة
١١٨	ابو قيس بن الاسات	٨١ /	الانفة والعفة
١١٨	الحسين بن حمام وقيس بن عاصم	٨٢	لا يستجدون
	الشعراء الفرسان	٨٢ ←	منزلة الشاعر في الجاهلية
١١٩	ابو محجن النقي	٨٣ /	تأثير الشعر في نفوس العرب
١٢٠	الاغلب المعجلي	٨٥	أشعر شعراء الجاهلية
١٢٠	حاتم الطائي	٨٦	رواة الشعر
١٢٢	زيد الخيل	٨٧	شعراء الجاهلية من حيث اغراضهم
١٢٣	سلامة بن جندل	٨٨٠	لكل طبقة مزية
١٢٣	علقمة الفحل		أصحاب الملقات
١٢٤	عمرو بن معدي كرب	٩٠ -	الملقات
		٩٢ -	امرؤ القيس بن حجر

صفحة		صفحة	
١٣٨	خرنق بنت بدر بن هفان	١٢٤	قيس بن الخطيم
١٣٩	لبلى العفيفة	١٢٥	سائر الشعراء الفرسان
١٣٩	جيلة بنت مرة		الشعراء الحكماء
	الشعراء المهجاءون	١٢٦	أمية بن ابي الصلت
١٣٩	الخطيئة	١٢٨	ورقة بن نوفل
١٤٢	حسان بن ثابت	١٢٨	زيد بن عمرو
١٤٣	عبد الرحمن بن الحكم	١٢٩	قس بن ساعدة
١٤٤	عبد الله بن الزبير		الشعراء العشاق
١٤٤	كعب بن الاشرف	١٣٠	المرقش الاكبر
	الشعراء الوصافون للخيال	١٣٢	عبد الله بن العجلان
١٤٤	ابو دؤاد الايادي	١٣٢	عروة بن حزام
١٤٥	الطفيل الغنوي	١٣٣	مالك بن الصمصامة
١٤٥	النايفة الجعدى	١٣٣	مسافر بن عمرو
١٤٦	الشمخ بن ضرار		الشعراء الصعاليك
	الشعراء الموالى	١٣٤	الشنفرى
١٤٦	عبد بنى الحسحاس	١٣٤	تأبط شراً
	سائر الشعراء الجاهليين	١٣٥	السليك بن السلكة
١٤٧	ابن الدمينه	١٣٥	عروة بن الورد
١٤٨	اوس بن حجر		الشعراء اليهود
١٤٩	المنلس	١٣٧	السموأل
١٥٠	المنقب العبدي		الشعراء المغنون
١٥٠	المنخل البشكرى	١٣٨	التساء الشواعر
			الحنساء

صفحة		صفحة	
١٨١	الشعر في عصر الراشدين	١٥١	كعب بن زهير
١٨١	الشعر والنبي	١٥١	معن بن اوس
١٨٣	الشعر والخلفاء الراشدون	١٥٢	الباقي من هذه الطبقة
١٨٤	اللغة في عصر الراشدين	١٥٤	ما أخذ شعراء الجاهلية
	العلوم الحادثة في عصر الراشدين	١٥٦ -	الخطابة في الجاهلية
١٨٦	جمع القرآن	١٥٩	الانساب في الجاهلية
١٨٨	الخط العربي وتاريخه	١٦٠	الاخبار أو التاريخ في الجاهلية
	العصر الاموي	١٦٠	اسواق العرب ومجالس الادب
	مميزات العصر الاموي		العلوم الطبيعية في الجاهلية
١٩٢	التفريق بين القبائل	١٦٣	الطب
١٩٥	حال الشرق عند الفتح الاسلامي	١٦٦	البيطرة والحيل
١٩٨	اقسام آداب اللغة في العصر الاموي	١٦٧	الانواء ومهاب الرياح
	العلوم الشرعية		العلوم الرياضية
١٩٩	البصرة والكوفة	١٦٩	الفلك والنجوم
٢٠٢	قراءة القرآن	١٧١	النبشولوجيا
✓ ٢٠٥	التفسير	١٧٢	التوقيف
✓ ٢٠٦	الحديث	١٧٣	ما وراء الطبيعة
✓ ٢٠٧	الفقه	١٧٦	السكاهنة والعرافة
	العلوم السانية		القيافة وغيرها
٢٠٩	النحو		عصر الراشدين
٢١١	الحركات		التغير الذي أحدثته الاسلام
٢١٤	الاعجام	١٧٧	اجتماع كلمة القبائل
٢١٥	التاريخ والجغرافية	١٧٧	انتشار العرب والقرآن في الارض
✓ ٢١٧	العلوم الدخيلة	١٧٨	تأثير ذلك في آداب اللغة
٢١٩	اللغة	١٧٩	الخطابة في عصر الراشدين

صفحة		صفحة	
٢٣٧	سائر شعراء الدور الأول	٢٢٠	انقسام القبائل بالمصيبة
	الدور الثاني من العصر الاموي		سحاه بنى أمية
	ساقول شعراء هذا العصر	٢٢٠	رغبة بنى أمية في الشعر
٢٣٨	الاختل	٢٢١	الحركة الادبية في البصرة والكوفة
٢٤٢	جربر	٢٢٣	مميزات الشعر في العصر الاموي
٢٤٥	الرزديق	٢٢٤	خلوه من وحشي الكلام
٢٤٨	الراعي	٢٢٤	كثرة التشبيب
٢٤٨	أبو النجم الراجز	٢٢٧	المهاجاة بين الشعراء
	شعراء السياسة	٢٢٩	نبوغ الموالي
	في الدور الثاني من العصر الاموي	٢٢٩	الشعر السياسي
	انصار بنى أمية	٢٣٠	وصف الخمر
٢٥٠	أبو العباس الاعمى		الشعراء في العصر الاموي
٢٥٢	اعشى ربيعة	٢٣١	شعراء هذا العصر بالنظر الى قبائلهم
٢٥٣	بابغة بنى شيبان	٢٣٢	أغراضهم
٢٥٣	عدي بن الرقاع		الدور الاول من العصر الاول
٢٥٤	أبو صخر الهذلي		انصار على
٢٥٤	عبد الله بن الزبير الاسدي	٢٣٤	النعمان بن بشير
٢٥٥	أبو قطيفة	٢٣٤	ابن مفرغ
٢٥٦	سار أنصار بنى أمية	٢٣٥	أبو الاسود الدثلي
	انصار آل المهلب		انصار معاوية
٢٥٧	زياد الاعجم	٢٣٦	مسكين الدارمي
٢٥٨	نابت قطنة		
٢٥٩	حمزة بن بيض		

كتاب

vs. 142 in 1

تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته
من العلوم والآداب على اختلاف مواضيعها . وتراجم العلماء
والادباء والشعراء وسائر أرباب القرائح . ووصف
مؤلفاتهم وأماكن وجودها أو طبعها
من أقدم أزمنة التاريخ
الى الآن

تأليف

حزقي زيدان

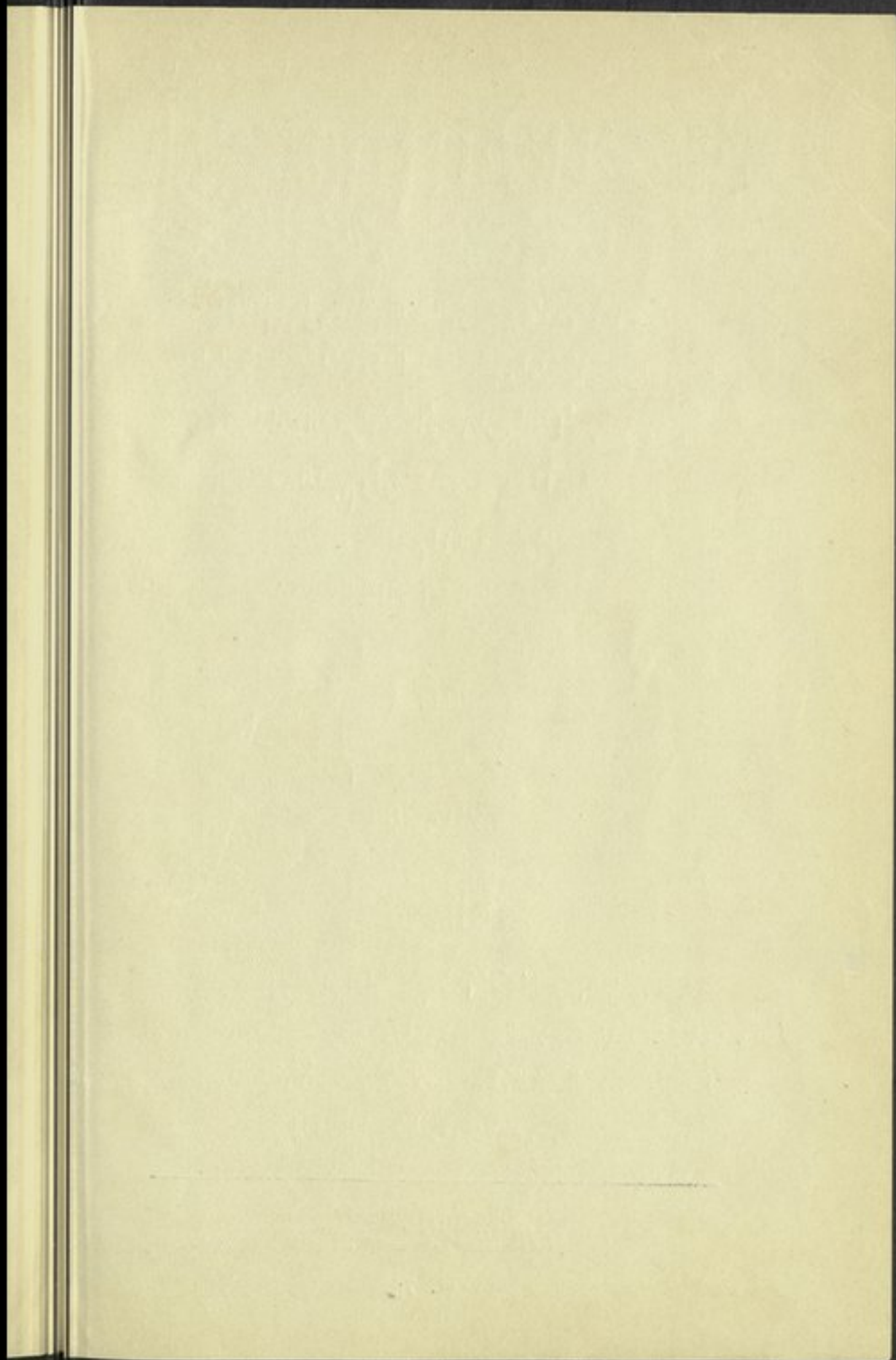
منشور الهلال

الجزء الثاني

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من
قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ
ويدخل فيه تكون العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج
العلم في أواسط القرن الخامس للهجرة

مطبعة البعث

سنة ١٩٣٠



المقدمة

تمهيد في شروط التأليف

من تصدى للكتابة أو التأليف فقد جعل نفسه خادماً للمصلحة العامة . الا من يحرص كتابته في شؤون خصوصية أو يعالج علماً يلدُّ له ولا يهتمه سواه . أو يتعاطى الكتابة لا لغراض معينة . أو يكون مرماه من التأليف بيان قدرته على الانشاء والغوص على المعاني العويصة والألفاظ الغريبة بتقاييد الأساليب القديمة التماساً لاعتجاب العلماء مما يشق فهمه على جمهور القراء - فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لانفسهم أو لطبقة خاصة لغرض خاص ولهم منزلة وفضل ولكن في غير الخدمة العامة . واذا لم يصادفوا إقبالاً من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه بالاعراض والتقاعد عن الكتابة - مع أنه لم يشعر بوجودهم لانهم لم يخاطبوه بلسانه

وأما الكاتب العمومي فانه خادم الامة وولي ارشادها . وعليه ان يبذل الجهد في سبيل مصلحتها . ولا بدَّ له في تأليفه من ثلاثة شروط : الاول اختيار الموضوع الذي يرى الامة في حاجة اليه . والثاني أن يسبكه في قالب سهل تناوله . والثالث ان يتوخى صدق اللهجة والصراحة بلا انحياز الى طائفة أو حزب . والكتّاب يتفاوتون قدرة على القيام بأحد هذه الشروط أو كلها بتفاوت أحكامهم على النافع أو الضار من المواضيع وتباين قدرتهم على ايضاح أفكارهم . ويصعب ذلك على الخصوص في المواضيع الادبية كالتاريخ والاجتماع والاخلاق ونحوها - بخلاف المواضيع الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصري

أما الابحاث الادبية فانها تفتقر في تأديتها الى أعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها في عبارة سهلة سالمة من الركاكه والتعقيد . وهذا في نظرنا هو الاسلوب العصري الذي يجب على كل كاتب ان يتحداه - وهو شائع اليوم على اقلام الكتاب لا يشذ عنه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة وقفاً لا يحلُّ بيعه أو التصرف فيه وقتهم أنها من قبل الاحياء الخاضعة لناموس الارتقاء تتغير بتغير أحوال الاجتماع

من البداوة أو الحضارة . فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة والتركيب
المصرية للافكار المصرية . وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها . كالأعضاء المهمة في
الجسم الحي تقضي الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . أو هي كالحويصلات التي
تدثر بالعمل الحيوي فتخلفها الحويصلات الجديدة النامية . فالتغيير الذي يصيب الالفاظ
والاساليب باختلاف الاعصر دليل على حياة اللغة . ومن حاول الوقوف في سبيل هذا
التغيير فقد طارض الطبيعة - كما يفعل الصيونيون بحبس اقدام بناتهم في قوالب الحديد
لتبقي صغيرة . فهم لا يوقفون النمو لكنهم يشوشون عمله فتنمو الاقدام مشوهة .
وهكذا الوقوف في سبيل اللغة فانه لا يوقف نموها لكنه يشوش عمله .

صدق اللهجة

أما صدق اللهجة والصراحة في القول والخلو من الغرض فهي من أهم واجبات
الكاتب لكنها من أصعب الشروط عليه اذ لا يسهل على الانسان ان يجرد نفسه من
الروابط الدينية أو الاجتماعية التي تتجاذبه وقد رضعها مع اللبن وتمكنت من خاطره
بتوالي الاعوام . وإنما يقوى على مغالبتها قوياً الارادة عالي التربية . وقد يتطرف
المتعصب لأفته أو طائفته حتى لا يرى الحسنات الا فيها ولا يرى في سواها غير السيئات
ولذلك فهو لا يفيد في الخدمة العامة . وقد يضر

أما المواضيع ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه أو
ضره باختلاف حال الامة وباختلاف نسق الكاتب في تبويبه وأسلوبه في تأديته . وفي
مقدار ما يضمن كتابه من الحقائق أو المواد . لان من الكتاب من يصرف همه الى
رشاقة العبارة وتزيينها وتسميقها ولو جرد ذلك الى تبديد المعنى أو غموضه . ومنهم من
يوجه اهتمامه الى الحقائق التي يستطيع جمعها في كتابه بلا تكلف أو تأنيق ويحافظ على
سلامة المعنى قبل كل شيء - هذه هي الخطة التي نبذل جهدنا في تحديدها في ما
نكتبه . لا تنازى الامة في حاجة الى الحقائق أكثر مما الى الالفاظ . وهذا ما
توخيناه على الخصوص في هذا الكتاب لاتساعه وتشعب مواضيعه وتعدد جزئياته .
ولاتا نعلق أهمية كبرى بالنظر الى حاجة الناشئة العربية اليه

ما هو تاريخ آداب اللغة

واختلف الكتاب في مباحث تاريخ آداب اللغة فبعضهم يقتصر منها على تاريخ
الادب بمعناه الخاص دون سائر العلوم . أو بمعناه العام لكنه لا يتجاوز النظر في تاريخه
مع اعتبار مجرى التاريخ العام عليه أو بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفي بعضهم من

تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وأمثلة من أقوالهم بدون التعرض لكتبهم أو يجعل همه وصف الكتب التي ظهرت في كل علم دون التراجم وأطوار العلم . ومنهم من يكتفي بإطراء أصحاب هذه اللغة وما بلغوا إليه من الرقي في معالجة المواضيع الهامة بالقياس على الأمم الأخرى . أما نحن فقد أردنا ان نجمع بين ذلك كله على ما يبلغ إليه الامكان

نسى هذا الكتاب

فقسمنا كتابنا الى أعصر يدنا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة في كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التي أثرت في ذلك وما قد يقابلها عند الأمم الأخرى ومزية العرب فيها . وأرّخنا كل علم في كل عصر وترجمنا الناقلين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب . واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ووصفنا أهم تلك الكتب ومزلتها من سواها . وأشرنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده في أشهر المكاتب الكبرى بمصر أو الآستانة أو أوروبا أو غيرها من المكاتب العمومية أو الخصوصية . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الا في بعض المكاتب الخصوصية التي لم يصلنا خبرها . ففرجوا ممن يقف على شيء من ذلك ان ينبهنا إليه لنشره خدمة لآداب هذا اللسان . وذيابنا كل ترجمة أو باب بأشهر المآخذ التي يمكن الرجوع إليها في تفصيل تلك الترجمة أو التوسع في ذلك الباب

فمن أحب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلاً طلبه في كل عصر وتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية في الآداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا أراد الاطلاع على ترجمة عالم أو شاعر أو أديب أو نحوي أو لغوي أو مؤرخ أو جغرافي أو أي رجل من رجال العلم أو الادب طلب ترجمته في باب العلم الذي غلب عليه حسب الاعصر . فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصل اليها خبره ووصف كل كتاب وأين يوجد . واذا شاء التوسع في ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المآخذ في ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التي تبحث فيه فيختار ما يريد منها

الفرض من هذا الكتاب

وقد الفنا هذا الكتاب للناشئة العربية أو طلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم العربية وأماكنها للمطالعة أو التأليف . أو يعوزهم درس موضوع أو

الكتابة فيه ولا يعرفون مظاهره . وقد عرفنا حاجة الناشئة الى ذلك من الاستئلة الكثيرة التي تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب أحدهم في درس تاريخ أمة أو دولة أو موضوع من المواضيع الاجتماعية أو الاخلاقية أو اللغوية وأحب الاطلاع على مقاله العرب فيه ولا يدري من ألف فيه منهم وهل ما ألفوه لا يزال باقياً وما هي قيمته بالنظر الى سواه في موضوعه وهل طبع وأين وإذا لم يطبع فأين يوجد؟ الخ . فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريد من هذا القبيل . ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس في آخره

وقد توخينا الافاضة في ما يهم طلاب الادب أو الشعر أو التاريخ وسواها من العلوم الادبية والاجتماعية والاخلاقية ونحوها . واختصرنا في كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها بموضوعها . وفعلنا ذلك أيضاً في كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها من العلوم القديمة لذهاب دولتها أو تغير قواعدها

موقع الجزء الاول

وقد تحقق ظننا في حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما آتسناه من اقبالهم على الجزء الاول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة في العصور الاولى قبل تكون العلوم . فافتنته نظارة المعارف العمومية وقررت بعض المدارس الكبرى تدريسه . وطلب اليها البعض الآخرون نستخرج منه نسخة مختصرة للتدريس . وسنعمل ذلك بعد الفراغ من تأليف الكتاب ونشره

وكان للجزء الاول المذكور وقع لدى الادباء والكتاب فتناولوه بالتقريظ والانتقاد . أما المقرظون فذشكر لهم حسن ظنهم . وأما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة متفاوت شدة وأسلوباً متفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه . وتدل على حرج مركز الكاتب الشرقي بين قرائه . وليس في الدنيا جمهور استحکم فيه اختلاف المشارب والاهواء والاغراض مثل قراء العربية . فهم مختلفون موطناً ومشرباً ومذهباً وتربية . فلا يتأتى لكاتب ارضائهم جميعاً ولو أوتي علم الاولين والآخريين

ومما نحسن الاشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على المؤلف تقليده من الامثلة الشعرية أو النثرية ولكن ذلك ما أردناه . ولو أكثرنا من الامثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن أراد التوسع فليطلب ذلك في المآخذ الاصلية

المذكورة في ذيل التراجم . أو يطالعه في كتب الادب لادباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة الاشعار والاقوال اشهرها « ادبيات اللغة العربية » لمحمد طاطف بك والشيخين محمد نصار واحمد ابراهيم وعبد الجواد افندي عبد المتعال من رجال نظارة المعارف العمومية . وكتاب « ادب لغة العرب » للشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس اللغة العربية بكلية الفرير في مجدين . و « بجاني الادب » وشرحه للاباء اليسوعيين في عدة مجلدات . وجواهر الادب للشيخ احمد الهاشمي مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب الهامة في تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » لروحي بك الخالدي وهو فريد في بابهِ

وانما نخص من المنتقدين بالذكر الاب لويس شيخو اليسوعي لانه عقد في مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلاً طويلاً في نقد الجزء الاول من هذا الكتاب نقداً من عن أدبه وفضله ودل على تمكنه من الموضوع . فبعد ان وصف الكتاب ومنزله بالنسبة الى ما ظهر من الكتب في موضوعه بالعربية وغيرها ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعلل واخلاص . فنشكر له حسن ظنه واهتمامه في البحث والتنقيب وسننظر في ملاحظاته بعين الاهتمام وان كان اكثرها في غير مكانه أو قبل اوانه . فان بعضها يكاد يكون تحقيقه مستحيلاً كطلبه بيان اللغات التي كان يتكلم بها العرب في جاهليتهم الاولى . والبعض الاخر ليس مكانه في ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها فقد ذكر اكثرها في هذا الجزء لان اصحابها من ادباء العصر العباسي . واتهمنا بالتقصير في اجابات سبق لنا البحث فيها مطولاً في كتبنا الاخرى كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك في كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفي « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا اموراً لو اردنا العمل بها لاستغرق هذا الكتاب اضعاف حجمه . فانه تقدم لنا ان نستخرج عادات العرب وتاريخهم من امثالهم واشعارهم . وهو خارج عن موضوع الكتاب . ومثل ذلك اقتراحه ان نطيل في درس كل شاعر وشعره وهذا يفترق الى كتاب خاص لكل شاعر . وانما اكتفينا بمخلاصة الترجمة وزبدة ما يقال في الموضوع مع مراعاة المكان وأشارنا الى المآخذ لمن اراد التعمق . وانتقد علينا ايضاً مبالغتنا في بيان مآثر العرب والثوبه بفضلهم ! ويرى ايضاً اننا اخطأنا في تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التي يريد من ورائها خدمة آداب اللغة وهي ضاللتنا التي ننشدها . ولذلك فاتنا سننظر ملاحظاته وتنظر فيها باخلاص وامتنان . وفي كل حال فاتنا قد استفدنا من انتقاده جزاءه الله خيراً وجعله قدوة للمنتقدين

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول ان نجعل هذا الجزء خاصاً بتاريخ آداب اللغة في العصر العباسي من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ فقسمنا هذا العصر او الدولة الى اربعة اعصر لكل منها صفة مشتركة في السياسة والاجتماع والادب يمتاز بها عن سواه سيأتي ذكرها . واما زريد هنا بيان الحكمة في ذلك التقسيم :

فالعصر الاول : (سنة ١٣٢ - ٢٣٢) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث السياسة والدولة او هو عصر الرشيد والمأمون والبرامكة وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية ابان مجدها . وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت اعم العلوم الدخيلة والثاني (سنة ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) هو فترة بين المصريين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بأنفسهم عن نصرة رجال العلم والادب

والثالث (سنة ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث نضج العلم والادب ولا سيما اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وامراؤها ووزراؤها على الاشتغال بالعلم والاخذ بناصر العلماء والرابع (سنة ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ) فيه ظهرت ثمار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما اخذنا بالكتابة اتسع بنا المقال فأكتفينا بالاعصر الثلاثة الاولى في هذا الجزء أي من تكون العلوم الى نضجها . وأجأنا الكلام في العصر العباسي الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله

المختصرة

هذا وقد بذلنا الجهد في تنسيق هذا الكتاب وتبويبه وضبط حقائقه وبسط عبارته باخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية . فان احسنًا فذلك ما أردناه وهو فرض اديناه . والا فقد اعذرنا ببذل الجهد وصدق النية . ولنا الامل ان ينشط من ادبائنا من يوفي الموضوع حقه بأحسن مما فعلنا وبالله التوفيق

العصر العباسي او المولدة العباسية

من سنة ١٣٢ - ٦٥٦ هـ

تختلف الدولة العباسية عن الاموية اختلافاً ينياً : كانت الدولة الاموية عربية بدوية واصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية - الا من حيث آداب اللغة فظلت عربية وفي ايامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت علوم القدماء الى لغتهم ونبغ الشعراء والادباء والنحاة والمؤرخون واللغويون والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والاطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي او الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن - من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ وقد تقلبت آداب اللغة العربية في اثنائها بتقلب الدول وتقلب الامم على ما اقتضته الانقلابات السياسية او الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون او العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة الاولى خصائص تختلف عما لسواء باختلاف احوال الاجتماع او السياسة او باختلاف الدول التي افضت الامور اليها . اما القرنان الاخيران فيشتركان في احوالهما . فقسمنا العصر العباسي الى اربعة ادوار او اعصر وهي :

١ - الدور أو العصر الاول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى اول

خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسبناه العصر العباسي الاول

٢ - العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ الى استقرار الدولة

البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ

٣ - العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ الى دخول

السلجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ

٤ - العصر العباسي الرابع : من دخول السلجقة بغداد الى سقوطها في ايدي

التر سنة ٦٥٦ هـ وسنصدر الكلام عن كل عصر بما حدث فيه من الانقلاب السياسي او الاجتماعي الذي بعث على تغيير آداب اللغة فيه . ويقال بالاجمال ان في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية ارقى احوالها ونضجت فيها اكثر الآداب العربية ونمهد الكلام في ما كان من تأثير القرآن في نشوئها . وقد أشرنا الى شيء من ذلك منفرداً في الجزء الاول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا فنقول :

القرآن

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في ابان التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والادب والشعر وغيرها . واكثرها نشأ من القرآن او تولد خذمة له ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه رأساً او ضمناً . فلا غرو اذا افردنا فصلاً خاصاً لبيان ذلك

١ - العلوم التي تفرعت مع القرآن او نسأت لخدمته

حمل العرب على العالم في صدر الاسلام وما في ايديهم من الكتب غير القرآن يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون اليه وقد اعجبوا بأسلوبه ودهشوا ببلاغته . لانه ليس من قبيل ما كانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولا نظم الشعراء المقفي الموزون . وقد خالف كليهما وهو متثور مقفي على مخارج الاشعار والاسجاع . فلا هو شعر ولا نثر ولا سجع وفيه من البلاغة واساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والاحكام والابخار . فاصبح همهم تلاوته وتفهم احكامه لانه قاعدة الدين والدنيا وبه تتأيد السطة والخلافة . وهو أول كتاب أخذوا في قراءته وحفظه

﴿ القراءة وعلومها ﴾ واختلفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من القراء مر ذكرهم . وأخذ كل منهم يثبت صحة قراءته فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي الاعصر الى سبعة علوم هي : علم الشواذ وعلم مخارج الحروف . ومخارج الالفاظ . والوقوف . وعلل القرآن . وكتابة القرآن . وآداب كتابة المصحف . وفي كل من هذه العلوم قواعد وكتب

﴿ النحو ﴾ واول شيء احتاجوا اليه في ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على التعجيل في وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس في قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق . فسمع ابو الاسود الدؤلي رجلاً يقرأ « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بخفض رسوله فصنم باب العطف والنعمة وهو من اسس علم النحو . ثم وضع الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من اهم البواعث

على وضع النحو أو الاسراع في وضعه . فتمت قواعده ولم يتم القرن الثاني للهجرة أي أنه نضج في قرن وبعض القرن واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون ولم يضع الرومان نحو اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٢٢٤

﴿ الادب وعلومه ﴾ ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب وأساليبهم . ولما أخذ المسلمون في تفسير القرآن احتاجوا أيضاً الى ضبط معاني الفاظه وتفهم اساليب عبارته فجزَّهم ذلك إلى البحث في اساليب العرب واقوالهم واشعارهم وأمثالهم وهو « علم الادب » وقد بعث الى وضعه بالاكثر تفسير القرآن - قال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في أشعار لان الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية أو ارادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم فهمه او تفهم أسلوب لم يألفوه اتوا بشعر جاهلي وردت فيه تلك اللفظة بهذا المعنى أو ذاك الاسلوب وخصوصاً في التفاسير التي يراد بها المعنى اللغوي بالاكثر كالكشاف للزخشري فان الشواهد الشعرية التي جاءت فيه استغرقت مجلداً ضخماً افرده بعضهم كتاباً لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصاروا يؤلفون كتب الادب والتاريخ لخدمة القرآن - قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء « وكان اكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلُّ أهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلعم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الادب من الفنون الادبية والعلوم المتعلقة بالالفاظ وهي تزيد على عشرين علماً كالنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والعروض وغيرها والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن

﴿ الحديث ﴾ واحتاجوا في تفسير القرآن أيضاً الى تفهم الحديث لانهم كانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من احكامها استعانوا باقوال النبي على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة في الارض بعد الفتوح تفرقت الاحاديث معهم فاشتغل جماعة من أهل الفرائض في جمعها وتدوينها وتولده من ذلك بتوالي الازمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وناسخه وتأويله ورموزه وغرائب لغاته وتلقيقه واحوال الرواة ونحو ذلك . وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفات وابحاث وعلماء ﴿ التفسير ﴾ والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عديدة ذكرها صاحب مفتاح

السعادة وهي تزيد على سبعين علماً ولكل منها علماء ومؤلفات وابحاث ومناظرات وكان للعلوم اللغوية ارتباط بالعلوم الشرعية لا يستطيع الطالب اتقان الواحدة إن لم يتقن الاخرى حتى قال حماد بن سلمة « أن الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها »

﴿ الفقه ﴾ ولما صار الاسلام دولة احتاج امرؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في احوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فكان معولهم على القرآن والحديث فاستنبطوا منه الشريعة واحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوي ونحوها

﴿ التاريخ ﴾ ولما اشتغل المسلمون في تفسير القرآن وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن والاحوال التي كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها . واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والادب الى البحث في اسانيدھا والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجزّهم ذلك الى النظر في الرواة وتراجهم وسائر احوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين أو النحاة أو الفقهاء أو الحفاظ أو النساين أو غيرهم وكان ذلك من أهم اسس علم التاريخ واتسع تأليفهم في هذا السبيل حتى كثيراً ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الاعلام الواردة في كتاب ككتاب تراجم الرجال الذين روى ابن اسحق سيرة النبي عنهم وكتاب تهذيب الاسماء فان من أهم البواعث على تأليفه ترجمة الاعلام الواردة في كتب مختصر المزني والمهذب والتنبية والوسيط والوجيز والروضة

وزد على ذلك أن المسلمين يجدون في القرآن آيات تستحثهم على الاشتغال في التاريخ والاحبار للعبرة والموعظة كقوله « لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب » وقوله « ومثلا من الذين خلوا من قبلهم وموعظة للمتقين » وقوله « كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق »

﴿ الجغرافية ﴾ ويقال نحو ذلك في الاسباب المساعدة على وضع علم الجغرافيا أو تقويم انبلدان أو الاسراع في نضجه ونموه كالاسفار في طلب الحديث من حماته والحج الى مكة والرغبة في تطبيق القواعد الفقهية كالخراج والجزية ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صاحباً أو عنوة . فجزّهم ذلك الى تعرف البلاد

ومواضعها وعلّة فتوحها . ووجدوا في القرآن نصوصاً تحضُّ على طلب هذا العلم كقوله « أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وقوله « قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كانت عاقبة المكذبين » وغير ذلك

٢ - تأثير القرآن في آداب الجاهلية

هذا ما كان من تأثير القرآن في تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام . وهناك تأثير لا يقل عن ذلك احده القرآن في الآداب التي كانت شائعة قبل الاسلام فغير اسلوبها ورقاها وهاك اهمها : —

﴿ الخطابة ﴾ الخطابة والشعر من الفنون الادبية الجاهلية التي زادها الاسلام رونقاً وبلاغة والخطابة سبقت الشعر في ذلك لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات فمارسوها وقد اشربت نفوسهم باسلوب القرآن لما علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه فارتقى ذوقهم الخطابي بتحدي اسلوبه واقتباس آياته . فاخذ الخطباء برصعون خطبهم بالآيات تمثلاً وتهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة بجملتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وحرص أهله على طاعة أخيه عبد الله وقد نشرنا خطبته في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٤ وصار المسلمون يسمون الخطبة التي لم ترين بشيء من القرآن « الشوواء »

﴿ الشعر ﴾ وقس على ذلك تأثيره في الشعر فانه زاده طلاوة ورونقاً واكتسب تعابير واساليب لم تكن له من قبل وترى امثلة منها في اثناء هذا الكتاب

﴿ الانشاء ﴾ لم يصلنا من أساليب الانشاء الجاهلي غير سبع الكهان اتينا بمثال منه في كلامنا عن الكهانة في الجاهلية في الجزء الاول . وأقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهلين مشهورة وكلها باردة ركيكة يمجها الذوق — ذلك ما وصل الينا على ألسنة الرواة . على أنهم نقلوا الينا من أساليب الخطابة في الجاهلية ما يخالف ذلك كخطبة قس بن ساعدة في عكاظ - والخطابة والانشاء يتقاربان باسلوبهما في كل زمان ومهما يكن من الامر فان الانشاء في الاسلام تبدل وارتقى كما ارتقت الخطابة ودخل في طور جديد من البلاغة والفصاحة في عبارته على اختلاف طرق تأديتها . وأخذ الكتاب يتحدثون القرآن في الايجاز والاعجاز ويتوخون الاختصار على قدر الامكان عملاً بالحديث الفائل « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي

الكلام اختصاراً» فكانوا يجمعون المعنى الكبير في اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجرداً من اللفظ. وكان لتلك الرسائل تأثير الخطب في الفتح فاستعاضوا بعد زمن الفتح ببلغاء الكتاب عن بلغاء الخطباء - كأن الرسالة البليغة خطابٌ يتلوه المرسل إليه. وقد أتينا بأمثلة من ذلك في الجزء الأول صفحة ١٩٩

وكانوا إذا أرادوا البلاغة والتأنق في الانشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضها المقام فهي كالترصيع أو التطريز ولا يزالون يفعلون ذلك الى اليوم. ويكفي مثالا على ارتقاء ذوق الانشاء بالقرآن ما ظهر من بلاغة علي بن أبي طالب في خطبه ورسائله - ثم كان للانشاء تاريخ سنائي عليه في حينه

﴿ اللغة ﴾ دخل اللغة كثير من الالفاظ الاسلامية واكتسبت كثيراً من المعاني الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الالفاظ التي اقتضاها الاسلام وقد فصنا ذلك في مكان آخر

وبالجملة فان معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن أو الاسلام حتى عدها بعضهم من قبيل الدين. قال أبو عمرو بن العلاء « علم العربية هو الدين بعينه »

وقد رأيت أن العلوم اللسانية استعجلوا في وضعها لقراءة القرآن وتفسيره لكنها ما لبثت أن صارت عالية عليه ترجع في تحقيق قواعدها الى آياته يستشهدون بها في النحو والادب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع في كتاب سيدويه في النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن

واعتبر ذلك في سائر فنون الادب أو علوم اللغة. ومنها ما تأيد أكثره بأساليب القرآن كالمعاني والبيان والبديع ونحوها. ويرى المسلم في القرآن أما كن يتسم منها الخوض على طلب العلم ورفع قدر العلماء كقوله « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

٣ - تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الاهمية لم يوفق لغير القرآن من الكتب الدينية في الامم الاخرى - ذلك أنه أطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها. وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربي. لان الاسلام يفرض على كل مسلم أن يحفظه ويظلمه - لولا القرآن لكانت لغة العالم العربي لغات متفرقة يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت اليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب

دولة الرومان فتفرق أصحابها أئماً وطوائف واحتمت الدولة الرومانية والأمة الرومانية
كأئمت سواها من الامم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والابناط في الشام
والقبط في مصر - وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة

أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن وحفظ بها التفاهم بين الامم الاسلامية في
الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها. ولولاه لكانت كل
أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبها. ومع ذهاب التمدن الاسلامي وتفقه
الدولة الاسلامية كان يخشى ضياع تلك الامم وقناؤها أو اندماجها في الامم التي تسلطت
عليها كما أصاب الامم التي اندمجت بالعرب بعد الاسلام. لكنها الآن تجتمع وتتكاثر
لأنها تفاهم بلغة واحدة لغة القرآن وتعد نفسها أمة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن ولو كانوا في أقصى
الشرق كالهند والصين أو بأواسط آسيا تركستان وخراسان وفارس. فان عدد قراء
العربية يزيد على مئتي مليون وقراء النوراة بلغتها الاصلية شرذمه من اليهود المتعلمين
وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده. وقراء الانجيل بلغتها الاصلية فئة قليلة. وأكثر
أمم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة اليها. أما القرآن فلمسلمون يقرأونه في
اللغة العربية

ويعدُّ من قبيل تأثيره في آداب اللغة ايضاً تأثيره في أخلاق اصحابه. ولسلك
كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثير عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو
تباعدت مواطنهم - وذلك طبيعي لما نعلمه من تأثير العادات في الاخلاق والابدان.
ولسلك دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها في اخلاق اصحابه. فالمسيحيون
يشاركون في كثير من الآداب والعادات والاخلاق يمتازون بها عن سواهم وكذلك
اليهود وغيرهم

واعتر ذلك في القرآن بل هو أشد تأثيراً في اصحابه من سواه لانهم مكلفون
بحفظه قبل كل علم وهم اطفال. وهو داخل في كل شيء من امورهم الدينية
والدنيوية واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية واحوالهم والعائلية
حتى الطعام واللباس والشراب والنوم والغسل وكل شيء يمكن استنباطه منه ويوجد له
مثال فيه. وهذا لا تراه في الانجيل مثلاً فانها كتب تعليمية لمصاحبة الآخرة فقط.
ولا نجد فيها شرطا او حكومة او احوالا شخصية او نحو ذلك الا ما يأتي عرضاً
ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضاً من حيث اخلاق القوم الذين كتب الكتاب لهم أو بلسانهم بما يلائم أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل كما يختلف اخلاق العرب الجاهلية الذين جاء القرآن بلسانهم عن أخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والاقوام الذين كتبت الاناجيل بالسنتهم

وتأثير القرآن في اخلاق اهله ومعاملاتهم اليومية والبيئية لا يخلو من التأثير على عقولهم وقراءتهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه . فالصبغة الدينية القرآنية أو الاسلامية تظهر في مؤلفات المسلمين ولو ألفوا في الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية أو الطبيعية . فضلا عن العلوم الاسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والادب

وبالجملة فان للقرآن تأثيراً في آداب اللغة العربية ليس لكتاب ديني مثله في

اللغات الاخرى

العصر العباسي الاول

او المائة الاولى من سيادة العباسيين في بغداد

من سنة ١٣٢ — ٢٣٢ هـ

هو عصر الاسلام الذهبي بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها بالثروة والحضارة والسيادة وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت أهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء أهلة بالادباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابار مجده . وكانت الدولة العباسية في اكثره صاحبة السيادة على العالم الاسلامي . وأوربا في اكتف غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية كأن الاسلام هز أركانه ونبه اهله فنهض الفرس والترک والتتار والهنود - حتى اهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية ادبية في اثناء العصر العباسي الاول او على اثره . فنبغ في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من شعور الشعراء على عهد دولة طائع وكانوا كالعباسيين في دورهم الاول يحبون العلم ويقدمون العلماء . واشتغل اليابانيون في ذلك العصر ايضاً باصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ونبغ فيهم الشعراء والكتاب والمصورون والحفارون وغيرهم وتمهيداً للكلام في آداب اللغة العربية في ذلك العصر نذكر الانقلاب السياسي الذي تقدمه بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير في الآداب والعلوم

الانقلاب السياسي

في العصر العباسي الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية في دمشق على حدود بادية العرب وكان خلفاء تلك الدولة عرباً وجندها وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية فقد نصرها الفرس فجمعت قصبها (بغداد) على حدود بلادهم واتخذت وزراءها واكثر امرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الادب او الشعر او باسباب الملاهي

فالتقى فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقابي والهندي والبربري والزنجي . وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابي والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم

واعتبر ذلك في البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية فقد كانتا آهلتين بالناس على اختلاف محلهم واجتاسهم وعناصرهم ومختلفان عن بغداد بمن اقام في ضواحيهما من جالية العرب أهل البادية من القبائل التي نزلت الى هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة يجتمع اهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد فاصبحت بما استبحر من عمراتها هي وحدها ام المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها في ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها وناهيك ببؤرة بغداد وحضارتها وتبسط اهلها في العيش واركابهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المال على اهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان او اهل المهن او الادب او الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسي الاول بمن تولى فيه عرش بغداد من الخلفاء العلماء لرغبتهم في العلم واجلال العلماء والادباء فسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالغوا في اكرامهم وقربهم وجالسهم وأكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يبق ذو قريحة أو علم أو ادب الا يتم دار السلام ونال جائزة او هدية او راتباً ولا يزهوا العلم الا في ظل امير يتعهد به يأخذ بايدي أهله — والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسي الاول من اكثر الملوك رغبة في العلم: يروى ان المنصور لما مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفعه قال للربيع وزيره « انظر من في اهلي ينشدني (أمن المنون وربها تنوجع) حتى اتسلى بها عن مصيبتني » فطلب الربيع ذلك من بني هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور « والله لمصيبتني باهل بيتي ألا يكون فيهم واحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب اعظم واشد علي من مصيبتني بابني »^(١)

وكان للمنصور دقاتر علم هو شديد الحرص عليها حتى اوصى ابنه المهدي بها عند وفاته^(٢) . وكان المنصور من احسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق^(٣) وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة

(١) الاغانى ٦١ ج ٦ (٢) ابن الاثير ٧ ج ٦ (٣) البيان ١٥٦ ج ٢

تشبيهم قبل المدح وكان يكره الغزل^(١) أما الرشيد فكان اكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقاداً للشعراء وكان يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا^(٢) وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابنه المأمون اشهر من ان يذكر بعلمه وقضاه وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك بابناء الخلفاء والامراء فقد اشتغل كثيرون منهم بالادب كابراهيم بن المهدي انه اول نابغ من بني العباس في التزل والشعر والموسيقى وله كتاب في الادب اسمه «ادب ابراهيم» وكتاب الطبخ والطب وكتاب الغناء ضاعت كلها . واعتبر ذلك ايضاً في الامراء والوزراء كابي دلف العجلي سيد قومه فقد كان اديباً ووالف في سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير اعظم منها كثرة وحسناً . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه فالف كتاب اختلاف الملوك وكتاب الصيد والجراح وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعراً مترسلاً بليغاً وكذلك ابنه طاهر ولكل منهما مجموع رسائل

فالدولة التي يكون ملوكها وامراؤها على هذه الصورة يجدر بها ان ترهو بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة بسائر عصور آداب اللغة من اول الاسلام فانك لا تجد نهضة الا كان للملك او الامير او الرئيس تأثير كبير فيها — ذلك شأن الامم في الحكم المطلق واردة الملك شريعة المملكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقايد الا ما يمس الدولة او الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في ايامهم من المجوس وغيرهم . غير الفرق الاسلامية وتعدادها . وكان اكثر الخلفاء تسامحاً في الدين المأمون فكان هو نفسه شيعياً وكان وزيره يحيى بن اكرم سنياً ووزيره احمد بن ابي دواد معتزلياً . يكتفيك من تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القرآن .

فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده او مذهبه فرما اجتمع عدة اخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب . فالولاد ابي الجعد ستة منهم اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان

(١) الاغانى ٥٥ ج ٣ (٢) الاغانى ٣٩ ج ٥

الوزراء الفرس والموالي

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير في تلك النهضة . والفرس اهل مدينة قديمة وكانوا يومئذ في نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويذلون المال في تقريبهم واستحثات قرائحهم فوقف الادباء والشعراء على ابوابهم كما وقفوا بباب الرشيد وكانت لهم ايادٍ بيضاء في ترجمة العلم القديم الى العربية

ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالى (المسلمين غير العرب) الذين كان الامويون يحتقرونهم قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصرهم في تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالى واستخدموهم في امور الدولة. فارتفع شأن الموالى من ذلك الحين واكثرهم من الفرس. اشهرهم في العصر العباسي الاول آل برمك وآل الفضل. وكان الخلفاء العباسيون يتواصلون بالموالى وحسن معاملتهم والاحسان اليهم فنبغ فيهم طائفة كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل

ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجوارى مما لم يسمع به قبله حتى كان منهن في بعض المنازل عشرات وفي البعض الآخر مئات . وبلغ عددهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادون كما يتهادون الحلي والجواهر^(١) . وتكاثر الغلمان فيه وتفتنوا في تزينهم واستخدامهم وشاع تسريحهم كما يتسرون الجوارى ويتهادونهم كما يتهادونهن وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء^(٢)

فلا انقلاب سياسي والاجتماعي المشار اليه احدث انقلاباً في الافكار والعقول وظهر أثر ذلك طبعاً في آداب اللغة كما سيجىء

(٢) الاغانى ٢٠٨ ج ٦

(١) ترى تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم او الآداب التي سننظر في تاريخها تدخل في اربعة ابواب :
 الاول : العلوم العربية الاصلية التي كانت قبل الاسلام واهمها اللغة والشعر
 والخطابة

الثاني : العلوم الاسلامية وهي قسمان ١ : العلوم الشرعية الاسلامية
 التي اقتضاها الشرع الاسلامي ٢ : العلوم اللسانية نعني علوم اللغة التي اقتضتها
 العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

الثالث : العلوم الدخيلة التي نقلت عن الامم الاخرى
 وتبدأ بالعلوم الدخيلة ليظهر تأثيرها في سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو اردنا بسط الكلام في هذه العلوم واصولها ومواضيعها وما نقل منها الى لساتنا
 لضاق بنا المقام وبعدها عن المراد من هذا الكتاب— نعني الكلام في ما يمكن الرجوع
 اليه والانتفاع به من الكتب . والعلوم الدخيلة التي نقلت يومئذ اصبحت معظمها في
 زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعي الحديث . وقد فصلنا خبرها في الجزء الثالث من
 تاريخ التمدن الاسلامي فنكتفي هنا بفذلكة اجمالية

امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز اصحاب التمدن الاسلامي على سواهم من الامم الفاتحة
 من هذا القبيل ان القوط او قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كاسطوا
 عليها العرب من الجنوب وكلاهما اهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا في القرن
 الخامس فتركوا اهلها الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم وظلوا هم على بداوتهم
 وحبهم الحرب واستخدموا الوطنيين في تدبير حكومتهم — كما فعل العرب في اوائل
 دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فالفوا لهم الكتب
 باللاتينية وليس بالقوطية . فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من
 الفروع . أما العرب فانهم حالما استتب لهم السيادة جعلوا الدواوين في العربية وحلوا
 رعاياهم على مكاتبهم بالعربية . ولما ارادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى
 العربية فذهبت لغات الامم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ما هي العلوم الدخيلة

تريد بها العلوم القديمة التي كانت شائعة عند ظهور الاسلام في الممالك التي عرفها المسلمون . وهي عبارة عن خلاصة ابحاث رجال العلم والفلسفة والادب في ممالك التمدن القديم على اختلاف الامم والدول والاماكن والاطوار في القرون المتوالية من اقدم ازمنة التاريخ الى ايامهم وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان . ولا يراد بذلك ان العرب اخذوا علم كل امة عن اهلها رأساً ولكنهم جاءوا والعلوم قد تحللت بتوالي الادهار وتفاعل العناصر واجتمع معظمها لليونان فبويوها ورقوها وظهرت النصرانية فآثرت فيها . وبقي بعضها في بقايا الدول القديمة كالفرس والكلدان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين وانتظموا في خدمتهم فاخذوا من هؤلاء جميعاً . ولذلك كان من جملة افضال التمدن الاسلامي على العلم انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية الى العربية وزاد فيها ورقاها

فلنبحث اولاً في حال العلم والادب في البلاد التي عرفها المسلمون وهو يتناول النظر في آداب اليونان والفرس والهنود والكلدان على ما يأذن به المقام . ثم تقدم الى الكلام في ما نقله العرب من ذلك

آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسة

ينبأ في الجزء الاول من هذا الكتاب اقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة . فنكتفي بملخص تاريخية عنها :

اخذ اليونان باهداب الفلسفة والعلم على اثر الحروب المورية فانها توالى ٢٧ سنة وفي نهايتها دخت اثينا في حوزة اللقديمونيين واصبح الاثينيون بعد العزادلاء فساقهم العبرة والمذلة الى النظر في الوجود فهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع اساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبا نهضة ادبية او علمية او سياسية على ما قررناه في غير هذا المكان — وان كانوا قد تنبهوا الى شيء من ذلك قبلاً

فلما اصيبت اثينا بالذل بعد تلك العظيمة اصاب اهلها اضطراب وانكسار — والانسان اذا أصيب بنكبة لاحيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليقات الفاسفية عن

الوجود وأصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصاً في مثل ما أصيبت به ائمتنا بعد عزها ورفعة شأنها . وأصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الوراء آسفين وينظرون الى الامام خائفين وقد ذهبت أسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتنهت أذهانهم وانصرفت قرايحهم الى النظر في شؤون الانسان على الجملة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الادب والفلسفة . فدخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق أحوالهم ونفوسهم تشتاق الى الزيادة



ش ١ : سقراط

﴿ سقراط ﴾ وكان الناس في ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى النظر في الفلسفة الطبيعية لا يجدي نفعاً في تلك الاحوال فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيداً وخلصها مما كان يعتورها من الرموز والنوامض وطبقها على حاجات الالبيين يومئذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانسان من حيث هو انسان والى ما يتعلق به من حيث هو اب ومدبر والى ما يتعلق به من حيث هو أحد الجماعة . وذهب الى خلود النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العمالية أو هو نحو الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل — قال شيشرون « ان سقراط انزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر ان ينجو التوابغ واصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون أذيتهم أو

يسعون فيها . وقد كانت في تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الاثينيين يومئذ فقاموا عليه وقتلوه



ش ٢ : افلاطون

﴿ افلاطون ﴾ مات سقراط ولم يدون شيئاً من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ولكنهم اختلفوا في تفسير اقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكرينية والكلية والاشرافية . وهذه الاخيرة اشهرها ، وتسمى ايضاً الافلاطونية نسبة الى صاحبها افلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة فانه تبع هيرقليطس في الطبيعيات وفيثاغورس في ما وراء الطبيعة والتقليبات وتبع سقراط في الفلسفة الادبية والاخلاق . وقال بثلاثة أصول الاله والمادة والادراك والالهة عنده ثلاث طبقات . عليون ومتوسطون وسفليون وعالم بتناسخ الارواح . وكتب افلاطون على أسلوب المحاورات

﴿ ارسطو ﴾ وانقسم تلامذة افلاطون ايضاً الى فرق اهمها فرقة المشائين وصاحبها ارسطو او ارسطوطالس الذي اجمع العلماء على انه اقدر الفلاسفة القدماء ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ ق م . وعنه نقل العرب اكثر كتب الفلسفة والمنطق . جمع ارسطو في كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء في عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . اما الفلسفة فاخذاها عن أستاذه افلاطون ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . وأما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها فقد كانت من جملة ما طالعه من علوم القدماء وما اختبره بنفسه . وكان غرض ارسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلي او نظري الى النواميس الطبيعية . ولم يكن يهيمه تزويق العبارة او

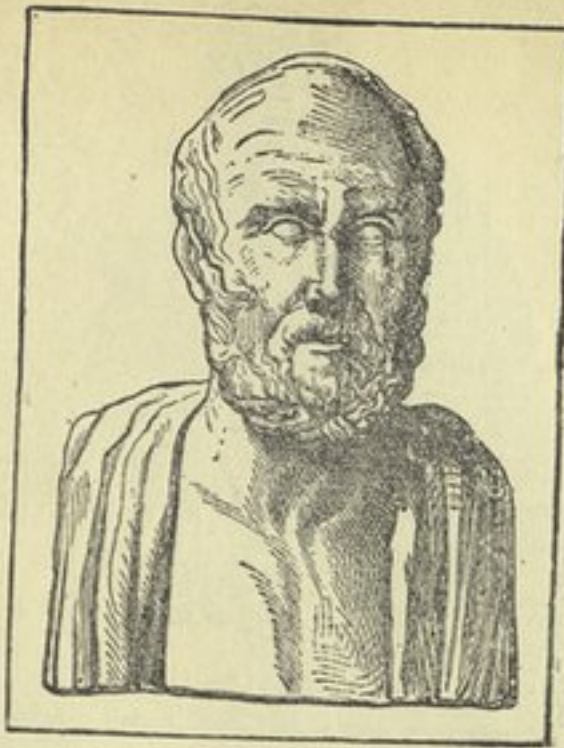


ش ٣ : ارسطو

برقشة الالفاظ وانما كان يهجم الغرض الاصلي من الموضوع . فكان يبذل جهده في تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التي مازجت فلسفة افلاطون والكتب التي ثبتت نسبتها الى ارسطو ١٩ كتاباً نقل معظمها الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون في الصفحة ١٥١ وما بعدها من تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣

الطب والنجوم

والطب ايضاً من ثمار تلك النهضة على اثر الحرب المورية وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالسكھانة وينسبون الامراض الى اعمال الشياطين والعلاجات الى اعمال الآلهة . وكان الفلاسفة يتكلمون في الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعي ولم يستقل احد منهم بالبحث فيه . وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على اسس صحيحة ابقراط المتوفى سنة ٣٥٧ ق.م ولذلك سموه ابا الطب . وهو من نتاج الحرب المورية نشأ في اثناها ونبغ بعد انقضائها وسافر الى سوريا ولعله اطلع على طب البابليين والمصريين فاضافهما الى طب اليونان والتف فيه الكتب . واساس معالجته الاعتماد



ش : : ابقراط

على الطبيعة وكان يفصد ويحجم ويكوي ويحقن ويشخص الامراض بالساعة ويصف
المسهلات النباتية والمعدنية. وله كتب في الطب كثيرة ذكروا منها ٨٧ كتاباً ولم يثبت
له منها الا نحو العشرين ونقلت في جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية .
وما زالت كتب ابقراط معول الاطباء الى العصر الجديد وفيهم من شرحها او فسرھا
او ترجمها او علق عليها

ومن اشتغل من اليونانيين في ترقية العلوم الطيبة بعد ابقراط ارسطو وغيره
من الفلاسفة العظام فلما انشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة كان للطب
شأن كبير فيها

والنجوم او علم الفلك قديم عند سائر الامم كما قد رأيت في كلامنا عن علوم
العرب قبل الاسلام . اخذ اليونان مبادئ هذا العلم عن سبقهم من أم التمدن
القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند أنفسهم . وكان النظر فيه من جملة
إبحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقل من جاء بعده من فلاسفة اليونان ولم
يتعرض لهذا الفن واشهرهم فيه انكسيندر وانكسيمينس وانكساغوراس . وكان للقسم
الاطالي من بلاد اليونان عناية كبرى في النجوم ومقدام فلاسفتهم في فيثاغورس
الشهير المتوفي سنة ٥٠٠ ق.م اخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه في ذلك

كثيرون . ويكاد لا يخلو فيلسوف يوناني من النظر في النجوم واحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده في مدرسة الاسكندرية ويقال نحو ذلك في سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة فقد اشتغل فيها الفلاسفة لكنها لم تتضح الا في مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس



ش ٥ : اوقليدس

وقد عقدنا فصلاً عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل احرقها العرب في الجزء الثالث



ش ٦ : ارخيدس

من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٠ و ١٢٣ وفصلاً في الهلال الاول من السنة العشرين وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون ومنهم اوقليدس وارخيدس وابولونيوس من اهل القرن الثالث قبل الميلاد وهيارخس من اهل القرن الثاني . وفيها ظهر بطليموس القلوزي الجغرافي والرياضي في اواسط القرن الثاني بعد الميلاد فوضع كتاب المجسطي وكان عليه المعول في مدارس العالم الى عهد غير بعيد ولف ايضاً كتاب الجغرافية الشهير . واشتغل علماء الاسكندرية خصوصاً برصد الافلاك واستخراج الازياج وظل مرصدهم وحيداً في العالم الى ايام الاسلام



ش ٧ : جالينوس

اما الطب فكان يعلم في مدرسة برغامس . فلما زهت مدرسة الاسكندرية توجهت الانظار اليها وعمدة التدريس فيها على مؤلفات ابقراط لكنهم اشتغلوا ايضاً في التشریح وفاقوا به سوامم وانقسم اطباء الاسكندرية في الطب الى حزبين حتى ظهر جالينوس في أواخر القرن الثاني للميلاد فاتمى الطب اليه واصبحت كتبه معول الناس فيه . وللطب والفلسفة في مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

آداب اللغة الفارسية

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان وهم امة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح بيضعة قرون فجردت على بلادهم جيشاً قد يمتع على أعظم دول الارض اليوم حشده ونقله بمهمات ومؤوته من اوسط اسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرناً . فالدولة التي هذا مبلغ قوتها لا تخلو من ادب وعلم والفرس أهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لاسباب التمدن فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهاجرات ونحوها وان كان ما وصل منه الينا قليلاً . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والأنواء فقد احرزوا شيئاً منها وخصوصاً لانهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في ابان تمدنهم واحتلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر بلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام

والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ في الظهور الا في ايام سابور بن ازدشير فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية^(١) واخزنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انو شروان العادل (من سنة ٥٣١ — ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ففرَّ بعض اصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انو شروان فاكرم وفادتهم وامرهم بتأليف كتب الفلسفة او نقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب^(٢) والفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انو شروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت اساساً لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

ولم يقتصر أبو شروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود ايضاً من السنسكريتية الى الفارسية^(١) وانشأ في جند بسابور مارستاناً (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان وكانوا يعلمون فيه الطيبين الهندي والابقرطي فجمع بين الحسينين

آداب اللغة السريانية

كان للسريان تمدن قديم وانما يهمننا في هذا المقام ما كان عندهم من علوم الفاسفة التي اشتغلوا بنقلها . وهم في ذلك تلامذة اليونان لانهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم كما تعلمها الرومان قباهم واقتبسها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم . والسريان اهل ذكاء ونشاط فكانوا كما اطمأنت خواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال في العلم فانشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها وخصصوا بعضها . ومنهم خرج اكثر الذين ترجموا العلم للعباسيين واكثرهم من انساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم في العلم لانفسهم

كان للسريان في ماين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها وفيها ابتداء السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في القرن الخامس للميلاد . وبعد ان تعلموها اخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق في اواسط القرن المذكور . ثم اتم دراسة المنطق سرجيس الراس عيني الطبيب المشهور وفي المتحف البريطاني بتندرا نسخ خطية من ترجمته الايساغوجي الى السريانية . وكذلك مقولات ارسطو لفرفوربوس وكتاب النفس وغيرها . وقد نشر بعضها من عهد قريب

في اوئل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية وتخرج فيها جماعة كبيرة من السريان وفي جملتهم الاسقف سويرس فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها الى السريانية ولا تزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف البريطاني . وقد اتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوي واضع علم النحو السرياني واتاسيوس

بلد . ومن تلامذته اثناسيوس جورجوس المعروف باسقف العرب (٦٨٦ م) فقد ترجم بعض كتب ارسطو . واشتغل جماعة آخرون في ترجمة كتب افلاطون وفيثاغورس وغيرها مما يطول شرحه . واشتهرت هناك مدارس اخرى كمدرسة نصيبين التي كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية اما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على اثر انشاء مارستان جند يسابور واشتهر فيهم من اهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الراس عيني المتقدم ذكره واناتوس الامدى وسمعان الطيبوتي والاسقف غريغوريوس والبطريك ثيودوسيوس وغيرهم من الاطباء الذين ادركوا الدولة العباسية وخدموها وقد نقل اطباء السريان كثيراً من كتب الطب من اليوناني الى السرياني حتى في اثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لانهم كانوا كثيراً ما ينقلونها الى السرياني فقط او الى السريانية والعربية معاً

آداب اللغة الهندية

الهنود امة قديمة والطبقة العليا منهم اخوان الفرس واليونان . وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعراً من قديم الزمان ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس احوالهم . حتى كثيراً ما كان ملوك الفرس يستعينون باطبائهم كما فعل انوشروان في مارستان جنديسابور وكما وقع للخلفاء العباسيين في اوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم في امراضهم بعد ان تفرغ حيل اطباء الفرس والسريان في معالجتهم . لان للطب الهندي طوقاً غير ما للطب اليوناني او الفارسي . وقد اشتهر منهم عدة اطباء اُلقوا في الهندية ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم من كرهه وصنجهل وشاناق وغيرهم

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقفها وابعادها ولها اسماء خاصة بلسانهم وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب المذهب الارجهير ومذهب الاركند ومذهب ثالث يقال له بالينسكربتية سدهنتا Siddhanta هو عبارة عن زيج ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهو الذي وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهنود هم الذين

اخترعوا الارقام وعلم اخذها العرب . ولهم طرق خاصة في الحساب اكتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب ترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلها

تلك حال العلوم والآداب عند الأمم المتعدنة لما اخذ المترجمون في نقلها الى اللغة العربية في العصر العباسي الاول . اما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم المنصور كان اكثر اهتمامه بالنجوم والطب . والمهدي فلما اشتغل بذلك . وكذلك الرشيد لم ينقل في ايامه الا كتاب المجسطي . ثم المأمون وهو الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم ^(١)

اما نقلة العلم في العصر العباسي فهم من اهل العراق والشام وفارس والهند رغبتهم الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا بعضهم رواتب وجواري وبالغوا في اكرامهم ومحاسنتهم . واكثرهم من السريان النساطرة لانهم اقدر على الترجمة من اليونانية واكثر اطلاعا على كتب الفلسفة والعلم اليوناني : اشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور . وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين احد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل . وحيش الاعسم الدمشقي ابن اخت حنين . وقسطا بن لوقا البعلبي من نصارى الشام . وآل ماسرجويه اليهودي السرياني وال الكرخي . وآل ثابت الحراني من الصابئة والحجاج بن مطر وابن ناعمة الحمصي وبوخنا بن ماسويه واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد ومرجيس الراسي وبوخنا بن بختيشوع من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم . والبطريق ويحيى بن البطريق وابو عثمان الدمشقي وابو بشر متى بن يونس ويحيى بن عدى . هؤلاء اشهر نقلة العلم من اليوناني او السرياني الى العربي وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول

واما النقلة من الالسنة الاخرى ففهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وال نوبخت كبيرهم نوبخت ولائنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسي الى العربي في النجوم وغيرها . ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية . وعلي بن زياد التميمي ويكنى ابا الحسن نقل من الفارسي الى العربي كتاب زيج الشهر يار . والحسن



ش ٨ : يوحنا بن ماسويه

ابن سهل وكان من المنجمين^(١). والبلاذري احمد بن يحيى وجيلة بن سالم كاتب هشام .
 واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيار نامه. ومنهم محمد بن الجهم البرمكي
 وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وعمر بن الفرخان وغيرهم
 ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكه الهندي كان في جملة
 اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن
 الهندي وكان اليه مارستان البرامكة نقل من الهندي الى العربي^(١)
 ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (السكلدانية) الى العربية ابن وحشية نقل
 كتباً كثيرة اهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند انفسهم اشهرهم بنوشا كرا وبنو
 موسى لانهم اولاد موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن وعرف اولادهم بعمد بني
 المنجم . كان موسى يصحب المأمون والمأمون برعى حقه في اولاده هؤلاء . واشتغلوا في
 الهندسة والنجوم والطبيعات والميكانيكات وغيرها . وأتعبوا انفسهم في جمع الكتب

(١) الفهرست ٢٤٥

القديمة من بلاد الروم وأحضروا النقلة بالبذل لنقلها . ومن بذلوا المال في نقل العلم غير الخلفاء محمد بن عبد الملك الزيات وعلي بن يحيى المعروف بابن المتجم ومحمد بن موسى ابن عبد الملك وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

الكتب التي نقلت

اما الكتب التي نقلت في ذلك العصر فمددها بضع مئات اكثرها من اليونانية منها ٨ في الفلسفة والادب لافلاطون و١٩ كتاباً في الفلسفة والمنطق والادب لارسطو و ١٠ في الطب لابقراط و٤٨ في الطب لجالينوس . وبضعة وعشرون كتاباً في الرياضيات والنجوم لاوقليدس وارخميدس وابلونيوس ومنالوس وبطليموس وابرخس وذيقطس وغيرهم

واما منقولات اللغات الاخرى فمنها نحو عشرين كتاباً نقلت عن الفارسية في التاريخ والادب . ونحو ٣٠ كتاباً من اللغة السنسكريتية واكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب . ونحو عشرين كتاباً عن اللغة السريانية او النبطية اكثرها في السحر والطلسمات الا كتاب الفلاحة النبطية في الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

✓ وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الامم المتعددة في ذلك العهد . ولم يغادروا لساناً من السن الامم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئاً وان كان اكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية . فأخذوا من كل امة احسن ما عندها فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفي النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفي الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود . وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط او الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين . فكانهم ورثوا اعم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود

واليونان وقد مزجوا ذلك كله وعجنوه واستخرجوا منه علوم التمدن الاسلامي
(الدخيلة)

ومما نلاحظه من امر ذلك النقل ان العرب مع كثرة ما نقلوه عن اليونان لم
يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية او الادبية او الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند
الفرس والهنود ، فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس واخبار ملوكهم وترجموا
الشاهنامه . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة
هوميروس ولا اوديسته . والسبب في ذلك ان اكثر ما بعث المسلمين على النقل
رغبتهم في الفلسفة والطب والتجوم والمنطق . واما التواريخ والاداب فقد كان
التراجمة ينقلونها غالباً من عند انفسهم حباً في اظهار ما اثر اسلافهم او جيرانهم
فلترجمون الفرس نقلوا شيئاً من تواريخ الفرس وآدابهم وكذلك فعل التراجمة
السيران با داب اجدادهم وكذلك التراجمة الهنود . فلو كان في اولئك المترجمين واحد
او غير واحد من اليونان لنقلوا كثيراً من تواريخ امهم وأشعارها . ولا ريب ان من
جملة ما منعهم من نقل الياذة الى العربية ذكر الآلهة والاصنام فيها . ولكن في
الشاهنامه ايضاً كثيراً من ذلك فلم يمنعهم من نقلها لكن الترجمة ضاعت

ويلاحظ ايضاً أن العرب نقلوا من علوم تلك الامم في قرن وبعض القرن ما لم
يستطع الرومان بعضه في عدة قرون وذلك شأن المسلمين في اكثر اسباب تمدنهم العجيب
ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن اشهر ام الارض في ذلك العصر من
التأثير في الآداب الاجتماعية والآراء العمومية . وخصوصاً مما نقل عن الفارسية لان
معظمه في الادب والتاريخ . كما اثر في آدابنا الاجتماعية ما نقلناه في نهضتنا هذه عن
الافرنج فضلاً عن دخول الفرس في كل باب من ابواب الدولة . فدخل الاداب العربية
والافكار العربية كثير من آداب الفرس الساسانيين وافكارهم اقتبسها العرب من
الكتب التي نقلت عنهم ولم يبق منها الا الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وترف متفرقة في
بعض الكتب . وقد درس هذا الموضوع المستشرق ابنوسترانسيف الروسي ووضع فيه
كتاباً طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (١)

وعلى هذه المنقولات بنى المسلمون ما ألفوه في هذه العلوم في اثناء تمدنهم غير ما
اقتبروه و اضافوه اليها من عند انفسهم . واكثر منقولاتهم ومؤلفاتهم ضاعت ولم يبق
منها الا بعضها وعلى هذا البعض كان معول الاوربيين في نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم
الحديث بما نقلوه منها الى السندهم كما سنبينه في مكانه

الباقى من المنقولات الى الآن

اما الباقي من الترجمات المتقدم ذكرها الى الآن فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة
في مكاتب اوربا — اليك بعضها على سبيل المثال :
كتاب المجسطي لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر منه نسخة خطية
في مكتبة ليدن

كتاب السياسة في تدير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق منه نسخ في مكاتب
برلين ومنشن وغيرها

ولقسطا بن لوقا البعلبكي عدة آثار من نقله وتأليفه . منها رسائل في الطب والاخبار
ذكرها بروكلمن في كتابه آداب اللغة العربية وأشار الى اماكن وجودها (صفحة
٢٠٤ ج ١)

ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته اشهرها المدخل في الطب في مكتبة
الاسكوريال ومسائل في الطب المتعلمين في مكتبة برلين واجتماعات الفلاسفة في بيوت
الحكام في مكتبة منشن . وكتاب التواميس وغيرها

ولابنه اسحق بن حنين كتاب في منطق ارسطو
وليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب بقايا من مؤلفاته سيأتي ذكرها في
ترجمته في الدور العباسي الثاني

وسنأتي على مشاهير النابغين في العلوم الدخيلة فيما يلي من هذا الكتاب ولا
سيأ الذين اشتغلوا بغيرها . وانما اجمانا الكلام هنا وتجاوزنا في اجماله العصر العباسي
الاول رغبة في الاختصار للسبب الذي قدمناه من صرف العناية فيما نرجو نفعه
للقراء فعلاً . ولتعد الى الكلام في العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الاصلية

في العصر العباسي الاول

١ اللغة

اصاب اللغة في هذا الدور تغيير كثير في الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة وما اقتضاه تمدن من الالفاظ الادارية وما استلزمه التوسع في العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثل في لسان العرب ، كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يؤمذحون الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتويع المعاني العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبديلها ولكنها احدثت تنوعاً في معاني الالفاظ العربية واليك امثلة من ذلك :

الانماط العلمية البرية

اهمها الالفاظ الطبية ولم يكن منها في الجاهلية الامفردات كالحجامة والكي ونحوها فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن كاسماء الرطوبات والامزجة والاختلاط من الحار والبارد والجفاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والانداز والمضم والبحران والمشاركات

واسماء الادوية كالمسخنات والمبردات والمرطبات والمجففات والمسهلات والنطولات والمخدرات والاستفراغات والسعوطات والادهان والمرامم والاطلية

وافعال تلك الادوية مثل ملطف ومحال ومنضج ومخشن وهاضم وكاسر الرياح ونحر ومحكك ومقرح واكل ولاذع ومفتت ومعفن وكاو ومبرد ومقو ومخدر ومرطب وعاصر وقابض ومسهل ومدرّ ومعرق ومزلق ومبلس وزياق وغير ذلك ومن الالفاظ الجراحية النسخ والتهتك والوني والرض والخلع والفتق وتفرق الاتصال ومفارقة الوضع والحيار وغيره

ناهيك باسماء الامراض او اعراضها كالصداع والكابوس والصرع والتشنج واللقوة والرعدة والاختلاج والسرطان والسلاق والشرة والشرناق والحانوق والذبحة والربو وذات الجنب وذات الرئة والجهر والضمور والحققان والفشيان واليرقان والاستسقاء

والديلة والاسهال والزحير والسحج والسدد والهيضه والبواسير ونحو ذلك مما لا
يمكن حصره

ومن اوصاف الامراض انواع الحميات كاللزمنة والحادة والمختلطة والغب والمنطقة
والربع والدق وغيرها . غير الالفاظ التشريحية كاسماء الاوعية الدموية ورطوبات البين
وسائر الاعضاء الباطنية التي لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفاسفة والمنطق وما تفرع منها
كعلم الكلام والتصوف والفقهاء ونحوه . وهي كثيرة تفوق الحصر كقولهم الكون
والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والمماسه والمباينة
والوجود والعدم والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتحرير والاصاف من
اصطلاحات علم الكلام . والهاجس والمريد والسالك والمسافر والسطح والقطب والهيبة
والانس والبقاء والنعاء والشاهد والفترة والمجاهدة من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهاء والاصولية حتى صارت
تعد بالالوف فاضطروا الى وضع المعجمات الخصوصية لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من
المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن اشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات »
للجرجاني في نيف ومائة صفحة و « كشف اصطلاحات الفنون » لتهانوي في نحو
الني صفحة كبيرة و « كلييات ابي البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية »
الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكرنا لفظاً اوردوا معناه اللغوي ثم معناه
الاصطلاحى في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني
الرياضية او الطبيعية او النحوية . وقد ينفلون المعنى اللغوي على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاعجمية

وزيد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لغته بلفظه ومعناه . واكثر ما يكون
ذلك في اسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم
كلافسنتين والبقدونس والزيفون والسقمونيا والقطاريون والمصطكي من اللغة
اليونانية ، والبابونج والبورق والبنج وخيار شمير والزاتينج والزررجون والزرنيخ
والزاج والسرقين والاسفيداج والشاهترج والشيرج والمرداسنج من اللغة الفارسية

ومن اسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية القوانج والترياق والكيموس
والكيلوس وقيفال ولومان وملنخوليا من اليونانية . وسرسام ومارستان من الفارسية
ومن المصنوعات والادوات الاصطلاب والقيراط والانيق والصابون من اليونانية

والبركار والبوتقة والجزار والدسكرة والاسطوانة من الفارسية
ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها الهيولي والاسطفس والفلسفة والطاسم
والمنظيس والاقليم والقاموس والقانون من اليونانية — غير ما اقتبسوه من اللغة
الهندية واكثره من اسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستكفون من اقتباس الالفاظ
الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم
بل كانوا كثيراً ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين اعجميتين . فالسرام
مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ولما
ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » ولو
استكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعاً

التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

قياساً على ما نشاهده من تطرق المعجمة الى اسلوب كتبة اهل هذا العصر فيما
ينقلونه من الافكار الاعجمية نعتقد ان اسلافنا في النهضة العباسية دخل اسلوبهم
شيء من ذلك وان كنا لانستطيع تتبعه الى اصوله تماماً لتباعد عهده واختلاطه على
انا اذا فحصنا لغة ذلك العصر وقابنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب
الادب رأينا الفرق بينهما واضحاً . واذا دققنا النظر في سبب ذلك رأينا عبارة اصحاب
الفلسفة تمتاز بامور هي سبب ضعفها وركاكتها اهمها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله اهل اللغات الافرنجية

(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم

(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول

(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدا والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه

(٥) ادخال الالف والتون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني

ونفساني وبقلائي ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان

العربي

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ما لم يكن لهم مندوحة عنها

ولا بأس منها :

(١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال ال التعريف عليها كقولهم اللانهاية

واللا أدرية واللا ضرورة

(٢) صوغ الاسم من الحروف او الضمير مثل قولهم اللبية والكيفية والسكية والهوية والماهية

(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم المائة والمنضجة والخاصة
ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم «صاحب الشرطة» و «صاحب السنار» وهو تعبير فارسي . غير ما اصاب اللغة من التغيير في الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلاً عن التجارة والصناعة . وما اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاعجمية غير العادات والاخلاق ونحوها . وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو والتجدد والتنوع والتفرع . وقد عقدنا فصلاً ضافياً في هذا الباب في كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار العباسية (صفحة ٣٧ — ٤٠) وفصلاً في الالفاظ النصرانية واليهودية والتراكيب السريانية والعبرانية التي دخلت هذه اللغة في اثناء التمدن الاسلامي (صفحة ٤١ — ٤٣) فلترجع هناك ما أخذ لهذا الموضوع

ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع غير كتاب تاريخ اللغة العربية المتقدم ذكره «كتاب التعريفات» للجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على حروف المعجم ، وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ وفي مصر . و«درة الفواص» للحريري طبع في مصر وغيرها . و«شفاء الغايل فيما في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ طبع بمصر سنة ١٢٨٢ . و«كشاف اصطلاحات الفنون» لآهانوي سنة ١١٥٨ هـ طبع في كالكتنة سنة ١٨٦١ و«المعرب من الكلام الاعجمي» لابي منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في ليبسك سنة ١٨٦٧ وكتاب «المعرب والدخيل» لاحد ابناء القرن الحادي عشر للهجرة ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . و«المعرب في ترتيب المعرب» لابي الفتح المطرزي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة

الشعر

في العصر العباسي الاول

الانتقال الاجتماعي

انتقل الشعر في الدولة العباسية انتقالاً كبيراً مثل انتقال الامة العربية من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنه الى الناعمة . فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا اهل الحضارة باخلاقهم وشعورهم . وبعد ان كانوا يقيمون في المضارب لا تقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة تسفي الرياح رمالها بيت فيها حذراً خائفاً من غارات الاعداء ودبابات الصحراء . لا عشير له الا جواده او ناقته . اصبح وقد اركن الى الرخاء يقيم في القصور تكتشفها الحداثق فيها من كل فاكهة زوجان تجري فيها المياه مدبرة في الاحواض والاقنية تحف بها الازهار بأزهى الالوان وتسرح في اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت . وبعد ان كان يرتدي العباءة من شعر الجمل ويتعل الحفاء او يمتدني النعال من الخوص او الجبال لبس الحرير والوشي - واتعل الخف والجورب وتخفف بالفلائل والملايات . واستبدل المضارب وفرشها الرمال بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب . وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقال الحشمة وترك الناس وشأنهم ينغمسون بما يشاءون . وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين ايديهم . فانتشر التهنك وذهبت الغيرة بشيوع التسري وانتشار المسكر . وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددهم على مجالس الغناء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من اهل البذخ والترف والرخاء فانطبعت في مخيلاتهم صور لم تألفها اهل البادية

فلا غرو اذا اختلف الشعر في هذا العصر عما كان عليه في الدولة الاموية لرغبة الامويين بالبداوة والاخذ بناصر العرب وتحقير سواهم . فكان اكثر شعرائهم من اهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة او الحجاز او نجد ويندر فيهم المنتحضرون . اما الدولة العباسية فاصحابها كانوا يرمون الى غرض بخالف ذلك - كان العباسيون

يرون تقديم غير العرب ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب .
حتى حجب بعضهم الى المتصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها في العراق وتكون
حجاً للناس (١) وفعل ولم يفاج

فاختلاف طبائع الناس في الدولة العباسية عما كانوا عليه في العصر الاموي طبيعي
وفي جملتهم الشعراء وخيالهم - واليك اهم مميزات الشعر والشعراء في العصر العباسي الاول

مميزات الشعر

في العصر العباسي الاول

يختلف الشعر العربي في هذا العصر عنه في العصر الاموي مثل اختلاف
العصرين بالاحوال السياسية والاجتماعية والادبية لان الشعر مرآة اخلاق الامة
وآدابها وسائر احوالها . نخصائص الشعر في هذا العصر ترجع الى ما يأتي :

١ - طريقة النظم

يشتمل الشعر على الخيال الشعري وهو المعنى . وعلى القالب الذي يسبك فيه
ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون او النظم . واهم ما يلاحظ في النظم ثلاثة امور :
(١) طريقته وهي الخطة التي يجري عليها الشعراء في تنسيق المعاني (٢) الاسلوب
وهو العبارة التي يختارونها للتعبير (٣) اللفظ

ومن القواعد الاساسية في تاريخ الشعر ان يتبع في اسلوبه ولفظه وطريقته حال
الامة التي تقوله فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها وسائر احوالها . ولكن العرب
ظلوا الى عهد غير بعيد يتحدون طريقة الجاهليين فيما ينظمونه . فيستهلون قصائدهم
بذكر الرحيل والاطلال والابل وغيرها من خصائص الجاهلية . حتى الالفاظ فانهم كثيراً
ما يقلدونها وفيها الوحشي الذي لا يلائم المدنية لان وحشي الكلام لوحشي الناس
والسبب في تمسكهم بالتقديم رسوخ الاعتقاد بافضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية
اذ كان اليها مرجعهم في صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتراكيب . ثم عظم الامويون
مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم في تأييد العرب ودولة العرب . فرسخ في اذهان
الناس ان مناقب الجاهلية افضل ما يتبع . فلما تغلب العباسيون بانصارهم الفرس
وغلب العرب على امرهم وعلت كلمة الفرس اخذ ذلك الاعتقاد بالزوال

اما من حيث الاسلوب فان الشعر الجاهلي عريقٌ في البلاغة مع سلامته من الزكَاكة والعجمة . واما الخيال الشعري فيرى بعض العلماء ان العقل البشري سار نحو الارتقاء في كل سبيل الا من حيث الخيال الشعري فانه لايزال في مكانه - هذا هو ميروس لايزال نابغة الشعراء وقد مرَّ عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون في كل شيء

وانظر الى امرى القيس والنابغة وزهير وغيرهم من الجاهليين فانهم لا يزالون يعدون من نوابغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربي شأنًا خاصاً من حيث الاسلوب . فان كلام الاسلاميين يعدُّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين في متورهم ومنظومهم نعتي الشعراء والخطباء والمرسلين في صدر الاسلام الى اوائل الدولة العباسية (١) فضلاً عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولاسيما في الانتقال من البداوة الى الحضارة - وبحاري الطبيعة كالفناء المبرم لا يدفعها دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثالاً يقتدى بهم في الشعر . فكان الادباء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد في الدولة الاموية . ومع ارتقاء الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يتحدون طريقة الجاهليين في النظم

فلما انتقل الامر الى بني العباس هان عليهم الانتقاد واخذوا يفكرون في تقييح تلك الطريقة . وأول من تجرأ على نقدها من الادباء ابن قتيبة في أواسط القرن الثالث للهجرة في كتابه الشعر والشعراء (٢) وسنعود الى ذلك في تاريخ نقد الشعر على أن الشعراء تنهوا الى هذا الامر في صدر الدولة العباسية فاخذوا في انتقاد طريقة الجاهليين ولم يجدوا من يأخذ بناصرتهم لغلبة التقليد على طباعهم . لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسي الاول عصر حرية القول . وأصبح حديث الشعراء في مجملهم انتقاد تلك الطريقة ، واقدم ما باغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع بن اياس بفتى من أهل الكوفة ففاوضه بشأن ذلك فقال :

لأحسن من يدير بحار بها القطا ومن جبلي طيِّرٍ ووصفكما سلما
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلة في وجه صاحبه ترعى (٣)

وكان ذلك لسان حال اكثر الشعراء وان لم ينظموه . ومن جاهر به منهم ابو نواس ومن اقواله التي يستدل بها على انكاره طريقة القدماء قوله :

(٢) الشعر والشعراء . ٥

(١) ابن خلدون ٥٠٨ ج ١

(٣) الاغاني ١٠٣ ج ١٢

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
ومن هذا القبيل قوله :

صفة الطول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم (١)
ولما سجنه الخليفة على اشتهاه بالخرم واخذ عليه ألا يذكرها في شعره وكأنه كلفه
الرجوع عنها الى التظلم على طريقة الجاهليين فقال :

أعر شعرك الاطلال والمنزل الفقرا فقد طالما أزرى به نعتك الحمرا
دعاني الى نعت الطول مساط تضييق ذراعي ان اردت له امرا
فسمماً امير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا
فجاهر بان وصفه الاطلال والفقرا انما هو من خشية الامام والا فهو عنده فراغ
وجهل . واقتدى به ابو العتاهية ومن جاء بعده . ولكن بين الشعراء من يتحدى
الجاهليين حتى الآن

واثر في اسلوب الشعر ومعناه في هذا العصر ما نقل الى العربية او حفظ فيها من
آداب الفرس واخبارهم فاكتسب الشعر العربي خيلاً لطيفاً وزادت فيه معانٍ
جديدة نحو ما كان من تأثير آداب اليونان القدماء في اخلاق الرومان . وبشبه ذلك
تأثير التمدن الحديث في آدابنا ومجاري افكارنا

٢ - المعاني الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد في شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معاني الشعر لم يترقوه .
وفي الواقع انهم طرقتوا اكثر المعاني التي تخطر لابن البادية ولكن الحضارة لها معانٍ
خاصة . او هي توسع الخيال وتفتق القرائح لانتشار الناس في الارض . فاذا تأملت ما في
اشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين . ثم ما في
طبقة جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثاها
للقدماء الا نادراً . ثم تأتي بشار بن برد وابا نواس واصحابه فترى ما زادوه من المعاني
وما زاده الذين جاءوا بعدهم - علمت ان الشعر سار على سنة الارتقاء مثل سائر احوال
الحياة . ومن امثلة المعاني التي حدثت في العصر العباسي الاول قول بشار بن برد الاعمى :
يا قوم اذني لبعض الحمي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احياناً (٢)
قالوا بمن لا ترى تهذي فقات لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا
وقول ابي نواس :

فكأنني وما ازين منها قعدي بزبن التحكما

كلّ عن حملة السلاح الى الحر ب فاصى المطيق ألا يقبأ
والقعدة فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعده عنه . وقوله أيضاً :
بذبت على كسرى سماء مدامة مكللة حافانها بنجوم
فلورد في كسرى بن ساسان روحه اذا لاصطفاني دون كل نديم
وقال أيضاً في صفة النساء الحمارات وبرى لابن المعتز :

ونحت زناير شددن عقودها زناير اعكان معاقدها السرر
فهذا تشبيه لم يسبق اليه وقال أيضاً :

لست أدري أطال ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتغلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعي النجوم كنت مغلا
ومما زاد من المعاني في هذا العصر قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أناح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله :

بني مالك قد نهت خامل الثرى قبور لكم مستشرفات المعالم
غوامض قيد الكف من متناول وفيها علا لا يرتقى بالسلام
غير ما أخذوه من المعاني القديمة أو توسعوا فيه ولا سبوا النسيب والغزل

٣ - المعاني الجديدة بالاعتباس

تلك معانٍ شعرية اقتضاها توسع الخيال بالحضارة . وهناك معانٍ حدثت بدخول
العلوم القديمة الى اللغة العربية ، فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفية
فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر أمثلة منها كالنهاي والتوليد والتجزء والمعاد. ومنها قول
أبي نواس :

وذات خد مورد قوهية المتجرد

تأمل العين منها محاسناً ليس تنفد

فبعضها قد تناهى وبعضها يتولد

والحسن في كل عضو منها معاد مردد

يا عاقد القلب مني هلا تذكرت جلا

تركت قلبي قليلاً من القايل أقلاً

وقوله :

يكاد لا يتجزى أقل في اللفظ من لا (١)

واستعار آخرون معاني من أخبار اليونان كاقْتباس أبي السباعية ما قاله بعض حكماء اليونان في تأييد الاسكندر ونظمه في رثاء ابن له وهو :

كفى حزناً بدفئك ثم اني نفضت رآب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظام فانت اليوم أو عظ منك حياً

ومن المعاني التي دخت الشعر في هذا العصر أقوال بعض الأئمة ورجال الافكار اقتبسها الشعراء ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة « انظر الى ما ينفعك ودع كلام الناس اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك الهجج

وحضارة العباسيين أكثر عما لها من الفرس فدخل اللغة طائفة من المعاني الفارسية فضلاً عن الالفاظ . حتى لقد يقتبس الشعراء جملاً فارسية يدخلونها في أشعارهم كقول العماني من قصيدة مدح بها الرشيد :

من يلقه من بطل مسرندي في دغفة محكمة بالسرد
يجول بين راسه والكرد

يعني العنق . وقوله :

لا هوى بين غياض الاسد وصار في كف الهزبر الورد
آلى بذوق الدهر آب سرد

واقتبسوا أيضاً الفاظاً سريانية من لغة نبط السواد كقول ابرهم الموصلني المغني في وصف خمار نبطي - وكانه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :

فقال « ازل بشينا » حين ودعني وقد لعمرك زلنا عنه بالشين (٢)

ومن المعاني الجديدة وصف ما استحدث من ثمار تلك المدينة من أسماء الآنية والابنية والقصور والرياش وسائر أسباب الحضارة ولا سيما الغلمان والخمر كما سيجيء .

٤ - المبالغة في المدح

لم يخجل الشعر من المدح في عصر من العصور لكنه كان في الجاهلية أقرب الى الواقع وأبعد عن المبالغة ثم أخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة والاركان الى الرخاء واضطرار الشعراء الى التزلف والتملق ولا سيما بعد الاختلاط بالفرس . فبعد أن

كان زهير بن ابي سلمى يقول في مدح كريم حازم :

تراه اذا ما حجته متهللاً كأنك تعطيه الذي انت سائاه ✓

صار منصور النخري يقول في الرشيد :

ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث تجتمع

اذا رفعت امراً فالله رافعه ومن وضعت من الاقوام متضع

من لم يكن بامين الله معتصماً فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان اخلف الغيث لم تخلف انامله او ضاق امر ذكرناه فيتسع

وقول رجل من ولد زهير بن ابي سلمى في مدحه « فكانه بعد الرسول رسول »

وقول العكوك في مدح ابي دلف :

انت الذي تنزل الايام منزلها وتنقل الدهر من حال الى حال

وما مددت مدى طرف الى احد الا قضيت بارزاق وآجال

على ان المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلنى والانفاس

في الرخاء كما ستراه

٥ - وصف الخمر والفلمان

ذكرنا من مميزات الشعر في العصر الاموي ان الشعراء بدأوا بوصف الخمر على

اثر انفاسهم في المسكر والقصف . ولكن وصفها لم ينضج الا في العصر العباسي

الاول الذي نحن في صدده . وأشهر من نظم في وصفها من شعرائه أبو نواس فان له

في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطيع مجدها في ديوانه . ولذلك

عدوا أبو نواس أمام الوصافين للخمر

أما الفلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم في هذا العصر ولم يبق شاعر من

شعرائه المقيمين في بغداد لم يشتهر بفلام يعشقه ويتغزل به . وأقدم من فعل ذلك منهم

حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك ، واقندى به أبو نواس وكان معاصراً له كما اقتدى به

في وصف الخمر لكنه فاقه في كليهما . وقد زادها تمكناً من هذه الرذيلة تقرّبهما من

محمد الامين وهو كثير الاقتناء للفلمان فكانوا فتنه له ولشعرائه . ولحسين المذكور أقوال

كثيرة في وصف الفلمان نشرها صاحب الاغاني في ترجمته (١٧٠ ج ٦)

أما أبو نواس ففي ديوانه باب خاص بوصف الفلمان يسمونه « غزل المذكر »

فيه نحو الف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تزيهاً للقارىء عن مطالعتها . وقد اغضينا

لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر تدل على ما بلغ اليه القوم من التهلك

ولم يعصمهم علمهم ولا ادبهم ولا مقامهم في الدولة عن ارتكابه . وسيد هذه الرذائل المسكر وعة انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لانه غير الحمر الوارد النهي عنها . لكنه قد يسكر او يتحول اذا طال مكثه الى خمر مسكرة . كما يحللون بعض الالعب اليوم لانها غير مبنية على المصادفة فقط فلا تعد من ألعاب القمار . ولكنهم قد يقامرون بها أو هي تجرهم الى المقامرة الفاحشة . وأصبح التغزل بالفلمان بعد هذا العصر باباً من أبواب الشعر

٦ - الشعر المجوني

ان استبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من أسباب اللهو ولاسيما الخمر والجواري والفلمان مع ميلهم الى سماع الادب والشعر فتولدت طبقة من الشعراء أكثروا من المجون في منظومهم وعرفوا بالشعراء المجان وامامهم أبو نواس . وقد تهتكوا في مجونهم وتفتتوا فيه وهم يمثلون الآداب الاجتماعية في تلك الطبقة من الناس في ذلك العصر — والشعراء عنوان آداب الامة أو مثال يدل عليها

٧ - وصف الرياض والازهار

توسعوا في هذا العصر بوصف الرياض والازهار . ومن وصفها فيه أبو نواس كقوله :

يوم تقاصر واستبث نعيمه في ظل ملتف الحدائق أخضرا
واذا الرياح تنسمت في روضة نثرت به مسكاً عليك وغنبرا

ولم يخجل الشعر الجاهلي والاموي من وصفها ولا سيما في أقوال الشعراء الذين خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة أو غوطة الشام أو غيرها من مدن العراق أو الشام كأعشى بكر القائل :

ما روضة من رياض الحسن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق مؤزر بعيم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل
على أن أهل هذا العصر فاقوم فيه كأبي نواس وأبي تمام وفاقها فيه أهل

العصور التالية

الشعراء

في العصر العباسي الاول

الفرق بينهم وبين من تقدمهم

قد رأيت في الكلام على شعراء الجاهلية أنهم كانوا ينظمون لقبائلهم أو لانفسهم نغراً أو حماسة وقل فيهم المتكسبون بالشعر ثم تبين لك أن شعراء بني أمية كان القصد الرئيسي من تقديمهم عند الخلفاء الاستتصار بأسنتهم على اعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبية بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصراؤها خراسانيون فكانت في غنى عن تلك السياسة فلما استقرت اصولها أصبح تقريب الشعراء اكثره للتلذذ بالادب أو سماع المدح والاطراء . ويندر للخليفة أو الامير أن يقدم شاعراً لعصبية أو يستنصره على عدو . فاصبح الشاعر بتوالي الاعوام كالنديم يجالس الخليفة أو الامير في مجالس الانس أو الادب تبعاً لحال ذلك الخليفة أو الامير من حب العلم أو الخلاعة أو غيرها

١ - الاستجداء

وأصبح الشعراء في هذا العصر يقدون على بغداد كرسي العباسيين من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها في أوقات معينة أو غير معينة كما كانوا يقدون على دمشق كرسي الامويين واكثرهم من أهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة فلا يرغبونهم في الاقامة عندهم . أما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على أحدهم . واعجبه شعره استبقاه في حاشيته . فاصبح اكثر الشعراء يقيمون في بغداد وظل بعضهم يقيمون في بلادهم وانما يقدون في المواسم أو غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . فكثير الشعراء المنحضرون وصار لهم مذهب في الشعر يختلف عن مذهب أهل البادية ^(١) وهم ينقطعون لمنادمة الخلفاء أو الامير أو الوزير أو الوجيه يمدحونه أو ينادمونه . واكثرهم يختصون بمنادمة الخليفة أو الوزراء ولاسيما البرامكة . وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بني هاشم كابراهيم بن المهدي ومحمد بن سليمان . أو بعض رجال الدولة كابي دلف وابن طاهر فلم يكن ينبغ شاعر من قبيلة أو بلد الا وفد على الخلفاء أو غيرهم بقصيدة مدح

(١) الاغانى ٣٥ ج ٢٠

يلتمس العطاء . ويندر فيهم من ينظم الشعر ولا يلتمس به جائزة أو كسباً . فإذا تخضر صار نديماً أو كالنديم . فقل الشعراء الفرسان وأصحاب السيادة وكانوا كثناراً في العصر الجاهلي ولم يبق منهم في العصر الاموي الا القليلون وهم في هذا العصر أقل كثيراً

٢ - التهتك والخلاعة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء في الادب والعلم فانهم جروا مع تيار الحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء والمغنون فكثرت في شعرائهم أهل الخلاعة والمجون والتهتك ولم يكن من هؤلاء في العصر الاموي الا القليل وأقل منهم في العصر الجاهلي . ومن أقبح اسباب التهتك في ذلك العصر تسري الغلمان كما تقدم . ونظراً لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب اصبحت تلك العادة اكثر شيوعاً فيهم مما بسائر الطبقات . فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفسد المدينة

أما المهتكون فبلغ من تهتكهم أن يشترك بضعة رجال منهم في عشق غلام^(١) وقد يتوسط الشاعر في المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين ويفعلون أقبح من ذلك مما ينجعل القلم من ذكره^(٢) غير مجالسهم في أما كن اللهو على موائد الشرب التي يخالطها تهتك وخلاعة كما كانوا يفعلون في منزل اسماعيل القراطيسي الكوفي وكان يجتمع عنده أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليل يذاكرون الشعر وينظمون وإذا أعمت الفكرة فيما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد رأيت أصله في الاكثر راجعاً الى من يتولى تربيتهم أو من يعاشرهم من الخاصة أو الشعراء فجعفر ابن المنصور أفسده مطيع بن اياس^(٣) ومحمد الامين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وأبو نواس

٣ - الشعراء الموالى

وكان الشعر العربي في الجاهلية منحصرأ في العرب لم يكن فيهم من غير العرب الا عبد بني الحسحاس ثم تكاثر الشعراء الموالى في العصر الاموي لكنهم لم يزيدوا على عشرين في المائة . أما في العصر العباسي فزادوا على ستين في المائة . وبعد أن كان اكثر وفودهم من البادية صاروا يقدون أيضاً من البصرة والكوفة وغيرها من المدائن . واكثر فحول الشعراء في هذا العصر من الموالى كابن نواس وابي العتاهية وبشار بن

(١) الاغاني ١٠٥ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٩٨ ج ٦ (٣) الاغاني ٨٥ ج ١١

برد وسلم الخاسر ومروان بن أبي حفصة . فامتاز أولئك الموالى الاطام على اسيادهم العرب كما امتاز هوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان - وأولها ابن مولى والاخر ابن حطاب^(١) ولم يكن للشاعر العربي بدءاً من رحلة الى بلاد العرب لاقتباس اساليبهم
٤ - الشكوك في الدين والزندقة

قد ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية في هذا العصر على أثر الانقلاب السياسي وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها في أذهان الناس - والفلسفة لم تدخل ديار قوم أهل دين الا شوشة اعتقادهم وتركهم حيارى مذبذبين ريثما يرسخون في العلم فيستقر رأيهم على شيء يدينون به كما حدث في مثل هذه الحال لهذا العهد

على أن الشكوك في الدين شاعت في الادباء والشعراء قبل نقل الفلسفة الى العربية فلعلها تطرقت الى اذهانهم من معايشرة الامم المختلفة في بغداد والكوفة والبصرة ممن دخل منهم في الاسلام . ومن تقرب الموالى أهل تلك البلاد وفيهم من اطلع على الفلسفة فبنوها في سائرهم - فاتيح لطائفة المعتزلة أن تنشر تعاليمها وانتقاداتها واتحل بعضهم ديناً آخر وقامت المجادلات والمباحثات والمناظرات

وظهرت طائفة من الاحرار جاهرُوا بانتقاد الدين أو الذهاب الى انكاره وكلهم مهمون بدينهم . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء اشهرهم : حماد عجرد وحفص ابن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وعلي بن الخليل وحماد الراوية وابن الزبرقان وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وأبان اللاحقي وعمارة بن حمزة وزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وجداً^(٢) وكثيراً ما كانوا يشتركون في أموالهم واحوالهم كما يفعل الاشرار كيون اليوم . فكان مطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحجاب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بما لا ملك وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة

وكان اولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود فلا يرون فيها حسناً ولا يعترفون لاحد بفضيلة نحو من يعبر عنهم الافرنج بالبسييمست (Pessimistes) ذكروا ان مطيع بن اياس مريحي بن زياد وحماد الراوية وهما يتحدان فقال لها «فيا اتما؟» قالا «في قذف المحصنات» قال «او في الارض محصنة تقذفانها؟»^(٣) ويبدل هذا من جهة اخرى على رأيهم في المرأة

(١) Litt. anc. 184 (٢) الاغاني ١٤٩ ج ١٦ و١٠٠ ج ١٢ وولكن ٣٧٤

٥ - اطلاق حرية الاقلام والالسنه

والفضل في اطلاق الاقلام والالسنه في أواخر ذلك العصر للمأمون الخليفة العالم
الفيلسوف فكانت حرية القول في أيامه أشبه بحرية الصحافة في البلاد المتعدنة اليوم
ومن أشهر الأدلة على ذلك خبره مع دعبل الشاعر وكان متشيعاً للعلويين كثير الهجو
لبني العباس وله فيهم قصائد هجوها شديداً واعدائه يحرضون المأمون على قتله .
ومن جملتهم أبو سعد الخزومي فقد كان يستعلي دعبل في أول أمره وكان يدخل على
المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء ويحرضه عليه فلم يجد عند المأمون ما أراد
فيه . وكان المأمون يقول : « الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك ممكن فقل
ما يكذبه فاما القتل فاني لست أستعمله الا فيمن عظم ذنبه »
ودخل أبو سعد مرة على المأمون وأنشده قول دعبل :

ويسومني المأمون خطة عاجزٍ أو ما رأى بالامس رأس محمد

واردفها بقصيدة رد بها على دعبل ثم قال « أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن اجيئك
برأسه ؟ » قال « لا . هذا رجل فخر علينا فافخر أنت عليه فاما قتله بلا حجة فلا »
وهل يقول اعدل من ذلك وزير من ارقى وزراء الامم الدستورية المتعدنة اليوم في
صحافي طعن على أمير أو ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين في عهده

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول في انتقاد العنصر العربي وكان العرب في
العصر الاموي مقدمين على سائر العناصر كانهم من طينة غير طينة البشر . ولم يكن
هؤلاء يستنكفون من تفضيلهم بل كانوا يعتقدون فضلهم في اقامة الدين وأنهم
مادته واصله ولا كانوا يأنفون من أن يسموا العرب أسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم في
العقل والحزم . على أن أكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفاً من الامويين وارضاء
للعنصر العربي . فلما اطلقت الالسنه والاقلام في أيام المأمون تظاهر اعداء العرب
بالطعن وظهرت طائفة الشعوبية القائلة بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم
« أهل التسوية » وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب في
الطعن على العرب وفي الدفاع عنهم . ومن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت
الحكمة وأبو عبيدة الراوية وعلان الشعبي . ولم يكن يجد المأمون بأساً في هؤلاء
الطاعنين وقد جعلهم من بطائه . ومن دافع عن العرب ابن قتيبة فألف كتاباً
في « تفضيل العرب »^(١)

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٨ و ١٣٥ ج ٣

ومما لا يحسن الاغضاء عنه في هذا المقام ان شعراء العصر العباسي مثل شعراء العصر الاموي وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامي الاولى أكثرهم من عرب الشام والعراق وعرب الشام أشعر من عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام. وقد علل ذلك أبو منصور الثعالبي بقربهم من خطوط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة سنتهم من الفساد العارض لالسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والتبسط ومداخلتهم ايامهم

واتفق أنهم كانوا يمنون برؤساء من أهل الادب وعجيبه كعبد الملك في زمن بني أمية والرشيد والمأمون في هذا العصر وغيرهم في غيره كما سيجيء

٦ — منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

ان الخلفاء والامراء كانوا يقربون الشعراء في كل عصر. أما الامويون فكانوا يقربونهم في أول الامر لاغراض سياسية ثم فعلوا ذلك تلذذاً بالشعر وأدابه وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن معنى بيت أو من قاله كما فعل هشام بن عبد الملك باستقدام حماد الراوية^(١)

أما في العصر العباسي فكان الغرض الغالب من تقرب الشعراء رغبة الخلفاء والامراء في الادب. وكثيراً ما كانت تعقد مجالس الشعراء لغرض أدبي كوصف منظر أو اداة كما فعل الهادي اذ استقدم الشعراء اليه واقترح عليهم ان يصفوا سيفاً أهده اليه المهدي وهو سيف عمرو بن معدي كرب. فوضع السيف بين يديه وقال للشعراء صفوه فقال الجائزة ابن يمين المصري^(٢)

وكان الرشيد من أكثر الخلفاء بحثاً في الشعر وقائله فقد سأل أهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت « ومن يسأل الصعلوك ابن مذهب » فلم يعرفه أحد وكان الاصمعي مريضاً لا يقدر على المجيء فأرسل اليه اسحق الموصلي وبعث معه الف دينار لنفقته فجاء الجواب ان البيت من قصيدة لابن النشاش الهشلي وهذا صدره :

وسائلة ابن الرحيل وسائل ومن يسأل الصعلوك ابن مذهب^(٣)

وكثيراً ما كان الرشيد يعقد المجالس للبحث في معنى بيت. وقد سأل أهل مجلسه يوماً معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورطاً فلم أر مثله مخذولاً

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٢ ج ٣

(٢) المسعودي ١٨٧ ج ٢ (٣) للزهر ٨٣ ج ١

وكان في المجلس الكسائي والاصمعي فطال الجدل بينهما والخليفة يسمع^(١) وأعطى
الرشيد الفضل خاتماً قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على أحسن بيت قالته العرب في الذئب^(٢)
والمأمون ولي ابن الجهم البرمكي ولاية من أجل بيت طلبه منه واشترط عليه ذلك^(٣)

٧ — نفوذ الشعراء وثروتهم

وكان الخلفاء اذا قدموا الشعراء بذلوا لهم الاموال الطائلة حتى وقع الشك في
صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى . وقد ينال في تاريخ التمدن الاسلامي أنها
صحيحة وان النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها . وفي كل حال فان ما خلفه بعض الشعراء
من الثروة ولا تكسب لهم من غير الشعر يدل على كثرة ما كان يصل الى أيديهم من المال
ذكروا ان سلم الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠٠٠٠٠ دينار
و ١٥٠٠٠٠٠ درهم غير الضياع^(٤) ومثله مروان بن أبي حفصة خلف ثروة طائلة وكانت
جوائزه تبلغ ١٠٠٠٠٠٠ دينار مراراً^(٥) وكان أبو نواس يكتسب أكثر من ذلك
لكنه كان متلاًفاً سمحاً . وكان يتساجل في الاتفاق هو وعباس بن الاحنف وصرع
الغواني (مسلم بن الوليد) . وكان البحري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض
كسبه وكان يركب في موكب من عبيده . وأما أبو تمام فأنفق ماله في تجواله الارض
وقد تبسط شعراء ذلك العصر في العيش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لابي تمام
والبحري قهارمة وكتاب^(٦) وبلغ من دالة أبي نواس على الرشيد أنه كان يمر به بنوهاشم
والقواد والكتاب يسلمون عليه وهو متكئ ممدود الرجل فلا يتحرك لاحد منهم^(٧)

وكثيراً ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب
الخليفة منه كما فعلوا بتبليغ الرشيد خبر نقفور ملك الروم اذ غدر وهم ان يغزو
بلاد الاسلام ولم يجتري يحيى بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فاطمع بعض الشعراء
بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته^(٨)

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب كما فعل شعر سديف بالسفاح فجعله على
قتل بني أمية . وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب كما فعل مالك بن طوق وقد حكم
عليه بالاعدام فقال للرشيد شعراً فعفا عنه^(٩) وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة

(١) المزمهر ٢٧٨ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٦٢ ج ١ (٣) الاغانى ١٦ ج ١٣

(٤) الاغانى ٨١ ج ٢١ (٥) العمدة ١٥٠ ج ٢ (٦) العمدة ٧ ج ١ (٧) الاغانى ١٦١ ج ٣

(٨) الاغانى ٤٥ ج ١٧ (٩) فوات الوفيات ١٤٣ ج ٢

وأحسن اليهم بعد سماعه آياتاً قالها منصور النمرى استعطفه بها فأمر بكف
السيف عن ربيعة لاجله

٨ - تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب أن فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة ولقمتهم
شعرية ولذلك كانوا أكثر الناس شعراً وشعراء فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله
أو تناشده أو تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة من زمن الجاهلية في
عكاظ وأمثالها . ثم عقدوها في زمن الامويين بالمربد في البصرة . وأما في العصر العباسي
فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لاصبح كل منزل من منازل أهل
الادب نادياً للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس
ومضرب الامثال وديوان العبر ومخزن الحكمة حتى كانوا لكثرة محفوظهم منه يرمزون
باسم الشاعر الى بيت من آياته مشهور بمعنى ويريدون ذلك المعنى كما اتفق للرجل
الجالس على جسر بغداد والمرأة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله
« رحم الله علي بن الجهم » فقالت له المرأة « رحم الله أبا العلاء المعري » وما وقفا
بل سارا مشرقاً ومغرباً - قال الراوي « فتبعت المرأة وقالت لها والله ان لم تقولي لي
ما أراد وما أردت لأفضحك . قالت أراد بعلي بن الجهم قوله :

عيون المهايين الرصافة والجسر جبلن الهوى من حيث أدري ولا أدري
وأردت بأبي العلاء قوله :

فيا دارها بالخياف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال^(١)

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الاول الذي نحن في صدهه لكنها يصح ان
تكون مثالا عنه . لان أهل هذا العصر بلغ من شغفهم بالشعر أنهم نقشوه على جدران
منازلهم وأنديتهم وعلى فصوص خواتمهم وكتبوه في صدور مجالسهم وعلى القباب
والمستظرات والابواب . وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والأسرة والوسائد
والمرافق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكسات والارطال والجمامات وسائر آنية
الفضة والذهب والاصيني . ونقشوه على العيوان والمضارب والسرنايات والبطول
والمعازف والدفوف وزينوا به الثياب فطرزوه على ذيول الاقصة والاعلام وطرزوا الوردية
والاكمام . وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح

حتى النعال والحفاف . وزينوا به مظاهر ابدانهم فكتبوه بالحناء على الجبين واخذوا
والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاترج وغيرها . فكنت حيناً توجهت رأيت
الشعر منقوشاً او مطرزاً او مكتوباً او منسوجاً . وتجد امثلة من ذلك في كتاب
الموشى الآتي ذكره

طبقات الشعراء

في العصر العباسي الاول

ان عدد الشعراء في هذا العصر اضعاف شعراء العصر الاموي لان مدة العصر
العباسي اطول وقد اتسعت مساحة البلاد التي يقيم فيها العرب وكثر الشعراء من غير
العرب وكانوا في زمن الامويين يقدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا
يأتون في زمن العباسيين من اكثر المدائن الاسلامية . وبعد ان كان الشعر منحصراً
تقريباً في العرب شاركهم فيه الموالي وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب
وانصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم
لانهم كثيرون يزيدون على بضع مئات اورد ابن النديم اسماءهم في الفهرست وذكر عدد
ما خلفه كل منهم من الايات (١) واكثر ذلك ضاع الآن ومن العيب ان نأتي باخبار
كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا اهمية له وليس بين ايدينا شيء من نظمه

ويقال بالاجمال ان اكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق انقطع اكثرهم الى
الخلفاء وتحضروا في بغداد أو البصرة وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون
انحازوا للشيعنة العلوية . ومنهم من اختص ببعض الامراء والوزراء . وهناك جماعة منهم
لم يتحضروا بل كانوا يقيمون في البادية وانما يقدون على بغداد في المواسم ينشدون
ما ينظمونه في مدح الخليفة أو غيره ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يقدوا
على أحد فكانوا ينظمون الشعر لانفسهم وهم قليلون أو إن اكثرهم ظل في تنايا
الاهمال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهذه اسماء أشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا واكثرهم من
الموالي غير العرب اقام معظمهم في بغداد تحت ظل الخلفاء أو وزراءهم باعتبار اغراضهم

(١) الفهرست ١٥٧ وما بعدها

أو غرض من ينتمون اليه أو يعيشون في ظله . وفيهم من توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ
ولكننا عددناه من شعراء هذا العصر لانه نبع فيه :

شعراء سائر الامراءشعراء البرامكةشعراء الخلفاء

ابو دلامة	ابان بن عبد الحميد	ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصللي
حماد عجرد	ابن منذر	محمد بن امية واخوه » ابراهيم بن المهدي
بشار بن برد	الرقاشي	العكوك » ابا دلف
مروان بن ابي حفصة	مسلم بن الوليد	محمد بن صالح » ابن المدبر
سلم الخاسر	اشجع السلمي	مطيع بن اياس » جعفر بن المنصور
ابو نواس		ابو الشيص » عقبة بن جعفر

منصور النمري

شعراء الشيعة

السيد الحميري

دعبل

ديك الجن

ابو العتاهية

ابو تمام

علي بن الجهم

حسين بن الضحاك

شعراء لم يكتسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب اصحابها بالشعر اشهرهم :

صالح بن عبد القدوس

العباس بن الاحنف من عدي

محمد بن بشير مولي بني اياس (ويدخل في هؤلاء ايضاً السيد الحميري وديك الجن

وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يقدون على الخليفة او الامير فينالون

الجوائز ثم يعودون الى بلدتهم فكلهم من العرب وهاك اشهرهم :

ربيعة الرقي من الرقة

كثوم بن عمرو العتابي

عمارة بن عقيل من هوازن

ناهض بن ثومة الكلابي من طامر

ونبت طائفة من الشعراء في ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وابناء النعم منهم عبد الله بن عباس الربيعي من نسل الفضل بن الربيع. وقد يشترك بعض شعراء احدى هذه الطبقات بخصائص طبقة أخرى وانما اردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالذهن هؤلاء هم اشهر الشعراء في العصر العباسي الاول وبهم قام ذلك الانقلاب الشعري فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم. واكثرهم تأثيراً في ذلك الانقلاب اكثرهم تقرباً من الخلفاء لتقدمهم في الشاعرية وارتفاع مقامهم قدام الناس في اساليبهم او استنباطاتهم. وفي مقدمتهم سبعة هم عمدة هذا الانقلاب هذه اسماؤهم مع سني وفاتهم

بشار بن برد توفي سنة ١٦٧ هـ ابو العتاهية توفي سنة ٢١١

السيد الحميري « » ١٧٣ ابو تمام « » ٢٣١

ابو نواس « » ١٩٨ دعبل « » ٢٤٦

مسلم بن الوليد « » ٢٠٨

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الاجاز. والا فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم بنفسه. فنترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادباء

عمدة الشعراء

في العصر العباسي الاول

١ - بشار بن برد

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو فارسي اصل آبائه من طخارستان أخذ ابوه برد في سبي وقع في يدي المهلب ابن ابي صفرة فكان من فيء القشيرية امرأة المهلب. فاقامته في ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته واهدته الى امرأة عقيلية كانت صديقة لها فولد له بشار. وأعتقته العقيلية فصار مولى. ونشأ في البصرة ثم قدم بغداد بعد ان بناها المنصور

ولد بشار اعمى جاحظ الحدقتين يغشاها لحم احمر. وكان ضخماً طويلاً عظيم الخلق والوجه مجدراً. وكان اطبع شعراء ذلك العصر على الشعر وقد قوى العمى شاعريته لانصراف الخيلة الى التصور. ولذلك رأيت أكثر العميان من الشعراء يفوقون

معاصريهم في سعة الخيال مثل هوميروس اليوناني وملتن الانكليزي وبشار وابي العلاء وغيرهما عند العرب

جاء بشار في اوائل العصر العباسي الاول فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه فهو مقدم عليهم باجماع الرواة^(١) ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ « المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن ابي عينة ولكن بشاراً اطعمهم »^(٢) وقد حاصر واخر الدولة الاموية واوائل العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين وادرك جريراً والفرزدق . وهجا جريراً فأعرض جرير عنه استخفافاً - قال بشار « ولو هاجني لكنت أشعر الناس » فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا ونال الجوائز . وبلغ ما نظمه نحو ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي أهل الادب أن له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا له « هذا القدر لا يجتمع لكل الشعراء فقال « لي ١٢٠٠٠ قصيدة الا يكون لي بيت جيد من كل قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى أيام ابن النديم صاحب الفهرست الا ٤٠٠٠٠ بيت وليس منها الآن الا تف متفرقة في كتب الادب وليس لبشار ديوان شعر مجموع . ويقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة بشار وابو العتاهية والسيد الحميري^(٣)

ويمتاز بشار بانه تصرف وتفان في معاني الشعر شيئاً كثيراً . وراج شعره في ايامه بالبصرة حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا ويروي من شعر بشاره ولا نأحة ولا مغنية الا تكسب به ولا ذو شرف الا وهو يها به ويحاف معرة لسانه . وبشار مثل امرئ القيس فهو عذم امام الشعراء المحدثين وقد قالوا ذلك ايضاً في ابي نواس ولكن بشارا سبق وكان عند قيام الدولة العباسية منحازاً للعلويين وكان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ناهضاً على المنصور فنظم بشار قصيدة حرض بها ابراهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

ابا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

ثم علم بفوز المنصور وقتله ابراهيم المذكور فقلب الكنية واظهر انه قال القصيدة في ابي مسلم الخراساني فقال :

ابا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

وفي هذه القصيدة آيات حكيمة في غاية البلاغة منها :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيحة أو نصيحة حازم

(١) الاغاني ٢٠ ج ٣ (٢) البيان والتبيين ٢٥ ج ١

(٣) الاغاني ٣ ج ٧

ولا تجعل الشورى عليك غصاصةً
وما خير كف امسك الفلُّ أختها
فان الخوافي قوةً للقوادم
وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن
نؤوماً فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الاظلامه
شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وناصر المهدي . ومدح خالد بن برمك جد
البرامكة وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله بيتان
أمر خالد أن يكتب في صدر مجلسه وهما :

اخالد إن الحمد يبقى لاهله
فاطم وكل من طارة مستردة
جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد
ولا تبقىها أن العواري للرد
واخبار بشار كثيرة بسطها صاحب الاغاني في ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من
كتابه . ولم يدع بشار باباً من أبواب الشعر الا طرقة وأجاد فيه ومن قوله في الغزل

لم يطل ليلى ولكن لم اتم
واذا قلت لها جودي انا
ونفى عني الكرى طيف الم
خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسي يا عبد عني واعلمي
ان في بردي جسمنا نحلا
لو توكت عليه لانهدم
موضع الخاتم من أهل الذم
ختم الحب لها في عني

ومن قوله :

اذا كنت في كل الامور معاتباً
فمش واحداً أوصل أخاك فانه
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
مقارف ذنب مرةً وبجانبه
اذا انت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

ومن الغزل قوله :

زهدي في حب عبدة معشر
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الاذان الا من القلب
وكان بشار من اصحاب الفلاسفة المتحيرين في الدين ويعتقدون أن الانسان
مسوق لا يخير يدل على ذلك قوله :

طبعت على ما في غير مخير
أريد فلا أعطى واعطى فلم ارد
هواي ولو خيرت كنت المهذبا
وقصر علمي أن أنال المنيا

فاصرف عن قصدي وعلمي مقصر وامسي وما اعقبت الا التعجبا
وقد تقدم خبر انحرافه عن بني العباس ولم يفته تغيير مطلع تلك القصيدة شيئاً
فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قليلاً ولذلك ظل في خاطره شيء
عليه وكان المهدي بعده يظهر له فتوراً ففضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود
فلم ينفعه . فهجاه بيدين كانا سبب موته وهما :

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

فبعث المهدي اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ولم يخرج في دفنه احد
لانه مات وخصمه الخليفة — وربما كان هذا هو السبب ايضاً في خمول اسمه مع تبرزه
في الشعر

وتجد ترجمته في الاغاني ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ وابن خلكان ٨٨ ج ١ والشعر
والشعراء ٤٧٦ والفهرست ١٥٩

٢ — السيد الحميري

توفي سنة ١٧٣ هـ

اسمه يدل على انه من حمير نزل البصرة وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً وقد تقدم
انه هو وبشار وأبو العتاهية اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام . وبلغ منظومه
٢٣٠٠ قصيدة ولم يصلنا منها ما يستحق الذكر : وقد دخل ذكره لانه كان يسب
الصحابه بتشيعه لعلي فتحوي شعره وتخوف الناس منه . أما من حيث الشاعرية فله
طراز ومذهب قلما يلحق فيه . وكان اسمر اللون تام القامة اشنب ذا وفرة حسن
الالفاظ جميل الخطاب . اذا تحدث في مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه
من حديثه ويعدده بعضهم من طبقة بشار وأنها أشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم انه
كان يكره الاستجداء بالشعر وقد نظم في ذلك اياتاً وهي :

أيها المسادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم وارجُ نفع المنزل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله قال « لولا أن هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا »^(١) ومن شعره في مدح بني هاشم لما استقر الأمر لابن العباس السفاح قوله :

دونكموها يا بني هاشم فجددوا من عهدها الدار
دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابس
لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولست من أن تملكوها الى مهبط عيسى فيكم آيسا
ومن قوله في ذم الصحابة :

قل لابن عباس سمي محمد لا تعطين بني عدي درهما
احرم بني تيم بن مرة أنهم شر البرية آخراً ومقدما
إن تعطيهم لا يشكروا لك نعمة ويكافئوك بان تدم وتشتا
وان اتنتهم أو استعملتهم خانوك واتخذوا خراجك مغنا
ولئن منعهم لقد بدهوكم بالمنع اذ ملكوا وكانوا اظلما
منعوا تراث محمد اعمامه وبنيه وابنته عديلة مريما

وله في مدح العلويين ما يدل على حرية في القول . ومن ادلة ترفعه عن الجوائز أن الرشيد اعطاه جائزة ففرقها . ونجد ترجمته واخباره في الاغانى ٢ ج ٧ وفوات الوفيات ١٩ ج ١

٣ - أبو نواس

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هانيء ولد في الاهواز سنة ١٤٥ هـ في خلافة ابي جعفر المنصور وكانت أمه اهوازية اسمها جلبان وكان أبوه دمشقياً من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية انغذه مروان الى الاهواز فلقي جلبان فاحبها وزوجها فولدت له أولاداً منهم أبو نواس وابو معاذ . وقبل أن يتجاوز أبو نواس السنة الثانية من عمره انتقل والداه الى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن والداه في سعة أو لعل والده مات وترك أولاده في كفالة امهم فأسلمت ابا نواس الى عطار يتخرج عنده في مهنة العطاره ولكن نفسه

كانت تميل الى غير هذه الصناعة . وكان اذا قرأ شعراً ارتاحت نفسه الى معانيه . وقامت فيه رغبة في النظم . فاذا اجتمع باديب او راوية او شاعر او حضر مجلس ادب . وسمع شعراً احب ناظمه وتمنى ان يراه . وكان في جملة من سمع اشعارهم واحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب وكان ظريفاً غزلاً وصافياً للشراب . واتفق ان والبة قدم الاهواز ليمدح ابا بيجير الاسدي عامل المنصور عليها فر بذلك العطار فلتى ابا نواس وكان جميل الصورة ذكياً فتوسم فيه النباهة فجالسه وخاطبه فانس فيه قريحة وقادة فقال له « ان فيك مخابيل ارى ان لا تضعها وستقول الشعر فهل تصحبنى اخرجك » ولم يكن ابو نواس يعرف مخاطبه فقال ومن انت قال « انا ابو اسامة والبة بن الحباب » فقال « نعم . انا والله في طلبك ولقد اردت الخروج الى الكوفة بسبيك لا آخذ عنك واسمع منك » فسار ابو نواس معه الى الكوفة ثم قدما بغداد

وكانت والبة وبعض شعراء تلك الايام وندماؤه يجتمعون كل ليلة على الشراب وقول الشعر لا يكادون يفترون فيهجون بعضهم بعضاً هزلاً وجداً ويصفون الخمر وغيرها . وكان ابو نواس يحضرهم فيسمع ويعي ويزداد كل يوم علماً ودرية وكان يختلف الى ابي زيد الانصاري فتعلم منه غريب الالفاظ وتردد على ابي عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه أيام الناس ونظر في نحو سيبويه حتى اصبح في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع اجاد فيها كلها . واحسن علم اللغة وفروعها حتى قال فيه الجاحظ « ما رأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع مجانبه الاستكراه » وقال معمر بن المثنى « كان ابو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمعتدمين » وقد تقدم ان ذلك أولى ان يقال بيبشار لانه اسبق

ويروى عن ابي نواس انه قال « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الحنساء ولبلى فما ظنك بالرجال » وقال ابن السكيت « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلامريء القيس والاعشى ومن الاسلاميين فلجربير والفرزدق ومن المحدثين فلا بى نواس فحسبك » وهو يعد أيضاً من الشعراء المجان

وقد قدمنا في كلامنا عن مزايا الشعر في العصر العباسي الاول ما كان لابى نواس من الفضل في تغيير طريقته والتوسع في معانيه فهم يعدونه إمام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه في الشعر عن طريقة القدماء - كان عندهم للشعر الفاظ محدودة وأساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى قبله^(١) ولكن تقرب ابى

نواس من الخلفاء ونفوذه عندهم ساعد على نشر طريقته فصار الشعراء يتحدونه فيها
شأنهم في تحدي كل وجيه نافذ الكلمة . ولذلك قالوا : الناس على دين ملوكهم . واذا
تدبرت تاريخ الاجتماع رأيت ذلك قاعدة في سائر أحوال الحياة
ووصف شعر أبي نواس لا يفي به صفحة أو بضع صفحات . وهو أول من توسع
في وصف الخمر والتغزل بالفلمان . وفي ديوانه المطبوع بمصر صفحات عديدة من
نظمه في هذين البابين فضلا عن تغزله بجارية احبها اسمها جنان . وقد اشترنا الى
تهتكه في جملة متهنكي ذلك العصر ولعله اكثرهم انغماساً في اللهو على انواعه طمعاً منه
بعفو الله على حد قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك بالغ رباً غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيراً
تعض ندامة كفيك بما تركت مخافة النار السرورا

ومن لطيف نظمه في مدح محمد الامين قوله بمدح ناقته :

وتجشمت بي هول كل توفية هوجاء فيها جراءة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها صف تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغن بمحمداً فظهورهن على الرجال حرام

وطابوا عليه المبالغة في مدح الرشيد لقوله :

وأخفت اهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق
ومن قوله في وصف الخمر :

وندمان سقيت الراح صرفاً وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها كعنى دق في ذهن لطيف
وقوله : ندمام تبدت من مقام مشرف ولما شربناها ودب ديبها
مخافة أن يسطو علي شعاعها

وقوله : معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل در ما لناظمها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب النبرأخلصه السبك
وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبها الشك

وهي كثيرة ويناسب ذلك وصفه للاقداح وما عليها من النقوش كقوله :
تدور علينا الراح في عسجدية حبتها بألوان التصاوير فارس

السي

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهأ تدرّيها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها وللماء ما حازت عليه القلائس
ويظهر أنه كان مطلعاً على أقوال الاوائل المنقولة الى العربية ولا سيما علم النجوم
والطبيعات بدليل قوله وفيه المام بالفلك :

الم ترّ الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدلا
وغنت الطير بعد عجبها واستوفت الحمر حولها كملا
ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قل زهير اذا حدا وشدا اقلل أو اكثر فانت مهذار
سختت من شدة البرودة = تي صرت عندي كانتك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حار

وفي ذلك اشارة الى نظر اهل الهند في الطبائع فهم يزعمون أن الشيء اذا زاد في
البرد عاد حاراً. ومن اقوالهم: «إن الصندل الابيض اذا افراط في حكه عاد حاراً مؤذياً»
ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد :

— صورة المشتري لدى بيت الـ ليل والشمس انت عند انتصاب
— ليس زاوئش^(١) حين سار امام الـ حوت والبدر اذ هوى لانصباب
— منك اسخى بما تشع به الـ فس عند انتقاص در الحلاب
— لا وبهرام تستقل به العفـ رب بالليل رائداً في الحساب
— منك امضى لدى الحروب ولا اهو ل في العين عند ضرب الرقاب

واختلفوا في سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ولو اردنا الاتيان بامثلة من
نظمه لضاق المقام مع شيوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد^(٢) وهو مطبوع غير مرة
في فينا ومصر وبيروت . وفي صدر طبعة مصر سنة ١٨٩٨ فصل للجامع الديوان حمزة
ابن الحسن الاصبهاني في شعر أبي نواس ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة
ويتضمن نحو ١٣٠٠٠ بيت مرتبة على ١٢ باباً (١) نقائضه مع الشعراء (٢) المديح
(٣) المرثي (٤) العتاب (٥) الهجاء (٦) الزهد (٧) الطرد (٨) الحمريات
(٩) الحمريات والمجون (١٠) غزل المؤنث (١١) غزل المذكر (١٢) المجون
وقد أهمل الناشر باب المجون لتهنكه الزائد

(١) براد زاوئش (زمس) أحد الهة اليونان (٢) فهرمت ١٣٩

وتجد أخباره في الاغاني ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦ و ١٤٨ ج ١٦
وابن خلكان ١٣٥ ج ١ وطبقات الادباء ٩٦ والشعر والشعراء ٥٠١ والفهرست ١٦٠
والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣

٤ - مسلم بن الوليد

توفي سنة ٢٠٨ هـ

ويعرف بصريع الفواني وهو من أبناء الانصار كان مداحاً محسناً وجل مدائح
في يزيد بن مزيد وداود بن يزيد المهلبي والبرامكة ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم .
وولاه المأمون بريد جرجان فلم يزل بها حتى مات . وهو أول من الطّف في المعاني
ورقق في القول وعليه يعول أبو تمام في ذلك وعلى أبي نواس ومن قوله في الوداع :

واني واسماعيل يوم وداعه لكالعمد يوم الروع زايله النصل
فان أغشُ قوماً بعده أو أزرهم فكالوحش يدنها من الأنس المحل

ومن بديعه الذي امثله أبو تمام وغيره :

اذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المتايا عند ذاك طلاقها
ومن مدحه قوله في الفضل بن يحيى :

تساقط يمناه الندى وشماله ال ردى وعيون القول منطقه الفصل
عجول الى أن يودع الحمد ماله يعدّ الندى غنا اذا اغتمّ البخل
له هضبة تأوي الى ظل برمك منوط بها الامال أطنابها السبل

ومن قوله في وصف سفينة :

أطات بمجدافين يعثورانها يقوّمها كبسح اللجام من الدبر
كان الصبا تحكي بها حين واجهت نسيم الصبا مشي العروس الى الحدر
ومن لطيف غزله :

اذا التقينا منعنا النوم أعيننا ولا نلام يوماً حين فترق
أقرّ بالذنب مني لست أعرفه كما أقول كما قالت فتنفق

وله ديوان مطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ وتجد أخباره في الشعر والشعراء ٥٢٨

وفي الاغاني ٩ ج ١٣ والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ وفي طبعة الديوان المذكورة

٥ - ابو العتاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو مولى واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ في الكوفة وكان في أول امره يتخثت فيحمل زاملة الخثين . ثم اشتغل بصناعة ابيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه . ولكنه احس من حدائته باقتداره على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق يوماً وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال: «يا فتيان اراكم تتذاكرون الشعر فاقول شيئاً منه فتجيزونه؟ فان فعلتم فلكم عشرة دراهم» فهزأوا منه وسخروا به لكنهم قالوا: «نعم» قال: «لا بد ان يشتري باحد القمرين رطب يؤكل فانه فر حاصل» وجعل رهنه تحت ايديهم وقال اجيزوا:

ساكني الاجداث انتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع وعين نقطة اذا بلغت الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما اعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه:

ساكني الاجداث انتم مثلما بالامس كنتم
ليت شعري ما صنعتم اربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة . فحجج الفتيان واذاعوا خبره في الكوفة فجعل اذباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى معمله يستشددونه فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخبز فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد في أول خلافة المهدي وانشده قصيدة مطلعها:

الا ما لسيدني مالها ادلت فاحمل ادلالها

وكان بشار بن برد حاضراً فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله:

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذياها

فلم تك تصالح الاله ولا بك يصلح الآها

ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها

ولولم تطعه بنات القلوب لما قبل الله اعمالها

قال بشار لجار له : « انظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه » وصار ابو العتاهية من المقربين . وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه فأحرز نفوذاً عظيماً عنده حتى كثيراً ما كان يتوسط بالعفو لديه . ولما توفي المهدي خلفه الهادي وكان واجداً عليه لانه كان يلازم اخاه الرشيد فهناك أبو العتاهية بقصيدة يتقرب بها اليه مطلعها :

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شرّاً ما يتوقع

فاذن بادخاله ولم تطل مدة الهادي فخلفه الرشيد وكان ابو العتاهية قد طاهد نفسه ان لا يقول شعراً فالزمه الرشيد على القول فاطاعه فحظي عنده حظوة كبيرة حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر وعين له راتباً مقداره ٥٠٠٠٠ درهم سوى الجوائز منه ومن امرائه ووزرائه . وكان بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية أو السنوية وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقلب على اطوار شتى - شأن الذين يحلون انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد . فاستقر رأي ابي العتاهية اخيراً على التمسك بالاسلام والزهد عن الدنيا فامر الرشيد أن يقول الشعر فابى فحبسه وضربه ثم اطلقه شفقة عليه . وله غزل كثير في عتبة جارية المهدي وهو من مؤسسي الانقلاب الشعري في هذا العصر وقد اطلق نفسه من التقليد بالمعاني والالفاظ فأتى بمعان جديدة ونظم على اوزان لا تدخل في العروض ولم يتقدمه فيها احد^(١) ولم يتهيب مما يتهيب له كثيرون من شعرائنا خوفاً من الرجوع عن التقليد فعد يوماً عند قصار فسمع صوت المدقة فحكي ذلك في ابيات شعره فقال :

للمنون دائراً ت يدرن صرفها

هن ينتقينا واحداً فواحداً

ومن مخترطاته في المعاني قوله :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

وقوله لا حمد بن يوسف :

لم تر ان الفقر يرجي له الغنى وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي :

ولما استقلوا بائقالم وقد ازمعوا للذي ازمعوا

قرنت التفاتي باثارهم واتبعتم مقلته تدمع

وقوله :

هب الدنيا تصير اليك عفواً ليس مصير ذاك الى زوال
ومن لطيف معانيه قوله :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكة
الا انما مالي الذي انا منفق وليس لي المال الذي انا تاركة
وذكروا له ارجوزة حكيمة في بضعة آلاف بيت منها :

حسبك مما تبغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفا من اتقى الله رجا وخافا

ومع ذلك فالاصمعي يقول : « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجواهر
والذهب والتراب والحزف والنوى »

وكان ابو العتاهية ابيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة جمدة وهيئة
حسنة ولباقة وحصافة. وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعاني سهل الالفاظ.
فقد سألهم بعضهم : « كيف تقول الشعر ؟ » قال : « ما اردته قط الامثالا لي فأقول
ما أريد واترك ما لا أريد »

وقد نظم في كل أبواب الشعر وامتاز منها بالزهد . ويؤخذ من سيرة حياته انه كان
متردداً متقلباً ويغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم اهل خيال واوهام وخصوصاً الذين
يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الالهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان على أن
يمنع ابي العتاهية عن قول الغزل بعد أن امره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن
لعل له سبباً حمله على ذلك

واما تقلبه فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص ببعض
الامراء ادعى ولاء قبيلته - فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدعي أنه مولى
ليمن وينتفي من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه . وعاتبه بعضهم في ذلك وقال
له : « لم تكن تزعم أن ولاءك لليمن ؟ » قال : « ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن .
وما في واحد اتميت اليه خيراً ولكن الحق احق ان يتبع » . وكان مع ما جمعه من
الاموال بخيلاً وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغاني

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد اخباره في الاغاني ١٢٦ ج ٣
و ١٨٦ ج ٦ و ٢٤ ج ٨ وابن خلكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ والفهرست
١٦٠ وفي الهلال ١٣٣ سنة ١٣

٦ - أبو تمام

توفي سنة ٢٣١ هـ

هو عربي من طي واسمه حبيب بن اوس الطائي ولد في منبج في بلاد الشام وجاء مصر صغيراً . وكان يسقي الماء في الجامع ثم جالس الادباء واخذ عنهم وتعلم . وكان فطناً فهماً يحب الشعر فلم يزل يعاينه حتى اجاده . وسار شعره وشاع ذكره في بغداد بؤرة الادب في ذلك الحين وخليفتها المعتصم وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث في طلب ابي تمام فظم فيه القصائد فاجازه وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر احد منهم ان يأخذ درهماً بالشعر في حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وقد امتاز بمذهب في المطابق سبق به الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه (١)

وهو من المقدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفي اجادة الرثاء (٢) ومطلع قصيدته التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي لا يزال الرثون والمؤبون يتمثلون به الى اليوم وهو :

الا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر
وذكر صاحب الاغاني ان كثيراً من ابيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكنتف ابي سلمى من ولد زهير بن ابي سلمى هجا فيها ذفافة العبسي وذكر ابياتاً منها (٣)
ومن مرثيه قوله يرثي ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر باناً معاً :

لطني على تلك الخبايل منهما لو امهلت حتى تكون شائلا
لغدا سكونهما حجي وصابها حلماً وتلك الاربحية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نموء ابقنت ان سيكون بدرأ كاملا

ومن مدائحه قوله :

سود اللباس كأنما نسجت لهم ايدي السموم مدارعاً من قار
بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربوط التجار
لا يبرحون ومن رأهم خالهم ابدأ على سفر من الاسفار
ولا بي تمام وصية في كيفية النظم اوصى بها ابا عبادة البحرني بين فيها احسن

(١) الاغاني ١٠٠ ج ١٥ (٢) العمدة ١١٩ ج ٢ (٣) الاغاني ١٠٧ ج ١٥

الوسائل لاجادة النظم قال «تخير الاوقات وانت قليل الموموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فان اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رقيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق واذا اخذت في مدح سيد ذي ايدٍ فاشهر مناقبه واطهر مناسبه وابن معلمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء انه لم يكتف بما نظمه من ضروب الشعر لكنه جمع مختارات من اشعار العرب الجاهلية وغيرهم في كتاب سماه الحماسة وتعرف بحماسة ابي تمام تميزاً لها عن حماسة البحرى . حمه على جمعها انه نزل عند صاحب له في همدان اسمه «ابن سلمة» فأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة فغم ابو تمام وفرح «ابن سلمة» وقال «وطن نفسك على البقاء ان الثلج لا ينحسر الا بعد زمان» واحضر له خزانة كتب فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائدطوال . فبقي كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضمنون به ولا يكادون يبرزونه لاحد حتى تغيرت احوالهم وورد من همدان رجل من اهل دينور يعرف بأبي العواذل فظفر به وحمه الى اصهان . فأقبل ادباؤها عليه ورفضوا ما عدها من الكتب المصنفة في معناه فشهروا فيها وقد شرحه كثيرون

ومن أحسن الشروح شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ في اربعة اجزاء كبار بين فيها اشتقاق اسامي شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الغريب والاعراب وايراد الاخبار في اماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح في الهند سنة ١٨٥٦ ولها شرح للمرزوقي وآخر لابن العلاء المعري وآخر لابن حني منها نسخ خطية في المكتبة الحديوية وفي غيرها

وقد عني في طباع الحماسة مع شرح التبريزي ايضاً «فريتاغ» في مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الاول سنة ١٨٢٨ والثاني ١٨٥١ في بون . وقد ترجمها

الى الالمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الاصل في مجلدين في سنتغارت سنة ١٨٤٦
ولابي تمام حماسة أخرى هي كتاب الوحشيات منها نسخة في جملة كتب خطية نادرة
استسخها زكي باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب اوربا لتطبع بمصر
وكان ابو تمام اسمر طويلاً فصيحاً حلوا الكلام فيه متممة بسيرة . وله ديوان شرحه
كثيرون شروحا حسنة . منها شرح للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ منه نسخة خطية في
المكتبة الخديوية . وقد طبع الديوان في مصر وفي بيروت سنة ١٣٢٣
وتجد اخبار ابي تمام في الاغاني ٩٩ ج ١٥ وابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات
الادباء ٢١٣ والفهرست ١٦٥

٧ - دِعْبِلُ الخزاعي

توفي سنة ٢٤٦ هـ

هو عربي من اليمن شديد التعصب للفقطانية على النزارية لا يخشى بذلك لوماً ولا
يخاف تهديداً . اسمه دعبل بن علي بن رزين من خزاعة . اصله من الكوفة وجاء
بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد من
الخلفاء ولا وزراءهم ولا اولادهم ولا ذو نباهة احسن اليه او لم يحسن ولا أفات منه
كبير ولا صغير . فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فانه هجاء شديداً
واحتمل ذلك منه . ومن شديد هجائه الذي يحتاج الى جرأة قوله للمأمون :
أبي من القوم الذين سيوفهم قتل أخاك وشرفتك بمقعده
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذك من الحضيض الاوهد
يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعي وقته الامين حتى تولى المأمون . ومن قوله
في هجاء المعتصم :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتسا عن ثامن لهم كتب
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلهم عنك رفعة لانك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم وصيف واشناس وقد عظم الكرب

وهجا ايضاً ابراهيم بن المهدي وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالاً اليهم .
وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ودعبل شاب وهو يعترف باستاذيته فجفاه

مسلم فهجاه دعبل بقصيدة فيها عتاب شديد (١) ختمه بقوله :
 فهبك يميني استأكلت فقطعتها وصبرت قلبي بعدها فتشجما
 وجرى له مع المطلب بن عبد الله أحد أمراء مصر حديث غاظ دعبلًا فهجا
 المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلق مصر بك الخزيات وتبصق في وجهك الموصل
 وعاديت قوماً فما ضرهم وشرفت قوماً فلم ينبلوا
 شارك عند الحروب النجا وصاحبك الاخور الافشل
 فانت اذا ما التقوا آخر وانت اذا انهزموا أول

وله في مقابل ذلك مدائح بغاية البلاغة . وأكثر مدائحه في أهل البيت لانه كان
 شديد التعصب لعلي وأهله . على أنه كثيراً ما كان يتخذ هجوه للارهاب فيضطر
 الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم أو ليمدحهم . ومن قوله في مدح المطلب المذكور :

ابعد مصر وبعده مطلب ترجو الغنى ان ذا من العجب
 ان كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

ومن أشهر قصائده قوله يمدح أهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وليس حي من الاحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
 الا وهم شركاء في دماهم كما تشارك ايسار على جيزر
 قتل واسر ونحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
 أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
 إربع بطوس على القبر الزكي اذا ما كنت تربع من دير الى وطر
 قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
 ماينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
 هبها كل امريء رهن بما كسبت له يداه نخذ ما شئت أو فذر

ومن أدلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله في رثاء محمد بن يزيد الخزامي :

كانت خزاعة ملء الارض ما اتسمت فقص مر اللبالي من حواشيا
 هذا أبو القاسم الثاوي يبلقعة تسفي الرياح عليه من سوافيا
 هبت وقد علمت ان لا هبوب به وقد تكون حسيراً اذ يباريا

(١) الاغاني ٤٨ ج ١٨

اضحى قري للمنايا اذ زلن به وكان في سالف الايام يقربها
ومن شعره في الغزل قوله :

لا تعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
لا تأخذوا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

فأنت ترى شاعرية هذا الرجل لكن ذكره خمل بسبب هجوه الخلفاء - والناس
على دين ملوكهم . فلم يصل الينا من أشعاره الا شذرات مبعثرة مع أخباره في الاغاني
٢٩ ج ١٨ وابن خلكان ١٧٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٣٩ والفهرست ١٦١

سائر الشعراء

في العصر العباسي الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء أو كان أكثر منظومهم فيهم أو أنهم
لم يختصوا بسواهم ولا يدخلون في طبقة من الطبقات الاخرى . وقد ترجنا بعضهم فيما
تقدم من فحول هذا العصر ونأتي الآن على خلاصة أخبار الباقين مراعاة للمقام
ورتيبهم حسب سني وفاتهم

١ - أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

هو زند بن الجون وسمي أبا دلامة نسبة الى ابنه دلامة . وهو كوفي المنشأ اسود
اللون مولى لبني اسد . وكان أبوه عبداً لرجل منهم فأعتقه . أدرك أبو دلامة أواخر
الدولة الاموية ولكنه نبغ في الدولة العباسية وانقطع الى ابي العباس السفاح والمنصور
والمهدي . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون محاسنه ونوادره وفيه دعاية وظرف
لا يخلو حديثه من نكتة أو ملححة . وكان مع ذلك معدوداً في جملة المتهمين بالزندقة
وفساد الدين وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضاً . وله قصائد عديدة في
مدح الخلفاء المذكورين منها قصيدة في قتل ابي مسلم الخراساني مطلعها :

أبا مسلم خوفتني القتل فاتحى عليك بما خوفتني الاسد الورد
أنشدها المنصور في محفل من الناس فقال له « احتكم » فطلب عشرة آلاف درهم
فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة وكلما زاده عطاء زاده مدحاً حتى قال فيه :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقل اقمداوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلهم الى السماء فأنتم أطهر الناس
وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والاتف والاذنان في الراس

ومن مداعباته ومجونه ان أبا العباس السفاح قال له « ساني حاجتك » فقال أبو
دلامة « كلب أتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه أمر باعطائه فقال أبو دلامة « واعطني
دابة أتصيد عايبها » قال « اعطوه » قال « وغلام يصيد بالكلب ويقوده » قال « اعطوه
غلاماً » قال « وجارية تصلح لنا الصيد وتطمعنا منه » قال « اعطوه جارية » قال
« هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال « أعطوه داراً
تجمعهم » قال « فان لم تكن لهم ضيعة فمن اين يعيشون ؟ » قال « قد أعطيتك مائة
جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال : « وما الغامرة ؟ » قال : « التي لانبات فيها »
فقال « قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة الف جريب غامرة من فيافي بني أسد »
فضحك وقال « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه ان المنصور الزمه بالصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه ففاظه
ذلك فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

ألم تعلموا ان الخليفة لذي بمسجده والقصر مالي وللقصر
أصلي به الاولى مع العصر دائماً فويلي من الاولى وويلي من العصر
ووالله مالي نية في صلاتهم ولا البر والاحسان والخير من أمري
وما ضره والله يصلح أمره لو ان ذنوب العالمين على ظهري
فضحك المنصور وأعفاه . وأخبره في الاغانى ١٢٠ ج ٩ وابن خلكان ١٩٠
ج ١ والشعر والشعراء ٤٨٧ والدميري ١٣٢ ج ١ والمستطرف ٤٣ ج ٢

٢ - حماد مجرد

توفي سنة ١٦١ هـ

هو مولى أيضاً نشأ في الكوفة ثم واسط وعاصر الدولتين لكنه نبغ في الدولة
العباسية بعد أن نادى الوليد بن يزيد الاموي وجاء بغداد أيام المهدي ومعه مطيع
ابن أياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين في دينهم . وحماد من الشعراء المجيدين وكان

ماجناً ظريفاً خليعاً وأدرك بشار بن برد وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا
أمثلة منها . ولم يكن يهاب كبيراً ولا صغيراً ولا عالماً كان أو خليفة . وقد عاصر الامام أبا
حنيفة وكانت بينهما مودة ثم قاطعه أبو حنيفة وبلغ حماداً أنه يتنقصه فكتب اليه :

ان كان نسكك لا يتم بغير شتمني وانتقاصي
فاعدو قم بي كيف شئت مع الاداني والاقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام نأخذها ونعطي في أباريق الرصاص

واهتم أدباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا في العصر الاموي
بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد لبشار
شيء جيد الا ٤٠ بيتاً معدودة . أما بشار فله من الهجاء أكثر من الف بيت جيد
وكل منهما هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها فسقط عجرد وتهتك بفضل
بلاغة بشار وجودة معانيه وبقي بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف أخباره أنه هجا حفص بن أبي بردة وكان صديقه وزنديقاً مثله وحفص
أعمش أفتس أعضب مقبح الوجه . فاجتمعوا يوماً على شراب وجعلوا يتحدثون
ويتشادون فاخذ حفص بن أبي بردة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحظه فقال
له حماد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنت كثيل العود عما تتبع
تتبع لحناً في كلام مرقش ووجهك مبني على اللحن أجمع
فاذناك أقواء وأنفك مكفأ وعيناك ابطاء فانت المرقع

وقد سبق أبا نواس بالتغزل في الغلمان . من ذلك قوله في غلام كان يهواه اسمه أبو بشر :

أخي ان داني ليس عندي دواؤه ولكن دواني عند قلب أبي بشر
دواني وداني عند من لو رأيت به يقلب عينيه لا قصرت عن زجري
فاقسم لو أصبحت في لوعة الهوى لا قصرت عن لومي وأطنبت في عذري
ولكن بلاني منك أنك ناصح وانك لا تدري بانك لا تدري

وكان السبب في وفاة حماد عجرد أنه شبب بزینب أخت محمد بن سليمان بن علي
وبلغه غضب محمد فهرب الى الاهواز فبعث محمد بطلبه ففر الى غيرها ومرض في تنقله
حتى مات في شيراز ودفن فيها

وتجد ترجمته في الاغاني ٧٣ ج ١٣ وابن خلكان ١٦٥ ج ١ والشعر والشعراء

٣ - مروان بن أبي حفصة

توفي سنة ١٨١ هـ

هو من الشعراء الموالى أصل جده من سبي اصطخر وكان غلاماً اشتراه عثمان ابن عفان ووهبه لمروان بن الحكم وأقام بعدئذ باليمامة وولد له غلام سماه مروان. وقد اختلفوا في حقيقة نسبه . شب مروان على كره الشيعة لانه من موالى بني أمية وقد حارب معهم . وكان شجاعاً مجرباً فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين . وهو من الفحول المقدمين أول من شهره ونوه به معن بن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها مطلعها :

معن بن زائدة الذي زبدت به شرفاً على شرف بنو شيبان
ولكنه اشهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معناً مطلعها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لهم في بطن خفان اشبل
فجازه عليها بمال كثير فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحاً حتى غار
منه المهدي وعنفه مرة وقد دخل عليه في جملة الشعراء وأنشده قصيدة في مدحه فقال
له المهدي « من أنت ؟ » قال « شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة »
فقال له المهدي « ألسنت أنت القائل » :

أثنا باليمامة بعد معن مقاماً لا يزيد به زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال ولا نوالا
قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نواتنا ؟ لا شيء لك عندنا . . . جروا برجله »
فجروه برجله حتى أخرج . فلما كان من العام المقبل تلتطف حتى دخل مع الشعراء
— وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة — فمثل بين يديه وأنشده قصيدة
في مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة عن ربكم جبريل بلنها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية بترائهم فأردتم ابطالها
فطرب المهدي وسأل عن القصيدة كم بيت فقيل مائة بيت فأمر له عن كل بيت
بألف درهم فقال ١٠٠٠٠٠ درهم وهي أول مرة نال شاعر هذه العطية (١)

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فاصابه معه كما اصابه مع المهدي . ثم مدحه بقصيدة بائنة أعجبتة فاعطاه عن كل بيت ألف درهم . ولم ينل أحد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالا كثيراً لكنه كان مطبوعاً على البخل وظهر ذلك على الخصوص بالمقابلة مع سلم الخاسر الآتي ذكره لان هذا كان يتمتع بماله فيأتي باب المهدي على البرذون قيمته ١٠٠٠٠ درهم . ويلبس الخز والوشي ويتطيب ويتمم بالاكل عكس مروان^(١)

وتجد اخبار مروان في الاغاني ٣٦ ج ٩ وابن خلكان ٨٩ ج ٢ و ١٠٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨١ وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ والفهرست ١٦٠

٤ - سلم الخاسر

توفي سنة ١٨٦ هـ

هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو احد موالي ابي بكر الصديق . نشأ في البصرة وكان شاعراً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر وكان متظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون وزاد شاعرية وتمرحاً بالشعر على يد بشار لانه كان راويته وتلميذه اخذ عنه واعترف من بحره ونسج على منواله وكثيراً ما كان يأخذ اقواله فيسليخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فجعله :

من راقب الناس مات غمماً وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب واقسم الا يدخل عليه ولا يفيدته مادام حياً فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضي ووبخه وقعه بمخصرة كانت بيده . وكان صديقاً لابراهيم الموصلي المغني المشهور ولابي العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصاً الفضل بن يحيى . وكان اول اشتهاره انه حمل قصيدة بشار الى عمر بن العلاء فلما انشده اياها امر لبشار بمائة درهم فقال سلم : « ان خادمك (يعني نفسه) قد قال في طريقه فيك قصيدة » قال ما هي فانشده اياها ومطلعها :

قد عزني الداء ثمالي دواء مما الاقي من حسان النساء

حتى تخلص الى المدح بقوله :

كم كربة قد مسني ضرها ناديت فيها عمر بن العلاء
فامر له بعشرة آلاف درهم وهي اول عطية سنية نالها ثم توالى عليه الجوائز من
الخلفاء والوزراء والامراء وكان يتبسط في المعيشة ويلبس أحسن الملابس كما تقدم .
وظل الى آخر ايامه يعترف انه جزء من محاسن بشار
ومجد ترجمته في الاغاني ١١٠ ج ٢١ وابن خلكان ١٩٨ ج ١

٥ - منصور النمرى

هو عربي من النمر بن قاسط نشأ في الجزيرة بين النهرين . وهو تلميذ كلثوم بن
عمر والعنابي الا في ذكره بين الشعراء الذين لم يتحضرُوا وراويته . وعنه اخذ ومن
بحره استقى . وقدمه العنابي الى البرامكة فوصفه للفضل بن يحيى وقرظه عنده حتى
استقدمه من الجزيرة واستصحبه . ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين
العنابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسمى كل منهما في هلاك صاحبه
وكان مسكن النمرى في الشام فطلب الى البرامكة ان يذكره للرشيد فذكروه
ووصفوه فاستحضره . وكان ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسرُّه ان يمدح بنفي
الامامة عن علي والطنن عليه لما كان يراه من تقديم مروان بن ابي حفصة بسبب ذلك
فسلك مذهبه ونحا نحوه — والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب . لكنه لم يصرح
بالهجاء والسب كما فعل مروان ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

امير المؤمنين اليك خضنا غمار الهول من بلد شطير
نحوّض كلاله خافقات تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالاً ثقلاً ومثل الصخرة الدر المثير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير

ومما قاله في تفضيله على ابناء علي بالارث قوله :

فان شكروا فقد انعمت بهم والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق وردوا ما يناسب للذكور
وما لبني بنات من تراث مع الاعمام في ورق الزبور

وكان الرشيد يفضل مروان عليه بالعتاء ولو قليلاً . وقد ذكرنا الايات التي
قالها في مدح الرشيد من المبالغة^(١) وناهيك بالقصيدة التي رفعت السيف عن ربيعة^(٢)

(١) الاغاني ٢٠ ج ١٢ والعمدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغاني ٢٣ ج ١٢

وقد مدح ايضاً يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :
 لو لم يكن لبني شيبان من حسب سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب
 وتجد اخبار المتصور النمري في الاغاني ١٦ ج ١٢ و ٣٢ و ١٤١ ج ١٧

٦ - علي بن الجهم

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه
 ثم ابغضه لانه كان كثير السعاية اليه بندمائه واذا خلا به عرفه انهم يعيونه ويثلبونه
 فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه الى خراسان بعد ان حبسه مدة
 وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن ابى حفصة في هجاء آل ابى طالب وذمهم
 والاغراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب رضوى امام . خاب ذلك من امام
 امام من له عشرون الفاً من الأتراك مشرعة السهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد
 الله صاحب خراسان ان يصلبه فقبض عليه وصابه في الشاذياخ يوماً الى الليل مجرداً
 فلما نزل قال في ذلك قصيدة نغرية مطلعها :

لم يصبوا بالشاذياخ عشية لاتين مسبوقة ولا مجهولا
 نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفاً وملء صدورهم تبجيلاً

ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه وفيه احسن ما قيل في مدح السجن :
 قالوا حبست فقلت ليس بضارى حسي واى مهند لا يغمد
 او مارأيت الليث يألف غيابه كبرا واوباش السباع تردد
 والشمس لولا انها محجوبة عن ناظريك لما اضاء الفرقد
 والبدر يدركه السرار فتنجلي ايامه وكأنه متجدد
 والغيث يحصره الغمام فابرى الا وريقه براع وبرعد
 والزاعية لايقوم كعوبها الا الثقاف وجذوة توقد
 والنار في أحجارها مخبوءة لا تصطلي ان لم تثرها الازند
 وله اقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ومن أجمل ذلك قوله في وصف حفلة
 بعد صيد فرسوها واقاموا يشربون على الزعفران :

وطبنا رياض الزعفران وامسكت
ولم نحممها الادغال منا وانما
بمستروحات سابحات بطونها
ومستشرفات بالهوادي كأنها
ومن دالعات ألسناً فكأنها
فلينا بها الفيضان فلياً كأنها
ونجد اخباره في الاغاني ١٠٤ ج ٩ وابن خلكان ٣٤٩ ج ١

٧ - حسين بن الضحاک

توفي سنة ٢٥٠ هـ

هو مولى باهلة ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس وكان خليعاً فاسداً وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ، لشعره قبول ورونق فهو من المتفنين وله معان جديدة في الحمز كان ابو نواس يأخذها عنه. ومع ان ابان نواس مات سنة ١٩٨ والضحاك مات سنة ٢٥٠ فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب لكن ابن الضحاك عمر كثيراً

وهو اول من نادى الامين وله فيه مدائح كثيرة فلما رجع المأمون من خراسان بعد مقتل اخيه واستتب الامر له طلب قوماً من أهل الادب يجالسونه فذكروا له جماعة فيهم حسين بن الضحاك فقال « اليس هو القائل في محمد (الامين) :
هلاً بقيت لسد فاقنا ابدأ وكان لغيرك التلق
فلقد خلفت خلائفاً سلفوا ولسوف يعوز بعدك الخلف
لا حاجة لي فيه والله لا يراني ابدأ الا في الطريق » ولم يعاقبه على ما كان من هجائه له وتعرضه به . وانحدر الحسين الى البصرة فاقام بها طول أيام المأمون وله في الامين مرث جيدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك فقيل له انه في البصرة فاستقدمه فقدم وانشده قصيدة فيها من المدح قوله :

خير الوفود مبشر بخلافة خصت بهجتها ابا اسحق
وافته في الشهر الحرام سليمة من كل مشكلة وكل شقاق
اعطته صفقتها الضائر طاعة قبل الاكف بأوكد الميثاق
سكن الانام الى امام سلامة عف الضمير مهذب الاخلاق

فحمى رعيته ودافع دونها واجار مملقها من الاملاق
وله ايات في التغزل بالفلمان اقتبس بعضها ابو نواس^(١)
ومجد اخباره في الاغاني ١٧٠ ج ٦ وابن خلكان ١٥٤ ج ١

شعراء البرامكة

يزيد بهم الشعراء الذين كان اكثر انقطاعهم للبرامكة او اختصوا بهم دون
سواهم او كان لهم معهم شأن خاص وهاك اشهرهم :

١ - أبان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالي واكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتباً من الفارسية
الى العربية . وله ذكر خاص في آداب اللغة العربية لانه نظم كتاب كلية ودمنة شعراً
باشارة البرامكة كما نظمه الفرس قبلاً ليسهل حفظه على الاذهان . وقد نقله ابن المقفع
نثراً . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هذا كتاب أدب ومحنة وهو الذي يدعى كلية دمنه
فيه احتيالات وفيه رشد وهو كتاب وضعه الهند

فأعطاء يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار واعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ولم
يعطه جعفر شيئاً وقال « الا يكفيك ان احفظه فاكون راويتك ؟ »

وهذا النقل من جملة افضال البرامكة على اللغة العربية لكن المنظومة ضاعت ولم
يبق منها الا هذان البيتان . ونقله شعراً ايضاً آخرون سنذكرهم عند ذكر هذا الكتاب
وارتقى ابان في ايام البرامكة حتى جعل يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم
في الجوائز اليه فامتحنهم ورتبهم وفي جملتهم ابو نواس . فلم يرض ابو نواس المرتبة التي
جعلها فيها وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة ، واكثر اعدائه كانوا يتهمون به بذلك
وفيه الممدل بن غيلان فانه قال فيه :

رايت اباناً يوم فطر مصلياً فقسم فكري واستفزني الطرب
وكيف يصلي مظلم القلب دينه على دين مان ان ذاك من العجب

واغتم ابان تقر به من البرامكة ووسطهم بايصاله الى الرشيد او ايصال مديحه لعله يحظى كما حظي مروان بن ابي حفصة فلم يفعلوا . ولما طابهم قالوا « ان مروان يتقرب اليهم بهجو آل ابي طالب فهل تفعل ؟ » فقال لا فقالوا « فاذا نصنع لآتائي الدنيا الا بما لا يحل » ثم غلب عليه التماس الرزق فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلماً اعم بما قد قلته العجم والعرب
اعم رسول الله اقرب زلفه لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وايها اولى به وبمهده ومن ذاله حق التراث بما وجب
فان كان عباس احق بتلكم وكان علي بعد ذلك على سبب
فابناء عباس هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهي طويلة فقدموها الى الرشيد فاجازه عليها واتصل به من ذلك الحين
ونجد اخباره في الاغاني ٧٣ ج ٢٠ والفهرست ١٦٣

٢ - ابن مناذر

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو مولى ويكنى ابا جعفر واسمه محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة
وامام فيها حتى اخذ عنه اكابر اهلها وكان في اول امره يتعبد ثم عدل عن ذلك فهجوا
الناس وتهتك وخلع وقذف اعراض اهل البصرة حتى نفي عنها الى الحجاز فمات هناك
وكان ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل اليه ويقدمه . وقد مدح آل برمك
وغيرهم . ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل بن الربيع اصبح شعراء
البرامكة في خطر . فاراد ابن مناذر ان يتقرب الى الرشيد طلباً للرزق فاغتم ذهابه
الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة فلاح البشر في وجه الرشيد فقال الفضل بن
الربيع للرشيد . « هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد فقال الفضل « مره ان يشدك
قوله فيهم » فامرهم فاعتذر فألح عليه فانشد القصيدة التي مطلعها :

انا بنو الاملاك من آل برمك فيا طيب اخبار وياحسن منظر (١)

وكلها اطراء في البرامكة ولما فرغ منها استدرك بقوله « كانوا اولياءك يا امير
المؤمنين لما مدحتهم » فامر الرشيد ان يلطم فاطموه وامر فحبسوه وخرج لا يلوي

على شيء . فلقبه ابو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار وقال له « استعن بهذه
واعذرني » ولم يعد ابن منذر يرى خيراً بعد البرامكة
وتجد اخباره في الاغاني ٩ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٥٣

٣ - الرقاشي

توفي سنة ٢٠٠ هـ

هو مولى واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشي من اهل البصرة كان سهل
الشعر مطبوعاً وكان منقطعاً الى آل برمك مستغنياً بهم عن سواهم . وكانوا يصلون
به على الشعراء ويروون اولادهم اشعاره ويدونونها القليل والكثير منها تعصباً له وحفظاً
لخدمته وتوثيقاً باسمه وتحريكاً لنشاطه فحفظ ذلك لهم . فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم
فاقام معهم مدة ايامهم ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا ثم رثاهم فاكثر من رثائهم . من ذلك
قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشي وهو مصلوب على الجذع فوقف يبكي
ثم قال :

اما والله لولا خوف واشٍ وعين للخليفة لا تام
لطفنا حول جذعك واسلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيى حساماً حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمك السلام

وتجد ترجمته في الاغاني ٣٥ ج ١٥ وفوات الوفيات ١٢٥ ج ٢ والشعر والشعراء ٥١٥

٤ - أشجع السلمي

هو اشجع بن عمرو السلمي من قيس . ولد باليامة ومات ابوه فجاءت به أمه
البصرة فماتت هناك . ونشأ اشجع بالبصرة وقال الشعر واجاد وعد من الفحول وكان
الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم اشجع افتخرت به
قيس . ثم اتصل بالمرامكة واختص بجعفر واصفاه مدحه فاعجب به واوصله الى
الرشيد فاعجب به فأثرى . ومن بليغ شعره قوله في ابراهيم بن عثمان بن نبيك صاحب
شرطة الرشيد وكان جباراً عبوساً :

في سيف ابراهيم خوفٌ واقعٌ بدوى النفاق وفيه أمنٌ المسلم
ويبيت يكلأ والعيون هواجعٌ مال المضيع ومهجة المستسلم

جعل الخطام بأف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان الأشدة تغشى البري بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحم لا يتقى والسيف تقطر شفرته من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها بالامر تكرهه وان لم تعلم

وتجد اشعاره واخباره في الاغاني ٣٠ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٦٢

واكثر الشعراء مدحوا البرامكة وانتفعوا بهم وانما اتينا على اشهرهم في ذلك
وبعضهم يدخل في الابواب الاخرى

شعراء الشيعة

زريد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل علي ويتعصبون لهم ولو مدحوا
غيرهم وقد ترجمنا اثنين منهم هما السيد الحميري ودعبل في جملة عمدة شعراء هذا
العصر . واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن :

ديك الجن

توفي سنة ٢٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان وأصله من اهل مؤتة (وقيل سلمية) وقد اسلم جده
في اول الاسلام . ولد في حمص وديك الجن لقب له وكان شديد التشعب والعصبية على
العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله « ما للعرب علينا فضل جمعتنا واياهم
ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا » وهو شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام والشاميين
في شعره وكان مقبلاً في حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره
منتجعاً بشعره ولا متصدياً لاحد وهذا نادر في شعراء ذلك العصر . وكان يتشيح لآل
البيت وله مرات كثيرة في الحسين بن علي كان بعضها مشهوراً عند الخاص والعام يناح
به . وكان مع ذلك خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف والهجو متلافاً لما ورث عن آبائه
وما اكتسبه بشعره من احمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن اقواله في الخلاعة
والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنا يا غلام مبتكرة فباكر الكاس لي بلا نظرة

وعشق جارية نصرانية من اهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام وزوجها
وله فيها تشييب منه قوله :

انظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها وبهجة زهرها
لم تبك عينك ايضاً في اسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من اردافها عجباً ولكني بكيت لحصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها وردية ومدامة من ثمرها

ودخل بعض اقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر واحتال حتى صدق ديك
الجن التهمة وهي افتراء وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

ياطاعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفيتها
قد بات سيني في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعلها وما وطىء الحصى شيء اعز علي من نعلها
ما كان قتلها لاني لم اكن ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وانفت من نظر الحسود اليها

وبعضهم ينسب هذه الايات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله
جيد على انه كان مجيداً في الرثاء حتى فضلوه فيه على ابي تمام (١) . وتجد اخباره في
الاغاني ١٤١ ج ١٢ وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١

شعراء سائر الامراء

وهناك طبقة من شعراء العصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى امير او وزير
او كبير . اشهرهم علي بن جبلة المعروف بالعموك انقطع لابن دلف . ومطيع بن اياس
انقطع لجعفر بن المنصور . و ابو الشيبان لعقبة بن جعفر بن الاشعث وهذه تراجمهم :

١ - مطيع بن اياس

هو عربي الاصل يرجع نسبه الى كنانة وقد طاصر الدولتين الاموية والعباسية
وكان ماجناً خليعاً ظريفاً مليح النادرة متهماً بالزندقة . ولد ونشأ في الكوفة

وانقطع لجعفر بن ابي جعفر المنصور ومدح قليلين غيره. وهو من طبقة كانت في صدر الدولة العباسية قبل ابي نواس وابي العتاهية ادركوا المنصور وهو لا يقبل الشعراء وكانوا ثلاثة: مطيع وحماد وعجرد ويحيى بن زياد فكانوا يتذاكرون ايام بني امية وكثرة الخبز فيها وما هم فيه ببغداد من الفحط ايام المنصور . وقد نظم مطيع في ذلك شعراً منه قوله :

حبذا عيشنا الذي زال عنا حبذا ذاك لا حبذا ذا
ابن هذا من ذاك سقياً لذا كلسنا نقول سقياً لهذا
زاد هذا الزمان عمراً وشرّاً عندنا اذ احلنا بغذاذا
بلدة تمطر التراب على النسا س كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلاً واخر ب ذوالعر ش باعمال اهلها كلواذا

وكانوا يتهتكون في تعشق الغلمان ولعلمهم اقدم من فعل ذلك من الشعراء . وفي الاغاني حديث عنهم نخجل من ذكره يدل على مقدار تهتكهم في ذلك العصر . ولمطيع قصيدة عامرة بمدح بها معن بن زائدة مطلعها :

اهلاً وسهلاً بسيد العرب ذي الفرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها واخي الج ود حوى عانيه من كئيب
وترى اخباره في الاغاني ٧٨ ج ١٢ و ٨٥ ج ١٣ و ٨٦ ج ٢١

٢ - أبو الشيب

توفي سنة ١٩٦ هـ

هو ابو جعفر محمد بن رزين من اليمنية. وهو عم دعبل الشاعر المشهور وقد تقدمت ترجمته . وكان ابو الشيب من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد واشجع وابي نواس نخمل وانقطع الى عقبه بن جعفر بن الاشعث الخزاعي وكان اميراً على الرقة فدحه باكثر شعره وقلما يروى له في غيره . وكان عقبه جواداً فاغناه عن غيره لانه كان يعطيه عن كل بيت الف درهم . وكان من وصاف الخمر وله مقدره على الغزل . واصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر في بكاء عينيه فمن ذلك قوله :

يانفس ابكي بادمع هنن وواكف كالجمان في سنن
على دليلي وقائدي وبدي ونور وجهي وسابيس البدن

ابكي عليها بها مخافة ان يقرني والظلام في قرن
ومن اقواله في النزول :

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخرٌ عنه ولا متقدمٌ
اجد الملامة في هواك لذيدة حباً بذكرك فليمني اللوم
اشبهت اعدائي فصرتُ احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فاهنتُ نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وهو مما يتغنى به . وقد سرق ابو نواس معنى البيت الاول فنظمه في قوله :
فما جازه جودٌ ولا حل دونهُ ولكن يسير الجود حيث يسير
وسرق آخرون معنى البيت الثاني فقال بعض المغاربة :

هددت بالسلطان فيك وانما أخشى صدودك لامن السلطان
اجد اللذاذة في الملام فلو درى أخذ الرشامني الذي يلحاني

وتجيد اخباره في الاغاني ١٠٨ ج ١٥ وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ والشعر
والشعراء ٥٣٥ والفهرست ١٦١

٣ - العكوك

توفي سنة ٢١٣ هـ

اسمه علي بن جبلة الانباري والعكوك لقبه وهو من الموالي ابناء الشيعة الخراسانية
من اهل بغداد ولد في الحرية منها ونشأ فيها وكان ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن
برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداح حسن التصرف . وقد
استنجد شعره في مدح ابي دلف العجلي وابي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي وزاد
في تفضيلها وتفضيل ابي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر فاستاء المأمون من
ذلك وبلغه ابيات قالها العكوك في ابي دلف منها :

كل من في الارض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسبها يوم مفتخره

فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متوارياً
حتى مات . وسبب معرفة العكوك بابي دلف طلب الرزق فقد بلغه ان الناس
يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي اربعون بيتاً في جملتها البيتان المتقدمان

وهو ابرص اسود . وله في الغزل قوله :

بابي من زارني مكتئباً خائفاً من كل شيء جزوا
 زائراً نمّ عليه حسنه كيف يخفي الليل بدرأ طلعا
 رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
 ركب الاهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعا

واخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه ابا دلف من امثلة المبالغة صفحة ٤٧
 ونجد اكثر اخباره في الاغاني ١٠٠ ج ١٨ وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ والشعر

والشعراء ٥٥٠

وهاك اهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل
 منهم المأخذ الذي يرجع اليه في مطالعة اخباره :

٤ ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصلي المغني اخباره بالاغاني ٦ ج ١١
 ٥ محمد بن امية واخوه علي « ابراهيم بن المهدي » ٣٢ ج ١١ و ٦٣ ج ٢٠
 ٦ محمد بن صالح « ابن المدبر » ٨٨ ج ١٥ و ٢٢٠ فوات ٢

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتقون بالشعر مدحاً او هجاء او نحو ذلك مثل
 سائر شعراء ذلك العصر وغيره وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر اي يجعله باباً
 للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسي الاول صالح بن عبد القدوس والعباس
 ابن الاحنف ومحمد بن بشير الرياشي

١ - صالح بن عبد القدوس

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من حكماء الشعراء منهم
 بالزندقة قوي الحججة له منزلة كبرى عند اهل مذهبه . نشأ في البصرة وكان يقص على
 الناس ويعظهم . وبلغ الى المهدي خبر زندقته فبعث اليه يستقدمه من دمشق وكان قد
 رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن . فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي قال له
 المهدي ألسنت القائل ؟ :

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

قال « بلى يا امير المؤمنين » قال « وانت لاتترك اخلاقك حتى تموت » فامر به
فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ واكثر اشعاره في الحكم الفلسفية . ومن
احسن اقواله القصيدة التي منها ذلك البيت . وهو يقول فيها :

لا يبلغ الاعداء من جاهلٍ	ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك اخلاقه	حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله	كذي الضنى عاد الى نكسه
وانَّ من ادبته في الصبا	كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً	بعد الذي ابصرت من يبسه

وقوله :

لا يعجبنيك من يصون ثيابه	حذر الغبار وعرضه مبذول
ولربما افتقر الفتى فرايته	دنس الثياب وعرضه مغسول

وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ومن قوله :

انست بوحدتي ولزمت بيتي	فتم العزُّ لي ونما السرور
وأدبني الزمان فليت اني	هجرت فلا ازار ولا ازور
ولست بقائلٍ ما دمت حيًّا	اقام الجند ام نزل الامير

وهو القائل :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه
وله قصيدة حكيمية اخلاقية بدیعة مطلعها :

المراء يجمع والزمان يفرق
ويظلُّ برقع والخطوب تمزق

وترى اكثر اخباره في فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميري ٢٦ ج ١

٢ - العباس بن الأحنف

توفي سنة ١٩٢ هـ

هو عربي شريف النسب لم يتكسب بالشعر وانما كان ينظم ما يحيش في خاطره
واكثره في الغزل ولم يتجاوز به الى مديح او هجاء. وله مذهب حسن ولدياجة شعره
رونق ولعمانية عذوبة ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر ان يكثر من النظم
في مذهب واحد لا يتجاوز به . ويندر ذلك في الشعراء قديماً وحديثاً وله ديوان طبع

مع ديوان ابن مطروح بالآستانة سنة ١٢٩٨ هـ ولشعره الغزلي وقع في النفس فانهم كانوا يغنون كثيراً منه كقوله :

لاجزى الله دمع عيني خيراً وجزى الله كلَّ خير لساني
نمَّ دمعي فليس بكنم شيئاً ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طيئ فاستدلوا عليه بالعنوان

وقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي املي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة صدُّ الملول خلاف صدِّ العاتب

وقوله :

اناذنون لصب في زيارتكم فنندم شهوات السمع والبصر
لا يضر السوء ان طال الجلوس به عف الضمير ولكن فاسق النظر

وتجد اخباره واشعاره في الاغاني ١٥ ج ٨ وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٢٥

٣ - محمد بن بشير الرياشي

هو من الشعراء الموالي غير محمد بن بشير الخارجي . اما الرياشي فانه شاعر ظريف من اهل البصرة لم يفارقها ولا وفد على خليفة ولا شريف منتجماً ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً . وله في الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخلت بستانه وفيه بقل من غرسه فأكلته ثم دخلت داره فلم نجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فاكلتها وخرجت فنظم في ذلك قصيدة طويلة^(١) مطلعها :

لي بستان انيق زاهر ناضر الخضرة ريان ترف

واحسن في وصف الشاة وحركاتها ويتخلل ذلك مجون لطيف . واكثر قصائده على هذا الاسلوب منها قصيدة وصف بها فراخاً^(٢) مطلعها :

يارب رب الرائحين عشية بالقوم بين منى وبين ثبير

وهي طويلة وفيها مجون واكثر نظمه من هذا النوع

وتجد اخباره في الاغاني ١٢٩ ج ١٢

(١) الاغاني ١٣٠ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٣٥ ج ١٢

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا في بغداد بل كانوا يفدون على الخلفاء أو الامراء ثم يرجعون الى البادية فهم اقل كثيراً من الذين تحضروا اشهرهم :

١ - كلثوم بن عمرو العتّابي

توفي سنة ٢٢٠ هـ

اصله من قنسرين مدح البرامكة وطاهر بن الحسين وكان حسن الاعتذار في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والادب واللغة وكان يقيم في رأس عين بعيداً عن دور الخلفاء والامراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فاعجب بها فطلب اشخاصه اليه فجاء وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدمه الى الرشيد أمر بان تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا . فكانت المائدة اذا قدمت اليه اخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فاكله بها . فاذا كان وقت النوم نام على الارض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه فاخبروه بامرهم فأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العميلي وهو في منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له « ارتفع » فقال « لم آتك للجلوس » قال « فما حاجتك ؟ » قال « دابة ابلغ عليها الى رأس عين » فقال « يا غلام اعطه الفرس الفلاني » فقال « لاحاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلغ عليها » فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى معه فعدل به العتّابي الى سوق الحمير فقال الغلام « انما امرني ان ابتاع لك دابة » فقال له « انه ارسلك معي ولم يرسلني معك فان عملت ما أريد والا انصرف » فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً وقال « ادفع اليه ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عرياً بمرشحة عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان فقال له يحيى بن سعيد « فضحتني أمثلي يحمل مثلك على هذا ؟ » فضحك وقال « ما رأيت قدرك يستوجب اكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت « هذا منصور النمرى (تلميذك وراويتك) قد اخذ الاموال فحلى نساءه وبني داره واشترى ضياعاً وانت ههنا كما ترى » فانشد يقول :

تلوم على ترك الغنى باهلية ذوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى مقلدة اعناقها بالقلائد

أسرك أني نلت ما نال جعفرُ من العيش او مانال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنين اغصني بفصهما بالمشرفات النوارد ؟
دعيني تحيني منيتي مطمئنة ولم انجشم هول تلك الموارد
ويرى صاحب الاغاني اضطراباً في هذا الخبر . على انه كان يفد على الخلفاء
والامراء وينال جوائزهم . وهو أستاذ المنصور النمرى
أخباره في الاغاني ٢ ج ١٢ وفوات الوفيات ١٣٩ ج ٢

٢ - ربيعة الرقي

هو ربيعة بن ثابت الانصاري ولد في الرقة ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . وهو
ضرب مثل بشار وكان منقطعاً عن الحضارة بعيداً عن مجالسة الخلفاء فاخل ذكره
بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم واول من فعل ذلك المهدي فدحه ونال
جوائزه . وكان ابن المعتز يرى ربيعة اشعر غزلاً من ابي نواس لان في غزل ابي نواس
برداً كثيراً وغزل هذا سليم عذب سهل ولذلك فان شهرته بلغت إلى بلاط الخليفة .
وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده . وان قصر احد في عطائه هجاه
وله في ذلك حديث مع العباس بن محمد بن علي من امراء بني العباس - وذلك ان الرقي
مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل « لا » وانت مخلدٌ ما قالها
ما ان اعدت من المسكارم خصلة الا وجدتك عمها او خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المسكارم لم تزل معقولة حتى حلت براحتك عقالها

فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع ان يعطيه التي دينار فاعطى الدينارين
الى الرسول على ان يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهب ضياعاً كذبت عليك فيها وافترت
فانت المرء ليس له وفاء كاني ان مدحتك قد زينت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فاحضره الرشيد وهم بقصاصه فقص عليه
الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس وكان ينوي ان يزوجه ابنته
فتغير عليه وامر للرقي بثلاثين ألف درهم وبغلة واوصاه ان لا يذكر العباس تعريضاً

ولا تصریحاً . واتفق للرقى ايضاً مثل ذلك مع معن بن زائدة وقد لقيه في بعض
قدماته الى العراق فدحه فلم يهش له فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يامعن يا ابن زائدة السكا ب الذي في الذراع لافي البنان
لا تفاخر اذا فخرت بأبا تك وافخر بعمك الحوفزان
ومن غزله ايات يغنى بها وهي :

وتزعم اني قد تبدلت خلة سواها وهذا الباطل المنقول
لحي الله من باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل
ستصرم انساناً اذا ما صرمتني يحبك فانظر بعده من تبدل

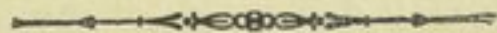
وتجد اخباره في الاغاني ٣٨ ج ١٥ وخزانة الادب ٥٥ ج ٣

٣ — عمارة بن عقيل : هو من الشعراء البدوي في هذا العصر حفيد جرير
الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء
العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة وكان النحويون بالبصرة
ياخذون عنه . وتجد اخباره في الاغاني ١٣٨ ج ٢٠ وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ — ناهض بن ثومة : هو من طائر شاعر بدوي فارس فصيح كان يقدم البصرة
فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة . واخباره في الاغاني ٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغ اخبارهم الينا لانهم قضوا حياتهم في البادية ولم
يفدوا على احد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة من اللغويين
والنحاة والفقهاء والمحدثين حتى الوزراء والخلفاء والولاة والخدم والنساء وغيرهم ممن
جمعت اشعارهم في ذلك العصر وبقي كثير منها الى اواسط القرن الرابع . فقد ذكر ابن
النديم في الفهرست مئات من أولئك الشعراء . فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات
وعدة مائات تسلسل الشعر في اعقابها كآل ابي أمية وآل اللاحقي وآل ابي عينة
المهلب وآل المعدل وآل ابي العتاهية . وطائفة من النساء الشواعر

وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق بتقدير
الورقة صفحتين في كل منهما عشرون سطراً . فذكر نحو مائة شاعر منهم بشار له الف
ورقة وابو نواس ٨٠٠ ورقة وابن هرمة ٥٠٠ ورقة وغيرهم ٣٠٠ وقل الى ٥٠ او
٢٠ ورقة على ما كان معروفاً في عصره باواسط القرن الرابع . ولم يبق من ذلك الى
اليوم الا القليل فمن أراد مراجعة قائمة ابن النديم فهي تبدأ بصفحة ١٥٩ من الفهرست



العلوم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء في تعريف الادب وتحديدته. اما علم الادب فيشتمل في اصطلاحهم على اكثر علوم العربية كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر واخبار العرب وانشابهم . وصاحب هذه العلوم او احدها كانوا يسمونه « اديب »^(١) وقالوا الفرق بين الاديب والعالم ان الاديب يأخذ من كل شيء احسنه فيألفه والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه^(٢). ولكن التعريف الاول اقرب الى المراد ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة في فني المنشور والمنظوم — وقد شاعت هذه التسمية قبل ان تميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض . وكانت في أول امرها مختلطة متشابهة ثم استقلت بالتدرج وتفرعت وصار كل منها علماً له احكام مستقلة جريباً على سنة النشوء والارتقاء

فكان المراد بالادب في اول الاسلام جمع اقوال العرب واشعارهم واخبارهم وامثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن وضبط الفاظه وتفهم اساليبه — اخذوا بذلك من القرن الاول للهجرة . وكان ابن عباس يقول « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب »^(٣)

ثم وضع ابو الاسود الدؤلي النحو لضبط المعاني كما تقدم فزادت الحاجة الى جمع اقوال العرب واشعارهم للاستشهاد بها في الاعراب والتصريف . واهتمت الدولة الاموية في احياء لغة العرب وآدابها واخذ خلفاؤها في حفظ الآداب الجاهلية فجمعوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها أو يروونها ويبدلون لهم الاعطية

الادباء في الدولة العباسية

وظلت الرغبة في اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما في عصرها الاول لرغبة خلفائها الاولين ووزرائها البرامكة في العلم والادب والشعر . ولم تكن رغبتهم قاصرة على الشعر ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسمع منهم أو لتعليم ابنائهم اللغة والنحو والشعر . فالنصور استقدم شرقي القطامي ليعلم ابنه المهدي الادب والنسب^(٤) فشب المهدي على حب الادب والادباء.

(١) طبقات الادباء ١١٧ (٣) معجم الادباء ١٧١ ج ١ (٣) العمدة ١١ ج ١

(٤) طبقات الادباء ٢

فأنف له المفضل الضبي المفضليات . وكثيراً ما كان يعقد المجالس للمناظرة بين
الادباء في النحو او اللغة يحضرها الكسائي واليزيدي وغيرها^(١) ثم عهد الى
الكسائي بتعليم ابنه هرون (الرشيد) في حديث لطيف يدل على عناية المهدي في اللغة^(٢)
فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام استاذه حتى كان يجلسه على كرسي
في حضرته وبأمره ان لا يزعج لهضته^(٣) وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد
شديد الرغبة في سماع مناظرات الادباء فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعي وابي
عبدة^(٤) او يدعو احد الرواة اذا ارق او ضجر ليقص عليه اخبار العرب فاذا سره
حديثه اجزل عطاءه الى مائة الف درهم او حوالها فضلاً عن الهدايا وغيرها^(٥)
وقد يجادله او ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة^(٦) . وكان الرشيد يحب ان يكون محاطاً
بالادباء والشعراء حتى في دار النساء . فكان يؤثر الجواري المتعلقات ويعرضن على
الاصمعي او غيره ليمتحنهن ويعلم درجة معارفهن^(٧) واعتبر ذلك ايضاً في الوزراء
والامراء فالبرامكة تنشطهم للادب اشهر من ان يذكر . والفضل بن الربيع فاضل
بين الاصمعي وابي عبدة^(٨) اما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء في تقرب اهل الادب
رواة الادب من غير العرب

وكان العرب في الصدر الاول مشتغلين عن الادب بالسياسة او الشعر او الخطابة
وهم في غنى عن الاستشهاد في ضبط كلامهم او قراءتهم لاستغنائهم بملكهم الفطرية
عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاطاحم الذين دخلوا الاسلام من
اهل فارس والعراق وخراسان بالولاء او بالخدمة يفتقرون في تعلم العربية الى
قواعد وشواهد لانها ليست لغتهم . واكثرهم مع ذلك اهل فاقة يلتمسون الرزق .
فتوافدوا للاشتغال بالادب الى البصرة والكوفة لانهما على حدود البادية اوها
واسطة الاتصال بين الحضارة والبداءة . وزاد توافدهم في الدولة العباسية لانها
جعلت قصبها في العراق على مقربة من هذين البلدين وفيهما جماعة كبيرة من
قبائل العرب نزلوها في صدر الاسلام وانزلوا مواليتهم معهم فنبغ من هؤلاء الموالي
طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة واكثرهم من موالى بني اسد
النازليين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

- (١) الاغانى ٧٦ ج ١٨ (٢) طبقات الادباء ٨٧ (٣) للزهر ٢١١ ج ٢
(٤) طبقات الادباء ١٤٥ (٥) طبقات الادباء ١٦٢ (٦) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١
(٧) طبقات الادباء ١٥٧ (٨) طبقات الادباء ١٦٦

فمن اولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاحبار والامثال ونحوها وسموا الرواة لانهم يروون ما سمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تتخير الفاظهم واساليبهم . واكثر ما نقلوه عن قبائل قيس وتميم واسد وعمدة الثقات من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طي . ولم يأخذوا شيئاً عن الحضرة ولا من البدو المجاورين - فلم يأخذوا من لحم وجذام لمجاورتها اهل مصر ولا من قضاة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية . ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا من عبد القيس والازد وعمان لانهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ولا من اهل اليمن لخالطهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لخالطهم تجار اليمن . ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السننهم

فاهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو اساس آدابها وعلومها . وكانوا يركبون في طلب ذلك الى البادية يحدثون العرب ويستطعمون اخبارهم واشعارهم ويعودون بها الى البصرة . وكان اولئك العرب في اول الامر لا يرون بأساً من املاء ما يعرفونه ولا يطلبون عن ذلك اجراً . ثم علموا ان الرواة يرتزقون بما يأخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالاً . ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم انفسهم الى البصرة يقيمون فيها او في ضواحيها مخفيين لمشاغ الرحلة على الرواة وتسابقاً الى التمسك من املاء ما يعرفونه من اللغة او الشعر . وربما كان الراوي لا يكتفي بالاخذ عن الوافدين فيرحل الى البادية ليأخذ عن اهلها - بدأوا بذلك من اواخر العصر الاموي وتكاثر الرواة والوافدون في الدولة العباسية الى البصرة وبغداد وكان اكثر وفودهم في العصر العباسي الاول اولاً الى البصرة فاصبحت غاصة بالادباء والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

فمن الفصحاء الذين اخذ عنهم الرواة في ذلك العصر او حواليه :

١ ابو البيداء الرباحي : اعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان باجرة واقام بها عمره يؤخذ عنه العلم

٢ ابو مالك عمرو بن كركرة : اعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضرة وكان يحفظ اللغة كلها على مذهب اهل البصرة

- ٣ ابو عرار : اعرابي من بني عجل فصيح يقرب من ابي مالك في معرفة اللغة
- ٤ ابو زياد الكلابي : اعرابي بدوي قدم بغداد ايام المهدي
- ٥ ابو سوار الغنوي : كان فصيحاً واخذ عنه ابو عبيدة
- ٦ ابو الجاموس ثور بن يزيد : اعرابي كان يفسد على آل سليمان بن علي وعنه
اخذ ابن المقفع الفصاحة
- ٧ ابو الشمخ : اعرابي بدوي نزل الحيرة
- ٨ شبيل بن عرعر الضبعي : من خطباء الخوارج وعلمائهم مات بالبصرة
- ٩ ابو عدنان : وهو ابو عبد الرحمن عبد الاعلى كان راوية ابي البيداء الرباحي
- ١٠ ابو ثوبة الاسدي : اعرابي روى عنه الاموي
- ١١ ابو خيرة نهشل بن زيد : اعرابي بدوي من بني عدي نزل الحيرة
- ١٢ ابو شبل العقيلي : اعرابي فصيح وقد على الرشيد واتصل بالبرامكة
- ١٣ نصر بن مضر : من بني اسد
- ١٤ ابو محم الشيباني : اعرابي من اعلم الناس بالشعر واللغة كان يغلظ طبعه
ويفخهم كلامه ويعرب منطقته
- ١٥ ابو مهدي : اعرابي صاحب غريب يروي عنه البصريون
- ١٦ ابو مسحل : اعرابي حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل
- ١٧ الوحشي العكلي : اعرابي فصيح كان يعلم في البادية
- ١٨ ابو ضمضم الكلابي : وفد على الحسن بن سهل
- ١٩ البهدي : كان راجزاً فصيحاً راوية وعنه اخذ الاصمعي
- ٢٠ جهم بن خلف المازني : عاصر خلف والاصمعي
- ٢١ الحرمازي : اعرابي بدوي قدم البصرة
- ٢٢ ابو العميل : اعرابي كان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر في خراسان
- ٢٣ الفقعسي : راوية بني اسد وصاحب مآثرها وأخبارها أدرك المتصور ومن
بعده وعنه اخذ العلماء مآثر بني اسد
- ٢٤ ابن ابي صبح : اعرابي بدوي نزل بغداد وبها مات اخذ عنه العلماء
- ٢٥ ربيعة البصري : بدوي حضر وكان راوية
- وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من ايراد أسماهم (١)

ولبعض من محضر من هؤلاء الاعرابيين كتب الفوها في اللغة اكثرها في النوادر
والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق الانسان لم يصلنا منها شيء
الرواة الذين نقلوا عنهم

اما الرواة الذين اخذوا عن او ثك الفصحاء بالبصرة او رحلوا في طلب اللغة
الى البادية فكثرهم من الموالي منهم :

١ - اللحياني غلام الكسائي : لني العلماء الفصحاء من الاعراب وعنه اخذ ابو
عبيد القاسم بن سلام

٢ - الاموي : هو عبد الله بن سعيد ليس من الاعراب لني العلماء ودخل البادية
واخذ عن الفصحاء من الاعراب

٣ ابو المنهال : احد الرواة

٤ خلف الاحمر : مولى ابي موسى الاشعري وسعود اليه

٥ - اليزيديون : هم اسرة تنسب الى كبير منها سمي اليزيدي لانه صحب يزيد بن
منصور خال المهدي. ولهم مؤلفات كثيرة في اللغة والشعر لم يصل الينا منها شيء ولكن
استفاد منها الرواة الذين وصالتنا كتبهم او اخبارهم. ولم يصلنا الا اخبار الرواة المقرين
من الخلفاء او الوزراء في بغداد كالاصمعي وابي عبيدة وغيرها وربما كان بين الذين
ضاعت اخبارهم جماعة اولى بالبقاء

عمدة الرواة

أو مرجع الناس في علوم العرب

قد رأيت كثرة المشتغلين في علوم العرب واخبارها بين قادم من البادية ونازل من
العراق وفارس وخراسان يلتقون في البصرة أو الكوفة أو الحيرة فيتبادلون اخبار العرب
وآدابهم واشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك في العصر العباسي الاول الى ثلاثة
عم عمدة الرواة وأمة الناس في تلك العلوم وعندهم روى الرواة واخذ الآخذون وهم
ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وكلهم اخذوا عن ابي عمرو بن العلاء أحد
الفراء السبعة اللغة والنحو والشعر ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل
هؤلاء فتادة السدوسي وجاء بعدهم القاسم بن سلام - واليك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ - قتادة بن دعامة

توفي سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسي الالكه من أهل البصرة كان عالماً كبيراً مقصداً للطلاب والباحثين لم يكن يمر يوم لا تأتيه راحة من بني امية تسيخ يبابه لسؤال عن خبر او نسب أو شعر . وكان يدور البصرة اعلاها واسفلها بغير قائد وبلغ من اشتهاره بالعلم وصحة الرواية حتى قالوا لم يأتنا من علم العرب اصح من شيء اتانا من قتادة (١) لكنه لم يخلف اثرأ . وهو من اهل العصر الاموي لكننا وضعناه هنا لمواصلة سياق الموضوع . وترجمته في ابن خلكان ٤٢٧ ج ١

٢ - ابو عمرو بن العلاء

توفي سنة ١٥٤ هـ

هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني أحد القراء السبعة . وكان من اشرف العرب ووجوها مدحه الفرزدق وغيره وكان اعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب وكانت دقاته الى السقف ثم تنسك فاحرقها (٢) . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب واشعارهم . وطامة اخباره عن اعراب ادركوا الجاهلية ومع ذلك فقد قال : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا اقله » (٣) وعنه اخذ اكثر نحاة ذلك العصر فضلاً عن رواته وادبائه لكنه لم يخلف اثرأ مكتوباً . وتجد اخباره في ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ وطبقات الادباء ٣١ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ والفهرست ٢٨

٣ - ابو عبيدة معمر بن المثنى

توفي سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثنى التميمي مولى بني تيم من قريش . ولد سنة ١١٠ وهو اجمع سائر الرواة لعلوم العرب واخبارهم وانسابهم . كان في البصرة ويفد على الخلفاء في بغداد وله حكايات في مجلس الرشيد مع الاصمعي للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ استقدمه اليها الفضل بن الربيع في خلافة الامين . واخذ عنه جماعة من

(١) ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ والمزهر ١٧١ ج ٢ (٢) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١

(٣) طبقات الادباء ٣٣

علمائها اشهرهم ابو عبيد القاسم بن سلام وابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني. وكان ابو عبيدة يقول ما التقى فرسان في جاهلية او اسلام الا عرفتها وعرفت فارسيها (١) وهو الذي روى اخبار ايام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى الآن (٢) وروى اشعار كثيرين من الشعراء . وكان ابنه عبد الله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب فكان يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً (٣) وكان ابو عبيدة شعوبياً أي متعصباً على العرب ويرى رأي الخوارج . ومع سعة معرفته في اللغة كان اذا انشد بيتاً لم يقم اعرا به . وكان شديد الطعن حاد اللسان فلم يسلم شريف من طعنه والى كتاب في المثالب . وكان غليظ الشفة وسخياً مدخول الدين والنسب لكنه كان كثير الاشتغال بالتأليف . فذكر له صاحب الفهرست مئة وخمسة مؤلفات في مواضيع شتى في القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب وبيوتات العرب واياهم والتراجم وغيرها لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقاض جرير والفرزدق : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبعت النقاض في ليدن سنة ١٩٠٥ رواية ابي عبد الله اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ هـ عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابي عبيدة (٤) ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

٢ كتاب طبقات الشعراء : منه نسخة خطية في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ويسميه الفهرست الشعر والشعراء
ويجد اخباره في ابن خلكان ١٠٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١٣٧ والفهرست ٥٣

٤ - الأصمعي

توفي سنة ٢١٤ هـ

هو عبد الملك بن قريب من قيس وقد اشتهر بكنيته « الاصمعي » ولكثرة ما يروى عنه اصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ « الراوي » . وكان اتقن القوم واعلمهم بالشعر واحضرم حفظاً تعلم نقد الشعر من خلف الاحمر وقد روى عنه كثيرون . وهو من اهل البصرة وقدم بغداد في ايام الرشيد مع ابي عبيدة فقبل لابي نواس ذلك فقال : « اما ابو عبيدة فاذا امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والاخرين واما الاصمعي فبلبل يطربهم بنغماته » وكان الاصمعي شديد الحفظ يحفظ

(١) الزمهرى ٢٠٣ ج ٢ (٢) المعاد الفريد ٤٧ - ٩٣ ج ٣ (٣) الاغانى ٢٨ ج ٨

(٤) المشرق ٦٣٨ سنة ١٠

١٢٠٠٠ ارجوزة واذا انتقل حمل كتبه في ١٨ صندوقاً (١) . ولما تولى المأمون كان الاصمعي قد عاد الى البصرة فاستقدمه فاعتذر بضعفه وشيخوخته فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . واخباره كثيرة
 اما مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم نيفاً واربعين كتاباً في مواضيع مختلفة ذهب معظمها على ان حظه من البقاء خير من حظ اسلافه من الرواة . اما كتبه الباقية مما بلغ خبره الينا فبعضها شعرية والبعض الآخر كتب لغوية لدلالات الالفاظ . اكثرها موضوع في مجاميع كل كتاب في باب خاص من الاسماء بعضها لاسماء الوحوش والآخر للابل وغيرها وهي :

- ١ الاصمعيات: هي مجموع مختارات الاصمعي للشعراء طبعت في ليسبك سنة ١٩٠٢
 - ٢ رجز العجاج : رواية الاصمعي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
 - ٣ كتاب اسماء الوحوش طبع سنة ١٨٨٨
 - ٤ » الابل » في بيروت سنة ١٣٢٢
 - ٥ » خلق الانسان » » » (٢)
 - ٦ » الخيل » » فينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية
 - ٧ » الشاء » سنة ١٨٩٦
 - ٨ » الدارات » في بيروت
 - ٩ » الفرق » » فينا
 - ١٠ » النبات والشجر » » بيروت
 - ١١ » النخل والكرم » » سنة ١٩٠٢
 - ١٢ » الغريب منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
- وتجد ترجمة الاصمعي في ابن خلكان ٢٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٥٠ والفهرست ٥٥ والدميري ٣١٠ ج ٢

٥ - أبو زيد الأنصاري

توفي سنة ٢١٥ هـ

هو ابو زيد سعيد بن أوس الانصاري من أهل البصرة أخذ عن ابي عمرو بن العلاء . وكان عالماً ثقة بالنحو واللفظ وكان سيديوه اذا قال « سمعت الثقة » فانه

(١) الاغانى ٦٨ ج ٥ (٢) هذان الكتابان طبعاً معاً باسم الكنز اللغوي

يريد ابا زيد الانصاري وعنه اخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته في استيعاب العلم يأخذ عن أهل الكوفة ايضاً ولم يرو من البصريين عن أهل الكوفة الا ابو زيد (١) فقد روى عن المفضل الضبي اكثر كتابه «النوادر في اللغة» على ان اكثر رواياته عن العرب البحت (٢) وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه ابي عبيدة والاصمعي بالثقة فانه كان اوثقهم كما كان الاصمعي احفظهم و ابو عبيدة اجمعهم (٣) وجاء أبو زيد بغداد حين قيام المهدي (٤)

وقد الف كتباً كثيرة في علوم الادب لم يصلنا منها الا :

١ كتاب النوادر في اللغة : طبع في بيروت سنة ١٨٩٤

٢ كتاب المطر : منه نسخة خطية في المكتبة الاهلية بباريس وطبع في بيروت

٣ كتاب اللين : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

ومجد اخباره في ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ وطبقات الادباء ١٧٣ والفهرست ٥٤

٦ - ابو عبيد القاسم بن سلام

توفي سنة ٢٢٣ هـ

كان ابوه عبداً رومياً لرجل من اهل هراة . اشتغل ابو عبيد بالحديث والادب والفقہ وكان دينياً ورعاً متفتناً في اصناف علوم الاسلام والقراءات والفقہ والعريسة وال اخبار حسن الرواية صحيح النقل لم يظن احد في شيء من دينه . وهو يصح ان يعد من رجال الحديث لولا ان كتبه كان لها شأن لغوي . تولى القضاء في طرسوس ١٨ سنة وروى عن ابي زيد والاصمعي وابي عبيدة وابن الاعرابي والكساني والقراء وغيرهم . والف بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والحديث وغريبه والفقہ وهو اول من الف غريب الحديث . واتقطع الى عبد الله بن طاهر وكان كلما الف كتاباً اهداه اليه فيحمل له مالاً كثيراً . فلما عمل كتاب غريب الحديث استحسنته ابن طاهر وقال : « ان عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ان لا يخرج عنا الى طالب المعاش » فاجرى له عشرة الاف درهم في كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتاباً في غريب الحديث ومعاني القرآن وفي الادب والشعر واللغة والنحو ونحوها لم يصلنا منها الا ما يأتي :

(١) طبقات الادباء ١٧٥ (٢) المزمع ٧٥ ج ١ (٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ١

(٤) الفهرست ٥٤

- ١ كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاسنانة
 - ٢ غريب المصنف : تكلم به على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل في تأليفه ٤٠ سنة وفيه الف فصل و١٢٠٠ شاهد . منه نسخة خطية في مكتبة اياصوفيا بالاسنانة وفي المكتبة الحديوية
 - ٣ كتاب الامثال : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وكوبرلي بالاسنانة وطبع مع ترجمة لاتينية في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه البكري
 - ٤ كتاب فضائل القرآن وادبه : في مكتبة برلين
 - ٥ « المواعظ : منه نسخة خطية في مكتبة ليسك
- ويجد اخباره في ابن خلكان ٤١٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٨٨ والفهرست ٧١

رواة الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على سواه من علوم العربية فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه او حفظوه — وهم غير الذين يختص كل راو منهم بشاعر فيكون راويته — وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم كانوا كثاراً عددنا منهم مئة وبعض المئة وهم اكثر من ذلك لضياح اخبار الباقين منهم في أثناء ظهور الاسلام لكثرة من قتل منهم ومن روايتهم في الحرب والغزو على عهد النبي والراشدين

فلما احتاج المسلمون في صدر الاسلام الى معرفة معاني الالفاظ في التفسير والقراءة عمدوا الى جمع اشعار العرب وامثالهم واقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع الشعر وعلى البعض الاخر شواهد النحو وعلى غيرهم الامثال وغيرهم اللغة . فأخذوا يطلبونها في اماكنها وينقلونها عن اصحابها او من سمع عنهم . والمشهور ان اخبار الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاسلام . ثم ظهر ان بعض ذلك كان مدوناً في صحف عند عباد الحيرة من ايام امتازة

وأول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاسلام ممن بلغ الينا خبره حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ هـ وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وعاصر ابا عمرو بن العلاء المتقدم ذكره . ثم ظهر خلف الاحمر والمنفل الضبي وغيرها وهذه تراجمهم :

١ - حماد الراوية

توفي سنة ١٥٦ هـ

هو حماد بن ميسرة اصله ديلمي من موالي بني بكر بن وائل . نشأ في الكوفة وكان في اول امره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار فقرأه حماد فاستحلاه وحفظه ثم طلب الادب والشعر وايام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عاياه فبلغ في العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تمييزاً له عن بضعة آخرين بهذا الاسم

وكان قوي الحافظة بما يفوق المؤلف ومن اعلم الناس بايام العرب واشعارها واخبارها لكنه اختص بجمع الشعر وكان ضعيفاً بالعربية يلحن بكلامه وكان بنوأمية يقدّمونه ويستزرونه على البريد وينال منهم الجوائز ويسألونه عن ايام العرب واشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوماً : « بما استحققت ان تدعى الراوية ؟ » فقال : « باني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين أو سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لاتعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث » فقال له : « فكم مقدار ما تحفظ من الشعر » قال : « كثير ولكنني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال : « سأمتحنك في هذا » ثم امره بالانشاد فانشده حتى ضجر الوليد فوكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكره وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب في الكوفة وكانوا متهمين بالزندقة جميعاً فلما آل الامر الى بني العباس كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزيناً على موت اخيه ابي العباس واراد أن يرثيه بابيات كان يعلم ان هفان بن همام قالها في رثاء ابيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور فبعث في طلب حماد ليرويها له فجاءه وانشده اياها فبكى وقال : « هكذا كان اخي رضي الله عنه (١) » . وظل حماد حياً الى ايام المهدي وكان يستدعيه اليه ويستنشده كما يستنشد المفضل الضبي . وكان يؤثر المفضل عليه لانه اصدق منه فيما يرويه . وكان حماد يزيد

(١) الاغانى ١٦٩ ج ٥

في اشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتي خبر ذلك وهو الذي جمع المعلقات التي بين ايدينا وجمع اشعارا كثر القبائل واكثر شعراء بني أمية وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر في كتاب - فكان عنده كتاب لشعر قريش وآخر لشعر ثقيف وآخر لفيرهم (١) لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئاً وإنما روى الناس عنه وصفت الكتب بعده وتجد اخباره في الاغانى ١٦٤ ج ٥ وابن خلكان ١٦٤ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣

٢ - المفضل الضبي

توفي سنة ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد الضبي كان ثقة من اكابر الكوفيين اخذ عنه ابو زيد الانصاري من البصريين لثقته . وقد ادرك المهدي العباسي فقربه وأدناه فجمع له الاشعار المختارة التي سماها المفضليات كما جمع ابو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة واما المفضل فاخذ اكثرها عن الالسنه — وهو غير المفضل بن سلمة اللغوي الآتي ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

١ المفضليات وتسمى الاختيارات : وهي عبارة عن مائة وعشرين قصيدة وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت في ليبسك سنة ١٨٨٥ وفي مصر . ولها شرح خطي في المكتبة الخديوية لابي بكر بن الانباري

٢ كتاب الامثال : طبوع في الآستانه سنة ١٨٨٢

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٧ والفهرست ٦٨ والعقد الفريد ١٣١ ج ٣

٣ - خلف الأحمر

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو خلف بن حيان كان مولى ابي بردة وأصله من فرغانة لكنه حفظه كلام عرب الجاهلية وأشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم . وكان من اهل البصرة وقد اخذ الاصمعي وسائر أهل البصرة عنه . وله قوة عجيبة على تمييز الاشعار وتعيين اصحابها . وهو أول من أحدث السماع بالبصرة وذلك انه جاء الى حماد الراوية فسمع منه (٢) . وكان ضئيلاً

(١) الاغانى ١٧٤ ج ٥ (٢) طبقات الادباء ٧٠

بادبه . وهو معدود ايضاً بين الشعراء . وذكر له صاحب الفهرست كتاباً واحداً عن العرب وما قيل فيها من الشعر
ونجد اخباره في طبقات الادباء ٦٩ والفهرست ٥٠ والشعر والشعراء ٤٩٦ والعقد
الفريد ١٠٧ ج ٣

٤ — ابو عمرو الشيباني

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو من الموالي واسمه اسحق بن مرار كان يؤدب في احياء بني شيبان بالكوفة فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللغة ثقة بالحديث كثير السماع . وقد جمع دواوين اشعار القبائل وعنه اخذت . وكان له بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر أحد أولاده ان اياه جمع اشعار نيف وثمانين قبيلة وكان كما جمع اشعار قبيلة واخرجها للناس كتب مصحفاً وجمله في مسجد الكوفة . وعاش اكثر من مائة سنة وكان يكتب بيده الى أن مات . وخلف بضعة مؤلفات في الخيل والحديث والنوادر وخلق الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ولم يصلنا منها الا :

كتاب الجيم في اللغة منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في عشرة اجزاء ونجد اخباره في ابن خلكان ٦٥ ج ١ ومعجم الادباء ٢٣٣ ج ٢ والفهرست ٦٨ هؤلاء هم عمدة رواة الاشعار في ذلك العصر — وان لم يقتصروا عليها . وعندهم أخذ من الف في طبقات الشعراء او دون اشعار الافراد أو القبائل . فضلاً عن ابي عبيدة والاصمعي وابي عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر بعدهم من النحاة واللغويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابي وغيرهم . وقد يجمع اشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون في الرواية أو الاشعار أو الاخبار فيأتي من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط . كما حدث في شعر امرئ القيس فقد رواه ابو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من جميع هذه الروايات ابو سعيد السكري وصنعه ايضاً ابو العباس الاحول وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون في الروايات ويجمعون بينها ويعدلونها . نخص منهم بالذكر اثنين من اهل العصر العباسي الاول هما محمد بن سلام وابن ابي الخطاب القرشي

٥ - محمد بن سلام

توفي سنة ٢٣٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سلام الجعفي البصري كان عالماً بالشعر والاعراب فأنف كتاباً في طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين هو اقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين احدهما في الشعراء الجاهليين والآخر في الاسلاميين وذكره صاحب الاغانى مراراً كثيرة واستشهد باقواله ورجع اليه في تعيين طبقات كثيرين من الشعراء وكذلك فعل الثعالبي والزجاج فقد ذكراه في امالهما مراراً . وعول عليه السيوطي في كتابه «المزهر» ونقل عنه اقوالاً تدخل في بضع صفحات . وذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الذين الفوا في طبقات الشعراء . وهو أول من فعل ذلك ثم قلده غيره . وقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٧٦ انه ضاع لاتا لم يجده في مكاتب اوربا ولا الاسنانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التي تيسر لنا الوقوف على فهارسها، ثم علمنا بوجود نسخة خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطي للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص^(١) وتصفحناها فاذا هي منقولة بخط جميل عن نسخة في مكتبة شيخ الاسلام في المدينة وتدخل في ٢١٠ صفحات ، تبدأ بنقد الشعر ثم في أول من وضع النحو في البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى الجاهليين والاسلاميين وقسم كل طائفة منهما الى عشر طبقات في كل طبقة اربعة من الفحول يشتركون في بعض الاحوال . وقدم الكلام في الشعر وتاريخه وأشار الى ما أدخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهي :

الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والاعشى

الثانية : سقط بعضها في النسخ ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة

الثالثة : نابغة بني جعدة وابو ذؤيب الهذلي والشماخ بن ضرار وليد بن ربيعة

الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد

الخامسة : خدائش بن زهير والاسود بن يعفر وابو زيد الحنبل وتميم بن مقبل

السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن ابي كاهل (وسقط الرابع)

(١) بينها الى وجودها هناك مصطفى افندي الرافعي الشاعر فشكره على صدق رتبته في خدمة

السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس
 الثامنة : عمرو بن قبيصة والنمر بن تولب واوس بن ٠٠٠٠ وعوف بن عطية
 التاسعة : ضابئ بن الحارث وسويد بن كراع والحويدرة الذياني ؟ وسحيم عبد
 بني الحسحاس

العاشرة : أمية بن حمران وحريث بن محفص والكميت بن معروف وعمرو بن شاس
 واطاف والحنساء واعشى باهلة وكعب بن سهل . ثم تكلم عن شعراء القرى وهي المدينة ومكة
 والطائف واليهامة والبحرين وذكر فحول كل قرية

وتقدم الى الشعراء الاسلاميين في عشر طبقات :

الاولى : جرير والفرزدق والراعي والاختل وغيرهم

الثانية : البعث والقطامي وكثير وذو الرمة

الثالثة : كعب بن جعيل وعمر ابن احمد وسحيم بن وثيل واوس بن مغراء

الرابعة : نهشل وحמיד بن ثور والاشهب وعمرو بن لجاء

الخامسة : ابو زيد الطائي والمعجير السلوي وعبد الله بن همام ونضيع بن لقيط

السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب

السابعة : المتوكل الليثي ويزيد بن ربيعة وزياد الاعجم وعدي بن الرقاع

الثامنة : عقيل بن علفة المري وبشامة بن العذير وشيب بن البرصاء وقراد بن حنش

التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب المعجلي وابو النجم والعجاج ورؤبة ابنه

العاشرة : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطزبية وابو داود الرواسي ؟ والقحيف

وقد قابل في كل طبقة بين شعرائها وفاضل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتاباً في بيوتات العرب وآخر في ملح الاشعار

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٢١٦ والفهرست ١١٣

٦ - ابن ابى الخطاب

صاحب جمهرة أشعار العرب

اسمه ابو زيد محمد بن ابى الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ولكن يظهر انه
 نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة وانما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية
 وصدر الاسلام في كتاب سماه «جمهرة اشعار العرب» في سبعة مجاميع فصانها في كلامنا

عن طبقات الشعراء في الجزء الاول صفحة ٧٤ والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨
وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن وأقوال الشعراء
وفي الشعر والشعراء واقدّمهم وغير ذلك في ٣٩ صفحة كبيرة

ما هو مبلغ صدق الرواة

واصطناع الاشعار

ان ما بين ايدينا من اخبار العرب واشعارهم في الجاهلية انما وصل اليها على
ايدي الرواة الذين ذكرناهم فهم رووا تلك الاشعار والاخبار وروتها الناس عنهم —
فهل نقلوها عن ثقة؟ وهل هم صادقون في رواياتها؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة وان كان ما وصل اليها من
اشعار الجاهلية لا يخلو من المنسوب لغير اصحابه . ولذلك سبيان يتصل احدها بالعرب
الذين تلوا تلك الاشعار على الرواة ، والثاني يتصل بالرواة انفسهم . فالعرب لما قام
الاسلام شغلوا به عن مفاخراتهم ومناشداتهم فلما انقضت دولة الراشدين وقام الامويون
واقترضت سياستهم احياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتهم كل قبيلة تفاخر
سواها بمن نبع فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قد ذهب معظمه فاخذ ابناء الشعراء
او بعض اهلهم يزيدون في الاشعار التي قيلت ولم يكن يخفى ذلك على اهل العلم . كما
اتفق لابن داود بن متمام بن نيرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوي من الجلب
والميرة فاتاه بعض الرواة وسأله عن شعر ابيه فلم يرو بعضه حتى ادركوا المصنوع منه (١)
لكن كثيراً من الاشعار تنسب لغير اصحابها اعتباراً لتشابه القافية والوزن والمعنى
فكثير من اشعار كثير تنسب لمجنون ليلي . وكذلك سائر العشاق تتشابه اشعارهم
لتشابه معانيها . فاذا احدثت قوافيها واوزانها اختلطت وصعب تفريقها كقصيدة ابن
الحدادية الياثية التي مطلعها :

سقى الله اطلاقاً بنعم ترادفت بهنّ النوى حتى حللنا المطالبا

فان بعضهم يدخل اياتاً منها في قصيدة مجنون ليلي (٢) التي مطلعها :

تذكرت ليلي والسنين الخوالي وايام لا أعدي على الدهر عاديا

وقس على ذلك امثاله وهو كثير ، وقد ينسبون القصيدة الى غير واحد . وبعض

القصائد تنسب الى عشرين شاعراً أو اربعين

تمدد التزوير

والرواة يتفاوتون ثقةً فمنهم الثقة المحقق ومنهم من يتعجل في التصديق وبعضهم يتقلب في رواياته مع الاهواء فينظم الايات على لسان بعض الجاهليين وينسبها اليهم لمطمع مالي أو غرض آخر . وأشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرهما وهما مرجع رواة الاشعار كما رأيت . فكان حماد كثيراً ما يصنع الايات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم يريد أن يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ أو سيادة في عصره . كما فعل في ولاية خالد بن عبد الله القسري وكان خالد شديد المصيبة لقومه اليمنية على القيسية . فنظم حماد اياتاً نسبها الى ابن الحدادية يمدح بها اسد بن كرز من بحيلة قبيلة خالد القسري المذكور واسد بن كرز أبو جدّه . فأورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه اصابوا دماً في قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا في بحيلة على اسد بن كرز فأواهم واحسن اليهم وان ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحها بها . الى آخر الحديث (١) ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذي تقدم . وكذلك كانوا يفعلون في وضع الانساب طمعاً بالمال — قال ابن الكلبي: « أول كذبة كذبتها في النسب ان خالد بن عبد الله سأني عن جدته أم كرز وكانت امة بغيّاً لبني أسد يقال لها زينب فقالت له هي زينب بنت عرعر بن خزيمة بن نصر بن معين فسرّ بذلك ووصلني » (٢)

وقد شهد المفضل الضبي وهو معاصر لحماد ايضاً قال: « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح أبداً » فقيل له: « وكيف ذلك أيخطيء في روايته ام يلحن » قال: « ليته كان كذلك فان أهل العلم يردّون من اخطأ الى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد واين ذلك »

وقد بلغ قول الضبي الى الخليفة المهدي فأكده له بالامتحان بين يديه فأعترف حماد بايات زادها في اشعار زهير بن ابي سلمى . فأمر المهدي بابطال روايته لانه يدخل باشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته (٣)

وخلف الاحمر كان يفعل فعل حماد وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها لغير اصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من اشعار العرب ويمطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعراً مجيداً فينظم الغصائد الفر ويدخلها في دواوين

الشعراء ويقال ان القصيدة المنسوبة للشنفرى التي اولها :

اقبعوا بني امي صدور مطيم فاني الى اهل سواكم لاميل

هي له . وقال ابو حاتم كان خلف الاحمر شاعراً وقد وضع على عبد القيس شعراً مصنوعاً عبثاً منه. وأدخل أيضاً على غيرهم من القبائل ابياتاً وقصائد وكان أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان لتمكنه من الشعر والشعراء اذا نظم على السنة الناس أشبه كل شعر بقوله بشعر الذي يضعه له . وتنسك في أواخر ايامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوماً الى أهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعمله وعرفهم الاشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس فقالوا: «انت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة» ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم (١)

ومن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن دأب والشرقي بن القطامي سئل القطامي : «ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتها» فقال: «لا أدري» ف قيل له: «اكذب» فقال «كانوا يقولون رويدك حتى تبعث الخلق باعثة» فشاع ذلك وتحدثوا به . (٢) حتى الرواة الثقات كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد فقد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخريين ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب. وقد قال محمد بن سلام الجمحي «في الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرا به (٣)»

على أن المحققين في العصر العباسي الثاني كابي الفرج الاصبهاني وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر ينووا اما كن الضعف في كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطاً (٤) في الاسناد والاخذ والتحقيق لا محل لها هنا. وانتقد محمد بن سلام شيئاً من ذلك في مقدمة طبقاته

ولابي القاسم عمر بن حمزة البصري المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب في انتقاد الرواة سماه «التهنئات على اغاليط الرواة» ضمنه التنبيه على الاغاليط التي وقعت في نوادر ابي زياد الكلابي ونوادر ابي عمرو الشيباني وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري والكامل للبرد والفصيح لثعلب والغريب للقاسم بن سلام واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفي المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب

واذ فرغنا من الكلام على الرواية بانواعها وهي أصل علم الادب فأنأت الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأعمها النحو واللغة فان اصحابهما كانوا في الاصل من جملة الرواة ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذلك

(١) المزمهر ٢٠٣ ج ٢

(٢) المزمهر ٢١٠ ج ٢

(٣) المزمهر ٨٥ ج ١

(٤) المزمهر ٧١ ج ١

النحو

في العصر العباسي الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة فوضعه ابو الاسود الدؤلي كما تقدم في العصر الاموي وقد نضج وصار علماً في ايام العباسيين على ايدي اديب البصرة والكوفة. وأهل البصرة أسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو وألفوا فيه . ومنهم ابو الاسود واضعه . وابن أبي اسحق الحضرمي أول من عله . وعيسى بن عمر النخعي أول من ألف فيه . وهارون بن موسى أول من ضبطه وسيبويه أول من اجاد في تأليفه . ثم قدم الكوفيون وخالفوهم ببعض قوائمه وقامت المناظرة بين البلدين وصار لكل منهم مذهب في النحو كما هو مشهور . وأهل البصرة أرسخ قدماً وأوسع علماً وأولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية فقدمهم خلفاؤها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم دون نحوني البصرة ويختارون منهم اساتذة لاولادهم — فالكسائي والفراء والمفضل الضبي والشرقي بن القطامي كلهم من أهل الكوفة وقد علموا ابناء الخلفاء، ولولا الغرض السياسي لم يكن لهم ذكر . ويحامل الامين على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه وبين الكسائي بشأن النحلة والزبور وهي اشهر من أن تذكر (١)

اول من عله

فالبصريون اصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه ، بدأ بذلك ابو الاسود فوضع بعض قواعده وأخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الادياب أو الفراء فكان ابرع تلامذته عنبسة بن معدان المهري فتسكتف الناس يطلبون النحو على يده فتفقه عايه جماعة كان ابرعهم ميمون الاقرن (٢) فجعل الناس يأخذون النحو عنه تلقيناً بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان أول من عله أي ذكر أسباب اعرابه عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ والغالب في اعتقادنا أن تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي الذي نحن في صدده

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٧٩ ج ٣ (٢) طبقات الادياب ١٦

اول من ضبط قواعده وalf فيه

أما ضبط قواعده فاول من أقدم عليه هرون بن موسى وهو يهودي من أهل البصرة أسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه . وأول من ألف فيه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ وكان فصيحاً يتقعر في كلامه فيقال انه ألف كتابين احدهما الجامع والآخر الاكمال ذكرهما الخليل في شعره ولم يرهما أحد (١) وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر في البصرة من الادباء في ذلك العصر لانه من علم الادب الا أن بعضهم كان يميل الى النحو أكثر من سواه وربما دخل في جملة ما يكتبه في الادب أو اللغة كما فعل الخليل بن احمد واضع علم العروض فقد أتى على اشياء من قبيل النحو في كتاب العين الآتي ذكره . وهكذا يقال في امثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كابي عمرو بن العلاء . ومنهم من اخص بالنحو ونصب نفسه للافادة وان لم يؤلف فيه كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ وكان معاصراً لهؤلاء جميعاً وأخذ عن ابي عمرو ابن العلاء وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب وأقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة في البصرة يلتقى فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد . ولم يستقل النحو بنفسه استقلالاً تاماً حتى ألف فيه سيبويه كتابه المشهور — وهاك اشهر نخبة هذا العصر حسب سني الوفاة :

علماء النحو

في العصر العباسي الاول

١ - سيبويه

سنة الوماء

توفي سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالي واسمه ابو بشر عمرو بن عثمان مولى بني الحارث بن كعب . ولقب ^{لقب} سيبويه بالفارسية ومعناها راحة التفاح . نشأ في البصرة وطب الاثار والفقهاء ثم طلب النحو وأخذه عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر حتى برع فيه وألف كتابه الذي لم يسبقه أحد الى مثله ونسب فيه الى كل من اساتذته اقواله واعتمد على ابي

كتاب

زيد الانصاري وكان بسميه الثقة فكان لذلك وقع جميل عند اهل البصرة وصار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى مهاداتها . واشهر حتى اصبح قائلهم اذا قال « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعني كتاب سيويه . وكان ابو العباس المبرد اذا اراد أحد أن يقرأ عليه كتاب سيويه يقول له : « هل ركبت البحر » تعظيماً للكتاب واستصعاباً لما فيه . وقال ابو عثمان المازني : « من اراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيويه فليستح » وأخذ العلم عنه جماعة من المشاهير أشهرهم ابو الحسن الاخفش وكان اكبر سناً منه ، وقطرب وكانت له معها ومع سواهما مناظرات

وكان أهل الكوفة في أثناء ذلك قد هموا بالنحو فاخذوه عن أهل البصرة واشتغلوا فيه فنبغ معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ وأبو جعفر الرواسي ابن أخي معاذ فوضع كتاباً في النحو وهو أول من فعل ذلك من الكوفيين والكتاب ضاع

كتاب سيويه

اما كتاب سيويه فانه باق ومنه عدة نسخ خطية في المكتبة الخديوية وغيرها وقد طبع في باريس سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٩ بعناية المستشرق ديرنبورج في مجلدين كبيرين في ١٠٠٠ صفحة كبيرة عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغة الفرنسية عن مسودات هذا الكتاب ومظانها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ وفي كلكته ١٨٨٧ وقد نقله الى الالمانية الدكتور ياهن وطبع في برلين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ وفي الكتاب ٧٢٠ فصلاً ، يحتوي الجزء الاول منه على الكلم واقسامه والفاعل والمفعول والفعل وما يعمل عمله واحكام المصدر والحال والظرف والجر والبذل والمعرفة والشكرة والصفة والمبتدأ والخبر والاسماء التي بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفي بلا والاستثناء وباب لكل من أحرف الجر . وفي الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتصغير والمقصود والمعدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من المزيدات وفي الوقت وشروطه وما يكون عليه الكلم وما أبدل من الفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه . على غير الترتيب المألوف عندنا لكنه جامع كل ما يحتاج اليه طالب النحو . وفيه ٣٠٠ مثال للابنية حتى قالوا أصل الكتب المؤلفة في النحو كتاب سيويه وكتاب العين للخليل . ولذلك تعرض جماعة لا تنقاد كتاب سيويه منهم المبرد (١) . وقد ألف ابو بكر الزبيدي كتاباً سماه كتاب

الاستدراك على كتاب سيبويه انتقد فيه مواد هامة طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية
الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي . وقد شرح الكتاب سعيد بن المرزبان ومن هذا
الشرح بضع نسخ في المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير
واخبار سيبويه في ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ وطبقات الادباء ٧١ والفهرست ٥١
والدميري ١٢٤ ج ٢

٢ - معاذ الهراء

توفي سنة ١٨٧ هـ

هو ابو مسلم عم ابي جعفر الرواسي من اساتذة الكسائي الآتي ذكره ولم يخلف
مؤلفاً وإنما ذكرناه لانه أول من وضع التصريف (١)
وترجمته في ابن خلكان ٩٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٦٤ والفهرست ٦٥

٣ - الكسائي

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو اشهر نحاة الكوفة واسمه علي بن حمزة مولى بني أسد وأصله من فارس . أخذ
النحو عن ابي جعفر الرواسي ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما . وخرج الى البصرة ولقي
الخليل بن أحمد فأخذ عنه وعشق النحو . وهو من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء
العباسيون الى بغداد ليعلم ابناءهم وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته وأخذ يعرض
بسيبويه وكتابه حتى كانت مسألة الزنبور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه
الكسائي وجمع الرجلين فتناظرا في حضرته وشهد بدوي بصحة رأي سيبويه لكن
الامين تعصب لمعلمه حتى اضطر سيبويه الى الفرار في حديث طويل . والى الكسائي
عدة كتب في النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم يصلنا منها الا رسالة في
لحن العامة منها نسخة خطية في مكتبة برلين وقد طبعت في برسلاو

واخباره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٨١ والفهرست ٢٩ و ٦٥
واشتهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل البيهقي وهم كثار وابو الحسن
الاحفش وابو عمر الجرمي وغيرهم من أهل البصرة . وجماعة كبيرة من أهل الكوفة
نبغوا بعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصاراً لبلده ، واشتهر جماعة منهم في بغداد
كالقراء وابن الاعرابي وهشام بن معاوية الضرير وابن السكيت وهاك اشهرهم :

(١) للزهر ٢٠٢ ج ٢

٤ - الفراء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي من موالي بني أسد في الكوفة وأخذ عن الكسائي وكان اماماً ثقة له شأن عظيم في اللغة ومذهب وأتباع ومريدون . قال ابو العباس ثعلب : « لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصاها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرأتهم فذهب » وقال ابو بكر بن الانباري : « لو لم يكن لاهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنه النحو واقترح عليه ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية . وأمر أن تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جوارى وخدماً للقيام بما يحتاج اليه وصير اليه الوراقين يكتبون ما يمايه حتى صنف كتاب « الحدود » في سنتين ثم خرج للناس واملى كتاب « المعاني » فخرنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس أوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما ابوا اخراج كتابه أخذ يملي كتاباً آخر في المعاني أطول وأوسع فخاف الوراقون فرضوا أن ينسخوا كل عشر أوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ثم اصطالحا على ان يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدعاه وقال له بذلك فقال : « لقد أردت منعها ولكن خشيت أن أدفعها عن مكرمة سبقا اليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » (١) ففرح المأمون وقال : « لو منعها عن ذلك لأوجعتك لوماً »

ولم يكن الفراء مقتصراً في معرفته على النحو فانه كان ماهراً في النجوم والطب وأيام العرب وأخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل في ثلاثة آلاف ورقة أي ٦٠٠٠ صفحة كان يمليها على تلامذته بدون كتاب لانه كان قوي الحافظة . وكان أكثر مقامه في بغداد يجمع طوال دهره فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة أقام بها ٤٠ يوماً

(١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلسكان ٢٢٨ ج ٢

يفرق ما جمعه حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات في النحو واللغة لم يصلنا منها الا :

- ١ كتاب معاني القرآن منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية
- ٢ بلغنا أن في المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنث
تنسب اليه

وكان له أصحاب ومريدون أشهرهم أبو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز وسلمة بن عاصم أحد علماء الكوفة الثقات وغيرهما . وأكثرهم ألفوا في النحو وضاعت كتبهم وتجد أخبار الفراء في ابن خلكان ٢٢٨ ج ٢ وطبقات الادباء ١٢٦ والفهرست ٦٦

٥ — ابن السكيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة في هذا العصر أصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . أخذ النحو عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الاعرابي الآتي ذكره بين اللغويين . ولقي الاعراب وأخذ عنهم وعلم عبد الله بن طاهر وغيره وغضب عليه المتوكل في آخر أيامه لجرأته في الدفاع عن علي ابن أبي طالب وآله . وذلك أن المتوكل سأله يوماً وهو يعلم ابنيه : « يا يعقوب أيهما أحب اليك ابني هذان أم الحسن والحسين » فأجابته : « ان قبراً خادماً على خير منك ومن ابنيك » فأمر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه ثمات ، وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفاً في النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صاحب الفهرست وهاك ما بلغنا خبره منها :

- ١ كتاب اصلاح المنطق : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوروبا والامانة وفي المكتبة الخديوية ، وقد طبع في بيروت سنة ١٨٩٨ بعناية الاب شيخو اليسوعي وفي مصر سنة ١٩٠٧

- ٢ كتاب الالفاظ أو تهذيب الالفاظ : في اللغة وليس في النحو يبحث في أحوال الالفاظ ومعانيها ، منه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع في بيروت بعناية الاب شيخو عن تينك النسخين سنة ١٨٩٦ مع شروح للتبريزي وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر تهذيب الالفاظ

وتجد أخباره في ابن خلكان ٣٠٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٣٨ والفهرست ٧٢ فالنحو نضج في هذا العصر ووضعت فيه الكتب الوافية بخلاف الادب فانه كان لا يزال مشتتاً مضطرباً وسينضج في العصر الآتية . وكذلك علم اللغة كما سنبينه في مكانه

علم اللغة

في العصر العباسي الاول

زريد بعلم اللغة الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقها وهو ينتهي بتأليف المعاجم اللغوية ولم يتم نضجها الا في العصر العباسي الثالث كما سيأتي . لكن السبيل تمهدت لها في هذا العصر وما يليه بما ألفه الأدباء من الكتب في ألفاظ المواضيع الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها في مؤلفات الاصمعي وغيرها من كتب الادب ككتاب الخيل وأسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الاذهان من قراءة أسمائها أنها كتب في علم الحيوان أو التشريح ولكنها كتب لغوية يحوي كل منها أسماء الحيوانات وأعضائها ومن الانسان أسماء أعضائه وأحواله . وكانت للعرب همة عالية في استقصاء ذلك في صدر دولتهم يتبارون في التنقيب عنه من أما كنهه اما بالسفر الى البادية أو بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يثرونها بين أيديهم في هذه المواضيع كما فعل عبد الملك في مجلس من مجالسه ضم جماعة من خواصه ومسامريه فقال : « أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه ؟ » فقام اليه سويد بن غفلة فقال : « أنا لها يا أمير المؤمنين » فقال : « ما عندك : » قال : « أتف . بطن . ترقوة . نغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع . طحال . ظهر . عين . غيبة . فم . قفا . كتف . لسان . منخر . نفتح . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين »

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : « يا أمير المؤمنين أنا أقولها في جسد الانسان مرتين ، فضحك عبد الملك وقال لسويد : « أما سمعت ما قال ؟ » قال : « نعم أنا أقولها ثلاثاً » فقال له : « لك ما تمنى » فقال : « أتف . أسنان . اذن . بطن . بصر . بز . ترقوة . ممر تينة . نغر . ثنايا . ثدي . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خاصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذقن . ذراع . رقبة . رأس . ركبة . زند . زردمة . زغب . ساق . سره . سبابه . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . ضفيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق عاتق . غيبة . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم . قفا .

كف . كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب . منخر . نغوغ . ناب .
 ن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة . ورك . يمين . يسار . يافوخ ، ثم نهض
 مسرعاً وقبل الارض بين يدي عبد الملك . فقال : « والله ما يزيد عليها اعطوه
 ما نمتي » ثم أجازته وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه

أويات كتب اللغة

فهذا وأمثاله بعث الناس على العناية بحفظ ألفاظ اللغة وحمل الآخريين على التأليف
 فيها بشكل مجاميع كل مجموع في موضوع . فكتاب النخل والكرم مثلاً لا يبحث في
 طبائع النخل والكرم ومعالجتها أو زراعتها وإنما هو يبحث في أسماء أنواعها وأغصانها
 وما يتعلق بها من اسم أو فعل . وهالك قطعة من أول هذا الكتاب على سبيل المثال :
 « من صفار النخل الجثيث وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الودي والهرء
 والفسيل وإذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فيه فهو من خسيس النخل
 والعرب تسميها الراكب . فإذا قلعت الودية من أمها بكرها قيل ودية منعة . فإذا
 غرسها حفر لها بئراً فغرسها ثم كبس حولها بترنوق المسيل والدمن فتلك البئر هي
 الفقير يقال : فقرنا للودية فقيراً . والاشأ من صفار النخل

« ومن نعوت سعفها وكونها وقلبها يقال للفسيلة إذا أخرجت قلبها قد انسغت .
 ويقال للسمفات اللواني يابن القلبة « العواهن » في لغة أهل الحجاز . أما أهل نجد
 فيسمونها « الخوافي » وأصول السعف الغلاظ الكرانيف الواحدة كرافة . والعريضة
 التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكربة وشحمة النخلة هي الجمار فإذا صار للفسيلة
 جذع قيل قد قعدت وفي أرض بني فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو
 الجريد عند أهل الحجاز واحدته جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخاب
 الليف واحدته خلبة ... » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل على
 أسماء وأفعال تجمعها صفة مشتركة بينها في المعنى فهي من قبيل المعاجم المعنوية التي تجمع
 مفردات اللغة فيها حسب معانيها تمييزاً لها عن المعجمات اللفظية التي تجتمع بها الالفاظ
 بحسب هجائها على ترتيب الابجدية . وأشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للتعاليبي
 والخصص لابن سيده وهي أتم مما فعله الاصمعي وأترابه ولكنها تشبهها من حيث المراد
 بها وسيأتي ذكرها في مكانه . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر والكرم

وخلق الانسان وأشباهها من كتب النوادر والامثال والاضداد واللغات والفروق
وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والحيل ونحوها عول واضعو المعجمات في
ضبط الالفاظ ومعانيها فضلاً عن تحريرهم المفردات عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة

في العصر العباسي الاول

١ - الخليل بن أحمد

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري الفراهيدي الازدي سيد أهل
الادب في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه . وكان من تلامذة أبي
عمرو بن العلاء . وعنه أخذ سيويوه . وعامة الحكاية في كتاب سيويوه عن الخليل
وكما قال سيويوه « سأته » أو « قال » من غير أن يذكر قائله فهو يعني الخليل .
وأخذ عنه أيضاً النضر بن شميل ومؤرج السدوسي وعلي بن نصر وغيرهم
وقد علمت أنه أول من ضبط اللغة وهو أيضاً أول من استخراج علم العروض
الى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها ١٥ مجزاً . ثم زاد فيه
الاخفش مجزاً سماه الخبب . وقد ضبط أوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات
واستغرق في درس ذلك حتى كان يقضي الساعات في حجراته وهو يوقع بأصابعه
ويحركها - رووا ان ابنه دخل عليه مرة وهو في هذه الحال فظنه جن فقال له الخليل:
لو كنت تعلم ما أقول عذرتني او كنت تعلم ما تقول عذلتك
لكن جهات مقالتي فعذرتني وعلمت انك جاهل فعذرتك
وكان الخليل في فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا وذكروا ان سليمان بن علي وجه اليه
من الأهواز لتأديب ولده فأخرج الخليل الى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال : « كل
فما عندي غيره وما دمت أجدك فلا حاجة لي الى سليمان » فقال الرسول : « فما
أبلغه » فقال :

أبلغ سليمان أبي عنه في سعة وفي غنى غير أبي لست ذا مال
شحاً بنفسي أبي لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال
وأعم مؤلفاته كتاب العين :

كتاب العين

الخليل أسبق العرب الى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على حروف المعجم قبل
الاصمعي وسيبويه وسواهما من الأدباء والنحاة في كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما
كان معروفاً في أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على
احرف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان
فالشفتين وبدأ بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر . وهاك ترتيبه : ع ح ه
خ غ ق ك ج ش ص ض س ر ط د ت ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ي فكان الخليل
حذا بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية فانهم يبدأون بأحرف
الحلق وينتهون بالاحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من ألفاظه ككتاب الجيم
للهرودي وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (٢) وكتاب الجيم
لأبي عمرو الشيباني ومثلها كتاب الغين وكتاب الميم ويستفاد من ترتيب الحروف
في كتاب العين ان الجيم كانت تلفظ كالكاف الفارسية

ومن أبحاث كتاب العين احصاء ألفاظ اللغة في أيامه فقد نقل عنه السيوطي انه
أحصى فيه عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهملة فبلغ ٤١٢ ١٢ ٣٠٥ كلمة . ولعله
أراد ما يمكن نكوينه بتركيب أحرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي
والرباعي والخماسي . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على أن أبا بكر الزبيدي
الذي اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها فكانت نتيجة درسه أن
عدد الالفاظ العربية ٤٠٠ ٦٦٩٩ لفظ لا يستعمل منها الا ٥ ٦٢٠ لفظاً والباقي وهو
٦ ٦٥٣ ٧٨٠ لفظاً مهملاً . وقد قسمها من حيث عدد أحرفها على هذه الصورة :

عدد الالفاظ	المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	٤٨٩	٢٦١
١٩ ٦٥٠	٤ ٢٦٩	١٥ ٣٨١
٣٣ ٤٠٠	٨٢٠	٣٠٢ ٥٨٠
٦ ٣٧٥ ٦٠٠	٤٢	٦ ٣٧٥ ٥٥٨
٦ ٦٩٩ ٤٠٠	٥ ٦٢٠	٦ ٦٩٣ ٧٨٠

ومن النظر الى هذا الجدول يتبين لك أن الزبيدي عني بمدد ألفاظ اللغة ما عناه الخليل وإن كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذلك فانك تجد أكثرها مهملاً فهو يريد بالمهمل الألفاظ التي يمكن أن تتركب من الاحرف الهجائية كما تقدم لا التي تركبت واستخدمها الناس زماناً ثم أهملت لسبب من الاسباب

ولم يصل الينا من كتاب العين الا ما نقل عنه في كتب اللغة كالنزهة للسيوطي وكتاب النحو لسبويه . و ينسخ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وما يليه إلا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون في حقيقة نسبه اليه وفي صحة ما جاء فيه من الروايات ولاقوال . من ذلك ما رواه ابن التميمي في الفهرست عن ابن دريد قال : « وقع في البصرة كتاب العين سنة ثمانى وربعين (واثنتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية واربعين جزءاً أباعه بخمسين ديناراً وكان قد سمع بهذا الكتاب أنه في خراسان بخزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل أن الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية . و يروى هذا الكتاب عن الخليل ولا روى في شيء من الاخبار أنه عمل هذا البتة . وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمه له وأخذ طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطي آراء القوم في أصله وحجج القادحين فلترجع في المنزهة (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب في سبب تلك الحملة على الخليل أنهم حسدوه لما أتاه من سبق الى ذلك العمل الجليل - وكل سباق محسود . فلا خلاف في فضله على الاطلاق وهب أنه لم يتم الكتاب في حياته فله الفضل في تبويبه والشروع فيه

وقد جاء في ذلك الكتاب على قواعد النحو وأكثرها على مذهب الكوفيين مع انه بصري تخالف ما جاء في كتاب سيويه مما رواه سيويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للظعن في الكتاب وانه ليس للخليل . ويرى الاكثرون انه له وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه . فألف في انتقاده جماعة منهم المفضل بن سلمة وعبد الله بن محمد الكرمانى وابن دريد وغيرهم . وقد اختصره ابو بكر الزبيدي المتوفي سنة ٣٧٩ هـ اختصاراً لطيفاً وشاع مختصره وأقبل عليه الناس ومحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما أورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة . وفضلوه أيضاً على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة

يومئذ لاجل صغر حجمه . وألحق به بعضهم ما زاده ابو علي الفالي في البارغ على كتاب العين فكثرت الفائدة . على أن بعضهم انتقد على الزبيدي حذفه الشواهد وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحف الادب وللخليل فضل كبير في وضعه وللأسف انه ضاع وقد كان موجوداً الى القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكاتب الخصوصية
أما مختصره للزبيدي فثمة نسخة خطية في مكتبة برلين وأخرى في الاسكوريال باسبانيا وكذلك في مدريد وفي مكتبة كوبرلي بالاستانة
وذكر له ابن النديم من المؤلفات أيضاً كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب الايقاع . وفي المكاتب الكبرى في اوربا مما ينسب الى الخليل :

- ٢ كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين
٣ شرح حرف الخليل » » برلين قطعة منه
٤ جملة آلات العرب » » ايا صوفيا بالاستانة
٥ قطعة من كلام على أصل الفعل » » اكسفورد (بودليان)
ونجد ترجمته في ابن خلكان ١٧٢ ج ١ وطبقات الادباء ٥٤ والفهرست ٤٢
وابن خلدون ٤٨٢ ج ١

٢ - مُورَج السَّدُوسِي

توفي سنة ١٩٥ هـ

هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي كان من أكابر أهل اللغة وأخذ عن أبي زيد الانصاري وصحب الخليل بن احمد وكان من كبار أصحابه . أصله من البادية قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس في العربية وأول ما تعلم ذلك في حلقة أبي زيد وكان يحفظ ثلثي اللغة وكان شاعراً . وصحب المأمون من العراق الى خراسان وسكن مرو مدة ثم قدم الى نيسابور وأقام فيها وكتب عنه مشائخها
وله من المؤلفات كتاب الانواء وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغيرها لم يصلنا منها شيء

ونجد أخباره في ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ طبقات الادباء ١٧٩

٣ - النضر بن سميل

توفي سنة ٣٠٢ هـ

هو ابو الحسن النضر بن سميل النخعي البصري من تلامذة الخليل أخذ عنه وعن فصحاء العرب كأبي خيرة الاعرابي وابي الدقيش وأقام في البادية أربعين سنة في هذا السبيل . وعنه أخذ ابو عبيد القاسم بن سلام الآني ذكره . وبعد أن أقام في البصرة مدة ضاق به الرزق فترح عنها الى خراسان فأصاب بها مالا عظيماً وكانت اقامته في مرو وله مع المأمون في اثناء اقامته هناك حكايات ونوادير لأنه كان يجالسه وله عدة كتب ذهب خبرها الا كتاب غريب الحديث أخذ الثعالبي عنه وأخبره في ابن خلكان ١٦١ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٠ وفهرست ٥٢

٤ - قطرب

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو علي محمد بن المستنير البصري من الموالي كان من كبار علماء اللغة أخذ عن سيدييه وجماعة من أهل البصرة وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها :

- ١ كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية في مكتبة برلين
- ٢ ما خالف فيه الانسان البهيمية : منه نسخة في مكتبة فينا
- ٣ كتاب الازمنة : في المتحف البريطاني
- ٤ مثل قطرب : هو منظومة في بضعة وستين بيتاً تحتوي على الالفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل : سهام وسهام وسهام ولكل منها معنى وهو اول من فعل ذلك . ومنه نسخ في مكاتب ليدن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع في مابرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمي وغيره . ومن هذه الشروح نسخ في أكثر مكاتب اوربا الكبرى

٥ - ابن الاعرابي

المتوفي سنة ٢٣١ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن زياد من موالي بني هاشم وكان من كبار أئمة اللغة بالكوفة ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين من روايته وكان ريبياً للمفضل الضبي وسمع منه الدواوين وصححها . وكان أحفظ الناس للغات والانساب وطريقته طريقة الفقهاء

والعلماء وله من الكتب الباقية الى الآن :

- ١ كتاب أسماء البئر وصفاتها : منه نسخة في المكتبة الخديوية وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) في سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكري الالوسي
 - ٢ كتاب أسماء الخيل وأنسابها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية
- وأخباره في ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ وطبقات الادباء ٢٠٧ والفهرست ٦٩

الانشاء والمنشئون

الانشاء

الانشاء من فنون الادب وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر الراشدين والامويين ورأيت أنه اختلف في هذه العصور باختلاف أحوالها من المدينة أو الجاهلية ومن الحضارة أو البداوة . وللمعرب اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر واللغة أكبر مساعد على ذلك

كان الانشاء في صدر الاسلام مقصوراً على مكاتبة الخلفاء وأمراءهم وقوادهم أو مع سواهم في طلب حرب أو صلح أو حث أو تحريض . فلما صار الاسلام دولة تفرعت الكتابة الى أقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرع احتياجاتها فصارت الكتابة خمسة أنواع ذكرناها في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي - وأهمها بالنظر الى الانشاء والبلاغة كتابة الرسائل وصاحبها يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة ومستودع أسمراره . وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل في الدولة الاموية آخرهم وأبلغهم عبد الحميد كما تقدم (١)

فلما صارت الدولة الى العباسيين على أثر ذلك الانقلاب الذي تبدلت فيه رجال الدولة وانتقل كرسي الخلافة وتوعدت أغراض الخلفاء - كما بينا ذلك في مكانه أصاب الانشاء تغيير يلام ذلك الانقلاب . وأهم ظواهره الاستبحار في المدينة والاغراق في الحضارة بالنظر الى الدولة الاموية . وظهر أثر ذلك على أقلام المنشئين كما ظهر في قرائح الشعراء

أول ثمار الرخاء

فالانشاء في صدر الدولة العباسية أخذ في النزوع الى ثمار الرخاء والترف وأهمها التطويل والاطراء . وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تأثقاً في العبارة نزوعاً عن أسلوب البغاء في صدر الاسلام وفي العصر الاموي من تحدي الإيجاز والاعجاز . وأخذوا يضنون رسائهم الاشعار والامثال . وخالط ذلك في العصر العباسي الاول شيء من الاطراء والنفخيم وخصوصاً في ما كانوا يكتبونه الى الامراء يستعطفونهم أو يستعطفونهم كما فعل ابراهيم بن سيابة في رسالة كتبها الى يحيى بن خالد ابن برمك توخى فيها التسجيع فضلاً عن الاطراء فقال في مطلعها :

« للاصيد الجواد الواري الزناد الماجد الاجداد الوزير الفاضل الاشم الباذل اللباب الخلاجل من المستكين المستجير اليائس الضرير فاني أحمد الله ذا العزة القدير اليك والى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة أما بعد فاغتم واسلم واعلم ان كنت تعلم انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغم ومن يصنع المعروف لا يعدم وقد سبق الي تفضلك علي واطراحت لي وغفلتني عني بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أنتبه ولا أرقد فلست بحبي صحيح ولا بميت مستريح فررت بعد الله منك اليك ونحمت بك عليك » — الى آخر الرسالة

وهي كما ترى أشبه بما صار اليه الانشاء في أواسط الدولة العباسية . ولولا ثقتنا بصدق راويها وهو الجاحظ (١) مع قرب عهده من ذلك العصر لشككنا في صحتها . فالظاهر ان ابن سيابة بالغ في تميمق عبارته حتى خرج عن الاسلوب المألوف في عصره فاعظم الناس اقتداره وعملوا على حفظ أقواله . وذكر الجاحظ ان البغداديين حتى عامتهم كانوا يحفظون هذه الرسالة في تلك الايام . ولا يصح أن تعد مثالا لاسلوب ذلك العصر وإنما أمام الانشاء فيه ابن المقفع وأسلوبه مشهور وسنعود الى ذلك

وتنوعت أساليب الانشاء ومذاهب المنشئين في الدولة العباسية بتنوع العلوم فاصبح للفقهاء أسلوب والفاظ وتراكيب ومثل ذلك للجندي أو المحدث أو الفيلسوف أو الطبيب لتعود كل منهم مصطلحات علمه وفنه كما هو شأننا لهذا العهد فان للصحافي أسلوباً خاصاً ومثله للمؤلف والروائي والطبيعي والمحامي وغيرهم تظهر فيه صبغة مهنته . ولكن هذه الاساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار أصحابها الى تحدي أساليب القرآن والفاظ العرب العرباء

التوقيعات

وظل الميل الى الایجاز والاعجاز متغلباً في نفوس الادباء ولا سببا في التوقيع ويراد به ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع (العرضجات) . وكان الخلفاء في صدر الاسلام وهم الذين يوقعون بأنفسهم أو يأمرون كتابهم بتدوينه . والغالب في توقيعهم أن يكون اقتباساً من آية أو حديثاً أو حكمة مشهورة أو من الشعر حكيم . ومن أمثلة ذلك أن سعد بن ابى وقاص عامل العراق كتب الى عمر الخطاب كتاباً يستأذنه فيه ببناء دار فوق عمر في أسفل الكتاب : « ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر » ووقع أيضاً لعمر بن العاص عامله على مصر جواباً على كتاب كتبه اليه : « كن لرعينك كما تحب أن يكون لك اميرك » وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بوجه أعناقهم فوق في ذلك الكتاب : « فان عصوك فقل انى بريء مما تعملون » وأرسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بني العباس فقد وقع السفاح الى قوم من أهل الانبار شكوا اليه أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في بناء أمر به ولم يعطوا أثمانيها فوق : « هذا بناء أسس على غير تقوى » وأمر باعطائهم الاثمان . وشكا أهل الكوفة الى أبى جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم فوق على كتابهم : « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكى عيلة : « سل الله من رزقه » وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوق في أسفله : « استبدل بكتابك والا استبدل بك » وكتب صاحب أرمينيا الى المهدي بشكو سوء طاعة رعاياه فوق في الكتاب : « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » وشكا بعضهم اليه اهمال عامله على خراسان فوق على شكواهم : « أنا ساهر وأنت نائم » وأرسله اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله في خراسان : « داو جرحك لا يتسع » والى عامله على مصر : « احذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخي يوسف فيأتيك منه ما لا قبل لك به ومن الله أكثر منه » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من أمر فوق على كتابه : « من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فأى الرجلين أنت ؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكي لمحبوس : « ولكل أجل كتاب » ووقع في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله : « لقد كثرت شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت »

الانشاء المرسل أو أسلوب المؤلفين

هذا كله من انشاء الرسائل في المحاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضرباً من الانشاء نضج في العصر العباسي الاول نعني الانشاء المرسل في تأليف الكتب أو كتابة المقالات الطويلة في الوصف أو الموعظة أو الفلسفة - وهو غير أسلوب المراسلات . فان هذا أقرب الى الخطابة أو الشعر منه الى الاسلوب المتناسق الذي يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الاسلوب المرسل الا في العصر العباسي الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند أنفسهم بأن يدونوا أفكارهم أو ينقلوا أفكار سواهم من اللغات الأخرى . وأشهر من فعل ذلك في العصر المذكور عبد الله بن المقفع في نقل كتاب كيلة ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بآدابها متمكناً من أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيداً . وقد نشأ في البصرة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالادباء والشعراء فبرع في اللغة العربية وآدابها وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كيلة ودمنة من الفارسية الى العربية جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ انشاؤه في المواضيع الادبية باللغة العربية

وكتاب كيلة ودمنة أقدم ما وصل الينا من الانشاء المرسل من قلم رجل واحد هو من علماء الفرس وقد نقل الكتاب عن لغة الفرس . ونظراً لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب في عصره أو ما بعده من كتب الأدب يغلب على ظننا أنه اكتسب ذلك من تأثير أساليب اللغات الأخرى التي كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الاسلوب . وقد قل من جاء بمثله بعده ولم يأت أحد بأحسن منه في بابيه مع ما بلغ اليه العلم من الرقي في العصر العباسي وما نبغ فيه من عالية الكتاب المشاهير - مما يدل على أن الانشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

ويقسم المنشئون في العصر العباسي الاول الى طبقتين : الاول منشئو الرسائل والثانية مؤلفو الكتب

منشئو الرسائل

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للأسباب التي قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والامراء والوزراء والشعراء . واشتهر بالانشاء الرسائل في هذا العصر من الامراء والوزراء ونحوهم ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم ابو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر - وخصوصاً طاهر بن الحسين

طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الأسرة توفي سنة ٢٠٧ هـ وكان من نوابغ المنشئين وله مجموع مراسلات ضاع خبره الا رسالة بليغة كتبها لابنه عبدالله لما ولاء المأمون الراقة ومصر وما بينهما أوصاه فيها بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والحلقية والسياسية ومكارم الأخلاق . وهي منشورة في مقدمة ابن خلدون يباب : « ان العمران لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره » تدخل في ثمانى صفحات

وتجد ترجمة طاهر في ابن خلكان ٢٣٥ ج ١

عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفي سنة ٢١٧ هـ وزير المأمون كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها شديد المقاصد والمعاني وكان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد . وقد أثرى في خدمة المأمون حتى قيل أنه خلف بعد موته ٨٠٠٠٠٠٠٠ درهم فقيل ذلك للمأمون فقال : « هذا قليل لمن اتصل بنا وطلت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك »

وتجد مثالا من انشائه في ترجمته في ابن خلكان ٣٩٠ ج ١

ومنهم ابن الليث كاتب يحيى بن خالد . وذكر ابن التديم أسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة في كتاب منهم غيلان بن مرارة جمعت رسائله في ألف ورقة وخالد بن ربيعة الافريقي نشأ في الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة . وغيرهم كثيرون لا فائدة من ذكرهم لأن آثارهم ضاعت . ثم أن كتاب ديوان الرسائل أكثرهم في صدر الدولة العباسية من المنشئين البلقاء كابن عبد الملك الزيات الوزير وابي علي البصير واليوسفى كاتب المأمون وحيد بن مهران كتب البرامكة وابن يزداد وزير المأمون وموسى بن عبد الملك وميمون بن ابراهيم وغيرهم (١)

الكتاب المؤلفون

١ - عبد الله ابن المقفع

توفي سنة ١٤٣ هـ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره وكان في باديء أمره مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ثم اخص بالمنصور وكتب له حتى قتل وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة لكنه خلف آثاراً حفظت ذكره قروناً ولا تزال - أهمها:

١ - كتاب كلیلة ودمة

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه فألف هذا الكتاب وجعل النصيح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فانهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الارواح . والمظنون ان معظم ما يتناقله الناس من أمثال هذه الاقاصيص أصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه السكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا أول فأنح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه

وترجع مواضع النصيح في هذا الكتاب الى ما يحتاج الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والتمائم ووخامة طاقبة الاشرار ومنافع الاصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الاعمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على ارباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقي العواطف في حكايات يتفرع بعضها عن بعض

وقد كتب أولاً باللغة الهندية السنسكريتية في ١٢ باباً ونقل الى لغة التيبث فاللغة السريانية ثم الى الفهلوية أي الفارسية القديمة وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وأفاض في التحريض على مطالعته . فلما اطالع العرب على فوائده أعجبوا به وأخذوا يتدارسونه ويتناقلونه وكان علماء اللغة وأدباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فأقدم بعضهم على نقابه ثانية واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلاً لحفظه وتصدى آخرون لمعارضته كما سيجيء

على ان الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التي هي بين أيدينا وقد تعدلت بتوالي الازمان بين تنقيح وتصدير وتذليل فباقت أبوابها ٢١ باباً بعضها هندي الاصل والآخر فارسي والآخر عربي

فالأبواب الهندية ١٢ وهي : باب الاسد والثور . الحمامة المطوقة . البوم والغربان القرد والغليم . الناسك وابن عرس . الجرذ والسنور . الملك والظائر فزة . الاسد وابن آوى . اللبوءة وبلاذ وبرخت . السائح والصائح . ابن الملك وأصحابه . والفارسية ثلاثة : مقدمة بروزيه وباب بعثة بروزيه وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية نعي مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي وباب عرض الكتاب لابن المقفع وباب الفحص عن امر دمنة وباب الناسك والضيف وباب مالك الحزين والبطلة وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الاصل الهندي والترجمة الفهلوية ولم يبق غير العربية وعنها أخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى ألسنها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والاطالية والفارسية الحديثة والتركية والعبرانية واللاتينية والاسبانية والمقلية والانكليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات أخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلاً ضافياً في الهلال سنة ١٤ ج ٧

طبع كتاب كلية ودمنة في العربية مراراً من أواخر القرن الثامن عشر الى الآن . وبعض طبعاته مزدانة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجي . وهو لا يزال الى الآن من خيرة الكتب في الانشاء وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر

نظم كلية ودمنة

أقدم من نظم هذا الكتاب في العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي من خدم المنصور العباسي وابنه المهدي في صدر الدولة العباسية . وكان له الفضل في خزانة الحكمة بأيام الرشيد وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كلية ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك في عرض كلامه عن هذا الكتاب فقال : « نقله أيضاً عبد الله بن هلال الاهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ ونظمه أبو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهدي والرشيد . فلما وقف عليه أجازته بألف

دينار» وقد ذكرنا في ترجمة ابان اللاحقي الشاعر انه نظم كلية ودمنة شعراً لم يبق منه الا بيتان ذكرناهما (صفحة ٨٢)

ثم نظمه علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتد . وكل هذه المنظومات ضاعت

ثم نظمه ابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٤ هـ في كتاب سماه «كتاب نتائج الفطنة في نظم كلية ودمنة» كان منه نسخ مشتتة في الاستانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند في بمباي سنة ١٣٠٤ هـ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة اخرى عن نسخة اخرى في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخوري نعمة الله الاسمر . وقد نقحها ونظم منها قطعاً لم ينظمها ابن الهبارية منها باب الحمامة والتعلب ومالك الحزين^(١)

ثم نظمه ابن ممانى المصري المتوفي سنة ٦٠٦ هـ وضاع نظمه . وجاء بعده عبدالمؤمن بن الحسن من اهل القرن السابع للهجرة فنظمه او شيئاً منه او كتاباً على مثاله سماه «درر الحكم في امثال الهنود والعجم» منها نسخ خطية في فينا ومونيخ ثم نظمه جلال الدين النقاش من اهل القرن التاسع ومن نظمه نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت واخرى في المتحف البريطاني

وعارض كلية ودمنة سهل بن هارون الكاتب الآتي ذكره فنظم كتاباً على مثاله سماه «كتاب ثعلبة وعفرة» وقد ضاع^(٢) ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية ايضاً :

سائر مؤلفاته

٢ كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ وفلسفة والاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل بتحقيق احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظار وقد صدره بمقدمة انتقادية في اسلوب الكتاب ونسبته الى كلية ودمنة

٣ كتاب الدرّة اليتمة ويسمى ايضاً كتاب الادب الكبير : هي رسائل في انصح والارشاد . قال ابن المقفع في الغرض منها يخاطب : القاريء « وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حكمتك سن كنت خليقاً ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد يتبدر اليه شبيته المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

(١) المشرق ٩٨١ سنة ٤ (٢) الفهرست ١٢٠ والبيان ٢٤ ج ١

وقد طبعت الدرة اليتيمة مراراً في نحو ٥٠ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للامير شبيب ارسلان . وهي تحت الطبع الآن مضبوطة بالشكل الكامل باسم « الادب الكبير » بتحقيق زكي باشا . ولها تنمة لابن العربي سماها : « عظة الالباب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة في مكتبة باريس

٤ رسالة في الاخلاق : منها نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة وله كتب اخرى اديبة واخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج في سيرة انوشروان وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها . لكن منها نقلاً نقلها ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار . ومجد اخبار ابن المقفع في ابن خلكان ١٤٩ ج ١ وتراجم الحكماء لابن القفطي ١٤٨ والفهرست ١١٨

٢ - سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوي الدستيمساني . فارسي الاصل انتقل الى البصرة ثم اقام في بغداد وكان متحققاً في خدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له . وكان حكيماً فصيحاً شاعراً شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل . وكان الجاحظ يفضله ويصف براعته وفصاحته ويحكي عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل وكتاب ثعلبة وعفرة المتقدم ذكره وكتاب الهذلية والمخزومي وكتاب النمر والثعلب وغيرها كثير لم نقف عليها . واخباره في الفهرست ١٢٠ والدميري ٣١٣ ج ١

ومنهم علي بن عبيد الرحاني له اختصاص بالمأمون وكان يرمى بالزندقة وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفاً ضاعت كلها . ولمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته في كتابه عن تأثير آداب الفرس في اللغة العربية طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى او الغناء

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر . وفي العرب استعداد لها فطري لحساسة نفوسهم وتدة تأثرهم . وكان لهم في جاهليتهم الحان توافق خشونتهم فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل او ترجمة . واول من فعل ذلك عبد مكي اسمه سعيد ابن مسحج كان حسن الصوت مفرماً بالموسيقى . وكان في مكة عند حصار الامويين لها

على عهد عبد الله بن الزبير في الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالا من الفرس في ترميم الكعبة فسمع ابن مسجح بعضهم يغني بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الاغان الرومية والفارسية وألقى منها ما استبحه من النبرات والنغم مما لا يألفه الذوق العربي وغنى على هذا المذهب وهو أول من فعل ذلك . وأخذ عنه من جاء بعده من مغني المسلمين فنبت منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف . ولذلك كثروا في أواخر الدولة الاموية وأواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والفريض ومعبد وحكم الوادي وفايح بن أبي العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادي وابراهيم الموصلبي وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابه وسلامة وعقبلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون في نقل العلوم الدخيلة كان من جملة كتب الموسيقى ليونان والهند فتناولها المسلمون ودرسوها وأصبحت الموسيقى عندهم علماً بأصول . وقد جمعوا بين ألحان اليونان والهنود والفرس والعرب فألفوا من ذلك علماً خاصاً بالتمدن الاسلامي بلغ درجة حسنة من الاتقان فألفوا فيه المؤلفات المسببة فضلاً عما استنبطوه من الألحان أو اخترعوه من الآلات

ففي العصر العباسي الاول صار للعرب مذاهب في الغناء خاصة بهم . وأصبح الغناء علماً قائماً بنفسه فعمدوا الى تدوينه . وأول من دونه يونس بن سليمان الكاتب أصله فارسي وصار مولى لعمر بن الزبير . نشأ في المدينة وكان أبوه فقيهاً أسلمه الى الديوان فكان من كتابه وأخذ الغناء عن معبد ولم يكن في أصحاب معبد أحدق ولا أقوم منه . وله غناء حسن فوضع كتاباً في الاغاني وهو أول من فعل ذلك (١) وقد ضاع كتابه . وللخليل بن احمد كتاب في الموسيقى زم فيه أصناف النغم وحصر به أنواع اللحن وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده وقد ضاع هذا أيضاً

ومن اشتغل بفن الموسيقى يحيى بن ابي منصور الموصلبي فآلف كتاباً في الاغاني على الحروف وآخر في العود والملاهي لم تنفق على خبرهما . ووضع المغنون كتباً ضبط كل منهم فيها الألحان التي حدثت فضلاً عن الاصوات القديمة . لان المغني كان اذا برع واشتهر استتبط ألحاناً من عند نفسه حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصلبي فأصبح هو امام المغنين وينسبون اليه كتاباً في الاغاني كبير يشك الناقدون

في نسبته اليه . وألف يحيى بن مرزوق المكي كتاباً فيه ١٢٠٠٠ صوت أهداه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين ألف درهم . وشاع هذا الكتاب لكن اسحق الموصلي صححه

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسي الاول في زمن الرشيد والمأمون وأطلقت الالسنه والافكار أخذ المغنون يفكرون في تعديل الالحن واستباط أسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم المهدي أخو الرشيد - وكان من الطامعين في الخلافة فلما استتب الأمر لابن أخيه المأمون انصرف هو الى الغناء كما انصرف خالد بن يزيد الاموي الى الكيمياء لما يشس من الخلافة . وكان ابراهيم من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً وهو يعد من الطبقة الأولى في عصره لكنه كان مقصراً عن اداء الغناء القديم على طريقة الموصلي . فكان يحذف نغم الاغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً أو يخففها على قدر طاقته - وإنما تجرأ على ذلك بما ناله من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال : « أنا ملك أغني كما أشتهي » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث . وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون في ذلك الى قسمين وأصحاب فن الغناء يعدون عمل ابراهيم بن المهدي افساداً في هذه الصناعة لانهم يفضلون القديم فأخذوا في الرجوع اليه

على أن ذلك بعثهم على اعمال الفكرة والتعمق بهذا الفن وانتهى ذلك الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من أهل العصر العباسي الثاني وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الاوائل والموسيقى والهندسة فوضع كتاباً في النغم وعلل الاغاني سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب في الموسيقى أو الغناء قبل كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وسيأتي ذكره (١)



ش ٩ : الآلات الموسيقية العربية

(١) راجع تاريخ الغناء في الجاهلية والاسلام في تاريخ النخبة الاسلامي ١٩٧ ج ٣ و ٣٢٢ ج ٥

العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الاول

الفقه

في هذا العصر ضبط الفقه ودونت أحكامه بعد أن أفضت الخلافة الى بني العباس. وكان أئمة الفقه في المدينة فأراد المنصور تصغير أمر العرب واعظام الفرس لانهم أنصارهم وأهل دولتهم فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل أنظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع الميرة عن المدينة (١) وفتيه المدينة يومئذ الامام مالك الشير فاستفتاه أهلها في امر المنصور فاتفق بخلع بيعته فخلعوها وبايعوا محمد بن عبدالله من آل علي. وعظم أمر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد. فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهراً وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبني العباس. فعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرده من ثيابه وضربه بالسياط وخلع كتفه (٢)

الرأي والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونبغ من ابنائها من درس الفقه والفتيا ولكنهم ما زالوا عبالا فيهما على أهل المدينة لانهم أوثق الناس بحفظ الحديث وقراءة القرآن. وكان الحديث قايلا في العراق على الخصوص. والمسلمون غير العرب هناك اكثرهم من الفرس وهم أهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث. فخالقوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد — فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد أن أفتى بخلع بيعته أنه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ أبو حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه الى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه. وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به (٣) ولذلك كان الربيع حاجب المنصور يقاومه لأن الربيع ينتسب الى العرب وكان يكره الفرس وابنه الفضل هو الذي سعى في قتل البرامكة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠ ج ٢ (٢) ابن خلكان ٤٣٩ ج ١

(٣) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

فلما نصر المنصور أبا حنيفة وأصحابه وهم المعروفون بأهل الرأي أو القياس ازداد مالك تمسكاً برأيه وتبعه فقهاء الحجاز وهم أهل الحديث . وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين أهل الحديث وأهل الرأي ، وزعيم الاول مالك وأنصاره من أهل الحجاز وأصحاب الشافعي وأصحاب سفيان الثوري واصحاب احمد بن حنبل وغيرهم من أهل التقليد وعرفوا بأصحاب الحديث لان عنايتهم مبذولة في تحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي أو الحنفي ما وجدوا خبراً أو أثراً . وبدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي : « اذا وجدت لي مذهباً ووجدت خبراً على خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر »

وزعيم أصحاب الرأي أبو حنيفة النعمان وأصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد بن الحسن الشيباني وأبو يوسف القاضي وزفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ والولؤلؤي وابن سماعة المتوفى سنة ٢٣٣ هـ وابو مطيع البلخي وعافية الفاضي وغيرهم . وقد سموا أهل الرأي لأن عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على احاد الاخبار ^(١)

وجاء بعد مالك من أصحاب مذهبه محمد بن ادريس المطليبي الشافعي فرحل الى العراق وخالط أصحاب أبي حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب خالف فيه مالكا في كثير من مذهبه . ثم جاء بعده احمد ابن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الامام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر . ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي واليك خلاصة تراجمهم حسب سني وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الائمة الاربعة

١ - أبو حنيفة النعمان

توفي سنة ١٥٠ هـ

هو النعمان بن ثابت مولى بني نيم من أهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ هـ وكان خزازاً يبيع الخبز وكان طالماً تاملاً زاهداً عابداً كثيراً خشوع دائم النضرع فاتصل خبره بالخليفة أبي جعفر المنصور فبعث اليه فلما جاءه أراد أن يوليئه القضاء فحالف انه لا يفعل وقال

(١) الشهرستاني ١٢٢ ج ١

« لن اصالح الى قضاء » وكان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن الموااة لآخوانه . وكان ربعة في الرجال وقيل كان طويلاً تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطقاً واحلام نعمة . وكان قوي الحججة حتى قال عنه الامام مالك : « انه رجل لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لغام بحجته » وكان طلق اللسان جهوري الصوت اذا سأله عن الفقه تفجر وسال كالوادي وسمعت له دويماً وجهارة

وهو الذي بوب الفقه وفرع له فروعا وعمدته فيما قاله القياس . وكان بعيداً عن الغيبة لا يذكر احداً بسوء ولو كان عدواً له . وكان واسع العلم في كل العلوم الاسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه في النحو كوفياً لانه من اهل الكوفة وتوفي في السجن . وذكر المسعودي انه مات وهو ساجد في صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ الفقه الاكبر : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية وقد طبع في لكناو الهند مع ترجمة هندستانية . وهو من قبيل اصول الدين وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات في المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا علي الفاري

٢ مسند ابي حنيفة : جمعه تلامذته ومنه نسخ خطية عديدة بالمكتبة الخديوية
٣ وصيته لاصحابه : في الاصول منها نسخ خطية في غوطا وباريس وعليها شروح في مكاتب غوطا وايا صوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال
٤ وصيته لابنه : منها نسخة في باريس
٥ المخارج في الحيل : في الفقه رواها نعيمه ابو يوسف منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

تجد اخباره في ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ والفهرست ٢٠١ وغيرها

٢ - مالك بن أنس

توفي سنة ١٧٩ هـ

هو ابو عبدالله مالك بن أنس الاصبحي امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي ولد سنة ٩٥ هـ اخذ الفقه عن ربيعة الرأي فقيه اهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية وكان مالك بن أنس ورعاً تقياً اذا اراد ان يتحدث تواضعاً وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وبممكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتي المسجد ويشهد

الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق وهناك يجتمع اليه اصحابه
 ويأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه اخذ
 الامام الشافعي . وكان مالك بن أنس شديد البياض مع ميل الى الشقرة طويلاً عظيم
 الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الحياض ويكره حلق الشارب ويعيبه وله من الكتب:
 ١ كتاب الموطأ : اساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه ابو محمد الليثي
 ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وقد طبع في دهلي بالهند سنة ١٢١٦ هـ
 وفي لاهون بالهند سنة ١٨٨٩ وله شروح للبطلبيوسي ولا بن العربي والقرطبي والزرقاني
 وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠ هـ وغيرها في ٤ مجلدات . وقد رواه الشيباني
 المتوفى سنة ١٨٩ هـ ورد فيه على ما يخالف مذهب مالك وطبع في لكتناو الهند سنة
 ١٢٩٧ وفي لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح اخرى لافائدة من ذكرها
 ٢ رسالة في الوعظ : بشأن الرشيد ويحيي البرمكي منها نسخة في الاسكوريال
 وطبعت في بولاق سنة ١٣١١

٣ كتاب المسائل عن لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نسخة في غوطا
 وترجمته في ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ والفهرست ١٩٨

٣ - الامام الشافعي

توفي سنة ٢٠٤ هـ

هو الامام ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي وينتهي نسبه الى هاشم بن عبدالمطلب
 بن عبد مناف القرشي . ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مصر سنة
 ٢٠٤ هـ في زمن المأمون بن الرشيد . ودفن في القرافة بمصر ومقامه مشهور وبجواره
 الآن مدفن العائلة الخديوية . وقدم بغداد سنة ١٨٥ وبعد سنتين خرج الى مكة
 ثم عاد الى بغداد بعد سنة فاقام بها شهراً . ثم قدم مصر فاقام فيها وما زال الى ان
 توفاه الله . وكان الامام الشافعي كثير المناقب جم المفاخر حاز من العلوم الاسلامية
 اقصاها وادناها من العلم في الكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف اقاويل
 العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والشعر حتى اقر له بالسبق الاصمعي
 الراوي الشهير واحمد بن حنبل الامام . وقال ابو عبيد : « ما رأيت رجلاً قط اكمل
 من الشافعي » وسأل عبد الله بن احمد بن حنبل والده عنه فقال : « يا بني كان
 الشافعي كالشمس للدين والعافية للبدن » وهو اول من تكلم باصول الفقه وهو الذي

- استبطنه . وقد ذكر له الفهرست نيفاً ومائة مؤلف لم يصل اليها منها إلا :
- ١ كتاب الام . رواه عنه الربيع بن سليمان فانه يبدأ هكذا : « أخبرنا أبو علي الحسين بن حبيب بن عبد الملك في دمشق سنة ٣٣٧ قال أخبرنا الربيع بن سليمان قال أخبرنا محمد بن ادريس الخ » وهو كتاب ضخم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر في ٧ مجلدات
 - ٢ السنن الماثورة . في مكتبة كوبرلي بالآستانة
 - ٣ أصول الفقه . هي رسالة في الاصول طبعت بمصر
 - ٤ مسند الشافعي بالحديث . منه نسخة خطية في يني جامع وكوبرلي وقد رواه النيسابوري وشرحه ابن الاثير
 - ٥ قصيدة تنسب اليه : في ليدن . وترجمته في ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ والدميري ٢٥ ج ١ وسير الملوك ١٥٠ والفهرست ٢٠٩

٤ - الامام احمد بن حنبل

توفي ٢٤١ سنة هـ

هو الامام أبو عبد الله احمد بن حنبل يتصل بنسبه بشيدان من ربيعة . ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ وكان من أصحاب الامام الشافعي وشهد الشافعي عند خروجه الى مصر بقوله : « خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل » وظهر في أيامه القائلون بخلق القرآن فدعي للقول بقولهم فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع . وكان حسن الوجه ربعة ينحضب بالحناء خضباً ليس بالقاني . في لحيته شعيرات سود ودفن في بغداد بمقبرة باب حرب . وهو صاحب المذهب الحنبلي وأهم مؤلفاته الباقية

- ١ المسند في الحديث رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطأ في أكثر مكاتب أوروبا والآستانة والمكتبة الخديوية وقد طبع بمصر وهو مرتب حسب الرواة فيقسم الى مساند أولها مسند أبي بكر فعمر فعثمان الى غيرهم من الصحابة
 - ٢ كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : في مكتبة برلين
 - ٣ « الزهد : في برلين
- وترجمته في ابن خلكان ١٧ ج ١ والفهرست ٢٢٩

أصحاب الأئمة

ونبغ طائفة من تلامذة أولئك الأئمة وأصحابهم وقد ذكرنا بعضهم وليس منهم في هذا العصر من خلف آثاراً تستحق الذكر إلا ثلاثة: اثنان من أصحاب أبي حنيفة والثالث من أصحاب مالك وهم

١ - القاضي أبو يوسف

نوفى سنة ١٨٢ هـ

هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الانصاري . ولد سنة ١١٣ هـ وهو من أهل الكوفة وكان صاحباً للامام أبي حنيفة وقد أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وكان فقيهاً عالماً أخذ عن كثيرين من الفقهاء ولكن غلب عليه مذهب أبي حنيفة وان يكن خالفه في بعض المواضع . وذاع صيته حتى تولى القضاء في بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس : المهدي والهادي والرشيد . وهو أول من دعي بقاضي القضاة وميز العلماء بلباس خاص وكانوا لا يميزهم شيء من ذلك عن سائر العامة . وقد ذكر أبو أحمد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف تكلم عن نفسه قائلاً : « كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاءني أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال « يا بني لا تمد رجلك مع أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خبزته مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش » فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي ففقدني أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعهد مجلسه . فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي « ما شغلك عنا ؟ » قلت « الشغل بالمعاش وطاعة والدي » فجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال « استمتع بها » فنظرت فإذا فيها مائة درهم وقال لي : « الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فاعلمي » فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى ثم كان يتعهدني وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنقاد شيء وكانه كان يخبر بنقادها حتى استغنيت وتمولت » اهـ والباقي من مؤلفاته

كتاب الخراج . فيه مقدمة يخاطب بها الرشيد رواه تلميذه الشيباني . منه نسخ خطية في برلين وباريس وأياصوفيا ونور عثمانية وكوبرلي . وطبع بمصر

سنة ١٣٠٢ هـ

ورجمته في ابن خلكان ٣٠٣ ج ٢ والدميري ١٢٩ ج ١

٢ - محمد بن الحسن الشيباني

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوي الشهير . وكان مولده في واسط بالعراق وأصله من قرية عند باب دمشق في وسط غوطتها . ونشأ بالكوفة وحضر مجلس أبي حنيفة وتفقه على أبي يوسف المتقدم ذكره وألف كتباً كثيرة في الفقه وغيره وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا إنه « إذا تكلم خيل إلى سامعه ان القرآن نزل بلغته » وقد عاصر الامام الشافعي صاحب المذهب الشافعي وجرت بينهما أحداث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الامام الشافعي « ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة في وجهه الا محمد بن الحسن » وخلف مؤلفات حجة أشهرها :

- ١ كتاب المبسوط : وهو كتاب الاصل في الفروع منه نسخ خطية في أياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للسرخسي
- ٢ كتاب الزيادات : منه نسخة في المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة
- ٣ الجامع الكبير : في الفروع منه نسخة في المكتبة الخديوية وبني جامع ولها شروح وتلخيص متفرقة في مكاتب أوروبا والآستانة والخديوية
- ٤ الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره
- ٥ كتاب الآثار : في المكتبة الخديوية
- ٦ كتاب السير الكبير : وفيه أحكام الحرب ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا وفي المكتبة الخديوية . وترجمة الشيباني في ابن خلكان ٤٥٣ ج ١

٣ - عبد الرحمن بن القاسم

توفي سنة ١٩١ هـ

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العتقي تفقه بالامام مالك فصحبه عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موته وقد اشتهر على الخصوص بالمدونة الكبرى في مذهبهم وهي كتاب ضخم على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكين طبعت بمصر ولها شروح منها شرح على موادها

المشكلة، منها نسخة في المكتبة الخديوية وغيرها. وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢٧٦ ج ١
ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة لم ينبغ منهم من يستحق الذكر. ومنهم
من لا ينسب إلى امام أشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة ٢٠٣ هـ له كتاب الخراج
طبعه جونبول في لندن سنة ١٨٩٦

فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقههم وأقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل
انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم. فان
الشريعة الرومانية لم يستقر أمرها وتضبط الا في زمن يوستيان وذلك بعد تأسيس
الدولة الرومانية بأكثر من عشرة قرون

الحديث

لم ينضج علم الحديث ويتم تكونه الا في آخر هذا العصر وفي العصر العباسي الثاني
وكان في العصر الاول مختلطاً بالفقه وقد اشتغل الأئمة الاربعة المتقدم ذكرهم
بالحديث في جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا في عدد الصحيح منه. فالامام أبو حنيفة
زعيم أصحاب الرأي لم يصح عنده الا ١٧ حديثاً ومالك صح عنده ٣٠٠ حديث وروى
ابن حنبل ٥٠٠٠٠٠ حديث أو أكثر وقد دونوا ذلك في كتبهم. فأبو حنيفة ألف
كتاباً في الحديث خاصة. وأما مالك بن أنس فقد دون الاحاديث في الموطأ وقد تقدم
ذكره. وكذلك الشافعي قد ذكرنا له السنن. وكان الامام ابن حنبل يحفظ نحو
مليون حديث لكنه دون منها في مسنده نحو نصفها ومسنده المذكور يعرف باسمه
وقد ذكرناه

واشتغل بالحديث في هذا العصر جماعة كبيرة في أنحاء المملكة الإسلامية أكثرهم في
المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة هاك أشهرهم حسب سني الوفاة ومكانها:

ابن جريج من الموالي	١٤٩	بغداد	الواقدي مولى	٢٠٧	بغداد
الاوزاعي عربي	١٥٧	بيروت	ابن نافع الصنعاني مولى	٢١١	اليمن
سفيان الثوري عربي	١٦١	البصرة	عبد الله بن عبد الحكم	٢١٤	مصر
زياد البكائي	»	١٨٣	الكوفة	»	» مسلمة عربي
ابن عياش	»	١٩٣	»	»	»
سفيان بن عيينة مولى	١٩٨	مكة	يحيى بن معين الحافظ	٢٣٣	المدينة
السمان فارسي	٢٠٣	البصرة			

وبعض هؤلاء سيأتي ذكرهم في الابواب الاخرى ويذكر ما لهم في الحديث في جملة مؤلفاتهم الاخرى . وانما نذكر هنا الأوزاعي فان له كتاباً في الحديث منه نسخة خطية في جملة كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية . ويلى هؤلاء الأئمة في الحديث أصحاب الكتب الستة عمدة المحدثين وسيأتي الكلام عليها في العصر الآتي

التفسير والقراءة

قلما اشتغل القوم بالتفسير في هذا العصر ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس في الجزء الاول وهو يبدأ هكذا : « أخبرنا عبدالله الثقة بن المأمون الهروي قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو عبد الله قال أخبرنا أبو عبدالله محمود بن محمد الرازي قال أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي قال أخبرنا علي بن اسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال . . . » وسيأتي ذكر بعض كتب التفسير في اثناء الكلام عن المواضيع الاخرى لاشتغال الادباء والمؤرخين والنسايين به . والتفسير لم ينضج وتظهر فيه المؤلفات الوافية إلا في العصر الآتي . ولم يحدث في القراءة ما يستحق الذكر في هذا العصر

التاريخ

في العصر العباسي الاول

بدأ التاريخ يتكون في العصر الاموي كما تقدم لكنهم لم يشتغلوا إلا فيما دعيتهم اليه دولتهم وأغراضها من الاطراء بمشاهيرهم أو تحقيق الانساب لأجل العطاء ونحوه . ولم يصل اليها منه شيء لذهاب ذلك في اثناء الفتن أو لتعمد العباسيين محو آثار عدوتهم اللدود أو لاهمال الناس تلك الكتب مراعاة لرأي العباسيين

على أن التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكونه ولا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صددده . وانما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة أو الخاصة . ثم ظهر التاريخ في العصر الذي يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العرب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية . فأهل المائة الاولى من العصر العباسي كان اشتغالهم على سبيل التمهيد

مثل اشتغالهم في الادب والتفسير والحديث . وفي كتب الادب كثير من مواد التاريخ
عن العرب وبلادهم

على انهم لما أخذوا في جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق
الاماكن التي كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية
لأنها شاملة لكل ذلك . ولما اشتغل المسلمون بضرب الخراج اختلفوا في البلاد هل
فتحت عنوة أو صلحاً أو اماناً فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين أخبار الفتوح

مؤرهُو الفتوح

١ - الشيخ ابو اسماعيل

أقدم كتب الفتوح التي وصلت الينا كتاب فتوح الشام للشيخ ابي اسماعيل محمد
ابن عبد الله الازدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلكتة
الهند سنة ١٨٥٤ وهو عظيم الاهمية وقد ذكرناه مفصلاً في باب الانشاء من عصر
الراشدين (صفحة ١٩٩) والكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع
خلاصة ترجمته بالانكليزية

٢ - الواقدي

توفي سنة ٢٠٧ هـ

بليه الواقدي وهو مولى من موالي بني هاشم في المدينة واسمه ابو عبد الله محمد
ابن عمر بن واقد كاتب جليل القدر . كان عالماً بالحديث والمغازي والفتوح وقد قربه
المأمون وولاه القضاء بشرقى بغداد في عسكر المهدي وتوفي هناك . وكان المأمون
يراعي جانبه ويبالغ في اكرامه، لكن المحققين يستضعفون حديثه وله مؤلفات عديدة
ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتاباً هالك ما وصلنا منها :

- ١ كتاب المغازي : يشتمل على غزوات النبي، طبعه كرامر في كلكتة سنة ١٧٥٦
في ٤٠٠ صفحة وله خلاصة انكليزية طبعها ولهاوزن في برلين سنة ١٨٨٢
- ٢ كتاب فتوح الشام : وهو أشبه بالقصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل
والمبالغات لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواء من كتب الفتوح
وقد طبع مراراً احداها في الهند سنة ١٨٥٤ - ١٨٦٠ في ثلاثة مجلدات مع ملاحظات
ونمايق بقلم المستشرق نساو . وطبع أيضاً في مصر سنة ١٨٨٢ هـ وغيرها

- ٣ فتح افريقيا : طبع في تونس سنة ١٣١٥ في مجلدين
 ٤ فتح العجم : طبع في الهند سنة ١٢٨٧
 ٥ فتح مصر والاسكندرية : طبع في ليدن سنة ١٨٢٥
 ٦ تفسير القرآن : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني
 ٧ عدة كتب في الفتوح تنسب اليه كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها. وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه. واكثر كتبه محشوة بالمبالغات لا يعول عليها . وفي مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠ جزيلة الفائدة
 وترجمة الواقدي في ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ والفهرست ٩٨
 ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر واعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموي طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ هـ وهو كالقصة داخل في كتاب فتوح الشام للواقدي وسنذكر سائر كتب الفتوح في اماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رأيت فيما تقدم من كلامنا عن القرآن والحديث والتجو والادب ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث في اسانيدھا والتفريق بين ضعيفها ومينها فجرم ذلك الى النظر في رواة تلك الاسانيد وتراجهم وسائر احوالهم حتى اصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الاخبار بمتونها واسانيدھا والاحاطة باحوال الثقلة والرواة عدولھا وثقاتھا ومطعونھا ومردودھا والاحاطة بالوقائع الخاصة بها فقسموا رواة كل فن الى طبقات فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات . ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقات الفرسان والمحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسايين والاطباء حتى التمداء والمغنين وغيرهم وألفوا في كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون اكثر ائمة الارض كتباً في التراجم لافراد الرجال

واقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذي تقدم ذكره كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكتاب الواقدي

ابن سعد صاحب الطبقات

توفي سنة ٢٣٠ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادقاً ثقة . صاحب الواقدي وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب اخبار النبي لم يصل اليه . ولكننا عرفنا كتاباً ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين او كتاب الطبقات الكبير يدخل في بضعة عشر مجلداً طبع في لندن سنة ١٣٢٠ هـ - ١٣٢٥ هـ وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهو روفنش وليبرت وسترستين وبروكلمن . ويقسم الى عدة اقسام في ثمانية اجزاء : الجزء الاول في السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثاني في المغازي (١٣٧ صفحة) والثالث في تراجم البدرين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهد بدرأ واسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم اهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن والجمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين (لم يطبع بعد) والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) . فصفحات الكتاب كله نيف والفا صفحة كبيرة غير التعاليق والفهارس ونحوها وهي نحو الف صفحة اخرى . والطبقات تحتوي على سيرة النبي ومغازيه وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصحابة والتابعين . وروايتها في صدرها متسلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن ابني الحسين الدمياطي . واسانيد ابن سعد في كل ترجمة على حدة . واكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبي وعبد الملك بن هشام . وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطة وبرلين والاسنانة وغيرها

وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج ١ والفهرست ٩٩

الانساب وكتابتها

ونعد الانساب من قبيل التاريخ دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر . وقد ذكرنا في الجزء الاول ما كان منها في الجاهلية (صفحة ١٧١) وفي العصر الاموي (صفحة ٢٣١) وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده جماعة اشهرهم :

١ - هشام الكلبي

المتوفى سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي . نشأ في الكوفة وكان نسبة طاماً بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها . أخذ عن أبيه محمد بن السائب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار وأيام الناس معدوداً بين المفسرين والنسائين . توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتاباً في تفسير القرآن . أما هشام فخلف نحو مائة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلاً صفحة (٩٦ - ٩٨) وقسمها إلى أبواب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات والمنافرات والموؤدات وبعضها في أخبار الاوائل . وبعضها فيما قارب الاسلام من امر الجاهلية وغيرها في أخبار الاسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب وفي الاخبار والاسمار والانساب . وأهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوي على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلاً عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه لان هذه الكتب ضاعت منذ أزمان ولم يبق منها إلا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب منها :

١ جزء من كتاب النسب الكبير أو جمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واكسفورد ولندن وغيرها

٢ نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام: منه نسخ في غوطا والاسكوريال وفينا
٣ كتاب الاصنام : أو كتاب تنكيس الاصنام نقل معظمه ياقوت في معجم البلدان وهو يشير هناك الى مأخذه ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا في ٢٩ ورقة
وتجد ترجمة هشام الكلبي في ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٦ والفهرست ٩٥

ومن النسائين في هذا العصر ٢ : الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ذكر له صاحب الفهرست عشرات من الكتب ٣ : المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ ذكر له أيضاً كثيراً من المؤلفات تزيد على ما ذكره لهشام الكلبي ٤ : ابن عبدة ٥ : علان الشعبي وغيرهم . ولو جمعت كتبهم في النسب وغيره لزادت على بضع مئات لم يصلنا منها غير ما

يرد ذكره عرضاً منقولاً عنهم في كتب الادب أو التاريخ أو الفتوح كالطبري
والبلاذري وياقوت وأبي الفرج صاحب الاغانى وغيرهم

—o—o—o—o—o—

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازي » ، وذكروا أسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها في أواخر القرن
الاول وفي النصف الاول من القرن اثناني للهجرة . لم يصح منها الا كتاب المغازي
لابن مسلم الزهري المتوفى سنة ١٢٤ وقد ضاع . وكتاب المغازي لموسى بن عقبة المتوفى
سنة ١٤١ هـ وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل
على الغزوات النبوية ومنها قطع منتخبة طبعت في أوربا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

وأما سيرة النبي كاملة فأقدم ما وصل الينا منها سيرة محمد بن اسحق رواية عبد الملك
بن هشام . وقد انفقوا على صحتها وفيها أيضاً نسب النبي وكثير من أخبار الجاهلية
وأنسابهم وعاداتهم وأديانهم ونحوها . ويرى الناقد فيها كثيراً من القصائد يغلب على
الظن أنها دخيلة ، وذكر صاحب الفهرست أنهم كانوا يعملون الاشعار ويأتون بها الى
ابن اسحق ويسألونه ان يدخاها في كتابه في السيرة فيفعل . أما السيرة أو المغازي
فهي أقدم المصادر التي بين أيدينا وأوثقها

عبد الملك بن هشام توفي سنة ٢١٣ هـ

وقد قدمنا ان السيرة المذكورة هي رواية ابن هشام وهو أبو محمد عبد الملك بن
هشام بن أيوب الحميري المعافري كان مشهوراً بعلم النسب والنحو أصله من البصرة
وأقام في مصر وألف كتباً في الانساب ضاعت وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ وهو الذي
روى سيرة النبي من المغازي والسير لابن اسحق وهذبتها ولخصها وهي الموجودة في
أيدي الناس . وترجمته في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١

محمد بن اسحق توفي سنة ١٥١ هـ

أما ابن اسحاق صاحب السيرة الاصلية فهو ابو بكر محمد بن اسحاق بن يسار
المطلي بالولاء المدني بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن
عبد مناف . سباه خالد بن الوليد في عين النمر وكان ابن اسحق ثبناً في الحديث والمغازي

فسمع عن أكثر العلماء أني المنصور وهو في الحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب وتوفي ببغداد سنة ١٥١ هـ ومن كتبه في المغازي أخذ عبد الملك بن هشام السيرة التي نحن في صدها . وترجمته في ابن خلكان ٤٨٣ ج ١ وقد طبعت السيرة مراراً أضبطها طبعة غوتجن سنة ١٨٦٠ بعناية ووستفييد المستشرق الألماني في مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن اسحق نقلها عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعفري من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة أيضاً في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا . وترجمها وايل المستشرق الى الألمانية ونشرت الترجمة في ستجارت سنة ١٨٦٤

وأما النسخة الأصلية رواية ابن اسحق فالمظنون ان منها نسخة في مكتبة كوبرلي بالأستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم طبع في ليدن سنة ١٨٩٠

الخلاصة

وبالجملة لم يبق أديب من أدباء ذلك العصر إلا وآتى في كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الاصمعي وأصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيراً من الحوادث وذهبت كتبهم . وليبيان ذلك راجع مقدمة مروج الذهب للمسعودي فتجد أسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودي في تأليف كتابه وأكثر مؤلفيها من أبناء العصر العباسي الاول لم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الألماني منذ عامين فانه عثر على الجزء السادس من كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسعود اليه . . وكما وقفنا على طبقات ابن سلام الجحفي بعد ان ظل المستشرقون دهرأ بأسفون لضياعتها وألغوا في ذلك الكتب والرسائل

نظرة عامة

في العصر العباسي الاول

انقضى العصر العباسي الاول وهو فاتحة العصور العباسية . وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر أئمة الفقه ووضعوا أساس المذاهب الاربعة الباقية الى الآن . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقتة وتلطف أسلوبه وتولدت فيه أبواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة نعي علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلا عن الترجمات

وكان أكثر اشتغال أدباء البصرة والكوفة في اللغة العربية وجمع ألفاظها وأخبار أصحابها وأمثالهم وأشعارهم وأنسابهم . وفيه وضعت السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح . وأكثر المشتغلين في هذه النهضة الموالي وأهل الذمة وبعض العرب

وهناك علوم أخرى ستولد أو تنشأ في الاعصر الآتية . وبعض العلوم التي ولدت في هذا العصر ستنضج فيما يلي وسيأتي الكلام على كل شيء في مكانه

ومما يستلفت الانتباه من أخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب ومجاميع الاشعار والاخبار والامثال مما يعد بالمئات أو الالوف ولم يبق منها الا بضع عشرات . وقد قرأ لاحدهم مئات من أسماء الكتب التي ألفها ثم لا نجد منها إلا كتاباً أو بضعة كتب كما رأيت في أخبار المدائني وهشام الكلبي وأبي عبيدة والاصمعي وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شيء

على أن هذا العصر أحسن حظاً من العصر الاموي الذي سبقه . وستكون الاعصر الآتية أحسن حظاً منه

العصر العباسي الثاني

او المائة الثانية من العصر العباسي الثاني

من سنة ٢٣٢ — ٣٣٤ هـ

تاريخه

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وقد يسمى العصر التركي لتسلط الأتراك فيه على أمور الدولة تمييزاً له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . وأما الأتراك فأول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم ^(١) وبدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله لأنه كان يكره الشيعة العلوية وهم من الفرس فاستبد فيهم وزاد في رعاية الأتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم أغرام ابنه المنتصر (أوهام اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر فمات وضميره يخزّه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحل أمر الأتراك استفحالاً عظيماً . ومما يحكى عن استبدادهم في الخلفاء أنه لما تولى المعتز فقد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال : « أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له : « فكم تقول إنه يعيش وكم يملك » قال : « مهما أراد الأتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك ^(٢)

وقد قتلوا المعتز هذا شر قتلة فانهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس بالدار فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده ^(٣) والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس ^(٤) . وبلغ من فقر القاهر بالله أنهم حبسوه وهو ملتف بقطن جبة وفي رجله

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤ (٢) الفخري ٢٢٠

(٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٧ (٤) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨

قباق خشب - فلا غرو اذا أصبح الخلفاء آلة في أيدي الاتراك . واذا تازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد ان كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة صار الخليفة يحلف لهم

نفوذ الخدم في هذا العصر

وفي هذا العصر عظم نفوذ الخدم في الدولة العباسية ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك أن الاتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم كان في جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم أن يحجروا عليهم قبل الخلافة ويحبسوه في القصور ليزيدوهم ضعفاً . وكان الخلفاء من الجهة الاخرى يميلون الى حبس أولادهم وأقاربهم خوفاً من تواطئهم مع بعض الاتراك على خلعهم أو قتلهم . ولا عسير لهم في اتناء الحجر الا الخدم والحصيان فألفوا أخلاقهم . وتحققوا بالاختبار أن حياتهم تنوقف بالاكثر على أمانة أولئك الخدم لما آسوه من غيرتهم عليهم وخصوصاً الحصيان اذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التفاني في خدمة أسيادهم ولا مطمع لهم بالملك لأولادهم وأهلهم . فأصبح ولاة المهدي اذا أفضت الخلافة اليهم بالغوا في تقريب الخدم بالمعطايا والاكرام التماساً لحمايتهم اذا أراد الاتراك الفتك بهم . فعمدوا الى الاستكنار من الخدم وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم في أمورهم

واستكثروا منهم حتى ألفوا منهم الفرق . وأول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والحصيان ١١٠٠٠ خادم من الروم والسودان وكثير من المال والجواهر فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفي أيامه نبغ مؤنس الخادم فقدمه وكان يستشيريه في أموره فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء وتولى رئاسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال واستبد في كل شيء لكنه على الاجمال خدم الخليفة المقتدر خدماً ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى أدت الى حروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك فأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لأنها طوع ارادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده (١) ناهيك بالجاسوسية وسوء الاحكام . قال ذلك الى طمع العمال والولاة بأعمالهم فأخذوا يستقلون فنشبت

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٧ ج ٤

المملكة العباسية الى امارات وممالك . وانقضى العصر الذي نحن في صدده بدخول
الدليم بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ وانشوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه
وبها يبدأ العصر العباسي الثالث

فالفساد الذي تقدم ذكره اثر في آداب اللغة ولا سيما في الآداب التي هي من آثار
النفس أو اعمالها كالشعر والخطابة والانشاء وقل الناغون فيها كما سترى . وفيه قيدت
الافكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعة فضعفت الحربة وعمد الناس الى التستر
بافكارهم خوفاً على حياتهم خلافاً لما كانوا عليه في اواخر العصر الماضي

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر الى آداب اللغة بأمر تمت فيه وهي:
١ ان فيه استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت اليها وقد وضعها أو
ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

٢ فيه ظهر اثر الانقلاب الادبي في الفاظ اللغة العربية فتشعبت معاني بعضها
حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم وشق ذلك على أدباء اللغة فوضعوا المقالات أو
الكتب في انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما افاد لان ذلك التنوع حدث بطبيعة
العمران . ومن انتقده ابن قتيبة في كتابه ادب الكاتب وسنين ذلك في مكانه - وراجع
كتابنا تاريخ اللغة العربية صفحة ٣٧

٣ وفي هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية ترجمة لا تزال باقية الى
الآن . ويغلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة العربية قبل الاسلام
وشاعت بين ادباء العرب وضاعت في صدر الاسلام . ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن
المأمون على يد احمد بن عبد الله بن سلام (١) ورأينا بعض ادباء ذلك العصر ينقلون عنها
فصولاً من أخبار الخليفة (٢) وربما ترجمها سواء أيضاً ولم يبق من تلك الترجمات شيء
الى الآن . واقدام ما وصل اليها من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي ويقال له سعديا
سعيد الفيومي وترجمة التوراة

ولد سعيد هذا في الفيوم نحو سنة ٢٨٢ هـ في ولاية خمارويه بن احمد بن طولون
على مصر وكان اسراييليا من الطائفة الربانية وكان بين هذه الطائفة وطائفة القرائين
مناظرة وجدال وكان سعيد من كبار رجال الدين والعلم فيهم فكتب كتباً كثيرة جدلية

في العبرانية وأخيراً ترجم كتب موسى الخمسة وسفري اشعيا وايوب من الاصل العبراني للنوراة الى العربية توسيعاً لدائرة احزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة من ترجمته في الآستانة بالاحرف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى وعرفت هذه الطبعة باسم «تراغولوت» . ثم ظهرت في طبعة البوليفلوت بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لاشعيا في جيننا سنة ١٧٩١ واما سفر ايوب فثمة نسخة خطية في مكتبة اوكسفورد وقد طبعت على حدة مع ترجمة فرنسوية بعناية ديرنبورج بباريس سنة ١٨٩٣

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثاني

مميزات الشعر في هذا العصر

١ ظهرت فيه شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر يثير فيه النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون اصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي عن ذلك (وهو من اهل ذلك العصر) بقوله :

ذهب الذين تهزئهم مداحهم هز الكفاة عوالي المران
كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهم مالا ربحية منهم بمكان^(١)

٢ كثر فيه ذكر المعاني الفلسفية وتعايرها لتفشي علوم الاقدمين بين المسلمين على اثر ترجمة الكتب في العصر الماضي وفي هذا . وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم . على ان الآراء الفلسفية ظهرت ناضجة في شعراء العصر العباسي الآتي ذكره

٣ ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلاً الا نزر يسير . على ان البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلاً عن الشعر . لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنائيات^(٢) . ولكن المشهور ان اول من فتح البديع بشار بن برد وابن هرمة ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور التمري ومسلم بن الوليد وابونواس

واتبع هؤلاء أبو تمام والبحري . ثم ابن المعتز فاتتهى البديع اليه وختم به (١) فانه
الطيف اصحابه شعراً واكثرهم بديعاً وهو من شعراء العصر العباسي الثاني
٤ نبغت طبقة من الكتاب اتقدوا الشعر وروايته وكانوا ينقلونه في العصر
السابق بلا تمحيص فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه وأساليبه
بعين النقد . ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب ارسطو في نقد الشعر الذي نقله
ابو بشر من السريانية الى العربية . واكثر الذين اشتغلوا في ذلك من الادباء . وسيأتي
ذكرهم في باب الأدب . أما النقد التاريخي فلم يجبرأوا عليه في هذا العصر لاضطرار
المؤرخين الى مصانعة رجال الدولة الا ما كان من الطعن في أعداء الخلفاء والامراء
٥ وفيه تقدم الشعراء خطوة أخرى في الزهريات والتغزل بها كقول ابن المعتز
يصف قضييا من الريحان

قضييب من الريحان شابه لونه اذا ما بدا للعين لون الزمرد
وشبهته لما تأملت حسنه عذارا تدلى في عوارض أمرد
وقول البحري :

ورق تغني على خضر مهدلة تسمو بها وتمس الارض أحيانا
تحال طائرها نشوان من طرب والغصن من هزه عطفيه نشوانا

أشهر شعراء هذا العصر

قد رأيت كثرة الشعراء في عصر بني أمية للاغراض السياسية التي اقتضاها مسلك
الامويين في السياسة بين العصبية والاحزاب مع تغلب البداوة على نفوسهم . ورأيت
كثرة الشعراء في العصر العباسي الاول بانتقال الدولة من البداوة الى الحضارة مع
رغبة الخلفاء ورجال الدولة في الشعر وسائر فنون الادب — وهو الباعث الاقوى
على ظهور قرائح الشعراء في كل عصر
أما في العصر العباسي الثاني الذي نحن في صدده فقد ضعفت تلك الاسباب
واشتغل الخلفاء بأنفسهم ورجالهم فلم ينبغ من فحول الشعراء فيه الا الذين
قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ولشعرهم صبغة تلام
ذلك العصر وهم :

١ - ابن الرومي

توفي سنة ٢٨٣ هـ

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج أوجورجيس ويعرف بابن الرومي نسبة إلى أصله وهو من موالي بني العباس . اشتهر بالتوليد في الشعر لانه أني بكثير من المعاني لم يسبق إليها . ومن مميزاتة أنه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارىء تمثيلاً ولد في بغداد سنة ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وكان شديد الهجاء جريئاً فيه حتى مات بسببه لانه هجا القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد فدرس إليه ابن فراش فأطعمه خشكناجحة مسمومة وهو في مجلسه فلما أحس بالسم نهض فقال له الوزير: « إلى أين » فقال: « إلى الموضع الذي بعثني إليه » فقال له: « سلم على والدي » فقال: « ما طريقي على النار » وأني منزله أقام فيه أياماً ومات . ومن بديع شعره في المدح قوله

المنعمون وما منوا على أحد يوم العطاء ولو منوا لما مانوا
كم ضن بالمال أقوام وعندهم وفر وأعطى العطايا وهو يد أن

وله أيضاً وقال ما سبقني أحد إلى هذا المعنى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا بدون نجوم
منها معالم للهدى ومصباح تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومن معانيه البديعة قوله

واذا امرؤ مدح امرءاً ثواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما اطال رشاه
وكذلك قوله في ذم الخضاب وهو مما لم يسبق إليه

اذا دام للمرء السواد واخلفت شيبته ظن السواد خضابا
فكيف يظن الشيخ ان خضابه يظن سواداً او يخال شبابا

وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له وكان لا يتوقع منه خيراً

سألتك في امر فجدت ببذله على أنني ما خلت انك تفعل
والزمتني بالبذل شكراً وانه علي من الحرمان ادهى واعضل
لئن سرني ما نلت منك فانه لقد ساءني اذا انت بمن يؤمل

ومن نظمه في الحكم

ارى فضل مال المرء داء لعرضه كما ان فضل الزاد داء لجسمه
فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم شيء كجسمه

ومن بديع معانيه

دهر علا قدر الوضع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه

ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كالمثنوي فيطالب صحة المعنى ولا يبالي
حيث وقع من هجته اللفظ وقبحه وخشوته (١) ومع ذلك فانك تجد في نظمه
سهولة ومثانة

وكان شعره غير مرتب رواه عنه المتنبي ثم جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على
الحروف . وجمعه ابو الطيب وراق بن عبدوس وزاد في جميع النسخ نحو ائف بيت .
منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ ورقة صفحاتها مزدوجة كبيرة
بخط قديم كتبت فيها الابيات في نهرين كل نهر في شطرين . واكثر شعره في
على بن يحيى بن ابي منصور والحسن بن عبيد الله بن سليمان وابي القاسم التوزي
الشطرنجي وانعتضد والقاسم بن عبيد الله وابن المدير وغيرهم ممن عاصروه . وله
اهاج شديدة ومدائح بايعة وقد ابدع في وصف الاخلاق والمواطف وفي العتاب
وله مرات مؤثرة بعضها في ابنه وامه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على ٣٠٠ بيت
اكثرها في المدح . ومن هذا الديوان نسخة في مكتبة الاسكوريال واخرى في مكتبة
طوب قبو وفي نور عثمانية بالاسنانة . ومن النريبان هذا الديوان النفيس لم ينشر بعد
واخبار ابن الرومي في ابن خلكان ٣٥٠ ج ١ والفهرست ١٦٥

٢ - البحتري

توفي سنة ٢٨٤ هـ

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بمنبج من أعمال الشام وتخرج بها . ثم
خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلفاء كثيراً من
الأكابر والرؤساء . وأقام في بغداد دهرأ طويلاً ثم عاد الى الشام . وله أشعار كثيرة
يذكر فيها حلب وكان يتنزل بها . وقد أدرك أبا تمام بجمص وعرض عليه شعره في
جملة من كان يأتيه لهذا الغرض . فلما سمع أبو تمام قوله أقبل عليه وترك سائر الناس
فلما تفرقوا قال له : « أنت أشعر من أنشدني » وأوصى به أهل معرفة النعمان فصار اليهم
فاكر موه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة الاولى

ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضله على أبي تمام . وسئل
هو مرة : « من أشعر أنت أم أبو تمام » فقال : « جيده خير من جيدي ورديثي خير من
رديثه » وسئل أبو العلاء المعري : « أي الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحرني أم المتنبي »
فقال : « المتنبي وأبو تمام حكيمان وأما الشاعر البحرني » على انه امتاز بقوة التصور
فانه كان يصور اخلاق المدح تصويراً لم يسبقه احد الى مثله . ومن احاسن شعره
في المتوكل قصيدة مطلعها

أخفي هوى لك في الضلوع وأظهر
والم في كمد عليك وأعذر
ويقول منها

بالبرصت وأنت أفضل صائم	وبسنة الله الرضية تظفر
فانعم بيوم الفطر عينا انه	يوم أغر من الزمان مشهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل	لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الحيال تسير فيه وقد غدت	عدداً يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي	والبيض تلمع والاسنة ترهر
والارض خاشعة تميد بنقلها	والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس طالعة توقد في الضحى	طوراً ويطفيها العجاج الا كدر
حتى طلعت بنور وجهك فأنجلى	ذاك الدجى وأنجاب ذلك العير
فافتن فيك الناظرون فأصبح	يومي اليك بها وعين تنظر
بجدون رؤيتك التي فازوا بها	من أنعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهلوا	لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهت الى المصلى لابساً	نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع	لله لا يزهي ولا يتكبر
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما	في وسعه لمشي اليك المنبر

ظل البحرني في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وله الحرمة
النامة حتى قتلا فرجع الى منبج وقد تحدى أبا تمام في البديع وبعده أماماً له ويقدمه
على نفسه كما رأيت . ثم صارت له طريقة في الجزالة والعدوبة والفصاحة والسلاسة
خاصة به تحداها معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة أهل الشام،
وكان الصاحب بن عباد يعجب بها ويحرض على حفظ أشعار اصحابها ويستملي الطارئين
عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفترأ ضخم الحجم عليها كان لا يفارق

بجلسه ولا يملا أحد منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي سن قلمه . فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ونارة بجله أو يورده في مراسلاته كما هو وكان البحرى بخيلاً وسخ الثوب ومن أقبض الناس انشاداً يتشادق ويتراور في مشيه مرة جانباً ومرة القهقرى يهز رأسه مرة وكتفه أخرى ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول: «أحسنت والله ما لكم لا تقولون أحسنت؟» فضجر المتوكل منه وما زال شعر البحرى غير مرتب حتى جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه أيضاً علي بن حمزة الاصهاني ورتبه على الانواع . وقد طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ وفي بيروت سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل في جزءين كبيرين . أكثره في مدح المتوكل والمعز والمستعين والمعتمد ورجال دولتهم . ولا تكاد تخلو قصيدة من استهلال بالغزل

حماسة البحرى

وللبحرى حماسة مثل حماسة ابي تمام طبعت في بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الاب شيخو وقد ذيلها بالفهارس . وهي تمتاز على حماسة ابي تمام من أوجه كثيرة: منها كثرة الابواب لان حماسة ابي تمام مؤلفة من عشرة ابواب وحماسة البحرى من ١٧٤ باباً تتضمن معظم المعاني الشعرية . وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر أكثرهم من الجاهليين والمخضرمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاستماع من الالفاظ البذيئة حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاها . كان البحرى جمعها لشبيبة هذه الايام . واطلعنا في المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة منقولة بالفوتوغراف في ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة ليدن

وللبحرى أيضاً كتاب معاني الشمر . وألف الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٧١ كتاباً انتقادياً في الموازنة بين ابي تمام والبحرى تصب فيه على ابي تمام وجداً في طمس محاسنه وتزيين مرذول البحرى . طبع في الاستانة سنة ١٢٨٧ هـ وأخبار البحرى في ابن خلكان ١٧٥ ج ٢ والافغاني ١٦٧ ج ١٨ والفهرست ١٦٥

٤ - ابن المعتز

توفي سنة ٢٩٦ هـ

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل من أبناء الخلفاء العباسيين . تحزب له جماعة من الجند الاتراك على العادة الجارية في ذلك العهد وخلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ ويابعوا لابن المعتز وسموه المرتضى بالله أقام يوماً وليلة . ثم تحزب اصحاب المقتدر

وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته . واحتفى ابن المعتز في بيت ابن الجصاص التاجر الجوهرى الشهير يومئذ . فآخذة المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله ودفعه الى أهله ملفوفاً في كساء . وكان ابن المعتز منحرفاً عن العلويين وله فيهم قصيدة باثية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة مطالعها :

الامن لعين وتسكابها تشكي الفذاة وتسكابها
الى أن يقول :

ونحن ورتبنا ثياب النبي فلم تجذبون باهدابها
لكم رحم يا بني بننه ولكن أرى العم أولى بها
به نصر الله أهل الحجاز وأراها بعد أوصابها

وعارضه صفي الدين الحلبي بقصيدة من وزنها وقافيتها مطالعها :

الأقل لشمر عباد الاله وطاعي قريش وكذابها

ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصي مدح بها الخليفة المعتضد ومزيبته على الخصوص بما في شعره من أنواع البديع كقوله في وصف مايبح :

وجاءني في قيص الليل مستتراً يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقتت أفرش خدي في الطريق له ذلاً وأسحب أذيالي على الاثر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامه قد قدت من الظفر
ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة في درة يضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء
كم ليلة قد سرني بمبيته عندي بلا خوف من الرقباء

ومن تشابهه قوله :

خليلي قد طاب الشراب المورّد وقد عدت بعد النسك والعود احمد
فهاذا عقاراً في قيص زجاجة كباقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة له حلق ييض تحل وتعقد
وقتي من نار الجحيم بنفسها وذلك من احسانها ليس يجحد

وكان ابن المعتز شاعراً مطبوعاً مقتدرأ على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القرينة ومن مزاياه الابداع للمعاني . وكان أيضاً من الادباء والعلماء تنقف على

المبرد وثلعب وغيرها . واشتغل بالعلم والادب فألف فيهما بضعة عشر مؤلفاً
وصلنا منها :

- ١ كتاب الادب : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني
- ٢ كتاب مختصر طبقات الشعراء : في مكتبة الاسكوريال
- ٣ كتاب البديع : وهو أهم كتبه بانظر الى اختصاصه في هذا الفن . منه
نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
- ٤ كتاب أشعار الملوك : منه نسخة في مكتبة المستشرق اهلوارت
وباسمه في مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفي مكتبة برلين
كتاب فصول التماثيل في تبشير السرور ولم يذكره له مؤرخوه . وعني لانغ الالماني
بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الالمانية وطبعه في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٨٦
وفعل ذلك أيضاً لوث وطبعه في ليسك سنة ١٨٨٢
- وقد جمعت أشعاره في ديوان مرتب على الانواع كالنثر والغزل وغيرها . وكل
منها مرتب على الابجدية . منه نسخ خطية في مكاتب باريس والقاهرة وغيرها وطبع
بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوطا
وتجد أخباره في ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٩ وفوات الوفيات
٢٤١ ج ١ والاغاني ١٤٠ ج ٩ والفهرست ١١٦

٥ - البسامي البغدادي

توفي سنة ٣٠٢ هـ

هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور ويعرف بابن بسام أيضاً. وهو غير
ابن بسام الشاتمريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وأما البسامي فامه بنت حمدون النديم. وكان
شاعراً هجاء لم يسلم من لسانه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير. وقد هجا أباه واخوته
وسائر أهل بيته فمن ذلك قوله في أبيه :

هبك عمرت عمر عشرين نسرأ أترى اني أموت وتبقي
فلئن عشت بعد موتك يوماً لأشقن جيب مالك شقأ
وقال في هدم المتوكل قبر الحسين :

تالله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد آناه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه ربما
وليس له ديوان معروف . وله مؤلفات في مناقضات الشعراء وأخبار الاحوص
وعمر بن أبي ربيعة لم يصلنا خبرها
وأخباره في ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ والفهرست ١٥٠ وفوات الوفيات ٨٣ ج ٢

٦ - الخبز أرزي

توفي سنة ٣١٧ هـ

هو أبو القاسم نصر بن أحمد من أهل البصرة وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان
يخبز خبز الارز بمربد البصرة ومنه اسمه . لكنه كان مطبوعاً على الشعر وكان ينشد
أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه لسماع شعره وبمحبون من حاله .
ثم ذاع خبره وتناقل الناس أشعاره . فمن غزله قوله :

خليبي هل أبصرتما أو سمعتما	باكرم من مولى تمشي الى عبد
أنتي زائراً من غير وعد وقال لي	أجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال نجم الوصل بيني وبينه	يدور بافلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر	وطوراً على تعريض تفاحة الخد

وله أيضاً :

رأيت الهلال ووجه الحبيب	فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما	هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين	وما راعني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب	وكنت أظن الحبيب القمر

وذكر له ابن خلكان كثيراً من الاخبار وأمثلة من الشعر في ترجمته ١٥٣ ج ٢
وفي يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢

٧ - ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨ هـ

اسمه أبو بكر الحسن بن علي كان ضريباً من أهل النهروان جيد الشعر واشتهر
بقصيدة رثى بها هراً والمقصود بالرثاء غلام كان له قتله علي بن الحسين . والقصيدة من
أحسن شعره مطلعها :

يا هـر فارقنا ولم تعد وكنت عندي بمنزل الولد

فكيف تفك عن هواك وقد كنت لنا عدة من العدد
تطرد عنا الاذى وتحرسنا بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفأر من مكانها ما بين مفتوحها الى السدد
يلقاك في البيت منهم مدد وأنت تلقاهم بلا مدد

وهي طويلة نشر ابن خلكان أكثرها في صفحة ١٣٨ ج ١ والدميري ٣٣٧ ج ٢
ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جارية المتوكل العباسي المتوفاة سنة ٢٦٠ هـ
وكانت تهاجي الشعراء ويجتمع عندها الادباء ولها في الخلفاء والملوك مدائح وكانت في
أول أمرها تشيع وتعصب لاهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجأها عند الملوك. وعشقت
سعيد بن حميد وكان منحرفاً عن اهل البيت فاتقت الى مذهبه . ولها أشعار تقيسة
منها أمثلة في فوات الوفيات ١٢٦ ج ٢ والاغاني ١١٤ ج ٢١

الادب والادباء

في العصر العباسي الثاني

خطا الادب في هذا العصر خطوة أخرى نحو النشوء والتفرع فبدأت علومه
بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الاديب النحو
واللغة والاحبار والامثال معاً. وقل من تفرغ لواحد منها — الا النحو فانه استقل في
ذلك العصر كما رأيت . وظلت سائر علوم الادب مختلطة. ففي هذا العصر اخذ علم اللغة
بالاستقلال وظهر علماء اشتغلوا بتعريف الالفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على
الابجدية تمهيداً لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة الا في العصر العباسي الثالث

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة أقسام : (١) الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار
والامثال والاشعار وغيرها (٢) النحو (٣) اللغة فتتكلم عن كل منها على حدة
وقبل التقدم الى ذلك لا بد لنا من التنبيه الى أمرين مهمين في تاريخ آداب اللغة :
الاول ان الاغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل
أهل الكوفة على أهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر
وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي أحيا ذينك البلدين لقربهما من البادية
وسطاً بين الحضارة والبداءة. واستبحر عمران بغداد وغابت الحضارة على نفوس المسلمين

فاخذ الادباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصاً بعد أن سطا صاحب الزنج على البصرة وأخربها . والامر الثاني أن نقل العلوم الى اللغة العربية اكسبها ميلا الى تأليف الكتب وغيرها . على مثال ماشاهدوه هناك من الكتب الجامعة لمواضيع مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لاصحاب العصر الاول أوقاها ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو . أما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر المواضيع العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية وغيرها . وان لم ينضج التأليف على الاجمال الا في العصر الآتي

مميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر باشياء أهمها :

١ انه كان في العصر الماضي مقصوراً على النقل بلا تصرف وانما كان همّ الاديب أن يروي ما سمعه بالاسناد الى الراوي أو سرد ما عاينه كما كان يفعل حماد والاصمعي وأبو عبيدة . فاصبح يتدبر تلك المرويات ويبنى عليها أو يستنتج منها حكمة أو عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرها . والسبب في ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطلعوا عليه من كتب الادب التي نقلت الى العربية من الفارسية والهندية وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوها عن اليونانية^(١)

٢ ان ما ألم بالامة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالي النكبات على الخلفاء حول همّ المفكرين الى نشر الحكم واخبار الزهد والزهاد وأقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فاخذوا يجمعون ذلك في كتب الادب

٣ أخذوا يجمعون شتات أخبار العرب على اختلاف مواضعها وما أخذها في كتاب واحد أو بضعة كتب وترتيبها في أبواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للاسباب التي قدمناها . كما في الموشى والعقد الفريد

٤ تغيرت وجهة الادب في نظر الادباء فقد كان الغرض منه بالاكثر طلب الرزق في دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة في الاطلاع على أخبار العرب وأشعارها وأمثالها . فاصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف وقل المقصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح بالاكثر الى الاشتغال في النحو واللغة ولم

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٢ ج ٣ وبعدها

ينقطع للاشتغال بالادب بالمعنى الذي قدمناه الا قليلون . وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب مع اشتغالهم بفنون أخرى من التاريخ أو السياسة أو الشعر وهذه تراجمهم حسب سني الوفاة :

ارباب العصر العباسي الثاني

١ - الجاحظ

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء من أهل البصرة ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته وكان جده أسود اللون جمالا وعمرو بن قلع الكناني . وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة المعارضة والتفكير ما جعله من كبار أئمة الادب. نشأ في البصرة وهي آهلة بالادباء والنحاة وأصحاب اللغة ونبغ في كل ذلك . وبلغ خبره الى المتوكل وكان طازما على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه في سر من رأى . فلما رآه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه . وله أخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . وأصيب في اواخر أيامه بالفالج النصفى فكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما أحس به من شدة برده في اصطلاحهم . وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه فلا يمر أديب أو عالم بالبصرة إلا طلب ان يرى الجاحظ ويكلمه . وكان اذا طلب أحد أن يراه يقول : « وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل » وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء في العصر العباسي الثاني وله اساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة خاصة به واشتهر بطريقة في الانشاء تنسب اليه تحداها بها الناس وعرفت باسمه . فهو قدوة المنشئين وامامهم في هذا العصر كما كان ابن المقفع امامهم في العصر الاول — وسنعود الى ذلك

الجاحظية

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة جماعة المفكرين في ذلك العهد تلتى العلم على ابي اسحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وكان علم الكلام قد نشأ على أثر نقل الفلاسفة والتبجح فيها . وطالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة

وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعه بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة . وان العباد لا يخلدون في النار بل يعبرون من طبيعتها . وان الله لا يدخل أحداً النار وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن أن يصير مرة رجلاً ومرة حيواناً . وان الله لا يريد المعاصي وانه لا يرى . وأن الله لا يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط . وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وانما الاعراض تتبدل والجواهر باقية . ونحو ذلك (١)

مؤلفاته

خلف الجاحظ مؤلفات عديدة طبع كثير منها ونشر هالك أهمها :

١ كتاب البيان والتبيين : (ويقال التبيين والتبيان) في الادب والانشاء والخطابة وابحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنسك والزهاد وأمثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي اللحن واللحنين وأحاديث ونوادير وغير ذلك وهو أصدق مثال للانشاء في أواسط القرن الثالث للهجرة . وقد طبع بمصر سنة ١٣١٣ وغيرها في مجلدين

٢ كتاب الحيوان : هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بانه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد أدبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ٤ مجلدات

٣ كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والغرائب : في اللغة طبعه المستشرق فان فلون في ليدن سنة ١٨٩٧ في ٤٠٠ صفحة ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦

٤ كتاب أخلاق الملوك : في الادب منه نسخة خطية بمكتبة ايا صوفيا

٥ « تنبيه الملوك والمسكائد : » » » » كوبرلي

٦ « البخلاء : في الادب طبع غير مرة في اوربا ومصر

٧ « سحر البيان : في كوبرلي

٨ « فضائل الاتراك : في ايا صوفيا وطبع بمصر مضبوطاً بالشكل سنة ١٨٩٨

٩ « سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والحريف : طبع بالاسنانة سنة

١٣٠٢ وفي مصر ٤٤ صفحة

- ١٠ كتاب العرافة والزجر والفراسة: على مذاهب الفرس خط في مكتبة ليدن
 ١١ المختار من كلام الجاحظ : وحكم علي : بمكتبة برلين
 ١٢ رسالة في بني أمية : في المكتبة الخديوية
 ١٣ ثلاث رسائل : طبعت في ليدن . و ١١ رسالة طبعت بمصر
 ١٤ كتاب طبقات المغنين : ذكرته مجلة المنتقد (مجلد ٢ ج ٨)
 ١٥ كتاب التاج : في جملة كتب زكي باشا تحت الطبع بمصر
 وترجمة الجاحظ في ابن خلسكان ٣٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٥٤

٢ - السُّكْرِي

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء السكري النحوي . وقد ذكرناه بين الرواة والادباء لاشتغاله بجمع الاشعار وكان راوية البصريين وهو الذي جمع أهم ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين وصدر الاسلام الى ايامه من القبائل والافراد . فمن الافراد الذين عمل السكري أشعارهم أي جمعها في دواوين امرؤ القيس وزهير والنايفة والحطيئة واميد ودريد بن الصمة وعمرو بن معديكرب والاعشى والمهلل ومنهم بن نورة واعشى باهلة وبشر بن أبي حازم والتمس والمسيب وحמיד بن ثور وحמיד الارقط وعدي بن زيد وعدي بن الرقاع وغيرهم مما يطول بنا بسطه . وقد ذكرهم ابن النديم في الفهرست مطولا (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكري ايضاً . ومن القبائل التي جمع السكري أشعارها بنو ذهل وبنو شيبان وبنو أبي ربيعة وبنو ربوع وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لا يزال بين ايدينا منها جانب ذكرناه في مواضعه وان لم يذكر في صدور الدواوين من جمعها . ومما ينسب الى السكري شرح ديوان امرؤ القيس . وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التي جمعها السكري في كتب الادب عرضاً . أما اشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين وقد وصل اليها مقتضباً مع شرح قايل . ومنه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع القسم الاول منه في لندن سنة ١٨٥٤ في نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة تحتوي على اشعار نحو ثلاثين شاعراً من الهذليين واخبارهم وعنوان هذا الجزء « كتاب شرح اشعار الهذليين صنعه أبو

سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية ابي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن ابي بكر احمد بن محمد الحلواني عنه « وفي صدر هذه الطبعة مقدمة انكليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفضليات والحماسة . وهناك كتاب لما بقي من اشعار الهذليين غير ما جمعه السكري طبع في برلين سنة ١٨٨٤

وللسكري - ٢ : كتاب اخبار اللصوص : فيه اخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه في ليدن سنة ١٨٥٩ وله - ٣ : شرح ديوان جران العود النيري منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية وله - ٤ : كتاب النبات ضاع . وترجمة السكري في طبقات الادباء ٢٧٤ ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ والفهرست ٧٨ و١٥٧ و١٥٩

٣ - ابن قتيبة

توفي سنة ٢٧٦ هـ

هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ وتفق على اهلها وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالماً في اللغة والنحو والشرع متفتناً بالعلوم صادقاً فيما يرويه مستقل الفكر جريئاً في قول الحق . وهو اول من تجرأ على النقد الادبي فألف في أكثر فنون الادب المعروفة . والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع وبعضها من امهات كتب التاريخ والادب وهالك ما وصل الينا خبره منها :

١ عيون الاخبار : في عشرة كتب ١ كتاب السلاطن ٢ كتاب الحرب ٣ كتاب السوداء ٤ كتاب الطبائع والاخلاق ٥ كتاب العلم باخبار العلم والعلماء ٦ كتاب الزهد ٧ كتاب الاخوان ٨ كتاب الحوائج ٩ كتاب الطعام ١٠ كتاب النساء . طبع في وليمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن وفي مصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين كل مجلد يدخل في مائة صفحة . ومنه نسخ خطية في مكاتب بطرسبرج والاسنانه وهو اول كتاب في نوعه من امهات كتب الادب

٢ كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن اقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وانساب العرب وسيرة النبي ومغازيه واخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف واهل العاهات ونوادير الحوادث والاديان واخبار ملوك العرب والعجم وقد طبع في غوتنجن بعناية ووستفيلد سنة ١٨٥٠ وفي مصر سنة ١٣٠٠

٣ كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء أو كتاب الشعراء أو اخبار الشعراء وكلها واحد. وهو يحتوي على تراجم « المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله » ويدخل في ذلك أخبار اشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى ايام المؤلف وامثلة من اشعارهم وفيه نظر وانتقاد. وقد وطبع في ليدن بعناية دي غويه سنة ١٩٠٤ وفي مصر سنة ١٩٠٥

٤ ادب الكاتب: يبحث فيما يحتاج اليه الاديب في صناعة الكتابة من الآداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتاب بايامه من الخطأ او الوهم في معاني الالفاظ او الاشتقاقات والتراكيب مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم. وقد قسم ذلك الى ابواب في اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني ومكاتب فينا وبترسبرج وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انكليزية لسيرول وطبع ايضاً في مصر مراراً . وله شروح عديدة أشهرها شرح البطليوسي المتوفي سنة ٥٣٩ هـ طبع في بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقضاب

٥ الامامة والسياسة: هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة النبي الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ومنه نسخ خطية في مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ كتاب الشراب او الاشربة : في اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة او يحرم . منه نسخة خطية في لندن وفي المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٩٠٧

٧ كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوبية نقل منه صاحب العقد الفريد فصلا في صفحة ٧١ ج ٢ ونشرت له مجلة المقنيس رسالة في الرد على الشعوبية (مجلد ٤)

٨ تأويل مختلف الحديث : منه نسخ خطية في مكتبتي برلين وليدن

٩ كتاب مشكل القرآن : « » « » « » ليدن وكوبرلي

١٠ المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١١ كتاب المسائل والاجوابات : اكثره في الحديث منه نسخة في مكتبة غوطا

وقد ذكر صاحب الفهرست كتباً اخرى لابن قتيبة اهمها كتاب « معاني الشعر الكبير » في ١٢ كتابا . وفي مكتبة اياصوفيا بالاسنانة نسخة من كتاب اسمه

« الشعر الكبير » لابن قتيبة لعلمه هو او بعضه . وكتاب « عيون الشعر » في عشرة كتب وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة. ووقف الاب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره نعتي كتاب « الرجل والمنزل » وجده في مكتبة الظاهر بدمشق ونشره في السنة ١١ من المشرق . وهو من قبيل مفردات اللغة التي ذكرناها للاصمعي وابي عبيدة . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الحديوية نسخة من كتاب خطي اسمه « كتاب العرب وعلومها » لابن قتيبة وترجمة ابن قتيبة في ابن خلكان ٢٥١ ج ١ وطبقات الادباء ٢٧٢ والفهرست ٧٧

٤ - ابن أبي الدنيا

توفي سنة ٢٨١ هـ

هو ابو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش كان يؤدب المكتفي بالله. وله علم بالاخبار وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار لم يصلنا منها الا :
١ الفرج بعد الشدة: مجموع اخبار اتفقت لانا من اصحابهم فيها بعد الشدة فرج. منه نسخ في برلين وليدن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ بحا فيه منحى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ اول من ألف في هذا الموضوع . ثم تحداها سواها حتى انتهى ذلك الى القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ فألف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في مجلدين وفي مقدمته تاريخ التأليف في هذا الموضوع

٢ مكارم الاخلاق : ٣ ذم الملاهي : منهما نسختان خطيتان في برلين

٤ فضائل عشر ذي الحجة : في ليدن

٥ كتاب من عاش بعد الموت : في منشن

٦ اليقين : في كوبرلي بالاسنانة ٧ الشكر : في نور عثمانية

٨ قرى الضيف : في مكتبة لاندبرج

وترجمة ابن ابي الدنيا في فوات الوفيات ٢٣٦ ج ١ والفهرست ١٨٥

٥ - قدامة بن جعفر

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي كان ابوه نصرانيا واسلم في ايام المكتفي (سنة ٢٨٩-٢٩٥) وتولى منصباً كبيراً في الدولة العباسية . وكان ادبياً شاعر ألف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠) لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقد الشعر : وهو اول كتاب مستقل في هذا الموضوع وسنعود اليه .
 طبع في الاسنانه سنة ١٣٠١

٢ كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان منه نسخة خطية في الاسكوريال

٣ كتاب الخراج : سيأتي ذكره في الكلام على الجغرافية

٦ - الوشاء

في القرن الثالث

هو أبو الطيب محمد بن احمد بن اسحق الاعرابي الوشاء أحد الادباء الظرفاء في
 اواخر القرن الثالث للهجرة . غلب عليه تصنيف كتب الاشعار والاخبار ذكر له
 صاحب الفهرست نحو ٢٠ كتاباً في النحو والادب لم يصلنا منها الا كتابان :

١ كتاب الموشى : وهو فريد في بابه يمثل آداب ذلك العصر ويتخلله كثير من
 المواعظ والحث على المصادقة والاحلاص والتعفف . وفيه وصف الازياء التي كانت
 شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات . وما اختير من الالفاظ للمسكاتيات . وفيه فصول
 ضافية فيما كانوا يكتبونه من الاشعار على الثياب والاعلام والعصائب والزناير والمناديل
 والستور والوسائد حتى النعال، وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان . فهو فريد بيبائه
 ومنه نسخة خطية في ليدن وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ وفي مصر سنة ١٣٢٤ وسموه
 كتاب الظرف والظرفاء

٢ كتاب تفریح المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة في
 مكتبة برلين . ونجد اخبار الوشاء في الفهرست ٨٥ وطبقات الادباء ٣٧٤

٧ - ابن عبد ربه

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو عمر احمد بن محمد عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد . أصله من موالي
 بني امية في الاندلس توفي سنة ٣٢٨ (وقيل ٣٤٨) وكان من العلماء المكثرين من
 المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكان شاعراً مطبوعاً . وانما اشتهر بكتابه
 العقد الفريد . وفي شعره ميل الى الشعر القصصي اي سرد القصة شعراً وهو قليل
 في العربية . له فيه ارجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس
 حسب السنين وكان معاصراً له وهي منشورة في الجزء الثاني من العقد الفريد

العقد الفريد . أما العقد الفريد فانه من أجل كتب الادب واحواها أو هو كالحزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر حتى الطب والموسيقى فضلا عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده . في ثلاثة مجلدات يزيد صفحاتها على الف صفحة كبيرة وهو مقسوم حسب المواضيع . وقد تأنق صاحبه في تقسيمه وتسمية ابوابه فسمها باسماء الحجارة الكريمة تطبيقاً لاسم الكتاب «العقد الفريد» ويشتمل الجزء الاول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ. والثاني في التعازي والمرآي والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات وأخبار الكتبة . والثالث في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وأيام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الاخوان والنساء والمنتبئين والمردة والبخلاء وطبائع الانسان وفي الطعام والشراب

وفي بعض هذه الابواب فصول تاريخية لا نجد مثلها في كتب التاريخ. فخبار زياد والحجاج والطالبيين فيها حقائق يبرز العنور عليها في كتاب آخر . وناهيك بايام العرب واعراض الشعر وما هناك من أخبار الخوارج والازارقة فضلا عن كثير من الاقوال المأثورة عن عطاء الملوك نقلا عن كتب ضاعت اصولها . فالعقد الفريد خزنة فوائده وهو من أمهات كتب الادب الثقة . ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما في الكتب السالفة يومئذ للاصمعي وابي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبي وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل . ولم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه . وقد طبع العقد الفريد مراراً في ثلاثة مجلدات وهو شائع . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب اوربا . وليس له سواء

وترجمة ابن عبد ربه في ابن خلكان ٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ وبتيمة

الدهر ٣٦٠ و٤١٢ ج ١

٨ - أبو بكر الصولي

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيى الصولي ويعرف بالشطرنجي ويتصل نسبه بملوك جرجان . كان عالماً بفنون الادب حسن المعرفة باداب الملوك حاذقاً بتصنيف الكتب وألعب أهل زمانه في الشطرنج وكان نديماً لجماعة من الخلفاء وجمع اشعار كثيرين كما فعل السكري

باشعار القدماء وقد اشرنا الى شيء من ذلك في اما كديوان ابن المعتز وديوان ابي تمام وابي نواس والبحري . والف في اخبار الخلفاء واشعارهم كتابا سماه « الاوراق في اخبار آل العباس واشعارهم » قال ابن النديم: « انه لم يتمه والذي خرج منه اخبار الخلفاء وأشعار اولاد الخلفاء من السفاح الى أيام المعتز ». ولكن في المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولي هي من قبيل اخبار الشعراء رتب أسماءهم على أحرف الهجاء وأكثره في اخبار ابان اللاحقي شاعر البرامكة وابنائهم الشعراء كمحمد بن ابان وابان ابن حمدان بن ابان وغيرهما . واخبار اشجع بن عمرو السلمي واشعاره مرتبة في ابواب واحمد بن يوسف وزير المأمون وآله . وابن صبيح كاتب دولة بني العباس وتوقعات احمد المذكور وكلامه فضلا عن اشعاره . وجاء في آخر الكتاب انه شرع بترجمة اسحق بن ابراهيم الموصللي وتوفي قبل ان يتمها . وذلك بخلاف عما ذكره ابن النديم وله كتب اخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم نقف عليها . واخباره في طبقات الادباء ٣٤٣ والفهرست ١٥٠ و١٥٦

أدباء آخرون

ومن الادباء والرواة في هذا العصر أيضاً ابو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ وجحظة البرمكي (٣٢٦ هـ) وابو بكر بن مروان الدينوري المالكي المتوفى سنة ٣١٠ له كتاب المجالسة وفيه اخبار وآداب منه نسخة في باريس . وابراهيم بن ابي عون الكاتب توفي سنة ٣٢٢ وله كتاب لب اللباب في جوابات ذوي الالباب منه نسخة في برلين . وابو الازهر بن مزيد النحوي (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين في الاسكوريال . (ولابي القاسم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم في مكتبة برلين) وابو بكر الخرائطي السامري المتوفى سنة ٣٢٧ له كتاب اعتلال القلوب في المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق في ليدن



الانشاء

في العصر العباسي الثاني

رأيت ما كان من اسلوب الانشاء في صدر الاسلام من البلاغة والايجاز حتى انتهى في العصر الاموي الى عبد الحميد الكاتب فاطال الرسائل وأدخل التحميدات في فصول الكتب . فلما كان العصر العباسي الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين في ذلك العصر كما يظهر في ترجمة كليله ودمنة وهو انشاء مرسل بلا تسجيع ولا تقطيع

أسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا اراد التأنيق في الانشاء في معرض الخطابة او التهديد او التنبيه عمد الى السجع ونوع عبارته تنوعاً خاصاً كما فعل في كتبه الاخرى ولا سيما اليتيمة والادب الصغير . فمن ذلك قوله في اليتيمة :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة . فرأيت امراً استقام بغير رأي . واعواناً جزوا بغير نبل . وعملاً انجح بغير حزم . فلا يفرنك ذلك ولا تستم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين »

وقد يتفنن في تقطيعه كقوله : « وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم اجساداً ، واوفر مع اجسادهم احلاماً . واشد قسوة واحسن بقوتهم للامور اتقاناً . واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختياراً »

وفي كل حال لا بد من التمييز بين انشاء الكتب وانشاء الرسائل او المقالات الادبية ونحوها . فانشاء الكتب لا يزال مرسل بلا سجع او تقطيع مثل كتاب كليله ودمنة . واما الرسائل او المقالات الادبية او الفصول التي يصدر عنها الكتب فهي من قبيل الخطب . فالكاتب يتأنق بها ويبدل جهده في تنميقها كما فعل ابن المقفع في كتابه الدرر اليتيمة التي أتينا بالمثالين المذكورين منها - فالتنويح الذي يصيب الانشاء بتوالي الاعصر انما يقع على هذا الانشاء في الغالب وما يصدق عليه يصدق على الخطب

أسلوب الجاحظ

فلما دخل العصر العباسي الثاني نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لا يشق لهم غبار امامهم الجاحظ وضع اسلوباً في الانشاء محدود فيه . وذلك انه جعل الجملة قطعاً صغيرة كالشعر لكن بدون وزن ولا قافية . او هو سجع لا تشترط فيه القافية كقوله « جنبك الله الشهية . وعصمك من الحيرة . وجعل بينك وبين المعرفة سبباً وبين الصدق نسباً . وجب اليك الثبوت . وزين في عينك الانصاف . واذاقك حلاوة التقوى . واشعر قلبك عز

الحق وأودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس . . الخ »
 وقد أدخل الدعاء خشواً معترضاً يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :
 « وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة . وسقطات الخطل يوم
 اطالة الخطية . باعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة . وعن الحصر من فوات
 درك الحاجة . والناس لا يميرون الحرس . ولا يلومون من استولى على ييانه العجز .
 وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . . الخ »
 وهذا الاسلوب في الانشاء ينسب الى الجاحظ وقد توخاه معاصروه فنسجوا على
 منواله كبن قتيبة والمبرد وابن ثوابة وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الاصفاني
 جامع ديوان أبي نواس فانه من أهل العصر الثاني وأسلوبه كاسلوب الجاحظ - قال في
 مقدمة الديوان المذكور :

« سألتني ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك أقصى أملك . وزادك من أفضل ما
 خولك . وأحسن ما منحك . ولا أعدمك جميل ما عودك . أن أصرف لك عنايتي الى
 عمل مجموع من شعر أبي نواس . يشتمل على كل أشعاره . وجل أخباره . وقد أسعفتك
 أيدك الله بطلبتك وأجبتك الى ملتصك . . الخ »

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار أكثر ابلاغاً للمعنى وأشد تأثيراً في النفس
 حتى رأبناهم ينتقدون ما كان شائعاً من الایجاز في صدر الاسلام كقول يزيد لما كتب
 الى مروان حين بلغه نلكوه في بيعته : « أما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى
 فاعتمد على أيهما شئت » قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « ان هذا لو قيل الآن لم
 يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدى ويحذر وينذر . . »
 ولا يؤخذ من ذلك أن تكون أساليب الكتاب في ذلك العصر واحدة من كل
 وجه فان ذلك غير طبيعي . والطبيعي أن يكون لكل كاتب اسلوب يعرف به . ولكن
 أبناء العصر الواحد تتشابه أساليبهم ويغلب ان يكون احدهم مقداماً يسرون على
 خطواته فيقلدونه في اسلوبه كل منهم جهد طاقته . والجاحظ في هذا العصر امام اهل
 الادب وقدوة المنشئين

كساد البضاعة وفساد العقيدة

وأصاب صناعة الادب في هذا العصر كساد كما اصاب الشعر للاسباب التي قدمناها
 من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط . وانصراف الناس الى الفلسفة
 والطبيعات والمتطق من العلوم الحادثة عندهم . وشيوع الشعوية واحتقار العرب

والطعن على كفاءتهم وعلومهم . فاصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة في ادب الكاتب: « رأيت كثيراً من كتاب زماتنا كسائر أهله . قد استطابوا الدعة . واستوطأوا مركب المعجز . واعفوا انفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر . حين نالوا الدرك بغير سبب . وبلغوا البغية بغير آلة . ولعمري كان ذلك . فإين همة النفس واين الانفة من مجانسة الهام . وأي موقف اخزي لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره فقراً عليه يوماً كتاباً — وفي الكتاب (ومطرنا مطراً أكثر عنه الكلاً) فقال له الخليفة ممتحناً (وما الكلاً ؟) فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال (لا ادري) فقال له (سل عنه) ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه (حاضر طي) فصحفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين »

ذلك ما بعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه وذكر الشروط اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع في العلوم الاسلامية والادبية فضلاً عن اللغوية كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية

ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء في عصره قوله :

« رأيت أكثر اهل زماتنا هذا عن سبيل الادب ناكين . ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين . اما الناشئ منهم فراغب عن التعليم . والشادي تارك للازدباد . والمتأدب في عنفوان الشباب ناس او متماس ليدخل في جملة المحدودين ويخرج عن جملة المحدودين . فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون . حين خوى نجم الخير وكسدت سوق السبر . وبارت بضائع اهله . وصار العلم عاراً على صاحبه . والفضل نقصاً . واموال الملوك وقفاً على النفوس . والجاه الذي هو زكاة الشرف . يباع يبيع الخلق . وآضت المروآت في زخارف النجد وتشديد البنيان . ولذات النفوس في اصطفاق المزهار . ومعاطاة الندمان . ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف . وماتت الخواطر . وسقطت همم النفوس . وزهد في لسان الصدق وعقد الملكوت . فابعد غايات كاتبنا في كتابته . ان يكون حسن الخط . قويم الحروف . واعلى منازل ادبنا ان يقول من الشعر ابياتاً في مدح قينة او وصف كأس وارفع درجات لطيفنا . ان يطالع شيئاً من تقويم الكواكب . وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق . ثم يترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه . وعلى حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالنكذيب وهو لا يدري من نقله .. الخ «
وتكثر دعاة الانشاء في ذلك العصر عن غير معرفة وتوهموا انه يحلو
بالاكثر من اللفظ الغريب فأمحى عليهم ابن قتيبة باللامعة . واتي مثلاً على ذلك بقول
يحيى بن يعمر لرجل خاصته امرأته فقال له: « أن سألتك عن شكرها وشبك انشأت
تظاها وتضلها » وكقول عيسى بن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضره بالسياط :
« والله ان كانت الاثيابا في اسفاط قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة : « فهذا واشباهه
كان يستقل والادب غض . والزمان زمان . واهله يتحلون فيه بالفصاحة . ويتنافسون
في العلم . ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون . فكيف به اليوم
مع انقلاب الحال ؟ »

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء ادب الكاتب لابن قتيبة والسكامل
لمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابن علي القالي . وزيد عليها العقد الفريد
لابن عبد ربه والاغاني لابن الفرج الاصفهاني واذا اريد الانشاء خاصة فكليلة ودمنة
وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع
ذلك كان شأن الانشاء في العصر العباسي الثاني واكثر ادبائه من المنشئين .
وسيخطو خطوة اخرى في العصر الآتي

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثاني

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدُّهم من النحاة لانهم اشتغلوا في النحو وانما
جعلنا اكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اكتفوا من النحو بكتاب سيديويه ولم
يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه . فانصرفت قرايحهم الى ما دعت اليه المدينة من
الاشتغال في الادب واللغة واصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكليات . وان كان
قد ألف بعضهم فيه بين مختصر فيه او في بعض ابوابه او تعليقا على كتاب سيديويه
— فان اصحاب هذه المختصرات او التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنايتهم الى
الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال في النحو فتسلكهم عنهم في هذا الباب ونذكر
ما وصل الينا من مؤلفاتهم وهم :

أشهر النحاة في هذا العصر

١ - أبو عثمان المازني

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقرية المازني من أهل البصرة . أخذ عن أبي عبيدة والاصمعي واليه انتهى النحو في عصره فكان هو شيخ اهله . وله مؤلفات كثيرة في النحو والعروض لم يسانا منها شيء . وهو الذي امتنع عن تعليم الذمي كتاب سيبويه مع ما بذله له من المال لثلا يمكنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الواثق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ومن جملتها جائزة على اعراب « أظلم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام بحية ظلم » في حديث طويل . وكان المازني معاصراً لأبي عمر الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ وهما عمدة النحو في البصرة يومئذ . والمازني أول من دون علم التصريف وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو وترجمته في ابن خلكان ٩٢ ج ١ ومعجم الادباء ٣٨٠ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٤٢

٢ - أبو العباس ثعلب

توفي سنة ٢٩١ هـ

هو أبو العباس احمد بن زيد بن سيار النحوي مولى بني شيبان ويعرف بثعلب ولد سنة ٢٠٠ هـ وتلقى العلم على ابن الاعرابي . وكان حجة مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم . فضلا عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين والبصريين في زمانه اقام في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ وألف في اكثر فنون الادب نحو ٢٢ كتاباً ذهب معظمها واليك ما وصل الينا خبره منها :

١ كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس طبع ليبسك سنة ١٨٧٦ في نحو ٧٠ صفحة . وقد ألف انتقاداً عليه أبو القاسم علي بن حمزة البصري سماه كتاب التنبيه على ما في الفصيح من الغلط . منه نسخة خطية في الاسكوريال . وللشيخ أبي سهل الهروي شرح على الفصيح سماه التلويح في شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ومعه ذيل على الفصيح لموفق الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ وشرحه ايضاً أبو العباس الترمذي شرحاً سماه شرح غريب

- الفصيح منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاسنانة . وقد كتب الزجاج نقداً
 عليه منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية
- ٢ كتاب قواعد الشعر : جاء في أوله ان قواعد الشعر اربع أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ
 واستخبارٌ وأنى بامثلة عليها من أقوال الشعراء الفحول. منه نسخة خطية في الفاتيكان
 وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٠ في ٤٢ صفحة
- ٣ شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
- ٤ « الاعشى : في تلك المكتبة أيضاً
- ٥ كتاب الامالي : ذكره صاحب المزهرة وخزانة الادب. منه نسخة خطية في
 مكتبة برلين . وفي المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس ثعلب في ١٣٢ ورقة
 أخباره في ابن خلكان ٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٣ ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢
 والفهرست ٧٤

٣ - أبو اسحق الزجاج

توفي سنة ٣١١ هـ

هو ابو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج . سمي بذلك لانه كان يخرط
 الزجاج . تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجرة بمشقة لقلّة ذات يده . ثم طلب
 بعضهم معلماً من المبرد فدلمهم عليه وصار مؤدباً للقاسم بن عبيد الله بن سليمان فسكان
 ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة هالك ما بقي منها :

١ كتاب سر النحو : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط قديم جد
 تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفي آخره مانصه : « قرأه علي أبو جعفر
 احمد بن محمد مسمار في صفر سنة ٣٥١ الخ . . » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين
 مؤلفات الزجاج في الفهرست

٢ كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم : منه نسخة في غوطا

٣ « خلق الانسان في اللغة : وفيه اسماء أعضاء الانسان ومنه نسخ خطية

في المتحف البريطاني وفي المكتبة الخديوية

٤ كتاب معاني القرآن : منه نسخ في نور عثمانية بالاسنانة وفي المكتبة الخديوية

وتجد اخبار الزجاج في ابن خلكان ١١ ج ١ ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ وطبقات

الادباء ٣٠٨ والفهرست ٦٠

٤ - ابن الانباري

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري من أهل الانبار. وهو غير كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ. كان أبوه ابو محمد الانباري من أهل الاخبار والنحو فتلقى ابنه العلم عنه وعن ثعلب. وكان يضرب به المثل بسرعته الخاطر وحضور البديهة. وكان قوي الذاكرة يملئ علمه مما حفظه في ناحية وأبوه في ناحية أخرى من المسجد في بغداد. وكان ابن الانباري يحفظ ٣٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن باسانيدها وذلك من غرائب الحفظ. والف في النحو واللغة والادب والقرآن والحديث. وكان يطيل التأليف فن كتبه كتاب غريب الحديث قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما. واليك ما وصلنا من كتبه :

- ١ كتاب الاضداد في النحو : طبع في لندن سنة ١٨٨١ وفي مصر سنة ١٩٠٧
 - ٢ « الزاهر : في معاني كلمات الناس . منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة وسيأتي ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي
 - ٣ شرح المفضليات : منه نسخ خطية في ايا صوفيا وبني جامع والمكتبة الخديوية
 - ٤ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء : منه نسخة في المتحف البريطاني وكوبرلي
 - ٥ كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس
- وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ والفهرست ٧٥

٥ - ابن ولاد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجاج واسمه ابو العباس احمد بن محمد بن ولاد من أهل مصر وقد توفي فيها . وخلف كتاباً في النحو اسمه المقصور والممدود منه نسخ خطية في برلين وباريس وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ وهو جزيل الفائدة مرتب على حروف الهجاء

٦ - أبو جعفر النحاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج . وقد يسمى الصفار . وهو غير ابن النحاس النحوي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ . اصله من مصر ورحل الى بغداد

فاخذ عن المبرد والاختش والزجاج وغيرهم ثم عاد الى مصر فاقام بها حتى مات . وكان صاحب فضل كثير وعلم واسع وخلف مؤلفات كثيرة في اللغة والادب والقرآن لم يصلنا منها الا :

- ١ شرح المعلقات السبع : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية
 - ٢ كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط جميل في ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم
 - ٣ كتاب معاني القرآن : منه الجزء الاول فيها أيضاً
 - ٤ ناسخ القرآن ومنسوخه : في المتحف البريطاني
- وتجد ترجمة النحاس في معجم الادباء ٧٢ ج ٢ وابن خلكان ٢٩ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٣

٧ - أبو القاسم الزجاجي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

هو عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي من افاضل النحاة من اهل نهاوند. أخذ عن الزجاج فنسب اليه وتولى التعليم في دمشق وطبرية ومات فيها ولم يذكر له الفهرست الا كتاباً في القوافي لم نقف عليه . وقد وصل الينا مما ينسب اليه :

- ١ كتاب الجمل في النحو : هو أهم مؤلفاته منه نسخ خطية في اكثر مكان اوربا . وله شروح منها شرح ابن العريف منه نسخة في المكتبة الخديوية . وقد شرحه البطاليوسي وانتقده هو وغيره : ومنها شرح لابن الضائع منه نسخة في المكتبة الخديوية قديمة الخط

٢ الزاهر : جمع فيه الفاظ الزاهر اللانباري المتقدم ذكره والفاخر المنضل ابن سلمة الآتي ذكره مع تنقيح وتهذيب . منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية في ١٧٩ ورقة

٣ الامالي في اللغة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤

وترجمته في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩ والفهرست ٨٠ وهناك طائفة من النحاة نبغوا في هذا العصر اغضينا عن تراجمهم لانهم لم يصلنا من كتبهم ما يستحق الذكر كابن الحائل وابي عمرو الزاهد والحامض واليزيدي وابن السراج ونفطويه والمنذري والاختش الاصغر وابن المرزبان وعمر الجرمي وغيرهم

مزاهب البصريين والكوفيين

في النحو

وفي هذا العصر وما بعده احتدم الجدل بين البصريين والكوفيين في قواعد النحو واختلفوا في كثير من احكامه وشروطه. وقد الف في ذلك الاختلاف كثيرون اشهرهم كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ الف كتابا في « الانصاف في مسائل الخلاف » وابو البقاء العكبري الف كتاب « التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » وقد لخص جلال الدين السيوطي ذلك عن هذين الكتائين في الجزء الثاني من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع في حيدر اباد الهند سنة ١٣١٧ هـ في أربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مائة مسألة ومسألتين — هذه أمثلة منها :

<u>عند الكوفيين</u>	<u>عند البصريين</u>
الاسم مشتق من الوسم	الاسم مشتق من السمو
معربة في مكانين	الاسماء الستة معربة في مكان واحد
المصدر مشتق من الفعل	الفعل مشتق من المصدر
يجمع	الاسم المنتهي ببناء التانيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون
معرب	فعل الامر مبني
المبتدا يرفعه الخبر	المبتدا مرتفع بالابتداء
يتضمن	الخبر اذا كان اسماً مختصاً لا يتضمن ضميراً
لا يجوز	يجوز تقديم الخبر على المبتدا
يقام	لا يقام مقام الفاعل الظرف والمجرور مع وجود المفعول
اسمان	نعم وبئس فعلان مبنيان
يبني من السواد والبياض	لا يبني فعل التعجب من الالوان
لا يجوز	يجوز تقديم خبر ليس عليها
يجوز	لا يجوز دخول نون التوكيد على خبر لكن
يجوز	لا يجوز تقديم الاستثناء في اول الكلام
يجوز	يقال قبضت الخمسة عشر درهما
	ولا يقال الخمسة العشر درهما

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثاني

وقد يعدُّ لغويو هذا العصر أيضاً من النحاة أو الأدباء . لكننا افردناهم لاشتغالهم على الأكثر في اللغة . نعني الالفاظ من قبيل المعاجم أو ما هو في سبيلها . ويقال بالاجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الا في العصر الآتي . على ان علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك أكثر ممن تقدمهم من أهل العصور السابقة . فألف بعضهم كتباً تشبه المعاجم كما سترى في تراجمهم وآثارهم وهم :

١ - أبو عمرو الهروي

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو عمرو شمر بن حمدوية الهروي كان ثقة عالماً حافظاً للغريب راوية للاشعار وال اخبار . ولم يسانا من كتبه شيء وانما ذكرناه لانه الف معجبا في اللغة بدأ فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه أحد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره وقد ذكره صاحب طبقات الادباء (صفحة ٢٦٠) في ترجمة المؤلف

٢ - أبو حاتم السجستاني

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني كان عالماً باللغة والشعر . أخذ عن ابي زيد و ابي عبيدة والاصمعي ولم يكن حاذقاً في النحو لكنه كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفاً اكثرها في اللغة من باب المعاني المجتمعة في أصل مشترك تدخل في باب واحد ككتاب الحشرات وكتاب خلق الانسان وكتاب الوحوش والسيوف والابل والجراد والكرم ونحوها . وليست هي من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعي أو الطبي أو الزراعي وانما يراد بها الواجهة اللغوية لتمييز المسميات باسمائها — واليك ما وصل الينا من كتبه :

١ كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ فيه تراجم الذين عمروا من الرجال في الجاهلية مع طرف مما قالوه في منتهى اعمارهم . وبلغ عددهم مئة وعشرة رجال في

معنى مغلق « فهو يعدُّ من كتب اللغة الممهدة للمعاجم . وفيه كثير من الفوائد التاريخية . أهمها فصل في الخوارج يحوي حقائق هامة من تاريخ بني أمية . وقد طبع الكامل في ليبسك سنة ١٨٦٤ وفي الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ وفي مصر سنة ١٣٠٨

٢ كتاب المقتضب : عاينه شرح لسعد الله الفارقي المتوفى سنة ٣٩١ هـ منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب النعازي والمرأى : منه نسخة خطية في الاسكوريال

٤ رسالة في الجواب على سؤال وجهه اليه الواثق بشأن الشعر والنثر . منه نسخة خطية في مكتبة مونيخ واخرى في برلين

وترجمته في ابن خلكان ٤٩٥ ج ١ وطبقات الادباء ٢٧٩ الفهرست ٥٩

٤ - المفضل بن سلامة

في أواخر القرن الثالث

هو أبو طالب المفضل بن سلامة بن عاصم اللغوي . وكثيراً ما يقع الالتباس بينه وبين المفضل بن محمد الضبي الاديب المتقدم ذكره . ولعل السبب في ذلك ما يجدونه في ترجمة ابنه محمد في ابن خلكان اذ زاد في نسبه هناك لفظ «الضبي» ونظن ذلك سهواً من ابن خلكان أو من النساخ . لان نسبه في الفهرست وفي طبقات الادباء ليس فيه لفظ «الضبي» ويؤيد ذلك أن ابن خلكان لم يترجم المفضل الضبي الاديب . ووقع في ما نقله ابن خلكان من ترجمة المفضل بن سلامة تشويش في اسماء مؤلفاته فحاء اسم كتاب الفاخر «المفاخر» وكتاب البارع «التاريخ» وهو خطأ في النسخ أو الطبع . والمفضل بن سلامة من لغويي العصر العباسي الثاني على مذهب اهل الكوفة . وقد استدرك على الخليل وخطأه في كتابه . وذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفاً لم يصلنا منها الا :

١ كتاب الفاخر : في اللغة وموضوعه معاني ما يجري على السنة العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معناه . فيأتي بالمثل ويشرحه نحو ما في كتاب مجمع الامثال للميداني . منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ١٤٦ صفحة كبيرة . ونسخة أخرى من جملة كتب زكي باشا في ١٣٥ ورقة

٢ كتاب العود والملاهي : في آلات الطرب وهل تعاطيها يخالف التقوى . وهو يرى انه جائز وأنى بالادلة على ذلك . منها نسخة في جملة كتب زكي باشا

وترجمة المفضل في الفهرست ٧٣ وطبقات الادباء ٢٦٥ وابن خلكان ٤٦٠ ج ١

٥ - ابن دريد

توفي سنة ٣٢١ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي . ولد في البصرة سنة ٢٢٣ ونشأ وتعلم فيها . وأخذ النحو عن السجستاني والرياشي وابن أخي الاصمعي . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان أقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة . ثم رحل الى نواحي فارس وصحب ابني ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس وألف لهما كتاب الجهرة الآتي ذكره . فقلدها الديوان وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابني ميكال عن فارس . فاجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين ديناراً في الشهر الى وفاته سنة ٣٢١ هـ .
وقد نبغ ابن دريد في اللغة وكان من أكبرها مقدماً بها وبالانساب والاشعار . وكان شاعراً كثير الشعر وله المقصورة المشهورة التي مدح بها الشاه ابن ميكال وولديه مطلعها :

أما ترى رأسي حاكي لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى

عدد أبياتها ٢٢٩ بيتاً وفيها كثير من آداب العرب واخبارهم وحكمهم وامثالهم وعارضه بها جماعة من الشعراء وشرحها كثيرون . وله قصائد اخرى وانما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان اكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام مقام الخليل بن احمد فيها وأورد أشياء منها لم توجد في كتب المتقدمين . وقد ذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفاً هالك ما بلغنا خبره منها :

١ المقصورة : أو كتاب المنصور والممدود قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية في فرانكيري سنة ١٧٧٣ وفي هردوفيكي سنة ١٧٨٦ وفي غيرها . ومنها نسخ خطية وشروح في معظم مكاتب اوربا أهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمي السبتي . وفي المكتبة الحديوية شرح المقصورة خطأ للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ واسمها الآيات المقصورات . وفي مكاتب اوربا وغيرها نسخ خطية من أشعاره الاخرى

٢ الجهرة في اللغة : وهي أهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لانها معجم مرتب على أحرف الهجاء اتبع في ترتيبه ترتيب كتاب العين للخليل . فبدأ بالثنائي ثم

الثلاثي فالرباعي فالحق الرباعي فالخماسي والسداسي وملحقتهما . وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد. ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على ابجدية الخليل. وطريقة التفتيش فيه غير مألوفة عندنا فانه يأتي في باب الثلاثي مثلاً في فصل العين بالاحرف الثلاثة التي أولها عين مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع أحرفها . فيقول « ع ل ن » علن الامر يعلنه علناً ... واللعن أصله الابعاد .. والنعل معروف ... ونعل الفرس ما أصاب الارض من حافره الخ ». وقد سماه الجهمرة لانه اختار فيه الجهور من كلام العرب . ومنها نسخ خطية في مكاتب لندن وباريس وكوبرلي وبني جامع ونور عثمانية وايا صوفيا بالاسنانه . ونسخة ناقصة في المكتبة الخديوية

- ٣ كتاب الاشتقاق : في أسماء القبائل والعائير وأخاذها وبطونها وساداتها وشعراتها وفرسانها على شكل المعاجم. وفيه فوائد لغوية. طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٤
- ٤ كتاب صفة السرج واللاجام : طبع في ليدن سنة ١٨٥٩
- ٥ كتاب الملاحن : طبع في هيدلبرج سنة ١٨٨٢ وفي مصر قريباً
- ٦ « المجتبى : فيه أقوال النبي موجود في المتحف البريطاني واكسفورد
- ٧ « السحاب والنيث وأخبار الرواد : طبع في ليدن مع كتاب السرج واللاجام وأخباره في ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٢٢ والفهرست ٦١

٦ - عبد الرحمن الهمداني

توفي سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني كان اماماً في اللغة والنحو وكتاباً لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي. له مؤلفات جزيلة الفائدة لم يصلنا منها الا : كتاب الالفاظ الكتائية : وهو مما يستعان به في تعميق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة كل منها مجموع في باب خاص من قبيل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي غيرها ومن كتب اللغة في هذا العصر كتاب المنجد لابي الحسن الهنائي المعروف بكراع في أوائل القرن الرابع للهجرة رتبته على ستة أبواب في أعضاء البدن وأصناف الحيوان والطيور والسلاح والارض منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له أيضاً مرتب على الهجاء في المتحف البريطاني

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت في كلامنا عن التاريخ في العصر الماضي أن الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب وأخبار الفتوح والطبقات وذكرنا أشهر من ألف فيها. ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لاخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له أهل العصر الماضي . وإنما عمد أهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد أن اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس ^(١) وبعد اتساع معارف القوم على أثر ترجمة كتب العلم القديمة عن أمم الامم. وقد تفرقت أحكام الشرع فلم تبق حاجة الى الخوض في الفتوح وأسبابها فاقصروا على تلخيص اخبارها وتبويبها وتحقيقتها وضبطها. وضعفت العصبية العربية لتسلط الأتراك وغيرهم واستقرت الانساب . فلم تبق حاجة الى الخوض في النسب وعلومه . وشاعت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على أثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام فأجهت الافكار الى تأليف الكتب الخاصة في أحوال المدن وأحوال الامم

وهناك ضرب من التاريخ تخلف عن علم الادب أو تفرع عنه نعتي أخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وشعراءهم وسائر أحوالهم. فهذه كانت داخلة في علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر فلما اتسعت معارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرع عن الادب كما تقدم كان من جملة فروع ما تخلف عن الاخبار التي كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة أو تعبير أو شعر أو نحو ذلك . وتوسعوا فيه فصار تاريخاً لكنه مقصور على أخبار العرب وبلادهم . وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم في جملة علماء الادب كالأصمعي وأبي عبيدة وإنما جعلناهم في جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء في التفرع والتنوع

فالمؤرخون في هذا العصر ينقسمون الى أربعة أقسام ١ مؤرخو الفتوح ٢ أخبار العرب وأحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها ٣ تاريخ البلدان والامم أي تاريخ كل بلد أو أمة على حدة — أو التاريخ الخاص ٤ التاريخ العام . واليك أشهر من ألف في كل قسم من هذه الاقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة

(١) تاريخ النعمان الاسلامي ١٥٦ ج ٣

أولاً - مؤرّفو الفتوح

في هذا العصر ختم تاريخ الفتح الاسلامي لذهاب الحاجة اليه بالفراغ من الفتوح الا ما كتبوه في فتح بعض المدن او الممالك بعد فتح بيت المقدس او نحوه او نقل ما مضى . وهاك اشهر مؤرخي الفتوح

١ - ابن عبد الحكم

توفي سنة ٢٥٧ هـ

هو آخر من دون الفتوح الاسلامية الخاصة في صدر الاسلام . واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من اهل مصر . كان ابوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيهاً من اصحاب مالك وأفضت اليه رئاسة المالكية وكان غنياً وجبياً . وفي ايامه اتى الامام الشافعي الى مصر فدفعت اليه الف دينار واخذ له من ابن عسامة التاجر . الف دينار ومن رجائين آخرين الف دينار . وكان لعبد الله هذا ولدان محمد صاحب الامام الشافعي . والآخر عبد الرحمن الذي نحن في صددده وله مؤلف واحد كبير اسمه «فتوح مصر والمغرب والاندلس» منه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد نشرت منه قطعة عن فتح افريقية طبعت في غوتنجن سنة ١٨٥٦ وقطعة اخرى عن فتح الاندلس طبعت في لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة انكليزية . وهو تحت الطبع كله الآن بادارة لجنة تذكاري جيب الانكليزية في لندن . واخباره في ابن خلكان ٢٤٨ ج ١

٢ - البلاذري

توفي سنة ٢٧٩ هـ

اسمه أبو جعفر احمد بن يحيى بن جابر البلاذري . وهو خاتمة مؤرخي الفتح ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة ونشأ في بغداد وتقرّب من المتوكل والمستعين والمعز . وعهد اليه هذا بتقييف ابنه عبد الله الشاعر المشهور . وكان شاعراً وكاتباً ومترجماً ينقل من الفارسية الى العربية . ومن شعره يتان مدح بهما المستعين هما :

ولو أن برد المصطفى اذ حويته يظنُّ لظنُّ البرد انك صاحبه

وقال وقد أعطيته فلبسته نعم هذه أعطاه ومناكبه

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر أيامه فاخذ الى البهارستان لانه شرب تمر البلاذر على غير معرفة ومنه اسمه . ومات على الاغلب سنة ٢٧٩ أول أيام المعتضد وله مؤلفات أهمها :

١ فتوح البلدان : هو أشهر كتبه ويظهر انه مختصر من كتاب أطول منه كان قد أخذ في تأليفه وسماه « كتاب البلدان الكبير » لم يتمه فاكتفى بهذا المختصر . وهو يدخل في ٥٠ صفحة ذكر فيها أخبار الفتوح الاسلامية من أيام النبي الى آخرها بلداً بلداً لم يفرط في شيء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخطه . وضمنه فضلاً عن الفتوح ابحاثاً عمرانية أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ كاحكام الخراج أو العطاء وأمر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق ذي غويه . ونشرته في مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ وهو أجمع كتب الفتوح وأصحها

٢ أنساب الاشراف : ويسمى أيضاً الاخبار والانساب وهو مطول في ٢٠ مجلداً لم يتم . وكان ضائعاً فعثر المستشرق الالماني اهلوارت في مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسم فرجع انه من أجزاء كتاب البلاذري الذي نحن في صدده . فطبعه في غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه في ٤٥٠ صفحة . وفيه كثير من أخبار بني أمية في زمن عبد الملك والوليد . ويدخل في ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير واخيه عبد الله واخبار الخوارج وترجمة البلاذري في الفهرست ١١٣ وفي صدر طبعة فتوح البلدان

ثانياً - مؤرخو جزيرة العرب

يدخل في هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه . والغالب في هؤلاء أن يكون ما يكتبونه مقصوداً على أخبار العرب وأيامهم وقبائلهم وسائر احوالهم ويدخل في ذلك أيضاً أنساب العرب . لان الانساب بعد ذهاب دولة العرب وتغير وجه العطاء على القبائل لم يبق لها شأن سياسي حيوي . وبعد أن كان ثبوت نسب الرجل في قبيلة يدر عليه المال أصبح مقصوداً على التفاخر بالاجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث في أوائل الدولة فاصبح من جملة أخبار العرب . ويدخل في هذا الباب أيضاً أخبار القبائل وحروبها وأيامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة أو ما تألف من ذلك كالطبقات ونحوها وهالك أشهرهم :

١ — محمد بن حبيب

توفي سنة ٥٢٤٥ هـ

هو أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية مولى بني العباس . كان من علماء بغداد بالانساب والاخبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الاعرابي وقطرب وابي عبيدة وكان مؤدبا . وقد ألف كتباً كثيرة ذكر منها ابن النديم ٣٣ كتاباً في الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة وهالك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب القبائل والايام الكبير : هو اهم كتبه الفه للفتح بن خاقان وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست وقال في وصفه : « رأيت النسخة بعينها عند ابي القاسم ابن أبي الخطاب بن الفرات في طاحي نيف وعشرين جزءاً وكانت تدل على انها نحو من اربعين جزءاً في كل جزء ٢٠٠ ورقة واكثر . ولهذا النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والايام بخط التسري بن علي الوراق في طلحي نحو ١٥ ورقة » لكن هذا الكتاب فقد وانما ذكرناه لاهميته لعل أحدا يعرف وجود شيء منه في بعض المكاتب

٢ مختلف القبائل ومؤتلفها : أو المؤتلف والمختلف في النسب . الغرض منه بيان اسماء القبائل المتشابهة لفظاً المختلفة نسباً وضبط لفظها جيداً . وهو جزيل الفائدة مع صغره . طبعه وروستفيد في غوتجن سنة ١٨٥٠

٣ كتاب من نسب الى امه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية رواية عثمان بن جني

٤ كتاب المخبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن النبي والصحابة والخلفاء منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٥ كتاب المغتالين : منه نسخة خطية في جملة كتب زكي باشا . ويسمى ايضاً كتاب من قتل غيلة . وترجمة محمد بن حبيب في الفهرست ١٠٦

٢ — الزبير بن بكار

توفي سنة ٥٢٥٦ هـ

هو أبو عبد الله الزبير بن بكار ويتصل نسبه بعبد الله بن الزبير بن العوام . كان من أعيان العلماء في المدينة ولد سنة ١٧٢ هـ وتولى القضاء في مكة ودخل بغداد مراراً

آخرها سنة ٢٥٣ هـ وتوفي في مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ هـ وكان شاعراً أديباً
جليل القدر. بعث المتوكل في طلبه لتأديب ولده وامر له بعشرة آلاف درهم وعشرة
تخوت وعشرة ايفل يحمل عليها رحله الى سر من رأى

ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلاً في النسب والوفود والنوادر واخبار الشعراء
ونحو ذلك — واليك ما وصل الينا منها :

١ كتاب نسب قريش واخبارهم : منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد
(بودليان) وفي كوبرلي بالاستانة

٢ الموفقيات : هي قطع تاريخية ألفها لتلميذه الموفق بن المتوكل في ١٩ جزءاً
لم تصلنا منها الا اربعة اجزاء من ١٦—١٩ طبعها ووستنفيد في غوتجن سنة ١٨٧٨
وترجمة ابن بكار في ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠

٣ — عمر بن شبة

توفي سنة ٢٦٢ هـ

هو ابو زيد عمر بن شبة ويقال له ابن ربطة النخعي لانه كان مولى لبني نخير ولد
سنة ١٧٣ هـ ونشأ في البصرة شاعراً اخبارياً راوية صادق اللهجة . وتوفي في سر
من رأى سنة ٢٦٢ هـ وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتاباً
في وصف البصرة والكوفة ومكة وامراتها وغير ذلك ضاعت كلها الا كتاباً وقفنا
عليه في المكتبة الخديوية خطأ اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ولم يذكر في مؤلفاته
بهذا الاسم . وهو يشتمل على اخبار العرب العرباء وشيء من ايامهم وأشعارهم
وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم والبيزنطيين ، واكثر روايته عن ابن نافع وابن
اسحق . وهو من قبيل الفصص التاريخية . ونفرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع
فما يلي من هذا الكتاب

وترجمة ابن شبة في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ والفهرست ١١٢

ويدخل في هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . وسائر
تراجم الشعراء لابن السكري وكتاب المعمرين للسجستاني وقد ذكرت في اما كتبها

ثالثاً — التواريخ الخاصة

في العصر العباسي الثاني

وزيد بها تواريخ البلدان والامم والقبائل والطوائف كل منها على حدة كتاريخ دمشق وتاريخ بغداد او قريش أو القبط أو الروم أو نحو ذلك . والتأليف فيها قدم عند العرب حتى قبل الاسلام . فقد ذكر المسعودي ان عدي بن زيد العبادي الف في تاريخ الروم واقتبس المسعودي منه . وقد الف بعضهم في ايام بني امية والف غيرهم في هذا العصر لكن اكثر ما ألفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة وتاريخ واسط لاسلم بن سهل وتاريخ اصفهان ليجي بن منده وغيرها . وهاك اشهر من وصل الينا شيء من تواريخهم الخاصة الى آخر هذا العصر :

١ — الازرقى

اسمه ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الازرقى : له كتاب اخبار ايام مكة . عني بطبعه ووستنفيد في ليبسك سنة ١٨٥٨ في جملة مجموعة مؤلفة من اربعة اجزاء سماها اخبار مكة استغرق طبعا ٣ سنوات (١٨٥٨—١٨٦١) اهم ما فيها كتاب الازرقى المذكور . ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكي . ومن شفاء الغرام لتقى الدين الفاسي . ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهرواني وغيرهم . وهي احسن مجموعة في اخبار مكة الى القرن السادس للهجرة وترجمة الازرقى في الفهرست ١١٢

٢ — ابن طيفور

توفي سنة ٢٨٠ هـ

هو ابو الفضل احمد بن ابي طاهر واسم ابي طاهر طيفور اصله من ابناء خراسان من اولاد الدولة . ولد في بغداد وكان مؤدب كتاب عامياً ثم اشتغل بالتأليف واشتهر به ونبغ نبوغاً عظيماً . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتاباً لم يبق منها الا النزر اليسير اهمها :

١ تاريخ بغداد . هو اقدم ما وقفنا عليه من تاريخها . ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس استخرجه الدكتور كير الالماني من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر

في ليبسك سنة ١٩٠٨ وعلق عليه الملاحظات مع ترجمة المانية . ويحتوي على تاريخ
المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من احسن ما نظم أو ثر في
العربية الى عصره في بضعة عشر جزءاً . رأينا منها ثلاثة اجزاء في المكتبة الخديوية
(١١ و ١٢ و ١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة . ومنها بضعة اجزاء في لندن

٣ بلاغات النساء : طبع في مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور في معجم الادبام ١٥٢ ج ١ والفهرست ١٤٦
أما الكتب الخاصة بتواريخ الامم فان ابا الحسن المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ الف
كتباً حجة ذكر ابن النديم عشرات منها وقد ضاعت كما ضاع سواها من امثالها
وكذلك سير الافراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خمارويه ليوسف ابن الداية
المتوفى سنة ٣٣٤ هـ منه شذرات اقتبسها من أرخ مصر بعده كان سعيد وغيره

رابعاً — التاريخ العام

في العصر العباسي الثاني

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجاً فيه . وكانت
التواريخ قبله في مواضع متفرقة لاغراض مختلفة . فلما اطلع المسلمون على تواريخ
الامم الاخرى احبوا ان ينسجوا على منوالها . وزادت في اتناء ذلك علائق المسلمين
بسواهم . فاصبح همهم النظر في التاريخ على الاجمال . فأخذوا يؤلفون التواريخ
العامة التي تبدأ بالخليقة وتفرق الامم ثم تواريخ تلك الامم . وأهم ما وصلنا منها في
هذا العصر خمسة كتب خمسة من المؤرخين — اليك تراجمهم حسب سني وفاتهم
مع وصف كتبهم :

١ — اليعقوبي

توفي سنة ٢٧٨ هـ

هو احمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي وجدته من موالي المنصور .
وكان رحالة يحب الاسفار . ساح في بلاد الاسلام شرقاً وغرباً . فكان سنة ٢٦٠ هـ
في ارمينية ورحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . ولف في سياحته هذه
كتاباً سماه كتاب البلدان وهو اقدم كتاب عربي وصل الينا في الموضوع . لم تذكر

السنة التي توفي فيها يعقوبي ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفي بعد سنة ٢٧٨ وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ يعقوبي نشره المستشرق هوسما في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين : الاول في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام . وتدخل فيه أخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والتوبة والبجة والزنج والحيريين والفساسنة والمناذرة. والثاني في تاريخ الاسلام وينتهي في زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبته حسب الخلفاء . ومن مزاياه فضلا عن قدمه أن مؤلفه شيعي فيأتي بأشياء عن العباسيين يتحاشى سواها ذكرها . وللمستشرقين ابحاث انتقادية في هذا الكتاب

وسنأتي على ذكر كتاب البلدان في باب الجغرافية

٢ - أبو حنيفة الدينوري

توفي سنة ٢٨٢ هـ

هو احمد بن داود من أهل الدينور. أخذ علمه عن البصريين والكوفيين وأكثر أخذهم عن ابن السكيت . وكان متفناً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند . فهو يعد من النحاة أو اللغويين أيضاً ولكننا جعلناه من المؤرخين لان أهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » في التاريخ العام يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب يعقوبي . لكنه اختصر في التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه في تاريخ بني امية وخصوصاً أخبار علي ومعاوية والخوارج والازارقة . وينتهي التاريخ المذكور بوفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ وقد طبع في لندن سنة ١٨٨٨ في ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عديدة ضاعت وفي جملتها كتاب في النبات من حيث اللغة لم نقف عليه . ولكن منه قطعاً في كتاب التنبيهات على اغلاط النحاة ونقل عنه المخصص وترجمة أبي حنيفة الدينوري في معجم الادباء ١٢٣ ج ١ والفهرست ٧٨

٣ - ابن جرير الطبري

توفي سنة ٣١٠ هـ

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري علامة وقته وامام عصره . ولد في آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ورحل في طلب العلم فجاها بغداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر في بغداد يقرئ الحديث والفقاه حتى مات

سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعي ثم اختار لنفسه مذهباً في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضوعوا فيه الكتب . منهم علي بن عبد العزيز الدولابي ومحمد بن احمد بن ابي التليج وابن العراد وأبو الحسن احمد بن يحيى المنجم وأبو بكر ابن كامل وغيرهم . وكل منهم الف كتباً في بسط مذهب ابن جرير الطبري ودافع عنه ورد على مخالفيه

واشتهر الطبري بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل . حتى قالوا انه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله فان كتابيه اللذين اشتهر بهما يعني التاريخ والتفسير ذكروا أن كلا منهما كان في أول الامر ٣٠٠٠٠ ورقة أي ٦٠٠٠٠ صفحة ثم أشار عليه تلامذته باختصارها فصارا الى ما هما عليه وقد الف التفسير قبل التاريخ . وكل منهما مرجع الكتاب في موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لسعة علمه في القرآن وعلومه وباخبار الناس وأيامهم . وكان حر الفكر صريح القول اذا اعتقد أمراً جاهر به لا يخشى في الحق لومة لائم . فكثير اخصامه من العامة ومن يتزلفون اليهم أو يرتزفون بمرضاتهم ولا سيما الحنابلة لانه الف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل . فقيل له في ذلك فقال: «لم يكن فقيهاً وإنما كان محدثاً» فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدداً في بغداد فنقموا عليه واتهموه بالاحاد وشاركهم اكثر العامة — ولو سئلوا عن معنى الاحاد ما عرفوه . وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها أبوه في طبرستان . فلما توفي في شوال سنة ٣١٠ هـ دفن في داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهاراً . والف كتباً ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفاً هذا ما بقي منها :

١ كتاب أخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبري وهو تاريخ عام يبدأ بالحاوية وينتهي سنة ٣٠٢ هـ يدخل في عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة . وقد طبع في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . استغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ — ١٨٩٢ في ٢٣ جزءاً . وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ١٣ مجلداً . وقد اتبع في أخباره الاسناد الى روايتها بالنسائل لزيادة التحقيق على عاداتهم في ذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق حتى الآن . وتعالى القوم في اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمي صاحب مصر ٢٠ نسخة منها واحدة بخط المؤلف . وكان في دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتأتى اقتناؤه الا

لعلوك وأهل الثروة ولما اظلم الشرق في الاجيال الوسطى وخيم الجهل احرقت
المكاتب فضاعت نسخته . فلما ارادوا طبعه في لندن لم يجدوا منه نسخة كاملة في مكان
واحد فاضطروا الى جمعها من عدة اماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية
البلعمية . و ترجمه عن ترجمة البلعمية زوتنبرج الى الفرنسية وطبعت الترجمة في سنة
١٨٧٤ في ٤ مجلدات . و ترجمه ايضاً بعضه الى اللغة اللاتينية وطبع في غريزوالد
سنة ١٨٦٣ و ترجم الى التركية وطبع في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عني غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور — منهم عريب بن سعد الكاتب
القرطبي الف ذيل على الطبري ينتهي الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبري في
لندن . و محمد بن عبد الملك الهمذاني المتوفى سنة ٥٢١ هـ تم حوادث التاريخ الى سنة
٤٨٧ هـ تمامه تكملة تاريخ الطبري ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس

٢ التفسير الكبير : سيأتي ذكره في باب التفسير

٣ تهذيب الآثار في الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه في مكتبة كوبرلي

٤ اختلاف الفقهاء : يبحث فيها اختلف فيه الفقهاء الاربعة في بعض الاحكام
كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة وما يتفرع عن ذلك طبع بمصر سنة ١٣٢٠
ورجمة الطبري في ابن خلكان ٤٥٦ ج ١ وابن الاثير ٤٩ ج ٨ والفهرست ٢٣٤

٤ - ابو زيد البلخي

توفي سنة ٣٢٢ هـ

هو احمد بن سهل ولد في بلخ ونشأ في العراق وادرك الكندي الفيلسوف
واخذ عنه ثم عاد الى بلاده فخدم امراءها . وكان مطلعاً على العلوم القديمة ولذلك
اخذ في مؤلفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر . وكان ذلك سبباً في غضب الوجهاء
عليه وبعد ان كانوا يدرون عليه الاعطية قطعوها عنه ونسبوه الى الاحاد شأنهم في
كل من يتظاهر بحرية الفكر والقول . ولا يبي زيد عشرات من المؤلفات في مواضيع
مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٨) ضاعت كلها . وقد وصانا ما لم يذكره
الفهرست بل رواه صاحب كشف الظنون او غيره وهو :

١ كتاب البدء والتاريخ : يمتاز عما تقدمه من كتب التاريخ العام بأنه اوسعها
جميعاً في اخبار الخليفة وقصص الانبياء واخبار الامم القديمة . وفيه تواريخ الخلفاء
الى ايامه . وقد عني بترجمته الى الفرنسية الاستاذ هيوار المستشرق الفرنسي

وطبع الاصل والترجمة في شالون سنة ١٩١٠

٢ صور الاقاليم : هو من قبيل الجغرافية وسنذكره بين جغرافي العصر العباسي الثالث لانه قدوسهم في رسم الخرائط
وترجمة ابي زيد الباهلي في معجم الادباء ١٤١ ج ١ والفهرست ١٣٨

٥ - ابن البطريق

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

هو افيخوس سعيد بن البطريق ولد سنة ٢٦٣ في القسطنطينية واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ. وخلف من الآثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب «نظم الجواهر» في التاريخ الفه لآخيه عيسى في معرفة النواحي من عهد آدم الى سني الهجرة وينتهي الى سنة ٣٢١ هـ من الدولة العباسية . وهي السنة التي صار فيها المؤلف بطريقا على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية. وقد طبع كتابه هذه في اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق في مجلدين صفحاتها نحو ١١٠٠ صفحة . وطبعت قطع منه في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ . وفيه كثير من أخبار النصارى وأعيادهم وذكر البطارقة وأحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب بحجى ابن سعيد بن يحيى الانطاكي بكتاب سماه «تاريخ الذيل» طبعه روزن المستشرق الروسي في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعليق في اللغة الروسية اضعاف الاصل العربي—فجاء الكتاب المطبوع في نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربي وترجمة سعيد بن البطريق في طبقات الاطباء ٨٦ ج ٢

ولست هذه كل كتب التاريخ الهامة التي الفت في هذا العصر . فان مئات منها ضاعت واكثرها في اخبار الخلفاء والوزراء والنسب واخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففي مقدمة مروج الذهب اسماء نحو مائة منها استعان بها السعودي في تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التي اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها وفيما ضاع منها كتب هامة ككتاب التاريخ واخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وغيره من نواحي الامويين . فان اخبار هذه الدولة ضاعت في ايام بني العباس زلغاً من الكتاب لاهل الدولة . وبعض الكتب التي ذكرها السعودي فانت صاحب الفهرست وقليل منها لا يزال باقياً الى الآن كتاريخ يعقوبي والطبري

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثاني

اسباب وضع الجغرافية عند العرب

نشأ علم الجغرافية في هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس وعايه معولهم في تقويم البلدان . على أن المسلمين بدأوا بوضع الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها وهي :

أولاً : الحج لان المسلمين على اختلاف بلادهم يحججون الى مكة والحج فريضة على كل مسلم . والقدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل
ثانياً : كان المسلمون يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثاً : ابحاثهم في تحقيق اسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات وهذه أيضاً تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها . فاضطر العرب الى التأليف في البلدان قبل هذا العصر . وأول من فعل ذلك رواة الادب وأصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها أخذوا في تأليف الكتب على منالها وتوسعوا في ذلك وزادوا عايه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وكتبوا ما شاهدوه أو حققوه وصححوها كثيراً من مغالط بطليموس . على ان علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا في القرن الرابع للهجرة فهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (أو العصر العباسي الثاني) الذي نحن في صده مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند أنفسهم لكثرة أسفارهم في سبيل الرحلة أو لاشتغالهم في احصاء خراج المملكة وفي تعيين طرق البريد مما يقتضي معرفة الاماكن وابعادها وجهاتها وبعد ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما الفوه في هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية وغيرها ونسميه « الجغرافية العامة » ومنه ما يختص بقعة من الارض وندعوه « الجغرافية الخاصة » واليك أقدم من الف في كليهما :

مؤلفو الجغرافية العامة

١ - ابن خردادبه

في أواسط القرن الثالث للهجرة

هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خردادبه . كان خردادبه مجوسياً واسلم على يد البرامكة . وتولى حفيده أبو القاسم البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس ونادم المعتمد وخص به . والف كتباً في أدب السماع واللهو والملاهي والشراب وجمهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصان إلا :

كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في أواسط القرن الثالث وقد نشرنا ذلك الاحصاء في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمي عن الجباية والطرق والمسافات . وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ بعناية المستشرق دي غويه مع ترجمة فرنساوية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلاً عن تقاسيم المملكة وطول المسافات بين البلاد

وترجمته في الفهرست ١٤٩

٢ - قدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء (صفحة ١٧٢) له كتاب الخراج وصناعة الكتابة لم يصلنا منه الا نحو مائة صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلاً عن مقادير الجباية لسنة ٢٢٥ هـ طبعت في ليدن مع ترجمة فرنساوية . وقد نشرناها أيضاً في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٥٧ ج ٢)

٣ - كتاب البلدان لليعقوبي

قد تقدم ذكر اليعقوبي بين المؤرخين (صفحة ١٩٦) . أما كتاب البلدان فقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من أحوال البلدان في عصره لانه عانى الاسفار من صغره وكان كما رأى رجلاً من تلك البلدان بالشرق والمغرب سأله عن وطنه ومصره وأحوال أهله وأجناسهم وأكلهم وشربهم ولباسهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح ويدون ما وصل اليه حتى ألف كتاب البلدان . فهو من أمهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر . وقد أفاض المؤلف على الخصوص في وصف بغداد كما

كانت في أيامه ووصف سامرا وتاريخها . ثم ذكر بلاد المشرق وهي في اصطلاحهم بلاد فارس شرقي العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٦١ هـ بعناية المستشرق جونبول . وطبع ايضاً في جملة « المكتبة الجغرافية » والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى أواخر القرن الرابع في ثمانية مجلدات وهي :

١ المسالك والممالك لابن خرداذبه وكتاب الخراج لقدماء ٢ كتاب البلدان لابن الفقيه ٣ كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي ٤ مسالك الممالك للاصطخري ٥ المسالك والممالك لابن حوقل ٦ احسن التقاسيم للمقدسي ٧ كتاب التنبية والاشراف للمسعودي ٨ فهرس ابجدي عمومي

طبعت كلها في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتي ذكر الباقي في اماكنه

٤- ابن الفقيه

هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمداني ويعرف بابن الفقيه أحد اهل الادب في أواخر القرن الثالث للهجرة ولا يعرف من امره اكثر من ذلك . ذكروا له عدة كتب وصانها منها « كتاب البلدان » الفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩ هـ) وصف به الارض والبحار في الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين وما بين النهرين وبلاد الروم وافاض في وصف البصرة والكوفة اما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الاعراضاً . ويقول ابن التديم : « انه أخذ من كتب الناس وساخ كتاب الجيهاني » والجهاني هذا وزير صاحب خراسان كان له كتاب المسالك والممالك ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ في جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه في الفهرست ١٥٤ ومعجم الادباء، ٦٣ ج ٢

٥- ابن رسته

هو ابو علي أحمد بن عمر بن رسته . له كتاب اسمه الاعلاق النفيسة كتبه سنة ٢٩٠ هـ في اصبهان وهو كالموسوعة منها سبعة مجلدات في تقويم البلدان عثروا على نسخة خطية منها في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منها في جملة « المكتبة الجغرافية » وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الارض منها وحجم الارض .

ثم يصفها فيبدأ بمكة والمدينة ويصف البحار والانهار والاقاليم السبعة وخصوصاً ايران وما يليها . وفيه فصل في الاوائل الذين احدثوا الاشياء واقتدى بهم سواهم وآخر في المتشابهين في احوال شتى والمشاركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوي العاهات . ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥

مؤلفو الجغرافية الخاصة

١ - ابن الخائك

توفي سنة ٣٣٤ هـ

هو ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني من قبيلة همدان باليمن المعروف بابن الخائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات في الفلك والطبيعات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ سنة جزيرة العرب خاصة : فيها فوائد هامة عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومسالكها ومدنها ولغاتها وزراعتها ومعادنها وآثارها مما يعز العنور عليه في سواها . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنري مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعاليق

٢ كتاب الاكليل : ولا بن الخائك هذا كتاب جزيل الفائدة في وصف اليمن وآثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة اجزاء يشتمل على عشرة فنون في جملتها ابحاث في القرانات وعلم الطبيعة واحكام النجوم وآراء الاوائل وغير ذلك لم يتفق الباحثون الا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعاليق . وقد اقتبسنا كثيرا منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء وماأرب مما شاهده بنفسه في مكان السد وكيفية توزيع المياه

وترجمة ابن الخائك في اخبار الحكماء لابن القفطي ١١٣ ومعجم الادباء ٩ ج ٣

٢ - ابن فضلان

هو احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان انقذه المقتدر العباسي سنة ٣٠٩ هـ الى ملك الصقالبة بمهمة فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى ان عاد اليها وفيها وصف البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهي مطبوعة في بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع ترجمة روسية . ونشرها ياقوت في معجم البلدان في مادة بلغار

٣ - ساسلة تواريخ

هو كتاب جزيل الفائدة . ليس هو تاريخاً كما يؤخذ من اسمه وإنما هو رحلة أو رحلات في الهند والصين واقصى الشرق لغير واحد من تجار العرب في القرن الثالث للهجرة . أحدهم يدعى سليمان سافر بنفسه الى الهند والصين ووصف ما شاهده وعلمه من أحوال التجارة وبعض أصنافها . والآخر أبو زيد حسن من أهل سيراف أكثر ما ذكره منقول عن تجار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الاقصى حتى بلغوا الصين . وقد التقى أبو زيد هذا بالمسعودي المؤرخ وتبادلا الاخبار كما يظهر مما ذكره في مروج الذهب عن بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما في هذه الرحلة

وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب في تجارتهم وأسفارهم في القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة فرنساوية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنسي

٤ - بزرك بن شهريار

صاحب عجائب الهند

هذا أيضاً كتاب هام لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب في القرن الثالث للهجرة وأوائل الرابع من بلاد الشرق الاقصى بين شواطئ بلاد العرب والهند والزنج الى الصين . ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسي لكنه كتب تلك العجائب بالعربية — لغة الادب والسياسة والدين عندهم في أوائل القرن الرابع للهجرة . نقلنا عما سمعناه من جوارب البحار واكثرهم من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطئ البحر المحيط . وقد نسب كل قول الى قائمه وسماه باسمه وعين السنة التي حدثت بها أو روى وقوع الخبر فيها . ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث في نظر أهل هذا الزمان . لكنه يروي ما سمعناه على علاقته وفي جملة ذلك أسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من أحكام التاريخ الطبيعي . ولا يظعن ذلك بما يحويه الكتاب من الحقائق لان أهل ذلك العصر معذورون في تصديق ما يسمعونه من المبالغات . ولم يكن ذلك خاصاً بالعرب أو الشرقيين بل هو يتناول سائر الامم . وعند الافرنج من أخبار أجيالهم الوسطى ما لا يقل غرابة عن خرافات الف ليلة وليلة . وسنعود الى ذلك في مكان آخر

أما كتاب عجائب الهند الذي نحن في صدده فتمه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا
 قديمة جداً وعنهما نقات نسخة طبعت في لندن سنة ١٨٨٦ بعناية المستشرق فان در ليت
 مع ترجمة فرنساوية لما رسل دفيك . وفي هذه الطبعة أربع صور ملونة منقولة عن
 مسودات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل أسفار العرب في البحار
 لذلك العهد — وهذه صورة سفينة منها



ش ١٠ : سفينة عربية جلس ربانها على دكة الى اليسار ليدبر الشراع بالامراس
 وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان



العلوم الإسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت أن الفقه توطدت قواعده في العصر الماضي والعلوم الدخيلة لا تزال في أول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس. أما في هذا العصر فكانت قد انتشرت الفاسفة والطبيعات والمنطق فنيرت كثيراً من الآراء وتولدت مذاهب في الفقه لم تكن من قبل وتفرع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام أو التوحيد واليك تاريخ ذلك

علم الكلام أو التوحيد

هو حادث بعد الفقه وسبب وضعه انه ورد في القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل . وقد فسرها صاحب الشريعة الاسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد في القرآن ايضاً آيات أخرى توهم التشبيه مرة في الذات ومرة في الصفات ، ورأى الاولون ذلك الخلاف فغلب في معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة أدلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير أن جماعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه في الذات فاعتقدوا في الله صفات الآدميين كاليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت في بعض الآيات فوقعوا في التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . وأخذوا يكتبون ويقولون اقوالاً كثيرة مخالفة لرأي الجمهور . فنهض أهل السنة وهم التابعون لاقوال الصحابة وجاءوا بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعاً لتلك البدع وهو علم الكلام أو التوحيد . وفي أثناء ذلك نقات كتب اليونان الى العربية فاجبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها فانتشرت فلسفة اليونان في الاسلام وأقبات المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما ارادوه منها من تقوية الحججة والجدال فيما كانوا فيه . فازداد كل منهم تمسكاً بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشاراً عظيماً وهي الى ذلك العهد : مذاهب القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والرافضة والقرامطة والباطنية

وما زالت الحال كذلك الى أن ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري فسلك طريقاً وسطاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم . قال اليه جماعة وعولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين سائر الآراء ووافقه جماعة كبيرة من نخبة علماء تلك الاعصر وهم الاشعريه مما يطول بنا الكلام فيه

علماء الكلام

أقدم من الف في علم الكلام الامام ابو حنيفة فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل وقد تقدم ذكره في كلامنا عن مؤلفاته في الفقه صفحة ١٣٩

٢ ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٨١ هـ وكان من الأئمة البغاة المتكلمين وكان يلتج بالراء لكنه كان لبراعته واقتداره بخاص كلامه من الراء فلا يفتن لذلك احد . ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ٢

٣ ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٥ هـ وكان شيخ البصريين في الاعتزال وكان حسن الجدل قوي الحججة كثير الاستعمال للادلة . ومما يروى عنه من هذا القبيل انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له ابو الهذيل : « لا أعرف لجزعك عليه وجها اذا كان الانسان عندك كالزرع » قال صالح : « يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشوك » فقال له : « كتاب الشوك ما هو يا صالح » قال : « هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن وبشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان » فقال ابو الهذيل : « فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يميت وان كان قد مات وشك ايضا في قراءته كتاب الشوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٤ ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي : توفي سنة ٣٠٣ هـ وكان امام المتكلمين في عصره اخذ علم الكلام عن ابي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة وله مقالات في مذاهب العلماء . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٥ ابو الحسن الاشعري : توفي ببغداد سنة ٣٣٣ هـ سمع زكريا الساجي و ابا خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرئ وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري . وروى عنهم في تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج امه ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقندى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ونادى باعلى صوته : « من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني اعرفه بنفسي انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالابصار وان افعال الشر انا افعالها ، وانا نائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايهم » وأخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق ابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب

القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفاً منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على أصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلداً وغيرها وأكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهماً . وكانت فيه دعاية ومزح كثير . قال مسعود بن شيبة في كتاب التعليم كان حنفي المذهب معتزلي الكلام لانه كان ريبب أبي علي الجبائي وهو الذي رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب انه كان يجلس أيام الجمع في حلقة أبي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور وقال أبو بكر بن الصيرفي « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الاشعري فحجزهم في اقماع السهام »

العقيدة الاشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم قادر بقدره حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وان صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لا هي هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد . وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلي فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمته في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ والمقريري ٣٤٩ ج ٢

وهناك طائفة من المتكلمين أغضينا عن ذكرهم على ان بعضهم سيأتي ذكره في الابواب الاخرى

المحدث

في العصر العباسي الثاني

اصحاب الكتب الستة

في هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة وهي عمدة المحدثين . واصحابها ثقة حتى الآن وهاك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ - البخاري

توفي سنة ٢٦٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل البخاري ولد في بخارا سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ كان مغرمًا في طلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية وهو صاحب كتاب «جامع الصحيح» المشهور بصحيح البخاري أول الكتب الستة في الحديث وأفضلها على المذهب المختار وفي شهرته غنى عن وصفه. طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٩ هـ وطبع بالحروف بمصر مراراً. وله شروح كثيرة بعضها مطبوع منها شرح العيني طبع بمصر في ١١ مجلدًا وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة في أزمنة مختلفة وللبخاري كتاب خلق أفعال العباد مطبوع في دهلي بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم للذهبي. وله كتاب الادب خط في كتب الشنقيطي وترجمة البخاري في ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ والفهرست ٢٣٠

٢ - مسلم القشيري

توفي سنة ٢٦١ هـ

هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. توفي سنة ٢٦١ هـ في نيسابور وكان من الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث وألف فيه كتابا سماه «الجامع الصحيح» منه نسخ عديدة خطية في المكتبة الخديوية. وقد طبع في الهند سنة ١٢٦٥ وفي مصر في تسعة أجزاء وترجمة القشيري في ابن خلكان ٩١ ج ٢ والفهرست ٢٣١

٣ - ابن ماجه

توفي سنة ٢٧٣ هـ

هو محمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كان اماماً في الحديث عارفاً بعلومه ارحل في طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر وألف فيه كتاب «السنن» منه في المكتبة الخديوية بضع نسخ خطية كتبت في أزمنة مختلفة وطبع في دهلي على الحجر سنة ١٢٨٢ وبمصر سنة ١٣١٣ ويعرف بسنن ابن ماجه وترجمته في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٤ - أبو داود

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني المتوفي في البصرة سنة ٢٧٥ هـ وكان أحد حفاظ الحديث ألف كتاباً في الحديث سماه «السنن» وتعرف بسنن الامام أبي داود . طبع في مصر سنة ١٢٨٠ هـ وفي لكتناو الهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس ابجدي . وفي غيرها . وترجمته في ابن خلكان ٢١٤ ج ١

٥ - الترمذي

توفي سنة ٢٧٩ هـ

هو الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذي الضرير له كتاب «الجامع الصحيح» منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ هـ وله شروح كثيرة . وترجمته الترمذي في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٦ - النسائي

توفي سنة ٣٠٣ هـ

هو أبو عبد الرحمن احمد بن علي النسائي . توفي بمكة سنة ٣٠٣ هـ وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه طبع بمصر في مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها وترجمته في ابن خلكان ٢١ ج ١ وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن لا بأس بها . منها سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٢٥٥ هـ طبع في كنبور الهند سنة ١٢٩٣

التفسير

التفسير الكبير للطبري

ونضح في هذا العصر أيضاً علم التفسير فظهر فيه التفسير الكبير لابي جعفر بن جرير الطبري ويسمى جامع البيان في تفسير القرآن جمع فيه أقوال الصحابة والتابعين . ويمتاز بان صاحبه يبين فيه ترجيح بعض الاقوال على البعض . طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في ٣١ جزءاً وهو من أجل التفاسير وله قيمة خصوصية لسبقه سواه . وفيه كثير من الفوائد التاريخية والادبية واللغوية فضلاً عن التفسير . وقد ترجمنا الطبري في باب التاريخ

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثاني

أولاً — الفلسفة والرياضيات

قد رأيت ان المشتغلين في نقل العلم بالعصر العباسي الاول كان أكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم في العربية اشتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . وأقدم من اشتهر من الفلاسفة المسلمين في هذا العصر وأكبرهم وأسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي يليه الفارابي :

١ — يعقوب الكندي

في أواسط القرن الثالث

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ويتصل نسبه بملوك كندة فهو عربي بحت ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصراً للمأمون والمعتمد الى المتوكل وله عندهم منزلة سامية . وقد برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والالخان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم — نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره . و هذا في تأليفه حذو ارسطو وله ترجمات عديدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق الترجمة ولم يذكر بينهم لانه لم يرتق بالترجمة . وقد ألف الكندي في معظم العلوم الدخيلة كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست واليك عددها باعتبار العلوم : —

في الفلسفة	٢٢	كتاباً	في الطبيعيات الخ	٣٣	كتاباً
» الحساب	١١	»	» الكريات	٨	كتب
» النجوم	١٩	»	» المنطق	٩	»
» الهندسة	٢٣	»	» الموسيقى	٧	»
» الفلكيات	١٦	»	» الاحكام	١٠	»
» الطب	٢٢	»	» النفس	٥	»
» الجدل	١٧	»	» الابعاد	٨	»
» السياسة	١٢	»	» مقدمة المعرفة	٥	»
» الاحداث	١٤	»	المجموع كله	٢٣١	كتاباً

ويؤخذ من مراجعة أسماء هذه الكتب أن الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد أصحابها . وأكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا : ١ كتاب في الاهيات ارسطو ٢ رسالة في الموسيقى وكلاهما موجودان في مكتبة برلين ٣ رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة في مكتبة منشون ولها ترجمة لاتينية مطبوعة ٤ في المد والجزر ٥ علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو في جهة السماء وكلاهما في اكسفورد ٦ ذات الشعبين آلة فلكية في ليدن ٧ اختيارات الايام في ليدن ٨ مقالة محاويل السنين في الاسكوريال . وغيرها

وترجمة الكندي في الفهرست ٢٥٥ وأخبار الحكماء لابن القفطي ٢٤٠ وطبقات الاطباء ٢٠٦ ج ١

٢ - أبو النصر الفارابي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

ويلى الكندي أبو النصر الفارابي واسمه محمد بن طرخان . أصله من فاراب لكنه فارسي المنتسب نشأ في الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفاً كاملاً درس كل ما درسه الكندي من العلوم وفاقه في كثير منها وخصوصاً في المنطق وتعمق في الفلسفة والتحايل وأنحاء التعاليم وأفاد وجوه الانتفاع بها . وألف كتباً في مواضيع لم يسبقه أحد اليها ككتابه في احصاء العلوم الآتي ذكره وكتاب «السياسة المدنية» وهو من قبيل الاقتصاد السياسي الذي يزعم أهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم وقد كتب فيه الفارابي منذ ألف سنة . ثم كتب فيه غيرها كما ستراه مفصلاً في ما يلي . وبرع الفارابي خصوصاً في فن الموسيقى حتى أصبح لا يضاهيه فيه أحد واخترع القانون كما سيأتي في باب الموسيقى . وأصلح ما بقى من الترجمات غير مصلح ولخصها - أو عز اليه بذلك منصور بن نوح الساماني فاجاب وسمى كتابه «التعليم الثاني» ولذلك سموه «المعلم الثاني»^(١)

ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتاباً في المنطق متفرقة في مكاتب اوربا بعضها منقول الى اللاتينية أو العبرانية أكثرها في الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع في البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات في السياسة والادب منها :

(١) كتف الظنون ٤٤٨ ج ١

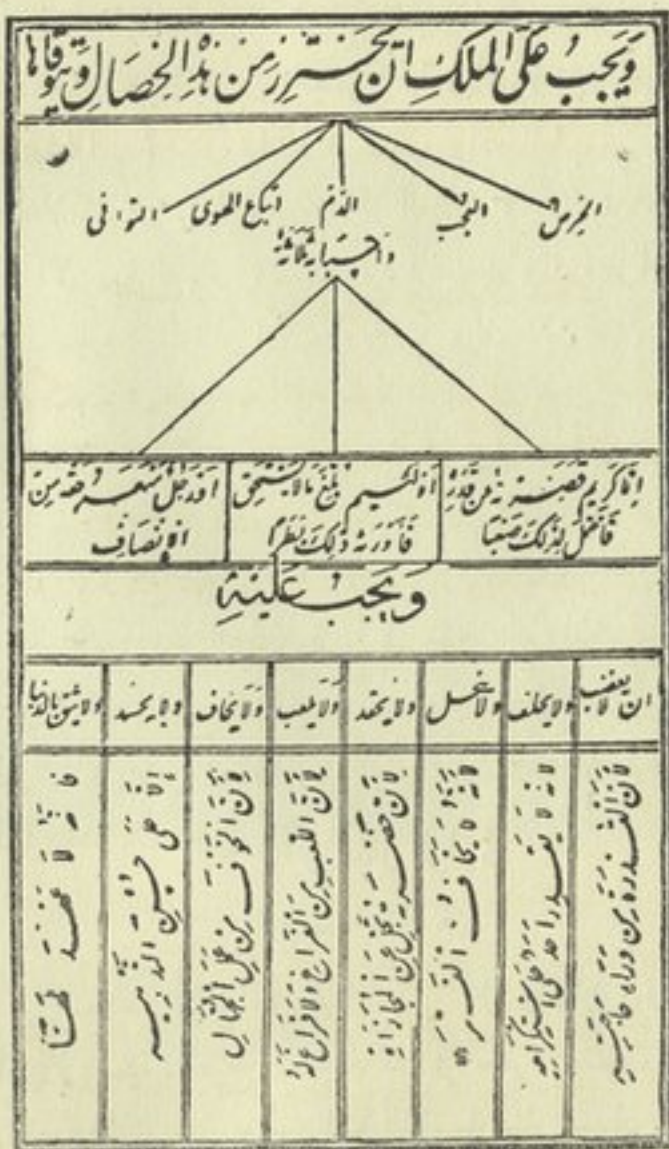
١ كتاب مبادي أراء أهل المدينة الفاضلة طبعها ديتريشي في لندن سنة ١٨٩٥
 ٢ كتاب احصاء العلوم والتعريف باغراضها المتقدم ذكره وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم منه نسخة خطية في الاسكوريال وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عد الفارابي من مؤسسي الموسوعات العربية وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخو في بيروت سنة ١٩٠٢
 وله ٩ كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى متفرقة في مكاتب أوروبا والاسنانة مع ترجماتها العبرانية أو اللاتينية

٩ كتب أخرى في مواضيع مختلفة . ومثلها على ارسطو في أبحاث مفيدة . وقد وصف هذه البقايا وذكر أماكن وجودها بروكلمن في كتابه^(١) فليراجعها من شاء وترجمته في ابن خلكان ٧٦ ج ٢ وطبقات الاطباء ١٣٤ ج ٢ وأخبار الحكماء ١٨٢

٣ - ابن أبي الربيع وسلوك المالك

واطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف «شهاب الدين احمد بن محمد بن أبي الربيع» . وقد جاء في أوله انه ألف للخليفة المعتصم بالله العباسي المتوفي (سنة ٢٢٧) فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب أقدم من الكندي والفارابي . ولكن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على انه وضع بعد ذلك التاريخ لانه مرتب على شكل المشجر في أسلوب يدل على وضوح الافكار في ذهن مؤلفه مما لا يتأتى الا بعد نضج العلم نضجاً تاماً . وزد على ذلك أن اسم شهاب الدين من الاسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الاتراك في الدولة . وفي كتاب الفهرست مئات من أسماء المؤلفين ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف . وهذا تاريخ ابن الاثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل أن يتفرد رجل بهذا الاسم في أول القرن الثالث - ولكل عصر أسماء وألقاب تابعة لاحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان « المستعصم » توفي سنة ٦٥٦ هـ) فقريء « المعتصم » وكثيراً ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه وانما ذكره ككشف الظنون بدون اسم المؤلف

أما الكتاب فإنه جزيل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة والطبيعات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسوم الى أربعة فصول ١ مقدمة الكتاب ٢ أحكام الاخلاق وأقسامها ٣ أصناف السيرة العقلية وانتظامها ٤ أقسام السياسات وأحكامها . وكل من هذه الفصول مقسوم الى ابواب ترتبت فيها الافكار أو الاحكام بشكل جداول أو مشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليتمكن تصور تلك المشجرات. وهذا مثال منه



ش ١١ : صفحة من كتاب سلوك المالك

مأنيباً - الطب والاطباء

ونبغ في هذا العصر أيضاً طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم هالك أشهرهم حسب سني الوفاة :

١ - ابن ماسويه

توفي سنة ٢٤٣ هـ

هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه كان أبوه صيدلياً في مارستان جندي سابور وتنقف في بغداد بعناية جبرائيل بن بختيشوع وترقى في زمن المأمون والوائق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا ١ كتاب نوادر الطب في ليدن والاسكوريال وغوطا وله ترجمة لاتينية وشروح ٢ جواهر الطب ٣ كتاب ماء الشعير في مكتبة جزائر الغرب ٤ الادوية السهلة في اكسفورد وغيرها . وقد نشرنا رسمه مع المترجمين وترجمة ابن ماسويه في أخبار الحكماء ٢٤٨ والفهرست ٢٩٥ وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١

٢ - ابن سهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جندي سابور توفي سنة ٢٥٥ هـ وله كتاب الاقرباذين الكبير كان معول الصيدالة في أثناء التمدن الاسلامي . منه نسخة خطية في منشئ

وترجمته في طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ وراجم الحكماء ١٤١

٣ - أبو بكر الرازي

توفي سنة ٣٢٠ هـ

هو أشهر من نبغ من الاطباء في هذا العصر على الاطلاق واسمه أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي ويسميه الافريج Razès كان في صغره يضرب على العود وتلقى العلم على كبر وأفلح واشتهر حتى تولى رئاسة أطباء مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم أو يؤلفه من الكتب وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفاً من العلوم الطبية في عصره ومن أمثالهم « ان الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فكمله ابن سينا »

وكان الرازي يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ دونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ

آخرون. فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه فان كان عندهم علم والا
تعداهم الى غيرهم فان اصابوا والا تكلم الرازي. وكان كبير الراس مسفته جليل الطلعة
يتسبب الناس مجلسه لولا رطوبة كانت في عينيه . وكان كريماً متفضلاً رؤوفاً بالمرضى
دقيق الملاحظة صحيح النظر، وپروون عن ذكائه وإصابته نوادر كثيرة لاجل لها هنا
وكان أكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم وخدم بصناعته الاكابر
ملوكها وأمرائها وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري ألفه للامير منصور من
آل سامان وكتاب الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان وسنعود اليها
وكان الرازي مولماً بالعلوم الحكيمية وله فيها مصنفات نفيسة وخصوصاً علم

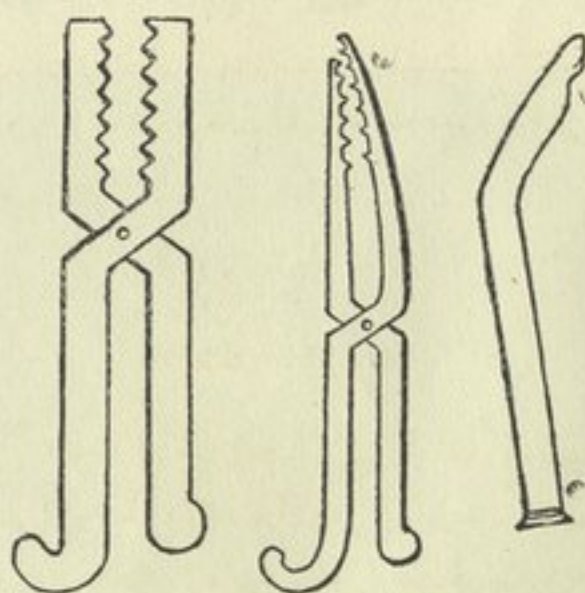


ش ١٢ : ابو بكر الرازي في معمله يشتغل بالكيمياء

الكيمياء وما يتعلق بها وله اكتشافات كيمائية أهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك)
والكحول استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد واسمها في العربية الزاج الاخضر
فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج. ولا تزال طريقة الرازي من طرق
استحضار هذا الحامض الى اليوم . أما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية
وسكرية مختمرة وألف الرازي في الكيمياء كتباً كثيرة ولم يكن يعتقد ما يعتقداه أهل
زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد

أعله التماساً للمال . لكن ذلك ألحق به الاذى لان منصور الساماني المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع ففضب عليه وأمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سبباً في نزول الماء على عينيه . وجاءه قدام يقدهما وهي عملية الكتركتا الآن فسأله الرازي « كم طبقة للعين؟ » فقال « لا أعلم » فقال: « لا يقده عيني من لا يعلم ذلك » ثم قال : « قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عينين »

توفي سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ



ش ١٣ : آلات قلع الاسنان في ذلك العصر

وخلف الرازي أكثر من مائتي مؤلف لا يزال باقياً منها الى الآن بضعة وعشرون مؤلفاً يطول بنا وصفها وإنما نذكر أهمها وهي :

١ كتاب الحاوي : وهو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب جمع فيه ما وجده متفرقاً من ذكر الامراض ومداواتها في كتب الطب للمتقدمين ومن أتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني وأخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب اوكسفورد والاسكوريال . وقد نقل الى اللاتينية نقله فراغوت وطبع مرتين وقد اختصره غير واحد

٢ كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه . ومنه نسخة في المكتبة الالهية بباريس وفي مكاتب اوكسفورد ودرسدن واسكوريال وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الكريموني وطبع فيها

- ٣ كتاب الجدري والحصبة: وهو أول من وصف هذين الداءين حق الوصف وقد ترجم كتابه الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها كلها
- ٤ كتاب الفصول في الطب: ويقال له المرشد نقل الى العبرانية ويوجد في ليدن ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤
- ٥ كتاب الكافي: ترجم الى العبرانية وهو موجود في مكتبة اوكسفورد
- ٦ كتاب برء الساعة: يوجد في برلين وغيرها ونشره الدكتور كيك في مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦
- ٧ كتاب الطب الملوكي: يوجد خطأ في مكتبة ليدن
- وقد ترجمنا الرازي ووصفنا كتبه الباقية في الھلال ٣٩٧ سنة ١٨ ونجد ترجمته أيضاً في ابن خلكان ٧٨ ج ٢ وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ والفهرست ٢٩٩ وأخبار الحكماء لابن الففطي ١٧٨

مائاً - الزراعة

ومن العلوم التي نضجت في هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها أهل الاجيال المتأخرة علم الزراعة أو الفلاحة. وهو في الاصل منقول عن الكلدانية نقله احمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ في كتاب سماه « الفلاحة النبطية » أملاه سنة ٣١٨ هـ على علي بن محمد بن الزيات وجعله في خمسة أجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر والمكتبة الخديوية. ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني وطبعت في بطرسبورج سنة ١٨٥٩ وله كتب في النجامة منها نسخ في مكاتب اوربا لا فائدة من ذكرها ولقسطا بن لوقا الطبيب النصراني البعلبكي المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٣



العصر العباسي الثالث

أو المائة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ هـ إلى سنة ٤٤٧ هـ

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الاول انه عصر الاسلام الذهبي ونعني انه عصرها الذهبي من حيث منعة الدولة واتساع السلطان وفيه نقات العلوم القديمة الى العربية . وأما عصر الاسلام الذهبي للعلم خاصة فهو العصر الذي نحن في صدده أو المائة الثالثة للدولة العباسية . لان فيه نضجت العلوم على اختلاف مواضعها وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في أكثرها . ولا سيما في اللغة وعلومها وفي التاريخ والجغرافية والادب والطب والفلسفة ولذلك أسباب اجتماعية طبيعية سيأتي بيانها . وتقدم الكلام في مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم في المدائن الاسلامية

رأيت فيما تقدم أن العلوم الاسلامية نشأ معظمها في البصرة والكوفة ثم تحولت الى بغداد بعد استبحار عمرانها في العصر العباسي الثاني . فاصبحت بغداد في ذلك العصر كعبة العلم وحج العلماء كما كانت رومية في ابان التمدن الروماني . حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الأتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد نفر الناس وتباعدت القلوب . ولكن المعتصم كان على مذهب أخيه المأمون في الاعتزال واكرام الشيعة فضلت بغداد على نحو ما كانت عليه في أيام المأمون . وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمنكلمين في أنواع العلوم العقلية والسمعية في جميع الفروع

فلما توفي الواثق سنة ٢٣٣ هـ خلفه أخوه جعفر المتوكل وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه . وكان كثير الاستهزاء بعلي مجالس من اشهر يفضه . وخالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد . فابطل القول بخلق القرآن ونهى

عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه . وأمر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث . فأنحط علم الكلام بعد أن بلغ رونقه في أيام الرشيد وخلفائه فأخذ في التقهقر في أيام المتوكل لأنه كان شديد الوطأة على أصحاب الرأي وأصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة . وأخذ منذ تولى الخلافة في مناوأتهم فاهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله . ولاقي أهل الذمة منه الشدائد بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم . ومن أشهر حوادث نغمته على خدمة العلم انه غضب على بختيشوع الطيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين وقتل ابن السكيت النحوي كما تقدم . وسخط على عمر بن مصرح الراجحي وكان من عالية الكتاب وأخذ منه مالا وجواهر وأمر أن يصفع في كل يوم

ومات المتوكل مقتولا سنة ٢٤٧ هـ قتله رجاله فاضطربت أحوال الخلافة واستفحل شأن الأتراك . فنفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب ففترقوا من بغداد ورويداً ورويداً الى أنحاء المملكة الاسلامية شرقاً وغرباً . ولذلك كان أكثر من ظهر من العلماء بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة فما بعده نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمتجملون والمهندسون والمتكلمون وأصحاب المنطق والفقهاء والنوويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندرية ثم انتقل في أيام عمر بن عبد العزيز في آخر القرن الاول للهجرة الى انطاكية . والعلوم الاسلامية انتقلت من البصرة والكوفة الى بغداد . وانضمت اليها العلوم الدخيلة فاصبحت بغداد أم المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقائدية والنقائية . فلما اضطربت أحوال الخلافة في أيام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في أنحاء المملكة الاسلامية بالانفرع والنشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز كثيرة قد يتفاضل بعضها على بعض . وتدرج الانتقال من بغداد شرقاً الى العراق العجمي فخراسان فما وراء النهر . وغرباً الى الشام ومصر فالمغرب فالاندلس

فأقبل العصر العباسي الثالث وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين والنوويين والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الاسلامية من أقصى تركستان في الشرق الى أقصى الاندلس في الغرب . ويدخل في ذلك ما وراء النهر وأفغانستان وطبرستان وخواارزم وفارس وما

بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها
وزاد انتساب العلماء الى مواطنهم فكثرت أسماء البخاري واليسابوري والرازي
والبغدادي والاندلسي. بعد أن كان أكثر انتسابهم الى أصولهم كالحميري والمازني
والقرشي والفارسي ونحوها . أو الى صنائعهم كالتحاس والزجاج

أسباب النهضة في هذا العصر

حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر العباسي الثاني فتور
على أثر البحران السياسي الذي أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بانفسهم عن
تنشيط العلم . فكانت المائة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون اغراس العلم
فاقبلت المائة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهي النهضة الثانية في الدولة العباسية .
والفاعل الرئيسي في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضي ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع في آجال
معينة — فالعلوم الاسلامية ولد أكثرها في البصرة والكوفة ونمت في بغداد . فلما تم
نموها وأدركت رشدها كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو في
فروع تلك الدولة أو من تغلب عليها من الدول الخارجية . وتعددت الدول التي
اقتسمت السلطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين في العراق . وقد
فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . فنكتفي هنا بالدول التي
تعاونت على النهضة العلمية في ذلك العصر وهي :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسيها
المروانية	الاندلس	من سنة ١٣٨ — ٤٢٢	عربي
السامانية	وراء النهر	» ٢٦١ — ٣٨٩	فارسي
الزيارية	جرجان	» ٣١٦ — ٤٣٤	»
الحمداية	بين النهرين وحلب	» ٣١٧ — ٣٩٤	عربي
البويهية	العراق وفارس وغيرهما	» ٣٢٠ — ٤٤٧	فارسي
الغزنوية	افغانستان والهند	» ٣٥١ — ٥٨٢	تركي
الفاطمية	مصر	» ٣٥٧ — ٥٦٧	عربي

رغبة الامراء في العلم

فهذه الدول تعاصرت في العصر العباسي الثالث وكان لها تأثير عظيم في احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها أو أمرائها أو وزرائها من محبي العلم الآخذين بناصر العلماء — والناس على دين ملوكهم — واذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم . لان العلم لا يورق ولا يشمر الا في ظل ملك أو أمير يتعهده ويأخذ بأيدي أصحابه

لذلك زها الادب في زمن عبد الملك بالعصر الاموي وفي زمن الرشيد والمأمون في العصر العباسي الاول. ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة في العصر الذي نحن في شأنه. وهو في هذا العصر أكثر ثمراً وأصح إنتاجاً لان العاملين على تعهده تكاثروا. وبعد أن كان نصيره الخليفة أو وزيره أو بعض عماله في بلد واحد أصبح نصرأؤه في هذا العصر عدة ملوك وأمراء ووزراء في أشهر مدائن العالم الاسلامي . وقد تعاونت على استثماره قراخ العرب والفرس والترك والديلم والروم وغيرهم ممن تعرب أو انخرط في الاسلام من أمم الشرق والغرب . وأخذ الناس يتسابقون في خدمة العلم كما يتسابق ملوكهم في نصرة العلماء . وهاك أشهر أنصار العلم في ذلك العصر من الملوك أو الامراء أو الوزراء في الدول التي تقدم ذكرها :

الدول التي ساعدت على ازدهار النهضة

١ — الدولة البويهية في العراق وفارس

رجال هذه الدولة وأنصارها الديلم من الجيلان وراء خراسان. ولكن ملوكها آل بويه من الفرس ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء وانما سموا ديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون في نشر دعوتهم هناك من أيام الرشيد ، وآخر من نجح في ذلك الحسن بن علي الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه في أواخر القرن الثالث فاجابوه

وجدد آل بويه الاقرب الذي أسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه أبو شجاع كان له ثلاثة أولاد هم : علي ويلقب عماد الدولة . وحسن ويلقب ركن الدولة . وأحمد ويلقب معز الدولة . وكان بويه رقيق الحال فاتنظم أولاده بالجندية لانها كانت يومئذ

بأباً من أبواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة في خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاة الكرج ثم اتسمت أحواله فكتب الى الخليفة العباسي وهو يومئذ الرازي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ أن يقاطعه على أعمال فارس بما يحمله الى دار الخلافة على جاري عادتهم مع الدولة العباسية في ذلك العهد . فاجابه الرازي وبعث اليه بالخلعة . وأخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم . وجاء الاخوان واتحدوا مع أخيهما الثالث معز الدولة في شيراز وساروا غرباً حتى أتوا بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم باللقاب المذكورة . وجعل معز الدولة أمير الامراء . فاستبدوا في المملكة واستولوا على الخلافة وعزلوا الخلفاء . ولوهم فرفعوا منار الشيعة وأحيوا معالمها وأضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال في بغداد . ولما أفضت إمارة الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك وهو أول من خوطب بهذا اللقب في الاسلام

وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ وكانوا يحبون العلم والادب ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب . فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزيرائهم أو عمالمهم أو قضائهم أو كتابهم كبن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن اردشير المهلب . فضلا عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على أن ملوك آل بويه أنفسهم اشتهر منهم غير واحد في الادب والشعر أشهرهم في ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ كان أوسعهم سلطاناً وأقواهم سطوة . وكان مشاركاً في عدة فنون من الادب فقرب اليه العلماء والكتاب وأحسن وقادتهم واستحهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب فألف له أبو اسحق الصابي كتاباً في أخبار آل بويه سماه الناجي وألف له أبو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو . وقصده فحول الشعراء في عصره كالمثني والسلامي وغيرها وكان مجلسه لا يخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شفقه بالشعر تمنى أن يكون المصلوب بدل ابن بقية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات لعمر ك تلك احدى المعجزات (١)

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر (ج ٢) أمثلة من نظمه . ومن نكاته الادبية أن افنكين التركي صاحب دمشق كتب اليه «ان الشام

قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتني بالاموال والعدد
حاربت القوم في مستقرهم » فكتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة في الخط لا
تقرا الا بعد الشكل والنقط والضبط وهي « غرَّكَ عَزَّكَ فصار قصار ذلك ذلك
فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا هدا » والبيارستان في بغداد ينسب اليه
وكان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة شاعراً (سنة ٣٥٦ — ٣٦٧)
وكذلك تاج الدولة بن عضد الدولة وهو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم . وكان
يلي الاهواز فادركته حرفة الادب فادت الى نكبته . وكذلك أبو العباس خسرو
ابن فيروز بن ركن الدولة . وتجد أمثلة من أشعارهم في الجزء الثاني من يتيمة الدهر
للشعالي مؤرخ أدباء ذلك العصر

على أن تأثيرهم في هذه النهضة يتوقف بالاكثر على أخذهم بناصر الادباء والعلماء
وكانوا شديدي الرغبة في ذلك . فركن الدولة بن بويه في الري وهمذان واصبهان
(سنة ٣٢٠ — ٣٦٦) استوزر ابن العميد الكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد
مقصداً للشعراء والادباء وأهل العلم كما سترى . وبهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق
والاهواز (سنة ٣٧٩ — ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير فانشأ هذا الوزير في
كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس — قال يا قوت : « لم يكن في الدنيا
أحسن كتب منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة » وكان سابور
أيضاً شاعراً

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ — ٣٥٦) استوزر الحسن المهلب المتوفى سنة
٣٥٢ هـ وكان المهلب شاعراً اديباً وهو صاحب الايات المشهورة التي أولها :

ألا موت يباع فاشتره فهذا العيش ما لا خير فيه

قاله وهو في أشد الضيق قبل الوزارة

وأكثر وزراء هذه الدولة تأثيراً في هذه النهضة الصاحب بن عباد وزير مؤيد
الدولة بن ركن الدولة ثم وزر لفخر الدولة أخيه . وكان شاعراً عالماً كاتباً وسنترجه
على حدة وكان يجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره . وكان عظيم المنزلة
عند نجر الدولة لا يرد له طلب — فكم يكون تأثيره في احياء معالم الادب ؟ وكان له
عشرات من أهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يقدون عليه . وبالجملة فان
البويهيين كانوا يختارون وزراءهم وعمالمهم حتى كتبهم من الادباء ويتعاونون على
نصرة الادب

٢ — الدولة السامانية في تركستان

رأس هذه الدولة سامان من أشرف بلخ انشأ أعقابه دولة عظيمة في خراسان و تركستان . وزهت في أيامهم بخارا فكانت مجتمع الادباء والعلماء والشعراء . واشتهرت نيسابور وفيها انشئت أقدم المدارس الاسلامية ^(١) وتوالى في الدولة السامانية عشرة ملوك من سنة ٢٦١ — ٣٨٩ أشهر غير واحد منهم بنصرة العلم . فمنهم منصور بن نوح (سنة ٣٥٠ — ٣٦٦) كان محباً للعلم والعلماء فاستوزر البلعمي العالم الفارسي فترجم له تاريخ الطبري الى اللغة الفارسية كما تقدم في ترجمة الطبري

وخلفه ابنه نوح بن منصور (سنة ٣٦٦ — ٣٨٧) من محبي العلم وأهله . كان مجلسه مجتمع الشعراء وهو أول من اقترح نظم الشاهنامه (الياذة الفرس) في الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيقي فنظم له بعضها ثم قتل فأمها الفردوسي بعده بإشارة السلطان محمود الغزنوي كما سيحي . وكان نوح رغباً في استخدام رجال العلم . فلما سمع بشهرة الصاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سرّاً يستدعيه الى بخارا ليفوض اليه وزارته وتدير أمر مملكته . فاعتذر الصاحب عن ذلك بأنه يحتاج لنقل كتبه الى ٤٠٠ جبل — ولعل له عذراً آخر كتبه . وكان نوح هذا شديد الحرص على الكتب رغباً في اقتنائها فجمع مكتبة كبيرة حوت أهم المؤلفات في كل علم من الادب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة . ذكرها ابن سينا في حديثه عن صوته . وقال انه استفاد منها وان منها كتباً نادرة الوجود

ومن أبناء الدولة السامانية منصور الساماني لم يحكم ولكنه كان يحب العلماء فالف له أبو بكر الرازي كتاب المنصوري في الطب كما تقدم . وبالجملة كانت بخارا مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع أفراد الزمان من الادباء والعلماء والفضلاء

٣ — الدولة الزيارية في طبرستان

كان مقر هذه الدولة في جرجان بطبرستان أول ملوكها مرداويج بن زيار تولى الملك سنة ٣١٦ هـ وأشهرهم بنصرة العلماء شمس المنعالي قابوس بن وشمكير (سنة ٣٦٦ — ٤٠٣) وكان شاعراً أديباً كاتباً من أبلغ كتاب العربية وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد ألف في العربية رسالة في الاسطرلاب أطنب أبو اسحق

الصابي في مدحها . ومن شعره الايات المشهورة التي مطلعها .

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر الامن له خطر
 اما ترى البحر تعلقو فوقه جيف وتستقر باقصى قعره الدرر
 وفي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف الا الشمس والقمر
 وذكر له صاحب ينيمة الدهر امثلة من الانشاء البليغ وكان يرسل صاحب بن
 عباد . ووزيره ابو العباس الغانمي يرسل ابا نصر العتي مؤرخ السلطان محمود الفزنوي

٤ — الدولة الفزنوية بافغانستان والهند



ش ١٤ السلطان محمود الفزنوي

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك أولهم ألبتجين تولى سنة ٣٥١ هـ لكن أشهرهم
 وأعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ — ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة في الهند
 وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها
 سنة ٣٨٩ هـ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتدت سلطته على افغانستان وتركستان
 وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالى الهند . وورث ما كان هناك من
 أسباب الادب والعلم . وأصبح مجلسه أهلا بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك
 العصر . فاقترح عليهم امام الشاهنامة التي بدأ بنظمها الدقيقي كما تقدم . فاتمها
 الفردوسي وقد نظم معظمها — ولذلك فهي تنسب اليه

وكان محمود لا يسمع بعالم أو شاعر الا استقدمه اليه . فعلم أن في مجلس مأمون
 ابن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم الفلاسفة في جملتهم ابن سينا الطبيب
 والبيروني الرياضي المؤرخ وأبو سهل المسيحي الفيلسوف وأبو الحسن الخوارزمي الطبيب

وابو نصر العراق الرياضي وغيرهم . فتأقت نفسه الى احرازهم في مجلسه فكتب الى مأمون كتاباً أرسله مع بعض خاصته : « علمت أن في مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فارسلهم الى ليتشرفوا بمجلسي ونستفيد من علمهم » فلم يكن للامير أن يرد الطلب لكنه كان حريصاً على أوثك الاعلام فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر بأنه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيروني والحمار والعراق بالذهاب طمعاً بسخاء السلطان . وفر ابن سينا والمسيحي في حديث طويل لا محل له هنا (١) وإنما أردنا بيان رغبة السلطان محمود بتقريب العلماء . وإن لم تكن رغبته لمجرد حب العلم . فان استثناء اهل العلم والادب واكرامهم كان في نظر أهل ذلك العصر من أسباب الابهة وأدلة الحضارة

٥- الدولة الحمدانية في حلب والموصل

هي دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل . جدها حمدان كان له شأن كبير باخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين فاخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى أخوه أبو الهيجاء بن حمدان أميراً على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين وصاروا دولة حكم منها اربعة امراء في الموصل وخمسة في حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

اشهرهم في نصرة العلم والادب سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ — ٣٥٦) ممدوح المتنبي . وكان سيف الدولة أديباً شاعراً نقاداً للشعر يحب جيده ويطرب لسماعه . وفي شعره صبغة التشبيهات الملوكية كقوله :

وساق صبيح للصبوح دعوته	فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يطوف بكسات العقار كالبحر	فمن بين منقض عاينا ومنقض
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفا	على الجود كناً والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باصفر	على احمر في أخضر تحت مبيض
كاذيال خود اقبات في غلائل	مصبغة والبعض اقصر من بعض

وفي ينيمة الدهر طائفة حسنة من شعره وأخباره (٨ ج ١) وكان يقرب الشعراء وأهل الادب حتى قيل إنه لم يجتمع باب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما

اجتمع يبابه من شيوخ الشعر . وكان يجالس الشعراء وينتقد اشعارهم نقداً يدل على شاعرية وعلم ويذل لهم الجوائز السنوية . وأخباره مع المتنبي مشهورة وكذلك مع السري الرفاء والناهي والبيغاء والواواء وتلك الطبقة

واشهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء اشعرهم ابو فراس الحمداني الشهير وسياق ذكره . ومنهم ابو زهير وابو وائل وغيرها . كما اشهر منصور واحمد ابنا كيغانغ من امراء الشام

٦ - الدولة المروانية بالاندلس

وكانت الاندلس في هذا العصر في ابان مجدها في ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ - ٣٥٠) وابنه الحكم (٣٥٠ - ٣٦٦) وهما اشهر من ان نيين حبهما العلم والعماء . وفي غصن الاندلس الرطيب عشرات من الشعراء كانوا يحضرون مجالسها فضلا عن علماء الفقه والادب

وكان الحكم بن الناصر مولعاً باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله . وأنشأ في قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم . كان يبعث في شراؤها رجالاً من التجار ومعهم الاموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى معاصراً له وهو أموي مثله فبذل له الف دينار ذهباً على أن يرسل اليه كتاب الاغانى قبل اخراجه الى بني العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضي أبي بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الاسلام . فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة أقاموا عليها خازناً ومشرفاً ووضعوا لها الفهارس السكل موضوع على حدة . وذكروا أن فهارس الدواوين وحدها ٤٤٤ فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة^(١) فاذا قدرنا للصفحة ٢٥ اسماً فقط كان مجموع عدد الدواوين ٤٤٠٠٠ كتاب فكيف بسائر الكتب . ولا نظناً نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقرئ ان مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠٠٠٠ مجلد ونبغ غير واحد من المروانية في الشعر

ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة أحبوا الادب ونصروا أهله منهم اسماعيل ابن ذي النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ وكان طالماً بالادب

(١) ابن خلدون ١٤٦ ج ٤

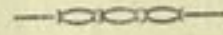
٧ - الدولة الفاطمية بمصر

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ في أواسط العصر الذي نحن في صده ونبغ منهم خليفتان نشطا العلم وأهله هما العزيز بالله (سنة ٣٦٥ - ٣٨٦) والحاكم بالله (سنة ٣٨٦ - ٤١١) فأنشأ خزان الكتب فيها مئات الألوف من المجلدات في العلوم على اختلاف مواضعها - انفقوا في ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من أنواع الكتب وعنايته بتعهدا والاتفاق عليها في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ووصفنا أيضاً مكتبة الحاكم التي سماها دار الحكمة او دار العلم وما أباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من كتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصراً على خدمة علوم الادب والفقاه ولكنهم خدموا علم النجوم بالمرصد التي أنشأوها كالرصد الحاكمي (المرصد) الذي بناه الحاكم على جبل المقطم ما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسي مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ونبغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

فرغبة السلاطين والملوك في العلم حيينه الى سائر الوجهاء وأهل الدولة فاشتهرت غير أسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم آل الميكالي في خراسان وأصلهم من فارس لكنهم تعربوا وأغرموا باداب العرب فنبغ منهم الشعراء والادباء كابي الفضل الميكالي وابي محمد الميكالي وغيرها . وآل المأموني من نسل الخليفة المأمون . وآل الواثقي من نسل الواثق وكلاهما في بخارا . وبالجملة فقد كانت العلوم رائجة وأصحابها في عز وثروة يؤلفون الكتب للملوك أو الامراء أو الوزراء وينالون عليها الجوائز السنية . وربما ألف الواحد منهم كتاباً للملك البويهبي وكتاباً للساماني وآخر للغزنوي كما فعل أبو منصور الثعالبي فانه ألف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد . والمهيج والتمثل والمحاضرة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير . وسحر البلاغة وفقه اللغة لابي الفضل الميكالي . والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقس على ذلك . فلا عجب اذا كثرت المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغيير في أكثر ابواب العلم كما ستراه في مكانه وقد رأيت مما تقدم أن أكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية

والغزنوية والبويهية وأكثرها فارسية الاصل وكان الفرس قد أخذوا في إعادة مجدهم قبل الاسلام بعد أن دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون فانشأوا الدول وهم فرس في بلاد فارسية وأخذوا في احياء آداب اسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامه وغيرها — ومع ذلك لم يروا بدا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين



مزايا هذا العصر

١ - نضج العلوم وكثرة المكاتب

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على أسلوب أصبح قاعدة يتحداها أهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم (كلاسيك) ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية إخوان الصفا واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل إخوان الصفا وفي جملتها آراؤهم في أصل الموجودات وتدرجها في الخلق من البسائط الى المركبات نحو ما يقول اليوم اصحاب النشوء والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفي المبني على المشاهد والاختبار والتفكير في الحكمة بالوجود . ونم تكون الانتقاد الشعري أو الادبي واستقرت ابواب الشعر على حال . وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منها علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم وهو أهم مصادر تاريخ اداب اللغة الى ذلك العهد

وامتاز هذا العصر بكثرة المكاتب الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها تشمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات وفتحت ابوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمي التي تقدم ذكرها كانت تحتوي على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة أو دار العلم للحاكم بامر الله وكانت ابوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ — نحو ما يراد بدار الكتب الخديوية الآن . ومكتبة الحكم بن الناصر في قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير في بغداد ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ — ظهور الموسوعات

وفيه اخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد ان وضع اساسها الفارابي كما تقدم . على ان من كتب الادب ما يعد من قبيل الموسوعات لتعدد مواضعه ككتاب العقد الفريد الذي ذكرناه . واقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب «مفاتيح العلوم» لابي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ الفه لابي الحسن عبيد الله بن احمد العتيبي وقسمه الى مقاليتين :

الاولى تشتمل على ٥٢ فصلا تجتمع في ستة ابواب وهي : ١ : الفقه ٢ : الكلام ٣ : النحو ٤ : الكتابة ٥ : الشعر والعروض ٦ : الاخبار والمقالة الثانية ٤١ فصلا في تسعة ابواب : ١ : الفلسفة ٢ : المنطق ٣ : الطب ٤ : علم العدد ٥ : الهندسة ٦ : النجوم ٧ : الموسيقى ٨ : الخيال ٩ : الكيمياء . وقد طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلون في نيف وثلاثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لاوائها فيحتوي على الموضوعات والمصطلحات العلمية فهو اشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ولذلك سماه مفاتيحها لكنه جزيل الفائدة . وقد الف العرب كثيرا من الموسوعات بعد هذا العصر سيأتي الكلام عليها في مكانه

٣ — تعدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة ابواب : ١ : العلوم الخطية تسعة علوم ٢ : العلوم المتعلقة بالالفاظ أو العلوم اللسانية والتاريخ وغيرها ٤٤ علما ٣ : العلوم الباحثة عما في الاذهان من المنقولات خمسة ٤ : العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة وهي ١٢٢ علماً ٥ : العلوم الحكومية العلمية ثمانية علوم ٦ : العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين ويزيد عددها جميعاً على نيف ومائة علم . ولولا ضيق المقام لاتينا باسمائها وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفون ومؤلفات تعد بالمئات والالوف شاع اكثرها وعلينا أن نذكر ما بقي منها

٤ — التدبير المتزلي

وبين هذه العلوم فروع لم يتصل الى مثلها أهل التمدن الحديث الا بعد ان نضج تمدنهم في القرن الماضي . وقد عرفها العرب والفوا فيها منذ الف سنة أو نحوها . كعلم

« تدير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحده « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال » وموضوعه « احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام » وحاصله « انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم » ومن المؤلفات في هذا الموضوع كتاب تدير المنزل لبروسن ذكره صاحب الفهرست وقد ضاع . ومن الكتب المنزلية التي تدخل في راحة العائلة وقد ظهر كثير منها في العصر العباسي الاول والثاني فضلا عن الثالث كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدي وغيره لابن ماسوية ولابراهيم بن العباس الصولي ولعلي بن يحيى المنجم ولاحمد بن الطيب ولجحظة والرازي وغيرهم قد ضاعت . ويظهر من اسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات واشباهها وهي كثيرة وتدخل في باب تدير المنزل

٥ - كتب السياسة

وألفوا ايضاً في السياسة وهي من فروع الحكمة العملية تحددوا بها ما نقلوه عن ارسطو . والسياسة عندهم ضروب منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد ألف في السياسة على اجمالها ابو زيد البلخي المؤرخ الجغرافي المتقدم ذكره كتابين الكبير والصغير . وألف في السياسة المدنية ابو نصر الفارابي الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ومن الكتب الهامة في هذا الموضوع كتاب « سياسة الممالك في تدير الممالك » لابن ابي الربيع جاء في مقدمته انه ألفه للمعتصم العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ) وقد ذكرنا في محل آخر من هذا الكتاب (صفحة ٢١٤) انه متأخر عن ذلك التاريخ لاسباب بينها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جداً لم يفادر بحثاً من ابحاث العمران والسياسة والاخلاق الاطرقة ورتبه ووضح مسائله بشكل المشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي و« نهج السلوك في سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله قدمه لصلاح الدين الايوبي وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ - الاقتصاد السياسي

واشغلوا ايضاً في علم الاقتصاد السياسي وهو من العلوم التي يعدها اهل زمانها من محدثات هذا التمدن لكنه قديم في آداب لغتنا لا يتجاوز تاريخه العصر الذي نحن في صده بل هو اقدم من ذلك . فان جماعة الفوافي المواضيع التجارية الاقتصادية في

العصر العباسي الثاني لكن مواضعهم كانت خاصة في صنف أو بضعة أصناف. ككتاب «الجواهر وأصنافها» لمحمد بن شاذان الجوهري الفه للمعتضد المتوفي سنة ٢٧٩ هـ وكتاب «أجناس الرقيق» لرجل من أهل مصر. وكتاب «مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ» ونحوها مما يتوسم فيه فن الاقتصاد السياسي وان لم نقف على شيء من تلك الكتب لأنها ضاعت. لكننا عثرنا على كتاب شامل في هذا الموضوع نعتي به كتاب «الإشارة إلى محاسن التجارة» للشيخ أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي لا يعرف زمن وفاته لكن يعرف من بعض القرائن أن تأليفه لا يتجاوز العصر العباسي الثالث والكتاب نفيس يبحث في معرفة جيد الاعراض وردئها وغشوش المدلسين. وفصول في حقيقة المال وأنواعه واستثماره والكشف عن رديئه وفاسده من الأحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفي الدواب كالخيل والبغال والماشية. وفي انكتاب فصول في حصول الاموال واكتسابها بالمغالبة أو الاحتيال. ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم. والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

٧ - علم العمران وغيره

ومن ابحاثهم أيضاً علم العمران والمشهور انه من ثمار التمدن الحديث ولكنه ولد في زمن العباسيين ونضج بعدهم. وان لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون. فان في كتاب سياسة الممالك المتقدم ذكره فصولا كثيرة من قبيل العمران غير ما في كتب الادب والسياسة من هذا القبيل. وفي كل حال فان الفضل فيه للعرب بما كتبه ابن خلدون وهو استاذ العالم في هذا العلم. وسيأتي الكلام على ذلك في مكانه

وناهيك بعلم الحرب وضروبها فانهم الفوا فيها من أوائل دولتهم. وذكر صاحب الفهرست كتابا للهرثمي الشمراني الفه للمأمون سماه كتاب «الحيل» جملة مقالاتين الاولى ٣ أجزاء والثانية ٣٦ فصلا كلها في الحروب وآلاتها. وذكر كتاباً قبله لعبد الجبار بن عدي الفه للمنصور في آداب الحروب وصورة العسكر وغيرها كثير لكن أكثرها ضاع. وسنأتي على تفاصيل أخرى عند الكلام على كل علم في بابها

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثالث

ان ما قدمناه عن أحوال الدول والامم في هذا العصر ظهر تأثيره في الشعر اكثر مما في سائر الآداب. لان الشعر مرآة أحوال الامة كما تبين لك مما بسطناه عن أحواله في العصور التي تقدم ذكرها. كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم واخلاقهم يملون الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكلمون ولا يبالغون. فصاروا في أيام بني أمية وأكثر نظمهم في السياسة وظهر التشبيب بكثرة الجواري والسراري وكثر الهجو لاختلاف الاحزاب مع المحافظة على صبغته البدوية. فلما استبحر عمران العباسيين وأوى الناس الى القصور وسرحوا في الحداثق وشربوا الخمر واقتنوا الغلمان ظهر أثر ذلك في أشعارهم. ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان في العصر العباسي الثاني لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء. ونحن الآن في عصر تسابق فيه ولاة الامر الى تقديم أهل الادب. فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت أساليبهم

مزايا الشعر في هذا العصر

١ - حل القيود القديمة

ان اطلاع أهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عودت عقولهم على النظر الصحيح والتغرب من الحقيقة. فخطوا خطوة أخرى في تبديل مذهب الشعر وطرقه. واماما هذه الطريقة المتنبي والمعري. وقد رأيت ان شعراء العصر العباسي الاول انتقدوا طرق الجاهليين لكنهم ظلوا يتحدونهم في كثير منها وهم يرسفون بالقيود التي وضعوها لتنظم من حيث اللفظ والمعنى. فتملص المتنبي والمعري من تلك القيود وقالوا الشعر كما توجيه القريحة فنظا في فلسفة الوجود والحكمة في الخلق من عند انفسهم ولا سيما المعري. والشعر الحقيقي هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة أو تصور الجمال الطبيعي بأعم معانيه وهو ما يعنيه الافرنج بالشعر ولكن لادباء العرب نظراً آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والمجاز وسنعود الى ذلك

٢ - مقتبسات الفلاسفة والتاريخ والطب والفقه

على أن العرب في هذا العصر زاد اقتباسهم للأفكار الفلسفية واطلعوا على تاريخ اليونان فصاروا يتمثلون بأبطالهم كقول المتنبي :

من مبلغ الأعراب أني بعدم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كنبه متعلكاً متبدياً منحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والاعصرا

وقول الفتح البستي من المعاني الطبية :

وقد يلبس المرء خبز الثيا ب ومن دونها حالة مضنية
كمن يكتسي خده حمرة وعلته ورم في الريه

وقوله : ان الجهول تضرني أخلاقه ضرر السعال بمن به استسقاء

وقوله وفيه شيء من علم النجوم :

قد غض من أملي أني أرى عملي أقوى من المشتري في أول الحمل
واني زاحلٌ عما أحاوله كاني أستدرُّ الحظ من زحل

ودخل الشعر العربي كثير من حكم القدماء وأمثالهم في اليونانية أما اقتباساً كما في أشعار المتنبي أو نقلاً وتعريباً . وأكثر ذلك منقول عن الفرس وهذه أمثلة مما نقله أبو الفضل السكري :

من مثل الفرس ذوي الأبصار الثوب رهن في يد القصار
ان البعير يبعض الحشاشا لكنه في أنفه ما عاشا
نال الحمار بالسقوط في الوحل ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط لا الزق منشق ولا العير سقط

وتكاثرت فيه المعاني الفقهية والصوفية لظهور التصوف وشيوعه واشتغال كثيرين من أصحابه في الشعر كقول بعضهم :

من سره أن يرى الفردوس عاجلة فلينظر اليوم في بستان ابواني
أو سره أن يرى رضوان عن كنب بملء عينه فلينظر الى الباني

٣ - أبواب عديدة

وتولدت فيه أبواب جديدة اقتضاها التبسط في الحضارة والتوسع في أسباب الرخاء فبعد أن كان الشعر الجاهلي أكثره في الحماسة والفخر والرياء والمدح زاد عليه

الامويون التشبيب والهجو . وزاد العباسيون في العصر الاول المحريات والتغزل
بالعلمان . وزادوا في هذا العصر (الثالث) ابواباً تلامح احوال الاجتماع والمدنية
اهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى الدهر والزهد والمداعبات والسلطانيات والمجاوبات
والمقارضات وصار النظم في الزهر باباً قائماً بنفسه . وبعض هذه الابواب كان منه امثلة
في الاعصر الماضية لكنها اصبحت في هذا العصر ابواباً مستقلة . وهي تدل على
تلفظ اخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء اذواقها
فيراد بالاخوانيات مثلاً ما ينظم في الاخوان أو الاصدقاء من أسباب التقارب
كقول بعضهم :

واخ اذا ما شط عني رحله ادنى الي على النوى معروفه
كالكرم لم يمنعه بعد عريشه من ان يقرب للجنة قطوفه
والمداعبات كقوله :

ابا جعفر هل فضضت الصدف وهل اذ رميت اصبحت الهدف
وهل جئت ليلاً بلا حشمة لهول السرى سدفاً في سدف
والدهر أو شكوى الدهر كقوله :

يادهر ما أقساك يا دهر لم يحفظ فيك بطائل حر
اما اللثام فانت صاحبهم ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللثيم مدى الحياة فلا يرتاع منه لحادث صدر

وقس على ذلك . وترى امثلة كثيرة من هذه الابواب في بيعة الدهر للثعالبي
٤ — المبالغة

غالى أهل هذه العصر في المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه أهل الاعصر
الماضية حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبي :

وضاقت الارض حتى صار هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلاً
فبعده والى ذا اليوم لو ركضت بالخيال في طهوات الطفل ما سعلا
ومثله قوله في وصف الضعف :

كفى بجسمي نحولاً اني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

• وناهيك بالمبالغة في المدح فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . واما المداحين
في هذا العصر المتنبين أبو الطيب وابن هاني . ومن مبالغات أبي الطيب في المدح
قصيدته السنية التي مطلعها :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم اثبتت وما شفت نسيسا
الى أن يقول :

لو كان ذو القرنين عمل رأيه لو كان صادف رأس عازر سيفه
أو كان لج البحر مثل يمنه ما انشق حتى جازفيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه عبت فصار العالمون بجوسا
لما سمعت به سمعت بواحد ورأيت فرأيت منه خميسا
ولحظت أمه فسلن مواهباً ولست منصله فسال نفوسا
يامن نلوذ من الزمان بظله حقاً ونطرد باسمه ابليسا
ونحو ذلك قوله .

واعجب منك كيف قدرت تنشا وقد اعطيت في المهدي الكمالا
وأقسم لو صاحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا
وقوله :

بمن اضرب الامثال أم من اقيسه اليك وأهل الدهر دونك والدهر
أما ابن هاني متنبى الغرب فيكفي مثالا لمبالغته القصيدة التي مدح بها المعز لدين
الله الفاطمي ومنها قوله :

ما شئت لا ماشاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
وكأنا أنت النبي محمد وكاننا انصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاخبار والاخبار

٥ — طول القصائد

وطالت القصائد في هذا العصر عما كانت عليه قبلاً حتى كثرت فيها ذوات المئات
من الابيات كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني . ومع ذلك فان العرب لم يدركوا
شأوا الامم الاخرى في الاطالة كما فعل اليونان بالاباذة والاذويسة والفرس في الشاهنامه
وهو الشعر المعروف بالايوبية وتعدايات الواحدة بعشرات الالوف . على انهم ذكروا
لابي الرجا محمد بن احمد بن الربيع الاسواني المتوفي سنة ٥٣٣٥ هـ قصيدة ابياتها تعد
بالالوف ضمنها اخبار العالم وقصص الانبياء ومختصر المزي . ويعد من هذا القبيل نظم
كلبية ودمنة ونحوها مما ضاع . ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير أي لم ينظمه الشاعر
من بنات افكاره . ولا يكون ذلك الا في نظم القصص الخيالية أو نحوها

٦ — الوصف الشعري

وأجاد اهل هذا العصر في الوصف الشعري وتوسعوا فيه . والوصف قديم في الشعر العربي لكنه اتسع وطال بزيادة العبارة وصار له في هذا العصر باب خاص . وأول من أجاده منهم شعراء الاندلس لمخاطبتهم الافرنج . والشعر الوصفي عند هؤلاء باب من أبواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والابنية الجلية وسائر ظواهر المدينة حتى الادوات كالاسطرلاب ونحوه

على أن تاريخ الوصف الشعري يتصل بالجاهلية فكان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . وأحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التي وصف بها مقتل الاسد ومطلعها :

افاطم لو شهدت يبطن خبت وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

الى آخرها : وهي بديعة ومنشورة في جملة مقامات بديع الزمان الهمذاني

وتقدم الشعر الوصفي بعد الاسلام رويدا رويدا مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعاني بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالامم الاخرى في العصر العباسي الاول فالتاني حتى بلغ احسنه في العصر الثالث هذا . وابرع وصاف العصر الثاني البحري وأحسن قصائده في الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها :

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات اذا لاحت مغانها

حتى يقول :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالحيل خارجة من جبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها

اذا علتها الصبا ابدت لها جبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

فحاجب الشمس احيانا يضاحكها وريق الغيث احيانا يياكها

اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعز بالله قال فيها :

وكان حيطان الزجاج بجوه ليج يمجن على جنوب سواحل

وكان تفويف الرخام اذ التقى تأليفه بالمنظر المتقابل

جبك الغمام رصفن بين منمر ومسير ومقارب ومشاكل

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعاً في الوصف ودقة في التعبير . ومن اجاد

فيه المتنبي وابن هاني والمأموني. ولهذا الاخير قصيدة في وصف قصر بناءه الصاحب بن
عباد قال فيها :

فهيناً منها بدار حوت مذ لك جبالا من الحلوم رجاحا
ذات صدر كرحب صدرك قدزا د على ظن آمليك انفساحا
ثم أتى على وصف الدار وصفاً يطابق ما يتخيل للداخل اليها . فيتدرج من الفناء
فالهبو فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبي لمواقع الحروب أو ما يحتاج الى نخامة اللفظ والمعنى
كقصيدته التي يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق . ومن احسن شعره
الوصفي قوله يصف مشية الاسد :

بطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد غفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما تزجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة أو التواريخ كما فعل
اليونان والفرس قديماً أو كما يفعل ادباء الافرنج الآن في تأليف الروايات الوصفية
للاخلاق والعادات . وسنفرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع

٧ - زيادة البحر وأوزانه

تولدت في الشعر البحر جديدة لم تكن فيه من قبل اهمها الموشحات ينظمونها
اسماطاً اسماطاً وأغصاناً أغصاناً يكثرون منها ومن اطيافها المختلفة ويسمون المتعدد
منها بيتاً واحداً . ويلتزمون قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر
القطعة واكثر ما تنهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على أغصان عددها
بحسب الاغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في الفصائد

وهي من مخترعات الاندلسيين وأول من نظمها منهم مقدم بن معافر الفريري من
شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني في أواخر القرن الثالث للهجرة . وأخذ عنه
ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هذه البدعة موقماً حسناً عند المحافظين
على القديم فكسدت حيناً حتى نبغ عبادة الفزاز شاعر المعتصم بن صامح صاحب
المرية (توفي سنة ٤٤٣ هـ) (١) فاجاد وجاء بعده ابن ارفع رأس شاعر المأمون بن ذي

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١

النون صاحب طابطة (توفي سنة ٤٦٧ هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « ان أول من نظم عقود الموشحات واقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الاندلسي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ رأس الشعراء في الدولة العامية وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت وأخذ الشعراء ينتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا أخذت إلا عنه . واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود المقبري الضرير . وقيل أن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد أول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي ثم نشأ عبادة هذا فحدث التصغير وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز »

وفي كل حال فان الموشحات نضجت في العصر الثالث الذي نحن في صدده وناهيك بما ادخله الجوهري صاحب الصحاح على عروض الشعر في هذا العصر وفيه أيضاً نضج نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق ولنقد الشعر تاريخ يستحسن إرادته هنا :

تاريخ نقد الشعر العربي

يقسم النقد الادبي أو انتقاد المؤلفات الى اقسام أهمها ثلاثة ١ نقد الشعر ٢ نقد الانشاء ٣ نقد التاريخ . والمشهور ان العرب من أقل الامم نقداً وتمحيصاً . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم أو أعمال الناس وأحوال الاجتماع لاسباب سنيها في ما يلي من هذا الكتاب . وأما ما خلا ذلك فهم من أكثر الامم ميلاً الى النقد أو التمهيص وإنما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه أو اذا تيسر لهم الخوض فيه . أما من حيث فنون الادب فبدأوا بنقد الشعر ثم الانشاء وأخيراً التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلاً خاصاً في المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر في الشعر الى اقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه وأسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعري) وطريقته أو مذهب صاحبه في النظم ونقد الشعر من حيث معناه قديم في تاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام . فقد رأيت ما كان يجري من المشاحنات والمناظرات في العصر الاموي بشأن من هو اشعر الشعراء حتى كثيراً ما كان الجدل يفضي الى الخصام . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب وهم طبعاً كانوا ينظرون في قول كل شاعر نظر الناقد لبيّنوا فضله

على سواه. ولم يقتصر التصدي للنقد على الادباء أو الشعراء بل كان يتناول كل ذي المام بالشعر. وحينما اجتمع الادباء تذاكروا الشعر وانتقدوه وكانت مجالس سكية بنت الحسين في المدينة أشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبي في أرقى الامم المتعدنة اليوم. ثم ظهرت طبقة أخرى من نقاد الشعر لما أخذ الرواة في جمعه في العصر العباسي الاول فكانت مجالسهم وانديتهم للمفاكحة أو المذاكرة لا تخلو من النقد

أما الطريقة أو المذهب ونعني الحطة التي كانوا يتوخونها في النظم مثل تحديهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلال والبكاء عليها والتغزل بحيوانات البادية واحوالها كما كان يفعل الجاهليون فالول من انتقدها شعراء العصر العباسي الاول وقد اشرفنا الى ذلك صفحة ٤٢ — وانما هي ايات قالوها عرضاً

أما التأليف في نقد الشعر من هذا الوجه وغيره فالول من أقدم عليه مما وصانا خبره محمد بن سلام الجمحي المتوفي سنة ٢٣٢ في كتابه طبقات الشعراء وقد وصفناه في صفحة ١٠٨ من هذا الجزء. فانه صدر ذلك الكتاب بمقدمة فيها نقد جميل قال في جملته « ان محمد بن اسحق أفسد الشعر بما نسبته من الاشعار الى بعض الصحابة في السيرة النبوية ». وبحث في شيء من هذا القبيل ابن ابي الخطاب القرشي في مقدمة جمهرة اشعار العرب. ونجد شيئاً من ذلك ايضاً في كتاب قواعد الشعر لثعاب المتقدم ذكره. أما ادباء العصر العباسي الثاني كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وامثالهم فقد توسعوا فيه لان ما الفوه من كتب الادب لا يخلو من النقد الشعري على ان اكثرهم نقداً وتمحيصاً ابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب المذكور بقوله :

« ولم اسلك في ما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قبل أو استحسناً باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلا حظهم ووفرت عليه حقه. فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا يعيب له عنده الا انه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عبادته في كل دهر. وجعل كل قديم حديثاً في عصره وكل شرف خارجية (كذا) في أوله. فقد كان جرير والفرزدق والاختل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمر بن العلاء يقول (لقد كثر هذا

المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته) ثم صار هؤلاء قدماء عندنا بعد العهد منهم كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالحريمي والعتابي والحسن بن هانيء وأشباههم . فكل من أتى بحسن قول أو فعل ذكرناه له وأتينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء في صدر كتابه ادب الكاتب كما تقدم ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ فافرد لذلك كتاباً خاصاً سماه « نقد الشعر » تقدم ذكره (صفحة ١٧٢) وهو أول من فعل ذلك فين حد الشعر وشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى واثلا فهما في أبواب النظم المعروفة في عصره وشروط المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر في ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدأ بعمل جديد فترك أتمامه لادباء العصر العباسي الثالث الذي نحن في صدده فجاء بعده حسين بن بشر الامدي المتوفى سنة ٣٧١ هـ (ترجمته في معجم الادباء ٥٤ ج ٣) فوضع كتابه في الموازنة بين ابي تمام والبحري وقد ذكرناه في ترجمة البحري (صفحة ١٦١) وهو من قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شاعرين معينين لكنه يشتمل على قواعد عامة

✽ وكذلك فعل علي بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٣٩٢ هـ في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه رداً على كتاب الفه صاحب بن عباد في مساوي المتنبي . فكتاب الوساطة مع كونه خصوصياً بين المتنبي وخصومه لكنه يتضمن ابحاثاً في الشعر على العموم والشعراء على اختلاف الاعصر الى ايامه (١) . وفي كتاب مفاتيح العلوم لابي عبد الله الخوارزمي المتقدم ذكره (صفحة ٢٣٢) باب في الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ في الشعر لابن فارس اللغوي الآتي ذكره

ويعد من قبيل النقد الشعري ايضاً كتاب يتيمة الدهر للتعالي . فانه ذكر فيه محاسن الشعراء وامثلة من اقوالهم مع الملاحظة والانتقاد في اربعة مجلدات كبيرة وسنذكره في ترجمة التعالي

ونشأ في أثناء ذلك علم خاص يبحث في أحوال الكلمات الشعرية سموه علم قرص الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز

والامتناع ومعائب التركيب كما عاب الصاحب ابا تمام بقوله :
 كريم اذا امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي
 حيث قابل المدح باللوم والتكرار في لفظ امدحه ولته . وبعد من قبل النقد
 الشعري ايضاً رسالة الغفران لابن العلاء المعري لان المتكلم فيها زعم انه جال في
 الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم وسيأتي ذكرها في ترجمة ابي العلاء
 كتاب العمدة

على أن ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية في سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر
 العباسي الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن رشيق جمع فيه احسن ما قاله الذين
 سبقوه في النقد وغيره ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج
 الانتقادية على ما رآه قال : « وعولت في أكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري
 خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وسنذكره في ترجمة ابن رشيق
 ونظرا لعظم وقع هذا الكتاب في النفوس تصدى معاصروه لنقده ومعارضته وقد
 وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد » لابن عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد شرف
 الجذامي القيرواني الشاعر الاديب المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عارض بها كتاب العمدة . وهو
 معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تأنق في رسائله فسجعها وزينها بالتشايه والكنائيات
 يقلد بها المقامات في الخطاب والجواب . وضمنها انتقاداً على الشعراء الجاهلين فما بعدهم
 وشتان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار اليها في مجلة المقتبس (سنة ٦)
 وذكر صاحب كشف الظنون كتباً في نقد الشعر لابن عبد الله محمد بن يوسف
 الكفر طابى المتوفى سنة ٥٠٣ هـ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء

في العصر العباسي الثالث

كان الفرزدق وجريير والاخلط وغيرهم من شعراء بني امية يعدون في ذلك العصر
 محدثين فاصبحوا يعدون في العصر العباسي الاول قدما وصار ابو نواس والعتابي
 واشباههم محدثين ثم صار هؤلاء قدما أو مولدين في العصر الذي نحن في صدده وصار
 أهل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعدُّ هؤلاء جميعاً قدما

مميزات هذا العصر

- ويمتاز الشعراء في هذا العصر عما في سواه قبله بأمور أهمها :
- ١ أنهم ظهوروا وتكاثروا في اطراف المملكة الاسلامية ايضاً بعد ان تفرق الادياب من بغداد كما تقدم . فبعد ان كان اكثرهم في الشام والعراق نبغت طائفة منهم في خراسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء وان طالت الافضلية لشعراء الشام والعراق لاسباب ذكرناها في غير هذا المكان
 - ٢ ظهرت فيهم طبقة من الوزراء والقضاة والامراء وسأرو وجوه الدولة واصحاب الثروة والوجاهة
 - ٣ تعاطى الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والاطباء
 - ٤ زاد عدد الشعراء فيه على عددهم في كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الاسلامية . ولا يتسع المقام لتراجمهم فأتني باشهرهم حسب سني الوفاة :

أشهر شعراء هذا العصر

١ - ابو الطيب المتنبى

توفي سنة ٣٥٤ هـ

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي . وبنو جعفي بطن من سعد العشيرة من الفحطانية فهو عريق بالعروبة . ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كنده فنسب اليها وليس هو من كنده القبيلة المعروفة . وكان أبوه من العامة يسقى الناس ويسمونه « عبدان السقاء » لكن ابا الطيب نشأ على طلب العلم والادب وكان قوي الحافظة مطبوعاً على الشعر . فلما ترعرع حمله أبوه الى الشام ينتقل به من باديتها الى حاضرتها . واخذ العلم من أصحابه فرأوا بالغة تحفظ غريبها وحوشها واشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر بالفصاحة والبلاغة . وكان مفطوراً على كبر النفس وبعد الهمة فلم يقنع بما يتناهى سواء من الشهرة بالشعر أو الادب فطلب السيادة بالفتح فدعا الى بيعته قوماً من مربيه من أبناء سنه فبايعوه وحين كاد يتم أمر دعوته وصل خبره الى والي البلدة فقبض عليه وحبسه . وفي هذا الحبس نظم قصيدة استعطف بها الوالي على اطلاقه مطلعها :

أيا خدد الله ورد الحدود وقد قدود الحسان القدود

الى ان قال :

دعوتك لما براني البلى وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيها في النعال فقد صار مشيها في القيود
وكنت من الناس في محفلٍ فيها انا في محفل من قرود
تعجل في وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود

اي انما تجب الحدود على البالغ وأنا صبي لم تجب علي الصلوات بعد فاطلقه
ولما فرغت يده من الفتح طلب ما هو ابعد منه فزعم انه نبي اعتمداً على بلاغة اسلوبه
فخرج الى بني كلب اقام فيهم وادعى انه علوي ثم ادعى النبوة . وقال أنه اظهر دعوته
هذه أولاً في بادية سماوة ونواحيها وأخذ يتلو عليهم كلاماً زعم انه قرآن انزل عليه
فكانوا يحكون له سوراً كثيرة أورد ابو علي بن حامد جزءاً من سورة قال انها
ضاعت وبقي أولها في حفظه وهو « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان
الكافر لني اخطار انض على سنك واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك
زبغ من ألد في دينه وضل عن سبيله » فلما شاع امره بين الناس خرج عليه لؤلؤ
امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وأسر من كان معه من بني كلب وكلاب وغيرهم
من قبائل العرب وحبسه في السجن دهرأ طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في أمره
فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام
واطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه بعد ذلك انكره وحاول التنصل من تبعته
فقع بعد فشله هذا بالشهرة الادبية . فقال منها ما لم ينه سواء فراجت سوق
شعره بما أصابه من رغبة الملوك والامراء فيه فنظم القصائد في أغراض مختلفة وفاق
معاصريه على الاطلاق . فنسابق الملوك الى استدانته بالجوائز ففعل . وبدأ بسيف الدولة
ابن حمدان فقدم عليه سنة ٣٣٧هـ وبجلسه حافل بفحول الشعراء . فاحرز المتنبي قصب
السبق بقصائدها بذكرها الركبان . وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن
خالويه النحوي فوقع بينه وبين المتنبي كلام ادى الى نفور فوثب ابن خالويه على المتنبي
فضربه بمفتاح كان معه فشجه . ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعاً عنه فغضب
وخرج الى مصر . واراد الانتقام لنفسه فقترب من كافور الاخشيد سنة ٣٤٦هـ
لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح أنوجور بن الاخشيد فاکرمه حتى
صار يقف بين يدي كافور وفي رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب

بحاجين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . فلما رأى كافور سموه بنفسه وتعالیه بشعره خافه وقال : « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعى الملك مع كافور فحسبكم » فانغضبه فخرج ابو الطيب من مصر فأتى بغداد ثم ذهب قاصداً بلاد فارس وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل عطاءه .

ثم رجع من فارس قاصداً بغداد ومعه ابنه محمد وعلامه مفلح حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين عرض له فانك بن ابي الجهل الاسدي في عدة من اصحابه فاقتتلا . فاحس المنتبي بالضعف فعمد الى الفرار فمقال له غلامه مفلح : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

فالحيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم »
فكر راجماً حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

اما شعره ففي الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة وهو مشهور بضخامة المعاني ومتانة المباني . ولم يدع باباً من ابواب الشعر الا طرقة وأجاد فيه وخصوصاً الحكم والحماسة والمدح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على ألسنة الناس مجرى الامثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نثر ادخلوه في نثرهم كما فعل صاحب بن عباد^(١) أو نظموه لانفسهم كما فعل ابو بكر الخوارزمي وغيره . ولم نأت بامثلة من نظمه لكثرته ولاشتهار ديوانه وشيوعه مضى على شعره نحو الف سنة ولا يزال موضوع مناقشات أهل الادب وكثيراً ما اشتغلوا في تفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها والفت الكتب في ذكر جيسده ورديته وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والتعصب له أو عليه . وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه — والكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته

ومن درس شعر المنتبي وبين حسنه وقبيحه ونقده ابو منصور الثعالبي في الجزء الاول من يتيمة الدهر . فانه بين حسناته وسيئاته مفصلاً مع سائر اخباره في نحو مئة صفحة ولم يبق شاعر أو اديب جاء بعد المنتبي الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان ابا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليبين معرفته . وانه كان في طبعه غلظ وفي عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

وقال ابو العلاء المعري « ابو تمام والمنتبي حكيمان وانما الشاعر البحترى » وكان شيوخ الشعر في ايام ابن خلدون لا يرون المنتبي والمعري من الشعراء لانهما لم يجريا على أساليب العرب . و ابو سعيد محمد بن احمد العبيدي الف كتابا سماه « الابانة عن سرقات المنتبي لفظاً ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتاً من أشعار المنتبي وأورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحترى وابي تمام وابن الرومي وديك الجن وغيرهم من فحول الشعراء وزعم ان المنتبي سرقها وغير فيها واعادها لنفسه والكتاب مطبوع بمصر في ٨٨ صفحة . و ابو علي محمد بن حسن الحاتمي بين ماتوارد من المعاني بين ابي الطيب وارسطو ولم يتهم المنتبي بالسرقة بل قال : « لما رأيت ابا الطيب قد اتى في شعره على أغراض فلسفية ومعان منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم وإن يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك وهو في الحائرين على غاية الفضل » ثم أورد بعض أقوال ارسطو وما يقابلها من أشعار المنتبي في نحو عشرين صفحة اطلعنا عليها في كتاب اسمه راشد سوريا مطبوع في بيروت سنة ١٨٦٨ . وانتقد المنتبي جماعة من المستشرقين أيضاً اشهرهم رايسكي ودي ساسي وبولين وبروكلمن وهمر ونيكلسن وغيرهم . وفي المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة في المنتبي للسيد توفيق البكري

وقد جمع ديوان المنتبي ورتب على الحروف الابجدية . وشرحه كثيرون وطبع في الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التي بقيت شرح ابن جني المتوفي سنة ٣٩٢ في ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ومنه نسخة خطية في مكتبة بطرسبورج وأخرى في الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورغا سنة ٤٣٧ كتاباً سماه التجني على ابن جني في الاسكوريال . وشرحه ابراهيم الاقيلي المتوفي سنة ٤٤١ هـ ومنه نسخة في مكتبة برلين . وشرحه ابو العلاء المعري المتوفي سنة ٤٩٩ هـ ومن شروحه نسخة في مكتبة مئشن وأخرى في المتحف البريطاني وفي بطرسبورج . وشرحه الواحد المتوفي سنة ٤٦٨ هـ وقد طبع في بمباي سنة ١٢٨١ وفي أوروبا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزي سنة (٥٠٢) ومنه نسخة في مكتبة باريس وشرحه العكبري (٦١٦) طبع في بولاق سنة ١٨٦٠ وفي مصر سنة ١٢٨٧ وبعدها . وفي مكاتب أوروبا نسخ خطية من هذا الديوان ليس عليها اسماء شراحها . وحدث شروحه العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب للشيخ اليازجي طبع في بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المنتبي

يطول بنا ذكرها . منها كتاب الامثال السائرة في شعر المتنبي موجود في المكتبة الخديوية . والمتصف للسارق والمسروق وهو بحث في حقيقة المتنبي بالنظر الى ذلك منه نسخة خطية في برلين . والصبح المنبي عن حنية المتنبي ليوسف البديعي المتوفى سنة ١٠٧٣ منه نسخ في اكثر مكاتب أوروبا وفي المكتبة الخديوية وغيرها كثير . وقد عنى الموسيو غرانجره بنقل بعض أشعار المتنبي الى الفرنسية وطبعت في المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) وكتب عنه أكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولا سيما ديتريشي وهامر وجونبول وقد عنى هذا بترجمة بعض أشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠ وترجمة المتنبي في ابن خلكان ٣٦ ج ١ وبيتمة الدهر ٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٦

٢ - ابو فراس الحمداني

توفي سنة ٣٥٧ هـ

هو ابو فراس الحرث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان الحمداني ابن عم سيف الدولة . فهو شاعرٌ اميرٌ وكان فارساً مغواراً وشاعراً بليغاً وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعدوبة والفضامة والحلاوة مع رواء الطبع وسعة الظرف وعزة الملك . ولم يجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . و ابو فراس يعدُّ اشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول: « بديء الشعر بملك وختم بملك » يعني امراً القيس و ابا فراس . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامي جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجتريء على مجاراته لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيأ له واجلالاً لا اغفالا واخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن ابي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ويستصعبه في غزواته ويستخلفه في أعماله

واشتهر أبو فراس في عدة معارك مع سيف الدولة حارب بها الروم فاسر في احداها وهو جريح في نخذه . فحمل الى القسطنطينية وسجن فيها أربع سنين . ونظم وهو في السجن قصائد امتازت بالرفقة والحنين الى الوطن وغير ذلك وعرفت بالقصائد الروميات . ثم اطلق سراحه وعاد الى وطنه . ولما مات سيف الدولة طمع هو بمحمص فاعترضه أبو المعالي ابن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل ابي فراس سنة ٣٥٧ وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقد جمع شعره في ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ وأفرده صاحب
 يتيمة الدهر فصلاً كبيراً لترجمة أبي فراس وأشعاره (ج ١) وقد غني الموسيقي
 دوفوراك في ترجمة بعض اشعاره الى الالمانية طبعت في ليدن سنة ١٨٩٥

ومن أمثلة شعره قوله في الفخر :

الم ترنا اعزَّ الناس جاراً	وامنعمهم وامرعمهم جناباً
لنا الحليل المطلُّ على زار	حللنا المجد منه والهضاباً
يفضلنا الانامُ ولا نحاشي	ونوصف بالجميل ولا نحابي
وقد علمت ربيعة بل زارُ	بأننا الرأس والناس الذنابي
ولما أن طغت سفهاء كعب	فتحننا بيننا للحرب باباً
منحناها الحرائب غيرانا	اذا جارت منحناها الحراباً
ولما تار سيف الدين ترنا	كما هيجت آساداً غضاباً
اسننه اذا لاقا طعاناً	صوارمه اذا لاقا ضراباً
دعانا والاسنة مشروعات	فكنا عند دعوته الجواباً
صنائع فاق صانعها ففاقت	وغرس طاب غارسه فظاباً
وكنا كالسهام اذا أصابت	مراميه فراميه اصاباً

وقوله في العتاب :

قد كنت عدتي التي أسطوبها	ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما املته	والمرء بشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التي لبره	اغضى على ألم لضرب الوالد

ومن اخوانياته قوله :

لم او اخذك بالجفاء لاني	واثق منك بالوداد الصريح
فجميل العمدو غير جميل	وقبيح الصديق غير قبيح

ومن باب الشكوى والعتاب قوله :

ايا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا	ايا قومنا لا تقطعوا اليد باليد
فياليت داني الرحم منا ومنكم	اذا لم يقرب بيننا لم يبعد
عداوة ذي القربى اشد مضاضة	على المرء من وقع الحسام المهند

وقوله :

اذا كان فضلي لا اسوِّغ نفعه	فاضل منه ان ارى غير فاضل
-----------------------------	--------------------------

ومن اضيع الاشياء مهجة طافل ويجوز على حوبائها حكم جاهل
ومن النسيب قوله :

تبسم اذ تبسم عن اقاح واسفر حين اسفر عن صباح
وانحفني راح من رضاب وراح من جنى خد وراح
فمن لآلاء غرته صباحي ومن صهباء ريقته اصطباحي
ومن التشبيهات قوله :

مددنا علينا الليل والليل راضع الى ان تردى رأسه بمشيب
بحال رد الحاسدين بقيظهم وتطرف عنا عين كل رقيب
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه مبادي نصول في عذار خضيب
ومن رومياته وقد شقت نخذه من نصل السهم قوله :

فلا تصفن الحرب عندي فانها طعامي مذبت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول اهائي
وترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ١ وبتيمة الدهر ٢٢ ج ١

٣ - كشاجم

المتوفي نحو سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق هندي الاصل ويعرف بالسندي . اقام في الرملة فلقب بالرملي . وله ديوان رتب على حروف المعجم طبع في بيروت سنة ١٣١٣ ومن مؤلفاته « كتاب ادب النديم » وهو صغير يبحث في واجبات النديم وفضائله واخلاقه وما عليه عند التداعي للمنادمة والسباع والمحادثة ويتخلل ذلك اخبار واشعار طبع في مصر سنة ١٢٩٨ : وينسب اليه كتاب البيزرة في علم الصيد منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . واخباره في الفهرست ١٣٩

٤ - السري الرفاء

توفي سنة ٣٦٢ هـ

هو ابو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء . ولد في الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز في دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره . فقصد سيف

الدولة ومدحه واقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ومدح الوزير المهلبى
وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالدين الشاعرين الموصلين معاداة فادعى عليهما
سرقه شعره وشعر غيره . فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ويدخل فيه
أحسن ابيات الخالدين ليقول الناس انهما سرقاها منه وسيأتي ذكرهما

وكان السرى شاعراً مطبوعاً يمتاز شعره بعذوبة الفاظه وكثرة الافتتان
بالتشبيهات والافصاف . ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفي بيتمة الدهر طائفة
حسنة من أشعاره وما ادخله في شعره من معاني الشعراء كالمثنبي وابن أبي حفصة
وابي تمام وغيرهم وهو فصل طويل

ومن تشبيهاته في وصف الثلج قوله :

يا من أنامله كالعارض الساري	وفعله ابدأ عارٍ من العار
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله	ثوباً يزر على الدنيا بازرار
نارٌ ولكنها ليست بمبدية	نوراً وماء ولكن ليس بالجاري
والراح قد اعوزتنا في صبيحتنا	يعباً ولو وزن دينار بدينار
فأمن بما شئت من راح يكون لنا	ناراً فانا بلا راح ولانار

ومن قوله يذكر صناعته :

وكانت الابرة فيما مضى	صائفة وجهي واشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً	كانه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيدة :

يلقى الندى بريق وجه مسفر	فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رحب المنازل ما اقام فان سرى	في جحفل ترك الفضاء مضيقاً

ومن عذوبة لفظه قوله :

ويا دبرها الشرقي لازال راح	يحل عقود المزن فيك ومغندي
عليلة انقاس الرياح كأنما	يعل بماء الورد نرجسها الندي
بشق جيوب الورد في شجراتها	نسيم متى ينظر الى الماء يبرد

وللسرى الرفاه ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ صفحة
نقلت من المدينة المنورة أكثرها في مدح سيف الدولة والوزير المهلبى وبعض بني حمدان .
وفيه اهاج في الخالدين وغيرها وقصائد وصفية يصف بها صيد السمك وشبكته والنار

وكلاب الصيد وبعض الابنية وغيرها . وفي وصفه رقة وسهولة . ومنه نسخ ايضاً في مكاتب باريس وبرلين

وله كتاب المحب والمحجوب والمشموم والمشروب وهو اربعة اقسام في المحيين واشعارهم والاطياب والازهار واسماء الحمر منه نسخة خطية في فينا واخرى في ليدن وترجمته في يتيمة الدهر ٤٥٠ ج ١ وابن خلكان ٢٠١ ج ١ والفهرست ١٦٩ .

٥ - ابن هاني الاندلسي

توفي سنة ٣٦٣ هـ

هو أبو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي ويرجمون بنسبه الى آل المهلب بن ابي صفرة . كان ابوه هاني شاعراً في بعض قرى المهديّة بافريقيا فانتقل الى الاندلس فولد له محمد سنة ٣٢٦ هـ في اشبيلية ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . تقرب من صاحب اشبيلية وحظي عنده وكان معاصراً لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والاندلس في ابان زهوها وحضارتها . لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر وكان ابن هاني من طلابها فلما اشتهر أمره بها نقم عليه الناس وساءت المقالة بحق صاحب اشبيلية بسببه وأهم بمذهبه فاشار عليه بالغيبة عن البلدة ريثما ينسى امره . فبرحها وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب والدولة الفاطمية في اثناء رغبته في فتح مصر فلقى القائد جوهر ومدحه . حتى انتهى خبره الى المعز لدين الله الفاطمي فاستقدمه اليه . ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فاخذ ابن هاني يستعد للحاق به فتجهز ولحق به فوصل برقة فاضافه شخص من أهلها اقام عنده اياما في مجلس انس . ويقال انه خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق فوجد ميتاً وهو في السادسة والثلاثين من عمره فاسف المعز لوفاته وقال : « هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق » ويمتاز شعر ابن هاني بالمبالغة الكثيرة في المديح والافراط الى حد الكفر . وفي ألفاظه قعقة وأنين . ونظراً لما تقدم من اشتهاره بالكفر لم ينصفه المؤرخون ولا الشعراء . وكان أبو العلاء المعري اذا سمع شعر ابن هاني قال « لا أشبهه الا برحى تطحن قروناً » لاجل القعقة التي في الفاظه . ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ - وانما فعل المعري ذلك تعصبا للمعني

وفي كل حال فانه أشعر أهل الاندلس على الاطلاق . وهو عندهم كالمتنبى في المشرق وكان معاصراً له . وأكثر شعره في مدح المعز لدين الله الفاطمي قد تقدم مثال منه عند كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن قوله في وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهل لا الهضب يوم مغارها
 عرفت بساعة سبقها لا انها
 وأجل علم البرق فيها انها
 في الغيث شبه من نذاك كأنما
 هضب ولا اليد الحزون حزون
 علفت بها يوم الزهان عيون
 مرت بجانحينه وهي ظنون
 مسحت على الانواء منك يمين

ولابن هاني ديوان مرتب على الابجدية منه نسخ خطية في أكثر مكاتب
 أوربا وطبع في بولاق سنة ١٢٧٤ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ وترجمته في ابن خلكان

٢ ج ٤

٦ - الوأواء الدمشقي

توفي سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الفرج محمد بن احمد الفسائي الدمشقي الملقب بالوأواء . كان في بدء أمره
 مناديا في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى أجاد واشتهر .
 وكان شعره حسن التشبيه منسجم اللفظ عذب العبارة حسن الاشارة ولذلك شاع كثير
 من أشعاره على ألسنة الناس من ذلك قوله :

بالله ربكما عوجا على سكتي
 وعرضا بي وقولا في حديثكما
 فان تبسم قولا عن ملاطفة
 وان بدا لكما من سيدي غضب
 وعانباه لعل العتب يعطفه
 ما بال عبدك بالهجران تتلفه
 ما ضر لو بوصال منك تسعفه
 فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وذكر له الثعالبي بعض القصيدة التي اشتهرت لابن زريق الآتي ذكره ومطالعها:

لا تعذليه فان العذل يولعه
 وله من التشبهات الايات المشهورة :

قالت وقد فنكت فينا لواحظها
 وأسببت لؤلؤا من ررجس وسقت
 انसानة لو بدت للشمس ماطلعت
 كأنما بين غايات الجفون لها
 لم ذا؟ اما لقتيل الحب من قود
 وردأ وعضت على العناب بالبرد
 من بعد رؤيتها يوما على أحد
 أسد الحمام على طرق الهوى رسدي

وله ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٦٥ صفحة نقل من
 المدينة المنورة أكثره مقاطيع في الحمر والغزل

وترجمته في فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ وبتيمة الدهر ٢٠٥ ج ١

٧ - السلامي

توفي سنة ٣٩٣ هـ

هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخي خالد بن الوليد وسمي السلامي نسبة إلى دار السلام. ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ ورحل منها إلى الموصل وهو صبي ينظم الشعر فلقى جماعة من مشايخ الشعراء منهم أبو عثمان الخالدي أحد الخالدين وأبو الفرج البيهقي وغيرهما . فاعجبوا ببراعته مع حداثة فاتهموه بأن الشعر ليس له . ثم خبروه بتجربة — وذلك أن الخالدي كان في يده نار نجة القاها على برد تساقط في تلك الساعة وطلبوا إليه أن يصف ذلك المنظر فقال مرتجلاً :

لله در الخالدي الاوحد الندب الخطير
أهدى لماء المزن عنده جموده نار السعير
حتى إذا صدر العنا ب إليه عن حنق الصدور
بعثت إليه بعذره عن خاطري أيدي السرور
لا تعذلوه فإنه أهدى الحدود إلى الثغور

فاقتنوا باقتداره وهو من أشعر أهل العراق ومدح آل حمدان . ونزل على صاحب بن عباد بأصفهان ردحاً من الزمن ثم قصد عضد الدولة في شيراز فعمله صاحب معزراً مكرماً فأكرمه عضد الدولة وكان يقول : « إذا رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطار قد نزل من الفلك إلي ووقف بين يدي »
ومن جملة مدحه إياه قوله :

البيك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزى في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر
ومن بديع شعره في مدح صاحب :

تبسطنا على الآتام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

وفي يتيمة الدهر الجزء الثاني طائفة من أحسن أشعاره . وتجد أخباره أيضاً في

٨ - الببغاء

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو الفرج عبد الواحد بن نصر الخزومي أصله من نصيبين بالعراق . وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء ولكن الشعر غلب عليه . وقد ذكر الثعالبي رسائل دارت يده وبين أبي اسحق الصائبي وأشياء يطول شرحها . ولقب بالببغاء للثغرة في لسانه . واتصل في ريعان شبابه بسيف الدولة في حلب ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن شعره ما يتغنى به أكثره في الغزل والحمر وفي الزهر فضلا عن قصائد المديح . وفي البيضة امثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ومن تشبيهه قوله :

وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين اهلة في الجلمد

وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الأعمد

و اكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة

واخباره في ابن خلكان ٢٩٨ ج ١ وبيضة ١٧٣ ج ١

٩ - النامي

توفي سنة ٣٩٩ هـ

هو ابوالعباس احمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي من خواص مداح سيف الدولة يأتي بالرتبة عنده بعد المنتبي وكان اديباً عارفاً باللغة وقد اشتغل فيها بحلب وله وقائع مع المنتبي ومعارضات في الاناشيد . وقد عاش بعده دهرأ حتى اربى على التسعين سنة من العمر ومن لطيف شعره قوله :

اتاني في قبيص اللاذ يسعي عدو لي يلقب بالحبيب

وقد عبث الشراب بمقلتيه فصير خذه كسنا اللهب

فقلت له بما استحسنت هذا لقد اقبلت في زي عجيب

احمره وجنتيك كسنتك هذا ام انت صبغته بدم القلوب

فقال الراح اهدت لي قبيصاً كلون الشمس في شفق المغيب

فتوبني والمدام ولون خدي قريب من قريب من قريب

واخباره في ابن خلكان ٣٨ ج ١

١٠ — ابن نباتة السعدي

توفي سنة ٤٠٥ هـ

هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من نعيم . نشأ في بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء من جماتهم سيف الدولة وابن العميد . وجرت بينه وبين هذا مفاوضة سيأتي ذكرها في ترجمة ابن العميد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلب وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ومن قوله في سيف الدولة وقد اعطاه فرساً احمر محجلاً قصيدة قال منها في وصف الفرس :

فكانما لطم الصباح جبينه	فاقتص منه فخاض في احشائه
متمهلاً والبرق من اسبائه	متبرقاً والحسن من اكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها	لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الاحاظ في اعطافه	الا اذا كفتكفت من غلوائه
لا يكمل الطرف المحاسن كلها	حتى يكون الطرف من اسرائه

وهو غير ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ صاحب الديوان المشهور وسيأتي ذكره . وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب المتوفى سنة ٣٨٤ هـ صاحب ديوان الخطب وقد طبعت خطبه بمصر مراراً وفي بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عديدة منها نسخ خطية في مكاتب أوروبا . وترجمته في ابن خلكان ٢٨٣ ج ١
واما ابن نباتة السعدي فترجمته في ابن خلكان ٢٩٥ ج ١ وبتيمة الدهر ١٤٣ ج ١

١١ — الشريف الرضي

توفي سنة ٤٠٦ هـ

هو ابو الحسن محمد بن الطاهر وينتهي نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن علي ولذلك لقب بالشريف الرضي الموسوي . ولد في بغداد سنة ٣٥٩ وبدا يقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة وكان ابوه نقيب الاشراف الطالبين فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ وابوه حي . وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة وكان يقيم في سر من رأى (سامراً) . وقد اجمع الاكثرون على أن الشريف الرضي اشعر قريش لان شعراء قريش كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل . فاما مجيد مكث فليس الا الشريف الرضي . وتوفي في بغداد سنة ٤٠٦ هـ ودفن في الكرخ ورثاه الشعراء . وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه في الشعر والادب . ومن

أجل نظمه الدال على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها في الخليفة القادر بالله العباسي
في جلسة جالسها فواصل إليها الحجاج وغيرهم سنة ٣٨٢ مطلعها :

لمن الحدوج تهزهن الاينق والركب يطفو في السراب ويفرق
ونخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزت في برد النبي وللهدي نور على أسرار وجهك مشرق
وكان دارك جنة حصباؤها الجسادي أو انماطها الاستبرق
في موقف تفضي العيون جلاله فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس اما شاخص متعجب مما يرى أو ناظر متشوق
مالوا اليك محبة فتجمعوا ورأوا عليك مهابة فتفرقوا
عطفاً أمير المؤمنين فاتسا في دوحة العلياء لا تفرق
ما يدنا يوم الفخار تفاوت أبدأ كلانا في المعالي معرق
الا الخليفة ميزتك فاني انا عاقل منها وانت مطوق

وتمتاز الشريف الرضي ببراعته في الرثاء وله عدة مرات اشهرها رثاؤه لابي
اسحق الصابي بقصيدة مطلعها :

أرأيت من حملوا على الاعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي
وقد اكبر الناس قوله في هذه القصيدة لان المرئي كان صابئاً
ومن قوله في الحكم :

كن في الانام بلا عين ولا اذن أو لا فمش أبد الايام مصدوراً
والناس أسد تحامي عن فرائسها اما عقرت واما كنت معقوراً
وللشريف المذكور ديوان كبير رواية ابي حكيم الخيري مرتب على أبواب : (١)
المديح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المرثي (٤) النسيب والمسيب ووصف طيف
الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على الابجدية ويلها زيادات . منه نسخ
خطية في المكتبة الخديوية ومكاتب برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع في الهند
في مجلد واحد كبير مرتب على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ . وله مؤلفات في معاني القرآن
لم تصلنا . وله كتاب انشراح الصدر في مختارات من الشعر منه نسخة خطية في
المكتبة الخديوية . وفي مكتبة الاسكوريال مما ينسب الى الشريف الرضي مجموعة
اشعار عنوانها طيف الخيال

ونجد ترجمته في ابن خلكان ج ٢ ج ٢ وبتيعة الدهر ٨١ و ٢٩٨ جزء ٢

١٢ - صريع الدلاء

توفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو الحسن علي بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقبيل الفوائي اشتهر
بقصيدة مجونية مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :

من لم يرد ان تنتقب نعاله	يحملها في كفه اذا مشى
ومن اراد ان يصون رجله	فلبسه خير له من الحفا
من دخلت في عينه مسلة	فاسأله من ساعته عن العمى
من اكل الفحيم تسود فمه	وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع الناس ولم يدعهم	ان يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر راسه	وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه	طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته في فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢

١٣ - مهبيار الديلمي

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو ابو الحسن مهبيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي كان مجوسياً واسلم
على يد الشريف الرضي . وتخرج في الشعر على يده وقد وازن كثيراً من قصائده
ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس وقد طرق اكثر ابواب
الشعر فمن قوله في القناعة :

يلجى على البخل الشحيح بماله	افلا تكون بماء وجهك ابخلاً
اكرم يدبك عن السؤال فانما	قدر الحياة اقل من أن تسألاً
ولقد اضم الي فضل قناعتي	وايت مشتعلاً بها متزماً
وأري العدو على الخصاصة شارة	تصف الغني فيخالني متمولاً
واذا امرؤ افنى الليالي حسرة	وامانياً اقببهن توكللاً

ومن بديع مدائح قوله من جملة قصيدة :

واذا راوك تفرقت ارواحهم	فكأنما عرفتك قبل الاعين
واذا اردت بان تفل كتيبة	لاقيتها فنسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة ايات تتضمن العتب وهي :

اذ تصور الاشفاق لى كيف انتم وكيف اذا ما عن ذكري صبرتم
تنفست عن عتب فؤادي مفصح به ولساني للحفاظ يحمحم
وفى في ماء من بقايا ودا دم كثيراً به من ماء وجهي أرقم
ارقت فما ضنا عليه وبينه وبين انسكاب ريثا اتكلم
وقد جمع شعره في ديوان يدخل في اربعة مجلدات كان مشهوراً في أيام ابن
خلكان وذكر امثلة منه ولم نقف عليه . وترجمته في ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ - ابو العلاء المعري

توفي سنة ٤٤٩ هـ

هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث كما كان شبيهه ابو الطيب المتنبي فاتحته -
ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفياسوف احمد بن عبد الله بن سليمان بن
محمد التوخي . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ هـ وكان ابوه من اهل الادب وتولى جده القضاء
فيها . وكانت امه أيضاً من اسرة وجيبة يعرفون بأل سبيكة اشهر منهم غير واحد
بالوجهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب واميرها يومئذ
سعد الدولة ابو المعالي

ولم يتم ابو العلاء الثالثة من عمره حتى اصابه الجدرى فذهب يسرى عينيه
وغشي يمنها يياض . فكف بصره وهو طفل وكان يقول : « لأعرف من الالوان الا
الاحمر لاني البست في الجدرى ثوبا مصبوغاً بالمصفر » لقنه أبوه النحو واللغة في
حدائته ثم قرأ على جماعة من أهل بلده . ولما أدرك العشرين من عمره عمد الى سائر
علوم اللغة وآدابها فاكتسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم أناساً يقرأون له كتبها
وأشعار العرب وأخبارهم . وهو قوي الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعاً على الشعر نظمه قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه
العمى من مباراة أرباب القرائح في ما اشتغلوا به حتى في العاهم فقد كان يلعب
الشطرنج والنرد ويحيد لعبهما لا يرى في العمى نقصاً : بل هو كان يقول « احمد الله
على العمى كما يحمد غيري على البصر » وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون
ديناراً في العام ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل في طلب العلم على عاداتهم في ذلك العهد فأتى طرابلس واللاذقية وسواهما
من بلاد الشام وأخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته

قد سبقته إليها فاستقبله علماءها بالحفاوة. واطلع في أثناء إقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلاً عن سائر العلوم. حتى إذا نضج عقله وأمعن النظر في الوجود رأى الدنيا كما هي فزهد فيها وعزم على الاعتزال ليتسنى له التأمل والتفكير. فغادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ وأتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » وأخذ بالتأليف والنظم وتدوين أفكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب. وانقطع عن أكل اللحم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم - اقتبس ذلك من آراء البراهمة الهنود فذهب مذهبهم فيه رفقاً بالحيوان وتجاوفاً عن إيلامه. ولزم الصوم الدائم قضى أبو العلاء في هذه العزلة بضعاً وأربعين سنة واكله العدس وحلاوته التين. وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون إليه ليسمعوا أقواله وأخباره. أو يكتبوه في استفهام واستفتاء ويأخذوا عنه العلم مجاناً حتى توفاه الله سنة ٤٤٩ وكان معدوداً من أقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه لم يتكسب بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات في الشعر وفي الادب. أما اشعاره فاشهرها :

١ اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع في بمباي سنة ١٣٠٣ هـ ثم في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو ٩٠٠ صفحة. في صدرها مقدمة في الشعر وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادي يدل على رسوخ قدمه في اللغة والشعر. وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط أهمها التزام حرفين في القافية وقد نظمها في أثناء عزلته وضمنه كثيراً من آرائه في الوجود والخليقة والنفس والدين. فكان له وقع عند أصحاب الفلسفة فقالوا : « ان أبا العلاء أتى قبل عصره باحتيال » وتمتاز اشعاره في عزلته بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من أسباب السعادة - لعل سببها اختلال عمل الهضم بتوالي الصوم والاقصرار على نوع أو نوعين من الاطعمة. على ان أكثر اشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف ويندر فيها المدح او التشبيب. وقد نقل أمين افندي ربحاني بعض رباعياته الى الانكليزية نشرت في اميركا منذ بضع سنين. وترجم بعض شعره أيضاً جورج سلمون الى اللغة الفرنسية ونشرها في باريس سنة ١٩٠٤

٢ سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمها قبل العزلة. طبع مراراً

٣ ضوء السقط : يقتصر على ما نظمها في الدرع طبع في بيروت سنة ١٨٩٤
أما الادب فله فيه مؤلفات عديدة ربما زادت على خمسين كتاباً أكثرها في اللغة والقوافي والنقد والفلسفة والمراسلات ضاع معظمها واليك ما بلغ الينا خبره منها :

٤ رسائل أبي العلاء: هي كثيرة لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة كراس وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب نحو ما يفعلون في انشاء المقامات فلا تفهم بلا تفسير. وهي من قبيل الشعر المنثور في وصف الخلائق كالتمل والجراد والنسر والفيل والنحل والضفدع والفرس والضبع والحية ونحوها من الحيوانات. غير وصف الاماكن والمواقف والنياب والمآكل وغيرها مما يحسن تحديده لولا ما فيه من اللفظ الغريب. ولكن معظمها ضاع وقد جمع اكثر ما بقي منها في كتاب طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطاً بالحركات. وطبع أيضاً في اكسفورد سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجايوث المستشرق الانكليزي مع ترجمة انكليزية وتعليق ومشروح تاريخية وأدبية مفيدة. وقد صدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف بالانكليزية وذيلها بما ذكره الذهبي من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ رسالة الغفران: هي من جملة رسائله ولكننا افردناها بالكلام لانها طبعت على حدة ولها شأن خاص من حيث موضوعها. وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلة وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم والرواة والنحاة على اسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه أحد. فتخيل رجلاً صعد الى السماء ووصف ما شاهده هناك كما فعل دانتي شاعر الايطاليان في «الرواية الالهية» وما فعل ملتن الانكليزي في «ضباع الفردوس» لكن ابا العلاء سبقهما ببضعة قرون. لان دانتي توفي نحو سنة ١٣٢٠ هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ هـ وتوفي ابو العلاء سنة ٤٤٩ هـ فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه. واقدمها (دانتي) لم يظهر الا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين. والاطاليان سبق الافرنج الى ذلك. وتقسيم مواضيع رسالة الغفران الى قسمين ادبي لغوي ونوادير خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلي الافكار والمنتبئين ونحوهم بمن توالى ظهورهم في اثناء التمدن الاسلامي. ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعراً قاله أو عملاً عمله فغفر له به. ومنها تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران - كأنه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه أحياناً من الايات التي يمدّها الناس كفرة. وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ولخصناها في السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ ملقى السبيل: هي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ عن أصل خطي قديم وجد في الاسكوريال بعناية ج. ح. عبد الوهاب التونسي. وهي على نسق رسائله الاخرى لكن أكثرها منظوم. وقد قابل الناشر بين آراء المعري فيها واراها

شوبهور الفيلسوف الالماني من حيث الحياة ومصيرها وطبعها على حدة سنة ١٩١٢
 ٧ كتاب الايك والنصون ويعرف باسم الهمزة والرديف : يبحث في الادب
 واخبار العرب يقارب مئة جزء ضاع منذ بضعة قرون. وانما ذكرناه لعل أحداً يعثر
 على شيء منه اذ يظهر انه عظيم الاهمية فقد قال فيه الذهبي «حكي من وقف على المجلد
 الاول بعد المئة من كتاب الهمزة والرديف فقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد»
 وعنى أبو العلاء بشرح كتب هامة أو اختصارها مر ذكر بعضها . منها شرح
 الحماسة منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوي
 وكان مشاركا في كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق
 ويظهر أثر ذلك في أشعاره وأقواله . ولو أردنا الاتيان بأمثلة منها لضاق بنا المقام
 ودواوينه شائعة فربناه بخلو ترجمته من الامثلة الشعرية كما ميزنا المتنبي قبله . وقد
 تقدم ذكر شيء من شعره في كلامنا عن مزايا الشعر في هذا العصر وغيره . وسنأتي
 بأمثلة اخرى في أمكنة أخرى

مناقبه ومثله

ويقال بالاجمال ان الشعر العربي دخل بعد المعري في طور جديد من حيث النظر
 في الطبيعة والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية . فانتقل الشعر على يده من الخيال
 الى الحقيقة . واختلف الناس في مناقب أبي العلاء واخلاقه واعتقاده . وله فلسفة
 خاصة في الدين والطبيعة والخلق . وهو أقرب من هذا القبيل الى مذهب اللاأدريين
 ويعتقد التقمص وخلود المادة وان الفضاء لا نهاية له . وكان يقبح الزواج ويعتد
 تخليف الاولاد جنابة . وكان يرى المرأة لا ينبغي لها أن تتعلم غير الغزل والنسج
 وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان ففضى النصف الاخير من عمره
 لم يذق لحمًا . وله أقوال في هذا الموضوع سبق بها أصحاب الرفق بالحيوان اليوم عدة
 قرون. وعثر له الاستاذ مرجليوث على رسالة في هذا الموضوع جزيلة الفائدة نشرها
 في المجلة الاسيوية الانكليزية ولخصناها في الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهمه بعضهم بالكفر وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر في
 تلك الايام . مع ان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهرة في كثير من اشعاره لكنه لم
 يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل التفكير . وكانت حقيقة الدين عنده أن يعمل الانسان
 خيراً لا أن يكثر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين
 يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وايدناه بالامثلة من أشعاره وأقواله
 في السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته في السنة المذكورة من الهلال وفي ابن خلكان ٣٣ ج ١ وطبقات
الادباء ٤٢٥ ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ وفي ذيل رسائله المطبوعة باكسفورد

سائر الشعراء

في العصر العباسي الثاني

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم فمن أحب
الاطلاع على تراجمهم واخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للتعالي ودمية القصر
للباخرزي ومعجم الادباء لياقوت الحموي وتاريخ ابن خلكان وسائر كتب التراجم .
وانما نشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر وهم :

١٥ أبو الرقعمق كان مداحاً : ترجمته في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ١ وابن خلكان

٤٠ ج ١

١٦ الواساني كان هجاءاً : ترجمته في اليتيمة ٢٦١ ج ١

١٧ ابو عبدالله الحسن بن حجاج كان مجانناً : اليتيمة ٢١١ ج ٢

١٨ ابن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بن المنصور الخليفة العباسي . جال
في ميدان المجون والسخف ما اراد . وكانوا يشبهونه مع ابن الحجاج بجرير والفرزدق .
ويربو ديوان ابن سكرة على ٥٠٠٠٠ بيت منها ١٠٠٠٠ بيت في جارية سوداء اسمها
خمرة وكانت عرضة نوادره وملحه كطيالسان ابن حرب ولم نقف على ديوانه . ترجمته
في اليتيمة ١٨٨ ج ٢ وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن ذريق

١٩ ولا يصح الاغضاء عن ابي الحسن علي بن ذريق الكاتب البغدادي صاحب
القصيدة التي قالها في حال غمه وبأسه بعد أن قصد صاحب الاندلس ومدحه فلم يعطه
الاعطاء قليلاً فاعتل غماً ومات . وذكروا ان صاحب الاندلس انما اراد أن يختبره
فلما كان بعد أيام سأل عنه فتفقده في الحان الذي كان فيه فوجدوه ميتاً وعند رأسه
رقعة فيها القصيدة المشار اليها ومطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قات حقاً ولكن ليس بسمعه

وهي منشورة في الكشكول وغيره من كتب الادب . ولها شروح وتخاميس
وقد تقدم أن التعالي ذكر بعضها للوأواء الدمشقي . وقد شرحها علي بن عبد الله
العلوي وخمسها علي بن ناصر الباعوني ومن الشرح والتخاميس نسخة في برلين

الانشاء والترسل

في العصر العباسي الثالث

تمكنت الحضارة من أسلوب الترسل في هذا العصر — ونعني بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص. «ويريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الادب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة» وهو الذي يتغير مع العصر كما يننا ذلك في كلامنا عن الانشاء في العصر الماضي. ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان أساليبها متشابهة. أما انشاء الكتب أي عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التي يراد بها تقرير الحقائق بغير ارباب أو تهديد أو تنبيه أو تحريض فهذه قلما يعنورها تغيير لان تقرير الحقائق العلمية أو التاريخية قلما تؤثر فيه الافعالات النفسية فهو أقل بحارة للاحوال الاجتماعية. ولذلك رأيت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة بندر الاختلاف فيها — الا في ما يختص بنفس الكاتب واسلوب تفكيره وموضوع كتابه. اذ ان لكل كاتب طريقة يعبرون عنها بالذوق ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقا خاصاً. فعبارة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ وهذه تختلف عن عبارة الحكميم أو الرياضي. وقد يختلف أسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذي يكتب فيه. ولكنها ترجع كلها الى أسلوب خاص يختلف عن أسلوب الترسل

والكاتب في المواضيع العلمية لا يزال على أسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضي الموضوع مخاطبة القارئ فينتقل الى أسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور. فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط — الا طائفة من المؤلفين ارادوا زيادة التألق في مؤلفاتهم فجعلوا عباراتها كلها مسجعة. وذلك نادر وسعود الى الكلام فيه

اسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والاميال وسائر الاحوال وهذه تختلف في الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية واحوالهم الادبية وهي تتغير بتغير الاحوال — كان الترسل أكثر تعرضاً للتغيير في أسلوبه وعبارته وهو ما نريد بيانه هنا يغلب أن يكون لكل عصر امام في انشاء المراسلات يتجدد معاصروه. كذلك كان

عبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الاول والجاحظ في العصر الثاني . واما امام الانشاء في هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سببها في ترجمة حاله . وقد رأيت ما أصاب هذا الانشاء في العصر الماضي على يد الجاحظ وأصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدماء فيها بصيغة الخطاب بغير اشتراط السجع أو التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع باسباب الحضارة والتعرف نغني مآصار اليه الادباء والمنشئون من التبسط في العيش عن سعة ورخاء . لا يخافون مزاحمة أو فقراً لتعدد مصادر الارتزاق في دور الامراء والوزراء والخلفاء . فاذا خافوا سبغاً في بلاط نرحوا الى سواه والرخاء يدعو الى التأنق فنطرق ذلك الى انشاءهم فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون بلباسهم وطعامهم واثاثهم فاطالوا العبارة وتوسعوا في التثمين . ونبغ جماعة من أصحاب القراع تساعدوا على ذلك حتى صار للانشاء في هذا العصر طريقة أخذها أهل العصور التالية نموذجاً نسجوا على منواله . وهي الطريقة المدرسية في اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وعبارة أخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربي نضجت في هذا العصر كما نضج الانشاء الروماني في عصر شيشرون ثم أخذ في التدهور . وهكذا أصاب الانشاء العربي بعد هذا العصر كما ستراه في مكانه . وللطريقة المدرسية في الانشاء العربي شروط هاك أهمها :

شروط الطريقة للمدرسية في الانشاء العربي

١ السجع : اصبح التسجيع شرطاً من شروط الترسل وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في اتقانه . فالرسالة المسجومة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجومة . وتدل من جهة أخرى على تفرغ صاحبها للتثمين ولا يكون ذلك الا في الرخاء - والسجع اذا أتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد اتقنه بلغاء العصر الثالث فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه . لكن بعض معاصريهم من ادعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء بارداً . وما يروى من هذا القبيل وفيه فكاهة ان الخاقاني الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه في التوقيع على كتب العمال فوقع مرة « الزم وفقك الله المنهاج واحذر عواقب الاعوجاج واحمل ما أمكن من الدجاج ان شاء الله » فعمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية . فقال « هذا دجاج وفرته بركة السجع » وأمر أن يباع ويورد ثمنه في الحساب فأورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع

٢ الجناس والبديع : واكثرها من الجناس وهو من قبيل الترتيب للآنية أو الوشي للثوب . لا يزيد الوشي الثوب نفعاً للابس منه من حيث الغرض المراد منه كالدفع

والستر ولكنه يزيد جمالا . والجناس أو البديع لا يزيد العبارة معنى لكنه يكسبها رونقا ولا سيما مع السجع . فقول أبي بكر الخوارزمي في كتابه الى نائب الوزير ابن عباد : « كتبت الى الاستاذ معاتباً مرة . ومستعجباً كره . فما وجدت للعتاب اعتاباً . ولا قرأت من الكتاب جواباً . وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لاتضره وتنفعني . وعن تواضع لا يضره ويرفعني » لو جملة مرسلات بسيطة لم يكن له ذلك الوقع في النفس ٣
كثير فيه الخيال الشعري حتى أصبح سجعهم كالشعر المنشور لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعراً

٤ كثير تضمين مراسلاتهم الامثال أو النكت الادبية أو العبارات التاريخية أو العلمية التي تحتاج الى شرح كقول ابن العميد في رسالة الى أبي العلاء السروي :
« وأحمد الله على كل حال وأسأله أن يعرفني فضل بركته ويلقيني الخير في باقى ايامه وخاتمته . وأرغب اليه في أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره . ويخفف حركته ويجعل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائره . ويزيل بركة الطول من ساعاته . ويرد علي غرة شوال فهي اسر الفرر عندي واقرها لعيني . وبسمعي النعرة في قفا شهر رمضان . ويعرض علي هلاله اخفى من السر وأظلم من الكفر . وانحف من مجنون بني عامر واضى من قيس بن ذريح وابلى من أسير الهجر . ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل علي رفاقته التي يغشى العيون ضوءها ويحط من الاجسام نؤها كلفاً يغمرها وكسوفاً يسترها » الخ

٥ أكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار في أثناء مراسلاتهم وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحاً ويكسبه قوة على ابداء ما في خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم في ذلك الترصيع حتى أصبح الشعر فيه أكثر من التثر . كقول صاحب بن عباد يصف فصلاً من كتب ابن العميد قال : « فصل رأيت فصيح الاشارة لطيف العبارة

إذا اختصر المعنى فشرية حاتم وان رام اسهاباً اتى الفيض بالمد
فصل قد نظرت فرأيت جسماً معتدلاً وفهماً مشتعلًا

ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام

فصل قد عمهم بنعمه وغمهم بشيمه

وغزاهم بسوابغ من فضاه جمعات جماجم بطائن نمله » الخ

وتفنن آخرون بجمل الترصيع شطراً شطراً كقول الهمداني من رسالة الى

الخوارزمي :

انا لقرب دار الاستاذ كما طرب الشنوان مالت به الحمر
ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر
ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصبياء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره كما اهتزت تحت البارح الفصن الرطب

٦ صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلاً في رسائل ابى بكر الخوارزمي وابى منصور الثعالبي وأمثالهما من كتاب ذلك العصر . فالرسالة تبدأ غالباً بمخاطبة المرسل اليه بلقبه أو نعمته بعد الاشارة الى كتابه . ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم : « ورد كتاب الامير يأمرني فيه بكذا وكذا الخ » وقولهم : « قد حملت الى حضرة الشيخ اياتاً عاتبته بها » وهو يريد الشيخ المخاطب . وقد يأتي اللقب مشفوعاً بالدعاء بصيغة الغائب أيضاً كقول ابى بكر الخوارزمي في كتاب الى محمد بن ابراهيم صاحب الجيش وكان محبوساً وخرج من الحبس « كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال خروج المشرفي من الصقال الخ » وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب في بعض الاحوال

٧ تفرع الترسل الى أبواب عملاً بسنة النشوء كما تفرع الشعر . فصارت الرسائل تقسم الى رسائل التهنية والتعزية والمسديج والرثاء والى الاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك

٨ تمتاز مقدمات الكتب أو خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبي وتختتم بآية يحسن الختام بها كقولهم « وما توفيتي الا بالله عليه توكلت » أو بالحسبة ونحوها
٩ اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنوع خاص بها . فان تفاوت رجال الدولة بالمنزلة والنفوذ اقتضى أن تتفاوت أساليب مخاطبتهم . واستقر ذلك على وجه معين في العصر العباسي الثالث . فاصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعت تفتح بها مخاطبتهم وعبارات تعنون بها كتبهم وأدعية يدعون بها لهم . كقولهم في مخاطبة اولاد الخليفة في زمن المقتدر بالله « أطال الله بقاء الامير » ولؤنس المظفر « أطال الله بقاءك وأعزك واكرمك واتم نعمته واحسانه اليك » والعنوان « لابى الحسن اطال الله بقاءه » ولصاحب اليمن ونحوه « أكرمك الله ومد في عمرك وأتم نعمته عليك وادامها لك » وقس عليه

١٠ صار الانشاء قناله الفاظ خاصة سموها الالفاظ الكتابية لا يتجاوزها الى سواها . وتولدت فيه مصطلحات خاصة لاساليبه وعباراته كالنسيج والترصيع

والتضريس والتبديل والمكافأة والاستعارة والتعيم والتقسيم والارداف والتمثيل
والمعاظلة والتكرير وغيرها . ولكل منها غرض في الانشاء .

هذه اهم شروط الانشاء في العصر العباسي الثالث وقد سميها الطريقة المدرسية
لأنها صارت مثالا توخاه الكتاب في سائر العصور الاسلامية . وقد طرأ عليها تغيير
اقتضاء حال الاجتماع سذكروه في مكانه

ومما لا بد من التنبه اليه ان ما يجري عليه الكتاب من تحدي القدماء في
مذاهبهم وتقليد اساليبهم لا اعتقادهم ان ملكة الانشاء انما ترسخ بمطالعة كتب القدماء
واشعارهم بعث على تعدد الاساليب في العصر الواحد . فينبغ في العصر الثالث مثلاً
كتاب يتحدون اسلوب الجاحظ وآخرون يقدون اسلوب المقفع أو عبد الحميد أو
اسلوب صدر الاسلام . ويصدق ذلك على سائر العصور . ولكن يغلب في أهل العصر
الواحد أن يخضعوا لما تقتضيه المجاري الاجتماعية فيكون لانشائهم صبغة خاصة به

المفسسونه أو المترسلون

في العصر العباسي الثالث

تكاثر المنشئون في هذا العصر مثل تكاثر الشعراء واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعاً
حتى لقد تتولاك الحيرة في جعل احدهم من الكتاب أو من الشعراء . واشتهر من
المترسلين في العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة شرفت بهم الصناعة
وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها . بل هم أقوى اركان تلك النهضة في
النظم والنثر وسائر اسباب العلم والادب واليك اشهرهم حسب سني الوفاة :

١ - ابن العميد

توفي سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفضل محمد بن العميد والعميد لقب والده على عادة أهل خراسان في
اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد
الدولة . تولى الوزارة سنة ٣٢٨ هـ وكان متوسعاً في الفلسفة والنجوم فضلاً عن
الادب والترسل حتى سموه «الاسناذ» وكان بلقب لبراعته في الترسل بالجاحظ الثاني .

وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان صاحب بن عباد من بعض اتباعه كما سيجيء . وطاد صاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها فقال « بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد » يشير الى تفرد في العلم . وهو اسبق المنشئين الى أسلوب ذلك العصر وقد اجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلو كعبه في العلم — وكثيراً ما رأينا الوجاهة من جملة اسباب الشهرة العلمية فهي لا تجعل الجاهل مشهوراً بالعلم لكنها تجعل قليل العلم ان يشهر بكثرة وأخذ صاحب بن عباد عن ابن العميد وكان صاحب مركزاً يدور حوله ادباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة

ويدل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء في ذلك العصر حادثة جرت له من ابن نباتة السعدي وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها باخري واتبعها برقعة فلم يزد ابن العميد على الاهمال مع رقعة حاله التي ورد عليها الى بابه . فتوصل الى أن دخل عليه يوماً وهو في مجلس حفل باعيان الدولة ومقدمى ارباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيده وقال: « ايها الرئيس اني لزمك لزوم الظل وذلك لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك . والله ما بي من الحرمان ولكن شامة الاعداء وهم قوم نصحوني فأغششتم وصدقوني فآتهمم فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة أقاومهم . ولم احصل من مدح بعد مدح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم وبأس مسقم . فان كان للنجاح علامة فان هي ؟ وما هي الا أن الذين نحسدكم على ما مدحوا به كانوا من طيفتك وان الذين هجوا كانوا مثلك . فزاحم بمنكبك اعظمهم شأنًا وأنورهم شعاعاً وأمدمهم باطاً وأشرفهم بقاعاً »

فأرشد ابن العميد ولم يدر ما يقول فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاسزادة وعن الاطالة مني في المعذرة . واذا تواهنا مادفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه » فقال ابن نباتة: « ايها الرئيس هذه نفثة مصدرور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر . والغني اذا مطل لثيم »

فاستشاط ابن العميد غضباً وقال « والله ما استوجب هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ولست ولي نعمتي فاحتملك ولا صنيعتي فاعضي عليك وان بعض ما قررت في مسامعي ينغص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمت بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقرضي » فقال ابن نباتة: « صدقت ايها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك

ولا كلفتني تقريضك ولكن جاست في صدر ديوانك باهتك وقت لا يخاطبني أحد
الا بالرئاسة ولا ينازعني خلق في احكام السياسة. فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الأولياء
والحضرة والقيم بمصالح المملكة. فكانك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال «
فثار ابن العميد مغضباً وأسرع في صحن داره الى ان دخل حجرته وتقوض
المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار ماراً يقول: « والله ان سف
التراب والمشي على الجمر أهون من هذا. فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه
مما كسأ فيه »

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حمله الشمس من الغد ليعتذر اليه ويزيل
آثار ما كان منه فكانما غاض في سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه . فكانت
حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات . ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر
غير ابن نباتة

وكان ابن العميد يقرب أهل الادب والشعر فحام حوله طائفة منهم امتدحوه
كالمتنبي وابن نباتة والصاحب بن عباد وغيرهم. كانوا يجتمعون في مجلسه فيقترح عليهم
النظم والمقارضة — وهي أن يقول أحدهم شعراً أو يبتأ في وصف شيء أو حادثة
فيتمه الآخر فالآخر

وكان ابن العميد شاعراً رقيقاً من أحسن شعره قصيدة قالها منها :
قد ذبت غير حشاشة ودماء ما بين حر هوى وحر هواء
الى أن قال وفيه مبالغة :

لا تغتم اغضاء تي فلعلها كالعين تفضيها على الاقضاء
واستبق بعض حشاشتي فلعلني يوماً أقيك بها من الاسواء
فلوان ما بقيت من جسيمي قذى في العين لم يمنع من الاغفاء

ومن قوله في الغزل :

ظلت تظللني من الشمس نفس أعز علي من نفسي
فاقول واعجباً ومن عجب شمس تظللني من الشمس

ترى أمثلة من ترسله ونظمه في بيتمة الدهر الجزء الثالث . ولم يصلنا منه رسائل
بجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه ابو الفتح ذو الكفارين بعده بمثل شهرته

ونجد أخبار ابن العميد في ابن خلكان ٥٧ ج ٢ وبيتمة الدهر ٢ ج ٣

٢- أبو بكر الخوارزمي

توفي سنة ٣٨٣ هـ

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر . ويقال له أيضاً الطبرخزي لان أباه من خوارزم وأمه من طبرستان . وهو ابن أخت محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ . وكان الخوارزمي اماماً في اللغة والنسب أقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب . وكان يشار اليه في عصره وقصده صاحب بن عباد وهو في ارجان وجالسه وبأسطه . واشتهر بكثرة حفظه للاشعار . ويحكى انه لما جاء الى الصاحب استأذن عليه بدون أن يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب واعلمه فقال الصاحب: « قل له قد أذمت نفسي أن لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له أبو بكر : « ارجع وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء » فدخل الحاجب فاعاد عليه . فقال : « هذا يكون ابا بكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول

لم يصل الينا من آثار أبي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه وهي مطبوعة في مصر وفي الاستانة سنة ١٢٩٧ وفي بومباي سنة ١٣٠١ وغيرها ومنها نسخ خطية في برلين وفيينا وليدن وكوبرلي . وفي الجزء الرابع من يتيمة الدهر أمثلة كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح والمراني والاهاجي وطرق مختلفة . وهو غير محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي الرياضي المعاصر للمأمون (ترجمته في ابن الفظطي ١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير أبي عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره صفحة ٢٣٢

أما أبو بكر هذا فترجمته في ابن خلكان ٥٢٣ ج ١ وبتيمة الدهر ١١٤ ج ٤

٣- أبو اسحق الصابي

توفي سنة ٣٤٨ هـ

هو أبو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حنون الحزاني الصابي جد ابي الحسن هلال الصابي صاحب التاريخ . كان أبو اسحق كاتب الانشاء في بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه . وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤمله فشق عليه فلما قتل عز

الدولة وملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧ هـ وعزم على القائه تحت ايدي الفيلة فشفعوا فيه ثم اطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد امره ان يصنف كتاباً في اخبار الدولة الديلمية فعمل كتاب «التاجي» فقبل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل فقال : «أباطيل انمقها واكاذيب ألقمها» فهاج حقه عليه ولم يزل الصابي مبعداً في أيامه

وكان ابو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عز الدولة يحرصه على الاسلام فلم يفعل لكنه كان بصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضي المتقدم ذكره . فلما توفي ابو اسحق رثاه بالفصيدة التي ذكرنا مطلعها وخبرها في ترجمة الشريف . وكان الصابي عالماً بالهندسة لكن غلبت عليه صناعة الانشاء . وما بلغنا من انشائه :

١ منشآت الصابي: في المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم تدخل في ٤٥٤ صفحة تشتمل على مراسلات كتبها الصابي على لسان ولاية الامر في عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهي كالتحارير الرسمية في وصف الوقائع الحربية أو غيرها . منها رسالة كتبها الى ركن الدولة سنة ٣٦٤ هـ شرح فيها فتح بغداد وأهزام الأتراك منها ووصف الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح جبال الفقص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الأكراد) ورسائل اخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك العصر . وفيها صور عهود أو تقليدات رسمية للولاية أو العمال أو القضاة صادرة من الخليفة . كالمهد الذي قلده الطائع لله العباسي ابا الحسن علي بن ركن الدولة على الصلاة واعمال الحرب يدخل في بضع عشرة صفحة . وفيه أمور هامة عن أحوال السياسة والادارة والاجتماع مما لا يتيسر الوقوف عليه في كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضي القضاة . وغيرها الى القواد أو الفقهاء أو أمراء الحج . ومنشورات بشت الى الالهين أو العمال أو القرامطة . فضلاً عن رسائل خصوصية كتبها الصابي الى اصدقائه . وبالجملة ان هذه المنشآت خزانة أدب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة متينة . بل هي من أبلغ ما كتب في ذلك العصر

٢ رسائل الصابي : تقسم الى ابواب في المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما أنفذ الى العمال والمتصرفين والنواحي . وهي غير منشآت المتقدم ذكرها وان كان تشبهها في اكثر موادها فان فيها كثيراً من الرسائل الودية فضلاً عن التحارير السياسية

والتقاليد الرسمية والمناشير ونحوها وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة . منها نسخة
خطية في ليدن وفي المكتبة الخديوية وجزء في باريس وطبع بعضها في بيروت
اما التاجي فلم يصلنا منه شيء
وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٢ ج ١ وبتيممة الدهر ٢٣ ج ٢ ومعجم الادباء
٣٢٤ ج ١ والفهرست ١٣٤

٤ - الصاحب بن عباد

توفي سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني . وقد تقدمت الاشارة الى
منزله من الوجاهة وتأثيره في تلك الحركة الادبية وكان ادبياً منشئاً وعالماً في اللغة
وغيرها . أخذ عن احمد بن فارس اللغوي الآتي ذكره وعن ابن العميد . وهو أول من
لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابن العميد فليل له صاحب ابن العميد .
ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي عالماً عليه . وسمي به كل من ولي
الوزارة بعده . وقد وزر أولاً لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد .
فلما توفي مؤيد الدولة تولى مكانه اخوه نجر الدولة فاقر الصاحب على وزارته وكان
مبجلاً عنده نافذ الامر . وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه أو يتناقشون
أو يتقارضون بين يديه . وذاعت شهرته في ذلك العصر حتى اصبح موضوع اعجاب
القوم يتسابقون الى اطرائه ونظمت القصائد في مدحه . وكتب اليه نوح بن منصور
الساماني يستقدمه اليه فاعتذر كما تقدم صفحة ٢٢٦ . وقد بلغ من رفعة القدر حتى
انه لما توفي سنة ٣٨٥ هـ أغلقت له مدينة الري ابوابها واجتمع الناس على باب قصره
ينتظرون جنازته . وحضر مخدمه نجر الدولة المذكور اولاً وسائر القواد وقد غيروا
لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض .
ومشى نجر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للغزاء ايماً . ورتاه ابو سعيد
الرستمي بقوله :

ابعد ابن عباد يهش الى السرى اخو امل أو يستاح جواد

ابي الله الا ان يمونا بموته فما لها حتى المعاد معاد

وكان شاعراً مترسلاً مع واع شديد بالسجع حتى في الكلام فضلاً عن الكتابة .

وقيل فيه « انه لو رأى سجمة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة

لما هان عليه التخلي عنها « وكان يتثنى ويتلوى ويتهادى . وفي يتيمة الدهر أمثلة من نظمه ونثره فضلاً عن معرفته اللغة فإنه الف معجماً سماه المحيط سيأتي ذكره مع المعاجم . والف له ابن فارس كتاب الصاحبي الآتي ذكره . وساعده منصبه السياسي على الشهرة العلمية . وله في الرسائل كتاب السكافي منه منتخبات خطية في مكتبة باريس . وقصيدتان من شعره في برلين . وله ديوان في مكتبة ايا صوفيا بالآستانة

وترجمته في ابن خلكان ٧٥ ج ١ وطبقات الادباء ٣٩٧ ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ والفهرست ١٣٥ ويتيمة الدهر ١٥٧ ج ٤

٥ - بديع الزمان الهمذاني

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان كان يقيم في هراة بافغانستان . وكان شاعراً وكاتباً ولغوياً واشهر على الخصوص بقوة الحافظة كان يسمع القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها لا يخرم حرفاً ولا يخل معنى . وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة خفيفة ثم يتلوها عن ظهر قلبه

وكان سريع الخاطر قوي البديهة يقترح عليه نظم القصيدة أو انشاء الرسالة فيفرغ منها في الوقت والساعة . وربما يكتب الكتاب المقترح عليه فينتديء بأخر سطر منه وهلم جرا الى الاول . وله من المؤلفات :

١ رسائل مجموعة في كتاب يعرف برسائل بديع الزمان طبعت في الآستانة سنة ١٢٩٨ وفي بيروت سنة ١٨٩٠

٢ ديوان شعر : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١ هـ
٣ مقامات تعرف باسمه وهي أقدم كتاب وصل إلينا في هذا الفن عن فنون اللغة . وهو أول من وفاه حقه وجعله علماً وقد اقتبس نسقه من استاذه ابن فارس اللغوي الآتي ذكره . وعنه أخذ الحريري نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي تنتهي بعبارة أو موعظة أو نكتة . والمراد بها في الأكثر النغمن بالانشاء وتضمينه الامثال والحكم . ولم يكن هذا كل المراد منها في زمن الهمذاني . وقد شبهها بعضهم بالدرام في اللغات الافرنجية . ومقامات الهمذاني تروى

على لسان رجل اسمه عيسى بن هشام . طبعت هذه المقامات في الاستانة سنة ١٢٩٨
ثم في بيروت مشروحة شرحاً مختصراً للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٩ وهو غير عبدالرحمن
الهمذاني صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٩
وترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ٣٩ ج ١ ومعجم الادباء ٩٤ ج ١ وبيتية
الدهر ١٦٧ ج ٤

٦ - أبو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي - قيل له ذلك
لانه كان فراءً بجهد الثعالب . وهو خاتمة مترسلي هذا النصر وأهم ادبائه . ونعم الخاتمة
لانه أكثرهم آثاراً وأوسعهم مادة وهو الذي ترجمهم وذكر أخبارهم وأقوالهم . وكان
في العصر المشار اليه راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين راسم
المصنفين . وهو مع ذلك شاعر مطبوع ومن نظمته في وصف الفرس قوله :

يا واهب الطرف الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الاربع
لا شيء أسرع منه الا خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو اني أنصفت في اكرامه لجلال مهديه الكريم الامعي
اقضمته حب الفؤاد لحبه وجعات مربوطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع برد الشباب لجلاه والبرقع

وله مؤلفات كثيرة أكثرها من قبيل الادب فنؤجل ذكرها الى ذلك الباب
ونكتفي هنا بذكر كتابه في الانشاء . نعتي كتاب رسائل الثعالبي طبع في الاستانة
سنة ١٣٠١ وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثل والمحاضرة والمهيج وسحر
البلاغة والنهاية الآتي ذكرها بين كتبه الاخرى

منشون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخالفوا آثاراً غير ما ذكره الثعالبي
في البيتية أو غيره ممن ترجموه . وهذه أسماءهم وبجانها مكان وجود الامثلة من انشاء
كل منهم وترجمة حاله :

٧ أبو الفتح البستي في بيتية الدهر ٢٠٤ ج ٤
٨ أبو الفضل الميكالي » » ٢٤٧ ج ٤

٩ الحامي	في بئمة الدهر ٢٧٣ ج ٢
١٠ الشابثي	ابن خلكان ٣٣٨ ج ١
١١ التهامي الشاعر	» » ٣٥٧ ج ١
١٢ القسطلبي	في البيتمة ٤٣٨ ج ١

الادب والنساء

عند الافرنج

ومما يحسن استطراده في هذا المقام ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم ليراتور (Littérature) يفضي الى الاجادة في فني المنتور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب لكنه يشتمل أيضاً على روح انتقادية هي المراد الاصلي من علم الادب عندهم لا العبارة أو الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التي ينتقد بها السكاتب أو الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية أو ينتبه له من أما كن انقص في الامة أو رجالها أو ملوكها فينتقده أو يصفه باسلوب انتقادي شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعاً مؤثراً . وكتابهم انما يتفاضلون في أسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية (الدرام) عن أسلافهم . لان المراد الاصلي منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتفجير منها . فالسكاتب أو الشاعر عندهم يكتب أو ينظم أو يمثل أو يخطب والغرض الرئيسي عنده الانتقاد بما توحيه اليه قريحته من النظر في الوجود أو المجتمع الانساني أو احوال الناس من حيث الادب او السياسة أو الاخلاق . بقطع النظر عما يرجوه من الكسب أو الاسترضاء . وهذا نادر في أدباء العرب لانصراف قرائحهم في صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء أو الامراء من مدح أو هجاء على ما كانت تقتضيه الاحزاب السياسية . أو يشببون بما يطرب الخليفة أو الامير لان على رضاه يتوقف رزقهم

كان الغرض الاول من الادب العربي في الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاة الامر في تأييد سيادتهم ونفوذهم أو تسليتهم وتفريخهم . وكان اكثر الشعراء والادباء من الموالي طلاب الرزق . فلم توجه قرائحهم الى النقد الاجتماعي أو السياسي أو الفلسفي مما يقتضيه النظر في الخليفة أو نظام الاجتماع أو الدولة . لان ذلك لا يلام اغراض اصحاب السيادة . ولا سيما بعد أن صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم

الزندقة أو الاعتزال أو الفلسفة بعد عصر المأمون . فقامت تلك المطاردة سدا في سبيل حرية القول واستقلال الفكر . فاصبح الادباء لا يفكرون الا كما يشاء امرؤؤهم . واذا فكروا في غيره فلا يجسرون على قوله . واذا قالوه بادروا الى اخفائه فراراً من الاذى أو سوء الاحدوث أو الاتهام بالمروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من أقوال أدباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النزر اليسير

ولعل أول من كسر قيود التقليد في هذا الشأن أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف فنشر آراءه في انتقاد الهيئة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظماً ونثراً . فوجه سهامه نحو رجال الدين لاحترافهم التقوى في سبيل الاستجداء أو الاستنثار . ونظم في فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع فنقم عليه كثيرون وأهموه بالكفر ولم يعدوا قوله شعراً فسموه الحكيم وانكروا عليه الشاعرية . والحقيقة ان تلك هي الشاعرية بعينها . فسرت روحه في جسم المجتمع وأخذ الادباء من العرب وغيرهم يتحدونه كما فعل عمر الخيام رباعياته

على ان أكثر أدباء العرب اقتصروا في انتقاداتهم الاجتماعية أو الاخلاقية على نظم القصائد الحكيمية يضمنونها الحكم والمواعظ ومحاسن الاخلاق . وأكثر الكتب المؤلفة في السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك وما ينبغي أن يكونوا عليه من الكمالات . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن في كتاب السياسة الذي قدمه لصلاح الدين الايوبي المتقدم ذكره صفحة ٢٣٣

ولكن ذلك غير ما يريد أدباء الافرنج في عصرنا من النقد الادبي أو الادب الانتقادي . فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتى وهو كوروسو وفولتير وغيرهم ممن ائف القصص للمطالعة أو التمثيل أو القصائد أو المقالات في تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها بأسلوب شعري يؤثر في النفس . وقد يؤلف أحدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة أو نكته توسمها في نظام الاجتماع أو قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك في النظم ولا في النثر . الا نحو ما يؤخذ من كتاب كليلة ودمنة وأمثاله وهو تلميحى وليس هو عربي الاصل . وقد الفوا قصة عنتر مثلاً صوروا بها حالة الاجتماع في الجاهلية . وصوروا في الف ليلة وليلة حال الاجتماع في عصر الرخاء والحضارة لكنهم لم يضعوا ذلك في شكل انتقادي ولا نهوا الى مكان العبرة فيه . وان كان القارىء يتأثر من المطالعة فيساق من نفسه الى استحسان بعض مآثور هناك من المناقب فيتجدها الا انه غير مقصود في التأليف

وهذا النقص ليس خاصاً بالعرب بل هو يشمل أكثر الشرقيين * ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادي في نفوسهم بتوالي الاجيال واضطرابهم للارتزاق من الرؤساء. وهم اصحاب قرائح انتقادية فحسروها في المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون * أو في المجادلات الدينية ويراد بها غالباً خدمة مصلحة ولاية الامر فيما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواء أو تحقير اعدائهم من دعاة الخلافة أو القائميين على الدولة * أو في المهاجة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة أو نحوها . أما انتقاد المبادئ الاجتماعية أو السياسية فانه قليل في ثمار قرائحهم

وامكن ليس من الانصاف أن نقيس حال أدبائنا في تلك الاعصر بحال أدباء الافرنج في هذا العصر . فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا بعد حل قيود التقليد وقلب النظام الاجتماعي وتبديل الحال السياسي حتى صار للعامية شأن . وقد سفكت الدماء في سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول على أن تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز في فطرتهم فانهم من أصفي الناس أذهانا وأدقهم نظراً وأأبهم للضم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام اظهروا شجاعة أدبية لا مثيل لها حتى كان الراعي يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقد، بلا خوف . ولا يرى الخليفة غرابية في انتقاده

حتى في إبان التمدن الاسلامي اذا اتيح للشاعر ان يقول فكره عن جرأة في الرأي مع استغناؤه عن اموال ولاة الامور لم يقصر عن مجاراة اكتب الافرنج اليوم في روح النقد والعبرة والفلسفة . فقول ابي العلاء المعري في انتقاد الحكومة ورجالها :

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً	ونحن بعدهم في الارض قطان
ان العراق وان الشام مذموم	صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة	في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل بخص الناس كلهم	أن بات يشرب خمرأ وهو مبطان
تشابه النجر فالرومي منطقته	كنطق العرب والطائي مرطان
اما كلاب فاغنى من تعاليمهم	كأن ارماحهم في الحرب اشطان
متى يقوم امام يستقيد لنا	فتعرف العدل اجيال وغيطان

لا يقل قوة عما قاله فيكتور هوغو من قصيدة « الملوك » وهي من أشد قصائده وطأة قال منها يخاطب الملوك : « انظفون اننا نجبكم ! نحن الذين نشغل في هذه الارض

ونستخرج ثروتها ونكد ونجد في حر الشمس وبرد الشتاء ولا نسال من اتعابنا غير
الجوع والعطش . وأنتم على سرر مرفوعة من العز والتعم . وعلى جانب من التبذير
والاسراف والفحش . نحن الخدم وأنتم الملوك . نحن الغنم وأنتم الذئب . نحن الفريسة
وأنتم المفترسون . تبنون القصور من أموالنا واتعابنا وترتمون فيها وتلاعبون ونحن
نقاسي نزع الموت على لقمة . لا شغل لكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش
والقتل والظلم « (١)

وقد تصور أبو العلاء الحكم الدستوري أو الجمهوري منذ تسعمائة سنة فوصف
الامة الذليلة بقوله :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كبتها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها
وقد ظهر بعد المعري غير واحد من النقادين سيأتي ذكرهم في اماكنهم

الادب والادباء

في العصر العباسي الثالث

نضج الادب في هذا العصر وزاد استقلالاً عن سائر العلوم ومال بالاكثرا الى
النظر في الشعر والشعراء من شرح أو تلخيص أو انتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد
الشعر بعد أن نضج وتعددت ابوابه ومواضيعه فتعود الادباء بعد شيوع المنطق والفلسفة
وعلم الكلام النظر في الادب نظر الناقد الممحص بالمقابلة والموازنة — وان انكروا
الفلسفة على أصحابها واتهموهم بالكفر . فان روح النقد والنظر الفلسفي دبت في
عروقهم وهم لا يعلمون . فنبغ منهم نقاد الشعر كقداة بن جعفر وابن رشيق . وفيهم
من انتقد الرواية والاحبار كابي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني وعمر بن حمزة .
ونظروا الى فحول الشعراء فشرحوا أقوالهم في الجاهلية والاسلام كشروح الحماسة
والمعلقات . وجمعوا أقوال الشعراء ومحصولها وجمعوا بينها كما فعل التعالبي امام المؤمنين
في ذلك العصر وانتقدوا آداب المجالسة ووضعوا للندماء شروطاً وغير ذلك كما سيظهر
في تراجم الادباء — وهاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

١ - أبو الفرج الاصبهاني

توفي سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه انه فارسي الاصل وهو عربي أموي يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بني أمية . وهو مع ذلك شيعي وبندر التشيع في بني أمية . واسمه علي بن الحسين وكنيته أبو الفرج وإنما لقب الاصبهاني لانه ولد في اصبهان . لكنه نشأ في بغداد وكان من أعيان ادبائها وافراد مصنفها . وقد روى عن كثيرين وطالع كثيراً من الكتب وكان قوي الحافظة فوعا في ذاكرته ألوفاً من الاشعار والاغاني والاحبار والآثار والاحاديث والانساب باسانيدعاً واسماء قائلها ورواتها . فضلاً عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه بالاكثر الى الوزير المهلب المتقدم ذكره . وكان يلقي سواه من ملوك ذلك العصر وامرائه فيعرفون فضله ويحيزونه

ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون . لكنه تدبر تلك المعارف واخرج منها كتباً نافعة اشهرها كتاب الاغاني وبه اشتهر . ولف أيضاً كتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة الاطباء وكتاب مجرد الاغاني وكتاب اخبار جحظة البرمكي ومقاتل الطالبيين وكتاب الحانات وآداب الغرباء . وحصل له ييلاد الاندلس كتب صنفها لبني أمية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سرأ . وجاءه الانعام منهم سرأ فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس وكتاب ايام العرب الف وسبعائة يوم وكتاب التعديل والاتصاف في مآثر العرب ومثالبها وكتاب جهرة النسب وكتاب جهرة بني شيبان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغيرها . وهي كثيرة لكن اكثرها ضاع بتوالي الاحن فنأتي على ذكر ما وصانا خبره منها :

١ كتاب الاغاني : هو اشهر من أن يعرف وقد وقع الاتفاق على انه لم يعمل مثله في بابيه . ويقال انه اشتغل في جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة . وبلغ خبره الى الحكم ابن الناصر صاحب قرطبة وهو أموي مثله فسأله ان يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبني العباس وبذل له على ذلك الف دينار . ولما تم تأليفه حمه الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاه الف دينار واعتذر اليه . ولم يبق احد من امراء ذلك العصر

الاقتناء ليستغني به عن سواه . وقد علمت ان الصحاح بن عباد كان اذا سافر حمل كتيبه على عشرات من الجمال فلما اتتني كتاب الاغاني استغني به عنها

وهو اجزاء كثيرة وصل اليها منها ٢١ جزءاً في نحو ٤٠٠٠ صفحة واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه في الاصل نعني «الاغاني» فصدره بمائة صوت كان الرشيد أمر ابراهيم الموصلي مغنيه وغيره ان يختاروها له . ثم وقعت للوائح بده ، فامر اسحق بن ابراهيم فاختر له منها ما رأى انه افضل وازاد اليها اشياء اخرى . فسار ابو الفرج على هذه الخطة معمولاً على ما اختاره غير هؤلاء ايضاً من اهل العلم بصناعة الغناء . وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب اذ يجدر به ان يكون بين كتب الموسيقى لكن اهميته قائمة بما فيه من الاخبار والاشعار . لان المؤلف اذا ذكر ابياتاً على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها ورجته والاحوال التي قيلت فيها من حرب أو حب في الجاهلية أو الاسلام . ومن غناها ومن شهد ذلك وأسبابه واحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على أخبار مئات من الشعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . واكثر أيام العرب واخبار قبائلهم وانسابهم ووقائعهم وغزواتهم ومباهمهم . وفيه خيرة أشعار الجاهلية والاسلام ولا سيما ما كانوا يغنون به . وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحرورهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم

فاهمية هذا الكتاب متوقفة على ما حواه من تلك التراجم والاخبار ويكاد يكون منفرداً بها . ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الاسلام وايام بني امية . وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه لانه لا يكتفي بالاسناد الى الرواة بل هو ينتقدهم ويدين اوجه الخطأ أو المناقضة بين رواياتهم ثم يرجع الى رأيه . وكان أشد وطأة في النقد على ابن خردادبه وابن الكلبي مما على سواهما . وفي مروياته كثير من الاخبار والحوادث نقلها عن اناس عاصروه فحدثوه بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه . واخذ عن كتب ضاعت وقد طبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءاً سنة ١٢٨٥ هـ ثم عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب باوربا فطبعوه في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءاً ووضع لها الاسناد جويدي المستشرق الايطالي فهرساً أبجدياً مطولاً سنة ١٨٩٥ واعيد طبع الاغاني كاملاً بمصر في ٢١ جزءاً سنة ١٣٢٢ مع فهرس أبجدي مبني على فهرس جويدي . وقد لخص الاغاني جمال الدين الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ في كتاب منه نسخة خطية في المتحف البريطاني . وجرده الاب انطون صالحاني اليسوعي من الاسانيد والاغاني

وابقى الروايات على حدة في كتاب سماه «روايات الاغاني» وهو جزآن الاول في الروايات الادبية والثاني في الروايات التاريخية طبع بيروت سنة ١٨٨٨ و١٩٠٨
 ٢ كتاب الديارات : وصف فيه الاديار في العراق ومصر وغيرها وفيه كثير من اخبار الشعراء وأشعارهم في مجالس العباسيين وخصوصاً الرشيد الى المعتضد . منه نسخة في مكتبة برلين . وبعضهم يشك في نسبة هذا الكتاب اليه ويرى أنه للشابستي و ترجمته في ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ واليتيمة ٢٧٨ ج ٢

٢ - ابو علي التنوخي

توفي سنة ٣٨٤ هـ

هو ابو علي المحسن بن علي التنوخي . ولد في البصرة وكان ابوه قاضياً وشاعراً واديباً (ترجمه الثعالبي في اليتيمة ١٠٥ ج ٢) وانتقل المحسن الى بغداد وتلقى العلم عن الصولي وغيره ثم عين قاضياً على قصر بابل وما يليه . وتقل في مناصب اخرى واهم آثاره :
 ١ كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره في كلامنا عن ابن ابي الدنيا (صفحة ١٧٢) وهو من كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية
 ٢ كتاب المستجد من افعال الاجواد : فيه حكايات وأخلاق اكثرها عن الخلفاء العباسيين . في مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج واياصوفيا
 ٣ كتاب نشوان المحاضرة واخبار المذاكرة : مجموع اخبار تاريخية . في باريس و ترجمة التنوخي في ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ و يتيمة الدهر ١١٥ ج ٢

٣ - ابو هلال العسكري

توفي سنة ٣٩٥ هـ

هو ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تلقى العلم في بغداد والبصرة وأصبهان . وهو غير ابي احمد العسكري اللغوي الآتي ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبد الله . فكثيرا ما يقع الالتباس بينهما وكانا متعاصرين . و ابو هلال تلميذ ابي احمد وتوفي هذا سنة ٣٨٢ هـ أما ابو هلال فقد خلف كثيرا من الكتب هالك أهم ما بلغنا خبره منها :
 ١ كتاب جمهرة الامثال : طبع في بومباي سنة ١٣٠٦ وفي مصر على هامش أمثال الميداني سنة ١٣١٠

- ٢ كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة في باريس وكوبرلي وطبع في
الاستانة سنة ١٣٢٠ وهو مفيد جداً في بابيه
- ٣ ديوان المعاني : هو معجم لمعاني الشعر مرتب حسب المواضيع . قال مؤلفه
في مقدمته انه جعله ١٢ باباً في ٥٠٠ ورقة ثم رأى ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب
منها في كتاب . منه نسخة في المتحف البريطاني . وفي كتب الشنقيطي في المكتبة
الحدوية كتاب خطي بهذا الاسم مؤلف من ١٧١ ورقة (٣٤٢ صفحة) يشتمل على
الباب السابع وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياح والنبات
والنسيم وغيرها . والثامن في وصف الحرب والسلاح . والتاسع في وصف الدواة
والإبلاغة . والعاشر في صفات الخيل والابل والفلوات والوحوش والطيور . والحادي
عشر في الخضاب والعلل والموت والزهد والباقي معان متفرقة . وهو جزيل الفائدة
لطلاب المعاني الشعرية
- ٤ كتاب المصون في الادب : في الاسكوريال
- ٥ روى ديوان ابي محجن : في ايا صوفيا
- ٦ كتاب الاوائل : اختصره السيوطي في كتاب الوسائل وهو أول من ألف فيه
- ٧ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : طبع بالاستانة
وأخبره في معجم الادباء ١٣٥ ج ٣

٤ — ابو منصور الثعالبي

توفي سنة ٢٩٩ هـ

قد تقدم ذكره بين المنشئين واجلنا الكلام عن كتبه في غير الانشاء الى هنا .
والثعالبي المذكور مدون اخبار العصر الذي نحن في صدده وخصوصاً الشعر
والشعراء والادب والادباء . وله كتب كثيرة في مواضيع مختلفة هالك ما وصلنا منها :
١ بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : تشتمل على اخبار شعراء المائة الرابعة
للهجرة وهو العصر العباسي الثالث في أربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى أبواب
باعتبار البلاد . فأفرد باباً لشعراء الشام وما كان من احوال سيف الدولة ومحاسن
الشعراء ولاسيما المتنبي وأبو فراس استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وباباً
لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل وآخر عن آل بوية وشعرائهم
وكتابتهم وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد

مفصلاً . ثم شعراء اصبهان والطارئين على الصاحب وشعراء الجبل وفارس والاهواز
وجرجان . ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء . ففضلاء خوارزم وفصول
لسلك من ابي بكر الخوارزمي والهمذاني والبستي والميكالي وشعراء خراسان والطارئين
على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٠٤ في ٤ مجلدات تحتوي
على نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا . وينتقد على مؤلفه
انه جعل عبارته مسجعة وهي لا تليق بكتب التاريخ والاحبار . وانه أغفل الوفيات
فيندر ان يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو قاصر على الامثلة من الاشعار أو
الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . والف أبو الحسن الباخري المتوفى سنة ٤٦٧
ذبل للتيمة ساه دمية القصر وعصرة أهل العصر سيأتي ذكره

٢ لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة في موضوعه لانه يشتمل على فوائد لا يتصل
اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . (أولها) باب الاوائل من كل شيء وفيه فوائد
تاريخية هامة كقوله « أول من جلس على سرير من ملوك العرب جديمة وأول من
كسا الكعبة الحرير تيبه .. الخ » (٢) القاب الشعراء الذين لقبوا باشعارهم كالمرقش
والمعزق وأسباب ذلك (٣) الالقاب الاسلامية للوجوه والاعيان (٤) كتاب
المتقدمين (٥) في المتناسقين باحوال مختلفة (٦) في الغايات من طبقات الناس
(٧) الاتفاق في الالقاب والسكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية
وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات ، واخيراً نموذج
من خصائص البلدان . وهو مطبوع في ليدن في نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعناية
المستشرق دي يوتغ . وقد سبقه ابن قتيبة الى بعض هذه المواضع في كتابه «المعارف»

٣ فقه اللغة : هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة أو المترابطة في
باب واحد مع بيان الفرق بينها أو تدرجها أو تفرعها مما يفتقر الى درس طويل .
وذكر في المقدمة اسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عول عليهم . وقد طبع في
بيروت سنة ١٨٨٥ وفي مصر

٤ الاعجاز والايجاز . يشتمل على ابلغ ما قيل مع الايجاز طبع في بيروت سنة
١٨٩٧ وفي الاسنانة في جملة رسائل اخرى

٥ خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة في الادب طبع بمصر

٦ نثر النظم أو حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر

منثور طبع بمصر سنة ١٣١٧

- ٧ مكارم الاخلاق : فيه فصول في العقل والعلم والزهد وغيرها طبع في بيروت
- ٨ غرر اخبار ملوك الفرس : في التاريخ طبع في باريس
- ٩ نمار القلوب في المضاف والمنسوب : في الادب وفيه فوائد تاريخية على أسلوب خاص به لانه مقسوم الى فصول باعتبار اشياء مضافة الى اشياء أخرى يتمثل بها ويكثر استعمالها في النظم والنثر على السنة العامة والخاصة . كقولهم غراب نوح وذئب يوسف وعصا موسى وخاتم سليمان وبردة النبي ونحو ذلك وشرح كل منها . وهو كبير الحجم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ في نحو ٦٠٠ صفحة
- ١٠ شمس الادب في استعمال العرب : جزآن الاول في أسرار اللغة والثاني في مجاري الفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها . وقد يسمى سر الادب في مجاري لسان العرب . منه نسخة خطية في كل من مكتبي برلين وليدن
- ١١ الكناية والتعريض : في البلاغة ويشتمل على ما يرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والعلماء والطعام والمفاجح والعاهات وغيرها . ومنه نسخ خطية في برلين وفيينا والاسكوريال وفي المكتبة الخديوية
- ١٢ أجناس النجديس : في الجناس . بمكتبة الاسكوريال
- ١٣ سحر البلاغة : في مكتبة برلين وفيينا وباريس وكوبرلي وغيرها . وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه في جملة رسائل أخرى
- ١٤ غرر البلاغة وطرف البراعة : في مكتبة برلين
- ١٥ اللطف واللطائف . مؤلف من ١٦ باباً . في الاسكوريال وفيينا وفي المكتبة الخديوية من كتب الشنقيطي
- ١٦ من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة والربيع وأوصاف الليالي والايام والنزل والخمرات والاخوانيات . منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال وطبع في مجموعة النحنة البهية بالاستانة
- ١٧ برد الاكباد في الاعداد : هي مجموعة أخبار وملح عن النبي والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الاعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فتلاثة الى العشرة . ففي باب العدد ثلاثة مثلاً يقول «ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الظن والطيرة والحسد» وقس عليه . طبع في الاستانة في جملة رسائل أخرى . ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
- ١٨ التوفيق للتفريق : في برلين

- ١٩ النهاية في الكناية : في المتحف البريطاني والاسكوريال والمكتبة الخديوية
وقد طبعت منتخبات منه في الاسنانة
- ٢٠ مرآة المروءات واعمال الحسنات : في برلين
- ٢١ التمثل والمحاضرة : يحتوي على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في
الكتابة من أقوال الشعراء والمذثئين . موجود في المكتبة الخديوية وفي ليدن .
وطبع منه منتخبات بالاسنانة
- ٢٢ كتاب العلمان : في برلين والاسكوريال . و ٢٣ تحفة الوزراء : في مكتبة غوطا
- ٢٤ كنز الكتاب . فيه أمثلة من أقوال ٢٥٠ شاعراً لاستعمال الكتاب . منه
نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي فينا والاسنانة
- ٢٥ أحسن المحاسن : في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية
- ٢٦ أحسن ما سمع : في كوبرلي بالاسنانة وفي المكتبة الخديوية
- ٢٧ المهجج : فيه اخلاق ومواعظ وآداب وبلاغة في ٧٠ باباً منه نسخة خطية
في برلين وباريس وكوبرلي والمكتبة الخديوية . وقد طبعت في الاسنانة منتخبات منه
- ٢٨ اللطائف والظرائف : في مدح اشياء واضدادها . موجود في برلين
والاسكوريال وليدن . وقد جمعه أبو النصر المقدسي مع المحاسن والاضداد للثعالبي هذا
في كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر في مصر سنة ١٢٧٥
- ٢٩ يواقيت المواقيت : في مدح الشيء وذمه . في برلين وليدن
- ٣٠ لطائف الصحابة والتابعين : في مكتبة ليدن وطبع منه قطع في ليدن للتعليم
- ٣١ أحسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء
والكتاب والبلغاء والحكماء . موجود في ليدن وباريس وطبع بعضه في ليدن
سنة ١٨٤٤
- ٣٢ كتاب الشكوى والعتاب : و ٣٣ المقصور والممدود : و ٣٤ المتشابه :
منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية
- ٣٥ المنتحل : يحوي جيد الشعر للجاهليين والمخضرمين والمولدين الى ايامه .
وهو منتخب من أحسن الاشعار لاحسن الشعراء طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم
الشعراء الواردة استاؤهم فيه للشيخ ابي علي الازهري . وبعضهم ينسب المنتحل لابي
الفضل الميكالي معاصر الثعالبي
- ٣٦ الجواهر الحسان في تفسير القرآن : في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية
وترجمة الثعالبي في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦

٥ - الشريف المرتضى

توفي سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من أشرف العلويين وكان نقيب الطالبين في بغداد. واسمه علي بن الطاهر وكان اماماً في علم الكلام والادب والشعر. وهو أخو الشريف الرضي الشاعر الذي تقدم ذكره. وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة وديوان شعر كبير لم يصل إلينا. ومن تصانيفه:

١ كتاب نهج البلاغة: وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب إلى الامام علي. والمشهور أن الشريف المرتضى جمع خطب علي وأقواله ودونها في ذلك الكتاب وهو من أهم كتب الادب بالنظر إلى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة في التعبير والحكم في الاقوال. وان كنا نرى كثيراً من تلك الخطب ليست لعللي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله. أما خطبه في المواقف التاريخية وكتبه إلى قواده ورجاله فهي له. وقد طبع نهج البلاغة في بيروت وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ وطبع أيضاً بمصر. ولابن أبي الحديد شرح مطول في ٢٠ جزءاً طبع في طهران سنة ١٢٧١ في مجلدين كبيرين على الحجر. وفي آخره اضافات لم يذكرها جامعته. وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة في باب الخطابة بالجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٥

٢ كتاب الدرر والغرر في المحاضرات: منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وأخرى في برلين

٣ كتاب الشهاب: طبع في الاستانة

وترجمة المرتضى في ابن خلكان ٣٣٦ ج ١

٦ - ابن رشيق القيرواني

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان. أبوه مملوك رومي من موالي الازد كان صائغاً في بلده الحمديّة فعلمه أبوه صناعته. ثم قرأ الادب وقال الشعر وناقته نفسه إلى التزويد منه فرحل إلى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب وقتلوا أهلها وأخربوها. فانتقل إلى صقلية وأقام

بمازى الى أن مات . وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها :

١ كتاب العمدة : وبه اشتهر . يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه . وهو اجل كتاب في هذا الموضوع يقسم الى ابواب في فضل الشعر واشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ، ومن رفعه الشعر ووضع له وقضى عليه واحتماء القبائل بشعرائها والتكسب بالشعر ومنافع الشعر ومضاره والمقايين من الشعراء وحدود الشعر وأوزانه وبحوره والبلاغة والابحاز والاستعارة الخ .. وساثر أوجه البلاغة وأنواع الفصاحة والجوازا والاوزان . وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك . وفي خلاله طائفة من أحسن الاشعار ويبحث تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد . قال ابن خلدون : « إن كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاهها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها . وقد ألف زميله ومعاصره أبو عبد الله ابن ثمر رسائل سماها « رسائل الانتقاد » تقدم ذكرها صفحة ٢٤٤

٢ كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب : منه نسخة خطية في باريس . وقد ضاعت ساثر كتبه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٧ ج ١

كتب أخرى في الادب

وهناك طائفة من كتب الادب نكتفي بذكر أصحابها بدون تراجمهم :

١ الجليس الصالح الكافي : في مائة مجلس لابن طرار الجربري المتوفى سنة ٣٩٠ منه اجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

٢ زهر الآداب : للحصري القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٥٠٠ صفحة . وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات وأشعار

وترجمة الحصري في ابن خلكان ١٣ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥٨ ج ١

٣ شرح الحماسة : للمرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ منه نسخة في المكتبة الخديوية

٤ الموازنة بين الطائيين : لابن بشر الآمدي توفي سنة ٣٧٠ هـ منه نسخة

خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع في الاسنانه

وترجمة الآمدي في معجم الادباء ٥٤ ج ٣ والفهرست ١٥٥

٥ الاشباه والنظائر أو حماسة الخالديين : هي مجموعة مختارات من أشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ومنها كثير لم يرد في حماسة أبي تمام . وهي تنسب الى الخالديين من ادباء العصر الثالث وهما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان كانا يشتركان في نظم الشعر ولا يكادان يفترقان . ولها أشعار نشرها الثعالبي في بئيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولها ايضاً هذه الحماسة منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٦ قطب السرور في وصف الحمور : لابي اسحق الكاتب الفيرواني المتوفى سنة ٣٨٣ منه نسخة خطية في برلين والاسكوريال وفيينا وغيرها
٧ مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول لكنها نفيسة وتشتمل على مائة معنى من جيد النظم . وقد أضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه أو يضاده . طبعت في الاستانة في ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هي علم من علوم الادب تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائدته الاحتراز من الخطاء في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . وهو من الفنون الاجنبية يقال إن مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد وقد أخذه العرب في جملة ما أخذوه عن الاعجم في خلافة ابي جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عند ما ترجم كلية ودمنة من الفارسية الى العربية فكانت ترجمته هذه اساساً لهذا الفن لكنه لم ينضج الا في العصر الثالث الذي نحن في صدره . وأشهر من ألف فيه ابن حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ ألف كتاباً سماه كتاب المحاضرات والمناظرات . وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . وأشهر ما بين ايدينا من كتب المحاضرات كتاب «محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» لابي القاسم الراغب الاصبهاني وسيأتي ذكره

الروايات أو القصص

تمهيد

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم « رومان » واحدها رواية وهي القصة عندنا. وانما اخترنا لفظ الرواية مجازاً لمفهوم القراء منها لانها عندهم أدل من القصة على ما نحن فيه . والروايات فن له شأن عظيم في اداب اللغات الافرنجية يكاد يكون اهمها . وأما في العربية فانه من أضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والآداب في سياق قصة موضوعة وقد تكون بشكل تمثيلي فتسمى في اصطلاحهم « درام » وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب (صفحة ٥٨) اقتصرنا فيه على ما في اداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ونحن ذاكرون هنا فن الروايات على الاجمال في التمدن الاسلامي

يظهر أن العرب قلما اهتموا لهذا الفن في صدر دولتهم ولا التفنوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الاياداة ولا الانباد ولا غيرها من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئاً من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبد الله بن المقفع وجبلة بن سالم وغيرها . فما نقل عن الفارسية كلية ودنة . وكتاب رسم واسفنديار . وكتاب الاداب الكبير . وهزار افسانه . وشهر يزداد مع ابرويز . والكارنامج في سيرة انوشروان . ودارا والصنم الذهب . وبهرام ونرسي .

ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير . وكتاب بوداسف وكتاب أدب الهند وغيرها : وقد ضاع اكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما سترى

على أننا نرى بين ايدينا قصصاً وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقرأونها أشهرها قصة عنتر والف ليلة وايلة وأبو زيد الهلالي والوزير والمملك سيف والمملك الظاهر وعلى الزبيق وفيروز شاه ونحوها . فهذه القصص اكثرها وضع بعد العصر الثالث وانما يهنا هنا القصص والروايات التي دونت في ذلك العصر أو قبله . وهي تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند انفسهم والثاني ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه — واليك تفصيل ذلك

١ — القصص التي وضعوها

من عند انفسهم

أما ما وضعوه فيرجع في الغالب الى تصوير مناقب الجاهلية وحال الاجتماع فيها . كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصية والثأر . ونجد هذه المناقب ممثلة في اخبارهم وأيامهم المشهورة قبل الاسلام وهي حقائق تاريخية تناقلوها بعد الاسلام . وكانوا يتلون تلك القصص في صدر دولتهم على جندهم لتحسيسهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح أو حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة اشعار عنتر وغيرها على أيدي القصص قبيل المعارك لهذا الغرض

فلما تحضروا وانشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار فوسعوها في شكل روائى يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصوداً في بادىء الرأي وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجاً بالتناقل الشفاهي قبل تدوينها . وبما أن المراد منها التحسيس لا تقرير الحقيقة فكان الراوي يبالي في القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتنشعب حتى يقضي بهم الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونوها كما صارت اليه — هكذا فعلوا في اكثر قصصهم . ورغبة في تصويرها بشكل الحقيقة اسندوا اخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعي وأبي عبيدة وأمثالهما . وتنوسي مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم كما توسبت أسماء مؤلفي اكثر القصص القديمة عند الافرنج

وقد نضج هذا الفن عند العرب في العصر العباسي الثالث فدونت تلك الروايات أو القصص قبل انقضائه . وهي تتفاوت بعمداً عن الحقيقة وقرباً منها وصار بعضها يتلى في المنازل والانديبه لمجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملاً ناضجاً الا قصة عنتر

قصة عنتر

هي اكبر القصص الحماسية العربية أو هي عدة قصص متداخلة متسلسلة لا يحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل اداب الجاهلية واخلاق اهلها وحرورهم وعاداتهم . واكثر الاسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية لكنها مسبوكة في سياق قصة والمبالغة ظاهرة فيها والمشهور انها وضعت في أواخر القرن الرابع للهجرة . وضها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي بمصر لسبب ذكرناه في الجزء الاول من

هذا الكتاب (صفحة ١٤٠) وبيننا هناك أن هذا الرجل ليس هو واضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدرج . وهي أحسن القصص العربية وافيدها وقد عني الافرنج بنقلها الى السنهم كاملة وملخصة وطبعت في العربية مراراً عديدة في بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها في أوائل تكونها لانهم أسرعوا في تدوينها ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتمد من قبيل التاريخ أو أيام العرب الجاهلية

منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة (تقدم ذكرها صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب) يشتمل على حوادث عديدة أكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم كما ان قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من مواقف كثيرة ان هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الأشهر اسمه البراق وهو شاعر قديم من ربيعة من اقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنتره وله خبر مع ابنة عمه ليلي بنت لكيز واشعار حماسية وفخرية . وقد توسع خبره هذا بتوالي الايام كما توسعت قصة عنتر لكنه ما زال اصغر حجماً واقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه وانما هي مجموع اخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة في خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عباد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طي) بسبب قنص اختصا عليه فانتشبت الحرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطي وقضاعة . ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن اخت زعيم الطائيين شبيب بن لهيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب وجرت بين الطائفتين ثماني وقائع قد تكون في اصلها تاريخية لكن سياقها يدل على توسع فيها على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٣٦ صفحة واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يلها قصة قطعة مضر وربيعة . ثم خروج لكيز وهما صغيرتان . ثم قصة سبي ليلي بنت لكيز من وائل الى بلاد المعجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والمعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوفل بن عمرو . واخبار البراق في هذا القسم اقرب الى الرواية لانها تشبه ما يروى عن عنتره ويتخلل ذلك اشعار حماسية

ويلها حروب بين وائل واليمنيين سببها أن اسيراً كلن عند كليب فقتله كليب .
 ودخل في هذه القصة كليب ومهلل . واخيراً حرب البسوس وهي قصة قائمة بنفسها
 استغرقت مائة صفحة كبيرة يتخللها حوادث عنترية وحساسات ومبارزات ومناشدات
 وغير ذلك حتى يخيل للقارئ انه يطالع قصة عنتر . لكنها أصح لغة وأقرب الى
 أسلوب صدر الاسلام وأقل مبالغة . ولعلها لو تدارتها الايدي وتناقلها القصاص
 شفاهاً الى العصر الذي دونت فيه قصة عنتر لصارت مثلها . ولكنها دونت قبلها بقرن
 وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطأ في المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابني وائل وفيه خبر كليب وجساس .
 والقصة فيه أقرب الى التاريخ منها الى الرواية تشتمل على وقائع لها ذكر في التاريخ .
 وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفصيل نظماً خيالية أراد بها بيان حماسة العرب وقوة
 ربيعة على الخصوص . وهي منسوبة في روايتها الى محمد بن اسحق . أو لعل الكاتب
 أخذ شيئاً من رواية ابن اسحق وأتمها من عند نفسه والكتاب مطبوع في بمباي سنة
 ١٣٠٥ بدخل في ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيان مع كسرى انوشروان

هي قصة تاريخية تدخل في سبعين صفحة مطبوعة في بمباي مع تلك لكنها أقرب
 منها الى الرواية الخيالية . مبنية على حادثة تاريخية في أصلها وتوسع المؤلف بها . فجعل
 سبب الحروب بين شيان وكسرى انوشروان أن كسرى طلب من النعمان ابنته
 الحرقه بنت المتجرده فقامت الحرب بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تم
 عن حداثه نظمها فضلا عن قصائد حقيقية نظمها ابطال تلك الرواية . ويجمل
 الحديث فيها مروى عن بشر بن مروان الاسدي عن ابن نافع التميمي

والتوسع في الوقائع التاريخية حتى تصير بشكل الرواية ليس من مبتدعات العرب
 بل هو عام في الامم القديمة قبل التدوين لان القصص تنمو بالتناقل بسليقة في فطرة
 الانسان من الميل الى المبالغة فيما يقصه استغافاً لاجباب السامع . وفي بعض الناس
 ميل الى تزويق العبارة وتطويعها والتوسع فيها . وبتوالي الاجيال تنمو الحادثة وتصير
 قصة واكثر روايات الامم القديمة من هذا القبيل . واكثرها شيوعاً يدتنا اليها
 هوميروس فان لها أصلاً تاريخياً هو حصار طروادة اتسع بتوالي الاجيال حتى انتهى
 الى هوميروس فدونه أو أمه فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بني شيان

وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة فان هؤلاء
انزلوا الالهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند انفسهم ايضاً قصص العشاق العذريين ونحوهم . وفيها
تمثيل العفة او النفاي في سبيل الحب . بنوها على ما جاء في اخبار عشاق صدر الاسلام
ككثير لبني وجميل بثينة . فالقوا قصصاً غرامية فضجت قبل انقضاء العصر الثالث
الذي نحن في صده . منها كتاب عمر بن ابي ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب . وكتاب
مليكة ونعم وابن الوزير . واحمد وداحة . وقصة ابي العنابية وعتب . واحمد بن قتيبة
وبانوحه . ووضعوا قصصاً غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب كقصة علي بن
اديم ومنهله وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصاً في الحبايب المنتطرفات من النساء
كقصة ربحانة وقرنفل . ورقية وخديجة . وسكينة والرباب . وهند وابنة النعمان .
وسلمى وسعادة . وغيرها . وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين
الانس والجن وغير ذلك . واكثرها ضاع وما بقي منها ادخلوه في قصة الف ليلة وليلة

٢ - القصص المنقولة

اماما نقله العرب من القصص عن اللغات الاخرى فهو يمثل على الغالب آداب
الامة التي نقلت القصة عنها . واكثرها نقل عن الفرس والهند فهي لذلك تمثل آداب
تينك الامتين . وقد ذكرنا اسماؤها بمضها وذكر الفهرست عشرات منها وقصصاً واسماراً
يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما في رواية الف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص
الف ليلة وليلة

هي مجموع قصص متسلسلة تدخل في بضعة آلاف صفحة . وهي مشهورة ومتداولة
ولها طبعات عديدة . واختلف الباحثون في اصلها وناريخها . وعندنا انها مؤلفة من
قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه او وضعوه . ولها اصل نقل عن الفارسية
قبل القرن الرابع للهجرة نعتي كتاب «هزار افسانه»

روى ذلك المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ قال : «وقد ذكر كثير من الناس ان هذه
اخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمتها من تقرب للملوك برواياتها وان سبيلها
سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب
افسان وتفسير ذلك في الفارسية (خرافة) . ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب
الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجارتها شهر زاد ودينار زاد»

وجاء بعده ابن النديم البغدادي صاحب الفهرست الآتي ذكره فقال في أصل وضع كتاب هزار افسانه هذا في الفارسية «ان ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد . فزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهر زاد فلما حصلت معه ابتدأت تحرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطؤها الى أن رزقت منه ولداً أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانه يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحناني (الصحيح هما) ابنة بهمن» وهذا الوصف ينطبق على الف ليلة وليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم في مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد. ولاندرى الآن أي جزء من الف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ثم أضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا . ومن يطلع عليه يجد فيه قصصاً يدل أسلوبها والفاظها وبعض ما حوته من العادات أنها كتبت بعد ذلك بقرون عديدة كمشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك أو رجالهم كابي طابق ونحوه . ولا يعلل ذلك الا بما تقدم من توسيع القصة الاصلية المنقولة عن الفارسية باضافة قصص وأسما كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم أو نقلوه عن سواهم

والارجح أن تأليفها على الصورة التي وصلت بها الينا تم بعد القرن العاشر للهجرة واكثر تلك الزيادات حدثت في مصر . ولعلنا لو اتيح لنا الوقوف على الترجمة الاصلية لهزار افسانه لوجدنا الفرق بينها وبين قصة الف ليلة وليلة كالفارق بين اوديسة هوميروس وانيادة فرجيل . فان هذه اكثرها منقول عن الاوديسة ومع ذلك فهي تنسب الى فرجيل . ولهذا السبب يصح أن يقال عن الف ليلة وليلة أنها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لا يزال على اصله الفارسي

وهي كما وصلت الينا تمثل الآداب الاجتماعية في القرون الاسلامية الوسطى ويدخل في ذلك الانهماك في الملذات والتهتك . وقد وصفت المرأة فيها وصفاً يدل على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفي آدابها . وفي الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال . وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس أو مما وضعه العرب فانه من طبيعة تلك العصور . وقد تولد بالتمو التدريجي قبل تدوينه

لميل الانسان من فطرته الى المبالغة كما تقدم . فآخبار السندباد البحري وغرائب ما شاهده في أسفاره في الاسماك الكبيرة الحجم التي يبلغ طولها مئات من الاذرع ومنها ما هو بصفة البقر أو الحمير والوادي الذي حجارتة من الالماس ويعج بالافاعي عجيباً . وجبل القروود والتعاين التي تأكل الآدميين . وطير الرخ الذي يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس واذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها . ونحو ذلك مما يخالف المألوف عندنا الآن فانه لم يوضع دفعة واحدة وإنما نما بالتناقل وأصله مبالغة قليلة رواها أهل الرحلة كما فعل بزرك بن شهريار في أخبار الهند مما فصناه صفحة ٢٠٥ من هذا الكتاب . فبالغاتة وسط بين الحقيقة والخرافة لوتتوقات شفاها لصارت كالخرافات تماماً وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على أن ذلك ليس خاصاً بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج بل هو يتناول سائر الامم في تلك العصور من الميل الى المبالغة في رواية الغرائب . ولا سيما فيما تلذ المبالغة فيه من أخبار الابطال والفاحين . والافرنج اكثر مبالغة في ذلك من العرب . فان هؤلاء نسبوا الى عنزة مقابلة المائة والمائتين أو اكثر من الرجال وحده وذلك مع بعده لا يخالف تواميس الطبيعة . واما الافرنج في قرونهم الوسطى فانهم نسبوا الى الاسكندر المقدوني خرافات تخالف تواميس الطبيعة



ش ١٥ : الاسكندر المقدوني يحارب اقواماً رهوسهم وحشية
« نقل عن أصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد »



ش ١٦ : الاسكندر يحارب اقواما متوحشين لكل منهم ست ايد
« نقل عن أصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد محفوظة في مكتبة بروكسل »

فقالوا انه لقي في أثناء فتوحه اقواماً نصف اجسادهم السفلى آدمي والنصف العلوي وحشي (ش ١٥) . واقواماً وحشين لكل منهم ست ايد (ش ١٦) . وأنه حارب جنوداً من السلاحف وأخرى من التين . وأنه بارز مرة حيوانا هائلا بثلاثة قرون ، وبارز مرة أخرى اسوداً وغيرها . وقد صوروا ذلك في كتبهم ونشروه بين عامتهم . وفي (ش ١٥ و١٦) أمثلة من ذلك

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات الف ليلة وليلة قصص قصيرة أبطالها من مشاهير العرب بالجوهر والحلم أو الوفاء أو غير ذلك . كقصّة حاتم الطائي بعد موته وقصص معن بن زائدة ويحيى البرمكي وابنيه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وعكرمة وخديجة والرشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر في العواقب . ومعظمها كانت قصصاً مستقلة فادخلت عليها بتوالي الازمان . وبعضها يقرب من الواقع ويطلق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات على السنة البهائم كقصّة الدجاجة والبطة والاسد ونحوها

وبالجملّة انها مجموع قصص مختلفة المواضيع والاساليب والاعراض . عبارتها على الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف الفصص وأعصرها . على أنها لم تبق كما وضعت لان النساخ والطابعين نهجوها وهذبوا عبارتها . وقد طبعت مراراً ونقلت

الى أكثر لغات اوربا نقولا تختلف قربا من الاصل وبعداً عنه بين اختصار وتهذيب
وبعضهم بالغ في الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس عليها من قصة الف ليلة
وليلة الا اسمها . وفي بعض المواضع من هذه القصة عبارات ينجعل الاديب من
تلاوتها حذفت من بعض طبعاتها في بيروت ومصر
قصص اخرى من أمثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدمة ذكرها في العالم العربي اخذ الادباء في القرنين
الثالث والرابع ينسجون على منوالها أو يجمعون مما بين ايديهم ما يشبهها . وقد ذكر
ابن النديم كتابا شاهده بنفسه تأليف الجهشيارى قال في وصفه : « وابتدا أبو عبد الله
محمد بن عبدوس الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف
سمر من سمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . واحضر
المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في
الاسمار والخرافات ما يحلى بنفسه . وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة
وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة . ورأيت من ذلك عدة أجزاء
بخط ابي الطيب أخي الشافعي . وكان قبل ذلك من يعمل الاسمار والخرافات على اللثة
الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هرون وعلي بن داود
كاتب زبيدة وغيرهم » . ولم يصاننا من هذه الكتب وأمثالها غير الف ليلة وليلة
وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت الجوفية ظهرت قبل انقضاء العصر
الذي نحن في صدده ككتاب حوشب الاسدي وكتاب جحا ونوادر أبي ضمضم
ونوادر ابن الموصلي لم يبق منها الا القليل . اما سائر القصص الكبرى المتداولة بين
ايدينا الآن كقصة الزبر والزبيق وبنى هلال وغيرها فسيأتي ذكرها في مكانه

الدرام

وزيد به الروايات التمثيلية وهو عظيم الاهمية عند الافرنج لانه يمثل الاخلاق
والآداب والعاديات على المراسح ليشاعدها الناس ويعتبروا بها . لكن العرب لم يعانوا
التمثيل على المراسح ولا ألفوا فيه . وقد عد بعض المستشرقين المقامات كمقامات
الهمذاني أو الحريري من قبيل الدرام . ولا نرى مسوغاً لهذا القول والمقامات انما
يراد بها الفائدة اللغوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وايراد الامثال
والحكم . وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجل كتابنا عن أن

يكون غرضهم من تأليفها العبرة أو الموعظة. وهي في الغالب مبنية على المجون وانتحال أسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب في تقاعد العرب عن فن التمثيل انه يحتاج الى ظهور المرأة على المراسح وهم يتجافون عنه بسبب الحجاب . أو هو تابع لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية أو الشعر القصصي (ايوبه) الذي يحتاج الى توسيع الموضوع وتشعبيه وتفريعه . على ان أبا العلاء المعري نابغة الشعراء في العصر الثالث وضع شيئاً كالدرام نعتي رسالة الغفران فانها تشبه أن تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها



ش ١٧ . تشخيص عاشوراء في ابران

ويظهر ان الشيعة في بلاد فارس لم يبالوا بهذه الموانع في تمثيل مقتل الحسين في كربلاء فانهم يمثلون تلك الواقعة على المراسح في عاشوراء. وتبتدىء هذه الرواية بيوم خروج الحسين من مكة وتنتهي بقتله . او هو الفصل الاخير منها ويسمونه «روز قتل» اي يوم القتل . فهذا الفصل يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكنثوم وام ليلي وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من أول النهار الى آخره ومقتل الحسين واصحابه — يفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيكون ويندبون وينوحون فيطوف عليهم شيخ بقطعة يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها في قارورة يحفظ بها للاستشفاء . وقد وصف ذلك الاحتفال الرحالة موريه في رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ونقلنا ذلك في الهلال صفحة ٤٦٦ سنة ١٨

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثالث

كان النحاة كثيرين في هذا العصر ولكنهم لم يأتوا شيئا كثيرا في النحو وقل الذين الفوا فيه من عند أنفسهم • واكثر ما دونوه شروح على سيبويه أو إعراب أو نحو ذلك واكثرها ضاع • وهالك اشهر من خلف مؤلفات في النحو من أهل هذا العصر وبقى منها ما يستحق الذكر ترتيبهم حسب الوفاة ونذكر مؤلفاتهم في المواضيع الاخرى :

١ - ابن خالويه

توفي سنة ٣٧٠ هـ

هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه أصله من همدان ودخل بغداد وأدرك حلبة العلماء فيها ورحل الى الشام ثم أقام في حلب وتقرّب من آل حمدان وقدمه سيف الدولة • وله معه محاضرات حسنة • ومن آثاره الباقية :

١ رسالة في إعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية في المتحف البريطاني وفي ايا صوفيا

٢ كتاب الشجر : في برلين

٣ كتاب ليس : في الشواذ العربية طبع في أوروبا عن نسخة خطية وجدت في المتحف البريطاني بعناية دير نبرج • وطبعت في مصر في جملة كتاب الطرف الادبية وترجمته في ابن خلكان ١٥٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٨٣ وبتيمة الدهر ٧٦ ج ١ والفهرست ٨٤

٢ - ابو بكر الزبيدي

توفي سنة ٣٧٩ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشيلي نزيل قرطبة من تلاميذ ابي علي القالي اللغوي • وكان أوحد عصره في النحو وحفظ اللغة واخبر أهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر والسير • ولم يكن بالاندلس في فنه مثله وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم ابناؤه فعمل هشام المؤيد ولي عهده الحساب والعربية • وكانت له منزلة رفيعة عنده ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية

وخطبة الشرطة . وحصل له نعمة توارثها بنوه بعده . وكان شاعراً . وقد ألف كتباً كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة في المشرق والاندلس من زمن أبي الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجوداً الى آخر القرن التاسع للهجرة وأخذ السيوطي عنه في المزهري ولا نعلم خبره . وله كتب أخرى في لحن العامة وآخر في الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطي . ولم يبلغنا من مؤلفاته الا :

١ كتاب الواضح في النحو والعربية : وهو جزيل الفائدة منه نسخة خطية في الاسكوريال

٢ كتاب الاستدراك على سيبويه : استدرك فيه أشياء فانت سيبويه . طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية جويدي المستشرق الايطالي وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ بتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١

٣ - ابن جني

توفي سنة ٣٩٢ هـ

هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلني قرأ على ابي علي الفارسي . وكان أبوه مملوكاً رومياً ولعل اسمه « جني » معرب عن لفظ يوناني مثل « جنابيس » توفي ابن جني ببغداد وهو أعظم نحوي هذا العصر واكثرهم آثاراً . وكان شاعراً مطبوعاً وله منظومات حسنة لكن النحو غلب عليه وله فيه مؤلفات هامة فيها فلسفة ونقد — هالك أشهر ما بقي منها :

١ الخصائص في اللغة . كتاب كبير عظيم الفائدة يبحث في أصول النحو على مذهب اصول الكلام والفقه . وهو بحث فلسفي في اللغة واصولها واشتقاقها واحكامها وما أخذها وما يجوز القياس فيه . والكتاب عدة أجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثاني في المكتبة الخديوية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة والجزآن ٣ و ٤ في مكتبة غوطا . واجزاء أخرى في مكتبتي راغب ونور عثمانية في الاستانة

٢ سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخم في نحو ٦٠٠ صفحة يشتمل على أحكام حروف المعجم واحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه ابحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي واجناس الحروف وفروعها وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الابحاث الدقيقة . فبدأ بالهمزة قالبا وما بعدها الى آخر الابجدية . ونظر في كل حرف وابن يكثر أو يقل من حيث

موقعه من الالفاظ . وأحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من المواضيع التي تهتمُّ طالب تحايل الالفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس وراغب وكوبرلي وفي المكتبة الخديوية ومكتبة الظاهر في دمشق

٣ شرح تصريف المازني : في مكتبتي راغب باشا وكوبرلي بالاسنانة

٤ كتاب العروض : هو مختصر لطيف في براين وفينا وليدن

٥ مختصر القوافي : في الاسكوريال

٦ اللمع في النحو : في برلين وأياصوفيا وعليها شروح عديدة

٧ المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب

٨ شرح المتنبي : في المكتبة الخديوية

٩ المهجع . هو شرح اسماء شعراء الحماسة شرحاً لغوياً لا تاريخياً . منه نسخة في

المكتبة الخديوية في ٧٢ صفحة

١٠ مختصر التعريف الملوكي . أو جمل أصول التصريف . مطبوع في ليسك مع

ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥

١١ علل التنية : منه نسخة خطية في ليدن

١٢ التنييه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخيم في نيف و ٤٠٠ صفحة فيها شرح

لغوي نحوي موجود في ليدن وفي المكتبة الخديوية

وترجمة ابن جنبي في ابن خلكان ٣١٣ ج ١ وبتيمه الدهر ٧٧ ج ١ وطبقات الادباء ٤٠٦

نحاة آخرون

واشتهر في العصر نحاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتباً - فان في

الناس من يحسن التعليم دون التأليف . ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم

ما يستحق الذكر :

٤ ابن دستوربه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد وهو فارسي الاصل الف

عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب » منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد

وترجمته في ابن خلكان ٢٥١ ج ١

٥ ابو سعيد السيرافي ويعرف بالقاضي توفي سنة ٣٦٨ وكان واسع العلم عريض الجاه

تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه والف كتاب ألفات الوصل والقطع وكتاب

اخبار النحويين البصريين وغيرها لم يصلنا منها شيء وكان الرجل ثقة يشتغل عليه

الطلاب عدة فنون في القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته في معجم

الادباء ٨٤ ج ٣ وابن خلكان ١٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ أبو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة . ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ومنه شروح خطية في المكتبة الخديوية احدها للمكبري : وترجمته في ابن خلكان ١٣١ ج ١ ومعجم الادباء ٩ ج ٣ وطبقات الادباء ٣٨٧

٧ - ١١ أبو حسن الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح . وابن بنية المتوفى سنة ٤٠٦ والرعي سنة ٤٢٠ والافليلي سنة ٤٤١ والثميني سنة ٤٤٢ وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجمهم ابن خلكان

اللغة و اللغويون

في العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه أن فيه نضجت علوم اللغة وتم نشوء المعاجم اللغوية فنبغ من علماء اللغة طائفة حسنة اهمهم الذين اشتغلوا في ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم أو على المعاني . وهم اصحاب المعاجم سفرد لهم فصلا خاصاً بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ - المطرز البارودي

توفي سنة ٣٤٥ هـ

هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم المعروف بالمطرز البارودي الزاهد غلام ثعلب . وكان من اكابر ائمة اللغة المكثرين اخذ عن ثعلب المتقدم ذكره . وكان واسع الرواية غزير المادة لكن ادباء عصره يخطئونه في أكثر نقله ويقولون لو طار طائر لقال ابو عمر « حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي كذا » ويقال انه املى من حفظه أكثر من ٣٠٠٠٠ ورقة في اللغة توفي ببغداد ودفن فيها . والف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ كتاب العشرات : هي عبارة عن جمع عشرة الفاظ في معنى واحد . منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ كتاب اخبار العرب : في الاسكوريال ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم وترجمته في ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ والفهرست ٧٦ وطبقات الادباء ٣٤٥

٢ - ابو علي القالي

توفي سنة ٣٥٦ هـ

هو ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي . جده من موالي عبد الملك بن مروان . وكان احفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . تعلم لابن دريد ونقطويه وابن درستويه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد اقام بها ٢٥ سنة . واقام في الموصل زمناً وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر وتوفي فيها سنة ٣٥٦ وله عدة مؤلفات اكثرها في اللغة هالك ما وصلنا منها :

١ كتاب الامالي : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد املاه في جامع الزهراء بقرطبة ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين لها ذيل

٢ كتاب البارع في اللغة : بناه على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة أي ألف صفحة فهو من قبيل المعاجم ولم يبق منه الا تنف في مكتبة باريس
٣ كتاب النوادر : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢

٣ - ابو احمد العسكري

توفي سنة ٣٨٢ هـ

هو ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير ابي هلال العسكري المتقدم ذكره بين الادباء . وكان ابو احمد صاحب اخبار ونوادر . وكان صاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا فاحتال في السفر اليه ولقيه وأطراه . وخلف ابو احمد عدة مؤلفات وصل اليها منها :

١ كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحف والمحرف من الكلمات التي وردت عن البلغاء مما يعد من انواع البديع ومن فروع المحاضرات . وشرح الكلمات المشبهة . وهو مفيد طبع في مصر ١٣٢٧

٢ كتاب الزواجر والمواعظ : في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٣ « الحكم والامثال » : مكتبة زكي باشا بمصر

وترجمة أبي احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣
ومن علماء اللغة في هذا العصر ايضاً غير اصحاب المعاجم الآتي ذكرهم: جنادة
المتوفي سنة ٣٩٩ والسهماني توفي ببغداد سنة ٤١٥ وصاعد اللغوي توفي سنة ٤١٧
وابن السيد القيسي توفي سنة ٤٢٧ هـ وقد ترجمهم ابن خلكان

المعاجم اللغوية ✓

واصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفي
سنة ١٨٠ لكنها لم تنضج ويتم نموها الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده فيحسن
بنا أن نشبع الكلام فيها

المعاجم على العموم

أسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون فانهم وضعوا معجماً فيه ٤٠٠٠٠
كلمة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . مؤلفه اسمه باوتشي . وأقدم معجم لغوي
في اللغة اللاتينية اسمه (Lingua Latina) الفه « وارو » المتوفي سنة ٢٨ قبل
الميلاد . ونحو ذلك الزمن أو بعينه ظهر اقدم معجم للغة هوميروس ألفه ابولونيوس
الغراماطيقي الاسكندري في زمن أوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملاً سنة
١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس . ثم يأتي العرب وهم أسبق الامم الحديثة الى
المعاجم اللغوية — وهاك تاريخها :

ماخذ المعاجم العربية

يزيد بالمعاجم كتب اللغة التي تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم أو على المعاني
المتشابهة أو المتقاربة وهي مأخوذة في الاصل عن السماع من أفواه العرب في أدوار
مختلفة . وقد علمت مما تقدم انهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية من صدر الاسلام
بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب صفحة ٩٧
فكان الرواة كحماد والاصمعي وابي عبيدة وغيرهم يروون ما يسمعونه أو
بأخذونه عن سماعه ويدونونه أو ينقلونه . ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم

وأمثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك أولاً في كتب مستقلة كل موضوع على حدة ككتب الابل واسماء الوحوش وخلق الانسان والحيل والشاه والنبات والشجر والتخيل وغيرها للاصمعي وكتب اللبن والمطر لابي زيد الانصاري ونحوها

ويلحق ذلك ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة وهي تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها ككتب النوادر لكسائي وابي زيد والشيباني والقالبي . وكتب الغريب في اللغة كغريب ابي عبيد والشيباني وابن الاعرابي . وشروح الشعر فان فيها كثيراً من الالفاظ المشروحة مع بيان أحوالها اللغوية . وسائر الكتب التي تبحث في اللغة واشتقاقها والفاظها . وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفي سنة ٣٢٧ هـ تقدم ذكره صفحة ١٨٩ وكتاب البارع للقالبي . وأبنية الافعال لابن القوطية الآتي ذكره ومنها كتاب «ديوان الادب» لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآتي ذكره . جعله على ستة كتب أولها في السلم والثاني في المضاعف (٣) المثال (٤) ذوات الثلاثة (٥) ذوات الاربعة (٦) كتاب الهمزة وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وأفعال وقدم الاسماء على الافعال واستشهد بالاشعار . ومن هذا الكتاب نسخ خطية في ليدن واكسفورد وفي المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وأمثالها كانت عوناً كبيراً في تأليف المعاجم . على أن الذين ألفوا المعاجم رجعوا أيضاً في التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة أو ممن سمعها عنهم . وقد ذكرنا في صفحة ٩٧ اسماء القبائل التي أخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم:

تاريخ المعاجم العربية

أول من رتب الفاظ اللغة على الابجدية الخليل بن احمد في كتاب العين وقد تقدم ذكره في الكلام عن اللغة في العصر العباسي الاول صفحة ١٢١ تليه جمهرة ابن دريد المتوفي سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة في العصر العباسي الثاني صفحة ١٨٨ وعليها كان معول طلاب اللغة في ذلك العصر والذي يليه . وقد انتقدها ابن جني ونفطويه . فاقدم المعاجم كتاب العين فالجمهرة لابن دريد فالبارع للقالبي وقد تقدم ذكرها

وهاك المعاجم التي ظهرت بعد ذلك مع تراجم اصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ - التهذيب للازهري

المتوفي سنة ٣٧٠ هـ

هو ابو منصور محمد بن احمد بن الازهر طلحة بن نوح بن ازهر الازهري الهروي اللغوي . كان فقيهاً وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونقطويه ورحل فطاف أرض العرب في طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه في أسر قوم نشأوا في البادية يتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون الى اعداد المياه في محاسنهم زمان الفيظ ويرعون النعم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطبايعهم البندوية ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش

فبقي في أسرهم دهرأ طويلاً يشقى في الدهناء ويرجع في الصمان ويقيظ بالستاربن فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم الفاظاً جمّة . فلما ألف كتابه « التهذيب » أدخل ذلك كله فيه . وجرى في ترتيبه على ترتيب كتاب العين أي حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة أورد فيها أسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم وأسماء الذين ساءوا التأليف في اللغة . وعقد فصلاً في القاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهي مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية في مكاتب ايا صوفيا ونور عثمانية وكوبرلي في الاسنانه ونسخة في المكتبة الاحمدية بحلب . وفي المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحاتهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهي الثاني بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جداً

٢ كتاب غريب الالفاظ التي استعملها الفقهاء : منها نسخ في برلين وكوبرلي

وترجمة الازهري في ابن خلكان ٥٠١ ج ١

٢ - المحيط للصاحب بن عباد

المتوفي سنة ٣٨٥ هـ

قد تقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه « المحيط » مرتب على حروف الابجدية كما هي اليوم في سبعة مجلدات اكثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد . ومنه الجزء الثالث في المكتبة الخديوية

٣ - المجمل لابن فارس

المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي. كان اماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة . وله فضل التقدم في وضع المقامات لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه . وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني كما تقدم . وتفقه عليه صاحب بن عباد . وكان استاذ عصره وقد خالف مؤلفات ذات شأن هاك أشهرها :

١ كتاب المجمل في اللغة : اقتصر فيه على الالفاظ الهامة المستعملة . أخذ أكثرها عن السماع واخذ عن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابجدية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه ومنه اسمه . منه نسخ خطية في برلين وغوطة وليدن وباريس والمتحف البريطاني واكسفورد ويني جامع وكوبرلي . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة في مجلدين كبيرين صفحاتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط

٢ كتاب الثلاثة : يشتمل على الفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب . منه نسخة في الاسكوريال ٣ كتاب ذم الخطأ في الشعر : في برلين

٤ كتاب نقد الشعر : ذكره السيوطي بالمرهر ولم نقف على خبره

٥ كتاب الصاحي : في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . تسمى بذلك لانه ألفه للصاحب بن عباد وجيه ذلك العصر . وفيه ابحاث في اصل اللغة العربية وخصائصها واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن . وتعريف اقسام الكلام والاسماء العربية واسبابها والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء وغير ذلك من المواضيع اللغوية . وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ وفي صدره فصل في ترجمة حياة المؤلف

٦ كتاب الاتباع والمزاوجة . جمع فيه ما ورد من كلام العرب مزدوجاً كقولهم ساغب لاغب ومايق دايق والسيف والليف . منه نسخة بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ٤٤ صفحة ولم يذكر بين مؤلفاته

وترجمة ابن فارس في ابن خلكان ٣٥ ج ١ ومعجم الادباء ٦ ج ٢

٤ - الصحاح للجوهري

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري . أصله من فاراب ببلاد الترك ولذلك سموه الفارابي ايضاً . وهو غير أبي نصر الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة

٢١٣ فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابي صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره صفحة ٣٠٧ فانه خال اسماعيل بن حماد الذي نحن في صدده وكان اسماعيل هذا واسع العلم في اللغة اخذ عن خاله المذكور وغيره وسافر في البدو والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر . وطاف الحجاز في طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان فاقام في نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلاً . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فاتتق من الفاظ اللغة ماصح عنده فجاء اوعى من يجمل ابن فارس وتهذيب الازهرى وجمهرة ابن دريد . ورتبه على اسلوب لم يسبقه اليه احد فجعل القاعدة في ترتيب الالفاظ على اواخر الكلم — فيضع « قلب » مثلاً قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء في طلب القوافي . ويمتاز الصحاح على سواء انه استوعب الالفاظ المستعملة في ديار مضر وحققها بالسماح من عرب البادية هناك لانه عاشهم . وفي الكتاب خطأ في ضبط بعض الالفاظ ذكر سيبه ياقوت في معجم الادباء قال : « ان الجوهري صنف كتاب الصحاح للاستاذ ابي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعتزى الجوهري وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور فصعد الى سطحه وقال ايها الناس اني عمات في الدنيا شيئاً لم أسبق اليه فساعمل للآخرة أمراً لم أسبق اليه . وضم الى جنبه مصراعي باب وتأبطهما بجبل وصعد مكاناً طالياً من الجامع وزعم انه يطير فوق فمات وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة فيضه ابو اسحاق بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلظ فيه في عدة مواضع غلظاً فاحشاً »

وقد طبع الصحاح في تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر . وفي مصر سنة ١٢٨٢ وفي طبعة مصر مقدمات لابي الوفاء الهوريني في تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وما هي الفصول الساقطة منه . وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية في كتاب سمي « الصراح » ترجمه أبو الفضل جمال الدين القرشي سنة ٩٧٦ هـ ومن هذه الترجمة نسخ خطية في برلين والمتحف البريطاني وغيرها . وطبعت في كلكتة سنة ١٨١٢ ولخصه محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي من أهل القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال وضم اليه كثيراً من تهذيب الازهرى وغيره . وكل ما أهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مراراً بمصر وغيرها ومنه نسخ خطية في

مكاتب أوربا . وalf كثيرون في نقد الصحاح للأسباب التي قدمناها كتباً ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢ وللاجوهري هذا فضل في تميم علم العروض والزيادة في أوزانه^(١) وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته في معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ وبيمة الدهر ٢٨٩ ج ٤

٥ - الجامع للقزاز

المتوفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي القزاز القيرواني . كان في خدمة العزيز الفاطمي صاحب مصر . وكان مقدماً وجيهاً وصنف له كتباً من جملتها كتاب « الجامع » في اللغة وكلها ضاعت . وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١

٦ - الموعب للتياي

المتوفي سنة ٤٣٦ هـ

وهو ابو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي من أهل قرطبة . الف الموعب وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ولم يختصر الشواهد . لكن الكفا ضاع . وترجمته في ابن خلكان ٩٧ ج ١

٧ - المحكم والمخلص لابن سيده

المتوفي سنة ٤٥٨ هـ

وهو آخر اصحاب المعاجم التي ظهرت في ذلك العصر وأعظمهم وهو الحافظ ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرمي الاندلسي كان ضريراً وأبوه ضرير . وكان ابوه عالماً في اللغة فآخذها عنه وعن غيره . وكان حافظاً أقام في مرسية وتوفي في دانية من أعمال الاندلس . وقد الف غير كتاب في اللغة والادب هالك ما وصلنا منها :

١ المحكم في اللغة : واسمه المحكم والمحيط الاعظم . وهو كبير جامع يشتمل على انواع اللغة رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين وقد نظم بعضهم ثلاثة آيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من أوائل الفاظها وهي :

علقت حبيباً هنت خيفة غدرة قليل كرى جفني شكا ضر صده
سبا زهوه طفلا ديانة ثابت ظلامته ذنب ثوى ربع لحدده
نواظره فتاكة بعبيده ملاحظته اجرت بنايع وجدده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر وقد اتقى شواهد من أوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس في تأليف كتابه كما سيأتي في مكانه . والمحكم موجود في المتحف البريطاني . وفي المكتبة الخديوية منه أجزاء كثيرة لا يتم منها نسخة كاملة . واكبر مجموعة من تلك الاجزاء تبلغ ١٨ جزءاً تزيد صفحاتها على خمسة آلاف صفحة خطها قديم مغربي والمحكم خلاصة لمحمد الانسي المتوفي سنة ٦٨٠ منها نسخة في المتحف البريطاني

٢ المخصص : وهو معجم معنوي أي أن مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها فهو مثل فقه اللغة للثعالبي ولكنه أوسع منه كثيراً . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٦ في ١٧ مجلداً عن نسخة خطية مخرومة كانت في المكتبة الخديوية . ومنه أجزاء خطية متفرقة في مكتبي اكسفورد والاسكوربال . وهو أوفى كتاب في بابيه قد اجتمعت فيه الالفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها أو المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد . وفي ذيله فهرس ابجدي يسهل البحث عن مواده

٣ كتاب شرح مشكل المتنبي : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وترجمة ابن سيده في ابن خلكان ٣٤٢ ج ١

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثالث

اتخذ التاريخ في هذا العصر وجهاً آخر فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الاسلامية أو الامم أو الاشخاص . وذلك طبيعي بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة في الشهرة والسيادة وفي رقية المملكة الاسلامية . واكثرهم يقربون الكتاب ويفرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة بابي اسحق الصابي المتقدم ذكره وكما فعل محمود النزنوي بالعتبي الآتي ذكره

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما انتهى في ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الامة أو الدولة يدون غالباً في أواخر أيامها أو بعد انقضائها .

وأما تراجم الافراد فيغلب تدوينها في حياة اصحابها بإيماز منهم . ونظراً لتوالي التقلبات على مصر في القرنين الثالث والرابع بتقلها من العباسيين الى الطولونيين فالأخشيديين فالفاطميين ظهر فيها عدة كتب في التواريخ الخاصة ضاع اكثرها وسنذكر ما بقي منها

وفي هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الاوائل » ومنه يعرف أوائل الوقائع والحوادث بحسب الموطن . واول من الف فيه تأليفاً مستقلاً أبو هلال العسكري وقد تقدم ذكره

أما التاريخ العام فقد خالط بهضه في هذا العصر صبغة الرحلة لكثرة ما كان من توالي الرحلات فيه كما سيجيء مع وصف الاماكن الجغرافية . فال مؤرخ يصف ما سمعه ورآه من الغرائب . وأكثرهم افاضة في ذلك المسعودي وكان هو نفسه من أهل الاسفار وكذلك أبو زيد الباهلي وقد الف في التاريخ والجغرافيا وذكرناه بين المؤرخين في العصر الماضي . غير اصحاب الجغرافية الآتي ذكرهم

ويقال على الاجمال أن النقد التاريخي لم ينضج في تواريخ هذا العصر لان اكثرها كتب ولا سيما التواريخ الخاصة تحت سيطرة الملوك والامراء لارضائهم . وقد يمتنعون عن الانتقاد نحاشيا من التعرض للاحزاب الدينية الا ما كان بين السنة والشيعه وهم مع ذلك يتحاشونه . ولعل التلاعب بعد ذلك في النسخ افسد ما دونوه ونبدأ بذكر التواريخ العامه ثم الخاصة ورتب التراجم في كليهما على سني الوفاة :

اصحاب التواريخ العامه

١ — المسعودي

توفي سنة ٣٤٦ هـ

هو علي بن الحسين بن علي ذرية عبد الله بن مسعود ولذلك قيل له المسعودي . نشأ في بغداد وجاء مصر ورحل في طاب العلم الى اقصى البلاد فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في اصطخر . وفي السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ثم عطف الى كتيابة فصيمور فسرنديب (سيلان) ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وطاف البحر الهندي الى مداغسقر وعاد الى عمان . ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء اذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين . وفي سنة ٣٣٢ جاء

انطاكية والنفور الشامية الى دمشق . واستقر أخيراً بمصر ونزل القسطنطينية سنة ٣٤٥
وتوفي في السنة التالية . ولم يفتّر في اثناء اسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب
العلوم على اختلاف مواضعها . فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه
اليه أحد . والف كثيرأ من الكتب المفيدة في مواضع شتى اهمها في التاريخ وهاك
اشهر مؤلفاته الباقية :

١ مروج الذهب ومعادن الجوهر : هو اشهر من أن يعرف لشيوعه وقد طبع
مراراً في جزئين . وصف في الاول منهما الحليقة وقصص الانبياء مختصراً ثم وصف
البحار والارضين وما فيها من العجائب . ويدخل في ذلك تواريخ الامم القديمة
من الفرس والمريان واليونان والرومان والافرنج والعرب القدماء واديانهم وعاداتهم
ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم
عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبي الى مقتل عثمان . وذكر في المجلد
الثاني تاريخ الاسلام من خلافة علي الى أيام المطيع لله العباسي (توفي سنة ٣٦٣)
ويظهر مما جاء في مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية
وغيرها كانت موجودة في أيامه لم يصلنا منها الا بضعة قليلة كتاريخ الطبري وفتوح
البلدان للبلاذري . وأما الباقي فقد ضاع وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة
والاجتماع . وفي خلال هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تجدها في سواه . ولذلك فقد
عنى المستشرق باريه دي مينار بنقله الى اللغة الفرنسية وطبع في باريس سنة ١٨٧٢
في ٩ مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبد الله المراه في مجلة الضياء (سنة ٢) .
ونقله الى الانكليزية الاستاذ سبرنجر وطبع الجزء الاول من ترجمته في لندن سنة ١٨٤١
٢ كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثنان من الامم الماضية والاجيال والممالك
الدائرة . وهو كبير طويل مثل اسمه يدخل في ٣٠ مجلداً . وقد اكثر المسعودي من
الاشارة اليه في مروج الذهب - اذا اختصر الكلام في باب قال : « وقد فصلنا ذلك في
كتابنا اخبار الزمان » لكن هذا الكتاب ضائع الآن . وليس منه الا الجزء الاول
في مكتبة فينا

٣ كتاب الاسط : هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع ايضا ولكن في
مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء
منه في بعض مكاتب دمشق^(١)

٤ . كتاب التنبيه والانصراف : أودعه لمعاً من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتركيبها وأقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها والنواحي والافاق وتأثيرها على السكان وحدود الاقاليم السبعة والعروض والاطوال ومصاب الانهار . وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها . ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم واخبارهم . وجوامع تواريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية . وسيرة النبي وظهور الاسلام وسير الخلفاء واعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ وفيه اشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ . وقد طبع في لندن سنة ١٨٩٤ في جملة المكتبة الجغرافية في ٥٠٠ صفحة وترجمة المسعودي في فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ والفهرست ١٥٤

٢ — حمزة الاصفهاني

توفي نحو سنة ٥٣٥٠

هو حمزة بن حسن الاصفهاني كان مقبلاً في بغداد باوائل القرن الرابع وأصله من اصفهان كان يتعصب لغير العرب وعود في ماكتبه على المصادر الفارسية وأشهر كتبه: ١ كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء : رتبته في عشرة ابواب ذكر فيها شيئاً من انساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة فضلاً عن ملوك الفرس والروم وغيرهم. ويوجه همه بالاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة. طبع في ليلسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ وفي مقدمة الكتاب اسماء الكتب الفارسية التي استعان بها في تأليفه ٢ كتاب الامثال : منه نسخة في مكتبة منشن ٣ كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٠٠ صفحة مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهاني وترجمته في الفهرست ١٣٩

٣ — ابن النديم

توفي نحو سنة ٥٣٨٥

هو ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة لانه أول من دونها منذ نحو الف سنة في «الفهرست» ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان. فهو أول من ألف في آداب اللغة واليك وصف كتابه:

كتاب الفهرست : بدأ فيه صاحبه بوصف لغات الامم من العرب والعجم وخطوطها وصور أمثلة منها . ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللغويين وتاريخ النحو واصحابه في البصرة والكوفة واسماء كتبهم فاصحاب الاخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء والكلام والتمكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين . فالفلسفة والعلوم القديمة واصحابها فالاسفار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة . فالمذاهب والاعتقادات وأخيراً الكيمياء واصحابها . وفي كل باب تفاصيل في تاريخ كل مؤلف واسماء كتبه

وقد عني بطبع هذا الاثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ في ليدن في مجلد صفحاته ٢٦٠ صفحة كبيرة . غير الفهارس والشروح في اللغة الالمانية وهي نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من أول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وتمامه والجاحظ وابن ابي دواد وابن الروندي والثاشي والحياتي والرماني وهشام بن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الالمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩

والفهرست ذخيرة أدب لا تثنى لانه حوى من أحوال آداب اللغة العربية في القرون الاولى ما لم يتعرض له غيره ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ

٤ — المرعشي

توفي سنة ٢١٠ هـ

هو ابو منصور الحسين بن محمد المرعشي كان في جملة من تقرب من السلطان محمود الغزنوي وقد خلف :

كتاب الفرر في سير الملوك وأخبارهم : في ٤ مجلدات الاول في تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين ابائه . والثاني الى سقوط يزدجرد بن شهریار وتاريخ ملوك اليهود والانبيا وملوك اليمن وامراء الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع في تواريخ الخلفاء الامويين والعباسيين والدول الصفري التي تفرعت من الدول العباسية كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية . وقد الفه بامر ابي المظفر نصر اخي السلطان محمود الغزنوي ومنه الجزآن الاول والثاني في مكتبة باريس

٥ - مسكويه

توفي سنة ٤٢١ هـ

هو أبو علي الحازن أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه كان مجوسياً واسلم. وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم في الامم. وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين وقد الف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه في مكتبته لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء وانطلق فضلا عن الادب والفقه والتاريخ وكان له ولع خاص بالكيمياء فانفق ماله في طلب الذهب بالطبخ. ثم ندم على ذلك وتفتت به حاله الى خدمة بني بويه وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة صاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعراً مدح ابن العميد وعميد الملك وله رسائل أنيقة على أسلوب ذلك العصر . والف كتباً كثيرة في الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يبلغنا منها الا ما يأتي :

١ كتاب تجارب الامم: هو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٦٩ هـ ويدخل في ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من أخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه انه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر أو نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عنى الاستاذ كابتاني المستشرق الايطالي في أمرها . فكلف سنة ١٩٠٦ اندكتور هوروفيتس للبحث عنها في مكاتب الاسنانة فعثر على نسخة منها في ايا صوفيا وهي النسخة الوحيدة الكاملة فاستسخها بالفوتوغراف . وتشتمل على ذلك التاريخ في ستة أجزاء عنيت لجنة تذكاري جيب الانكليزية في نشرها مطبوعة على الاصل . اي بان يصور الاصل الخطي كما هو ويطلع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصرّة في ٦٠٠ صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهي الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ هـ وستظهر سائر الاجزاء بالتدرج

وقد الف الوزير أبو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ ذبلا لهذا الكتاب منه نسخة في جملة كتب زكي باشا

٢ كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه نظر الفيلسوف الاديب وهو في ستة مجلدات أيضاً تكلم فيها عن الاخلاق والآداب عند العرب والفرس والمهند واليونان منه نسخ خطية في ليدن واكسفورد وباريس

٣ كتاب تهذيب الاخلاق: هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه في النفس وقواها وماهيتها وأفعالها وقسم ذلك وبوبه على أسلوب واضح . وبحث في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله مستنداً في ذلك على كتب الفلاسفة الاقدمين في أسلوب تهذيبي فلسفي تفتح النفس اليه ويقنع العقل بأكثر مواده . ويتخالف ذلك ابحاث في طبقات المخلوقات نحو بحث اصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد في تحليل السعادة وأسبابها وبحث في العدالة واقسامها وفي الاتحاد والمحبة وضروبها ومراتبها . وآداب الصداقة وامراض النفس واسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأي . وقد طبع الكتاب مراراً في مصر وغيرها

٤ الفوز الاصغر : في الفلسفة وما يتعلق بها . وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحوان ونحو ما ذهب اليه أهل النشوء . وقد طبع بمصر مراراً ومنه نسخ خطية في مكاتب اوربا وترجمة مسكويه في معجم الادباء ٨٨ ج ٢ وفي تراجم الحكماء ٢١٧ وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١

٦ - صاعد الاندلسي

توفي سنة ٤٦٢ هـ

هو أبو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي قاضي طليطلة ولد في المرية سنة ٤٢٠ واشهر بكتابه « طبقات الامم » وهو من الكتب التادرة في العربية التي تعرض لوصف العلوم عند الامم بعد كتاب الفهرست . وقد كان مرجع مؤرخي القرن الخامس وما بعده في ما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى أحوال تمدنها وحال العلم فيها وخصوصاً ابن ابي اصيبعة صاحب طبقات الاطباء وابو الفرج الملقب صاحب مختصر الدول والحاج خليفة صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان في مكتبة لندن وتنف في غيرها . وقد عثر الاب شيخو اليسوعي على نسخة عند أحد الوراقين في دمشق فطبعها في المشرق سنة ١٤ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة أيضاً

وهو غير صاعد بن هبة الله الطيب النصراني . وغير صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي المتوفى سنة ٤١٧ هـ . وقد يسمى ابن صاعد ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ هـ

أصحاب التواريخ الخاصة

١ - أبو عمر السكندي

توفي نحو سنة ٣٥٥ هـ

هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب السكندي النجيبى كان يقيم بمصر الى أوئل النصف الثاني من القرن الرابع . وهو غير يعقوب السكندي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٢ . وله من المؤلفات :

١ فضائل مصر : ألفه لكافور الاخشيدى يشتمل على ما جاء عن مصر في القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدى باختصار . منه نسخة خطية في المكتبة الحديوية منقولة في الاصل عن مكتبة كافور في ٤٤ صفحة

٢ اخبار القضاة المصريين : هو تاريخ أولئك القضاة الى سنة ٢٤٦ هـ منه نسخة في المتحف البريطانى وهي الآن تحت الطبع بعناية كوينغ في نيويورك

٣ كتاب تسمية ولاية مصر : طبعه كوينغ المذكور وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات

٤ تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية منه نسخة خطية في المتحف البريطانى . وقد اخذت لجنة تذكار جيب بطبعه في لندن عن تلك النسخة

٢ - أبو عبدالله الحشني

توفي نحو سنة ٣٥٨ هـ

نسبة الى خشينة من قضاة في قرطبة . له كتاب اخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ هـ منه نسخة خطية في اكسفورد

٣ - أبو الحسن الاسكندراني

كتب نحو سنة ٣٦٥ في ايام المعز لدين الله الفاطمي كتاباً كاليومية سماه « ما كفى من اخبار الايام » . منه نسخة في الاسكوريال

٤ - ابن القوطية

توفي سنة ٣٦٧ هـ

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار . تشقف في اشبيلية وقرطبة . وكان من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية مع حفظ الحديث والفقہ والاخبار والنوادر . وكان أروى الناس للاشعار وأدركهم للآثار لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مضطلعا باخبار الاندلس ملياً برواية سير امرائها وأحوال فقهائها وشعرائها يملي ذلك عن ظهر قلبه وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفي في قرطبة سنة ٣٦٧ وقد ألف كتاباً مفيدة في اللغة ويقال انه أول من فتح باب تصاريف الافعال . وجاء بعده ابن القطاع واتبعه . وله كتب أخرى أهمها :

١ تاريخ الاندلس : يشتمل على فتح الاندلس الى سنة ٢٨٠ هـ ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد ترجمه الى الفرنسية شاربونو وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ وعول عليه طلاب تاريخ الاندلس من الافرنج . وطبعوه مع ترجمة فرنساوية في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢١٩ صفحة

٢ كتاب الافعال : نشره الاستاذ جويدي في ليدن سنة ١٨٩٤

وترجمته في ابن خلكان ٥١٢ ج ١

٥ - ابن زولاق

توفي سنة ٣٨٧ هـ

هو ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق اللبني . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

١ كتاب مختصر تاريخ مصر الى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة في غوطا

٢ تاريخ مصر وفضائلها : منه نسخة في باريس ولها مختصر في غوطا وباريس

٣ اخبار سيديويه المصري : وهو محمد بن موسى بن عبدالعزيز الكندي الصيرفي

المتوفى سنة ٣٥٨ منه نسخة في المكتبة الخديوية في نحو ١٠٠ صفحة

٤ تنمة كتاب الكندي في أخبار قضاة مصر : الى سنة ٣٨٦ يتبدى بذكر

الفاضي بكار وينتهي بمحمد بن النعمان . لم نقف عليه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ومعجم الادباء ٧ ج ٣

٦ — ابن الفرضي

توفي سنة ٤٠٣ هـ

هو ابو الوليد عبد الله بن محمد الازدي الفرضي. ولد في قرطبة سنة ٣٥١ ورحل في طلب العلم الى القيروان ومصر وتعين قاضياً بلبنسية وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ فمات في تلك السنة. ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الاندلس » في عدة مجلدات نشر كوديرا الجزئين ٧ و٨ منها في مدريد سنة ١٨٩٢

٧ — عز الملك المسيحي

توفي سنة ٤٢٠ هـ

هو الامير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله المعروف بالمسيحي الكاتب الحراني ولد في مصر ونشأ على زي الاجناد وخدم الحاكم بامر الله الفاطمي وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان وله مع الحاكم بامر الله مجالس ومحاضرات. وقد الف كتباً كثيرة في مواضيع مختلفة اكثرها في التاريخ والادب والنجامة وعلم النجوم وغير ذلك. لم يصلنا منها الا القليل. وهاك ما وصلنا خبره منها :

كتاب أخبار مصر: ذكر فيه من نزل مصر من الولاة والامراء والائمة والخلفاء وما فيها من العجائب والابنية واختلاف اصناف الاطعمة. وذكر نيلها واحوال أهلها الى الوقت الذي كتب فيه ذلك الكتاب. ويتخلل ذلك اشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والادباء والمتغزلين وغيرهم. وهو ثلاثة عشر الف ورقة أو ٢٦٠٠٠ صفحة. فهو أطول كتاب في تاريخ مصر ينتهي بحوادث سنة ٤١٤ هـ يوجد بعضه في مكتبة الاسكوريال

وقد الف له محمد بن ميسر ذيبلاً ينتهي الى حوادث سنة ٥٥٣ منه نسخة في باريس وترجمة المسيحي في ابن خلكان ٥١٥ ج ١

٨ — أبو اسحق الثعلبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري من علماء التفسير وقد الف فيه. وله في التاريخ « كتاب عرائس المجالس » في قصص الانبياء طبع بمصر مراراً

٩ - أبو النصر العتبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي . وأصله من الري وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء فتولى الكتابة للامير ابي علي ثم لابي منصور سبكتكين مع ابي الفتح البستي . ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي واستوطن نيسابور واقبل على خدمة الآداب والعلوم . واشهر على الخصوص بكتاب ألفه في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي سماه « اليميني » نسبة اليه

اليميني : هو الكتاب الذي اشهر ابو النصر العتبي بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود و ترجمة ابيه سبكتكين وسبب طمعه في الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر ايامه . ويدخل في ذلك لطائف كثيرة وحقائق هامة . وقد كتبه مسجماً على أسلوب الترسل في ذلك العصر كما فعل الثعالبي ببيتمة الدهر لكنه أبلغ منه . ولا يدانيه بالبلاغة الا ابراهيم الصابي المتقدم ذكره . وكان يجب عده من المنشئين لولا أهمية كتابه هذا في التاريخ

وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجد الدين الكرمانى وقاسم بن حسين الخوارزمي وتاج الدين بن محفوظ وحيد الدين النجاشي وغيرهم . ومنه نسخ خطية في مكاتب برلين ومونشن وفيينا وليدن والمتحف البريطاني وباريس وبطرسبرج ويني جامع

وفي المكتبة الخديوية نسخة من كتاب اليميني بخط فارسي جميل جداً مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة . على حواشيه شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر في دلهي سنة ١٨٤٧ وفي لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ ابي النصر العتبي للعتبي الدمشقي منه نسخة في فيينا وبطرسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر في مجلدين كبيرين مصدراً بترجمة العتبي . وبساتين الفضلاء للنجاشي في يني جامع . وقد ترجمه الى الفارسية الجربادكاني . ومن هذه الترجمة نسخة في فيينا والمتحف البريطاني وبرلين . وقد ترجمه من النسخة الفارسية الى الانكليزية رينولد وطبع في لندن سنة ١٨٥٨ وترجمة العتبي في بيتمة الدهر ٢٨١ ج ٤ وفي مقدمة الفتح الوهبي

١٠ - هلال الصابي

توفي سنة ٤٤٨ هـ

هو أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابي المشي، صاحب الرسائل الذي تقدم ذكره. ولد سنة ٣٥٩ وكان ابوه صابئيا اما هو فاسلم متأخراً وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب محمد بن خلف. وله تصانيف كثيرة في التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الا :

تاريخ الوزراء : وهو كتاب جليل القدر لانه مسهب في وصف المدة التي تكلم عنها قاصر على ما حدث من اخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ. والطبري قد وفي التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ والف غيره للمدة التي بعده لكن اكثرها ضاع. حتى تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدروز الانكليزي فطبعه سنة ١٩٠٤ في بيروت عن نسخة خطية كانت في مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات. وليست هي كل تاريخ الوزراء بل قطعة فيها نقص من اما كن كثيرة تنتهي بسنة ٣٩٣ في نحو ٥٠٠ صفحة كبيرة فيها فوائد يندر العثور عليها في الكتب الاخرى عن احوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وادارة الحكومة. ودخائل قصور الخلفاء وثورتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام. ويسمى هذا الكتاب ايضا كتاب الاعيان والامائل

وترجمته في ابن خلدكان ٢٠٢ ج ٢ وبيتيمة الدهر ١٨٧ ج ١ وفي مقدمة طبعة تاريخ الوزراء

١١ - القضاء

توفي سنة ٤٥٤ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضي الشافعي. تولى القضاء بمصر وقد أنابه المصريون عنهم في رسالة الى بلاد الروم. وله عدة تصانيف اهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار في ذكر الخطط والاخبار اخذ عنه المقرئ في خططه وبه عددناه من اصحاب التواريخ الخاصة : لكنه ضاع وهاك ما وصل الينا من مؤلفاته الاخرى :

١ كتاب الشهاب في المواعظ والاداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث في الحكم

والوصايا والآداب بدون الاسانيد في نحو مائة صفحة . وهو مختصر مفيد . منه نسخ في برلين وباريس وليدن وفي المكتبة الخديوية

٢ الانباء بانباء الانبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليفة الى سنة ٤١٧ منه نسخة في برلين واكسفورد

٣ كتاب عيون المعارف وقون أخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطارقة والانبياء وبنو أمية والعباسيين والفاطميين . وله ذيل الى سنة ٩٢٦ هـ وكلاهما في باريس

٤ نزهة الالباب جامع التواريخ : وهو ذيل للتاريخ . في المتحف البريطاني
٥ مسند الشهاب : وهو يتضمن اسانيد الشهاب المتقدم ذكره . ويسمى أيضاً اسناد الشهاب موجود في المكتبة الخديوية في نيف و ٥٠٠ صفحة
وترجمة القاضي في ابن خلكان ٤٦٢ ج ١ وحسن المحاضرة ٢٢٧ ج ١

١٢ - أبو بكر الخطيب البغدادي

توفي سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب خاتمة مؤرخي هذا العصر . وكان من الأئمة المشهورين والحفاظ المبرزين ختم به ديوان المحدثين . سمع في بغداد شيوخ وقته ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور وجاء صور فاقام بها مدة وكان يتردد الى بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ الى طرابلس وحلب وعاد الى بغداد اقام بها سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٣ هـ وله مؤلفات تزيد على ٥٥ كتاباً في التاريخ والحديث والادب والنحو والفقه واللغة وغيرها اكثرها ضاع وهالك ما بلغنا خبره منها :

١ تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علمائها على الخصوص في ١٤ مجلداً وبه اشتهر لكنه تبعثر فلا نعرف له نسخة كاملة في مكان . والموجود منه على ما نعلم اجزاء متفرقة في برلين والمتحف البريطاني وباريس وكوبرلي والجزائر والمكتبة الخديوية . وقد نشر المستشرق سلمون مقدمة هذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ كتاباً على حدة في ثلثمائة صفحة محتوي على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها واقسامها ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت في أيامه وغير ذلك من الفوائد . وذيلها الناصر بحواش وفهارس فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخططها .

والكتاب على اجماله مروى بالاسناد على طريقة المحدثين

٢ الكفاية : في معرفة أصول علم الرواية يبحث في شروط الرواية واحكام قبولها منه نسخ في برلين وليدن . وفي المكتبة الخديوية نسخة في ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ تقييد العلم : ٤ شرف أصحاب الحديث : ٥ المؤتلف تمكلة المؤتلف واختلف : وكلها في برلين

٦ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما اشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم فيما اشكل من اسماء الرواة . مما يتفق في الهجاء ويختلف في الحركات وما يشتهه في الخط ويختلف في هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض أو غير ذلك . وفيها يتفق من اسماء المحدثين وانسابهم . فهو جليل الفائدة من حيث تحقيق اسماء الرواة وانسابهم وأخبارهم . منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٠٠ صفحة وفي آخرها نقص

٧ كتاب البخلاء : في المتحف البريطاني

وترجمة الخطيب في ابن خلكان ٢٧ ج ١ ومعجم الادباء ٢٤٦ ج ١

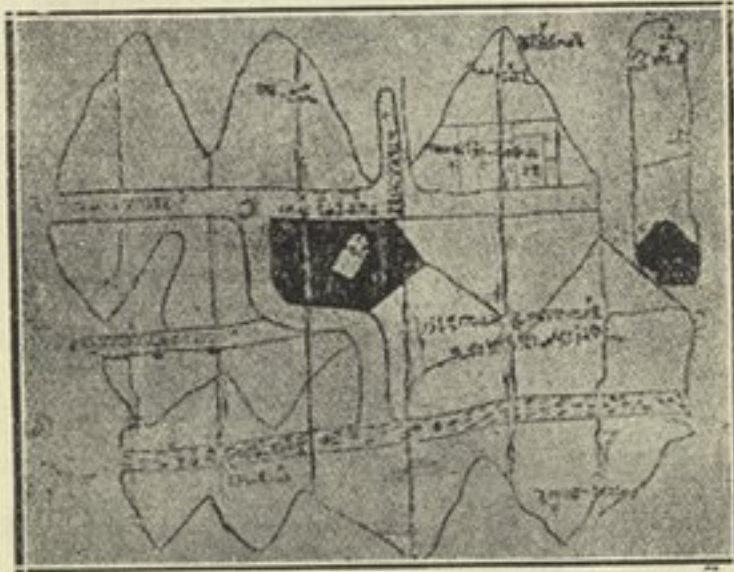
الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هذا العصر يننون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ولم ينضج علم الجغرافيا فيه نضجاً تاماً . ومع ذلك فانه ابان فضل العرب في اكتشاف أماكن دخلوها وبلاد ومسالك لم يسبقهم أحد الى وصفها على أثر الفتح أو الاسفار التجارية في أواسط آسيا وافريقيا وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها . فاكشفوا كثيراً من جزائر المحيط وجزائر الاطلانتيك وعرفوا أصفاع الارض أكثر من سائر الامم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافية في هذا العصر كما يقسم التاريخ الى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة . وقبل التقدم الى ذكر اخبار الجغرافيين من العرب نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة . وجدوا أمثلة منها في انقاض بابل واشور
ومصر . وهذا مثال من خريطة مصرية من زمن الفراعنة



ش ١٨ : خريطة قديمة من زمن رمسيس الثاني

أما العرب فبدأوا برسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك
والجغرافية . وكانوا يجمعون اساس رسوهم قياس العرض والطول . واول من رسم
منهم خريطة الارض على هذا الاساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن
المأمون . فانه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المبنية على علم الفلك كما
فعل بطليموس القلوذي . فلما اخذوا في الرحلة اغضوا عن تلك المقاييس وصاروا
يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل ابو زيد البلخي في اوائل القرن الرابع للهجرة
وابن حوقل والاصطخري والمقدسي في اواسطه . فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين
الاماكن بالاقيسة فاكتفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الاربع (الشرق
والغرب والشمال والجنوب) بلا تقدير الابعاد بينها. ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات
المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم فان الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها ان
يكون دائماً أعلاها شمالاً وأسفلها جنوباً ويمينا شرقاً وشمالها غرباً . أما هم فالغالب
عندهم أن يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة فالزاوية بين الاعلى واليمين مثلاً قد تكون

شمالاً والزاوية المقابلة لها من أعلى غرباً كما ترى في خريطة بين النهرين المنقولة عن الاصطخري (ش ١٩). أو أن تكون الزاوية بين الأعلى واليمين غرباً وتكون المقابلة لها في الأعلى جنوباً كما في خريطة الشام المنقولة عنه (انظر ش ٢٠) أو غير ذلك على أن العرب أخذوا بعد ذلك العصر في تعيين الأبعاد بين الأماكن وأقدم من عينها منهم الشريف الإدريسي في الخريطة التي رسمها للملك روجر الثاني صاحب صقلية وسيأتي ذكره— وهالك تراجع أصحاب الجغرافية العامة :

أصحاب الجغرافية العامة

١ — أبو زيد الباهلي

قد تقدم ذكره بين المؤرخين صفحة ١٩٩ وله في الجغرافية كتاب :
 صور الأقاليم : وهو أقدم كتاب جغرافي عربي موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح . لأن المؤلف أراد تصوير الأقاليم فالف هذا الكتاب وسماه « صور الأقاليم الإسلامية » فرسم الأرض وأشكالها والأقاليم الإسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ إليه جهد العرب في ذلك العصر . ومنه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة في مكتبة برلين . وهي كثيرة الشبه بأقاليم الاصطخري الآتي ذكره لأن هذا نقل عنه لكنه توسع في شرح أحوال البلاد . فكتفتي بشرح جغرافية الاصطخري

٢ — الاصطخري

في أواسط القرن الرابع للهجرة

هو أبو اسحق الفارسي من أهل اصطخر ويعرف أيضاً بالكرخي له كتابان :
 ١ كتاب الأقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور أقاليم الأرض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلاً . فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر وأقسامها وبلادها وأرض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وأرض الجزيرة والعراق ومسافاتها وأنهارها وخوزستان وبلاد فارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند وأرمينية واذريجان والحيال وطبرستان أو الديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وأفغانستان وما وراء النهر ومسافاتها . وقد وضع ذلك كله بالخرائط ويسمى « الصور » وجملتها ١٩ صورة كبيرة . وقد طبع هذا

الكتاب على الحجر في غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الالماني ومعه الخرائط
المشار اليها ملونة مثل الاصل تماما . وفي ش ١٩ صورة تمثل العراق وش ٢٠ يمثل الشام



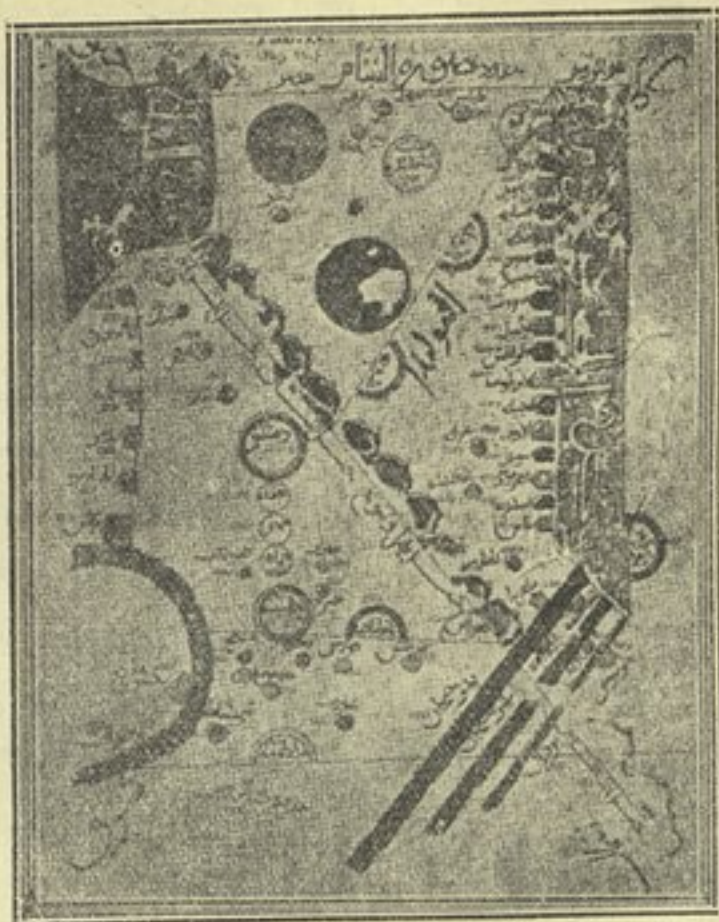
ش ١٩ : خريطة العراق عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٢ كتاب مسالك الممالك : هو كثير الشبه بكتاب الاقاليم لكنه خال من الخرائط
وفي صدره مقدمة في تأليف الكتاب وتقسيمه في بضع صفحات . ويكاد يكون باقيه نفس
كتاب الاقاليم . طبع في لندن سنة ١٨٧٠ في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه
وقد قال المؤلف في صدره انه عول فيه على كتاب صور الاقاليم لابي زيد البلخي

٣ - ابن حوقل

في اواسط القرن الرابع

هو ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي له « كتاب المسالك والممالك » وهو مثل
مسالك الممالك للاصطخري مع زيادات قليلة وقد طبع ايضاً في جملة المكتبة الجغرافية
وترجم الى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ وترجم بعضه المختص بافريقيا وطبع
بباريس سنة ١٨٤٢ وقسم آخر يختص ببارم طبع في باريس سنة ١٨٤٥



ش ٢٠ : خريطة بلاد الشام عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٤ - المقدسي

توفي بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن البشاري المعروف بالمقدسي. ولد في بيت المقدس وساح في أكثر بلاد الاسلام شرقاً وغرباً الى الهند والاندلس. وقد عول في كثير مما كتبه على اختباره الشخصي مما شاهده بعينه. وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم واخلاقهم واحوال بلادهم كما شاهدها. واستفاد أيضاً من سابقه فالف سنة ٣٧٥ هـ كتاباً سماه :

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : وهو أفضل الجغرافيات العامة في ذلك العصر. صدره بمقدمة في تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى أيامه بانتقاد. ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه في سبيل تأليفه وجمع حقائقه فقال : «وما تم لي جمعه الا بعد

جولاني في البلدان ودخولى اقاليم الاسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك وبجالستي
الفضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الادباء والقراء وكتابة الحديث ومخالطة
الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين . مع لزوم التجارة في كل بلد
والمعاشرة مع كل أحد والنفط في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها . ومساحة
الاقاليم بالفراسخ حتى اتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتقلت الى الاجناد
حتى عرفتها وتفنيشي عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الالسن والالوان حتى
رتبتها وتدري في الكور حتى فصلتها وبحي عن الاخرجة حتى احصيتها « الخ
وقد أوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى اقاليم:
« ورسمنا حدودها وخطوطها وحررنا طرقها المعروفة بالحجرة وجعلنا رمالها الذهبيه
بالصفرة وبحارها بالخضرة وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة
ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام » لكن هذه الخرائط لا توجد
في الطبعة التي بين ايدينا . وقد طبع مرتين في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه
الاولى سنة ١٨٧٧ والثانية ١٩٠٦ مع شروح وملاحظات

٥ - هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة في ذلك العصر كتاب اسمه « هيئة اشكال الارض
ومقدارها في الطول والعرض » منه نسخة في مكتبة طوب قوسراي في الاستانة لم
يذكر فيه مؤلفه لكن في المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كانه كتب له . وفيه عشرات
من الخرائط الملونة . ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا منقولة عن تلك بالفوتوغراف

الجغرافية الخاصة

لم يظهر في الجغرافيات الخاصة في هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سراييون

وهي جغرافية ما بين النهرين وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها في اوائل
ايام البويهيين ولا نعرف شيئاً عن مؤلفها . أما الكتاب فقد نقله الى الانكليزية
المستشرق سترانج الانكليزي ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخرجها من وصف
المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها واطاف اليها تعاليق وشروح جزيلة الفائدة
وفي مجلة المقتطف مقالة عن جغرافي العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الإسلامية

في العصر العباسي الثالث

تفرعت العلوم الإسلامية في أوائل الإسلام إلى القراءة والتفسير والحديث. ثم ظهر الفقه وأخذت هذه العلوم تنمو بنمو التمدن وقد علمت مما تقدم ان الفقه نضج ورسخت قواعده في العصر العباسي الاول والحديث في العصر الثاني. ونشأت في أثناء ذلك فروع أخرى من علوم القرآن أو العلوم الإسلامية الدينية على أثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الاقدمين والعلوم الدخيلة ونشأت فروع أخرى في العصر الآتية سيرد بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين في العلوم الإسلامية يعجب لما استخدموه فيها من اعمال الفكرة ولا سيما الفقه فانه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة أخرى اذ لا علاقة له بالعلوم القديمة. ومن ينظر في قضاياها وأحكامه يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل. أما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان فقد ساعد في انشاء بعض فروع والتوسع في البعض الاخر كعلم الكلام فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير في نموه وقد تقدم خبره في العصر الثاني صفحة ٢٠٧

علم الكلام

ونبع في هذا العصر غير واحد من علماء الكلام لبعضهم مؤلفات في مواضيع أخرى جاء ذكرهم في ابوابها كالشريف المرتضى بين الادباء. والبعض الاخر لم يخافوا ما يستحق الذكر. وانما نذكر منهم في هذا الباب اشهر انصار الاشعري وهو:

ابو بكر الباقلاني

هو القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة. ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن وانه معجزة نبوة النبي. وفيه فصول في نفى الشعر من القرآن وكيفية الوقوف على عجز القرآن. وطائفة حسنة من خطب النبي وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك. وقد طبع في مصر سنة ١٣١٥ وغيرها. وترجمة الباقلاني في ابن خلكان ٤٨١ ج ١

التصوف

هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر وخلاصة تاريخه « أنه من العلوم الشرعية الحادثة وأصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام في أصل كلمة التصوف أو الصوفية فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء أو الصفة وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون أن اشتقاقها من الصوف أقرب الى الصواب لاختصاص اصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هي Σοφια (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن Φιλος (فيلوس) محب Φιλοσοφια (فيلوصوفيا) أي محب الحكمة وهي بالعربية « الفلسفة » . فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة لانهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثاً فلسفياً . ويؤيد ذلك أنهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهما كلها « محاسبة النفس على الافعال والتروك وآداب خاصة بهما واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية التزقي من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم » فلما دونت العلوم في الاسلام كتب الصوفية في طريقتهما على ذلك المنهج فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك ومنهم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وكان عالماً في الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب والشعر والكتابة فضلاً عن التصوف وقد ألف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية وهي مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وسنة ١٣٠٤ هـ وبهامشها تقارير من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري عليها . وابو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ يعداد الف في ذلك كتاب عوارف المعارف . وقد جمع حجة الاسلام الغزالي بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وسنأتي على ترجمة حاله ومؤلفاته . وصار علم التصوف علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على ايدي الائمة الاربعة شيئاً غير التلخيص والشرح أو التعليق . وقد ظهر في أثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ولكن اكثرهم اشتغلوا بعلوم اخرى . فدخلت ترجماتهم في ابواب تلك العلوم . ولو اردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء في هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذي اردناه في هذا الباب . وانما نترجم الفقهاء الذين خلفوا كتباً تدخل في بعض الابواب الاخرى من آداب اللغة جرياً على الغرض المراد من هذا الكتاب . واشهرهم في هذا العصر :

ابو الحسن الماوردي

توفي سنة ٥٠ : هـ

هو ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي تعلم في البصرة وبغداد وتقدم في مناصب القضاء . وكان مفكراً حسن التأليف كما يظهر من كتبه التي وصلت الينا وهاك أهمها :

١ كتاب الاحكام السلطانية : يبحث في الامامة وشروطها والخلافة واحكامها والوزارة وأقسامها وشروطها وامارة الجهاد وأقسامها والقضاء والشروط التي يصح التقليدها والنقابة حسب الانساب . وفصول في الولاية على الحج وولاية الصدقات واحكام النية والغنيمة واقسامها والجزية والخراج حسب الارضين واحكام الاقطاع وترتيب الدواوين وأنواعها . وما اختص بيت المال واحكام الحسبة وغير ذلك من القواعد الشرعية مما يتعب الباحث عنه في غير هذا الكتاب . وهو مطبوع في مصر سنة ١٢٩٨ وغيرها

٢ أدب الدنيا والدين : يبحث في الاخلاق والاداب ويشتمل على فصول في فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم واخلاق العلماء والآداب الدينية والدينية ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة بالمودة وادب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصدق وازدادها وآداب المواضعة . وفيه ابحاث في الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك . طبع في الاستانة سنة ١٢٩٩ وفي مصر مراراً . وهو من كتب الادب المعول عليها في كثير من المدارس

- ٣ نصيحة الملوك : في باريس
- ٤ تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . في غوطا
- ٥ كتاب الحاوي الكبير في الفروع : هو مطول في الفقه الشافعي يدخل في ٢٣ مجلداً منها نسخة في المكتبة الخديوية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة
- ٦ اعلام النبوة : يبحث في اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الاعجاز وما في أقوال النبي من ذلك . منه نسخ في برلين والمكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة
- ٧ كتاب الامثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة و ٣٠٠ حديث و ٣٠٠ شعر . موجود في لندن
- ٨ معرفة الفضائل : في الاسكوريال
- وترجمة الماوردي في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الوراثة وأشكالها ومختلفاتها وضروب مواقعها وما يحتاج اليه ذلك من الحساب . فافرد له العلماء باباً مخصوصاً وكتب فيه الفقهاء منهم كابي حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ومن هؤلاء في أوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن ابي ليلى ويحيى بن اكرم ثم ابو المعالي ثم الف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

اما التفسير فما زال للعقل مجال فيه فظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبري المتقدم ذكره في العصر الماضي . ومنهم في هذا العصر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة في المكتبة الخديوية . والحوافي المصري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب « البرهان في تفسير القرآن » منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وابن ابي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ في قرطبة له مؤلفات كثيرة ضاعت وغيرهم .

واما الحديث فاستقرت قواعده في الكتب الستة المتقدم ذكرها لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين اخذ ورد . واشهر من نبغ من المؤلفين فيه بهذا العصر الطهيماني الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ و ابو الفتح سليم بن ايوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ والاجرري المتوفى سنة ٣٦٠ والبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ وغيرهم . ولم يصلنا من آثارهم ما يستحق الذكر

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثالث

علمت من كلامنا عن هذه العلوم في العصر العباسي الاول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى اربعة الطب والفلسفة والتجوم والرياضيات . وكان المشتغلون في نقلها اكثرهم من غير المسلمين ثم اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الثاني وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها في هذا العصر ونبغ فيها علماء لا يشق لهم غبار فتذكر اصحاب كل فرع على حدة وان كان اكثرهم اشتغلوا بعلوم فأكثر من تلك العلوم . فنضع كلا منهم في العلم الذي غلب عليه

الطب

يدخل في الطب فروع الطبيعى كالكيمياء والصيدلة والنبات لكننا سنفرد لها فصلاً خاصاً . اما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثروا الاطباء على الخصوص في هذا العصر وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد احصوا اطباء بغداد وحدها في زمن المقتدر بالله في اول القرن الرابع للهجرة فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيباً امتحنوا لنيل الاذن في التطيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته وسوى من كان في خدمة الخليفة . فلا يمكن ان يكون مجموع ذلك كاه اقل من الف طبيب متعاصرين في مدينة واحدة . وبلغ عدد اطباء النصارى فقط في خدمة المتوكل بأواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيباً . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيباً . منهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة ارزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للأطباء عندهم نظام وعليهم رئيس يمتحنهم ويحيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب . وأشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت في بغداد ومهذب الدين الدخوار في مصر . وفعلوا نحو ذلك في الصيدالة وكانوا كثيراً . وتفشى الغش في الادوية حتى اضطر ولي الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات أو المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفي الآخرين . واول من فعل ذلك الافشين في بغداد ووكل زكريا بن الطيفوري به في حديث يطول ذكره . وكان من الاطباء أو الصيادلة من هو خاص بالجند يرافقه في أسفاره ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ول هؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرزقين . ومنهم من يطيبون العامة وهم غير مرتزقين وأشهر أطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سينا

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو الشيخ الفيلسوف الطيب ارسطو الاسلام وابقراطه . واسمه ابو علي الحسين ابن عبد الله ويلقب بالشيخ الرئيس ويسميه الافرنج (Avicenna) كان ابوه من بلخ في شمالي افغانستان وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرمين . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ هـ وكان من صغره نادرة عصره في الذكاء والفتنة ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا وهي يومئذ حافلة بالعلماء . وحفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم . وكان يحبي الليل في الدرس والبحث

واتفق أن نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه فبرىء على يده فقر به اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال فاستأذنه في دخولها فاذن له فدرسها درساً ثم احترقت بعد أن وعى زبدتها . وأخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتقل في بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي الا بعد حين . ومرت به طوارىء مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب الدلي من العذاب والملوك مناظروه أو مربده . وكان قوي القوى كلها جسداً وعقلاً لكن شهواته البدنية كانت غالبه عليه . فآثرت في مزاجه حتى أماتته بهمدان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والحسين من عمره



ش ٢١ : الشيخ الرئيس ابن سينا

وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل وقد الف في كل فن من العلم والادب وتزيد مؤلفاته على مئة وكان لها تأثير كبير في نهضة أوروبا الاخيرة لانهم نقلوا أهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

أما في الاصل العربي فكثير من مؤلفاته لا يزال باقياً ومنها جانب كبير في المكتبة الخديوية يمكن الاطلاع عليها لمن أراد — فن كتبه الطيبة الموجودة هناك ١ القانون : في ١٤ جزءاً مطبوع في رومية ومصر وهو من أهم كتبه . حوى أهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . وعليه وعلى كتاب الحاوي لابن بكر الرازي كان اكثر معول العالم الطبي في التمدن الاسلامي وفي نهضة أوروبا قبيل التمدن الحديث

٢ الشفاء : وهو ١٨ جزءاً بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى . منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس والكتاب موجود برمته في المكتبة الخديوية ٣ الالفية في الطب ٤ منظومة في الطب ومن كتبه الفلسفية — ١ الاشارات : ولها شرح للطوسي مطبوع في الاستانة وعلى هامشه شرح للفخر الرازي ٢ النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع ٣ رسائل

في الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجواهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم
الفلسفية وحد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد
خطأ في المكتبة الخديوية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد — ١ القصيدة العينية في النفس ٢ كتاب
المبدأ والمعاد ٣ الالهيات ٤ الجملة الالهية

وفي المنطق — ١ كتاب الاشارة ٢ كتاب الشرفين ٣ رسالة العروس . غير
ثمانية مؤلفات في المنطق يوجد بعضها في مكاتب أوروبا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفاً لا يوجد منها في المكتبة الخديوية
شيء ولكن اكثرها موجود في مكاتب أوروبا ولا محل هنا لتفصيل ذلك. وله مؤلفات
في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها
ولابن سينا آراء خصوصية في العلم الطبيعي وقد أوضح كثيراً من غوامضه
وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عديدة

وترجم ابن سينا في ابن خلكان ١٥٢ ج ١ وطبقات الاطباء ٢ ج ٢ وتراجم
الحكام ٢٦٨ وفي سنة ١٨ من الهلال . وللأفرنج مقالات عديدة في ابن سينا وفلسفته
وكتبه في الفرنسية والانكليزية والالمانية وغيرها

الصيدلة والكيمياء والنبات

وللمسلمين فضل كبير على الصيدلة والكيمياء والنبات وهي من فروع الطب بدأوا
بذلك في صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم وإن تجاوزنا هذا العصر لجمع
الموضوع في باب واحد . وقد عني الأفرنج بعد نهضتهم الاخيرة في درس تاريخ فن
الصيدلة فتحققوا أن العرب هم واضعو اسس هذا الفن وهم أول من اشتغل في تحضير
الادوية أو العقاقير فضلاً عما استنبطوه من الادوية الجديدة . وانهم أول من الف
الأقرباذين على الصورة التي وصلت إلينا وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون
في المارستان ودكاكين الصيدلة على أقرباذين الفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ
حتى ظهر أقرباذين أمين الدولة ابن التلميد المتوفى في بغداد سنة ٥٦٠ هـ . وهم أول
من أنشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة . ومن أقرب الشواهد على ذلك أسماء
العقاقير التي أخذها الأفرنج عن العرب ولا تزال عندهم باسمائها العربية أو الفارسية
أو الهندية كما أخذوها عن العربية

على أن تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات ولا خلاف في أن العرب هم الذين اسسوا الكيمياء الحديثة بتجارهم ومستحضراتهم — وأول من اشتغل في نقلها الى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية وعنه أخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ وبعده جابر بن حيان ثم الكندي فابو بكر الرازي وغيرهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات الكيماوية التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة. وقد ذكر محققو الافرنج أن العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (الحامض النتريك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (الحامض النيتروهيديروكلوريك) واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة)



ش ٢٢ : العرب يستقرون العقاقير

والسليمانى (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزجاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلي والزرنينج والبورق. وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التي لم يصل اليها خبرها. على أننا نستدل على وجود بعض المركبات الكيماوية في أيامهم مما لم نسمع له بمثل في تاريخ الكيمياء قبل أواخر القرن الماضي — فقد أشار ابن الاثير الى أدوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ اذا طلي بها الخشب أمتع احتراقه ولم يذكر ما هي. وما بعد من قبيل الكيمياء ايضاً البارود فقد ترجح لنا بالبحث أنهم هم الذين ركبوه. وهم أول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب

وقد الفوا في ابطال الكيمياء القديمة — أول من الف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندي في أواسط القرن الثالث للهجرة

وأما النبات فللمعرب القدح المعلى في درسه والتأليف فيه وقد أخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن كتب الهند . ونقل كتاب ديسقوريدس في أيام المتوكل نقله اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية



ش ٢٣ : ديسقوريدس

فالعقابر التي لم يعرف لها اسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني انكالا على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة فانتفع به الناس الى أيام الناصر صاحب الاندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة . فكانه ملك القسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ وهاداه بكتب من جعلها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهباً اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من اسماء العقابر والادوية وجعله ذيلاً على ذلك الكتاب

ابن البيطار

حتى اذا نبغ ابن البيطار المائتي النباني في اواسط القرن السابع للهجرة فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى أقصى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه . واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعين منابته بنفسه . وذهب الى الشام ودرس نباتاتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيساً على العشابين واصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار الف كتاباً في النبات هو فريد في بابيه وكان عليه معول أهل اوربا في نهضتهم الاخيرة في علم النبات . ومؤلفاته الباقية :

١ كتاب المغني في الادوية المفردة : الفه للملك الصالح الايوبي . منه نسخ خطية في غوطا وليدن والمتحف البريطاني واكسفورد وباريس
٢ جامع مفردات الادوية والاعذية : طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية في مجلدين وطبع في ستجارت سنة ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنسية بقلم لا كلارك وغيره

٣ ميزان الطيب : في اوبسالا

وترجمة ابن البيطار في طبقات الاطباء ١٣٣ ج ٢ وفوات الوفيات ٢٠٤ ج ١

رشيد الدين بن الصوري

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابها ويستصحب مصوراً معه الاصباغ والليق على اختلافها وتوعها ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واعضائه وأصوله وبصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم . وفي مجلة المقتطف مقالة عن كباويني العرب صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

وجمعية اخوان الصفا

كان للفلسفة شأن آخر في هذا العصر واشتغل فيها اكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الاطباء وفي مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه . وكان الفلاسفة في هذا العصر متهمين بالكفر وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفاً للانتساب

الى التعطيل وشاعت النعمة على المأمون لانه كان السبب في نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك : « ما أظن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخله على هذه الامة »

فاضطر اصحابها الى التستر فألفوا الجمعيات السرية لهذا الغرض وأشهرها جمعية « اخوان الصفا » تألفت في بغداد باواسط القرن الرابع للهجرة ذكروا من اعضائها خمسة هم : أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو احمد المهرجاني والعوفي وزيد بن رفاعة . وكانوا يجتمعون سرأ ويتباحثون في الفلسفة على انواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص هو خلاصة اجاث انفلاسة المسلمين بعد اطلاعهم على اراء اليونان والفرس والهند وتعديها على ما يقتضيه الاسلام . وأساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تدنس بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصاححة الاجتهادية وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم هذه في خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكنتموا أسماءهم . وهي تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه في ابان نضجها وتشمل النظر في مبادئ الموجودات وأصول الكائنات الى نضد العالم فالهولوى والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض وتغيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات واوصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واخلاف الاخلاق وطبيعة العدد . وان العالم انسان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور وأجناس الحركات والعالم والمعلومات والحدود والرسوم . وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبعى أو رياضى أو فلسفى أو الهى أو عقلى

ويظهر من امعان النظر فيها ان اصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك أراء لم يتصل أهل هذا الزمان الى أحسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل في كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة وان الغرض منها التعاضد في الدين . وذكروا شروط

قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سراً الى بلاد الاسلام . ولم تمض مئة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يد ابي الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني . وهو من اهل قرطبة رحل الى المشرق للتبحر في العلم على جاري عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة وهو اول من ادخلها الاندلس فما لبثت ان انتشرت هناك حتى تناولها اصحاب العقول الباحثة واخذوا في درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة . اتقنها طبعة ديتريشي في ليبسك سنة ١٨٨٣ وطبعت في بومباي سنة ١٣٠٣ وفي مصر سنة ١٣٠٦ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية وطبعت في لندن سنة ١٨٦١ وهي غير رسائل اخوان الصفا للحكيم الجريطي المتوفي سنة ٣٩٥ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٨٠ صفحة . وهي تشبه تلك لكن صاحب هذه يريد ان يفسر الفلسفة بالدين

ماخذ لطلاب فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التي يستعان بها في درس تاريخ الفلسفة والفلاسفة في الاسلام:

- (١) Boer, The history of philosophy in Islam. London, 1903
- (٢) Dietrici, Die Philosophie der Araber in X Jahrhundert n. chr. Leipzig, 1897
- (٣) Dugat, Histoire de philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878
- (٤) Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris 1876
- (٥) Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Gottengen, 1840

غير مقالات عديدة في المجلات الاسيوية والشرقية والفرنساوية والانكليزية والالمانية . وفي دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها في دوائر اللغات الاخرى . وفي المقتطف مقالة في الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٤٦٩ سنة ١٠ ومقالة اخرى في فلسفة العرب لحسين بهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التي يستعان بها في درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين «طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبعة و «تراجم الحكماء» لابن الففطى وكلاهما مطبوعان

ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعها في الاندلس الا في العصر الآتي فنبغ
الزهرابي وابن جزلة وابن رشد وغيرهم كما سيجيء.

النجوم

كان للمسلمين حظ وافر من علم النجوم وفضل كبير عليه يكفيك انهم جمعوا
فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والسكندان والعرب الجاهلية شأنهم في اكثر العلوم
الدخيلة . وقد اتينا على تفصيل ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي من
صفحة ١٨٩ وقد اشتهر في العصرين الماضيين جماعة لم يخلفوا آثاراً وصلت الينا وان
كان لهم فضل كبير على هذا العلم اشهرهم بنو شاكر وابو معشر البلخي المتوفى سنة
٢٧٢ وحنين بن اسحق سنة ٢٨٨ واحمد بن كثير الفرغاني وسهل بن بشر ومحمد
بن عيسى الماهاني ومحمد بن جابر الحراني المعروف بالبستاني المتوفى سنة ٣١٧ وكان
اوحده عصره في فنه وقد استعان الافرنج بكتبه في نهضتهم الاخيرة . أما في العصر
الثالث الذي نحن في صدده فاكثر فلكي المسلمين آثاراً البيروني وقد بقي منها شيء كثير
وسنأتي على ترجمته واعماله



ش ٢٤ : مرصد فلكي وفيه آلات الرصد في الاجيال الوسطى

واول ما يستلقت انتباهنا من هذا القبيل ان العرب (او المسلمين) قالوا بابطال
صناعة التنجيم المبنية على الوهم ولعلمهم اول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها
ولكنهم مالوا بعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كما فعلوا بعلم

الكيمياء . وكانوا كبريى العناية بعلم الفلك يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج
ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرحلون في طلب ذلك العلم الى الهند وفارس
ويتبحرون في كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها أو يجمعون بين مذاهبا



ش ٢٥ : ذات السموت من آلات الرصد العربية

ولعلم النجوم تاريخ طويل عند العرب لاملح له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراصد
وآلاتها وما ادخله العرب من الاصلاح في هذا العلم في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣
صفحة ١٩١ واليك ترجمة نابغة علم النجوم في هذا العصر :

ابو الريحان البيروني

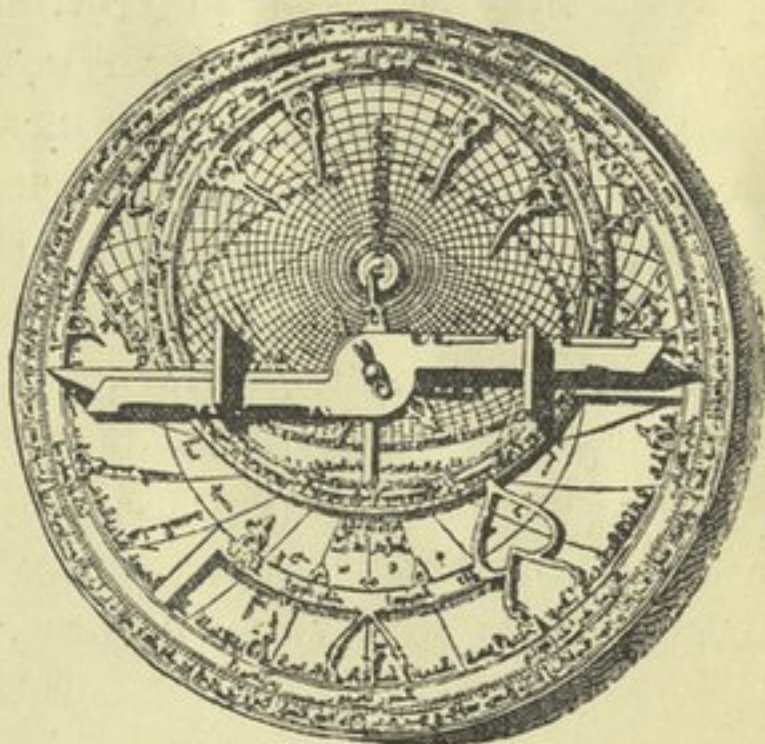
المتوفي سنة ٥٤٣٠ هـ

هو اشهر علماء النجوم والرياضيات من المسلمين في العصر الثالث . واسمه محمد بن
احمد البيروني نسبة الى يرون بلد في السند . سافر في بلاد الهند اربعين سنة اطلع
فيها على علوم الهندود فضلا عن مطالعة الكتب العلمية المنقولة أوالمؤلفة في هذه
الفنون وأقام مدة في خوارزم . وأكثر اشتغاله في النجوم والرياضيات والتاريخ
وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقي منها مما وصل خبره اليها :

١ الآثار الباقية عن القرون الخالية : ألفه للامير شمس المعالي وهو يبحث في التواريخ التي كانت تستعملها الامم في زمانه والاختلاف الواقع في الاصول التي هي مبادئها والفروع التي هي شهورها وسنوها والاسباب الداعية لذلك. وفي الاعياد المشهورة والايام المذكورة للاوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الامم دون البعض الآخر. فهو من قبيل التوقيت أو ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر في ما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الامم القديمة وتاريخ ذلك عند الاشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى ايامه. وما أصاب التفاوت في أثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل. وجداول للاشهر الفارسية القديمة على اختلاف الاعصر والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين وعند العرب في الجاهلية والاسلام وعند الروم والهند والترك بالتفصيل والمقابلة . وفي استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقاول من آدم فما بعده من رجال التوراة ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والسكندان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتها وبازاء كل ملك مدة حكمه الى يزدجرد الذي توفي بعد الاسلام . وفضول في مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم وتواريخ المنتبئين واممهم من أهل الاوثان أو أهل البدع في الاسلام واعياد الفرس . ومذاهب اهل خوارزم وحساب قبط مصر في السنين والكبس والاعياد عندهم وعند الملكية . واعياد النصارى وأحوالهم على اختلاف الطوائف ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وما كانت العرب تستعمله من هذا القبيل في أيام الجاهلية وما فعله الاسلام فيها وغير ذلك مما تقف عليه في كتاب آخر ولذلك فقد عنى المستشرق سخاو الالماني بترجمته الى الانكليزية وقد طبع الاصل في ليبسك سنة ١٨٧٨ والترجمة في لندن سنة ١٨٧٩

- ٢ تاريخ الهند : وهو من الكتب النادرة في هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو ايضاً الى الانكليزية وطبع الاصل في لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فيها ١٨٨٨
- ٣ التفهيم لاوائل صناعة التنجيم : هو مختصر في الهندسة والفلك والنجامة منه نسخ في برلين وأوكسفورد والمتحف البريطاني وفي كتب زكي باشا بمصر
- ٤ القانون المسعودي : في الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي ومنه اسمه . موجود في برلين والمتحف البريطاني وأوكسفورد
- ٥ رسالة في الاسطرلاب . في برلين وباريس

- ٦ استيعاب الوجـ كنة في صنعة الاسطرلاب . في برلين وليدن وباريس
 ٧ استخراج الاوتاد في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها . هي مسائل هندسية
 وله فيها طرق خصوصية . موجودة في ليدن
 ٨ رسالة في راسيكات الهند : في التناسب منه نسخة في المكتب الهندي باندن
 ٩ مبحث في مباهي العلوم ألفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية في باريس
 ١٠ رسالة في سير سهمي السعادة والغيب : في اكسفورد
 ١١ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر : ألفه للملك المعظم ابي الفتح مودود .
 موجود في الاسكوريال وفي كتب زكي باشا
 وترجمة البيروني في طبقات الاطباء ٢٠٠ ج ٢ وفي مقدمة الطبعة العربية للآثار الباقية



ش ٢٦ : الاسطرلاب

ونبع غير واحد من علماء الفلك في هذا العصر كالـبوزجاني المتوفي سنة ٣٨١
 وابن رسم الكوهي والمنجم القمي وأبو الحسين الصوفي وابن اللبان الجيلي وعبد
 الاعلى الصدي وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم. وقد اردنا الاختصار في هذا الباب لان
 التطويل فيه لايفيد المطالعين بعد تغيير تلك العلوم وانقلابها في هذا العصر فمن
 اراد التوسع في هذا الشأن فليطالع تراجم أولئك العلماء في اماكنها

الرياضيات

زيد بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة وكان للعرب فيها شأن عظيم ومن أكبر مآثرهم فيها نقلهم الحساب الهندي والارقام الهندية من الهند وسائر اقطار العالم . فالعرب يسمونها ارقاما هندية لانهم نقلوها عن الهنود والافرنج يسمونها عربية لانهم أخذوها عن العرب وأول من تناول تلك الارقام من الهنود أبو جعفر محمد موسى الخوارزمي

وأما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه أو تأليفه . ولما أخذ العرب في نقل العلوم اليونانية نقلوا كتابين في الجبر احدهما لذيقفاتوس والآخر لابرخس وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث ان ما كتبه هذان ليس من الجبر في شيء . أو هي أصول ضعيفة لا يعتد بها . وهم يعتقدون أن الجبر من موضوعات العرب . والحقيقة على ما ترى أن العرب بعد أن اطلعوا على حساب الهنود اضافوه الى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن اشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي المذكور . فالظاهر ان الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس فاستخرج منه الجبر العربي كما جمع في زيجه بين آراء الهند والفرس واليونان وقد عني العرب بشرح كتاب الخوارزمي مراراً . وألف ايضاً في الجبر ابو كامل شجاع بن أسلم وأبو الوفاء البوزجاني وأكثر مؤلفاته في الحساب وابو حنيفة الدينوري المتوفي سنة ٢٨١ هـ وأبو العباس السرخسي المتوفي سنة ٢٨٦ هـ وغيرهم . ولما نهض الافرنج في تمدنهم الحديث اخذوا الجبر عن العرب

ومما احدثه المسلمون في الهندسة أنهم طبقوها على المنطق وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصري في أوائل القرن الخامس للهجرة فانه ألف كتاباً جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وابلينيوس ونوع فيها الاصول وقسمها وبرهن عليها براهين نظمها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي اقليدس وابلونيوس . وأدخل في الجبر والحساب اساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وعدل في أوضاع الجبريين والفاظهم

وبنو ما اشتغلوا في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد
من الاولين من الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية
واشتغلوا في أعوص المسائل المشكلة في الهندسة كقسمة الدائرة الى سبعة
اقسام ووضعوا بها الرسائل والكتب

الفنونه المحبلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية صفحة ١٣٤ من هذا الكتاب . وقد ارتقت
بعد ذلك ونبغ فيها كثيرون وإن لم يخلفوا كتباً مستقلة في هذا الفن ولكن ورد
كثير من قواعده في كتاب الاغاني وأمثاله وكان لهم شأن في اختراع الآلات الموسيقية
وتحسين الآلات التي اخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون والمشهور انه من اختراع الفارابي الفيلسوف
المتقدم ذكره صفحة ٢١٣ فقد ذكروا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيذان بركبها
ويضرب عليها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ولكنها في كل حال غربية
في بابها

ذكروا أن الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة ولم يكن أحد من الحضور
يعرفه فعاب المغنين فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ففتح خريطة كانت معه
واستخرج تلك الآلة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس .
ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها
وغير تركيبها وضرب ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم
نياماً وخرج

زرياب وابن فرناس

وزاد المسلمون في العود وترّاً خامساً زاده زرياب بالاندلس — كان للعود أربعة
أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وترّاً خامساً أحمر
متوسط ولون الاوتار وطبقها على الطبائع . وهو الذي اخترع مضراب العود من
قوادم الذنبر وكانوا قبله يضربون بالحشب

وعباس بن فرناس في الاندلس اصطنع الآلة المعروفة بالثقال يعرف بها الاوقات

على غير رسم ومثال

نظرة

انقضى العصر العباسي الثالث وبانقضائه تم الجزء الثاني من هـ كتاب . وقد رأيت أن العصر العباسي الثالث المذكور من أهم عصور آداب اللغة. والباقي لنا من آثار قرائح اصحابه اكثر من بقايا سائر العصور التي تقدمته وفيها نخبه من الكتب الهامة المعول عليها في اللغة والادب والشعر والتاريخ والجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك أقل من بقايا العصر الرابع الآتي ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب. فان اكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة في الادب واللغة انما هي من بقايا العصر الرابع المذكور والذي يليه . كما ستراه مفصلا في الجزء الثالث ان شاء الله

﴿ تم الجزء الثاني ﴾

صقر قریش

جاء صفحة ٢٤٩ من الجزء الاول ان عبد الملك بن مروان «صقر قریش» والصواب أن هذا اللقب لعبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس

مهرست الجزء الثاني

من تاريخ آداب اللغة العربية

صفحة		صفحة	
٣٨	الالفاظ العلمية الاعجمية	٣	المقدمة
٣٩	التراكيب الاعجمية	٩	أقسام العصر العباسي
	✓ الشعر	١٠	القرآن وآداب اللغة العربية
٤١	✓ الانتقال الاجتماعي		العصر العباسي الاول
٤٢	• مميزات الشعر	١٧	الانقلاب السياسي فيه
٤٢	طريقة النظم	١٨	الخلفاء والعلم
٤٤	المعاني الجديدة	١٩	حرية الدين
٤٧	وصف الحمر والغلمان	٢٠	الوزراء الفرس والموالي
٤٨	الشعر المجونى ووصف الرياض		أقسام آداب اللغة العربية
٤٩	الشعراء	٢١	العلوم الدخيلة
٤٩	الفرق بينهم وبين من تقدمهم	٢١	امتياز العرب على سواهم
٥٠	التهتك والخلاعة	٢٢	آداب اللغة اليونانية وفلاسفتها
٥٠	الشعراء الموالى	٢٥	الطب والنجوم واصحابها
٥١	الشكوك في الدين	٢٩	آداب اللغة الفارسية
٥٢	حرية الاقلام والالسنه	٣٠	آداب اللغة السريانية
٥٣	الشعراء عند الخلفاء	٣١	» الهندية
٥٤	نفوذ الشعراء	٣٢	نقل الكتب ونقلها
٥٥	تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية	٣٤	الكتب التي نقلت
٥٦	طبقات الشعراء	٣٤	الخلاصة
٥٦	الشعراء المتحضرين	٣٦	الباقى من المنقولات
	عمدة الشعراء		العلوم العربية الاصلية
٥٨	بشار بن برد	٣٧	اللغة
		٣٧	الالفاظ العلمية العربية

٩٢	كلثوم بن عمر	٦١	السيد الحميري
٩٣	ربيعة الرقي وغيره	٦٢	أبو نواس
	الملوك	٦٦	مسلم بن الوليد
	الأدب والآداب	٦٧	أبو العتاهية
	رواة الأدب	٧٠	أبو تمام
٩٦	الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم	٧٢	دعبل الخزاعي
٩٧	عمدة الرواة		سائر الشعراء
١٠٠	قنادة بن دطامة	٧٤	أبو دلامة
١٠٠	أبو عمرو بن العلاء	٧٥	حماد عجرد
١٠٠	أبو عبيدة	٧٧	مروان ابن أبي حفصة
١٠١	الأصمعي	٧٨	سلم الخاسر
١٠٢	أبو زيد الأنصاري	٧٩	منصور النمري
١٠٣	أبو عبيد القاسم بن سلام	٨٠	علي بن الجهم
	رواة الشعر	٨١	حسين بن الضحاك
١٠٥	حماد الرواية		شعراء البرامكة
١٠٦	المفضل الضبي	٨٢	إبان بن عبد الحميد
١٠٦	خلف الأحمر	٨٣	ابن منذر
١٠٧	أبو عمر الشيباني	٨٤	الرقاشي
١٠٨	محمد بن سلام	٨٤	أشجع السلمي
١٠٩	ابن أبي الخطاب		شعراء الشيعة وغيرهم
١١٠	ما هو مبلغ صدق الرواة	٨٥	ديك الجن
	النحو	٨٦	مطيع بن إياس
١١٣	البصريون والكوفيون	٨٧	أبو الشيبص
١١٤	سيميويه	٨٨	العكوك
١١٦	معاذ الهراء		شعراء لم يكتبوا بالشعر
١١٦	الكساني	٩٨	صالح بن عبد القدوس
		٩٠	عباس بن الاحنف
		٩١	محمد بن بشر الرياشي

١٤٣	عبد الرحمن بن القاسم	١١٧	اه
١٤٤	الحديث	١١٨	السك
١٤٥	التفسير والقراءة		اللفظ
	التاريخ	١٢٠	اوليات كتب
١٤٦	الشيخ ابو اسماعيل	١٢١	الحليل بن احمد
١٤٦	الواقدي	١٢٤	مؤرج السدوسي
١٤٧	كتب الطبقات	١٢٥	النضر بن شعيل
١٤٨	ابن سعد صاحب الطبقات	١٢٥	قطرب
١٤٨	الانساب وكتبها	١٢٥	ابن الاعرابي
١٤٩	هشام الكلبي		الانشاء والمفسر
١٥٠	السيرة النبوية	١٢٦	الانشاء
١٥٠	عبد الملك بن هانم	١٢٧	اول ثمار الرخاء
١٥٠	محمد بن اسحق	١٢٨	التوقيعات
١٥٢	نظرة عامة في العصر الاول	١٢٩	الانشاء المرسل
	العصر العباسي الثاني	١٣٠	منشئ الرسائل
١٥٣	تاريخه السياسي	١٣١	الكتاب المؤلفون
<u>١٥٥</u>	مميزاته	١٣١	عبد الله بن المقفع
	الشعر والشعراء	١٣٤	سهل بن هارون
<u>١٥٦</u>	مميزات الشعر	١٣٤	الموسيقى او الغناء
	اشهر الشعراء	١٣٧	المعلوم الاسلاميه
<u>١٥٨</u>	ابن الرومي	١٣٨	الفقه
<u>١٥٩</u>	البحري	١٣٩	ابو حنيفة النعمان
<u>١٦١</u>	ابن المعتز	١٤٠	مالك بن انس
١٦٣	البسامي	١٤١	الامام الشافعي
١٦٤	الحبزارزي	١٤٢	الامام ابن حنبل
١٦٤	ابن العلاف	١٤٣	القاضي ابو يوسف
			محمد بن الحسن الشيباني

١٨٦

ابو العباس المبرد

الادب والادباء

١٨٧

المفضل بن سلمة

١٦٦

سميزات الادب

١٨٨

ابن دريد

ادباء هذا العصر

١٨٩

عبدالرحمن الهمداني

١٦٧

الجاحظ

التاريخ - درهون

١٦٩

السكري

١٩١

ابن عبد الحكم

١٧٠

ابن قتيبة

١٩١

البلاذري

١٧٢

ابن ابي الدنيا

١٩٣

محمد بن حبيب

١٧٢

قدامة بن جعفر

١٩٣

الزبير بن بكار

١٧٣

الوشاء

١٩٤

عمر بن شبة

١٧٣

ابن عبد ربه

١٩٥

الازرق

١٧٤

ابو بكر الصولي

١٩٥

ابن طيفور

١٧٥

ادباء آخرون

١٩٦

اليعقوبي

١٧٦

الانشاء

١٩٧

ابو حنيفة الدينوري

١٧٦

اسلوب بن المقفع

١٩٧

ابن جرير الطبري

١٧٧

كساد البضاعة وفساد العقيدة

١٩٩

ابو زيد البلخي

النحو والنحاة

٢٠٠

ابن البطريق

١٨٠

ابو عثمان المازني

الجغرافية والجغرافيون

٢٠١

اسباب وضع الجغرافية

١٨٠

ابو العباس ثعلب

٢٠٢

ابن خردادبه

١٨١

ابو اسحق الزجاج

٢٠٢

قدامة

١٨٢

ابن الانباري

٢٠٣

ابن الفقيه

١٨٢

ابن ولاد

٢٠٣

ابن رسته

١٨٢

ابو جعفر النحاس

٢٠٤

ابن الحائك

١٨٣

ابو القاسم الزجاجي

٢٠٤

ابن فضلان

١٨٤

مذاهب البصريين والكوفيين

٢٠٥

سلسلة تواريخ

١٨٥

اللغة واللغويون

٢٠٥

بزرك بن شهر يار

١٨٥

ابو عمرو الهروي

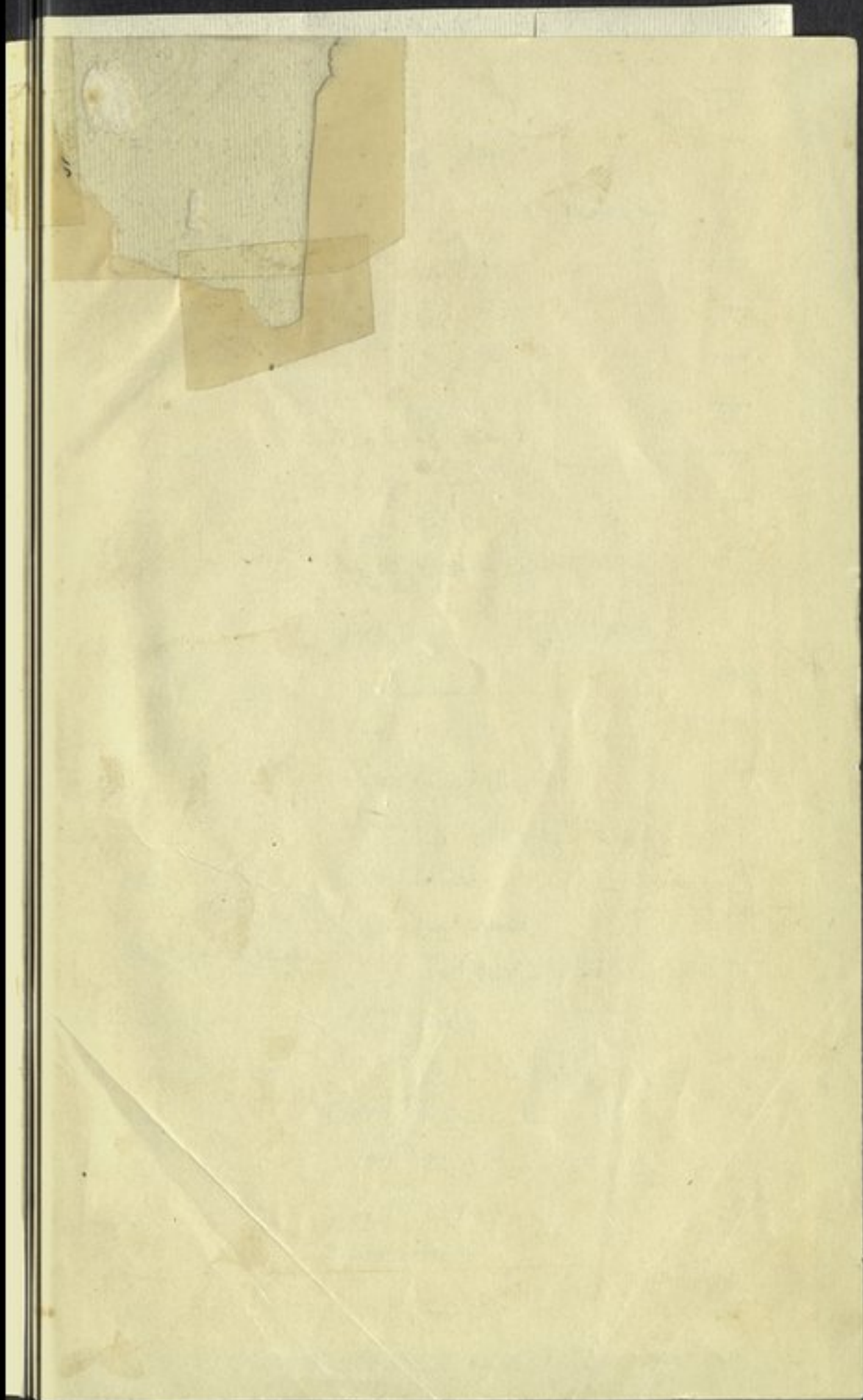
ابو حاتم السجستاني

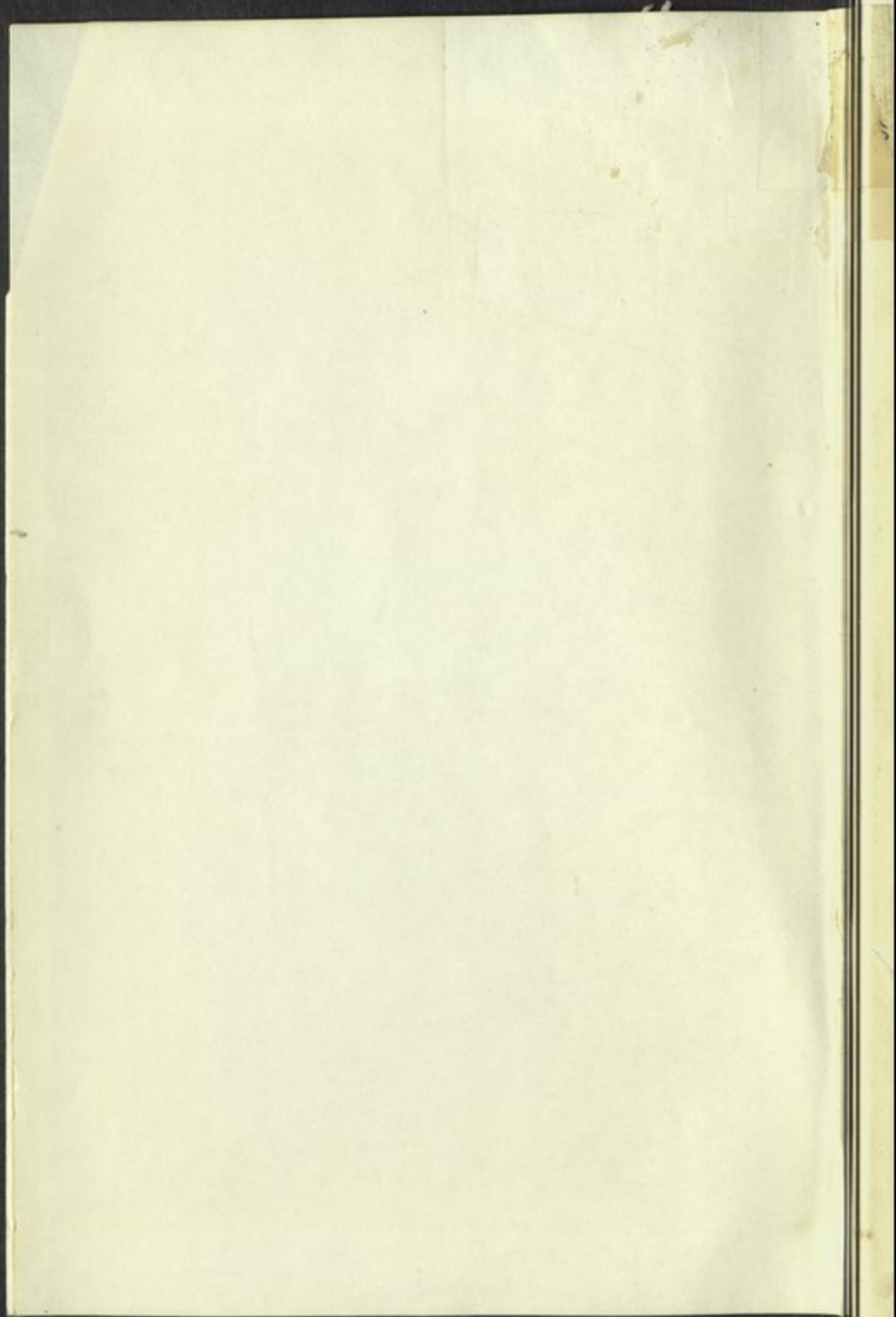
العدد	العنوان	العدد	العنوان
٢٢٧	الدولة الغزنوية		العالم
٢٢٨	» الحمدانية	٢٠٧	علم الكلا
٢٢٩	» مروانية بالاندلس	٢٠٨	علماء الكلا
٢٣٠	» الفاطمية	٢٠٩	الحديث
٢٣٠	الوجهاء والعلم	٢١٠	البخاري
	مزايا هذا العصر	٢١٠	القشيري
٢٣١	نضج العلم	٢١٠	ابن ماجه
٢٣٢	ظهور الموسوعات	٢١١	أبو داود
٢٣٢	تعدد العلوم	٢١١	الترمذي
٢٣٢	التدبير المنزلي	٢١١	النسائي
٢٣٣	كتب السياسة	٢١١	التفسير للطبري
٢٣٣	الاقتصاد السياسي		
٢٣٤	علم العمران		
	الشعر والشعراء		
	✓ مزايا الشعر في هذا العصر	٢١٢	يعقوب الكندي
٢٣٥	حل القيود القديمة	٢١٣	أبو نصر الفارابي
٢٣٦	مقتبسات الفلاسفة وغيرها	٢١٤	ابن أبي الربيع
٢٣٦	أبواب عديدة		الطب والاطباء
٢٣٧	المبالغة	٢١٦	ابن ماسويه
٢٣٨	طول القصائد	٢١٦	ابن سهل
٢٣٩	الوصف الشعري	٢١٦	أبو بكر الرازي
٢٤٠	زيادة ابجره	٢١٩	الزراعة
٢٤١	تاريخ نقد الشعر		
	أشهر الشعراء	٢٢١	العصر العباسي الثالث
٢٤٥	أبو الطيب المتنبي	٢٢٢	تقل العلم في المدائن
٢٤٩	أبو فراس		أسباب النهضة
١٥١	كشاجم	٢٢٣	الدول التي ساءت عليها
٢٥١	السري الرفاه	٢٢٦	الدولة البويهية
٢٥٣	ابن هاني الاندلسي	٢٢٦	» السامانية
			» الزيارية

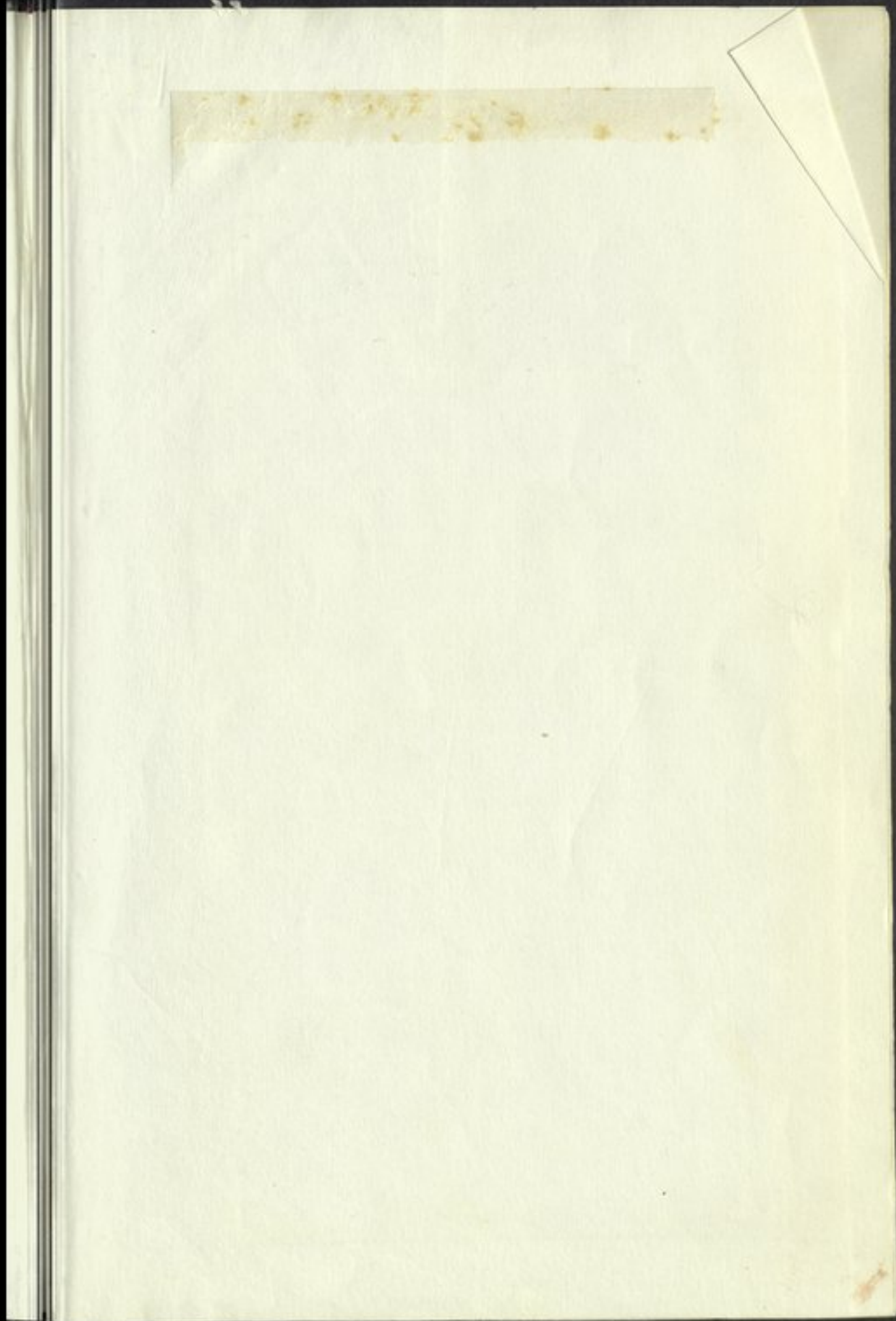
٢٨٩	كتب أخرى في	٢٥٤	الوأواء دمشقي
٢٩٠	المحاضرات	٢٥٥	السلامي
٢٩١	الروايات	٢٥٦	البيفاء
٢٩١	تمهيد	٢٥٦	النامي
٢٩٢	القصص التي وضعها العرب	٢٥٧	ابن نباتة السعدي
٢٩٥	القصص المتقولة	٢٥٧	الشريف الرضي
٢٩٧	خرافات الافرنج	٢٥٧	صريع الدلاء
٢٩٩	الدرام عند العرب	٢٥٩	مهيبار الديلمي
	النحو والنحاة	٢٦٠	أبو العلاء المعري
		٢٦٤	سائر الشعراء
٣٠١	ابن خالويه		الانشاء والترسل ✓
٣٠١	أبو بكر الزبيدي	٢٦٥	أسلوب الترسل
٣٠٢	ابن جنبي	٢٦٦	الطريقة المدرسية وشروطها
٣٠٣	نحاة آخرون		المشهور
	اللغة واللغويون	٢٦٩	ابن العميد
٣٠٤	المطرز البارودي	٢٧٢	أبو بكر الخوارزمي
٣٠٥	أبو علي القالي	٢٧٣	أبو اسحق الصابي
٣٠٥	أبو احمد العسكري	٢٧٤	الصاحب بن عباد
٣٠٦	المعاجم اللغوية وأصحابها	٢٧٥	بديع الزمان الهمداني
٣٠٨	التهذيب للازهري	٢٧٦	أبو منصور الثعالبي
٣٠٨	المحيط للصاحب	٢٧٧	الادب والانشاء عند الافرنج
٣٠٩	المجمل لابن فارس		الادب والادباء
٣٠٩	الصحاح للجوهري	٢٨١	أبو الفرج الاصبهاني
٣١١	الجامع للقران	٢٨٣	أبو علي التنوخي
٣١١	الموعب للتياني	٢٨٣	أبو هلال العسكري
٣١١	المحكم والمختص لابن سيده	٢٨٤	أبو منصور الثعالبي
	التاريخ والمؤرخون	٢٨٨	الشريف المرتضى
٣١٣	المسعودي	٢٨٨	ابن رشيح القيرواني

٣٢٩	المقدسي	٣١٥	حمز
٣٣٠	ابن سراييون	٣١٥	ابن
	العلوم الاسلامية	٣١٦	المرعشي
٣٣١	علماء الكلام	٣١٧	مسكويه
٣٣١	الباقلاني	٣١٨	صاعد الاندلسي
٣٣٢	التصوف	٣١٩	ابو عمر الكندي
٣٣٣	الفقه	٣١٩	ابو عبد الله الحشني
٣٣٣	الماوردي	٣١٩	ابو الحسن الاسكندراني
٣٣٤	الفرائض	٣٢٠	ابن القوطية
٣٣٤	التفسير والحديث	٣٢٠	ابن زولاق
	العلوم الرفيعة	٣٢١	ابن الفرضي
٣٣٥	الطب	٣٢١	عز انلك المسبحي
٣٣٦	ابن سينا	٣٢٢	ابو اسحق الثعالبي
٣٣٨	الصيدلة والكيمياء	٣٢٣	ابو النصر العتيبي
٣٤١	ابن البيطار وابن الصوري	٣٢٣	هلال الصابي
٣٤١	الفلسفة	٣٢٤	القضاعي
٣٤١	اخوان الصفا		ابو بكر الخطيب
٣٤٣	ما خذ لطلاب الفلسفة		
٣٤٤	التنجيم	٣٢٦	الجغرافيا والجغرافيون
٣٤٥	ابو الريحان البيروني		الخرائط عند العرب
٣٤٧	الرياضيات	٣٢٧	اصحاب الجغرافية
٣٤٨	الفنون الجميلة	٣٢٧	ابو زيد الباجي
٣٤٩	نظرة	٣٢٨	الاصطخري
			ابن حوقل

—o—o—o—o—o—







A.U.B. LIBRARY

A.U.B. LIBRARY

R:892.709:Z39taA:v.1-2:c.1

زيدان، جرجس

تاريخ أداب اللغة العربية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01069373



